(الجـــزء الثالث)

من الكشاف عن حقائق التـنزيل وعيون الاقاويل

فى وجوه التأويل للامام العلامة أبى القاسم جار

الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى

المتوفى سـنة ٥٢٨

غفـر الله له

آمين

(ومن كلامه رحمه الله تحدثا بنعمة ربه وشكرا)

ان التفاسير فى الدنيا بلا عدد ❁ وليس فيها لعمرى مثل كشاف

ان كنت تبغى الهدى فالزم قراءته ❁ فالجهل كالداء والكشاف كالشافى



و بالهامش الكتاب الجليـل المسمى بالانتصاف للامام ناصر الدين أحمد بن محمـد بن المنير الاسكندرى المالكى قاضى الاسكندرية وفاضلها المشهور المتوفى سـنة ٦٨٣ وقد بين فيه ماتضمنه الكشاف من الاعتزال وناقشه فى أعاريب وأحسن الجدال مع حسن الايجاز

و بالهامش أيضا القرآن العظيم بتمامه وقد ذيل بكتاب تنزيل الآيات على الشواهد من الابيات للعالم المدقق محب الدين أفندى وهو شرح موجز بليغ على أبيات شواهد الكشاف وهى زهاء ألف بيت

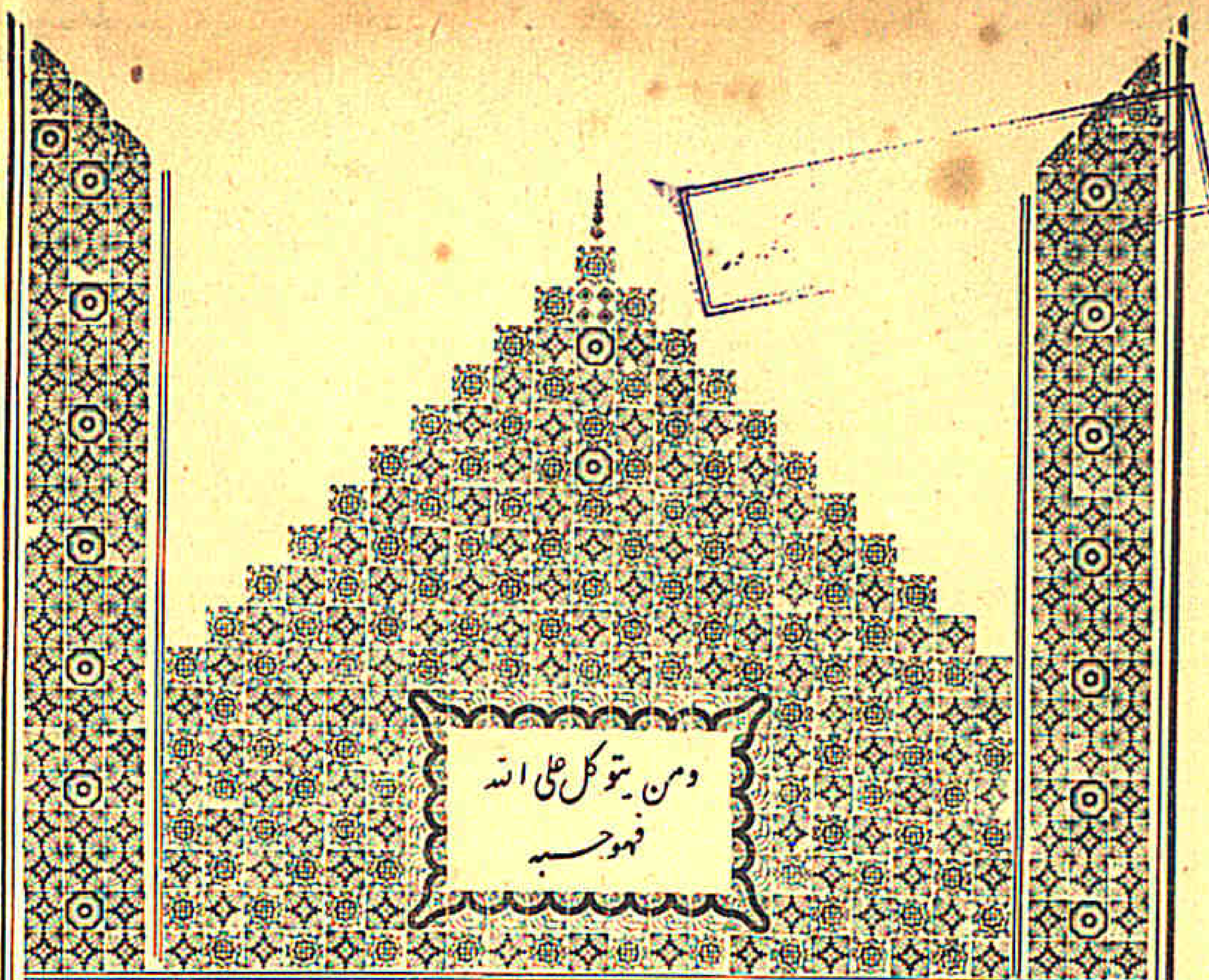
(طبع على نفقة حضرات الشيخ مصطفى البابى الحلبى وأخويه بمصر)

(الطبعة الثانية)

بالمطبعة الكبرى الاميرية ببولاق مصر المحمية

سـنة ١٣١٩ هجريه

(بالقسم الادبى)



(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سورة ص مكية وهى ست وثمانون وقيل ثمان وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سورة ص مكية وهى ست وثمانون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق

(ص) على الوقف وهى أكثر القراءة وقرئ بالكسر والفتح لالتقاء الساكنين ويجوز أن ينتصب بحذف حرف القسم وايصال فعله كقولهم الله لأفعلن كذا بالنصب أو باضمار حرف القسم والفتح فى موضع الجر كقولهم الله لافعلن بالجر وامتناع الصرف للتعريف والتأنيث لانها بمعنى السورة وقد صرفها من قرأ ص بالجر والتنوين على تأويل الكتاب والتنزيل وقيل فيمن كسره هو من المصاداة وهى المعارضة والمعادلة ومنها الصدى وهو ما يعارض الصوت فى الاماكن الخالية من الاجسام الصلبة ومعناه عارض القرآن بعملك فاعمل بأوامره وانته عن نواهيه (فان قلت) قوله ص (والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا فى عزة وشقاق) كلام ظاهره متنافر غير منتظم فما وجه انتظامه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدى والتنبيه على الاعجاز كما مر فى أول الكتاب ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدى عليه كأنه قال والقرآن ذى الذكر انه لكلام معجز والثانى أن يكون ص خبر مبتدا محذوف على أنها اسم للسورة كأنه قال هذه ص يعنى هذه السورة التى أعجزت العرب والقرآن ذى الذكر كما تقول هذا حاتم والله تريد هذا هو المشهور بالسخاء والله وكذلك اذا أقسم بها كأنه قال أقسمت بص والقرآن ذى الذكر انه لمعجز ثم قال بل الذين كفروا فى عزة واستكبار عن الاذعان لذلك والاعتراف بالحق وشقاق لله ورسوله واذا جعلتها مقسما بها وعطفت عليها والقرآن ذى الذكر جاز لك أن تريد بالقرآن التنزيل



كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب

كله وأن تريد السورة بعينها ومعناه أقسم بالسورة الشريفة والقرآن ذى الذكر كما تقول مررت بالرجل الكريم وبالنسمة المباركة ولا تريد بالنسمة غير الرجل والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور وانه لذكر لك ولقومك أو الذكرى والموعظة أو ذكر ما يحتاج اليه فى الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص الانبياء والوعد والوعيد والتنكير فى عزة وشقاق للدلالة على شدتهما وتفاقمهما وقرئ فى غرة أى فى غفلة عما يجب عليهم من النظر واتباع الحق (كم أهلكنا) وعيد لذوى العزة والشقاق (فنادوا) فدعوا واستغاثوا وعن الحسن فنادوا بالتوبة (ولات) هى لا المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث كما زيدت على رب وثم للتوكيد وتغير بذلك حكمها حيث لم تدخل الا على الاحيان ولم يبرز الا أحد مقتضيها اما الاسم واما الخبر وامتنع بروزهما جميعا وهذا مذهب الخليل وسيبويه وعند الاخفش أنها لا النافية للجنس زيدت عليها التاء وخصت بنفى الاحيان و(حين مناص) منصوب بها كأنك قلت ولا حين مناص لهم وعنه أن ما ينتصب بعده بفعل مضمر أى ولا أرى حين مناص ويرتفع بالابتداء أى ولا حين مناص كائن لهم وعندهما أن النصب على ولات الحين حين مناص أى وليس الحين حين مناص والرفع على ولات حين مناص حاصلا لهم وقرئ حين مناص بالكسر ومثله قول أبى زبيد الطائى

طلبوا صلحنا ولات أوان * فأجبنا أن لات حين بقاء

(فان قلت) ما وجه الكسر فى أوان (قلت) شبه باذ فى قوله وأنت اذ صحيح فى أنه زمان قطع منه المضاف اليه وعوض التنوين لان الاصل ولات أوان صلح (فان قلت) فما تقول فى حين مناص والمضاف اليه قائم (قلت) نزل قطع المضاف اليه من مناص لان أصله حين مناصهم منزلة قطعه من حين لاتحاد المضاف والمضاف اليه وجعل تنوينه عوضا من الضمير المحذوف ثم بنى الحين لكونه مضافا الى غير متمكن وقرئ ولات بكسر التاء على البناء كجير (فان قلت) كيف يوقف على لات (قلت) يوقف عليها بالتاء كما يوقف على الفعل الذى يتصل به تاء التأنيث وأما الكسائى فيقف عليها بالهاء كما يقف على الاسماء المؤنثة وأما قول أبى عبيد ان التاء داخلة على حين فلا وجه له واستشهاده بأن التاء ملتزقة بحين فى الامام لا متشبث به فكم وقعت فى المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط والمناص المنجا والفوت يقال ناصه ينوصه اذا فاته واستناص طلب المناص قال حارثة بن بدر

غمر الجراء اذا قصرت عنانه * بيدى استناص ورام جرى المسحل

(منذر منهم) رسول من أنفسهم (وقال الكافرون) ولم يقل وقالوا اظهارا للغضب عليهم ودلالة على أن هذا القول لا يجسر عليه الا الكافرون المتوغلون فى الكفر المنهمكون فى الغى الذين قال فيهم أولئك هم الكافرون حقا وهل ترى كفرا أعظم وجهلا أبلغ من أن يسموا من صدقه الله بوحيه كاذبا ويتعجبوا من التوحيد وهو الحق الذى لا يصح غيره ولا يتعجبوا من الشرك وهو الباطل الذى لا وجه لصحته * روى أن اسلام عمر رضى الله تعالى عنه فرح به المؤمنون فرحا شديدا وشق على قريش وبلغ منهم فاجتمع خمسة وعشرون نفسا من صناديدهم ومشوا الى أبى طالب وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء يريدون الذين دخلوا فى الاسلام وجئناك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك فاستحضر أبو طالب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السؤال فلا تمل كل الميل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يسألوننى قالوا ارفضنا وارفض ذكر آلهتنا وندعك والهك فقال عليه السلام أرأيتم ان أعطيتكم ما سألتم أمعطى أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقالوا نعم وعشرا أى نعطيكها وعشر كلمات معها فقال قولوا لا اله الا الله فقاموا وقالوا (أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشئ عجاب) أى بليغ فى العجب وقرئ عجاب بالتشديد كقوله تعالى مكرا كبارا وهو أبلغ من المخفف ونظيره كريم وكرام وكرام وقوله أجعل الآلهة الها واحدا مثل قوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا فى



﴿القول فى سورة ص﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشئ يراد (قال) فيه معناه اصبروا فلا حيلة لكم فى دفع أمر محمد ان هذا الشئ يراد أى يريده الله و يحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر اه كلامه * قوله تعالى أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب (قال معناه لم يذوقوه بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم الخ) قلت ويؤخذ منه أن لما الانفة بالجواب وانما تنفى بها فعل يتوقع وجوده كما يقول سيبويه به وفرق بينها وبين لم بأن لم نفى لفعل يتوقع

أن معنى الجعل التصيير فى القول على سبيل الدعوى والزعم كأنه قال أجعل الجماعة واحدا فى قوله لان ذلك فى الفعل محال (الملأ) أشراف قريش يريد وانطلقوا عن مجلس أبى طالب بعد ما بكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجواب العتيد قائلين بعضهم لبعض (امشوا واصبروا) فلا حيلة لكم فى دفع أمر محمد (ان هذا) الامر (لشئ يراد) أى يريده الله تعالى و يحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مرد له ولا ينفع فيه الا الصبر أو ان هذا الامر لشئ من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه أو ان دينكم لشئ يراد أى يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه * وأن بمعنى أى لان المنطلقين عن مجلس التقاول لابد لهم من أن يتكلموا و يتفاوضوا فيما جرى لهم فكان انطلاقهم مضمنا معنى القول و يجوز أن يراد بالانطلاق الاندفاع فى القول وأنهم قالوا امشوا أى اكثروا واجتمعوا من مشت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للتفاؤل كما قيل لها الفاشية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضموا فواشيكم * ومعنى واصبروا على آلهتكم واصبروا على عبادتها والتمسك بها حتى لا تزالوا عنها * وقرئ وانطلق الملأ منهم امشوا بغير أن على اضمار القول وعن ابن مسعود وانطلق الملأ منهم يمشون أن اصبروا (فى الملة الآخرة) فى ملة عيسى التى هى آخر الملل لان النصارى يدعونها وهم مثلثة غير موحدة أو فى ملة قريش التى أدركنا عليها آباءنا أو ما سمعنا بهذا كائنا فى الملة الآخرة على أن يجعل فى الملة الآخرة حالا من هذا ولا تعلقه بما سمعنا كما فى الوجهين والمعنى أنا لم نسمع من أهل الكتاب ولا من الكهان أنه يحدث فى الملة الآخرة توحيد الله * ما (هذا الا اختلاق) أى افتعال وكذب * أنكروا أن يختص بالشرف من بين أشرافهم ورؤسائهم و ينزل عليه الكتاب من بينهم كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا الانكار ترجمة عما كانت تغلى به صدورهم من الحسد على ما أوتى من شرف النبوة من بينهم (بل هم فى شك) من القرآن يقولون فى أنفسهم اما واما وقولهم ان هذا الا اختلاق كلام مخالف لاعتقادهم فيه يقولونه على سبيل الحسد (بل لما يذوقوا عذاب) بعد فاذا ذاقوه زال عنهم ما بهم من الشك والحسد حينئذ يعنى أنهم لا يصدقون به الا أن يمسهم العذاب مضطرين الى تصديقه (أم عندهم خزائن رحمة ربك) يعنى ما هم بمالكى خزائن الرحمة حتى يصيبوا بها من شاؤا و يصرفوها عمن شاؤا و يتخيروا للنبوة بعض صناديدهم و يترفعوا بها عن محمد عليه الصلاة والسلام وانما الذى يملك الرحمة وخزائنها العزيز القاهر على خلقه الوهاب الكثير المواهب المصيب بها مواقعها الذى يقسمها على ما تقتضيه حكمته وعدله كما قال أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا ثم رشح هذا المعنى فقال (أم لهم ملك السموات والارض) حتى يتكلموا فى الامور الربانية والتدابير الالهية التى يختص بها رب العزة والكبرياء ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال وان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة وكانت عندهم الحكمة التى يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا تحق له (فليرتقوا فى الاسباب) فليصعدوا فى المعارج والطرق التى يتوصل بها الى العرش حتى يستووا عليه و يدبروا أمر العالم وملكوت الله

و ينزلوا

وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشئ يراد ما سمعنا بهذا فى الملة الآخرة ان هذا الا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لما يذوقوا عذاب أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب

وجوده لم يقبل مثبته قد ولما نفى لما يتوقع وجوده أدخل على مثبته قد وانما ذكرت ذلك لانى حديث عهد بالبحث فى قوله عليه الصلاة والسلام الشفعة فيما لم يقسم فانى استدللت به على أن الشفعة خاصة بما يقبل القسمة فقيل لى ان غايته انه أثبت الشفعة فيما نفى عنه القسمة فاما لانها لا تقبل قسمة واما لانها تقبل ولم تقع القسمة فأبطلت ذلك بأن آلة النفى المذكورة لم ومقتضاها قبول المحل الفعل المنفى وتوقع وجوده ألا ترى أنك تقول الجدار لا يتكلم ولو قلت الجدار لم يتكلم لكان ركيكا من القول لافهامه قبوله للكلام * قوله تعالى أم لهم ملك السموات والارض وما بينهما فليرتقوا فى الاسباب (قال) ثم تهكم بهم غاية التهكم فقال ان كانوا يصلحون لتدبير الخلائق والتصرف فى قسمة الرحمة فكانت عندهم المعرفة التى يميزون بها بين من هو حقيق بايتاء النبوة دون من لا يستحق فليرتقوا فى المعارج والطرق الموصلة الى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وملكوت الله تعالى و ينزلوا الوحى على من يختارونه قال ثم خسأهم بقوله جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب معناه ان هؤلاء الاجند متحزبون على النبى صلى الله عليه وسلم عما قليل يهزمون ويولون الادبار اه كلامه (قلت) الاستواء المنسوب لله ليس مما يتوصل اليه بالصعود فى المعارج والوصول الى العرش والاستقرار عليه والتمكن فوقه لان الاستواء المنسوب الى الله تعالى ليس استواء استقرار بجسم تعالى الله عن ذلك وانما هو صفة فعل أى فعل فيه فعلا سماه استواء هذا تأويل القاضى أبى بكر وليست عبارة الزمخشرى فى هذا الفصل

و ينزلوا الوحى الى من يختارون ويستصوبون ثم خسأهم خساءة عن ذلك بقوله (جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب) يريد ما هم الا جيش من الكفار المتحزبين على رسل الله مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون ولا تكترث لما به يهذون وما مزيدة وفيها معنى الاستعظام كما فى قول امرئ القيس وحديث ما على قصره الا أنه على سبيل الهزء وهنالك اشارة الى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لامر ليس من أهله لست هنالك (ذو الاوتاد) أصله من ثبات البيت المطنب بأوتاده قال

والبيت لا يبتنى الا على عمد * ولا عماد اذا لم ترس أوتاد

فاستعير لثبات العز والملك واستقامة الامر كما قال الاسود * فى ظل ملك ثابت الاوتاد * وقيل كان يشبح المعذب بين أربع سوار كل طرف من أطرافه الى سارية مضروب فيه وتد من حديد و يتركه حتى يموت وقيل كان يمده بين أربعة أوتاد فى الارض و يرسل عليه العقارب والحيات وقيل كانت له أوتاد وحبال يلعب بها بين يديه (أولئك الاحزاب) قصد بهذه الاشارة الاعلام بأن الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وأنهم هم الذين وجد منهم التكذيب * ولقد ذكر تكذيبهم أولا فى الجملة الخبرية على وجه الابهام ثم جاء بالجملة الاستثنائية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الاحزاب كذب جميع الرسل لانهم اذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوهم جميعا وفى تكرير التكذيب وايضاحه بعد ابهامه والتنويع فى تكريره بالجملة الخبرية أولا وبالاستثنائية ثانيا وما فى الاستثنائية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه * ثم قال (فحق عقاب) أى فوجب لذلك أن أعاقبهم حق عقابهم (هؤلاء) أهل مكة ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاحزاب لاستحضارهم بالذكر أو لانهم كالحضور عند الله * والصيحة النفخة (ما لها من فواق) وقرئ بالضم ما لها من توقف مقدار فواق وهو ما بين حلبتى الحالب ورضعتى الراضع يعنى اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة وعن ابن عباس ما لها من رجوع وترداد من أفاق المريض اذا رجع الى الصحة وفواق الناقة ساعة ترجع الدر الى ضرعها يريد أنها نفخة واحدة فحسب لا تثنى ولا تردد * القط القسط من الشئ لانه قطعة منه من قطه اذا قطعه و يقال لصحيفة الجائزة قط لانها قطعة من القرطاس وقد فسر بهما قوله تعالى (عجل لنا قطنا) أى نصيبنا من العذاب الذى وعدته كقوله تعالى و يستعجلونك بالعذاب وقيل ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وعد الله المؤمنين الجنة فقالوا على سبيل الهزء عجل لنا نصيبنا منها أو عجل لنا صحيفة أعمالنا ننظر فيها (فان قلت) كيف تطابق قوله (اصبر على ما يقولون) وقوله (واذكر عبدنا داود) حتى عطف أحدهما على صاحبه (قلت) كأنه قال لنبيه عليه الصلاة والسلام اصبر على ما يقولون وعظم أمر معصية الله فى أعينهم بذكر قصة داود وهو أنه نبى من أنبياء الله تعالى قد أولاه ما أولاه من النبوة والملك لكرامته عليه وزلفته لديه ثم زل زلة فبعث اليه الملائكة ووبخه عليها على طريق التمثيل والتعريض حتى فطن لما وقع فيه فاستغفر وأناب ووجد منه ما يحكى من بكائه الدائم وغمه الواصب ونقش جنايته فى بطن كفه حتى لا يزال يجدد النظر اليها والندم عليها فما الظن بكم مع كفركم ومعاصيكم أو قال له صلى الله عليه وسلم اصبر على ما يقولون وصن

جند ما هنالك مهزوم من الاحزاب كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الايكة أولئك الاحزاب ان كل الا كذب الرسل فحق عقاب وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فواق وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود

مطابقة للفصل على جارى عاداته فى تحرير العبارة على مراده * قوله تعالى أولئك الاحزاب (قال فيه قصد بهذه الاشارة الاعلام بأن الاحزاب الذين جعل الجند المهزوم منهم هم هم وانهم الذين وجد التكذيب منهم اه كلامه) قلت وفى تكرار تكذيبهم فائدة أخرى وهى أن الكلام لما طال بتعديد آحاد المكذبين ثم أريد ذكر ما حاق بهم من العذاب جزاء لتكذيبهم كرر ذلك مصحوبا بالزيادة المذكورة ليلى قوله تعالى فحق عقاب على سبيل التطرية المعتادة عند طول الكلام وهو كما قدمته فى قوله و كذب موسى حيث كرر الفعل ليقترن بقوله فأمليت للكافرين

* قوله عز وعلا يسبحن بالعشي والاشراق (قال) الاشراق حين تشرق الشمس أى يصفو نورها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق ومنه أخذ ابن عباس صلاة الضحى قال ويحتمل أن يكون من أشرق القوم اذا دخلوا فى وقت الشروق ويكون المراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بشروق الشمس اه كلامه (قلت) الوجه الثانى يفرق بين العشى والاشراق فان العشى ظرف بلا اشكال فلو حمل الاشراق على الدخول فى وقت الشروق لكان مصدرا مع أن المراد به الظرف لانه فعل الشمس وصفتها التى تستعمل ظرفا كالطلوع والغروب وشبههما * عاد كلامه الى قوله تعالى يسبحن (قال فيه ان قلت لم اختار يسبحن على مسبحات وأيهما وقع كان حالا وأجاب بان اختيارهما المعنى وهو الدلالة على حدوث التسبيح شيأ بعد شئ كأن السامع محاضر لها فيسمعها تسبح ومنه قول الاعشى

الى ضوء نار فى يفاع تحرق

ولو قال محرقة لم يكن شيأ) قلت ولهذه النكتة فرق سحنون

ذا الايد انه أواب انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وآتيناه

من أصحابنا بين أنا محرم يوم أفعل كذا بصيغة اسم الفاعل وبين أحرم بصيغة المضارع فرأى ان المعلق بصيغة اسم الفاعل يكون محرما بوجود صيغة التعليق ولا كذلك المعلق بصيغة الفعل المضارع فانه لا يكون محرما حتى يحرم ويقال له أحرم فكأنه رأى أن صيغة الفعل خصوصية فى الدلالة على حدوثه ولا كذلك اسم الفاعل وان كان متأخرا وأصحابنا اختلفوا فى معنى قول سحنون فى اسم الفاعل يكون محرما يوم يفعل فمنهم من قال أراد الفور فينشئ احراما ومنهم من قال يكون محرما فى الحال بالتعليق الاول ولا يجدد شيأ ومذهب مالك التسوية بين صيغتى اسم الفاعل والفعل فى هذا المقام والله أعلم وحقق الزمخشرى هذا الفرق بين اسم الفاعل والفعل فى قوله والطير محشورة كل له أواب فقال لما كان الواقع حشر الطير دفعة واحدة وكان ذلك أدل على القدرة لم يكن لاستعمال الفعل الدال على الحدوث شيأ فشيأ معنى فاستعمل فيه اسم المفعول على خلاف استعمال الفعل فى الاول

نفسك وحافظ عليها أن تزل فيما كافت من مصابرتهم وتحمل أذاهم واذكر أخاك داود وكرامته على الله كيف زل تلك الزلة اليسيرة فلقى من توبيخ الله وتظليمه ونسبته الى البغى مالقى (ذا الايد) ذا القوة فى الدين المضطلع بمشاقه وتكاليفه كان على نهوضه باعباء النبوة والملك يصوم يوما ويفطر يوما وهو أشد الصوم ويقوم نصف الليل يقال فلان أيد وذو أيد وذو آد وأياد كل شئ ما يتقوى به (أواب) تواب رجاع الى مرضاة الله (فان قلت) ما دلك على أن الايد القوة فى الدين (قلت) قوله تعالى انه أواب لانه تعليل لذى الايد (والاشراق) ووقت الاشراق وهو حين تشرق الشمس أى تضئ ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى وأما شروقها فطلوعها يقال شرقت الشمس ولما تشرق وعن أم هانئ دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بوضوء فتوضأ ثم صلى صلاة الضحى وقال يا أم هانئ هذه صلاة الاشراق وعن طاوس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى فى القرآن قالوا لا فقرأ انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق وقال كانت صلاة يصليها داود عليه السلام وعنه ما عرفت صلاة الضحى الا بهذه الآية وعنه لم يزل فى نفسى من صلاة الضحى شئ حتى طلبتها فوجدتها فى هذه الآية يسبحن بالعشى والاشراق وكان لا يصلى صلاة الضحى ثم صلاها بعد وعن كعب أنه قال لابن عباس انى لا أجد فى كتب الله صلاة بعد طلوع الشمس فقال أنا أوجدك ذلك فى كتاب الله تعالى يعنى هذه الآية ويحتمل أن يكون من أشرق القوم اذا دخلوا فى الشروق ومنه قوله تعالى فأخذتهم الصيحة مشرقين وقول أهل الجاهلية أشرق ثبير ويراد وقت صلاة الفجر لانتهائه بالشروق * ويسبحن فى معنى ومسبحات على الحال (فان قلت) هل من فرق بين يسبحن ومسبحات (قلت) نعم وما اختير يسبحن على مسبحات الا لذلك وهو الدلالة على حدوث التسبيح من الجبال شيأ بعد شئ وحالا بعد حال وكان السامع محاضر تلك الحال يسمعها تسبح ومثله قول الاعشى * الى ضوء نار فى يفاع تحرق * ولو قال محرقة لم يكن شيأ وقوله (محشورة) فى مقابلة يسبحن الا أنه لما لم يكن فى الحشر ما كان فى التسبيح من ارادة الدلالة على الحدوث شيأ بعد شئ جئ به اسما لا فعلا وذلك أنه لو قيل وسخرنا الطير يحشرن على أن الحشر يوجد من حاشرها شيأ بعد شئ والحاشر هو الله عز وجل لكان خلفا لان حشرها جملة واحدة أدل على القدرة وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان اذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت اليه الطير فسبحت فذلك حشرها وقرئ والطير محشورة بالرفع (كل له أواب) كل واحد من الجبال والطير لاجل داود أى لاجل تسبيحه مسبح لانها كانت تسبح بتسبيحه ووضع الاواب موضع المسبح اما لانها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع لانه يرجع الى فعله رجوعا بعد رجوع واما لان الاواب وهو التواب الكثير الرجوع الى الله وطلب مرضاته من عادته أن يكثر ذكر الله ويديم تسبيحه وتقديسه وقيل الضمير لله أى كل من داود والجبال والطير لله أواب أى مسبح مرجع للتسبيح (وشددنا ملكه) قويناه قال تعالى سنشد عضدك وقرئ شددنا على المبالغة قيل كان يبيت حول محرابه أربعون ألف مستلئم يحرسونه وقيل الذى شد الله به ملكه وقذف فى قلوب قومه الهيبة أن رجلا ادعى عنده على آخر بقرة وعجز عن اقامة البينة فأوحى الله تعالى اليه فى المنام

* قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب الآية (ذكر) فى تفسيرها فصلا أسرده على الاختصار والايجاز لتندرج حقائق فصل الخطاب قال كان أهل زمان داود يسأل بعضهم بعضا النزول له عن امرأته اذا أعجبته فيتزوجها وقد روى مثله عن الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فوقعت عين داود عليه السلام على امرأة أوريا فأعجبته فسأله ايثاره بها ليتزوجها فاستحيا منه فنزل عنها فتزوجها وأولدها سليمان فقيل له انك مع كثرة نسائك لم يكن ينبغى لك أن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول عنها وكان الافضل قهر الهوى وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فرغب اليه أهلها فاندرج فى الخاطب على خطبة أخيه وأما ما يذكر أن داود تمنى منزلة آبائه الانبياء فقيل له انهم ابتلوا فصبروا فسأل الابتلاء ليصبر فقيل له انك تبتلى يوم كذا فاحترس ذلك اليوم وأغلق عليه محرابه فتمثل له الشيطان فى صورة حمامة ذهب فمد يده ليأخذها لولد صغير فطارت فتبعها فرأى المرأة قد نقضت شعرها فبعث الى أيوب صاحب بعث البلقاء أن قدم أوريا الى التابوت وهو من غزاة البلقاء وكان المتقدم اليه يحرم عليه الرجوع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد فقدم

الحكمة وفصل الخطاب

فسلم فأمر بتقديمه مرة أخرى وثالثة فقتل فلم يحزن عليه كحزنه على الشهداء وتزوج امرأته المذكورة فهذا ونحوه مما يقبح الحديث به عن متسم بصلاح من آحاد المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء وعن سعيد بن المسيب أن على بن أبى طالب قال من حدثكم قصة داود كما يرويها القصاص جلدته مائة وستين حد الفرية مضاعفا وروى أن عمر بن عبد العزيز حدثه رجل بذلك بحضرة عالم محقق فكذب الحديث بذلك وقال ان كانت القصة على ما فى كتاب الله فالتماس خلافها فرية وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها استرا للنبيه عليه السلام فما ينبغى لك اظهار ما ستره الله تعالى فقال عمر بن عبد العزيز لسماعى هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس * قال الزمخشرى والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله أن قصته ليست الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فقط ثم نبه الزمخشرى على مجئ الانكار على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح وذلك أن التعريض داع الى التأمل والتنبيه لوجه الخطأ مع ما فيه من اجتناب المجاهرة فى الانكار والتوبيخ والقاء بطريق التمثيل ليستقبح ذلك من غيره فيجعله مقياسا لاستقباح ذلك من نفسه مع البقاء على الحشمة كما أوصى الحكماء بذلك فى سياسة الوالد لولده اذا حصلت منه هنة منكرة قال وجاء ذلك على وجه

أن اقتل المدعى عليه فقال هذا منام فأعيد الوحى فى اليقظة فأعلم الرجل فقال ان الله عز وجل لم يأخذنى بهذا الذنب ولكن بأنى قتلت أبا هذا غيلة فقتله فقال الناس ان أذنب أحد ذنبا أظهره الله عليه فقتله فهابوه (الحكمة) الزبور وعلم الشرائع وقيل كل كلام وافق الحق فهو حكمة * الفصل التمييز بين الشيئين وقيل للكلام البين فصل بمعنى المفصول كضرب الامير لانهم قالوا كلام ملتبس وفى كلامه لبس والملتبس المختلط فقيل فى نقيضه فصل أى مفصول بعضه من بعض فمعنى فصل الخطاب البين من الكلام الملخص الذى يتبينه من يخاطب به لا يلتبس عليه ومن فصل الخطاب وملخصه أن لا يخطئ صاحبه مظان الفصل والوصل فلا يقف فى كلمة الشهادة على المستثنى منه ولا يتلو قوله فويل للمصلين الا موصولا بما بعده ولا والله يعلم وأنتم حتى يصله بقوله لا تعلمون ونحو ذلك وكذلك مظان العطف وتركه والاضمار والاظهار والحذف والتكرار وان شئت كان الفصل بمعنى الفاصل كالصوم والزور وأردت بفصل الخطاب الفاصل من الخطاب الذى يفصل بين الصحيح والفاسد والحق والباطل والصواب والخطا وهو كلامه فى القضايا والحكومات وتدابير الملك والمشورات وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه هو قوله البينة على المدعى واليمين على المدعى عليه وهو من الفصل بين الحق والباطل ويدخل فيه قول بعضهم هو قوله أما بعد لانه يفتتح اذا تكلم فى الامر الذى له شأن بذكر الله وتحميده فاذا أراد أن يخرج الى الغرض المسوق اليه فصل بينه وبين ذكر الله بقوله أما بعد ويجوز أن يراد الخطاب القصد الذى ليس فيه اختصار مخل ولا اشباع ممل ومنه ما جاء فى صفة كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصل لا نزر ولا هذر * كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن ينزل له عن امرأته فيتزوجها اذا أعجبته وكانت لهم عادة فى المواساة بذلك قد اعتادوها وقد روينا أن الانصار كانوا يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن عين داود وقعت على امرأة رجل يقال له أوريا فأحبها فسأله النزول له عنها فاستحيا أن يرده ففعل فتزوجها وهى أم سليمان فقيل له انك مع عظم منزلتك وارتفاع مرتبتك وكبر شأنك وكثرة نسائك لم يكن ينبغى لك أن تسأل رجلا ليس له الا امرأة واحدة النزول بل كان الواجب عليك مغالبة هواك وقهر نفسك والصبر على ما امتحنت به وقيل خطبها أوريا ثم خطبها داود فآثره أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه وأما ما يذكر أن داود عليه السلام تمنى منزلة آبائه ابراهيم واسحق ويعقوب فقال يا رب ان آبائى قد ذهبوا بالخير كله فأوحى اليه أنهم ابتلوا ببلايا فصبروا عليها فقد ابتلى ابراهيم بنمرود وذبح ولده واسحق بذبحه وذهاب بصره ويعقوب بالحزن على يوسف فسأل الابتلاء فأوحى الله اليه انك لمبتلى فى يوم كذا وكذا فاحترس فلما حان ذلك اليوم دخل محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى ويقرأ الزبور فجاء الشيطان فى صورة حمامة من ذهب فمد يده ليأخذها لابن له صغير فطارت فامتد اليها فطارت فوقعت

فى كوة فتبعها فأبصر امرأة جميلة قد نقضت شعرها فغطى بدنها وهى امرأة أوريا وهو من غزاة البلقاء فكتب الى أيوب بن صوريا وهو صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا وقدمه على التابوت وكان من يتقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع حتى يفتح الله على يده أو يستشهد ففتح الله على يده وسلم فأمر برده مرة أخرى وثالثة حتى قتل فأتاه خبر قتله فلم يحزن كما كان يحزن على الشهداء وتزوج امرأته فهذا ونحوه مما يقبح أن يحدث به عن بعض المتسمين بالصلاح من أفناء المسلمين فضلا عن بعض أعلام الانبياء وعن سعيد بن المسيب والحرث الاعور أن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الانبياء وروى أنه حدث بذلك عمر بن عبد العزيز وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدث به وقال ان كانت القصة على ما فى كتاب الله فما ينبغى أن يلتمس خلافها وأعظم بأن يقال غير ذلك وان كانت على ما ذكرت وكف الله عنها سترا على نبيه فما ينبغى اظهارها عليه فقال عمر لسماعى هذا الكلام أحب الى مما طلعت عليه الشمس والذى يدل عليه المثل الذى ضربه الله لقصته عليه السلام ليس الا طلبه الى زوج المرأة أن ينزل له عنها فحسب (فان قلت) لم جاءت على طريقة التمثيل والتعريض دون التصريح (قلت) لكونها أبلغ فى التوبيخ من قبل أن التأمل اذا أداه الى الشعور بالمعرض به كان أوقع فى نفسه وأشد تمكنا من قلبه وأعظم أثرا فيه وأجلب لاحتشامه وحيائه وأدعى الى التنبه على الخطأ فيه من أن يباده به صريحا مع مراعاة حسن الادب بترك المجاهرة ألا ترى الى الحكماء كيف أوصوا فى سياسة الولد اذا وجدت منه هنة منكرة بأن يعرض له بانكارها عليه ولا يصرح وأن تحكى له حكاية ملاحظة لحاله اذا تأملها استسمج حال صاحب الحكاية فاستسمج حال نفسه وذلك أزجر له لانه ينصب ذلك مثالا لحاله ومقياسا لشأنه فيتصور قبح ما وجد منه بصورة مكشوفة مع أنه أصون لما بين الوالد والولد من حجاب الحشمة (فان قلت) فلم كان ذلك على وجه التحاكم اليه (قلت) ليحكم بما حكم به من قوله لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه حتى يكون محجوجا بحكمه ومعترفا على نفسه بظلمه (وهل أتاك نبأ الخصم) ظاهره الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الانباء العجيبة التى حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد والتشويق الى استماعه والخصم الخصماء وهو يقع على الواحد والجمع كالضيف قال الله تعالى حديث ضيف ابراهيم المكرمين لانه مصدر فى أصله تقول خصمه خصما كما تقول ضافه ضيفا (فان قلت) هذا جمع وقوله خصمان تثنية فكيف استقام ذلك (قلت) معنى خصمان فريقان خصمان والدليل عليه قراءة من قرأ خصمان بغى بعضهم على بعض ونحوه قوله تعالى هذان خصمان اختصموا فى ربهم (فان قلت) فما تصنع بقوله ان هذا أخى وهو دليل على اثنين (قلت) هذا قول البعض المراد بقوله بعضنا على بعض (فان قلت) فقد جاء فى الرواية أنه بعث اليه ملكان (قلت) معناه أن التحاكم كان بين ملكين ولا يمنع ذلك أن يصحبهما آخرون (فان قلت) فاذا كان التحاكم بين اثنين كيف سماهم جميعا خصما فى قوله نبأ الخصم وخصمان (قلت) لما كان صحب كل واحد من المتحاكمين فى صورة الخصم صحت التسمية به (فان قلت) بم انتصب (اذ) (قلت) لا يخلو اما أن ينتصب بأتاك أو بالنبأ أو بمحذوف فلا يسوغ انتصابه بأتاك لان اتيان النبأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يقع الا فى عهده لا فى عهد داود ولا بالنبأ لان النبأ الواقع فى عهد داود لا يصح اتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أردت بالنبأ القصة فى نفسها لم يكن ناصبا فبقى أن ينتصب بمحذوف وتقديره وهل أتاك نبأ تحاكم الخصم ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل وأما اذ الثانية فبدل من الاولى (تسوروا المحراب) تصعدوا سوره ونزلوا اليه والسور الحائط المرتفع ونظيره فى الابنية تسنمه اذا علا سنامه وتذرآه اذا علا ذروته روى أن الله تعالى بعث اليه ملكين فى صورة انسانين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهما الحرس فتسورا عليه المحراب فلم يشعر الا وهما بين يديه جالسان (ففزع منهم) قال ابن عباس ان داود عليه السلام جزأ زمانه أربعة أجزاء يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما للاشتغال بخواص أموره ويوما يجمع بنى اسرائيل فيعظهم ويبكيهم فجاؤه فى غير يوم القضاء ففزع منهم ولانهم نزلوا عليه من فوق وفى يوم الاحتجاب والحرس حوله لا يتركون من

وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف

التحاكم ليحكم بقوله لقد ظلمك فتقوم الحجة عليه محكمة * قال وقوله وهل أتاك جاء على وجه الاستفهام تنبيها على أن هذه قصة عجيبة من حقها أن تشيع ولا تخفى على أحد وتشويقا الى سماعها أيضا

يدخل

وقال فى قوله هذا أخى الاخوة كيفما كانت اما من الصداقة أو من الدين أو من الشركة والخلطة تدلى بحق مانع من الاعتداء والظلم فلذلك قال ان هذا أخى وقال فى الخطاب يحتمل أن يكون من المخاطبة ومعناه أتانى بما لم أقدر على رده من الجدال ويحتمل أن يكون من الخطبة مفاعلة أى خطبت فخطب على خطبتى فغلبنى والمفاعلة لان الخطبة صدرت منهما جميعا وقال فى ذكر النعاج انها تمثيل فكان تحاكمهم تمثيلا وكلامهم أيضا تمثيلا لانه أبلغ لما تقدم وللتنبيه على أن هذا أمر يستحيا من التصريح به وأنه مما يكنى عنه سماجة للافصاح به وللستر على داود عليه السلام ووجه التمثيل فيه ان مثلت قصة أوريا برجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد أن يتمها مائة بالنعجة المذكورة ثم قال فان قلت طريقة التمثيل انما تستعمل على جعل الخطاب من الخطابة فان كان من الخطبة فما وجهه قال الوجه حينئذ ان تجعل النعجة استعارة للمرأة كما استعاروا لها

يدخل عليه (خصمان) خبر مبتدا محذوف أى نحن خصمان (ولا تشطط) ولا تجر وقرئ ولا تشطط أى ولا تبعد عن الحق وقرئ ولا تشطط ولا تشاطط وكلها من معنى الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطى الحق و(سواء الصراط) وسطه ومحجته ضربه مثلا لعين الحق ومحضه (أخى) بدل من هذا أو خبر لان والمراد أخوة الدين أو أخوة الصداقة والالفة أو أخوة الشركة والخلطة لقوله تعالى وان كثيرا من الخلطاء وكل واحدة من هذه الاخوات تدلى بحق مانع من الاعتداء والظلم وقرئ تسع وتسعون بفتح التاء ونعجة بكسر النون وهذا من اختلاف اللغات نحو نطع ونطع ولقوة ولقوة (أكفلنيها) ملكنيها وحقيقته اجعلنى أكفلها كما أكفل ما تحت يدى (وعزنى) وغلبنى يقال عزه يعزه قال

قطاة عزها شرك فباتت * تجاذبه وقد علق الجناح

يريد جاءنى بحجاج لم أقدر أن أورد عليه ما أرده به * وأراد بالخطاب مخاطبة المحاج المجادل أو أراد خطبت المرأة وخطبها هو فخاطبنى خطابا أى غالبنى فى الخطبة فغلبنى حيث زوجها دونى وقرئ وعازنى من المعازة وهى المغالبة وقرأ أبو حيوة وعزنى بتخفيف الزاى طلبا للخفة وهو تخفيف غريب وكأنه قاسه على نحو ظلت ومست (فان قلت) ما معنى ذكر النعاج (قلت) كان تحاكمهم فى نفسه تمثيلا وكلامهم تمثيلا لان التمثيل أبلغ فى التوبيخ لما ذكرنا وللتنبيه على أنه أمر يستحيا من كشفه فيكنى عنه كما يكنى عما يستسمج الافصاح به وللستر على داود عليه السلام والاحتفاظ بحرمته ووجه التمثيل فيه أن مثلت قصة أوريا مع داود بقصة رجل له نعجة واحدة ولخليطه تسع وتسعون فأراد صاحبه تتمة المائة فطمع فى نعجة خليطه وأراده على الخروج من ملكها اليه وحاجه فى ذلك محاجة حريص على بلوغ مراده والدليل عليه قوله وان كثيرا من الخلطاء وانما خص هذه القصة لما فيها من الرمز الى الغرض بذكر النعجة (فان قلت) انما تستقيم طريقة التمثيل اذا فسرت الخطاب بالجدال فان فسرته بالمفاعلة من الخطبة لم يستقم (قلت) الوجه مع هذا التفسير أن أجعل النعجة استعارة عن المرأة كما استعاروا لها الشاة فى نحو قوله ياشاة ما قنص لمن حلت له * فرميت غفلة عينه عن شاته وشبهها بالنعجة من قال كنعاج الملا تعسفن رملا لولا أن الخلطاء تأباه الا أن يضرب داود الخلطاء ابتداء مثلا لهم ولقصتهم (فان قلت) الملائكة عليهم السلام كيف صح منهم أن يخبروا عن أنفسهم بما لم يتلبسوا منه بقليل ولا كثير ولا هو من شأنهم (قلت) هو تصوير للمسئلة وفرض لها فصوروها فى أنفسهم وكانوا فى صورة الاناسى كما تقول فى تصوير المسائل زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون وأنت تشير اليهما فخلطاها وحال عليها الحول كم يجب فيها وما لزيد وعمرو سبد ولا لبد وتقول أيضا فى تصويرها لى أربعون شاة ولك أربعون فخلطناها وما لكما من الاربعين أربعة ولا ربعها (فان قلت) ما وجه قراءة ابن مسعود ولى نعجة أنثى (قلت) يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة والمعنى وصفها بالعراقة فى لين الانوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد فى تكسرها وتثنيها ألا ترى الى وصفهم لها بالكسول والمكسال وقوله فتور القيام قطيع الكلام وقوله

خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط إن هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال

الشاة فى قوله ياشاة ماقنص لمن حلت له الا أن لفظ الخلطاء يأباه اللهم الا أن يكون ابتداء مثل من داود عليه السلام (قلت) والفرق بين التمثيل والاستعارة أنه على التمثيل يكون الذى سبق الى فهم داود عليه السلام أن التحاكم على ظاهره وهو التخاصم فى النعاج التى هى البهائم ثم انتقل بواسطة التنبيه الى فهم أنه تمثيل لحاله وعلى الاستعارة يكون فهم عنهما التحاكم فى النساء المعبر عنهن بالنعاج كناية ثم استشعر أنه هو المراد بذلك قال (فان قلت) لم صح من الملائكة الاخبار عن أنفسهم بما لم يتلبسوا بشئ منه وأجاب بأن ذلك على سبيل التصوير والفرض كما تقول فى تصوير المسئلة زيد له أربعون شاة وعمرو له أربعون خلطاها فماذا يجب عليهما من الزكاة وتقول أيضا لى أربعون شاة ولك أربعون وما لك ولا له من الاربعين أربعة ولا ربعها فان قلت فما وجه قراءة ابن مسعود ولى نعجة أنثى وأجاب بأنه يقال امرأة أنثى للحسناء الجميلة ومعناه وصفها بالعراقة فى لين الانوثة وفتورها وذلك أملح لها وأزيد فى تكسرها وتثنيها ألا ترى الى وصفهم اياها بالكسول والمكسال كقوله

فتور القيام قطيع الكلام اه كلامه (قلت) ولكن قوله ولى نعجة انما اورده على سبيل التقليل لما عنده والتحقير ليستدل على خصمه بالبغى لطلبه هذا القليل الحقير وعنده الجم الغفير فكيف يليق وصف ما عنده والمراد تقليله بصفة الحسن التى توجب اقامة عذر ما لخصمه ولذلك جاءت القراءة المشهورة على الاقتصار على ذكر النعجة وتأكيد قلتها بقوله واحدة فهذا اشكال على قراءة ابن مسعود يمكن الجواب عنه بان القصة الواقعة لما كانت امرأة اوريا الممثلة بالنعجة فيها مشهورة بالحسن وصف مثالها فى قصة الخصمين بالحسن زيادة فى التطبيق لتأكيد التنبيه على أنه هو المراد بالتمثيل ثم قال فان قلت لم سارع بتصديق أحد الخصمين قبل سماع كلام الآخر وأجاب بان ذلك كان بعد اعتراف خصمه (١٠) ولكنه لم يحك فى القرآن لانه معلوم اه كلامه (قلت) ويحتمل أن يكون ذلك من داود على سبيل الفرض والتقدير أى ان صح ذلك فقد ظلمك ونقل بعضهم أن هذه القصة لم تكن من الملائكة وليست تمثيلا وانما كانت من البشر اما خليطين فى الغنم حقيقة وإما كان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسرارى والثانى معسرا وماله الا امرأة واحدة فاستنزله عنها وفزع داود وخوفه أن يكونا مغتالين لانهما دخلا عليه فى غير وقت القضاء وما كان ذنب داود الا أنه صدق أحدهما على الآخر ونسبه الى الظلم قبل مسئلته اه كلامه (قلت) مقصود هذا القائل عن تنزيه داود عن ذنب يبعثه عليه شهوة النساء فاخذ الآية على ظاهرها وصرف الذنب الى العجلة فى نسبة الظلم الى المدعى عليه لان الباعث على ذلك فى الغالب انما هو التهاب الغضب وكراهيته أخف مما يكون الباعث عليه الشهوة والهوى ولعل هذا القائل يؤكد رأيه فى الآية بقوله تعالى عقبها وصية لداود عليه السلام يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فما جرت العناية بتوصيته فيما يتعلق بالاحكام الا والذى صدر منه أولا وبان منه من قبيل ما وقع له فى الحكم بين الناس وقد التزم المحققون من أعيان الانبياء عليهم الصلاة والسلام داود وغيره منزهون من الوقوع فى صغائر الذنوب مبرؤون من ذلك والتمسوا المحامل الصحيحة لامثال هذه القصة وهذا هو الحق الابلج والسبيل الابهج ان شاء الله تعالى

لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا

تمشى رويدا تكاد تنغرف (لقد ظلمك) جواب قسم محذوف وفى ذلك استنكار لفعل خليطه وتهجين لطمعه والسؤال مصدر مضاف الى المفعول كقوله تعالى من دعاء الخير وقد ضمن معنى الاضافة فعدى تعديتها كأنه قيل باضافة (نعجتك الى نعاجه) على وجه السؤال والطلب (فان قلت) كيف سارع الى تصديق أحد الخصمين حتى ظلم الآخر قبل استماع كلامه (قلت) ما قال ذلك الا بعد اعتراف صاحبه ولكنه لم يحك فى القرآن لأنه معلوم ويروى أنه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجى مائة فقال داود ان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار الى طرف الانف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحدا فعرف ما وقع فيه و(الخلطاء) الشركاء الذين خلطوا أموالهم الواحد خليط وهى الخلطة وقد غلبت فى الماشية والشافعى رحمه الله يعتبرها فاذا كان الرجلان خليطين فى ماشية بينهما غير مقسومة أو لكل واحد منهما ماشية على حدة الا أن مراحهما ومسقاهما وموضع حلبهما والراعى والكلب واحد والفحولة مختلطة فهما يزكيان زكاة الواحد فان كان لهما أربعون شاة فعليهما شاة وان كانوا ثلاثة ولهم مائة وعشرون لكل واحد أربعون فعليهم واحدة كما لو كانت لواحد وعند أبى حنيفة لا تعتبر الخلطة والخليط والمنفرد عنده واحد ففى أربعين بين خليطين لاشئ عنده وفى مائة وعشرين بين ثلاثة ثلاث شياه (فان قلت) فهذه الخلطة ما تقول فيها (قلت) عليهما شاة واحدة فيجب على ذى النعجة أداء جزء من مائة جزء من الشاة عند الشافعى رحمه الله وعند أبى حنيفة لاشئ عليه (فان قلت) ماذا أراد بذكر حال الخلطاء فى ذلك المقام (قلت) قصد به الموعظة الحسنة والترغيب فى ايثار عادة الخلطاء الصلحاء الذين حكم لهم بالقلة وأن يكره اليهم الظلم والاعتداء الذى عليه أكثرهم مع التأسف على حالهم وأن يسلى المظلوم عما جرى عليه من خليطه وأن له فى أكثر الخلطاء اسوة وقرئ ليبغى بفتح الياء على تقدير النون الخفيفة وحذفها كقوله

اضرب عنك الهموم طارقها

وهو جواب قسم محذوف وليبغ بحذف الياء اكتفاء منها بالكسرة وما فى (وقليل ماهم) للابهام وفيه تعجب من قلتهم وان أردت أن تتحقق فائدتها وموقعها فاطرحها من قول امرئ القيس وحديث ما على قصره وانظر هل بقى له معنى قط * لما كان الظن الغالب يدانى العلم استعير له ومعناه وعلم داود وأيقن (أنما فتناه) أنما ابتليناه لا محالة بامرأة أوريا هل يثبت أو يزل وقرئ فتناه بالتشديد للمبالغة وأفتناه من قوله * لئن فتنتنى لهى بالامس أفتنت * وفتناه وفتناه على أن الالف ضمير الملكين وعبر بالراكع عن الساجد لانه ينحنى ويخضع كالساجد وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه فى سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود وعن الحسن لانه لا يكون ساجدا حتى يركع ويجوز أن يكون قد استغفر الله لذنبه وأحرم بركعتى الاستغفار والانابة فيكون المعنى وخر للسجود راكعا أى مصليا لان الركوع يجعل عبارة

عن الصلاة (وأناب) ورجع الى الله تعالى بالتوبة والتنصل وروى أنه بقى ساجدا أربعين يوما وليلة لا يرفع رأسه الا لصلاة مكتوبة أو ما لابد منه ولا يرقأ دمعه حتى نبت العشب من دمعه الى رأسه ولم يشرب ماء الا وثلثاه دمع وجهد نفسه راغبا الى الله تعالى فى العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له ايشا على ملكه ودعا الى نفسه واجتمع اليه أهل الزيغ من بنى اسرائيل فلما غفر له حاربه فهزمه وروى أنه نقش خطيئته فى كفه حتى لا ينساها وقيل ان الخصمين كانا من الانس وكانت الخصومة على الحقيقة بينهما اما كانا خليطين فى الغنم واما كان أحدهما موسرا وله نسوان كثيرة من المهائر والسرارى والثانى معسرا ماله الا امرأة واحدة فاستنزله عنها وانما فزع لدخولهما عليه فى غير وقت الحكومة أن يكونا مغتالين وما كان ذنب داود الا أنه صدق أحدهما على الآخر وظلمه قبل مسئلته (خليفة فى الارض) أى استخلفناك على الملك فى الارض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها ومنه قولهم خلفاء الله فى أرضه أو جعلناك خليفة ممن كان قبلك من الانبياء القائمين بالحق وفيه دليل على أن حاله بعد التوبة بقيت على ما كانت عليه لم تتغير (فاحكم بين الناس بالحق) أى بحكم الله تعالى اذ كنت خليفته (ولا تتبع) هوى النفس فى قضائك وغيره مما تتصرف فيه من أسباب الدين والدنيا (فيضلك) الهوى فيكون سبب الضلالك (عن سبيل الله) عن دلائله التى نصبها فى العقول وعن شرائعه التى شرعها وأوحى بها و(يوم الحساب) متعلق بنسوا أى بنسيانهم يوم الحساب أو بقوله لهم أى لهم عذاب يوم القيامة بسبب نسيانهم وهو ضلالهم عن سبيل الله وعن بعض خلفاء بنى مروان أنه قال لعمر بن عبد العزيز أو للزهرى هل سمعت ما بلغنا قال وما هو قال بلغنا أن الخليفة لا يجرى عليه القلم ولا تكتب عليه معصية فقال يا أمير المؤمنين الخلفاء أفضل أم الانبياء ثم تلا هذه الآية (باطلا) خلقا باطلا لا لغرض صحيح وحكمة بالغة أو مبطلين عابثين كقوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق وتقديره ذوى باطل أو عبثا فوضع باطلا موضعه كما وضعوا هنيأ موضع المصدر وهو صفة أى ما خلقناهما وما بينهما للعبث واللعب ولكن للحق المبين وهو أن خلقناها نفوسا أودعناها العقل والتمييز ومنحناها التمكين وأزحنا عللها ثم عرضناها للمنافع العظيمة بالتكليف وأعددنا لها عاقبة وجزاء على حسب أعمالهم و(ذلك) اشارة الى خلقها باطلا والظن بمعنى المظنون أى خلقها للعبث لا للحكمة هو مظنون الذين كفروا (فان قلت) اذا كانوا مقرين بأن الله خالق السموات والارض وما بينهما بدليل قوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فبم جعلوا ظانين أنه خلقها للعبث لا للحكمة (قلت) لما كان انكارهم للبعث والحساب والثواب والعقاب مؤديا الى أن خلقها عبث وباطل جعلوا كأنهم يظنون ذلك ويقولونه لان الجزاء هو الذى سيقت اليه الحكمة فى خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من أصلها ومن جحد الحكمة فى خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان اقراره بكونه خالقا كلا اقرار (أم) منقطعة ومعنى الاستفهام فيها الانكار والمراد أنه لو بطل الجزاء كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال من أصلح وأفسد واتقى وفجر ومن سوى بينهم كان سفيها ولم يكن حكيما * وقرئ مباركا وليتدبروا على الاصل ولتدبروا على الخطاب وتدبر الآيات التفكر فيها والتأمل الذى يؤدى الى معرفة ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة والمعانى الحسنة لان من اقتنع بظاهر المتلو لم يحل منه بكثير طائل وكان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نثور لا يستولدها وعن الحسن قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله حفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى ان أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما أسقطت منه حرفا وقد والله أسقطه كله ما يرى للقرآن عليه أثر فى خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه واضاعة حدوده والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا كثر الله فى الناس مثل هؤلاء اللهم اجعلنا من العلماء المتدبرين وأعذنا من القراء المتكبرين * وقرئ نعم العبد على الاصل والمخصوص بالمدح محذوف * وعلل كونه ممدوحا بكونه أوابا رجاعا اليه بالتوبة أو مسبحا مؤوبا للتسبيح مرجعا له لان كل مؤوب أواب * والصافن الذى فى قوله

وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض أم نجعل المتقين كالفجار كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب ووهبنا لداود سليمان نعم العبد انه أواب اذ عرض عليه

ألف الصفون فما يزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كسيرا

وقيل الذى يقوم على طرف سنبك يد أو رجل هو المتخيم وأما الصافن فالذى يجمع بين يديه وعن النبى صلى الله عليه وسلم من سره أن يقوم الناس له صفونا فليتبوأ مقعده من النار أى واقفين كما خدم الجبابرة (فان قلت) مامعنى وصفها بالصفون (قلت) الصفون لا يكاد يكون فى الهجن وانما هو فى العراب الخلص وقيل وصفها بالصفون والجودة ليجمع لها بين الوصفين المحمودين واقفة وجارية يعنى اذا وقفت كانت ساكنة مطمئنة فى مواقفها واذا جرت كانت سراعا خفافا فى جريها وروى أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين فأصاب ألف فرس وقيل ورثها من أبيه وأصابها أبوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر لها أجنحة فقعد يوما بعدما صلى الاولى على كرسيه واستعرضها فلم تزل تعرض عليه حتى غربت الشمس وغفل عن العصر أو عن ورد من الذكر كان له وقت العشى وتهيبوه فلم يعلموه فاغتم لما فاته فاستردها وعقرها مقربا لله وبقى مائة فما بقى فى أيدى الناس من الجياد فمن نسلها وقيل لما عقرها أبدله الله خيرا منها وهى الريح تجرى بأمره * (فان قلت) مامعنى (أحببت حب الخير عن ذكر ربى) (قلت) أحببت مضمن معنى فعل يتعدى بعن كأنه قيل أنبت حب الخير عن ذكر ربى أو جعلت حب الخير مجزيا أو مغنيا عن ذكر ربى وذكر أبو الفتح الهمدانى فى كتاب التبيان أن أحببت بمعنى لزمت من قوله * مثل بعير السوء اذ أحبا * وليس بذاك والخير المال كقوله ان ترك خيرا وقوله وانه لحب الخير لشديد والمال الخيل التى شغلته أو سمى الخيل خيرا كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيامة وقال فى زيد الخيل حين وفد عليه وأسلم ما وصف لى رجل فرأيته الا كان دون ما بلغنى الا زيد الخيل وسماه زيد الخير وسأل رجل بلالا رضى الله عنه عن قوم يستبقون من السابق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له الرجل أردت الخيل فقال وأنا أردت الخير * والتوارى بالحجاب مجاز فى غروب الشمس عن توارى الملك أو المخبأة بحجابهما والذى دل على أن الضمير للشمس مرور ذكر العشى ولا بد للمضمر من جرى ذكر أو دليل ذكر وقيل الضمير للصافنات أى حتى توارت بحجاب الليل يعنى الظلام ومن بدع التفاسير أن الحجاب جبل دون قاف بمسيرة سنة تغرب الشمس من ورائه (فطفق مسحا) فجعل يمسح مسحا أى يمسح بالسيف بسوقها وأعناقها يعنى يقطعها يقال مسح علاوته اذا ضرب عنقه ومسح المسفر الكتاب اذا قطع أطرافه بسيفه وعن الحسن كسف عراقيبها وضرب أعناقها أراد بالكسف القطع ومنه الكسف فى ألقاب الزحاف فى العروض ومن قاله بالشين المعجمة فمصحف وقيل مسحها بيده استحسانا لها واعجابا بها (فان قلت) بم اتصل قوله ردوها على (قلت) بمحذوف تقديره قال ردوها على فأضمر وأضمر ما هو جواب له كأن قائلا قال فماذا قال سليمان لانه موضع مقتض للسؤال اقتضاء ظاهرا وهو اشتغال نبى من أنبياء الله بأمر الدنيا حتى تفوته الصلاة عن وقتها * وقرئ بالسؤوق بهمز الواو لضمتها كما فى أدؤر ونظيره الغؤور فى مصدر غارت الشمس وأما من قرأ بالسؤق فقد جعل الضمة فى السين كأنها فى الواو للتلاصق كما قيل مؤسى ونظير ساق وسوق أسد وأسد وقرئ بالساق اكتفاء بالواحد عن الجمع لامن الالباس * قيل فتن سليمان بعد ما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة وكان من فتنته أنه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش لم ننفك من السخرة فسبيلنا أن نقتله أو نخبله فعلم ذلك فكان يغدوه فى السحابة فما راعه الا أن ألقى على كرسيه ميتا فتنبه على خطئه فى أن لم يتوكل فيه على ربه فاستغفر ربه وتاب اليه وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال سليمان لأطوفن الليلة على سبعين امرأة كل واحدة تأتى بفارس يجاهد فى سبيل الله ولم يقل ان شاء الله فطاف عليهن فلم يحمل الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذى نفسى بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فى سبيل الله فرسانا أجمعون فذلك قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان) وهذا ونحوه مما لا بأس به وأما ما يروى من حديث الخاتم والشيطان وعبادة الوثن فى بيت سليمان فالله أعلم بصحته حكوا أن سليمان بلغه خبر صيدون وهى مدينة فى بعض الجزائر وأن بها ملكا عظيم الشأن لا يقوى عليه لتحصنه بالبحر فخرج اليه تحمله الريح حتى أناخ بها بجنوده

بالعشى الصافنات الجياد فقال إنى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب ردوها على فطفق مسحا بالسوق والاعناق ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب قال رب اغفرلى وهب لى ملكا

قوله تعالى الصافنات الجياد (قال) الصفون أن يقف على ثلاث وعلى طرف الرابع وقيل هذا للمتخيم والصافن الذى يجمع بين يديه قال ووصفها بذلك لانه لا يكون فى الهجن غالبا وانما يكون فى العراب الخلص أو وصفها ليجمع لها الوصفين المحمودين جارية وواقفة فوصفها فى جريها بالجودة والسرعة وفى وقوفها بالسكنة والطمأنينة لان ذلك من لوازم الصفون غالبا

من الجن والانس فقتل ملكها وأصاب بنتا له اسمها جرادة من أحسن الناس وجها فاصطفاها لنفسه وأسلمت وأحبها وكانت لا يرقأ دمعها حزنا على أبيها فأمر الشياطين فمثلوا لها صورة أبيها فكستها مثل كسوته وكانت تغدو اليها وتروح مع ولائدها يسجدون له كعادتهن فى ملكه فأخبر آصف سليمان بذلك فكسر الصورة وعاقب المرأة ثم خرج وحده الى فلاة وفرش له الرماد فجلس عليه تائبا الى الله متضرعا وكانت له أم ولد يقال لها أمينة اذا دخل للطهارة أو لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فى خاتمه فوضعه عندها يوما وأتاها الشيطان صاحب البحر وهو الذى دل سليمان على الماس حين أمر ببناء بيت المقدس واسمه صخر على صورة سليمان فقال يا أمينة خاتمى فتختم به وجلس على كرسى سليمان وعكفت عليه الطير والجن والانس وغير سليمان عن هيئته فأتى أمينة لطلب الخاتم فأنكرته وطردته فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على البيوت يتكفف فاذا قال أنا سليمان حثوا عليه التراب وسبوه ثم عمد الى السماكين ينقل لهم السمك فيعطونه كل يوم سمكتين فمكث على ذلك أربعين صباحا عدد ما عبد الوثن فى بيته فأنكر آصف وعظماء بنى اسرائيل حكم الشيطان وسأل آصف نساء سليمان فقلن ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من جنابة وقيل بل نفذ حكمه فى كل شئ الا فيهن ثم طار الشيطان وقذف الخاتم فى البحر فابتلعته سمكة ووقعت السمكة فى يد سليمان فبقر بطنها فاذا هو بالخاتم فتختم به ووقع ساجدا ورجع اليه ملكه وجاب صخرة لصخر فجعله فيها وسد عليه بأخرى ثم أوثقهما بالحديد والرصاص وقذفه فى البحر وقيل لما افتتن كان يسقط الخاتم من يده لا يتماسك فيها فقال له آصف انك لمفتون بذنبك والخاتم لا يقر فى يدك فتب الى الله عز وجل ولقد أبى العلماء المتقنون قبوله وقالوا هذا من أباطيل اليهود والشياطين لا يتمكنون من مثل هذه الافاعيل وتسليط الله اياهم على عباده حتى يقعوا فى تغيير الاحكام وعلى نساء الانبياء حتى يفجروا بهن قبيح وأما اتخاذ التماثيل فيجوز أن تختلف فيه الشرائع ألا ترى الى قوله من محاريب وتماثيل وأما السجود للصورة فلا يظن بنبى الله أن يأذن فيه واذا كان بغير علمه فلا عليه وقوله (وألقينا على كرسيه جسدا) ناب عن افادة معنى انابة الشيطان منابه نبوا ظاهرا * قدم الاستغفار على استيهاب الملك جريا على عادة الانبياء والصالحين فى تقديمهم أمر دينهم على أمور دنياهم (لا ينبغى) لا يتسهل ولا يكون * ومعنى (من بعدى) دونى (فان قلت) أما يشبه الحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة أن يستعطى الله ما لا يعطيه غيره (قلت) كان سليمان عليه السلام ناشئا فى بيت الملك والنبوة ووارثا لهما فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفه ملكا زائدا على الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حد الاعجاز ليكون ذلك دليلا على نبوته قاهرا للمبعوث اليهم وأن يكون معجزة حتى يخرق العادات فذلك معنى قوله لا ينبغى لاحد من بعدى وقيل كان ملكا عظيما فخاف أن يعطى مثله أحد فلا يحافظ على حدود الله فيه كما قالت الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك وقيل ملكا لا أسلبه ولا يقوم غيرى فيه مقامى كما سلبته مرة وأقيم مقامى غيرى ويجوز أن يقال علم الله فيما اختصه به من ذلك الملك العظيم مصالح فى الدين وعلم أنه لا يضطلع بأعبائه غيره وأوجبت الحكمة استيهابه فأمره أن يستوهبه اياه فاستوهبه بأمر من الله على الصفة التى علم الله أنه لا يضبطه عليها الا هو وحده دون سائر عباده أو أراد أن يقول ملكا عظيما فقال لا ينبغى لاحد من بعدى ولم يقصد بذلك الا عظم الملك وسعته كما تقول لفلان ما ليس لاحد من الفضل والمال وربما كان للناس أمثال ذلك ولكنك تريد تعظيم ما عنده وعن الحجاج أنه قيل له انك حسود فقال أحسد منى من قال هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وهذا من جرأته على الله وشيطنته كما حكى عنه طاعتنا أوجب من طاعة الله لانه شرط فى طاعته فقال فاتقوا الله ما استطعتم وأطلق طاعتنا فقال وأولى الامر منكم * قرئ الريح والرياح (رخاء) لينة طيبة لا تزعزع وقيل طيعة له لا تمتنع عليه (حيث أصاب) حيث قصد وأراد حكى الاصمعى عن العرب أصاب الصواب فأخطأ الجواب وعن رؤبة أن رجلين من أهل اللغة قصداه ليسألاه عن هذه الكلمة فخرج اليهما فقال أين تصيبان فقالا هذه طلبتنا ورجعا ويقال أصاب الله بك خيرا (والشياطين) عطف على الريح (كل بناء) بدل من الشياطين (وآخرين) عطف على كل داخل فى حكم البدل وهو بدل الكل من الكل

لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب فسخرنا له الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب والشياطين كل بناء وغواص وآخرين مقرنين فى الأصفاد

كانوا يبنون له ماشاء من الابنية ويغوصون له فيستخرجون اللؤلؤ وهو أول من استخرج الدر من البحر
* وكان يقرن مردة الشياطين بعضهم مع بعض فى القيود والسلاسل للتأديب والكف عن الفساد وعن
السدى كان يجمع أيديهم الى أعناقهم مغللين فى الجوامع * والصفد القيد وسمى به العطاء لانه ارتباط للمنعم
عليه ومنه قول على رضى الله عنه من برك فقد أسرك ومن جفاك فقد أطلقك ومنه قول القائل غل يدا
مطلقها وأرق رقبة معتقها وقال حبيب ان العطاء إسار وتبعه من قال * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا *
وفرقوا بين الفعلين فقالوا صفده قيده وأصفده أعطاه كوعده وأوعده أى (هذا) الذى أعطيناك من الملك
والمال والبسطة (عطاؤنا) بغير حساب يعنى جما كثيرا لايكاد يقدر على حسبه وحصره (فامنن) من المنة
وهى العطاء أى فأعط منه ماشئت (أو أمسك) مفوضا اليك التصرف فيه وفى قراءة ابن مسعود هذا فامنن
أو أمسك عطاؤنا بغير حساب أو هذا التسخير عطاؤنا فامنن على من شئت من الشياطين بالاطلاق وأمسك
من شئت منهم فى الوثاق بغير حساب أى لاحساب عليك فى ذلك (أيوب) عطف بيان و (اذ) بدل اشتمال منه
(أنى مسنى) بأنى مسنى حكاية لكلامه الذى ناداه بسببه ولو لم يحك لقال بأنه مسه لانه غائب * وقرئ بنصب
بضم النون وفتحها مع سكون الصاد وبفتحهما وضمهما فالنصب والنصب كالرشد والرشد والنصب على
أصل المصدر والنصب تثقيل نصب والمعنى واحد وهو التعب والمشقة * والعذاب الالم يريد مرضه وما كان
يقاسى فيه من أنواع الوصب وقيل الضر فى البدن والعذاب فى ذهاب الاهل والمال (فان قلت) لم نسبه الى
الشيطان ولا يجوز أن يسلطه الله على أنبيائه ليقضى من إتعابهم وتعذيبهم وطره ولو قدر على ذلك لم يدع
صالحا الا وقد نكبه وأهلكه وقد تكرر فى القرآن انه لاسلطان له الا الوسوسة فحسب (قلت) لما كانت
وسوسته اليه وطاعته له فيما وسوس سببا فيما مسه الله به من النصب والعذاب نسبه اليه وقد راعى الادب فى
ذلك حيث لم ينسبه الى الله فى دعائه مع أنه فاعله ولا يقدر عليه الا هو وقيل أراد ما كان يوسوس به اليه فى
مرضه من تعظيم مانزل به من البلاء ويغريه على الكراهة والجزع فالتجأ الى الله تعالى فى أن يكفيه ذلك
بكشف البلاء أو بالتوفيق فى دفعه ورده بالصبر الجميل وروى أنه كان يعوده ثلاثة من المؤمنين فارتد أحدهم
فسأل عنه فقيل ألقى اليه الشيطان ان الله لايبتلى الانبياء والصالحين وذكر فى سبب بلائه أن رجلا استغاثه
على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه فى ناحية ملك كافر فداهنه ولم يغزه وقيل أعجب بكثرة ماله (اركض
برجلك) حكاية ما أجيب به أيوب أى اضرب برجلك الارض وعن قتادة هى أرض الجابية فضربها فنبعت
عين فقيل (هذا مغتسل بارد وشراب) أى هذا ماء تغتسل به وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهرك وتنقلب مابك
قلبة وقيل نبعت له عينان فاغتسل من احداهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره وباطنه باذن
الله وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاغتسل منها ثم باليسرى فنبعت باردة فشرب منها (رحمة منا
وذكرى) مفعول لهما والمعنى أن الهبة كانت للرحمة له ولتذكير أولى الالباب لانهم اذا سمعوا بما أنعمنا به
عليه لصبره رغبهم فى الصبر على البلاء وعاقبة الصابرين ومايفعل الله بهم (وخذ) معطوف على اركض
* والضغث الحزمة الصغيرة من حشيش أو ريحان أو غير ذلك وعن ابن عباس قبضة من الشجر كان حلف
فى مرضه ليضربن امرأته مائة اذا برأ فحلل الله يمينه بأهون شئ عليه وعليها لحسن خدمتها اياه ورضاه عنها
وهذه الرخصة باقية وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أتى بمخدج قد خبث بأمة فقال خذوا عثكالا فيه مائة
شمراخ فاضربوه بها ضربة ويجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة اما اطرافها قائمة واما أعراضها
مبسوطة مع وجود صورة الضرب وكان السبب فى يمينه أنها أبطأت عليه ذاهبة فى حاجة فحرج صدره
وقيل باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب اذا قام وقيل قال لها الشيطان اسجدى لى سجدة فاردّ عليكم
مالكم وأولادكم فهمت بذلك فادركتها العصمة فذكرت ذلك له فحلف وقيل أوهمها الشيطان أن أيوب
اذا شرب الخمر برأ فعرضت له بذلك وقيل سألته أن يقرب للشيطان بعناق (وجدناه صابرا) علمناه صابرا
(فان قلت) كيف وجده صابرا وقد شكا اليه مابه واسترحمه (قلت) الشكوى الى الله عز وعلا لاتسمى جزعا

هذا عطاؤنا فامنن أو
أمسك بغير حساب
وان له عندنا لزلفى
وحسن مآب واذكر
عبدنا أيوب اذ نادى ربه
أنى مسنى الشيطان
بنصب وعذاب اركض
برجلك هذا مغتسل
بارد وشراب ووهبنا له
أهله ومثلهم معهم
رحمة منا وذكرى
لأولى الالباب وخذ
بيدك ضغثا فاضرب
به ولا تحنث انا وجدناه
صابرا نعم العبد إنه أواب

ولقد

ولقد قال يعقوب عليه السلام انما أشكو بثى وحزنى الى الله وكذلك شكوى العليل الى الطبيب وذلك أن
أصبر الناس على البلاء لايخلو من تمنى العافية وطلبها فاذا صح أن يسمى صابرا مع تمنى العافية وطلب الشفاء
فليسم صابرا مع اللجإ الى الله تعالى والدعاء بكشف مابه ومع التعالج ومشاورة الاطباء على أن أيوب عليه
السلام كان يطلب الشفاء خيفة على قومه من الفتنة حيث كان الشيطان يوسوس اليهم كما كان يوسوس اليه
أنه لو كان نبيا لما ابتلى بمثل ما ابتلى به وارادة القوة على الطاعة فقد بلغ أمره الى أن لم يبق منه الا القلب
واللسان ويروى أنه قال فى مناجاته الهى قد علمت أنه لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم يهبنى
ماملكت يمينى ولم آكل الا ومعى يتيم ولم أبت شبعان ولا كاسيا ومعى جائع أو عريان فكشف الله عنه (ابراهيم
واسحق ويعقوب) عطف بيان لعبادنا ومن قرأ عبدنا جعل ابراهيم وحده عطف بيان له ثم عطف ذريته على
عبدنا وهى اسحق ويعقوب كقراءة ابن عباس واله أبيك ابراهيم واسمعيل واسحق * لما كانت أكثر الاعمال
تباشر بالايدى غلبت فقيل فى كل عمل هذا مما عملت أيديهم وان كان عملا لايتأتى فيه المباشرة بالايدى أو كان
العمال جذما لاأيدى لهم وعلى ذلك ورد قوله عز وعلا (أولى الايدى والابصار) يريد أولى الاعمال والفكر
كأن الذين لايعملون أعمال الآخرة ولا يجاهدون فى الله ولا يفكرون أفكار ذوى الديانات ولا يستبصرون
فى حكم الزمنى الذين لايقدرون على اعمال جوارحهم والمسلوبى العقول الذين لا استبصار بهم وفيه تعريض
بكل من لم يكن من عمال الله ولا من المستبصرين فى دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع
كونهم متمكنين منهما وقرئ أولى الايادى على جمع الجمع وفى قراءة ابن مسعود أولى الايد على طرح الياء
والاكتفاء بالكسرة وتفسيره بالايد من التأييد قلق غير متمكن (أخلصناهم) جعلناهم خالصين (بخالصة)
بخصلة خالصة لاشوب فيها * ثم فسرها بذكرى الدار شهادة لذكرى الدار بالخلوص والصفاء وانتفاء
الكدورة عنها وقرئ على الاضافة والمعنى بما خلص من ذكرى الدار على أنهم لايشوبون ذكرى الدار بهم
آخر انما همهم ذكرى الدار لاغير ومعنى ذكرى الدار ذكراهم الآخرة دائبا ونسيانهم اليها ذكر الدنيا
أو تذكيرهم الآخرة وترغيبهم فيها وتزهيدهم فى الدنيا كما هو شأن الانبياء وديدنهم وقيل ذكرى الدار الثناء
الجميل فى الدنيا ولسان الصدق الذى ليس لغيرهم (فان قلت) مامعنى أخلصناهم بخالصة (قلت) معناه
أخلصناهم بسبب هذه الخصلة وبأنهم من أهلها أو أخلصناهم بتوفيقهم لها واللطف بهم فى اختيارها
وتعضد الاول قراءة من قرأ بخالصتهم (المصطفين) المختارين من أبناء جنسهم و (الاخيار) جمع خير أو خير
على التخفيف كالاموات فى جمع ميت أو ميت (واليسع) كأن حرف التعريف دخل على يسع وقرئ والليسع
كأن حرف التعريف دخل على ليسع فيعل من اللسع * والتنوين فى (وكل) عوض من المضاف اليه معناه
وكلهم من الاخيار (هذا ذكر) أى هذا نوع من الذكر وهو القرآن لما أجرى ذكر الانبياء وأتمه وهو باب
من أبواب التنزيل ونوع من أنواعه وأراد أن يذكر على عقبه بابا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها قال هذا ذكر
ثم قال (وان للمتقين) كما يقول الجاحظ فى كتبه فهذا باب ثم يشرع فى باب آخر ويقول الكاتب اذا فرغ من
فصل من كتابه وأراد الشروع فى آخر هذا وقد كان كيت وكيت والدليل عليه أنه لما أتم ذكر أهل الجنة
وأراد أن يعقبه بذكر أهل النار قال هذا وان للطاغين وقيل معناه هذا شرف وذكر جميل يذكرون به أبدا
وعن ابن عباس رضى الله عنه هذا ذكر من مضى من الانبياء (جنات عدن) معرفة لقوله جنات عدن التى
وعد الرحمن وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب و (مفتحة) حال والعامل فيها مافى للمتقين من معنى
الفعل وفى مفتحة ضمير الجنات والابواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هى الابواب كقولهم ضرب زيد اليد
والرجل وهو من بدل الاشتمال وقرئ جنات عدن مفتحة بالرفع على أن جنات عدن مبتدأ ومفتحة خبره
أو كلاهما خبر مبتدإ محذوف أى هو جنات عدن هى مفتحة لهم * كأن اللدات سمين أترابا لان التراب مسهن
فى وقت واحد وانما جعلن على سن واحدة لان التحاب بين الاقران أثبت وقيل هن أتراب لازواجهن
أسنانهن كأسنانهم * قرئ يوعدون بالتاء والياء (ليوم الحساب) لأجل يوم الحساب كما تقول هذا ماتدخرونه

واذكر عبادنا ابراهيم
واسحق ويعقوب أولى
الأيدى والأبصار انا
أخلصناهم بخالصة
ذكرى الدار وانهم
عندنا لمن المصطفين
الأخيار واذكر اسمعيل
واليسع وذا الكفل
وكل من الأخيار هذا
ذكر وان للمتقين لحسن
مآب جنات عدن
مفتحة لهم الابواب
متكئين فيها يدعون
فيها بفاكهة كثيرة
وشراب وعندهم
قاصرات الطرف أتراب
هذا ماتوعدون ليوم
الحساب إن هذا لرزقنا
ماله من نفاد

* قوله تعالى هذا ذكر
وان للمتقين لحسن
مآب (قال فيه انما
قال هذا ذكر ليذكر
عقبه ذكرا آخر وهو
ذكر الجنة وأهلها
كما يقول الجاحظ فى كتبه
فهذا باب ثم يشرع فى
باب آخر) قلت وكما
يقول الفقيه اذا ذكر
أدلة المسئلة عند تمام
الدليل الاول هذا
دليل ثان كذا وكذا الى
آخر مافى نفسه ويدل
عليه انه عند انقضاء
ذكر أهل الجنة قال
هذا وان للطاغين لشر
مآب فذكر أهل النار

ليوم الحساب أى ليوم تجزى كل نفس ما عملت (هذا) أى الامر هذا أو هذا كما ذكر (فبئس المهاد) كقوله لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفترشه النائم * أى هذا حميم فليذوقوه أو العذاب هذا فليذوقوه ثم ابتدأ فقال هو (حميم وغساق) أو هذا فليذوقوه بمنزلة وإياى فارهبون أى ليذوقوا هذا فليذوقوه والغساق بالتخفيف والتشديد ما يغسق من صديد أهل النار يقال غسقت العين اذا سال دمعها وقيل الحميم يحرق بحره والغساق يحرق ببرده وقيل لو قطرت منه قطرة فى المشرق لنتنت أهل المغرب ولو قطرت منه قطرة فى المغرب لنتنت أهل المشرق وعن الحسن رضى الله عنه الغساق عذاب لا يعلمه الا الله تعالى ان الناس أخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثوابا فى قوله فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة (وأخر) ومذوقات أخر من شكل هذا المذوق من مثله فى الشدة والفظاعة (أزواج) أجناس وقرئ وآخر أى وعذاب آخر أو ومذوق آخر وأزواج صفة لآخر لانه يجوز أن يكون ضروبا أو صفة للثلاثة وهى حميم وغساق وآخر من شكله وقرئ من شكله بالكسر وهى لغة وأما الغنج فبالكسر لا غير (هذا فوج مقتحم معكم) هذا جمع كثيف قد اقتحم معكم النار أى دخل النار فى صحبتكم وقرانكم والاقتحام ركوب الشدة والدخول فيها والقحمة الشدة وهذه حكاية كلام الطاغين بعضهم مع بعض أى يقولون هذا والمراد بالفوج أتباعهم الذين اقتحموا معهم الضلالة فيقتحمون معهم العذاب (لا مرحبا بهم) دعاء منهم على أتباعهم تقول لمن تدعو له مرحبا أى أتيت رحبا من البلاد لا ضيقا أو رحبت بلادك رحبا ثم تدخل عليه لا فى دعاء السوء وبهم بيان للمدعو عليهم (انهم صالوا النار) تعليل لاستيجابهم الدعاء عليهم ونحوه قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها وقيل هذا فوج مقتحم معكم كلام الخزنة لرؤساء الكفرة فى أتباعهم ولا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤساء وقيل هذا كله كلام الخزنة (قالوا) أى الاتباع (بل أنتم لا مرحبا بكم) يريدون الدعاء الذى دعوتم به علينا أنتم أحق به وعللوا ذلك بقولهم (أنتم قدمتموه لنا) والضمير للعذاب أو لصليهم (فان قلت) ما معنى تقديمهم العذاب لهم (قلت) المقدم هو عمل السوء قال الله تعالى ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ولكن الرؤساء لما كانوا السبب فيه باغوائهم وكان العذاب جزاءهم عليه قيل أنتم قدمتموه لنا فجعل الرؤساء هم المقدمين وجعل الجزاء هو المقدم فجمع بين مجازين لان العاملين هم المقدمون فى الحقيقة لا رؤساؤهم والعمل هو المقدم لا جزاؤه (فان قلت) فالذى جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة ما يصنع بقوله بل أنتم لا مرحبا بكم والمخاطبون أعنى رؤساءهم لم يتكلموا وانما يكون هذا جوابا لهم (قلت) كأنه قيل هذا الذى دعا به علينا الخزنة أنتم يا رؤساء أحق به منا لاغوائكم إيانا وتسببكم فيما نحن فيه من العذاب وهذا صحيح كما لو زين قوم لقوم بعض المساوى فارتكبوه فقيل للمزينين أخزى الله هؤلاء ما أسوأ فعلهم فقال المزين لهم للمزينين بل أنتم أولى بالخزى منا فلولا أنتم لم نرتكب ذلك (قالوا) هم الاتباع أيضا (فزده عذابا ضعفا) أى مضاعفا ومعناه ذا ضعف ونحوه قوله تعالى ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا وهو أن يزيد على عذابه مثله فيصير ضعفين كقوله عز وجل ربنا آتهم ضعفين من العذاب وجاء فى التفسير عذابا ضعفا حيات وأفاعى (وقالوا) الضمير للطاغين (رجالا) يعنون فقراء المسلمين الذين لا يؤبه لهم (من الاشرار) من الاراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى ولانهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشرارا (اتخذناهم سخريا) قرئ بلفظ الاخبار على أنه صفة لرجالا مثل قوله كنا نعدهم من الاشرار وبهمزة الاستفهام على أنه انكار على أنفسهم وتأنيب لها فى الاستسخار منهم وقوله (أم زاغت عنهم الأبصار) له وجهان من الاتصال أحدهما أن يتصل بقوله ما لنا أى ما لنا لا نراهم فى النار كأنهم ليسوا فيها بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة وبين أن يكونوا من أهل النار الا أنه خفى عليهم مكانهم والوجه الثانى أن يتصل باتخذناهم سخريا اما أن تكون أم متصلة على معنى أى الفعلين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم والتحقير وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم على معنى انكار الامرين جميعا على أنفسهم وعن الحسن كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخريا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم

هذا وان للطاغين لشر مآب جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا فليذوقوه حميم وغساق وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم معكم لا مرحبا بهم انهم صالوا النار قالوا بل أنتم لا مرحبا بكم أنتم قدمتموه لنا فبئس القرار قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا فى النار وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار اتخذناهم سخريا أم زاغت عنهم الابصار

* قوله تعالى قالوا ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا وقال فى موضع آخر آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا والقصة واحدة (قلت) وفيه دليل على ان الضعفين اثنان من شئ واحد خلافا لمن قال غير ذلك لانه فى موضع قال فزده عذابا ضعفا والمراد مثل عذابه فيكونا عذابين وقال فى موضعين ضعفين والمراد اذا عذابان

واما

* قوله تعالى ان ذلك لحق تخاصم أهل النار (قال) ان قلت لم سمى ذلك تخاصما قلت شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولأن قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول اتباعهم بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة (قلت) هذا يحقق أن ما تقدم من قوله لا مرحبا بهم انهم صالوا النار من قول المتكبرين الكفار وقوله تعالى بل أنتم لا مرحبا بكم من قول الاتباع فالخصومة على هذا التأويل حصلت من الجهتين فيتحقق التخاصم خلافا لمن قال ان الاول من كلام خزنة جهنم والثانى من كلام الأتباع فانه على هذا التقدير انما تكون الخصومة من أحد الفريقين فالتفسير الاول أمكن وأثبت

واما أن تكون منقطعة بعد مضى اتخذناهم سخريا على الخبر أو الاستفهام كقولك انها لابل أم شاء وأزيد عندك أم عندك عمرو ولك أن تقدر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزة لأن أم تدل عليها فلا تفترق القراءتان اثبات همزة الاستفهام وحذفها وقيل الضمير فى وقالوا لصناديد قريش كأبى جهل والوليد وأضرابهما والرجال عمار وصهيب وبلال وأشباههم * وقرئ سخريا بالضم والكسر (ان ذلك) أى الذى حكينا عنهم (لحق) لا بد أن يتكلموا به ثم بين ما هو فقال هو (تخاصم أهل النار) وقرئ بالنصب على أنه صفة لذلك لان أسماء الاشارة توصف بأسماء الاجناس (فان قلت) لم سمى ذلك تخاصما (قلت) شبه تقاولهم وما يجرى بينهم من السؤال والجواب بما يجرى بين المتخاصمين من نحو ذلك ولان قول الرؤساء لا مرحبا بهم وقول أتباعهم بل أنتم لا مرحبا بكم من باب الخصومة فسمى التقاول كله تخاصما لاجل اشتماله على ذلك (قل) يا محمد لمشركى مكة ما أنا الا رسول (منذر) أنذركم عذاب الله للمشركين وأقول لكم ان دين الحق توحيد الله وأن يعتقد أن لا اله الا الله (الواحد) بلا ند ولا شريك (القهار) لكل شئ وأن الملك والربوبية له فى العالم كله وهو (العزيز) الذى لا يغلب اذا عاقب العصاة وهو مع ذلك (الغفار) لذنوب من التجأ اليه * أو قل لهم ما أنا الا منذر لكم ما أعلم وأنا أنذركم عقوبة من هذه صفته فان مثله حقيق بأن يخاف عقابه كما هو حقيق بأن يرجى ثوابه (قل هو نبأ عظيم) أى هذا الذى أنبأتكم به من كونى رسولا منذرا وأن الله واحد لا شريك له نبأ عظيم لا يعرض عن مثله الا غافل شديد الغفلة * ثم احتج لصحة نبوته بأن ما ينبئ به عن الملا الأعلى واختصامهم أمر ما كان له به من علم قط ثم علمه ولم يسلك الطريق الذى يسلكه الناس فى علم ما لم يعلموا وهو الأخذ من أهل العلم وقراءة الكتب فعلم أن ذلك لم يحصل الا بالوحى من الله (إن يوحى الى الا أنما أنا نذير) أى لأنما أنا نذير ومعناه ما يوحى الى الا للانذار فحذف اللام وانتصب بافضاء الفعل اليه ويجوز أن يرتفع على معنى ما يوحى الى الا هذا وهو أن أنذر وأبلغ ولا أفرط فى ذلك أى ما أومر الا بهذا الامر وحده وليس الى غير ذلك وقرئ انما بالكسر على الحكاية أى الا هذا القول وهو أن أقول لكم انما أنا نذير مبين ولا أدعى شيأ آخر * وقيل النبأ العظيم قصص آدم عليه السلام والانباء به من غير سماع من أحد وعن ابن عباس القرآن وعن الحسن يوم القيامة * (فان قلت) بم يتعلق اذ يختصمون (قلت) بمحذوف لان المعنى ما كان لى من علم بكلام الملا الأعلى وقت اختصامهم و (اذ قال) بدل من اذ يختصمون * (فان قلت) ما المراد بالملا الأعلى (قلت) أصحاب القصة الملائكة وآدم وابليس لانهم كانوا فى السماء وكان التقاول بينهم (فان قلت) ما كان التقاول بينهم انما كان بين الله تعالى وبينهم لان الله سبحانه وتعالى هو الذى قال لهم وقالوا له فأنت بين أمرين اما أن تقول الملا الأعلى هؤلاء وكان التقاول بينهم ولم يكن التقاول بينهم واما أن تقول التقاول كان بين الله وبينهم فقد جعلته من الملا الأعلى (قلت) كانت مقاولة الله سبحانه بواسطة ملك فكان المقاول فى الحقيقة هو الملك المتوسط فصح أن التقاول كان بين الملائكة وآدم وابليس وهم الملا الأعلى والمراد بالاختصام التقاول على ما سبق * (فان قلت) كيف صح أن يقول لهم (انى خالق بشرا) وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قبل (قلت) وجهه أن يكون قد قال لهم انى خالق خلقا من صفته كيت وكيت ولكنه حين حكاه اقتصر على الاسم (فاذا سويته) فاذا أتممت خلقه وعدلته (ونفخت فيه من روحى) وأحييته وجعلته حساسا متنفسا (فقعوا) فخروا * كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفادا معا أنهم سجدوا عن آخرهم ما بقى منهم ملك الا سجد وأنهم سجدوا جميعا فى وقت واحد غير متفرقين فى أوقات (فان قلت) كيف ساغ السجود لغير الله (قلت) الذى لا يسوغ هو السجود لغير الله على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأباه العقل الا أن يعلم الله فيه مفسدة فينهى عنه * (فان قلت) كيف استثنى ابليس من الملائكة وهو من الجن (قلت) قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه فى قوله فسجد الملائكة ثم استثنى كما يستثنى الواحد منهم استثناء متصلا (وكان من

ان ذلك لحق تخاصم أهل النار قل انما أنا منذر وما من اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لى من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون ان يوحى الى الا أنما أنا نذير مبين اذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا ابليس استكبر وكان من

*قوله تعالى مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى (قال) فيه لما كان ذو اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه غلب العمل باليدين على سائر الاعمال التى تباشر بغير اليدين حتى قيل فى عمل القلب هذا مما عملت يداك *قال ومعناه ان الوجه الذى استنكر له ابليس السجود لآدم واستنكف بسببه انه سجود لمخلوق مع انه دون الساجد لأن آدم من طين وابليس من نار فرأى للنار فضلا على الطين وزل عنه ان الله سبحانه حين أمر أعز عباده عليه وأقربهم منه وهم الملائكة ان يسجدوا لهذا البشر لم يمتنعوا ولم يذهبوا بانفسهم الى التكبر مع انحطاطه عن مراتبهم فقيل له مامنعك أن تسجد لهذا الذى هو مخلوق بيدى كما وقع للنمع انه لاشك أن فى ذلك امتثالا لامرى واعظاما لخطابى كما فعلت الملائكة فذكر له العلة التى منعته من السجود وقيل له ماحالك على اعتبار هذه العلة دون اعتبار أمرى ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له مامنعك أن تتواضع لمن لايخفى على سقوطه يريد هلا اعتبرت أمرى وخطابى وتركت اعتبار سقوطه انتهى (١٨) المقصود من الآية بعد تطويل واطناب واكثار واسهاب (قلت) انما أطال القول هنا ليفر

من معتقدين لاهل السنة تشتمل عليهما هذه الآية * أحدهما ان اليدين من صفات الذات أثبتهما السمع هذ مذاهب أبى الحسن والقاضى بعد ابطالهما

الكافرين قال ياابليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى أستكبرت أم كنت

حمل اليدين على القدرة فان قدرة الله تعالى واحدة واليدان مذكورتان بصيغة التثنية وأبطل حملهما على النعمة بأن نعم الله لاتحصى فكيف تحصر بالتثنية وغيرهما من

الكافرين) أريد وجود كفره ذلك الوقت وان لم يكن قبله كافرا لأن كان مطلق فى جنس الاوقات الماضية فهو صالح لأيها شئت ويجوز أن يراد وكان من الكافرين فى الازمنة الماضية فى علم الله (فان قلت) ماوجه قوله (خلقت بيدى) (قلت) قد سبق لنا أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه فغلب العمل باليدين على سائر الاعمال التى تباشر بغيرهما حتى قيل فى عمل القلب هو مما عملت يداك وحتى قيل لمن لايدى له يداك أوكتا وفوك نفخ وحتى لم يبق فرق بين قولك هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ومنه قوله تعالى مما عملت أيدينا ولما خلقت بيدى (فان قلت) فامعنى قوله مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى (قلت) الوجه الذى استنكر له ابليس السجود لآدم واستنكف منه أنه سجود لمخلوق فذهب بنفسه وتكبر أن يكون سجوده لغير الخالق وانضم الى ذلك أن آدم مخلوق من طين وهو مخلوق من نار ورأى للنار فضلا على الطين فاستعظم أن يسجد لمخلوق مع فضله عليه فى المنصب وزل عنه أن الله سبحانه حين أمر به أعز عباده عليه وأقربهم منه زلفى وهم الملائكة وهم أحق بأن يذهبوا بأنفسهم عن التواضع للبشر الضئيل ويستنكفوا من السجود له من غيرهم ثم لم يفعلوا وتبعوا أمر الله وجعلوه قدام أعينهم ولم يلتفتوا الى التفاوت بين الساجد والمسجود له تعظيما لامر ربهم واجلالا لخطابه كان هو مع انحطاطه عن مراتبهم حرى بأن يقتدى بهم ويقتفى أثرهم ويعلم أنهم فى السجود لمن هو دونهم بامر الله أوغل فى عبادته منهم فى السجود له لما فيه من طرح الكبرياء وخفض الجناح فقيل له مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى أى مامنعك من السجود لشئ هو كما تقول مخلوق خلقته بيدى لاشك فى كونه مخلوقا امتثالا لأمرى واعظاما لخطابى كما فعلت الملائكة فذكر له ماتركه من السجود مع ذكر العلة التى تشبث بها فى تركه وقيل له لم تركته مع وجود هذه العلة وقد أمرك الله به يعنى كان عليك أن تعتبر أمر الله ولا تعتبر هذه العلة ومثاله أن يأمر الملك وزيره أن يزور بعض سقاط الحشم فيمتنع اعتبارا لسقوطه فيقول له مامنعك أن تتواضع لمن لايخفى على سقوطه يريد هلا اعتبرت أمرى وخطابى وتركت اعتبار سقوطه وفيه أنى خلقته بيدى فأنا أعلم بحاله ومع ذلك أمرت الملائكة بأن يسجدوا له لداعى حكمة دعانى اليه

أهل السنة كامام الحرمين وغيره يجوز حملهما على القدرة والنعمة ويجيب من عماذكراه بأن المراد نعمة الدنيا والآخرة وهذا انما يحقق تفضيله على ابليس اذلم يخلق ابليس لنعمة الآخرة وعلى أن المراد القدرة فالتثنية تعظيم ومثل ذلك يوجد فى اللغة كثيرا * المعتقد الثانى أن النبى أفضل من الملك والزمخشرى شديد العصبية فى هذه المسئلة والانكار على من قال بذلك من أهل السنة لاجرم أنه أجرم فى بسط كلامه على آدم عليه السلام فنقل قصته فى انحطاط مرتبته على زعمه عن مرتبة الملائكة بقول الملك لوزيره زر بعض سقاط الحشم فجعل سقاط حشم الملك مثالا لآدم الذى هو عنصر الانبياء عليهم السلام وأقام لابليس عذره وصوب اعتقاده أنه أفضل من آدم لكونه من نار وآدم من طين وانما غلطه من جهة أخرى وهو أنه لم يقس نفسه على الملائكة اذ سجدوا له على علمهم أنه بالنسبة اليهم محطوط الرتبة ساقط المنزلة وجعل قوله تعالى لما خلقت بيدى انما ذكر تقريرا للعلة التى منعت ابليس من السجود وهو كونه دونه وهذا نسأل الله العصمة المراد منه ضد مافهم الزمخشرى وانما ذكر ذلك تعظيما للمعصية ابليس اذا امتنع من تعظيم من عظمه الله اذ خلقه بيده وذلك تعظيم لآدم لاتحقير منه ويدل عليه الحديث الوارد فى الشفاعة اذ يقول له الناس عند مايقصدونه فيها أنت آدم أبو البشر خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وأسكنك جنته فانما يذكرون ذلك فى سياق تعديد كراماته وخصائصه لافيما يحط منه معاذ الله وإياه نسأل أن يعصمنا من مهاوى الهوى ومهالكه وان يرشدنا الى سبيل الحق ومسالكه انه ولى التوفيق وبالاجابة حقيق

من انعام عليه بالتكرمة السنية وابتلاء الملائكة فمن أنت حتى يصرفك عن السجود له مالم يصرفنى عن الامر بالسجود له وقيل معنى لما خلقت بيدى لما خلقت بغير واسطة *وقرئ بيدى كما قرئ بمصرخى وقرئ بيدى على التوحيد (من العالين) ممن علوت وفقت فأجاب بانه من العالين حيث (قال أنا خير منه) وقيل أستكبرت الآن أم لم تزل منذ كنت من المستكبرين ومعنى الهمزة التقرير وقرئ استكبرت بحذف حرف الاستفهام لان أم تدل عليه أو بمعنى الاخبار * هذا على سبيل الاولى أى لوكان مخلوقا من نار لما سجدت له لانه مخلوق مثلى فكيف أسجد لمن هو دونى لانه من طين والنار تغلب الطين وتأكله وقد جرت الجملة الثانية من الاولى وهى (خلقتنى من نار) مجرى المعطوف عطف البيان من المعطوف عليه فى البيان والايضاح (منها) من الجنة وقيل من السموات وقيل من الخلقة التى أنت فيها لأنه كان يفتخر بخلقته فغير الله خلقته فاسود بعد ما كان أبيض وقبح بعدما كان حسنا وأظلم بعدما كان نورانيا *والرجيم المرجوم ومعناه المطرود كما قيل له المدحور والملعون لأن من طرد رمى بالحجارة على أثره والرجم الرمى بالحجارة أولان الشياطين يرجمون بالشهب *(فان قلت) قوله (لعنتى الى يوم الدين) كأن لعنة ابليس غايتها يوم الدين ثم تنقطع (قلت) كيف تنقطع وقد قال الله تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ولكن المعنى أن عليه اللعنة فى الدنيا فاذا كان يوم الدين اقترن له باللعنة ماينسى عنده اللعنة فكأنها انقطعت *(فان قلت) ما الوقت المعلوم الذى أضيف اليه اليوم (قلت) الوقت الذى تقع فيه النفخة الاولى ويومه اليوم الذى وقت النفخة جزء من أجزائه ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله معين لايستقدم ولايستأخر (فبعزتك) إقسام بعزة الله تعالى وهى سلطانه وقهره *قرئ فالحق والحق منصوبين على أن الاول مقسم به كالله فى ان عليك الله أن تبايعا وجوابه (لأملان) *والحق أقول اعتراض بين المقسم به والمقسم عليه ومعناه ولاأقول الا الحق والمراد بالحق اما اسمه عز وعلا الذى فى قوله ان الله هو الحق المبين أو الحق الذى هو نقيض الباطل عظمه الله باقسامه به ومرفوعين على أن الاول مبتدأ محذوف الخبر كقوله لعمرك أى فالحق قسمى لأملان والحق أقول أى أقوله كقوله كله لم أصنع ومجرورين على أن الاول مقسم به قد أضمر حرف قسمه كقولك الله لأفعلن والحق أقول أى ولاأقول الا الحق على حكاية لفظ المقسم به ومعناه التوكيد والتشديد وهذا الوجه جائز فى المنصوب والمرفوع أيضا وهو وجه دقيق حسن وقرئ برفع الاول وجره مع نصب الثانى وتخريجه على ماذكرنا (منك) من جنسك وهم الشياطين (وممن تبعك منهم) من ذرية آدم (فان قلت) أجمعين تأكيد لماذا (قلت) لايخلو أن يؤكد به الضمير فى منهم أو الكاف فى منك مع من تبعك ومعناه لأملأن جهنم من المتبوعين والتابعين أجمعين لاأترك منهم أحدا أو لأملأنها من الشياطين وممن تبعهم من جميع الناس لاتفاوت فى ذلك بين ناس وناس بعد وجود الاتباع منهم من أولاد الانبياء وغيرهم (عليه من أجر) الضمير للقرآن أو للوحى (وما أنا من المتكلفين) من الذين يتصنعون ويتحلون بما ليسوا من أهله وماعرفتمونى قط متصنعا ولامدعيا ماليس عندى حتى أنتحل النبوة وأتقول القرآن (إن هو الا ذكر) من الله (للعالمين) للثقلين أوحى الى فأنا أبلغه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه ويتعاطى مالاينال ويقول مالايعلم (ولتعلمن نبأه) أى ما يأتيكم عند الموت أو يوم القيامة أو عند ظهور الاسلام وفشوه من صحة خبره وأنه الحق والصدق وفيه تهديد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له بوزن كل جبل سخره الله لداود عشر حسنات وعصمه أن يصر على ذنب صغيرا وكبير

سورة الزمر مكية الا قوله قل ياعبادى الذين أسرفوا الآية وتسمى سورة الغرف وهى خمس وسبعون آية وقيل ثنتان وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تنزيل الكتاب) قرئ بالرفع على أنه مبتدأ أخبر عنه بالظرف أو خبر مبتدإ محذوف والجار صلة التنزيل كما تقول نزل من عند الله أو غير صلة كقولك هذا الكتاب من فلان الى فلان فهو على هذا خبر بعد خبر أو خبر

من العالين قال أنا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين قال فاخرج منها فانك رجيم وإن عليك لعنتى الى يوم الدين قال رب فأنظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين ولتعلمن نبأه بعد حين

سورة الزمر مكية وهى خمس وسبعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم انا أنزلنا اليك الكتاب

مبتدأ محذوف تقديره هذا تنزيل الكتاب هذا من الله أو حال من التنزيل عمل فيها معنى الاشارة و بالنصب على اضمار فعل نحو اقرأ والزم (فان قلت) ما المراد بالكتاب (قلت) الظاهر على الوجه الاول أنه القرآن وعلى الثانى أنه السورة (مخلصا له الدين) ممحضا له الدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر وقرئ الدين بالرفع وحق من رفعه أن يقرأ مخلصا بفتح اللام كقوله تعالى وأخلصوا دينهم لله حتى يطابق قوله ألا لله الدين الخالص والخالص والمخلص واحد الا أن يصف الدين بصفة صاحبه على الاسناد المجازى كقولهم شعر شاعر وأما من جعل مخلصا حالا من العابد وله الدين مبتدأ وخبرا فقد جاء باعراب رجع به الكلام الى قولك لله الدين ألا لله الدين الخالص أى هو الذى وجب اختصاصه بأن يخلص له الطاعة من كل شائبة كدر لاطلاعه على الغيوب والاسرار ولأنه الحقيق بذلك لخلوص نعمته عن استجرار المنفعة بها وعن قتادة الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وعن الحسن الاسلام (والذين اتخذوا) يحتمل المتخذين وهم الكفرة والمتخذين وهم الملائكة وعيسى واللات والعزى عن ابن عباس رضى الله عنهما فالضمير فى اتخذوا على الاول راجع الى الذين وعلى الثانى الى المشركين ولم يجر ذكرهم لكونه مفهوما والراجع الى الذين محذوف والمعنى والذين اتخذهم المشركون أولياء والذين اتخذوا فى موضع الرفع على الابتداء (فان قلت) فالخبر ما هو (قلت) هو على الاول اما (ان الله يحكم بينهم) أو ما أضمر من القول قبل قوله ما نعبدهم وعلى الثانى ان الله يحكم بينهم (فان قلت) فاذا كان الله يحكم بينهم الخبر فما موضع القول المضمر (قلت) يجوز أن يكون فى موضع الحال أى قائلين ذلك ويجوز أن يكون بدلا من الصلة فلا يكون له محل كما أن المبدل منه كذلك وقرأ ابن مسعود باظهار القول قالوا ما نعبدهم وفى قراءة أبى ما نعبدكم الا لتقربونا على الخطاب حكاية لما خاطبوا به آلهتهم ٭ وقرئ نعبدهم بضم النون اتباعا للعين كما تتبعها الهمزة فى الامر والتنوين فى عذاب اركض والضمير فى بينهم لهم ولاوليائهم والمعنى ان الله يحكم بينهم بأنه يدخل الملائكة وعيسى الجنة و يدخلهم النار مع الحجارة التى نحتوها وعبدوها من دون الله يعذبهم بها حيث يجعلهم واياها حصب جهنم ٭ واختلافهم أن الذين يعبدون موحدون وهم مشركون وأولئك يعادونهم ويلعنونهم وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم الى الله زلفى وقيل كان المسلمون اذا قالوا لهم من خلق السموات والارض أقروا وقالوا الله فاذا قالوا لهم فما لكم تعبدون الاصنام قالوا ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى فالضمير فى بينهم عائد اليهم والى المسلمين والمعنى أن الله يحكم يوم القيامة بين المتنازعين من الفريقين ٭ المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا لطف لهم وأنهم فى علم الله من الهالكين ٭ وقرئ كذاب وكذوب وكذبهم قولهم فى بعض من اتخذوا من دون الله أولياء بنات الله ولذلك عقبه محتجا عليهم بقوله (لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء) يعنى لو أراد اتخاذ الولد لامتنع ولم يصح لكونه محالا ولم يتأت الا أن يصطفى من خلقه بعضه ويختصهم ويقربهم كما يختص الرجل ولده ويقربه وقد فعل ذلك بالملائكة فافتتنتم به وغركم اختصاصه اياهم فزعمتم أنهم أولاده جهلا منكم به وبحقيقته المخالفة لحقائق الاجسام والاعراض كأنه قال لو أراد اتخاذ الولد لم يزد على ما فعل من اصطفاء ما يشاء من خلقه وهم الملائكة الا أنكم لجهلكم به حسبتم اصطفاءهم اتخاذهم أولادا ثم تماديتم فى جهلكم وسفهكم فجعلتموهم بنات فكنتم كذابين كفارين متبالغين فى الافتراء على الله وملائكته غالين فى الكفر ثم قال (سبحانه) فنزه ذاته عن أن يكون له أحد ما نسبوا اليه من الاولاد والاولياء ٭ ودل على ذلك بما ينافيه وهو أنه واحد فلا يجوز أن يكون له صاحبة لأنه لو كانت له صاحبة لكانت من جنسه ولا جنس له واذا لم يتأت أن يكون له صاحبة لم يتأت أن يكون له ولد وهو معنى قوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة ٭ وقهار غلاب لكل شئ ومن الاشياء آلهتهم فهو يغلبهم فكيف يكونون له أولياء وشركاء ٭ ثم دل بخلق السموات والارض وتكوير كل واحد من الملوين على الآخر وتسخير النيرين وجريهما لأجل مسمى وبث الناس على كثرة عددهم من نفس واحدة وخلق الانعام على أنه واحد لا يشارك قهار لا يغالب ٭ والتكوير اللف واللى يقال كار العمامة على رأسه وكورها وفيه أوجه

منها

بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء سبحانه هو الله الواحد القهار خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على

(القول فى سورة الزمر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

٭ قوله تعالى ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار (قال المراد بمنع الهداية منع اللطف تسجيلا عليهم بأن لا يلطف بهم وأنه فى علمه من الهالكين انتهى كلامه) قلت مذهب أهل السنة حمل هذه الآية وأمثالها على الظاهر فان معتقدهم ان معنى هداية الله تعالى للمؤمن خلق الهدى فيه ومعنى اضلاله الكافر ازاحته عن الهدى وخلق الكفر له ومع ذلك فيجوز عند أهل السنة أن يخلق الله تعالى للكافر لطفا يؤمن عنده طائعا خلافا للقدرية وغرضنا التنبيه على مذهب أهل الحق لا غيره

٭ قوله تعالى ألا هو العزيز الغفار (قال أى لذنوب التائبين اه كلامه) قلت الحق انه تعالى غفار للتائبين ولمن يشاء من المصرين على ما دون الشرك وقنوطهم من رحمة الله تعالى ولقد قيد الزمخشرى الآية بما ترى ٭ قوله تعالى خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها (قال فيه فان قلت ما وجه العطف بثم فى قوله ثم جعل وأجاب بأنهما آيتان الخ) قال أحمد انما منعه من حمل ثم على التراخى فى الوجود أنها وقعت بين خلق الذرية من آدم وخلق حواء منه وهو متقدم على الذرية فضلا عن كونه متراخيا عن خلق الذرية فلم يستقم حملها على تراخى الوجود لما جعلها فى الوجه الآخر متعلقة بمعنى واحدة على تقدير خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها يعنى شفعها بزوجها فكانت ههنا على بابها التراخى الوجود والله سبحانه وتعالى أعلم ٭ قوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج (قال انما جعلها منزلة لان قضاياه تعالى وقسمه موصوفة بالنزول الخ)

منها أن الليل والنهار خلفة يذهب هذا ويغشى مكانه هذا واذا غشى مكانه فكأنما ألبسه ولف عليه كما يلف اللباس على اللابس ومنه قول ذى الرمة فى وصف السراب

تلوى الثنايا بأحقيها حواشيه ٭ لى الملاء بأبواب التفاريج

ومنها أن كل واحد منهما يغيب الآخر اذا طرأ عليه فشبه فى تغييبه اياه بشئ ظاهر لف عليه ما غيبه عن مطامح الأبصار ومنها أن هذا يكر على هذا كرورا متتابعا فشبه ذلك بتتابع أكوار العمامة بعضها على أثر بعض (ألا هو العزيز) الغالب القادر على عقاب المصرين (الغفار) لذنوب التائبين أو الغالب الذى يقدر على أن يعاجلهم بالعقوبة وهو يحلم عنهم و يؤخرهم الى أجل مسمى فسمى الحلم عنهم مغفرة (فان قلت) ما وجه قوله (ثم جعل منها زوجها) وما يعطيه من معنى التراخى (قلت) هما آيتان من جملة الآيات التى عددها دالا على وحدانيته وقدرته تشعيب هذا الخلق الفائت للحصر من نفس آدم وخلق حواء من قصيراه الا أن احداهما جعلها الله عادة مستمرة والاخرى لم تجر بها العادة ولم تخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل فكانت أدخل فى كونها آية وأجلب لعجب السامع فعطفها بثم على الآية الاولى للدلالة على مباينتها لها فضلا ومزية وتراخيها عنها فيما يرجع الى زيادة كونها آية فهو من التراخى فى الحال والمنزلة لا من التراخى فى الوجود وقيل ثم متعلق بمعنى واحدة كأنه قيل خلقكم من نفس وحدت ثم شفعها الله بزوج وقيل أخرج ذرية آدم من ظهره كالذر ثم خلق بعد ذلك حواء (وأنزل لكم) وقضى لكم وقسم لان قضاياه وقسمه موصوفة بالنزول من السماء حيث كتب فى اللوح كل كائن يكون وقيل لا تعيش الانعام الا بالنبات والنبات لا يقوم الا بالماء وقد أنزل الماء فكأنه أنزلها وقيل خلقها فى الجنة ثم أنزلها (ثمانية أزواج) ذكرا وأنثى من الابل والبقر والضأن والمعز والزوج اسم لواحد معه آخر فاذا انفرد فهو فرد ووتر قال الله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى (خلقا من بعد خلق) حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف ٭ والظلمات الثلاث البطن والرحم والمشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن (ذلكم) الذى هذه أفعاله هو (الله ربكم ٭ فأنى تصرفون) فكيف يعدل بكم عن عبادته الى عبادة غيره (فان الله غنى عنكم) عن ايمانكم وانكم المحتاجون اليه لاستضراركم بالكفر واستنفاعكم بالايمان (ولا يرضى لعباده الكفر) رحمة لهم لانه يوقعهم فى الهلكة (وان تشكروا يرضه لكم) أى يرض الشكر لكم لانه سبب فوزكم وفلاحكم فاذن ما كره كفركم ولا رضى شكركم الا لكم ولصلاحكم لا لأن منفعة ترجع اليه لانه الغنى الذى لا يجوز عليه الحاجة ولقد تمحل بعض الغواة ليثبت لله تعالى ما نفاه عن ذاته من الرضا لعباده الكفر فقال هذا من العام الذى أريد به الخاص وما أراد الا عباده الذين عناهم فى قوله ان عبادى ليس لك عليهم سلطان يريد

النهار و يكور النهار على الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى لأجل مسمى ألا هو العزيز الغفار خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق فى ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون ان تكفروا فان الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم

قال أحمد ومن هذا النمط بعينه قول الراجز أسنة الآبال فى ربابة ٭ قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم (حمل الرضا على الارادة والعباد على العموم الخ) قال أحمد ان المصر على هذا المعتقد على قلبه رين أو فى ميزان عقله غبن أليس يدعى أو يدعى له انه الخريت فى مغاير العبارات و بديع الزمان فى صناعة البديع فكيف نباعن جادة الاجادة فهما وأعار منادى الحذاقة أذنا صما اللهم الا أن يكون الهوى اذا تمكن أرى الباطل حقا وغطى مني مكشوف العبارة فسحقا سحقا أليس مقتضى العربية فضلا عن القوانين العقلية أن المشروط مرتب على الشرط لا يتصور وجود المشروط قبل الشرط عقلا ولا مضيه واستقبال الشرط لغة وعقلا واستقر باتفاق الفريقين أهل السنة وشيعة البدعة أن ارادة الله تعالى لشكر عباده مثلا مقدمة على وجود الشكر منهم فحينئذ كيف ساغ حمل الرضا على الارادة وقد جعل فى الآية مشروطا وجزاء وجعل وقوع الشكر شرطا ومجزيا واللازم من ذلك عقلا تقدم المراد وهو الشكر على الارادة وهى الرضا ولغة تقدم المشروط على الشرط

والزمخشري أخص من قال ان المشروط متى كان ماضيا محضا لزمته الفاء وقد كقولك ان تكرمني فقد أكرمتك قبل وقد عريت الآية عن الحرفين المذكورين على انه لابد من تأويل يصحح الشرطية مع ذلك فاذا ثبت بطلان حمل الرضا على الارادة عقلا ونقلا تعين التماس المحمل الصحيح له وهو المجازاة على الشكر بما عهد أن يجازى به المرضى عنه من الثواب والكرامة فيكون معنى الآية والله أعلم وان تشكروا يجازكم على شكركم (٣٢) جزاء المرضى عنه ولاشك ان المجازاة مستقبلة بالنسبة الى الشكر فجرى الشرط والجزاء على مقتضاهما لغة وانتظم ذلك بمقتضى الادلة العقلية على بطلان تقدم المراد على الارادة عقلا ومثل هذا يقدر في قوله ولا يرضى لعباده الكفر أي لا يجازي غير الكافر مجازاة المغضوب عليه من النكال والعقوبة

تعملون انه عليم بذات الصدور واذا مس الانسان ضر دعا ربه منيبا اليه ثم اذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو اليه من قبل وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون انما يتذكر أولوا الالباب قل ياعبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة

المعصومين كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله تعالى الله عما يقول الظالمون وقرئ يرضه بضم الهاء بوصل وبغير وصل وبسكونها (خوله) أعطاه قال أبو النجم

أعطى فلم يبخل ولم يبخل * كوم الذرى من خول المخول

وفي حقيقته وجهان أحدهما جعله خائل مال من قولهم هو خائل مال وخال مال اذا كان متعهدا له حسن القيام به ومنه ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يتخول أصحابه بالموعظة والثاني جعله يخول من خال يخول اذا اختال وافتخر وفي معناه قول العرب * ان الغنى طويل الذيل مياس * (ما كان يدعو اليه) أي نسي الضر الذي كان يدعو الله الى كشفه وقيل نسي ربه الذي كان يتضرع اليه ويبتهل اليه وما بمعنى من كقوله تعالى وما خلق الذكر والانثى * وقرئ ليضل بفتح الياء وضمها بمعنى أن نتيجة جعله لله أندادا ضلاله عن سبيل الله أو اضلاله والنتيجة قد تكون غرضا في الفعل وقد تكون غير غرض وقوله (تمتع بكفرك) من باب الخذلان والتخلية كأنه قيل له اذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الايمان والطاعة فمن حقك أن لا تؤمر به بعد ذلك وتؤمر بتركه مبالغة في خذلانه وتخليته وشأنه لانه لا مبالغة في الخذلان أشد من أن يبعث على عكس ما أمر به ونظيره في المعنى قوله متاع قليل ثم مأواهم جهنم * قرئ أمن هو قانت بالتخفيف على ادخال همزة الاستفهام على من وبالتشديد على ادخال أم عليه ومن مبتدأ خبره محذوف تقديره أمن هو قانت كغيره وانما حذف لدلالة الكلام عليه وهو جرى ذكر الكافر قبله وقوله بعده قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقيل معناه أمن هو قانت أفضل أمن هو كافر أو أهذا أفضل أمن هو قانت على الاستفهام المتصل والقانت القائم بما يجب عليه من الطاعة ومنه قوله عليه الصلاة والسلام أفضل الصلاة طول القنوت وهو القيام فيها ومنه القنوت في الوتر لانه دعاء المصلى قائما (ساجدا) حال وقرئ ساجد وقائم على أنه خبر بعد خبر والواو للجمع بين الصفتين * وقرئ ويحذر عذاب الآخرة * وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون ويفتنون ثم يفتنون بالدنيا فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء ويجوز أن يرد على سبيل التشبيه أي كما لا يستوى العالمون والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاصون وقيل نزلت في عمار بن ياسر رضي الله عنه وأبي حذيفة بن المغيرة المخزومي وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال هذا تمن وانما الرجاء قوله وتلا هذه الآية * وقرئ انما يذكر بالادغام (في هذه الدنيا) متعلق بأحسنوا لا بحسنة معناه الذين أحسنوا في هذه الدنيا فلهم حسنة في الآخرة وهي دخول الجنة أي حسنة غير مكتنهة بالوصف وقد علقه السدى بحسنة ففسر الحسنة بالصحة والعافية (فان قلت) اذا علق الظرف بأحسنوا فاعرابه ظاهر فما معنى تعليقه بحسنة ولا يصح أن يقع صفة لها لتقدمه (قلت) هو صفة لها اذا تأخر فاذا تقدم كان بيانا لمكانها فلم يخل التقدم بالتعلق وان لم يكن التعلق وصفا ومعنى (وأرض الله واسعة) أن لا عذر للمفرطين في الاحسان البتة حتى ان اعتلوا بأوطانهم وبلادهم وأنهم لا يتمكنون فيها من التوفر على الاحسان وصرف الهمم اليه قيل لهم فان أرض الله واسعة وبلاده كثيرة فلا تجتمعوا مع العجز وتحولوا الى بلاد أخر واقتدوا بالانبياء

* قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون (قال سئل الحسن عمن يتمادى على المعاصي ويرجو الخ) قال أحمد كلام الحسن رضي الله عنه صحيح غير منزل على كلام الزمخشري بقرينة حاله فان الحسن أراد أن المتمادى على المعصية مصرا عليها غير تائب اذا غلب رجاؤه خوفه كان متمنيا لان الاليق بهذا أن يغلب خوفه رجاءه ولم يرد الحسن اقناط هذا من رحمة الله تعالى وحاشاه وأما قرينة حال الزمخشري فانها تنم على ما أضمره من ايراد هذه المقالة فان معتقده أن مثل هذا العاصي وان كان موحدا يجب خلوده في نار جهنم ولا معنى لرجائه ولتمنيته صحة هذا المعتقد أورد مقالة الحسن كالترام الى تتميم هذه النزعة وعما قليل يقرع سمعه ما في أنباء هذه السورة

* قوله تعالى قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين الى قوله قل الله أعبد مخلصا له ديني (قال فيه فان قلت كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد وأجاب بأنه ليس بتكرير الخ) قال أحمد وقد (٣٣) أحسن في تقوية هذا المعنى في هذه الآية بقوله فاعبدوا ما شئتم من دونه فان مقابلته بعدم الحصر توجب كونه للحصر والله أعلم وما أحسن ما بين وجوه المبالغة في وصف الله تعالى لفظاعة خسرانهم فقال استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين وبين في تسمية الشيطان طاغوتا وجوها ثلاثة من المبالغة أحدها تسميته بالمصدر كأنه نفس الطغيان الثاني بناؤه على فعلوت وهي صيغة مبالغة كالرحموت وهي الرحمة الواسعة والملكوت وشبهه الثالث تقديم لامه على عينه ليفيد اختصاص الشيطان بهذه التسمية

انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وأمرت لأن أكون أول المسلمين قل انى أخاف أن عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل الله أعبد مخلصا له ديني فاعبدوا ما شئتم من دونه قل ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده ياعباد فاتقون والذين

والصالحين في مهاجرتهم الى غير بلادهم ليزدادوا احسانا الى احسانهم وطاعة الى طاعتهم وقيل هو للذين كانوا في بلد المشركين فأمروا بالمهاجرة عنه كقوله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها وقيل هي أرض الجنة و (الصابرون) الذين صبروا على مفارقة أوطانهم وعشائرهم وعلى غيرها من تجرع الغصص واحتمال البلايا في طاعة الله وازدياد الخير (بغير حساب) لا يحاسبون عليه وقيل بغير مكيال وغير ميزان يغرف لهم غرفا وهو تمثيل للتكثير وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يهتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم ينصب الله الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل الحج فيوفون أجورهم بالموازين ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الأجر صبا قال الله تعالى انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل (قل انى أمرت) باخلاص الدين (وأمرت) بذلك (لـ) أجل (أن أكون أول المسلمين) أي مقدمهم وسابقهم في الدنيا والآخرة والمعنى أن الاخلاص له السبقة في الدين فمن أخلص كان سابقا (فان قلت) كيف عطف أمرت على أمرت وهما واحد (قلت) ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالاخلاص وتكليفه شئ والأمر به ليحرز القائم به قصب السبق في الدين شئ واذا اختلف وجها الشئ وصفتاه ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين ولك أن تجعل اللام مزيدة مثلها في أردت لأن أفعل ولا تزاد الا مع أن خاصة دون الاسم الصريح كأنها زيدت عوضا من ترك الاصل الى ما يقوم مقامه كما عوض السين في أسطاع عوضا من ترك الاصل الذي هو أطوع والدليل على هذا الوجه مجيئه بغير لام في قوله وأمرت أن أكون من المسلمين وأمرت أن أكون من المؤمنين وأمرت أن أكون أول من أسلم وفي معناه أوجه أن أكون أول من أسلم في زماني ومن قومي لأنه أول من خالف دين آبائه وخلع الاصنام وحطمها وأن أكون أول الذين دعوتهم الى الاسلام اسلاما وأن أكون أول من دعا نفسه الى ما دعا اليه غيره لأكون مقتدى بي في قولي وفعلي جميعا ولا تكون صفتي صفة الملوك الذين يأمرون بما لا يفعلون وأن أفعل ما أستحق به الاولية من أعمال السابقين دلالة على السبب بالمسبب يعني أن الله أمرني أن أخلص له الدين من الشرك والرياء وكل شوب بدليلي العقل والوحي * فان عصيت ربي بمخالفة الدليلين استوجبت عذابه فلا أعصيه ولا أتابع أمركم وذلك حين دعوه الى دين آبائه * (فان قلت) ما معنى التكرير في قوله قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله (قل الله أعبد مخلصا له ديني) (قلت) ليس بتكرير لان الاول اخبار بأنه مأمور من جهة الله باحداث العبادة والاخلاص والثاني اخبار بأنه يختص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصا له دينه ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة وأخره في الاول فالكلام أولا واقع في الفعل نفسه وايجاده وثانيا فيمن يفعل الفعل لاجله ولذلك رتب عليه قوله (فاعبدوا ما شئتم من دونه) والمراد بهذا الامر الوارد على وجه التخيير المبالغة في الخذلان والتخلية على ما حققت فيه القول مرتين * قل ان الكاملين في الخسران الجامعين لوجوهه وأسبابه هم (الذين خسروا أنفسهم) لوقوعها في هلكة لا هلكة بعدها (و) خسروا (أهليهم) لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده اليهم وقيل وخسروهم لانهم لم يدخلوا مدخل المؤمنين الذين لهم أهل في الجنة يعني وخسروا أهليهم الذين كانوا يكونون لهم لو آمنوا ولقد وصف خسرانهم بغاية الفظاعة في قوله (ألا ذلك هو الخسران المبين) حيث استأنف الجملة وصدرها بحرف التنبيه ووسط الفصل بين المبتدا والخبر وعرف الخسران ونعته بالمبين (ومن تحتهم) أطباق من النار هي (ظلل) لآخرين (ذلك) العذاب هو الذي يتوعد الله (به عباده) ويخوفهم ليجتنبوا ما يوقعهم فيه (ياعباد فاتقون) ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي وهذه عظة

اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا الى الله لهم البشرى فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الالباب أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من فى النار لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما إن فى ذلك لذكرى لاولى الالباب أفمن شرح الله

من الله تعالى وتصحيحه بالغة وقرئ يا عبادى (الطاغوت) فعلوت من الطغيان كالملكوت والرحموت الا أن فيها قلبا بتقديم اللام على العين أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدرا وفيها مبالغات وهى التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان وأن البناء بناء مبالغة فان الرحموت الرحمة الواسعة والملكوت الملك المبسوط والقلب وهو للاختصاص اذ لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها ههنا الجمع وقرئ الطواغيت (أن يعبدوها) بدل من الطاغوت بدل الاشتمال (لهم البشرى) هى البشارة بالثواب كقوله تعالى لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة الله عز وجل يبشرهم بذلك فى وحيه على ألسنة رسله وتتلقاهم الملائكة عند حضور الموت مبشرين وحين يحشرون قال الله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات * وأراد بعباده (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) الذين اجتنبوا وأنابوا لا غيرهم وانما أراد بهم أن يكونوا مع الاجتناب والانابة على هذه الصفة فوضع الظاهر موضع الضمير وأراد أن يكونوا نقادا فى الدين يميزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب وكذلك المباح والندب حراصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا ويدخل تحته المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر وأبينها دليلا أو أمارة وأن لا تكون فى مذهبك كما قال القائل * ولا تكن مثل عير قيد فانقادا * يريد المقلد وقيل يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن وقيل يستمعون أوامر الله فيتبعون أحسنها نحو القصاص والعفو والانتصار والاغضاء والابداء والاخفاء لقوله تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وإن تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو الرجل يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث بأحسن ما سمع ويكف عما سواه ومن الوقفة من يقف على فبشر عبادى ويبتدئ الذين يستمعون برفعه على الابتداء وخبره (أولئك) * أصل الكلام أمن حق عليه كلمة العذاب فأنت تنقذه جملة شرطية دخل عليها همزة الانكار والفاء فاء الجزاء ثم دخلت الفاء التى فى أولها للعطف على محذوف يدل عليه الخطاب تقديره أأنت مالك أمرهم فمن حق عليه العذاب فأنت تنقذه والهمزة الثانية هى الاولى كررت لتوكيد معنى الانكار والاستبعاد ووضع من فى النار موضع الضمير فالآية على هذا جملة واحدة ووجه آخر وهو أن تكون الآية جملتين أفمن حق عليه العذاب فأنت تخلصه أفأنت تنقذ من فى النار وانما جاز حذف فأنت تخلصه لان أفأنت تنقذ يدل عليه نزل استحقاقهم العذاب وهم فى الدنيا منزلة دخولهم النار حتى نزل اجتهاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكده نفسه فى دعائهم الى الايمان منزلة انقاذهم من النار وقوله أفأنت تنقذ يفيد أن الله تعالى هو الذى يقدر على الانقاذ من النار وحده لا يقدر على ذلك أحد غيره فكما لا تقدر أنت أن تنقذ الداخل فى النار من النار لا تقدر أن تخلصه مما هو فيه من استحقاق العذاب بتحصيل الايمان فيه (غرف من فوقها غرف) علالى بعضها فوق بعض * (فان قلت) ما معنى قوله (مبنية) (قلت) معناه والله أعلم أنها بنيت بناء المنازل التى على الارض وسويت تسويتها (تجرى من تحتها الانهار) كما تجرى من تحت المنازل من غير تفاوت بين العلو والسفل (وعد الله) مصدر مؤكد لان قوله لهم غرف فى معنى وعدهم الله ذلك (أنزل من السماء ماء) هو المطر وقيل كل ماء فى الارض فهو من السماء ينزل منها الى الصخرة ثم يقسمه الله (فسلكه) فأدخله ونظمه (ينابيع فى الارض) عيونا ومسالك ومجارى كالعروق فى الاجساد (مختلفا ألوانه) هيآته من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك أو أصنافه من بر وشعير وسمسم وغيرها (يهيج) يتم جفافه عن الاصمعى لانه اذا تم جفافه حان له أن يثور عن منابته ويذهب (حطاما) فتاتا ودرينا (ان فى ذلك لذكرى) لتذكيرا وتنبيها على أنه لا بد من صانع حكيم وأن ذلك كائن عن تقدير وتدبير لا عن تعطيل واهمال ويجوز أن يكون مثلا للدنيا كقوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا وقرئ مصفارا (أفمن) عرف الله أنه من أهل اللطف فلطف به حتى انشرح صدره للاسلام ورغب فيه وقبله كمن لا لطف له فهو حرج الصدر قاسى القلب * ونور الله هو لطفه وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية فقيل يا رسول الله كيف انشراح الصدر قال

* قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (قال يدخل تحت هذا المذاهب واختيار أثبتها على السبك وأقواها عند السبر الخ) قال أحمد لقد كنت أطمع لعله رجع عما ضمن هذا الكتاب من المذاهب الرديئة والمعتقدات الفاسدة حتى حققت من كلامه هذا أن ذلك التصميم كان متمكنا من فؤاده الصميم فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

اذا

اذا دخل النور القلب انشرح وانفسح فقيل يا رسول الله فما علامة ذلك قال الانابة الى دار الخلود والتجافى عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت وهو نظير قوله أمن هو قانت فى حذف الخبر (من ذكر الله) من أجل ذكره أى اذا ذكر الله عندهم أو آياته اشمأزوا وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم وقرئ عن ذكر الله (فان قلت) ما الفرق بين من وعن فى هذا (قلت) اذا قلت قسا قلبه من ذكر الله فالمعنى ما ذكرت من أن القسوة من أجل الذكر وبسببه واذا قلت عن ذكر الله فالمعنى غلظ عن قبول الذكر وجفا عنه ونظيره سقاه من العيمة أى من أجل عطشه وسقاه عن العيمة اذا أرواه حتى أبعده عن العطش * عن ابن مسعود رضى الله عنه أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا ملة فقالوا له حدثنا فنزلت وايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث ورفع منه واستشهاد على حسنه وتأكيد لاستناده الى الله وأنه من عنده وأن مثله لا يجوز أن يصدر الا عنه وتنبيه على أنه وحى معجز مباين لسائر الاحاديث و(كتابا) بدل من أحسن الحديث ويحتمل أن يكون حالا منه (متشابها) مطلق فى مشابهة بعضه بعضا فكان متناولا لتشابه معانيه فى الصحة والاحكام والبناء على الحق والصدق ومنفعة الخلق وتناسب ألفاظه وتناصفها فى التخير والاصابة وتجاوب نظمه وتأليفه فى الاعجاز والتبكيت ويجوز أن يكون (مثانى) بيانا لكونه متشابها لان القصص المكررة لا تكون الا متشابهة والمثانى جمع مثنى بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه وقيل لانه يثنى فى التلاوة فلا يمل كما جاء فى وصفه لا يتفه ولا يتشان ولا يخلق على كثرة الرد ويجوز أن يكون جمع مثنى مفعل من التثنية بمعنى التكرير والاعادة كما كان قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين بمعنى كرة بعد كرة وكذلك لبيك وسعديك وحنانيك (فان قلت) كيف وصف الواحد بالجمع (قلت) انما صح ذلك لان الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل الشئ هى جملته لا غير ألا تراك تقول القرآن أسباع وأخماس وسور وآيات وكذلك تقول أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات ونظيره قولك الانسان عظام وعروق وأعصاب الا أنك تركت الموصوف الى الصفة وأصله كتابا متشابها فصولا مثانى ويجوز أن يكون كقولك برمة أعشار وثوب أخلاق ويجوز أن لا يكون مثانى صفة ويكون منتصبا على التمييز من متشابها كما تقول رأيت رجلا حسنا شمائل والمعنى متشابهة مثانيه (فان قلت) ما فائدة التثنية والتكرير (قلت) النفوس أنفر شئ عن حديث الوعظ والنصيحة فما لم يكرر عليها عودا عن بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكرر عليهم ما كان يعظ به وينصح ثلاث مرات وسبعا ليركزه فى قلوبهم ويغرسه فى صدورهم * اقشعر الجلد اذا تقبض تقبضا شديدا وتركيبه من حروف القشع وهو الاديم اليابس مضموما اليها حرف رابع وهو الراء ليكون رباعيا ودالا على معنى زائد يقال اقشعر جلده من الخوف وقف شعره وهو مثل فى شدة الخوف فيجوز أن يريد به الله سبحانه التمثيل تصويرا لافراط خشيتهم وأن يريد التحقيق والمعنى أنهم اذا سمعوا بالقرآن وبآيات وعيده أصابتهم خشية تقشعر منها جلودهم ثم اذا ذكروا الله ورحمته وجوده بالمغفرة لانت جلودهم وقلوبهم وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة (فان قلت) ما وجه تعديته لان بالى (قلت) ضمن معنى فعل متعد بالى كأنه قيل سكنت أو اطمأنت الى ذكر الله لينة غير متقبضة راجية غير خاشية (فان قلت) لم اقتصر على ذكر الله من غير ذكر الرحمة (قلت) لان أصل أمره الرحمة والرأفة ورحمته هى سابقة غضبه فلاصالة رحمته اذا ذكر لم يخطر بالبال قبل كل شئ من صفاته الا كونه رؤفا رحيما (فان قلت) لم ذكرت الجلود وحدها أولا ثم قرنت بها القلوب ثانيا (قلت) اذا ذكرت الخشية التى محلها القلوب فقد ذكرت القلوب فكأنه قيل تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم فى أول وهلة فاذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء فى قلوبهم وبالقشعريرة لينا فى جلودهم (ذلك) اشارة الى الكتاب وهو (هدى الله يهدى به) يوفق به (من يشاء) يعنى عباده المتقين حتى يخشوا تلك الخشية ويرجوا ذلك الرجاء كما قال هدى للمتقين (ومن يضلل الله) ومن يخذله من الفساق والفجرة (فماله من هاد) أو ذلك الكائن من الخشية والرجاء هدى الله أى أثر هداه وهو لطفه فسماه هدى لانه حاصل بالهدى يهدى به

صدره للاسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ومن يضلل الله فماله من هاد

* قوله تعالى أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة (قال فيه معناه كمن هو آمن فحذف الخبر أسوة أمثاله الخ) قال أحمد الملقى في النار والعياذ بالله لم يقصد الاتقاء بوجهه ولكنه لم يجد ما يتقي به النار غير وجهه ولو وجد لفعل فلما ألقيها بوجهه كانت حاله حال المتقي بوجهه فعبر عن ذلك بالاتقاء من باب المجاز التمثيلي والله أعلم * قوله تعالى انك ميت وانهم ميتون (قال فيه قرئ انك مائت ومائتون الخ) قال أحمد فاستعمال ميت مجازا اذ الخطاب مع الاحياء واستعمال مائت حقيقة اذ لا يعطي اسم الفاعل وجود الفعل حال الخطاب ونظيره قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها يعني توفي الموت والتي لم تمت في منامها أي يتوفاها حين المنام تشبيها للنوم بالموت كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل فيمسك الانفس التي قضى عليها الموت الحقيقي أي لا يردها في وقتها حية ويرسل الاخرى أي النائمة الى الاجل الذي سماه أي قدره لموتها الحقيقي هذا أوضح ما قيل في تفسير الآية والله أعلم

أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سالما لرجل هل يستويان مثلا الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون

بهذا الاثر من يشاء من عباده يعني من صحب أولئك ورآهم خاشين راجين فكان ذلك مرغبا لهم في الاقتداء بسيرتهم وسلوك طريقتهم ومن يضلل الله ومن لم تؤثر فيه ألطافه لقسوة قلبه واصراره على فجوره فما له من هاد من مؤثر فيه بشيء قط * يقال اتقاه بدرقته استقبله بها فوقى بها نفسه اياه واتقاه بيده وتقديره (أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب) كمن أمن العذاب فحذف الخبر كما حذف في نظائره وسوء العذاب شدته ومعناه أن الانسان اذا لقي مخوفا من المخاوف استقبله بيده وطلب أن يقي بها وجهه لانه أعز أعضائه عليه والذي يلقى في النار يلقى مغلولة يداه الى عنقه فلا يتهيأ له أن يتقي النار الا بوجهه الذي كان يتقي المخاوف بغيره وقاية له ومحاماة عليه وقيل المراد بالوجه الجملة وقيل نزلت في أبي جهل * وقال لهم خزنة النار (ذوقوا) وبال (ما كنتم تكسبون * من حيث لا يشعرون) من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها بيناهم آمنون رافهون اذ فوجئوا من مأمنهم * والخزي الذل والصغار كالمسخ والخسف والقتل والجلاء وما أشبه ذلك من نكال الله (قرآنا عربيا) حال مؤكدة كقولك جاءني زيد رجلا صالحا وانسانا عاقلا ويجوز أن ينتصب على المدح (غير ذي عوج) مستقيما بريا من التناقض والاختلاف (فان قلت) فهلا قيل مستقيما أو غير معوج (قلت) فيه فائدتان احداهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال ولم يجعل له عوجا والثانية أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس وأنشد

وقد أتاك يقين غير ذي عوج * من الاله وقول غير مكذوب

* واضرب لقومك مثلا وقل لهم ما تقولون في رجل من المماليك قد اشترك فيه شركاء بينهم اختلاف وتنازع كل واحد منهم يدعي أنه عبده فهم يتجاذبونه ويتعاورونه في مهن شتى ومشاده واذا عنت له حاجة تدافعوه فهو متحير في أمره سادر قد تشعبت الهموم قلبه وتوزعت أفكاره لا يدري أيهم يرضي بخدمته وعلى أيهم يعتمد في حاجاته وفي آخر قد سلم لمالك واحد وخلص له فهو معتنق لما لزمه من خدمته معتمد عليه فيما يصلحه فهمه واحد وقلبه مجتمع أي هذين العبدين أحسن حالا وأجمل شأنا والمراد تمثيل حال من يثبت آلهة شتى وما يلزمه على قضية مذهبه من أن يدعي كل واحد منهم عبوديته ويتشاكسوا في ذلك ويتغالبوا كما قال تعالى ولعلا بعضهم على بعض ويبقى هو متحيرا ضائعا لا يدري أيهم يعبد وعلى ربوبية أيهم يعتمد وممن يطلب رزقه وممن يلتمس رفقه فهمه شعاع وقلبه أوزاع وحال من لم يثبت الا الها واحدا فهو قائم بما كلفه عارف بما أرضاه وما أسخطه متفضل عليه في عاجله مؤمل للثواب في آجله و(فيه) صلة شركاء كما تقول اشتركوا فيه * والتشاكس والتشاخس الاختلاف تقول تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه (سالما لرجل) خالصا له وقرئ سلما بفتح الفاء والعين وفتح الفاء وكسرها مع سكون العين وهي مصادر سلم والمعنى ذا سلامة لرجل أي ذا خلوص له من الشركة من قولهم سلمت له الضيعة * وقرئ بالرفع على الابتداء أي وهناك رجل سالم لرجل وانما جعله رجلا ليكون أفطن لما شقي به أو سعد فان المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك (هل يستويان مثلا) هل يستويان صفة على التمييز والمعنى هل يستوي صفتاهما وحالاهما وانما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس وقرئ مثلين كقوله تعالى وأكثر أموالا وأولادا مع قوله أشد منهم قوة ويجوز فيمن قرأ مثلين أن يكون الضمير في يستويان للمثلين لان التقدير مثل رجل ومثل رجل والمعنى هل يستويان فيما يرجع الى الوصفية كما تقول كفى بهما رجلين (الحمد لله) الواحد الذي لا شريك له دون كل معبود سواه أي يجب أن يكون الحمد متوجها اليه وحده والعبادة فقد ثبت أنه لا اله الا هو (بل أكثرهم لا يعلمون) فيشركون به غيره * كانوا يتربصون برسول الله صلى الله عليه وسلم موته فأخبر أن الموت يعمهم فلا معنى للتربص وشماتة الباقي بالفاني وعن قتادة نعى الى نبيه نفسه ونعى اليكم أنفسكم * وقرئ مائت

ومائتون

انك ميت وانهم ميتون ثم انكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون أليس الله بكاف عبده

ومائتون والفرق بين الميت والمائت أن الميت صفة لازمة كالسيد وأما المائت فصفة حادثة تقول زيد مائت غدا كما تقول سائد غدا أي سيموت وسيسود واذا قلت زيد ميت فكما تقول حي في نقيضه فيما يرجع الى اللزوم والثبوت والمعنى في قوله (انك ميت وانهم ميتون) انك واياهم وان كنتم أحياء فأنتم في عداد الموتى لان ما هو كائن فكأن قد كان (ثم انكم) ثم انك واياهم فغلب ضمير المخاطب على ضمير الغيب (تختصمون) فتحتج أنت عليهم بأنك بلغت فكذبوا فاجتهدت في الدعوة فلجوا في العناد ويعتذرون بما لا طائل تحته تقول الاتباع أطعنا سادتنا وكبراءنا وتقول السادات أغوتنا الشياطين وآباؤنا الاقدمون وقد حمل على اختصام الجميع وأن الكفار يخاصم بعضهم بعضا حتى يقال لهم لا تختصموا لدي والمؤمنون الكافرين يبكتونهم بالحجج وأهل القبلة يكون بينهم الخصام قال عبد الله بن عمر لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين قلنا كيف نختصم ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف فعرفت أنها نزلت فينا وقال أبو سعيد الخدري كنا نقول ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد فما هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا وعن ابراهيم النخعي قالت الصحابة ما خصومتنا ونحن اخوان فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العالية نزلت في أهل القبلة والوجه الذي يدل عليه كلام الله هو ما قدمت أولا ألا ترى الى قوله تعالى فمن أظلم ممن كذب على الله وقوله تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به وما هو الا بيان وتفسير للذين يكون بينهم الخصومة (كذب على الله) افترى عليه باضافة الولد والشريك اليه (وكذب بالصدق) بالامر الذي هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (اذ جاءه) فاجأه بالتكذيب لما سمع به من غير وقفة لاعمال روية واهتمام بتمييز بين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما يسمعون (مثوى للكافرين) أي لهؤلاء الذين كذبوا على الله وكذبوا بالصدق واللام في الكافرين اشارة اليهم (والذي جاء بالصدق وصدق به) هو رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالصدق وآمن به وأراد به اياه ومن تبعه كما أراد بموسى اياه وقومه في قوله ولقد آتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون فلذلك قال (أولئك هم المتقون) الا أن هذا في الصفة وذاك في الاسم ويجوز أن يريد والفوج أو الفريق الذي جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول الذي جاء بالصدق وصحابته الذين صدقوا به وفي قراءة ابن مسعود والذين جاؤا بالصدق وصدقوا به وقرئ وصدق به بالتخفيف أي صدق به الناس ولم يكذبهم به يعني أداه اليهم كما نزل عليه من غير تحريف وقيل صار صادقا به أي بسببه لان القرآن معجزة والمعجزة تصديق من الحكيم الذي لا يفعل القبيح لمن يجريها على يده ولا يجوز أن يصدق الا الصادق فيصير لذلك صادقا بالمعجزة وقرئ وصدق به (فان قلت) ما معنى اضافة الاسوأ والاحسن الى الذي عملوا وما معنى التفضيل فيهما (قلت) أما الاضافة فما هي من اضافة أفعل الى الجملة التي يفضل عليها ولكن من اضافة الشيء الى ما هو بعضه من غير تفضيل كقولك الاشج أعدل بني مروان وأما التفضيل فايذان بأن السيء الذي يفرط منهم من الصغائر والزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستعظامهم المعصية والحسن الذي يعملونه هو عند الله الاحسن لحسن اخلاصهم فيه فلذلك ذكر سيئهم بالاسوأ وحسنهم بالاحسن وقرئ أسواء الذي عملوا جمع سوء (أليس الله بكاف عبده) أدخلت همزة الانكار على كلمة النفي فأفيد معنى اثبات الكفاية وتقريرها قرئ بكاف عبده وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم وبكاف عباده وهم الانبياء وذلك أن قريشا قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا نخاف أن تخبلك آلهتنا وانا نخشى عليك معرتها لعيبك اياها ويروى أنه بعث خالدا الى العزى ليكسرها فقال له سادنها أحذركها يا خالد ان لها لشدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد اليها فهشم أنفها فقال الله عز وجل أليس الله بكاف نبيه أن يعصمه من كل سوء ويدفع عنه كل بلاء في مواطن الخوف وفي هذا تهكم بهم لانهم خوفوه ما لا يقدر على نفع ولا ضر أو أليس الله بكاف أنبياءه ولقد قالت أممهم نحو ذلك فكفاهم الله وذلك قول قوم هود ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء ويجوز أن يريد العبد والعباد على الاطلاق لانه كافيهم في الشدائد وكافل مصالحهم وقرئ بكافي عباده على الاضافة ويكافي عباده ويكافي يحتمل أن يكون غير مهموز مفاعلة من الكفاية كقولك يجازي في يجزي وهو أبلغ من كفى

لبنائه على لفظ المغالبة والمباراة وأن يكون مهموزا من المكافأة وهى المجازاة لما تقدم من قوله ويجزيهم أجرهم (بالذين من دونه) أراد الاوثان التى اتخذوها آلهة من دونه (بعزيز) بغالب منيع (ذى انتقام) ينتقم من أعدائه وفيه وعيد لقريش ووعد للمؤمنين بأنه ينتقم لهم منهم وينصرهم عليهم * قرئ كاشفات ضره وممسكات رحمته بالتنوين على الاصل وبالاضافة للتخفيف (فان قلت) لم فرض المسئلة فى نفسه دونهم (قلت) لانهم خوفوه معرة الاوثان وتخبيلها فأمر بأن يقررهم أولا بأن خالق العالم هو الله وحده ثم يقول لهم بعد التقرير فاذا أرادنى خالق العالم الذى أقررتم به بضر من مرض أو فقر أو غير ذلك من النوازل أو برحمة من صحة أو غنى أو نحوهما هل هؤلاء اللاتى خوفتمونى اياهن كاشفات عنى ضره أو ممسكات رحمته حتى اذا ألقمهم الحجر وقطعهم حتى لا يحيروا ببنت شفة قال (حسبى الله) كافيا لمعرة أوثانكم (عليه يتوكل المتوكلون) وفيه تهكم ويروى أن النبى صلى الله عليه وسلم سألهم فسكتوا فنزل قل حسبى الله (فان قلت) لم قيل كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه (قلت) أنثهن وكن اناثا وهن اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى ألكم الذكر وله الانثى ليضعفها ويعجزها زيادة تضعيف وتعجيز عما طالبهم به من كشف الضر وامساك الرحمة لان الانوثة من باب اللين والرخاوة كما أن الذكورة من باب الشدة والصلابة كأنه قال الاناث اللاتى هن اللات والعزى ومناة أضعف مما تدعون لهن وأعجز وفيه تهكم أيضا (على مكانتكم) على حالكم التى أنتم عليها وجهتكم من العداوة التى تمكنتم منها والمكانة بمعنى المكان فاستعيرت عن العين للمعنى كما يستعار هنا وحيث للزمان وهما للمكان (فان قلت) حق الكلام فانى عامل على مكانتى فلم حذف (قلت) للاختصار ولما فيه من زيادة الوعيد والايذان بأن حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله ناصره ومعينه ومظهره على الدين كله ألا ترى الى قوله (فسوف تعلمون من يأتيه) كيف توعدهم بكونه منصورا عليهم غالبا عليهم فى الدنيا والآخرة لانهم اذا أتاهم الخزى والعذاب فذلك عزه وغلبته من حيث ان الغلبة تتم له بعز عزيز من أوليائه وبذل ذليل من أعدائه (يخزيه) مثل مقيم فى وقوعه صفة للعذاب أى عذاب مخزله وهو يوم بدر وعذاب دائم وهو عذاب النار * وقرئ مكاناتكم (للناس) لاجلهم ولاجل حاجتهم اليه ليبشروا وينذروا فتقوى دواعيهم الى اختيار الطاعة على المعصية ولا حاجة لى الى ذلك فأنا الغنى فمن اختار الهدى فقد نفع نفسه ومن اختار الضلالة فقد ضرها وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى فان التكليف مبنى على الاختيار دون الاجبار (الانفس) الجمل كما هى * وتوفيها اماتتها وهو أن يسلب ما هى به حية حساسة دراكة من صحة أجزائها وسلامتها لانها عند سلب الصحة كأن ذاتها قد سلبت (والتى لم تمت فى منامها) يريد ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها أى يتوفاها حين تنام تشبيها للنائمين بالموتى ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل حيث لا يميزون ولا يتصرفون كما أن الموتى كذلك (فيمسك) الانفس (التى قضى عليها الموت) الحقيقى أى لا يردها فى وقتها حية (ويرسل الاخرى) النائمة (الى أجل مسمى) الى وقت ضربه لموتها وقيل يتوفى الانفس يستوفيها ويقبضها وهى الانفس التى تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التى لم تمت فى منامها وهى أنفس التمييز قالوا فالتى تتوفى فى النوم هى نفس التمييز لا نفس الحياة لان نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس والنائم يتنفس ورووا عن ابن عباس رضى الله عنهما فى ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس فالنفس التى بها العقل والتمييز والروح التى بها النفس والتحرك فاذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه والصحيح ما ذكرت أولا لان الله عز وعلا علق التوفى والموت والمنام جميعا بالانفس وما عنوا بنفس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف بالموت والنوم وانما الجملة هى التى تموت وهى التى تنام (ان فى ذلك) ان فى توفى الانفس مائتة ونائمة وامساكها وارسالها الى أجل لآيات على قدرة الله وعلمه لقوم يجيلون فيه أفكارهم ويعتبرون * وقرئ قضى عليها الموت على البناء للمفعول (أم اتخذوا) بل اتخذ قريش والهمزة للانكار (من دون الله) من دون اذنه (شفعاء) حين قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله ولا يشفع عنده أحد

ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فماله من هاد ومن يهد الله فماله من مضل أليس الله بعزيز ذى انتقام ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله ان أرادنى الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون قل ياقوم اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنت عليهم بوكيل الله يتوفى الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيأ ولا يعقلون

الا باذنه ألا ترى الى قوله تعالى (قل لله الشفاعة جميعا) أى هو مالكها فلا يستطيع أحد شفاعة الا بشرطين أن يكون المشفوع له مرتضى وأن يكون الشفيع مأذونا له وههنا الشرطان مفقودان جميعا (أو لو كانوا) معناه أيشفعون ولو كانوا (لا يملكون شيأ ولا يعقلون) أى ولو كانوا على هذه الصفة لا يملكون شيأ قط حتى يملكوا الشفاعة ولا عقل لهم (له ملك السموات والارض) تقرير لقوله تعالى لله الشفاعة جميعا لانه اذا كان له الملك كله والشفاعة من الملك كان مالكا لها (فان قلت) بم يتصل قوله (ثم اليه ترجعون) (قلت) بما يليه معناه له ملك السموات والارض اليوم ثم اليه ترجعون يوم القيامة فلا يكون الملك فى ذلك اليوم الا له فله ملك الدنيا والآخرة * مدار المعنى على قوله وحده أى اذا أفرد الله بالذكر ولم يذكر معه آلهتهم اشمأزوا أى نفروا وانقبضوا (واذا ذكر الذين من دونه) وهم آلهتهم ذكر الله معهم أو لم يذكر استبشروا لافتتانهم بها ونسيانهم حق الله الى هواهم فيها وقيل اذا قيل لا اله الا الله وحده لا شريك له نفروا لان فيه نفيا لآلهتهم وقيل أراد استبشارهم بما سبق اليه لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكر آلهتهم حين قرأ والنجم عند باب الكعبة فسجدوا معه لفرحهم ولقد تقابل الاستبشار والاشمئزاز اذ كل واحد منهما غاية فى بابه لان الاستبشار أن يمتلئ قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه ويتهلل والاشمئزاز أن يمتلئ غما وغيظا حتى يظهر الانقباض فى أديم وجهه (فان قلت) ما العامل فى اذا ذكر (قلت) العامل فى اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجأوا وقت الاستبشار * بعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم وبشدة شكيمتهم فى الكفر والعناد فقيل له ادع الله بأسمائه العظمى وقل أنت وحدك تقدر على الحكم بينى وبينهم ولا حيلة لغيرك فيهم وفيه وصف لحالهم واعذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له ووعيد لهم وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام أنه أخبر بقتل الحسين رضى الله عنه وسخط على قاتله وقالوا الآن يتكلم فما زاد على أن قال آه أوقد فعلوا وقرأ هذه الآية وروى أنه قال على أثره قتل من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلسه فى حجره ويضع فاه على فيه (وبدا لهم من الله) وعيد لهم لا كنه لفظاعته وشدته وهو نظير قوله تعالى فى الوعد فلا تعلم نفس ما أخفى لهم والمعنى وظهر لهم من سخط الله وعذابه ما لم يكن قط فى حسابهم ولم يحدثوا به نفوسهم وقيل عملوا أعمالا حسبوها حسنات فاذا هى سيآت وعن سفيان الثورى أنه قرأها فقال ويل لاهل الرياء ويل لاهل الرياء وجزع محمد بن المنكدر عند موته فقيل له فقال أخشى آية من كتاب الله وتلاها فأنا أخشى أن يبدو لى من الله ما لم أحتسبه (وبدا لهم سيآت ما كسبوا) أى سيآت أعمالهم التى كسبوها أو سيآت كسبهم حين تعرض صحائفهم وكانت خافية عليهم كقوله تعالى أحصاه الله ونسوه أو أراد بالسيآت أنواع العذاب التى يجازون بها على ما كسبوا فسماها سيآت كما قال وجزاء سيئة سيئة مثلها (وحاق بهم) ونزل بهم وأحاط جزاء هزئهم * التخويل مختص بالتفضل يقال خولنى اذا أعطاك على غير جزاء (على علم) أى على علم منى أنى سأعطاه لما فى من فضل واستحقاق أو على علم من الله بى وباستحقاقى أو على علم منى بوجوه الكسب كما قال قارون على علم عندى (فان قلت) لم ذكر الضمير فى أوتيته وهو للنعمة (قلت) ذهابا به الى المعنى لان قوله نعمة منا شيأ من النعم وقسما منها ويحتمل أن تكون ما فى انما موصولة لا كافة فيرجع اليها الضمير على معنى ان الذى أوتيته على علم (بل هى فتنة) انكار لقوله كأنه قال ما خولناك ما خولناك من النعمة لما تقول بل هى فتنة أى ابتلاء وامتحان لك أتشكر أم تكفر (فان قلت) كيف ذكر الضمير ثم أنثه (قلت) حملا على المعنى أولا وعلى اللفظ آخرا ولان الخبر لما كان مؤنثا أعنى فتنة ساغ تأنيث المبتدا لاجله لانه فى معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقرئ بل هو فتنة على وفق انما أوتيته (فان قلت) ما السبب فى عطف هذه الآية

قل لله الشفاعة جميعا له ملك السموات والارض ثم اليه ترجعون واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون قل اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ولو أن للذين ظلموا ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيآت ما كسبوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فاذا مس الانسان ضر دعانا ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم

* قوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما أوتيته على علم بل هى فتنة (قال فيه معناه على علم من الله بى وباستحقاقى الخ) قال أحمد كذلك يقول على قدرى تمنى على الله أن يثيبه فى الآخرة أن الفرق بين حمد الدنيا وحمد الآخرة أن حمد الدنيا واجب على العبد لانه على نعمة متفضل بها وحمد الآخرة ليس بواجب عليه لانه على نعمة واجبة على الله عز وجل ولقد صدق الله اذ يقول وهى فتنة انما سلم منها أهل السنة اذ يعتقدون أن الثواب بفضل الله ورحمته لا باستحقاق ويتبعون فى ذلك قول سيد البشر صلى الله عليه وسلم لا يدخل أحد الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى برحمته فما أحمق من منى نفسه وركب رأسه وطمع أنه يستحق على الله الجنة (قال فان قلت لم عطفت هذه الآية على التى قبلها بالفاء والآية التى قبلها فى أول السورة بالواو وأجاب بأن هذه الآية مسببة عن قوله واذا ذكر الله الخ) قال أحمد كلام جليل فافهمه فضلا عن مشبه قليل

بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو (قلت) السبب فى ذلك أن هذه وقعت مسببة عن قوله واذا ذكر الله وحده اشمأزت على معنى أنهم يشمئزون عن ذكر الله ويستبشرون بذكر الآلهة فاذا مس أحدهم ضر دعا من اشمأز من ذكره دون من استبشر بذكره وما بينهما من الآى اعتراض (فان قلت) حق الاعتراض أن يؤكد المعترض بينه وبينه (قلت) ما فى الاعتراض من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بأمر منه وقوله أنت تحكم بينهم ثم ما عقبه من الوعيد العظيم تأكيد لانكار اشمئزازهم واستبشارهم ورجوعهم الى الله فى الشدائد دون آلهتهم كأنه قيل قل يارب لا يحكم بينى وبين هؤلاء الذين يجترؤن عليك مثل هذه الجراءة ويرتكبون مثل هذا المنكر الا أنت وقوله ولو أن للذين ظلموا متناول لهم ولكل ظالم ان جعل مطلقا أو اياهم خاصة ان عنيتهم به كأنه قيل ولو أن لهؤلاء الظالمين ما فى الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به حين أحكم عليهم بسوء العذاب وهذه الاسرار والنكت لا يبرزها الا علم النظم والا بقيت محتجبة فى أكمامها وأما الآية الاولى فلم تقع مسببة وما هى الا جملة ناسبت جملة قبلها فعطفت عليها بالواو كقولك قام زيد وقعد عمرو (فان قلت) من أى وجه وقعت مسببة والاشمئزاز عن ذكر الله ليس بمقتض لالتجائهم اليه بل هو مقتض لصدوفهم عنه (قلت) فى هذا التسبيب لطف وبيانه أنك تقول زيد مؤمن بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فهذا تسبيب ظاهر لا لبس فيه ثم تقول زيد كافر بالله فاذا مسه ضر التجأ اليه فتجىء بالفاء مجيئك به ثمة كأن الكافر حين التجأ الى الله التجاء المؤمن اليه مقيم كفره مقام الايمان ومجر به مجراه فى جعله سببا فى الالتجاء فأنت تحكى ما عكس فيه الكافر ألا ترى أنك تقصد بهذا الكلام الانكار والتعجب من فعله * الضمير فى (قالها) راجع الى قوله انما أوتيته على علم لانها كلمة أو جملة من القول * وقرئ قد قاله على معنى القول والكلام وذلك والذين من قبلهم هم قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندى وقومه راضون بها فكأنهم قالوها ويجوز أن يكون فى الامم الخالية آخرون قائلون مثلها (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من متاع الدنيا ويجمعون منه (من هؤلاء) من مشركى قومك (سيصيبهم) مثل ما أصاب أولئك فقتل صناديدهم ببدر وحبس عنهم الرزق فقحطوا سبع سنين ثم بسط لهم فمطروا سبع سنين فقيل لهم (أولم يعلموا) أنه لا قابض ولا باسط الا الله عز وجل (أسرفوا على أنفسهم) جنوا عليها بالاسراف فى المعاصى والغلو فيها (لا تقنطوا) قرئ بفتح النون وكسرها وضمها (ان الله يغفر الذنوب جميعا) يعنى بشرط التوبة وقد تكرر ذكر هذا الشرط فى القرآن فكان ذكره فيما ذكر فيه ذكرا له فيما لم يذكر فيه لان القرآن فى حكم كلام واحد ولا يجوز فيه التناقض وفى قراءة ابن عباس وابن مسعود يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء والمراد بمن يشاء من تاب لان مشيئة الله تابعة لحكمته وعدله لا لملكه وجبروته وقيل فى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وفاطمة رضى الله عنها يغفر الذنوب جميعا ولا يبالى ونظير نفى المبالاة نفى الخوف فى قوله تعالى ولا يخاف عقباها وقيل قال أهل مكة يزعم محمد أن من عبد الاوثان وقتل النفس التى حرم الله لم يغفر له فكيف ولم نهاجر وقد عبدنا الاوثان وقتلنا النفس التى حرم الله فنزلت وروى أنه أسلم عياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد ونفر معهما ثم فتنوا وعذبوا فافتتنوا فكنا نقول لا يقبل الله لهم صرفا ولا عدلا أبدا فنزلت فكتب بها عمر رضى الله عنه اليهم فأسلموا وهاجروا وقيل نزلت فى وحشى قاتل حمزة رضى الله عنه وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه الآية فقال رجل يارسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ألا ومن أشرك ثلاث مرات (وأنيبوا الى ربكم) وتوبوا اليه (وأسلموا له) وأخلصوا له العمل وانما ذكر الانابة على اثر المغفرة لئلا يطمع طامع فى حصولها بغير توبة وللدلالة على أنها شرط فيها لازم لا تحصل بدونه (واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم) مثل قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه (وأنتم لا تشعرون) أى يفجؤكم وأنتم غافلون كأنكم لا تخشون شيأ لفرط غفلتكم وسهوكم (أن تقول نفس) كراهة أن تقول (فان قلت) لم نكرت (قلت) لان المراد بها بعض الانفس وهى نفس الكافر ويجوز أن يراد نفس متميزة من الانفس اما بلجاج فى الكفر شديد أو بعذاب عظيم ويجوز أن يراد التكثير كما قال الاعشى

بل هى فتنة ولكن أكثرهم لا يعلمون قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فأصابهم سيآت ما كسبوا والذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيآت ما كسبوا وما هم بمعجزين أولم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس ياحسرتا

* قوله تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة (قال فيه يعنى الذين وصفوه تعالى بما لا يجوز عليه وهو متعال عنه الخ) قال أحمد قد عدا طور التفسير لمرض فى قلبه لا دواء له الا التوفيق الذى حرمه ولا يعافيه منه الا الذى قدر عليه هذا الضلال وحتمه وسنقيم عليه حد الرد لانه قد أبدى صفحته ولولا شرط الكتاب لاضربنا عنه صفحا ولوينا عن الالتفات اليه كشحا وبالله التوفيق فنقول أما تعريضه بان أهل السنة يعتقدون أن القبائح من فعل الله تعالى فيرجمه باعتقادهم المشار اليه قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة الله خالق كل شئ وهو على كل شئ وكيل أما الزمخشرى واخوانه القدرية فيغبرون فى وجه هذه الآية ويقولون ليس خالق كل شئ لان القبائح أشياء وليست مخلوقة له فاعتقدوا أنهم نزهوا وانما أشركوا * وأما تعريضه لهم فى أنهم يجوزون أن يخلق خلق لا لغرض فذلك لان أفعاله تعالى لا تعلل لانه الفعال لما يشاء وعند القدرية ليس فعالا لما يشاء لان الفعل اما منطو على حكمة ومصلحة فيجب عليه أن يفعله عندهم واما عار عنها فيجب عليه أن لا يفعله فأين أثر المشيئة اذا * وأما اعتقاده أن فى تكليف ما لا يطاق

ورب بقيع لو هتفت بجوه ... أتانى كريم ينفض الرأس مغضبا

وهو يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا ونظيره رب بلد قطعت ورب بطل قارعت وقد اختلس الطعنة ولا يقصد الا التكثير * وقرئ ياحسرتى على الاصل وياحسرتاى على الجمع بين العوض والمعوض منه * والجنب الجانب يقال أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ثم قالوا فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه قال سابق البربرى

أما تتقين الله فى جنب وامق ... له كبد حرى عليك تقطع

وهذا من باب الكناية لانك اذا أثبت الامر فى مكان الرجل وحيزه فقد أثبته فيه ألا ترى الى قوله

ان السماحة والمروءة والندى ... فى قبة ضربت على ابن الحشرج

ومنه قول الناس لمكانك فعلت كذا يريدون لاجلك وفى الحديث من الشرك الخفى أن يصلى الرجل لمكان الرجل وكذلك فعلت هذا من جهتك فمن حيث لم يبق فرق فيما يرجع الى أداء الغرض بين ذكر المكان وتركه قيل (فرطت فى جنب الله) على معنى فرطت فى ذات الله (فان قلت) فمرجع كلامك الى أن ذكر الجنب كلا ذكر سوى ما يعطى من حسن الكناية وبلاغتها فكأنه قيل فرطت فى الله فما معنى فرطت فى الله (قلت) لا بد من تقدير مضاف محذوف سواء ذكر الجنب أو لم يذكر والمعنى فرطت فى طاعة الله وعبادة الله وما أشبه ذلك وفى حرف عبد الله وحفصة فى ذكر الله * وما فى ما فرطت مصدرية مثلها فى بما رحبت (وان كنت لمن الساخرين) قال قتادة لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها ومحل وان كنت النصب على الحال كأنه قال فرطت وأنا ساخر أى فرطت فى حال سخريتى وروى أنه كان فى بنى اسرائيل عالم ترك علمه وفسق وأتاه ابليس وقال له تمتع من الدنيا ثم تب فأطاعه وكان له مال فأنفقه فى الفجور فأتاه ملك الموت فى ألذ ما كان فقال ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله ذهب عمرى فى طاعة الشيطان وأسخطت ربى فندم حين لم ينفعه الندم فأنزل الله خبره فى القرآن (لو أن الله هدانى) لا يخلو اما أن يريد به الهداية بالالجاء أو بالالطاف أو بالوحى فالالجاء خارج عن الحكمة ولم يكن من أهل الالطاف فيلطف به وأما الوحى فقد كان ولكنه أعرض ولم يتبعه حتى يهتدى وانما يقول هذا تحيرا فى أمره وتعللا بما لا يجدى عليه كما حكى عنهم التعلل باغواء الرؤساء والشياطين ونحو ذلك ونحوه لو هدانا الله لهديناكم وقوله (بلى قد جاءتك آياتى) رد من الله عليه معناه بلى قد هديت بالوحى فكذبت به واستكبرت عن قبوله وآثرت الكفر على الايمان والضلالة على الهدى * وقرئ بكسر التاء على مخاطبة النفس (فان قلت) هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هدانى ولم يفصل بينهما بآية (قلت) لانه لا يخلو اما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيفرق بينهن واما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الاول لما فيه من تبتير النظم بالجمع بين القرائن وأما الثانى فلما فيه من نقض الترتيب وهو التحسر على التفريط فى الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم تمنى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب (فان قلت) كيف صح أن تقع بلى جوابا لغير منفى (قلت) لو أن الله هدانى فيه معنى ما هديت (كذبوا على الله) وصفوه بما لا يجوز عليه تعالى وهو متعال عنه فأضافوا اليه الولد والشريك وقالوا هؤلاء شفعاؤنا وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم وقالوا والله أمرنا بها ولا يبعد عنهم قوم يسفهونه بفعل القبائح وتجويز أن يخلق خلقا لا لغرض ويؤلم لا لعوض ويظلمونه بتكليف ما لا يطاق ويجسمونه بكونه مرئيا معاينا مدركا بالحاسة ويثبتون له يدا وقدما وجنبا متسترين بالبلكفة ويجعلون له أندادا باثباتهم معه قدماء (وجوههم مسودة)

على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين وينجى الله الذين اتقوا

تظلمالله تعالى فاعتقاد باطل لان ذلك انما ثبت لازما لاعتقادهم أن الله تعالى خالق أفعال عبده فالتكليف بها تكليف بما ليس مختارا لهم والقاعدة الاولى حق ولازم الحق حق ولا معنى للظلم الا التصرف فى ملك الغير بغير اذنه والعباد ملك الله تعالى فكيف يتصور حقيقة الظلم منه تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا * وأما تعريضه بانهم يجوزون أن يؤلم لا للعوض فيقال له ما قولك أيها الظنين فى ايلام البهائم والاطفال ولا أعواض لها وليس مرتبا على استحقاق سابق خلافا فالقدرية اذ يقولون لابد فى الالم من استحقاق سابق أو عوض * وأما اعتقاده أن تجويز رؤية الله تعالى يستلزم اعتقاد الجسمية فانه اغترار فى اعتقاده بادلة العقل المجوزة لذلك مع البراءة من اعتقاد الجسمية ولم يشعر أنه يقابل بهذا يته قول نبى الهدى عليه الصلاة والسلام انكم سترون ربكم كالقمر ليلة البدر لا تضامون فى رؤيته فهذا النص الذى ينبو عن التأويل (٣٢) ولا يردع المتمسك به شىء من التهويل وأما قوله انهم يتسترون بالبلكفة فيعنى به قولهم بلا كيف أجل انها الستر لا تهتكه يد الباطل البتراء ولا تبعده عن الهدى عين الضلال العوراء وأما تعريضه بانهم يجعلون لله أندادا باثباتهم معه قدماء فنفى لاثباتهم صفات الكمال كلا

جملة فى موضع الحال ان كان ترى من رؤية البصر ومفعول ثان ان كان من رؤية القلب * قرئ ينجى وينجى (بمفازتهم) بفلاحهم يقال فاز بكذا اذا أفلح به وظفر بمراده منه وتفسير المفازة قوله (لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون) كأنه قيل ما مفازتهم فقيل لا يمسهم السوء أى ينجيهم بنفى السوء والحزن عنهم أو بسبب منجاتهم من قوله تعالى فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب أى بمنجاة منه لان النجاة من أعظم الفلاح وسبب منجاتهم العمل الصالح ولهذا فسر ابن عباس رضى الله عنهما المفازة بالاعمال الحسنة ويجوز بسبب فلاحهم لان العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه مفازة لانه سببها وقرئ بمفازاتهم على أن لكل متق مفازة (فان قلت) لا يمسهم ما محله من الاعراب على التفسيرين (قلت) أما على التفسير الاول فلا محل له لانه كلام مستأنف وأما على الثانى فمحله النصب على الحال (له مقاليد السموات والارض) أى هو مالك أمرها وحافظها وهو من باب الكناية لان حافظ الخزائن ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان ألقيت اليه مقاليد الملك وهى المفاتيح ولا واحد لها من لفظها وقيل مقليد ويقال اقليد وأقاليد والكلمة أصلها فارسية (فان قلت) ما للكتاب العربى المبين وللفارسية (قلت) التعريب أحالها عربية كما أخرج الاستعمال المهمل من كونه مهملا (فان قلت) بم اتصل قوله (والذين كفروا) (قلت) بقوله وينجى الله الذين اتقوا أى ينجى الله المتقين بمفازتهم والذين كفروا هم الخاسرون واعترض بينهما بأنه خالق الاشياء كلها وهو مهيمن عليها فلا يخفى عليه شىء من أعمال المكلفين فيها وما يستحقون عليها من الجزاء وقد جعل متصلا بما يليه على أن كل شىء فى السموات والارض فالله خالقه وفاتح بابه والذين كفروا وجحدوا أن يكون الامر كذلك أولئك هم الخاسرون وقيل سأل عثمان رضى الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات والارض فقال يا عثمان ما سألنى عنها أحد قبلك تفسيرها لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيى ويميت وهو على كل شىء قدير وتأويله على هذا ان لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد وهى مفاتيح خير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه والذين كفروا بآيات الله وكلمات توحيده وتمجيده أولئك هم الخاسرون (أفغير الله) منصوب بأعبد و(تأمرونى) اعتراض ومعناه أفغير الله أعبد بأمركم وذلك حين قال له المشركون استلم بعض آلهتنا ونؤمن بالهك أو ينصب بما يدل عليه جملة قوله تأمرونى أعبد لانه فى معنى تعبدوننى وتقولون لى اعبد والاصل تأمروننى أن أعبد فحذف أن ورفع الفعل كما فى قوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * ألا ترى أنك تقول أفغير الله تقولون لى اعبده وأفغير الله تقولون لى اعبد فكذلك أفغير الله تأمروننى أن أعبده

عمازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون الله خالق كل شىء وهو على كل شىء وكيل له مقاليد السموات والارض والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك

والله انما جعل لله أندادا القدرية اذ جعلوا أنفسهم يخلقون ما يريدون ويشتهون على خلاف مراد ربهم حتى قالوا ان ما شاؤه كان وما شاء الله لا يكون وأما أهل السنة فلم يزيدوا على أن اعتقدوا أن لله تعالى علما وقدرة وارادة وسمعا وبصرا وكلاما وحياة حسبما دل عليه العقل وورد به الشرع وأى مخلص للقدرى اذا سمع قوله تعالى وسع ربنا كل شىء علما الا اعتقاد أن الله تعالى علما أو جحد آيات الله واطفاء نوره ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * وأما قوله انهم يثبتون لله تعالى يدا وقدما ووجها فذلك فرية ما فيها مرية ولم يقل بذلك أحد من أهل السنة وانما أثبت القاضى أبو بكر صفات سمعية وردت فى القرآن اليدان والعينان والوجه ولم يتجاوز فى اثباتها ما وردت عليه فى كتاب الله العزيز على أن غيره من أهل السنة حمل اليدين على القدرة والنعمة والوجه على الذات وقد مر ذلك فى مواضع من الكتاب فقد اتصف فى هذه المباحثة بحال من بحث بظلفه عن حتفه وتعريضه معتقده الفاسد لهتك ستره وكشفه وانما حلنى على اغلاظ مخاطبته الغضب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وأهل سنته فانه قد أساء عليهم الادب ونسبهم بكذبه الى الكذب والله الموعد وأفغير

* قوله تعالى بل الله فاعبد (قال فيه أصل الكلام ان كنت عابدا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه اهـ كلامه) قلت مقتضى كلام سيبويه فى أمثال هذه الآية أن الاصل فيه فاعبد الله ثم حذفوا الفعل الاول اختصارا فلما وقعت الفاء أولا استنكروا الابتداء بها ومن شأنها التوسط بين المعطوف والمعطوف عليه فقدموا المفعول وصارت متوسطة لفظا ودالة على أن ثم محذوفا اقتضى وجودها ولتعطف عليه ما بعدها وينضاف الى هذه الغاية فى التقديم فائدة الحصر كما تقدم (٣٣) من اشعار التقديم بالاختصاص

وأفغير الله تأمرونى أن أعبد والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ أعبد بالنصب * وقرئ تأمروننى على الاصل وتأمرونى على ادغام النون أو حذفها * قرئ ليحبطن عملك وليحبطن على البناء للمفعول وليحبطن بالنون والياء أى ليحبطن الله أو الشرك * (فان قلت) الموحى اليهم جماعة فكيف قال (لئن أشركت) على التوحيد (قلت) معناه أوحى اليك لئن أشركت ليحبطن عملك والى الذين من قبلك مثله أو أوحى اليك والى كل واحد منهم لئن أشركت كما تقول كسانا حلة أى كل واحد منا (فان قلت) ما الفرق بين اللامين (قلت) الاولى موطئة للقسم المحذوف والثانية لام الجواب وهذا الجواب ساد مسد الجوابين أعنى جوابى القسم والشرط (فان قلت) كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسله لا يشركون ولا تحبط أعمالهم (قلت) هو على سبيل الفرض والمحالات يصح فرضها لاغراض فكيف بما ليس بمحال ألا ترى الى قوله ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا يعنى على سبيل الالجاء ولن يكون ذلك لامتناع الداعى اليه ووجود الصارف عنه * (فان قلت) ما معنى قوله ولتكونن من الخاسرين (قلت) يحتمل ولتكونن من الخاسرين بسبب حبوط العمل ويحتمل ولتكونن فى الآخرة من جملة الخاسرين الذين خسروا أنفسهم ان مت على الردة ويجوز أن يكون غضب الله على الرسول أشد فلا عمله بعد الردة ألا ترى الى قوله تعالى اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات (بل الله فاعبد) رد لما أمروه به من استلام بعض آلهتهم كأنه قال لا تعبد ما أمروك بعبادته بل ان كنت عاقلا فاعبد الله فحذف الشرط وجعل تقديم المفعول عوضا منه (وكن من الشاكرين) على ما أنعم به عليك من أن جعلك سيد ولد آدم وجوز الفراء نصبه بفعل مضمر هذا معطوف عليه تقديره بل الله اعبد فاعبد لما كان العظيم من الاشياء اذا عرفه الانسان حق معرفته وقدره فى نفسه حق تقديره عظمه حق تعظيمه قيل (وما قدروا الله حق قدره) وقرئ بالتشديد على معنى وما عظموه كنه تعظيمه * ثم نبههم على عظمته وجلالة شأنه على طريقة التخييل فقال (والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه) والغرض من هذا الكلام اذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم ما روى (١) أن جبريل جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع والثرى على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال ثم قرأ تصديقا له وما قدروا الله حق قدره الآية وانما ضحك أفصح العرب صلى الله عليه وسلم وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع ولا هز ولا شىء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شىء وآخره على الزبدة والخلاصة التى هى الدلالة على القدرة الباهرة وأن الافعال العظام التى تتحير فيها الافهام والاذهان ولا تكتنهها الاوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة فى مثل هذه الطريقة من التخييل ولا ترى بابا فى علم البيان أدق ولا أرق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع وأعون على تعاطى تأويل المشتبهات من كلام الله تعالى فى القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الانبياء فان أكثره وعليته تخييلات

* قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه (قال فيه) الغرض من هذا الكلام تصوير عظمته تعالى والتوقيف على كنه جلاله من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة أو جهة مجاز وكذلك حكم ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حبرا جاء اليه فقال يا أبا القاسم ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع والارضين على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع وسائر الخلق على اصبع ثم يهزهن فيقول أنا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعجب مما قال الحبر ثم قرأ هذه الآية تصديقا له وانما ضحك أفصح العرب لانه لم يفهم منه الا ما يفهمه علماء البيان من غير تصوير امساك ولا هز ولا شىء من ذلك ولكن فهمه وقع أول شىء وآخره على الزبدة والخلاصة التى هى الدلالة على القدرة الباهرة التى لا يوصل السامع الى الوقوف عليها الا اجراء العبارة على مثل هذه الطريقة من التخييل ثم قال وأكثر كلام الانبياء والكتب السماوية وعليتها تخييل قد زلت فيه الاقدام قديما اهـ كلامه (قلت) انما عنى بما أجراه ههنا من لفظ التخييل التمثيل وانما العبارة موهمة منكرة فى هذا المقام لا تليق به بوجه من الوجوه والله أعلم

لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه

(١) قوله أن جبريل هكذا فى عامة النسخ والصواب أن حبرا من أحبار اليهود كما فى البخارى ومسلم كتبه مصححه

سبحانه وتعالى عما يشركون ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فاذاهم قيام ينظرون وأشرقت الارض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون ووفيت كل نفس ماعملت وهو أعلم بمايفعلون وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا حتى اذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا

قدزلت فيها الاقدام قديما وما أتى الزالون الامن قلة عنايتهم بالبحث والتنقير حتى يعلموا أن فى عداد العلوم الدقيقة علما لوقدروه حق قدره لما خفى عليهم أن العلوم كلها مفتقرة اليه وعيال عليه اذلا يحل عقدها المؤربة ولا يفك قيودها المكربة الاهو وكم آية من آيات التنزيل وحديث من أحاديث الرسول قدضيم وسيم الخسف بالتأويلات الغثة والوجوه الرثة لان من تأول ليس من هذا العلم فى عير ولانفير ولايعرف قبيلا منه من دبير والمراد بالارض الارضون السبع يشهد لذلك شاهدان قوله جميعا وقوله والسموات ولان الموضع موضع تفخيم وتعظيم فهو مقتض للمبالغة ومع القصد الى الجمع وتأكيده بالجميع أتبع الجميع مؤكده قبل مجىء الخبر ليعلم أول الامر أن الخبر الذى يرد لايقع عن أرض واحدة ولكن عن الاراضى كلهن والقبضة المرة من القبض فقبضت قبضة من أثر الرسول والقبضة بالضم المقدار المقبوض بالكف ويقال أيضا أعطنى قبضة من كذا تريد معنى القبضة تسمية بالمصدر كما روى أنه نهى عن خطفة السبع وكلا المعنيين محتمل والمعنى والارضون جميعا قبضته أى ذوات قبضته يقبضهن قبضة واحدة يعنى أن الارضين مع عظمهن وبسطتهن لايبلغن الاقبضة واحدة من قبضاته كأنه يقبضها قبضة بكف واحدة كما تقول الجزور أكلة لقمان والقلة جرعته أى ذات أكلته وذات جرعته تريد أنهما لايفيان الابأكلة فذة من أكلاته وجرعة فردة من جرعاته واذا أريد معنى القبضة فظاهر لان المعنى ان الارضين بجملتها مقدار مايقبضه بكف واحدة (فان قلت) ماوجه قراءة من قرأ قبضته بالنصب (قلت) جعلها ظرفا مشبها للمؤقت بالمبهم * مطويات من الطى الذى هو ضد النشر كما قال تعالى يوم نطوى السماء كطى السجل للكتاب وعادة طاوى السجل أن يطويه بيمينه وقيل قبضته ملكه بلا مدافع ولا منازع وبيمينه بقدرته وقيل مطويات بيمينه مفنيات بقسمه لانه أقسم أن يفنيها ومن اشتم رائحة من علمنا هذا فليعرض عليه هذا التأويل ليتلهى بالتعجب منه ومن قائله ثم يبكى حمية لكلام الله المعجز بفصاحته ومامنى به من أمثاله وأثقل منه على الروح وأصدع للكبد تدوين العلماء قوله واستحسانهم له وحكايته على فروع المنابر واستجلاب الاهتزاز به من السامعين وقرئ مطويات على نظم السموات فى حكم الارض ودخولها تحت القبضة ونصب مطويات على الحال (سبحانه وتعالى) ماأبعد من هذه قدرته وعظمته وماأعلاه عمايضاف اليه من الشركاء * فان قلت (أخرى) مامحلها من الاعراب (قلت) يحتمل الرفع والنصب أما الرفع فعلى قوله فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وأما النصب فعلى قراءة من قرأ نفخة واحدة والمعنى ونفخ فى الصور نفخة واحدة ثم نفخ فيه أخرى وانما حذفت لدلالة أخرى عليها ولكونها معلومة بذكرها فى غير مكان وقرئ قياما ينظرون يقلبون أبصارهم فى الجهات نظر المبهوت اذا فاجأه خطب وقيل ينظرون ماذا يفعل بهم ويجوز أن يكون القيام بمعنى الوقوف والجمود فى مكان لتحيرهم * قداستعار الله عز وجل النور للحق والقرآن والبرهان فى مواضع من التنزيل وهذا من ذلك والمعنى (وأشرقت الارض) بمايقيمه فيها من الحق والعدل ويبسطه من القسط فى الحساب ووزن الحسنات والسيئات وينادى عليه بأنه مستعار اضافته الى اسمه لانه هو الحق العدل واضافة اسمه الى الارض لانه يزينها حيث ينشر فيها عدله وينصب فيها موازين قسطه ويحكم بالحق بين أهلها ولاترى أزين للبقاع من العدل ولاأعمر لها منه وفى هذه الاضافة أن ربها وخالقها هو الذى يعدل فيها وانما يجور فيها غير ربها ثم ماعطف على اشراق الارض من وضع الكتاب والمجىء بالنبيين والشهداء والقضاء بالحق وهو النور المذكور وترى الناس يقولون للملك العادل أشرقت الآفاق بعدلك وأضاءت الدنيا بقسطك كما تقول أظلمت البلاد بجور فلان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيامة وكما فتح الآية باثبات العدل ختمها بنفى الظلم وقرئ وأشرقت على البناء للمفعول من شرقت بالضوء تشرق اذا امتلأت به واغتصت وأشرقها الله كما تقول ملأ الارض عدلا وطبقها عدلا و (الكتاب) صحائف الاعمال ولكنه اكتفى باسم الجنس وقيل اللوح المحفوظ (والشهداء) الذين يشهدون للامم وعليهم من الحفظة والاخيار وقيل المستشهدون فى سبيل الله * الزمر الافواج المتفرقة بعضها فى اثر بعض وقد تزمروا قال * حتى احزألت زمر بعد زمر * وقيل فى زمر الذين اتقوا هى الطبقات المختلفة الشهداء والزهاد

قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا حتى اذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين

﴿سورة المؤمن مكية وهى خمس وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لااله الا هو اليه المصير مايجادل فى آيات الله الا الذين كفروا

والعلماء والقراء وغيرهم * وقرئ نذر منكم * (فان قلت) لم أضيف اليهم اليوم (قلت) أرادوا لقاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لايوم القيامة وقد جاء استعمال اليوم والايام مستفيضا فى أوقات الشدة (قالوا بلى) أتونا وتلوا علينا ولكن وجبت علينا كلمة الله لاملأن جهنم لسوء أعمالنا كما قالوا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين فذكروا عملهم الموجب لكلمة العذاب وهو الكفر والضلال * اللام فى المتكبرين للجنس لان (مثوى المتكبرين) فاعل بئس وبئس فاعلها اسم معرف بلام الجنس أو مضاف الى مثله والمخصوص بالذم محذوف تقديره فبئس مثوى المتكبرين جهنم (حتى) هى التى تحكى بعدها الجمل والجملة المحكية بعدها هى الشرطية الا أن جزاءها محذوف وانما حذف لانه فى صفة ثواب أهل الجنة فدل بحذفه على أنه شئ لايحيط به الوصف وحق موقعه مابعد خالدين وقيل حتى اذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها أى مع فتح أبوابها وقيل أبواب جهنم لاتفتح الاعند دخول أهلها فيها وأما أبواب الجنة فمتقدم فتحها بدليل قوله جنات عدن مفتحة لهم الابواب فلذلك جئ بالواو كأنه قيل حتى اذا جاؤها وقد فتحت أبوابها (فان قلت) كيف عبر عن الذهاب بالفريقين جميعا بلفظ السوق (قلت) المراد بسوق أهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لانه لايذهب بهم الاراكبين وحثها اسراعا بهم الى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك فشتان مابين السوقين (طبتم) من دنس المعاصى وطهرتم من خبث الخطايا (فادخلوها) جعل دخول الجنة مسببا عن الطيب والطهارة فماهى الادار الطيبين ومثوى الطاهرين لانها دار طهرها الله من كل دنس وطيبها من كل قذر فلايدخلها الامناسب لها موصوف بصفتها فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة وما أضعف سعينا فى اكتساب تلك الصفة الا أن يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا تنقى أنفسنا من درن الذنوب وتميط وضر هذه القلوب (خالدين) مقدرين الخلود (الارض) عبارة عن المكان الذى أقاموا فيه واتخذوه مقرا ومتبوأ وقد أورثوها أى ملكوها وجعلوا ملوكها وأطلق تصرفهم فيها كما يشاؤن تشبيها بحال الوارث وتصرفه فيما يرثه واتساعه فيه وذهابه فى انفاقه طولا وعرضا * (فان قلت) مامعنى قوله (حيث نشاء) وهل يتبوأ أحدهم مكان غيره (قلت) يكون لكل واحد منهم جنة لاتوصف سعة وزيادة على الحاجة فيتبوأ من جنته حيث يشاء ولايحتاج الى جنة غيره (حافين) محدقين من حوله (يسبحون بحمد ربهم) يقولون سبحان الله والحمد لله متلذذين لامتعبدين * (فان قلت) الام يرجع الضمير فى قوله (بينهم) قلت يجوز أن يرجع الى العباد كلهم وان ادخال بعضهم النار وبعضهم الجنة لايكون الاقضاء بينهم بالحق والعدل وأن يرجع الى الملائكة على أن ثوابهم وان كانوا معصومين جميعا لايكون على سنن واحد ولكن يفاضل بين مراتبهم على حسب تفاضلهم فى أعمالهم فهو القضاء بينهم بالحق * (فان قلت) قوله (وقيل الحمد لله) من القائل ذلك (قلت) المقضى بينهم اما جميع العباد واما الملائكة كأنه قيل وقضى بينهم بالحق وقالوا الحمد لله على قضائه بيننا بالحق وانزال كل منا منزلته التى هى حقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاءه يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين الذين خافوا وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر

﴿سورة المؤمن مكية قال الحسن الاقوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل فى الحواميم كلها انها مكيات عن ابن عباس وابن الحنفية وهى خمس وثمانون آية وقيل ثنتان وثمانون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قرئ باماله ألف حا وتفخيمها وبتسكين الميم وفتحها ووجه الفتح التحريك لالتقاء الساكنين وايثار أخف الحركات نحو أين وكيف أو النصب باضمار اقرأ ومنع الصرف للتأنيث والتعريف أو للتعريف وانها على زنة أعجمى نحو قابيل وهابيل * التوب والثوب والاوب أخوات فى معنى الرجوع * والطول الفضل والزيادة

﴿القول في سورة غافر﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب الآية (قال فيه) فان قلت لم اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضى أن يكون مثله معارف وأجاب بان غافر الذنب وقابل التوب معرفان لانهما صفتان لازمتان وليستا لحدوث الفعل حتى يكونا حالا أو استقبالا بل اضافتهما حقيقية وأما شديد العقاب فلا شك في أن اضافته غير حقيقية يريد لانه من الصفات المشبهة ولا تكون اضافتها محضة أبدا * عاد كلامه (قال) وجعله الزجاج بدلا وحده وانفراد البدل من بين الصفات فيه نبو ظاهر والوجه أن يقال ان جميعها أبدال غير أوصاف لوقوع هذه النكرة التي لا يصح ان تكون صفة كما جاءت قصيدة تفاعيلها كلها على مستفعلن قضى عليها بأنها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل (قلت) وهذا لان دخول مستفعلن في الكامل ممكن لان متفاعلن يصير بالاضمار الى مستفعلن وليس وقوع متفاعلن في الرجز ممكنا اذ لا يصير اليه مستفعلن البتة فما يفضى الى الجمع بينهما فانه يتعين وهذا كما يقضى الفقهاء بالخاص على العام لانه الطريق في الجمع بين الدليلين وأجاز فيه وجها آخر وهو أن تكون كلها صفات معارف ويكون شديد العقاب محذوف الالف ليجانس ماقبله وذلك مثل قولهم ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ماهو وتر لاجل ماهو شفع على ان الخليل قد قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل كذا انه على نية الالف واللام كما جاء الجماء الغفير على نية حذف الالف واللام مضافا الى ماسهل ذلك وهو عدم اللبس وأمن الجهالة * وأجاز وجها آخر وهو أن يكون صفة قصد تنكيرها لما في الابهام من الدلالة على فرط الشدة * قال ولعل هذه النكتة هى الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال * قال فان قلت فما بال الواو في قوله وقابل التوب وأجاب بأن فيها نكتة جليلة وهى افادة الجمع بين رحمتى مغفرة الذنب وقبول التوب * وقوله تعالى ما يجادل في آيات الله الآية (قال) الجدال المذموم هو الجدال بالباطل لادحاض الحق وقصد اطفاء نور الله وقد دل على ذلك قوله تعالى وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وأما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة العلماء في استنباط معانيها ورد أهل الزيغ عنها فاعظم جهاد في سبيل الله تعالى وعلى هذا يحمل قوله عليه الصلاة والسلام ان جدالا في القرآن كفر ولهذا أورده منكرا للتمييز بين جدال وجدال

يقال لفلان على فلان طول والافضال يقال طال عليه وتطول اذا تفضل * (فان قلت) كيف اختلفت هذه الصفات تعريفا وتنكيرا والموصوف معرفة يقتضى أن يكون مثله معارف (قلت) أما غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان لانه لم يرد بهما حدوث الفعلين وأنه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن أو غدا حتى يكونا في تقدير الانفصال فتكون اضافتهما غير حقيقية وانما أريد ثبوت ذلك ودوامه فكان حكمهما حكم اله الخلق ورب العرش وأما شديد العقاب فامره مشكل لانه في تقدير شديد عقابه لا ينفك من هذا التقدير وقد جعله الزجاج بدلا وفي كونه بدلا وحده بين الصفات نبو ظاهر والوجه أن يقال لما صودف بين هؤلاء المعارف هذه النكرة الواحدة فقد آذنت بأن كلها أبدال غير أوصاف ومثال ذلك قصيدة جاءت تفاعيلها كلها على مستفعلن فهى محكوم عليها بأنها من بحر الرجز فان وقع فيها جزء واحد على متفاعلن كانت من الكامل ولقائل أن يقول هى صفات وانما حذف الالف واللام من شديد العقاب ليزاوج ماقبله ومابعده لفظا فقد غيروا كثيرا من كلامهم عن قوانينه لاجل الازدواج حتى قالوا ما يعرف سحادليه من عنادليه فثنوا ماهو وتر لاجل ماهو شفع على أن الخليل قال في قولهم ما يحسن بالرجل مثلك أن يفعل ذلك وما يحسن بالرجل خير منك أن يفعل انه على نية الالف واللام كما كان الجماء الغفير على نية طرح الالف واللام ومما سهل ذلك الامن من اللبس وجهالة الموصوف ويجوز أن يقال قد تعمد تنكيره وابهامه للدلالة على فرط الشدة وعلى ما لا شئ أدهى منه وأمر لزيادة الانذار ويجوز أن يقال هذه النكتة هى الداعية الى اختيار البدل على الوصف اذا سلكت طريقة الابدال (فان قلت) ما بال الواو في قوله وقابل التوب (قلت) فيها نكتة جليلة وهى افادة الجمع للمذنب التائب بين رحمتين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاءة للذنوب كأن لم يذنب كأنه قال جامع المغفرة والقبول وروى أن عمر رضى الله عنه افتقد رجلا ذا بأس شديد من أهل الشام فقيل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر لكاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وأنا أحمد اليك الله الذى لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى تجده صاحيا ثم أمر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرؤها ويقول قد وعدنى الله أن يغفر لى وحذرنى عقابه فلم يبرح يرددها حتى بكى ثم نزع فأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر أمره قال هكذا فاصنعوا اذا رأيتم أخاكم قد زل زلة فسددوه ووقفوه وادعوا الله ان يتوب عليه ولا تكونوا أعوانا للشياطين عليه * سجل على المجادلين في آيات الله بالكفر والمراد الجدال بالباطل من الطعن فيها والقصد الى ادحاض الحق واطفاء نور الله وقد دل على ذلك في قوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأما الجدال فيها لايضاح ملتبسها وحل مشكلها ومقادحة أهل العلم في استنباط معانيها ورد أهل

* قوله تعالى يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا الآية (قال فيه) ان قلت ما فائدة قوله ويؤمنون به ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة مؤمنون بالله تعالى وأجاب بان فائدته اظهار شرف الايمان كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب افعال البر بقوله ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الايمان وفائدة أخرى وهى التنبيه على ان الامر لو كان كما يقول المجسمون لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين ولما وصفوا بالايمان لانه

فلا يغررك تقلبهم في البلاد كذبت قبلهم قوم نوح والاحزاب من بعدهم وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا انهم أصحاب النار الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا

انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء علم أن ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وانه لا طريق الى معرفته الا هذا * قال وفيه تنبيه على ان الاشتراك في وصف الايمان يجب أن يكون أدعى شئ الى النصيحة وأبعث شئ على امحاض الشفقة وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وبشر ومع ذلك لما اشتركا في صفة الايمان نزل ذلك منزلة الاشتراك الحقيقى والتناسب الجنسى حتى استغفر من حول العرش لمن فوق

الزيغ بها وعنها فاعظم جهاد في سبيل الله وقوله صلى الله عليه وسلم ان جدالا في القرآن كفر وايراده منكرا وأن لم يقل ان الجدال تمييز منه بين جدال وجدال (فان قلت) من أين تسبب لقوله (فلا يغررك) ماقبله (قلت) من حيث انهم لما كانوا مشهودا عليهم من قبل الله بالكفر والكافر لا أحد أشقى منه عند الله وجب على من تحقق ذلك أن لا ترجح أحوالهم في عينه ولا يغره اقبالهم في دنياهم وتقلبهم في البلاد بالتجارات النافقة والمكاسب المربحة وكانت قريش كذلك يتقلبون في بلاد الشأم واليمن ولهم الاموال يتجرون فيها ويربحون فان مصير ذلك وعاقبته الى الزوال ووراءه شقاوة الابد * ثم ضرب لتكذيبهم وعداوتهم للرسل وجدالهم بالباطل وما ادخر لهم من سوء العاقبة مثلا ما كان من نحو ذلك من الامم وما أخذهم به من عقابه وأحله بساحتهم من انتقامه * وقرئ فلا يغرك (الاحزاب) الذين تحزبوا على الرسل وناصبوهم وهم عاد وثمود وفرعون وغيرهم (وهمت كل أمة) من هذه الامم التى هى قوم نوح والاحزاب (برسولهم) وقرئ برسولها (ليأخذوه) ليتمكنوا منه ومن الايقاع به واصابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل ويقال للاسير أخيذ (فأخذتهم) يعنى أنهم قصدوا أخذه فجعلت جزاءهم على ارادة أخذه أن أخذتهم (فكيف كان عقاب) فانكم تمرون على بلادهم ومساكنهم فتعاينون أثر ذلك وهذا تقرير فيه معنى التعجيب (أنهم أصحاب النار) في محل الرفع بدل من كلمة ربك أى مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناه كما وجب اهلاكهم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلاكهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل النصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل * والذين كفروا قريش ومعناه كما وجب اهلاك أولئك الامم كذلك وجب اهلاك هؤلاء لان علة واحدة تجمعهم أنهم من أصحاب النار * وقرئ كلمات * روى أن حملة العرش أرجلهم في الارض السفلى ورؤسهم قد خرقت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تتفكروا في عظم ربكم ولكن تفكروا فيما خلق الله من الملائكة فان خلقا من الملائكة يقال له اسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الارض السفلى وقد مرق رأسه من سبع سموات وانه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كأنه الوصع وفي الحديث ان الله تعالى أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلا لهم على سائر الملائكة وقيل خلق الله العرش من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الايمان على الشمائل ما منهم أحد الا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر * وقرأ ابن عباس العرش بضم العين (فان قلت) ما فائدة قوله (ويؤمنون به) ولا يخفى على أحد أن حملة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون بحمد ربهم مؤمنون (قلت) فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف الانبياء في غير موضع من كتابه بالصلاح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله تعالى ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الايمان وفائدة أخرى وهى التنبيه على أن الامر لو كان كما تقول المجسمة لكان حملة العرش ومن حوله مشاهدين معاينين ولما وصفوا بالايمان لانه انما يوصف بالايمان الغائب فلما وصفوا به على سبيل الثناء عليهم علم ان ايمانهم وايمان من في الارض وكل من غاب عن ذلك المقام سواء في أن ايمان الجميع بطريق النظر والاستدلال لا غير وأنه لا طريق الى معرفته الا هذا وانه منزه عن صفات الاجرام وقد روعى التناسب في قوله ويؤمنون به (ويستغفرون للذين آمنوا) كأنه قيل ويؤمنون ويستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفيه تنبيه على ان الاشتراك في الايمان يجب أن يكون أدعى شئ الى النصيحة وأبعثه على امحاض الشفقة وان تفاوتت

الارض اهـ كلامه (قلت) كلام حسن الا استدلاله بقوله ويؤمنون به على أنهم ليسوا مشاهدين فهذا الا بدل لان الايمان هو
التصديق غير مشروط فيه غيبة المصدق به بدليل صحة اطلاق الايمان بالآيات مع أنها مشاهدة كانشقاق القمر وقلب العصا حية وانما
نقب الزمخشري بهذا التكلف عما في قلبه من مرض لكنه طاح بعيدا عن الغرض فقرر أن حملة العرش غير مشاهدين بدليل قوله
تعالى ويؤمنون لان معنى الايمان عنده التصديق بالغائب ثم يأخذ من كونهم غير مشاهدين ان الباري عز وجل لو صحت رؤيته
لرأوه فحيث لم يروه لزم أن تكون رؤيته تعالى مما لا يجيزه العقل وقد أبطلنا ما أدعاه من أن الايمان مستلزم عدم الرؤية ولو سلمناه
فلا نسلم انه يلزم من كون حملة العرش غير مشاهدين له تعالى أن تكون رؤيته غير صحيحة وقوله ولو كانت صحيحة لرأوه شرطية عقيمة
الانتاج لان الرؤية عبارة عن ادراك يخلق الله تعالى هذا الادراك لحملة العرش الا أن يذهب بالزمخشري الوهم الى أن مصححي الرؤية
يعتقدون الجسمية والاستقرار على العرش فيلزمهم رؤية حملة العرش له تعالى الله عن ذلك وحاشى أهل السنة ومصححي الرؤية من ذلك
* قوله تعالى ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التى وعدتهم
ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم انك أنت العزيز الحكيم وقهم السيآت ومن تق السيآت يومئذ فقد رحمته الآية (قال فيه)
فان قلت قد ذكر أولا الرحمة والعلم ثم ذكر ما توجبه الرحمة وهو الغفران فأين موجب العلم وأجاب بان معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة
واتباع سبيلك * قال وقوله انك أنت العزيز الحكيم معناه الملك الذى لا يغلب وأنت مع ملكك وعزتك لا تفعل شيأ الا بداعى (٣٨)

الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوى وأرضى قط ثم لما جاء جامع
الايمان جاء معه التجانس الكلى والتناسب الحقيقى حتى استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال الله
تعالى ويستغفرون لمن فى الارض * أى يقولون (ربنا) وهذا المضمر يحتمل أن يكون بيانا ليستغفرون
مرفوع المحل مثله وأن يكون حالا (فان قلت) تعالى الله عن المكان فكيف صح أن يقال وسع كل شئ (قلت)
الرحمة والعلم هما اللذان وسعا كل شئ فى المعنى والاصل وسع كل شئ رحمتك وعلمك ولكن أزيل الكلام عن
أصله بأن أسند الفعل الى صاحب الرحمة والعلم وأخرجا منصوبين على التمييز للاغراق فى وصفه بالرحمة والعلم
كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شئ (فان قلت) قد ذكر الرحمة والعلم فوجب أن يكون ما بعد الفاء مشتملا على
حديثهما جميعا وما ذكر الا الغفران وحده (قلت) معناه فاغفر للذين علمت منهم التوبة واتباع سبيلك وسبيل
الله سبيل الحق التى نهجها لعباده ودعا اليها (انك أنت العزيز الحكيم) أى الملك الذى لا يغلب وأنت مع ملكك
وعزتك لا تفعل شيأ الا بداعى الحكمة وموجب حكمتك أن تفى بوعدك (وقهم السيآت) أى العقوبات
أو جزاء السيآت فحذف المضاف على أن السيآت هى الصغائر أو الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير
أو قبول التوبة (فان قلت) ما الفائدة فى استغفارهم لهم وهم تائبون صالحون موعودون المغفرة والله
لا يخلف الميعاد (قلت) هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب * وقرئ جنة عدن وصلح بضم
اللام والفتح أفصح يقال صلح فهو صالح وصلح فهو صليح وذرياتهم * أى ينادون يوم القيامة فيقال لهم (لمقت
الله أكبر) والتقدير لمقت الله أنفسكم أكبر من مقتكم أنفسكم فاستغنى بذكرها مرة و(اذ تدعون) منصوب

ربنا وسعت كل شئ
رحمة وعلما فاغفر
للذين تابوا واتبعوا
سبيلك وقهم عذاب الجحيم
ربنا وأدخلهم جنات
عدن التى وعدتهم
ومن صلح من آبائهم
وأزواجهم وذرياتهم
انك أنت العزيز الحكيم
وقهم السيآت ومن
تق السيآت يومئذ
فقد رحمته وذلك هو
الفوز العظيم ان الذين
كفروا ينادون لمقت
الله أكبر من مقتكم
أنفسكم اذ تدعون

الحكمة وموجب حكمتك أن تفى بوعدك ثم قال ومعنى السيآت العقوبات التى هى جزاء السيآت أو على حذف مضاف بالمقت
على ان السيآت هى الصغائر أو الكبائر المتوب عنها والوقاية منها التكفير أو قبول التوبة * ثم قال فان قلت ما الفائدة فى استغفارهم وهم
تائبون صالحون موعودون بالمغفرة والله لا يخلف الميعاد وأجاب بان هذا بمنزلة الشفاعة وفائدته زيادة الكرامة والثواب اهـ كلامه (قلت)
كلامه ههنا محشو بانواع الاعتزال منها اعتقاد وجوب مراعاة المصلحة ودواعى الحكم على الله تعالى ومنها اعتقاد أن اجتناب الكبائر يكفر
الصغائر وجوبا وان لم يكن توبة ومنها اعتقاد امتناع غفران الله تعالى للكبائر التى لم يتب عنها ومنها اعتقاد وجوب قبول التوبة على
الله تعالى ومنها جحد الشفاعة واعتقاد أهل السنة أن الله تعالى لا يجب عليه مراعاة المصلحة وانه يجوز ان يعذب على الصغائر وان اجتنب
الكبائر وانه يجوز ان يغفر الكبائر ما عدا الشرك وان لم يتب منها وان قبول التوبة بفضله ورحمته لا بالوجوب عليه وانها تنال أهل الكبائر
المصرين من الموحدين فهذه جواهر خمسة نسأل الله تعالى أن يقلد عقائل عقائدنا بها الى الخاتمة وأن لا يحرمنا ألطافه ومراحمه آمين
وجميع ما يحتاج الى تزييفه مما ذكره على قواعد الاعتزال فى هذا الموضع قد تقدم غير انه جدده ههنا وقوله ان فائدة الاستغفار كفائدة
الشفاعة وذلك مزيد الكرامة لا غير يريد ان المغفرة للتائب واجبة على الله فلا تسئل وهذا الذى قاله مما يجعل لنفسه فيه الفضيحة
زادت على بطلانه هذه الآية بالالسن الفصيحة كيف يجعل المسؤل مزيدة الكرامة لا غير ونص الآية فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك
وقهم عذاب الجحيم فهى ناطقة بانهم يسألون من الله تعالى المغفرة للتائب ووقاية عذاب الجحيم وهو الذى أنكر الزمخشرى كونه مسؤلا

* قوله تعالى أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين (قال فيه) احدى الاماتتين خلقهم أمواتا أولا والاخرى اماتتهم عند انقضاء آجالهم ثم قال
فان قلت كيف سمى خلقه لهم أمواتا اماتة وأجاب بأنه كما تقول سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وكما تقول للحفار ضيق
فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل من صغر الى كبر ولا عكسه ولا من ضيق الى سعة ولا عكسه وانما أردت الانشاء على تلك الصفات
والسبب فى صحته ان الكبر والصغر جائزان معا على المصنوع الواحد وكذلك الضيق والسعة فاذا اختار الصانع احد الجائزين وهو
متمكن من الآخر جعل صرفا عن الآخر وهو متمكن منه اهـ كلامه (قلت) ما أسد كلامه ههنا حيث عادق التمسك باذيال نظر
مالك رحمه الله فى مسئلة ما اذا باعه احدى ورنتين معينتين على اللزوم لاحداهما (٣٩) والخيرة فى عينها فانه منع من ذلك لان
المشترى لما كان متمكنا
من تعيين كل واحدة
منهما على سواء فاذا عين
واحدة منهما بالاختيار
نزل عدوله عن الاخرى

بالمقت الاول والمعنى أنه يقال لهم يوم القيامة كان الله يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان الانبياء
يدعونكم الى الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد مما تمقتونهن اليوم وأنتم فى النار اذ أوقعتكم
فيها باتباعكم هواهن وعن الحسن لما رأوا أعمالهم الخبيثة مقتوا أنفسهم فنودوا لمقت الله وقيل معناه لمقت
الله اياكم الآن أكبر من مقت بعضكم لبعض كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ
تدعون تعليل والمقت أشد البغض فوضع فى موضع أبلغ الانكار وأشده (اثنتين) اماتتين واحياءتين أو
موتتين وحياتين وأراد بالاماتتين خلقهم أمواتا أولا واماتتهم عند انقضاء آجالهم وبالاحياءتين الاحياءة
الاولى واحياءة البعث وناهيك تفسيرا لذلك قوله تعالى وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وكذا عن
ابن عباس رضى الله عنهما (فان قلت) كيف صح أن يسمى خلقهم أمواتا اماتة (قلت) كما صح أن تقول
سبحان من صغر جسم البعوضة وكبر جسم الفيل وقولك للحفار ضيق فم الركية ووسع أسفلها وليس ثم نقل
من كبر الى صغر ولا من صغر الى كبر ولا من ضيق الى سعة ولا من سعة الى ضيق وانما أردت الانشاء على تلك
الصفات والسبب فى صحته ان الصغر والكبر جائزان معا على المصنوع الواحد من غير ترجح لاحدهما وكذلك
الضيق والسعة فاذا اختار الصانع أحد الجائزين وهو متمكن منهما على السواء فقد صرف المصنوع عن
الجائز الآخر فجعل صرفه عنه كنقله منه ومن جعل الاماتتين التى بعد حياة الدنيا والتى بعد حياة القبر لزمه
اثبات ثلاث احياآت وهو خلاف ما فى القرآن الا أن يتمحل فيجعل احداها غير معتد بها أو يزعم أن الله
تعالى يحييهم فى القبور وتستمر بهم تلك الحياة فلا يموتون بعدها ويعدهم فى المستثنين من الصعقة فى قوله
تعالى الا من شاء الله (فان قلت) كيف تسبب هذا لقوله تعالى (فاعترفنا بذنوبنا) قلت قد أنكروا البعث
فكفروا وتبع ذلك من الذنوب ما لا يحصى لان من لم يخش العاقبة تخرق فى المعاصى فلما رأوا الاماتة والاحياء
قد تكررا عليهم علموا بأن الله قادر على الاعادة قدرته على الانشاء فاعترفوا بذنوبهم التى اقترفوها من انكار
البعث وما تبعه من معاصيهم (فهل الى خروج) أى الى نوع من الخروج سريع أو بطئ (من سبيل) قط أم
اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس والقنوط وانما يقولون ذلك
تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله (ذلكم) أى ذلكم الذى أنتم فيه وأن لا سبيل لكم الى
خروج قط بسبب كفركم بتوحيد الله وايمانكم بالاشراك به (فالحكم لله) حيث حكم عليكم بالعذاب السرمد وقوله
(العلى الكبير) دلالة على الكبرياء والعظمة وعلى أن عقاب مثله لا يكون الا كذلك وهو الذى يطابق كبرياءه
ويناسب جبروته وقيل كأن الحرورية أخذوا قولهم لا حكم الا لله من هذا (يريكم آياته) من الريح والسحاب
والرعد والبرق والصواعق ونحوها * والرزق المطر لانه سببه (وما يتذكر الا من ينيب) وما يتعظ
وما يعتبر بآيات الله الا من يتوب من الشرك ويرجع الى الله فان المعاند لا سبيل الى تذكره واتعاظه
ثم قال للمنيبين (فادعوا الله) أى اعبدوه (مخلصين له الدين) من الشرك * وان غاظ ذلك أعداءكم ممن ليس

الى الايمان فتكفرون
قالوا ربنا أمتنا اثنتين
وأحييتنا اثنتين
فاعترفنا بذنوبنا فهل
الى خروج من سبيل
ذلكم بأنه اذا دعى الله
وحده كفرتم وان يشرك
به تؤمنوا فالحكم لله
العلى الكبير هو الذى
يريكم آياته وينزل لكم
من السماء رزقا وما
يتذكر الا من ينيب
فادعوا الله مخلصين له
الدين ولو كره الكافرون

وقد كان متمكنا منها
منزلة اختيارها أولا ثم
الانتقال عنها الى هذه
فاذا آل الى بيع احداهما
بالاخرى غير معلومتى
التماثل وهو الذى
لخصه أصحابنا فى قولهم
ان من خير بين شيئين
فاختار أحدهما عد منتقلا وقد سبقت هذه القاعدة لغير هذا الغرض فيما تقدم * قوله تعالى فهل الى خروج من سبيل (قال) أى الى
نوع من الخروج سريع أو بطئ من سبيل قط أم اليأس واقع دون ذلك فلا خروج ولا سبيل اليه وهذا كلام من غلب عليه اليأس
والقنوط وانما يقولون ذلك تعللا وتحيرا ولهذا جاء الجواب على حسب ذلك وهو قوله ذلكم بأنه اذا دعى الله وحده كفرتم معناه ان
اعتياض السبيل الى خروجكم من النار سببه كفركم بتوحيد الله تعالى وايمانكم بالاشراك انتهى كلامه (قلت) وعلى هذا النمط بنى
الشعراء مثل قولهم هل الى نجد وصول * وعلى الخيف نزول وانما قصدهم ان هذا أمر غلب فيه اليأس على الطمع

رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شئ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب وأنذرهم يوم الآزفة اذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع

على دينكم (رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح) ثلاثة أخبار لقوله هو مترتبة على قوله الذى يريكم أو أخبار مبتدأ محذوف وهى مختلفة تعريفا وتنكيرا وقرئ رفيع الدرجات بالنصب على المدح ورفيع الدرجات كقوله تعالى ذى المعارج وهى مصاعد الملائكة الى أن تبلغ العرش وهى دليل على عزته وملكوته وعن ابن جبير سماء فوق سماء والعرش فوقهن ويجوز أن يكون عبارة عن رفعة شأنه وعلو سلطانه كما أن ذا العرش عبارة عن ملكه وقيل هى درجات ثوابه التى ينزلها أولياءه فى الجنة (الروح من أمره) الذى هو سبب الحياة من أمره يريد الوحى الذى هو أمر بالخير وبعث عليه فاستعاره الروح كما قال تعالى أومن كان ميتا فأحييناه (لينذر) الله أو الملقى عليه وهو الرسول أو الروح وقرئ لتنذر أى لتنذر الروح لانها تؤنث أو على خطاب الرسول * وقرئ لينذر يوم التلاق على البناء للمفعول و (يوم التلاق) يوم القيامة لان الخلائق تلتقى فيه وقيل يلتقى فيه أهل السماء وأهل الارض وقيل المعبود والعابد (يوم هم بارزون) ظاهرون لا يسترهم شئ من جبل أو أكمة أو بناء لان الارض بارزة قاع صفصف ولا عليهم ثياب انما هم عراة مكشوفون كما جاء فى الحديث يحشرون عراة حفاة غرلا (لا يخفى على الله منهم شئ) أى من أعمالهم وأحوالهم وعن ابن مسعود رضى الله عنه لا يخفى عليه منهم شئ (فان قلت) قوله لا يخفى على الله منهم شئ بيان وتقرير لبروزهم والله تعالى لا يخفى عليه منهم شئ برزوا أو لم يبرزوا فما معناه (قلت) معناه أنهم كانوا يتوهمون فى الدنيا اذا استتروا بالحيطان والحجب أن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم اليوم صائرون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما كانوا يتوهمونه قال الله تعالى ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وذلك لعلمهم أن الناس يبصرونهم وظنهم أن الله لا يبصرهم وهو معنى قوله وبرزوا لله الواحد القهار (لمن الملك اليوم لله الواحد القهار) حكاية لما يسئل عنه فى ذلك اليوم ولما يجاب به ومعناه أنه ينادى مناد فيقول لمن الملك اليوم فيجيبه أهل المحشر لله الواحد القهار وقيل يجمع الله الخلائق يوم القيامة فى صعيد واحد بأرض بيضاء كأنها سبيكة فضة لم يعص الله عليها فأول ما تكلم به أن ينادى مناد لمن الملك اليوم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس الآية فهذا يقتضى أن يكون المنادى هو المجيب * لما قرر أن الملك لله وحده فى ذلك اليوم عدد نتائج ذلك وهى أن كل نفس تجزى ما كسبت وأن الظلم مأمون لان الله ليس بظلام للعبيد وأن الحساب لا يبطئ لان الله لا يشغله حساب عن حساب فيحاسب الخلق كله فى وقت واحد وهو أسرع الحاسبين وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذا أخذ فى حسابهم لم يقل أهل الجنة الا فيها ولا أهل النار الا فيها (الآزفة) القيامة سميت بذلك لازوفها أى لقربها ويجوز أن يريد بيوم الآزفة وقت الخطة الآزفة وهى مشارفتهم دخول النار فعند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارها فتلصق بحناجرهم فلا هى تخرج فيموتوا ولا ترجع الى مواضعها فيتنفسوا ويتروحوا ولكنها معترضة كالشجا كما قال تعالى فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا (فان قلت) (كاظمين) بم انتصب (قلت) هو حال عن أصحاب القلوب على المعنى لان المعنى اذ قلوبهم لدى حناجرهم كاظمين عليها ويجوز أن يكون حالا عن القلوب وأن القلوب كاظمة على غم وكرب فيها مع بلوغها الحناجر وانما جمع الكاظم جمع السلامة لانه وصفها بالكظم الذى هو من أفعال العقلاء كما قال تعالى رأيتهم لى ساجدين وقال فظلت أعناقهم لها خاضعين وتعضده قراءة من قرأ كاظمون ويجوز أن يكون حالا عن قوله وأنذرهم أى وأنذرهم مقدرين أو مشارفين الكظم كقوله تعالى فادخلوها خالدين * الحميم المحب المشفق * والمطاع مجاز فى المشفع لان حقيقة الطاعة نحو حقيقة الامر فى أنها لا تكون الا لمن فوقك (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (ولا شفيع يطاع) قلت يحتمل أن يتناول النفى الشفاعة والطاعة معا وأن يتناول الطاعة دون الشفاعة كما تقول ما عندى كتاب يباع فهو يحتمل نفى البيع وحده وأن عندك كتابا الا أنك لا تبيعه ونفيهما جميعا وأن لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب بها ينجحر * يريد نفى الضب وانجحاره (فان قلت) فعلى أى الاحتمالين يجب حمله (قلت) على نفى الامرين جميعا من قبل أن الشفعاء هم أولياء الله وأولياء الله

يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور والله يقضى بالحق والذين يدعون من دونه لا يقضون بشئ ان الله هو السميع البصير أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثارا فى الارض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فكفروا فأخذهم الله انه قوى شديد العقاب ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم وما كيد الكافرين الا فى ضلال وقال فرعون ذرونى أقتل موسى

لا يحبون ولا يرضون الا من أحبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من أنصار وقال ولا يشفعون الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا فى زيادة التفضل وأهل التفضل وزيادته انما هم أهل الثواب بدليل قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن الحسن رضى الله عنه والله ما يكون لهم شفيع البتة (فان قلت) الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة فى ذكر هذه الصفة ونفيها (قلت) فى ذكرها فائدة جليلة وهى أنها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتأتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة لتوهم وجود الموصوف بيانه أنك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لى فرس أركبه ولا معى سلاح أحارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح علة مانعة من الركوب والمحاربة كأنك تقول كيف يتأتى منى الركوب والمحاربة ولا فرس لى ولا سلاح معى فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتأتى التشفيع ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تأتيه بعدم الشفيع وضعا لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذى لا ينبغى أن يتوهم خلافه * الخائنة صفة للنظرة أو مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق النظر الى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب ولا يحسن أن يراد الخائنة من الاعين لان قوله وما تخفى الصدور لا يساعد عليه (فان قلت) بم اتصل قوله (يعلم خائنة الاعين) (قلت) هو خبر من أخبار هو فى قوله هو الذى يريكم مثل يلقى الروح ولكن يلقى الروح قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر أحوال يوم التلاق الى قوله ولا شفيع يطاع فبعد لذلك عن أخواته (والله يقضى بالحق) يعنى والذى هذه صفاته وأحواله لا يقضى الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم * وآلهتكم لا يقضون بشئ وهذا تهكم بهم لان ما لا يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضى أو لا يقضى (ان الله هو السميع البصير) تقرير لقوله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ووعيد لهم بأنه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر * وقرئ يدعون بالتاء والياء * هم فى (كانوا هم أشد منهم) فصل (فان قلت) من حق الفصل أن لا يقع الا بين معرفتين فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو أشد منهم (قلت) قد ضارع المعرفة فى أنه لا تدخله الالف واللام فأجرى مجراها * وقرئ منكم وهى فى مصاحف أهل الشأم (وآثارا) يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم أو أرادوا أكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا (وسلطان مبين) وحجة ظاهرة وهى المعجزات فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا (فلما جاءهم بالحق) بالنبوة * (فان قلت) أما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة أن يولد المولود الذى أنذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده (قلت) قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل آخر وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله قالوا اقتلوا أعيدوا عليهم القتل كالذى كان أولا يريد أن هذا قتل غير القتل الاول (فى ضلال) فى ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعنى أنهم باشروا قتلهم أولا فما أغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغنى عنهم هذا القتل الثانى وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى وأحس بأنه قد وقع أعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى وما علم أن كيده ضائع فى الكرتين جميعا (ذرونى أقتل موسى) كانوا

* قوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع (قال فيه) يحتمل أن يكون المنفى الشفيع الذى هو الموصوف وصفته وهى الطاعة ويحتمل أن يكون المنفى الصفة وهى الطاعة والشفيع ثابت اه كلامه) قلت انما جاء الاحتمال من حيث دخول النفى على مجموع الموصوف والصفة ونفى المجموع كما يكون بنفى كل واحد من جزأيه كذلك يكون بنفى أحدهما على أن المراد هنا كما قال نفى الامرين جميعا قال وفائدة ذكر الموصوف أنه كالدليل على نفى الصفة لانه اذا انتفى الموصوف انتفت الصفة قطعا (قلت) فكأنه نفى الصفة مرتين من وجهين مختلفين

* قوله تعالى يعلم خائنة الاعين (قال الخائنة اما صفة للنظرة واما مصدر كالعافية قال ولا يحسن أن يراد الخائنة من الاعين لانه لا يساعد عليه قوله تعالى وما تخفى الصدور انتهى كلامه) قلت انما لم يساعد عليه لان خائنة الاعين على هذا التقدير معناه الاعين الخائنة وانما يقابل الاعين الصدور لا ما تخفيه الصدور بخلاف التأويل الاول فان المراد به نظرات الاعين فيطابق خفيات الصدور * قوله تعالى حكاية عن فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه (قال فيه) كانوا اذا هم بقتله كفوه عنه بقولهم ليس هذا من يخاف وانما هو ساحر لا يقاومه الا مثله وقتله يوقع الشبهة عند الناس

انك انما تقتله خوفا وكان فرعون لعنه الله فى ظاهر أمره والله أعلم عالما انه نبى خائفا من قتله مع رغبته فى ذلك لولا الجزع وأراد أن يكتم خوفه من قتله بان يقول لهم ذرونى أقتله ليكفوه عنه فينسب الانكفاف عن قتله اليهم لا الى جزعه وخوفه ويدل على خوفه منه لكونه نبيا قوله وليدع ربه وهذا من تمويهاته المعروفة (قلت) هو من جنس قوله ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون فقد تقدم أن مراده بذلك أن يظهر لقومه قلة احتفاله بهم ويوهمهم أن قتله لهم ليس خوفا منهم ولكن

غيظا عليهم وكان من عادته الحذر والتحصن ومجانبة الذريعة فى المحافظة على حوزة المملكة لأن ذلك خوف وهلع ولقد كذب انما كان فؤاده مملوأ رعبا * قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه الآية (قال) الظاهر أن الرجل من آل فرعون وقيل انه من بنى اسرائيل ومن آل فرعون (٤٣) متعلق بيكتم تقديره يكتم ايمانه من آل فرعون وهو بعيد لان بنى اسرائيل كان ايمانهم ظاهرا فاشيا ولقد استدرجهم هذا المؤمن فى الايمان باستشهاده على صدق موسى باحضاره عليه السلام من عند من تنسب اليه الربوبية بينات عدة لا بينة واحدة وأتى بها معرفة معناه البينات العظيمة التى شهدتموها

وليدع ربه انى أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر فى الارض الفساد وقال موسى انى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم

وعرفتموها على ذلك ليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ثم أخذهم بالاحتجاج بطريق التقسيم فقال لا يخلو أن يكون صادقا أو كاذبا فان يك كاذبا فضرر كذبه عائد عليه أو صادقا فيصبكم ان تعرضتم له بعض الذى يعدكم * قال وانما ذكر بعض مع تقدير انه نبى صادق والنبى صادق فى جميع ما يعد به لانه سلك معهم طريق المناصحة لهم والمداراة فجاء بما هو أقرب الى تسليمهم وأدخل فى تصديقهم له ليسمعوا منه ولا يردوا عليه صحته وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق فى جميع ما يعد ولكنه أردفه يصبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم انه ليس بكلام من أعطاه حقه وأثنى عليه فضلا عن أن يكون متعصبا له

اذا هم بقتله كفوه بقولهم ليس بالذى تخافه وهو أقل من ذلك وأضعف وما هو الا بعض السحرة ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون اذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك قد عجزت عن معارضته بالحجة والظاهر أن فرعون لعنه الله كان قد استيقن أنه نبى وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر ولكن الرجل كان فيه خب وجربزة وكان قتالا سفاكا للدماء فى أهون شئ فكيف لا يقتل من أحس منه بانه هو الذى يثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه كان يخاف ان هم بقتله أن يعاجل بالهلاك وقوله (وليدع ربه) شاهد صدق على فرط خوفه منه ومن دعوته ربه وكان قوله ذرونى أقتل موسى تمويها على قومه وايهاما أنهم هم الذين يكفونه وما كان يكفه الا ما فى نفسه من هول الفزع (أن يبدل دينكم) أن يغير ما انتم عليه وكانوا يعبدونه ويعبدون الاصنام بدليل قوله ويذرك وآلهتك * والفساد فى الارض التفاتن والتهارج الذى يذهب معه الامن وتتعطل المزارع والمكاسب والمعايش ويهلك الناس قتلا وضياعا كانه قال انى أخاف أن يفسد عليكم دينكم بدعوتكم الى دينه أو يفسد عليكم دنياكم بما يظهر من الفتن بسببه وفى مصاحف أهل الحجاز وأن يظهر بالواو ومعناه انى أخاف فساد دينكم ودنياكم معا * وقرئ يظهر من أظهر والفساد منصوب أى يظهر موسى الفساد وقرئ يظهر بتشديد الظاء والهاء من تظهر بمعنى تظاهر أى تتابع وتعاون * لما سمع موسى عليه السلام بما أجراه فرعون من حديث قتله قال لقومه (انى عذت) بالله الذى هو ربى وربكم وقوله وربكم فيه بعث لهم على أن يقتدوا به فيعوذوا بالله عياذه ويعتصموا بالتوكل عليه اعتصامه وقال (من كل متكبر) لتشمل استعاذته فرعون وغيره من الجبابرة وليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ وأراد بالتكبر الاستكبار عن الاذعان للحق وهو أقبح استكبار وأدله على دناءة صاحبه ومهانة نفسه وعلى فرط ظلمه وعسفه وقال (لا يؤمن بيوم الحساب) لانه اذا اجتمع فى الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة فقد استكمل أسباب القسوة والجراءة على الله وعباده ولم يترك عظيمة الا ارتكبها وعذت ولذت أخوان وقرئ عت بالادغام (رجل مؤمن) وقرئ رجل بسكون الجيم كما يقال عضد فى عضد وكان قبطيا ابن عم لفرعون آمن بموسى سرا وقيل كان اسرائيليا و(من آل فرعون) صفة لرجل أو صلة ليكتم أى يكتم ايمانه من آل فرعون واسمه سمعان أو حبيب وقيل خربيل أو حزبيل والظاهر أنه كان من آل فرعون فان المؤمنين من بنى اسرائيل لم يقلوا ولم يعزوا والدليل عليه قول فرعون أبناء الذين آمنوا معه وقول المؤمن فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا دليل ظاهر على أنه يتنصح لقومه (أن يقول) لان يقول وهذا انكار منه عظيم وتبكيت شديد كانه قال أترتكبون الفعلة الشنعاء التى هى قتل نفس محرمة وما لكم علة قط فى ارتكابها الا كلمة الحق التى نطق بها وهى قوله (ربى الله) مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة ولكن بينات عدة من عند من نسب اليه الربوبية وهو ربكم لا ربه وحده وهو استدراج لهم الى الاعتراف به وليلين بذلك جماحهم ويكسر من سورتهم ولك أن تقدر مضافا محذوفا أى وقت أن يقول والمعنى أتقتلونه ساعة سمعتم منه هذا القول من غير روية ولا فكر فى أمره وقوله (بالبينات) يريد بالبينات العظيمة التى عهدتموها وشهدتموها * ثم أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم فقال لا يخلو من أن يكون كاذبا أو صادقا (فان يك كاذبا فعليه كذبه) أى يعود عليه كذبه ولا يتخطاه ضرره (وان يك صادقا يصبكم بعض) ما يعدكم ان تعرضتم له (فان قلت) لم قال بعض (الذى يعدكم) وهو نبى صادق لا بد لما يعدهم أن يصيبهم كله لا بعضه (قلت) لانه احتاج فى مقاولة خصوم موسى ومناكريه الى أن يلاوصهم ويداريهم ويسلك معهم طريق

الانصاف

* قال وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل اه كلامه (قلت) لقد أحسن الفهم والتفطن لاسرار هذا القول ويناسب تقديم الكاذب على الصادق هنا قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فقدم الشاهد أمارة صدقها على أمارة صدق يوسف (٤٣) وان كان الصادق هو يوسف دونها لرفع التهمة وابعاد الظن وادلالا بان الحق معه ولا يضره التأخير لهذه الفائدة * وقريب من هذا التصرف لابعاد التهمة ما فى قصة يوسف مع أخيه اذ بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه حتى

ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين فى الارض فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا قال فرعون ما أريكم الا ما أرى وما أهديكم الا سبيل الرشاد وقال الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم

قيل انه لما انتهى اليه قال اللهم ما سرق هذا ولا هو بوجه سارق فاطمأنت أنفسهم وانزاحت التهمة عن يوسف أن يكون قصد ذلك فقالوا والله لنفتشنه فاستخرجها من وعائه (قال) وقد قيل ان ما لقيه أبو بكر رضى الله عنه مع النبى صلى الله عليه وسلم أشد مما لقيه مؤمن آل فرعون ولقد طاف عليه الصلاة والسلام بالبيت فلقوه فأخذوا بمجامع ردائه وقالوا أنت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال عليه السلام أنا ذلك فجاء أبو بكر فالتزمه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر قال ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وقاله أبو بكر جهرا فقال وقال مؤمن آل فرعون فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا ليعلمهم أنه يساهمهم فيه فيتحققوا نصحه لهم

الانصاف فى القول ويأتيهم من جهة المناصحة فجاء بما علم أنه أقرب الى تسليمهم لقوله وأدخل فى تصديقهم له وقبولهم منه فقال وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم وهو كلام المنصف فى مقاله غير المشتط فيه ليسمعوا منه ولا يردوا عليه وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق فى جميع ما يعد ولكنه أردفه يصبكم بعض الذى يعدكم ليهضمه بعض حقه فى ظاهر الكلام فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فضلا أن يتعصب له أو يرمى بالحصا من ورائه وتقديم الكاذب على الصادق أيضا من هذا القبيل وكذلك قوله ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب (فان قلت) فعن أبى عبيدة أنه فسر البعض بالكل وأنشد بيت لبيد

تراك أمكنة اذا لم أرضها * أو يرتبط بعض النفوس حمامها

(قلت) ان صحت الرواية عنه فقد حق فيه قول المازنى فى مسئلة العلقى كان أجفى من أن يفقه ما أقول له (ان الله لا يهدى من هو مسرف كذاب) يحتمل أنه ان كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر فيتخلصون منه وأنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة ولما عضده بالبينات وقيل ما تولى أبو بكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد من ذلك طاف صلى الله عليه وسلم بالبيت فلقوه حين فرغ فأخذوا بمجامع ردائه فقالوا له أنت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا فقال أنا ذاك فقام أبو بكر الصديق رضى الله عنه فالتزمه من ورائه وقال أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعا صوته بذلك وعيناه تسفحان حتى أرسلوه وعن جعفر الصادق ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وأبو بكر قاله ظاهرا (ظاهرين فى الارض) فى أرض مصر عالين فيها على بنى اسرائيل يعنى أن لكم ملك مصر وقد علوتم الناس وقهرتموهم فلا تفسدوا أمركم على أنفسكم ولا تتعرضوا لبأس الله وعذابه فانه لا قبل لكم به ان جاءكم ولا يمنعكم منه أحد وقال (ينصرنا) وجاءنا لانه منهم فى القرابة وليعلمهم بأن الذى ينصحهم به هو مساهم لهم فيه (ما أريكم الا ما أرى) أى ما أشير عليكم برأى الا بما أرى من قتله يعنى لا أستصوب الا قتله وهذا الذى تقولونه غير صواب (وما أهديكم) بهذا الرأى (الا سبيل الرشاد) يريد سبيل الصواب والصلاح أو ما أعلمكم الا ما أعلم من الصواب ولا أدخر منه شيأ ولا أسر عنكم خلاف ما أظهر يعنى أن لسانه وقلبه متواطئان على ما يقول وقد كذب فقد كان مستشعرا للخوف الشديد من جهة موسى ولكنه كان يتجلد ولولا استشعاره لم يستشر أحدا ولم يقف الامر على الاشارة * وقرئ الرشاد فعال من رشد بالكسر كعلام أو من رشد بالفتح كعباد وقيل هو من أرشد كجبار من أجبر وليس بذلك لان فعالا من أفعل لم يجئ الا فى عدة أحرف نحو دراك وسار وقصار وجبار ولا يصح القياس على القليل ويجوز أن يكون نسبة الى الرشد كعواج وبتات غير منظور فيه الى فعل (مثل يوم الاحزاب) مثل أيامهم لانه لما أضافه الى الاحزاب وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود ولم يلبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار اقتصر على الواحد من الجمع لان المضاف اليه أغنى عن ذلك كقوله * كلوا فى بعض بطنكم تعفوا * وقال الزجاج مثل يوم حزب حزب * ودأب هؤلاء دؤبهم فى عملهم من الكفر والتكذيب وسائر المعاصى وكون ذلك دائبا دائما منهم لا يفترون عنه ولا بد من حذف مضاف يريد مثل جزاء دأبهم (فان قلت) بم انتصب مثل الثانى (قلت) بأنه عطف بيان لمثل الاول لان آخر ما تناولته الاضافة قوم نوح ولو قلت أهلك الله الاحزاب قوم نوح وعاد وثمود لم يكن الا عطف بيان لاضافة قوم الى أعلام فسرى ذلك

* قوله تعالى وما الله يريد ظلما للعباد (قال فيه) يجوز أن يكون معناه معنى وما ربك بظلام للعبيد وهذا أبلغ لانه اذا لم يرد الظلم كان عن فعله
الظلم أبعد وحيث نكر الظلم أيضا كأنه نفى أن يريد ظلما ما لعباده (قال) ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله ولا يرضى لعباده الكفر فيكون
المعنى ان الله لا يريد لعباده أن يظلموا لانه ذمهم على كونهم ظالمين (قلت) هذا من الطراز الاول وقد تقدم مذهب أهل السنة فيما
يتعلق بارادة الله تعالى خلافا لهذا وأشياعه * قوله تعالى كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان
أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين (٤٤) آمنوا (قال) فى اعرابه الذين يجادلون بدل من من هو مسرف لان المراد كل مسرف وجاز
ابداله على معنى من لا على لفظها (قال) فان قلت ما فاعل كبر وأجاب بانه ضمير من هو مسرف

الحكم الى أول ما تناولته الاضافة (وما الله يريد ظلما للعباد) يعنى أن تدميرهم كان عدلا وقسطا لانهم استوجبوه بأعمالهم وهو أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد حيث جعل المنفى ارادة الظلم لان من كان عن ارادة الظلم بعيدا كان عن الظلم أبعد وحيث نكر الظلم كأنه نفى أن يريد ظلما ما لعباده ويجوز أن يكون معناه كمعنى قوله تعالى ولا يرضى لعباده الكفر أى لا يريد لهم أن يظلموا يعنى أنه دمرهم لانهم كانوا ظالمين * التنادى ما حكى الله تعالى فى سورة الاعراف من قوله ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ويجوز أن يكون تصايحهم بالويل والثبور * وقرئ بالتشديد وهو أن يند بعضهم من بعض كقوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه وعن الضحاك اذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطرا من الاقطار الا وجدوا ملائكة صفوفا فبيناهم يموج بعضهم فى بعض اذ سمعوا مناديا أقبلوا الى الحساب (تولون مدبرين) عن قتادة منصرفين عن موقف الحساب الى النار وعن مجاهد فارين عن النار غير معجزين * هو يوسف بن يعقوب عليهما السلام وقيل هو يوسف بن ابراهيم بن يوسف بن يعقوب أقام فيهم نبيا عشرين سنة وقيل ان فرعون موسى هو فرعون يوسف عمر الى زمنه وقيل هو فرعون آخر وبخهم بأن يوسف أتاكم بالمعجزات فشككتم فيها ولم تزالوا شاكين كافرين (حتى اذا) قبض (قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا) حكما من عند أنفسكم من غير برهان وتقدمة عزم منكم على تكذيب الرسل فاذا جاءكم رسول جحدتم وكذبتم بناء على حكمكم الباطل الذى أسستموه وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا بتصديق لرسالة يوسف وكيف وقد شكوا فيها وكفروا بها وانما هو تكذيب لرسالة من بعده مضموم الى تكذيب رسالته وقرئ ألن يبعث الله على ادخال همزة الاستفهام على حرف النفى كأن بعضهم يقرر بعضا بنفى البعث * ثم قال (كذلك يضل الله) أى مثل هذا الخذلان المبين يخذل الله كل مسرف فى عصيانه مرتاب فى دينه (الذين يجادلون) بدل من من هو مسرف (فان قلت) كيف جاز ابداله منه وهو جمع وذاك موحد (قلت) لانه لا يريد مسرفا واحدا فكأنه قال كل مسرف (فان قلت) فما فاعل (كبر) (قلت) ضمير من هو مسرف (فان قلت) أما قلت هو جمع ولهذا أبدلت منه الذين يجادلون (قلت) بلى هو جمع فى المعنى وأما اللفظ فموحد فحمل البدل على معناه والضمير الراجع اليه على لفظه وليس ببدع أن يحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى وله نظائر ويجوز أن يرفع الذين يجادلون على الابتداء ولا بد فى هذا الوجه من حذف مضاف يرجع اليه الضمير فى كبر تقديره جدال الذين يجادلون كبر مقتا ويحتمل أن يكون الذين يجادلون مبتدأ وبغير سلطان أتاهم خبرا وفاعل كبر قوله (كذلك) أى كبر مقتا مثل ذلك الجدال ويطبع الله كلام مستأنف ومن قال كبر مقتا عند الله جدالهم فقد حذف الفاعل والفاعل لا يصح حذفه وفى كبر مقتا ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حد أشكاله من الكبائر * وقرئ سلطان بضم اللام * وقرئ قلب بالتنوين * ووصف القلب بالتكبر والتجبر لانه مركزهما ومنبعهما كما تقول رأت العين وسمعت الاذن ونحوه قوله عز وجل فانه آثم قلبه وان كان الآثم هو الجملة ويجوز أن يكون على حذف المضاف أى على كل ذى قلب متكبر تجعل الصفة لصاحب القلب

وما الله يريد ظلما للعباد ويا قوم انى أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ومن يضلل الله فما له من هاد ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم فى شك مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال فرعون يا هامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الأسباب

فحمل البدل على المعنى والضمير على اللفظ وليس ببدع اه كلامه (قلت) فيما ذكره معاملة اللفظ من بعد معاملة معناها
وهذا انما قدمت أن أهل العربية يستغربونه والاولى أن يجتنب فى اعراب القرآن فان فيه ابهاما بعد ايضاح
والمعهود فى قراءة البلاغة عكسه والصواب أن يجعل الضمير فى قوله كبر راجعا الى مصدر الفعل المتقدم وهو قوله يجادلون تقديره كبر
جدالهم مقتا ويجعل الذين مبتدأ على تأويل حذف المضاف تقديره جدال الذين يجادلون فى آيات الله والضمير فى قوله كبر مقتا عائد الى
الجدال المحذوف والجملة مبتدأ وخبر ومثله فى حذف المصدر المضاف وبناء الكلام عليه قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد
الحرام كمن آمن بالله على أحد التأويل ومثله كثير وفيه سوى ذلك من الوجوه السالمة عما يتطرق الى الوجه المتقدم فالوجه العدول عنه

* قوله تعالى تدعوننى لاكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم (قال المراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال وأشرك به ماليس باله وماليس باله
كيف يصح أن يعلم الها) قلت وهذا من قبيل * على لاحب لا يهتدى بمناره * أى لا منار له فيهتدى به وكلام الزمخشرى ههنا أشد من
كلامه على قوله تعالى حكاية عن فرعون ما علمت لكم من اله غيرى * قوله تعالى لاجرم (٤٥) أن ما تدعوننى اليه ليس له دعوة
فى الدنيا ولا فى الآخرة (قال فيه) سياق لاجرم عند البصريين أن يكون لا ردا لما دعاه

القلب * قيل الصرح البناء الظاهر الذى لا يخفى على الناظر وان بعد اشتقوه من صرح الشئ اذا ظهر و(أسباب السموات) طرقها وأبوابها وما يؤدى اليها وكل ما أداك الى شئ فهو سبب اليه كالرشاء ونحوه (فان قلت) ما فائدة هذا التكرير ولو قيل لعلى أبلغ أسباب السموات لأجزأ (قلت) اذا أبهم الشئ ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها ولانه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوقة اليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوف اليه نفس هامان ثم أوضحه * وقرئ فأطلع بالنصب على جواب الترجى تشبيها للترجى بالتمنى * ومثل ذلك التزيين وذلك الصد (زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل) والمزين اما الشيطان بوسوسته كقوله تعالى وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل أو الله تعالى على وجه التسبيب لانه مكن الشيطان وأمهله ومثله زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون وقرئ وزين له سوء عمله على البناء للفاعل والفعل لله عز وجل دل عليه قوله الى اله موسى وصد بفتح الصاد وضمها وكسرها على نقل حركة العين الى الفاء كما قيل قيل * والتباب الخسران والهلاك وصد مصدر معطوف على سوء عمله وصدوا هو وقومه * قال (أهدكم سبيل الرشاد) فأجمل لهم ثم فسر فافتتح بذم الدنيا وتصغير شأنها لان الاخلاد اليها هو أصل الشر كله ومنه يتشعب جميع ما يؤدى الى سخط الله ويجلب الشقاوة فى العاقبة وثنى بتعظيم الآخرة والاطلاع على حقيقتها وأنها هى الوطن والمستقر وذكر الاعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف وينشط لما يزلف ثم وازن بين الدعوتين دعوته الى دين الله الذى ثمرته النجاة ودعوتهم الى اتخاذ الانداد الذى عاقبته النار وحذر وأنذر واجتهد فى ذلك واحتشد لاجرم أن الله استثناه من آل فرعون وجعله حجة عليهم وعبرة للمعتبرين وهو قوله تعالى فوقاه الله سيآت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب وفى هذا أيضا دليل بين على أن الرجل كان من آل فرعون والرشاد نقيض الغى وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغى (فلا يجزى الا مثلها) لان الزيادة على مقدار جزاء السيئة قبيحة لانها ظلم وأما الزيادة على مقدار جزاء الحسنة فحسنة لانها فضل * قرئ يدخلون ويدخلون (بغير حساب) واقع فى مقابلة الا مثلها يعنى أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على الاستحقاق فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة (فان قلت) لم كرر نداء قومه ولم جاء بالواو فى النداء الثالث دون الثانى (قلت) أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وايقاظ عن سنة الغفلة وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعى بذلك أن لا يتهموه فان سرورهم سروره وغمهم غمه وينزلوا على تنصيحه لهم كما كرر ابراهيم عليه السلام فى نصيحة أبيه يا أبت وأما المجئ بالواو العاطفة فلان الثانى داخل على كلام هو بيان للمجمل وتفسير له فأعطى الداخل عليه حكمه فى امتناع دخول الواو وأما الثالث فداخل على كلام ليس بتلك المثابة * يقال دعاه الى كذا ودعاه له كما تقول هداه الى الطريق وهداه له (ماليس لى به علم) أى بربوبيته والمراد بنفى العلم نفى المعلوم كأنه قال وأشرك به ماليس باله وماليس باله كيف يصح أن يعلم الها (لاجرم) سياقه على مذهب البصريين أن يجعل لا ردا لما دعاه اليه قومه وجرم فعل بمعنى حق وأن مع ما فى حيزه فاعله أى حق ووجب بطلان دعوته أو بمعنى كسب من قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا أى كسب ذلك الدعاء اليه بطلان دعوته على معنى أنه ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يقال ان لا جرم نظير لا بد فعل من الجرم وهو

أسباب السموات فأطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصد عن السبيل وما كيد فرعون الا فى تباب وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويا قوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار تدعوننى لاكفر بالله وأشرك به ماليس لى به علم وأنا أدعوكم الى العزيز الغفار لاجرم أن ما تدعوننى اليه

اليه قومه وجرم بمعنى كسب أى وكسب
دعاؤهم اليه بطلان دعوته أى ما حصل من ذلك الا ظهور بطلان دعوته ويجوز أن يكون لاجرم نظير لا بد من الجرم وهو القطع فكما
أنك تقول لا بد لك أن تفعل والبد من التبديد الذى هو التفريق ومعناه لا مفارقة لك من فعل كذا فكذلك لاجرم معناه لا انقطاع
لبطلان دعوة الاصنام بل هى باطلة أبدا

* قوله تعالى وقال الذين فى النار لخزنة جهنم (قال) فان قلت فهلا قيل لخزنتها وأجاب بان فى ذكر جهنم تهويلا

القطع كما أن بدا فعل من التبديد وهو التفريق فكما أن معنى لابد أنك تفعل كذا بمعنى لابعد لك من فعله فكذلك لاجرم أن لهم النار أى لاقطع لذلك بمعنى أنهم أبدا يستحقون النار لاانقطاع لاستحقاقهم ولاقطع لبطلان دعوة الاصنام أى لاتزال باطلة لاينقطع ذلك فينقلب حقا وروى عن العرب لاجرم أنه يفعل بضم الجيم وسكون الراء بزنة بدو فعل وفعل أخوان كرشد ورشد وعدم وعدم (ليس له دعوة) معناه أن ماتدعونني اليه ليس له دعوة الى نفسه قط أى من حق المعبود بالحق أن يدعو العباد الى طاعته ثم يدعو العباد اليها اظهارا لدعوة ربهم وماتدعون اليه والى عبادته لايدعو هو الى ذلك ولا يدعى الربوبية ولو كان حيوانا ناطقا لضج من دعائكم وقوله (فى الدنيا ولا فى الآخرة) يعنى أنه فى الدنيا جماد لايستطيع شيأ من دعاء وغيره وفى الآخرة اذا أنشأه الله حيوانا تبرأ من الدعاة اليه ومن عبدته وقيل معناه ليس له استجابة دعوة تنفع فى الدنيا ولا فى الآخرة أو دعوة مستجابة جعلت الدعوة التى لا استجابة لها ولا منفعة فيها كلا دعوة أو سميت الاستجابة باسم الدعوة كما سمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء فى قولهم كما تدين تدان قال الله تعالى له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشئ (المسرفين) عن قتادة المشركين وعن مجاهد السفاكين للدماء بغير حلها وقيل الذين غلب شرهم خيرهم هم المسرفون * وقرئ فستذكرون أى فسيذكر بعضكم بعضا (وأفوض أمرى الى الله) لانهم توعدوه (فوقاه الله سيآت مامكروا) شدائد مكرهم وماهموا به من الحاق أنواع العذاب بمن خالفهم وقيل نجا مع موسى (وحاق بآل فرعون) ماهموا به من تعذيب المسلمين ورجع عليهم كيدهم (النار) بدل من سوء العذاب أو خبر مبتدا محذوف كأن قائلا قال ماسوء العذاب فقيل هو النار أو مبتدا خبره (يعرضون عليها) وفى هذا الوجه تعظيم للنار وتهويل من عذابها وعرضهم عليها احراقهم بها يقال عرض الامام الاسارى على السيف اذا قتلهم * وقرئ النار بالنصب وهى تعضد الوجه الاخير وتقديره يدخلون النار يعرضون عليها ويجوز أن ينتصب على الاختصاص (غدوا وعشيا) فى هذين الوقتين يعذبون بالنار وفيما بين ذلك الله أعلم بحالهم فاما أن يعذبوا بجنس آخر من العذاب أو ينفس عنهم ويجوز أن يكون غدوا وعشيا عبارة عن الدوام هذا مادامت الدنيا فاذا قامت الساعة قيل لهم (ادخلوا) يا (آل فرعون أشد) عذاب جهنم وقرئ أدخلوا آل فرعون أى يقال لخزنة جهنم أدخلوهم (فان قلت) قوله وحاق بآل فرعون سوء العذاب معناه أنه رجع عليهم ماهموا به من المكر بالمسلمين كقول العرب من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا فاذا فسر سوء العذاب بنار جهنم لم يكن مكرهم راجعا عليهم لانهم لايعذبون بجهنم (قلت) يجوز أن يهم الانسان بان يغرق قوما فيحرق بالنار ويسمى ذلك حيقا لانه هم بسوء فأصابه مايقع عليه اسم السوء ولا يشترط فى الحيق أن يكون الحائق ذلك السوء بعينه ويجوز أن يهم فرعون لما سمع انذار المسلمين بالنار وقول المؤمن وأن المسرفين هم أصحاب النار فيفعل نحو مافعل نمروذ ويعذبهم بالنار فحاق به مثل ماأضمره وهم بفعله ويستدل بهذه الآية على اثبات عذاب القبر * واذ كر وقت يتحاجون (تبعا) تباعا كخدم فى جمع خادم أو ذوى تبع أى أتباع أو وصفا بالمصدر * وقرئ كلا على التأكيد لاسم ان وهو معرفة والتنوين عوض من المضاف اليه يريد انا كلنا أو كلنا فيها (فان قلت) هل يجوز أن يكون كلا حالا قد عمل فيها فيها (قلت) لالان الظرف لايعمل فى الحال متقدمة كما يعمل فى الظرف متقدما تقول كل يوم لك ثوب ولا تقول قائما فى الدار زيد (قد حكم بين العباد) قضى بينهم وفصل بان أدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار (لخزنة جهنم) للقوام بتعذيب أهلها (فان قلت) هلا قيل الذين فى النار لخزنتها (قلت) لان فى ذكر جهنم تهويلا وتفظيعا ويحتمل أن جهنم هى أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام بعيدة القعر وقولهم فى النابغة جهنام تسمية بها لزعمهم أنه يلقى الشعر على لسان المنتسب اليه فهو بعيد الغور فى علمه بالشعر كما قال

وتفظيعا ويحتمل أن جهنم هى أبعد النار قعرا من قولهم بئر جهنام أى بعيدة القعر وكان النابغة

يسمى الجهنام لبعد غوره فى الشعر انتهى كلامه (قلت) الاول أظهر والتفخيم فيه

من وجهين أحدهما وضع الظاهر موضع المضمر وهو الذى أشار اليه والثانى ذكره وهو شئ واحد بظاهر غير

الاول أقطع منه لان جهنم أقطع من النار اذ النار مطلقة وجهنم أشدها

ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا الى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار فستذكرون ماأقول لكم وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد فوقاه الله سيآت مامكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب واذ يتحاجون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب قالوا

ابو

* قوله تعالى قالوا فادعوا (قال فى معناه انهم لما ألزموهم الحجة بقولهم أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات واعترفوا بذلك وكان فى ضمن ذلك أنهم خلفوا أوقات الدعاء وأسباب الاجابة وراءهم قالوا لهم فادعوا أنتم معناه انا نحن لانجترئ أن ندعو لكم فادعوا أنتم وليس قولهم فادعوا لترجية الكفار ولكن قطعا لرجائهم لانه اذا لم يسمع دعاء الملك المقرب فكيف يسمع دعاء الكافر * قوله تعالى يوم لاينفع الظالمين معذرتهم (قال فيه يحتمل انهم يعتذرون بمعذرة لكنها لاتنفعهم لانها باطلة ويحتمل انهم لايعتذرون ولو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة انتهى كلامه) قلت هما الاحتمالان فى قوله تعالى ولا شفيع يطاع ولكن بين الموضعين فرقا يصير أحدهما معه عكس الآخر

أبو نواس فى خلف الاحمر * قليذم من العيالم الخسف * وفيها أعنى الكفار وأطغاهم فلعل الملائكة الموكلين بعذاب أولئك أجوب دعوة لزيادة قربهم من الله تعالى فلهذا تعمدهم أهل النار بطلب الدعوة منهم (أولم تك تأتيكم) الزام للحجة وتوبيخ وانهم خلفوا وراءهم أوقات الدعاء والتضرع وعطلوا الاسباب التى يستجيب الله لها الدعوات (قالوا فادعوا) أنتم فانا لانجترئ على ذلك ولا نشفع الا بشرطين كون المشفوع له غير ظالم والاذن فى الشفاعة مع مراعاة وقتها وذلك قبل الحكم الفاصل بين الفريقين وليس قولهم فادعوا لرجاء المنفعة ولكن للدلالة على الخيبة فان الملك المقرب اذا لم يسمع دعاؤه فكيف يسمع دعاء الكافر (فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد) أى فى الدنيا والآخرة يعنى أنه يغلبهم فى الدارين جميعا بالحجة والظفر على مخالفيهم وان غلبوا فى الدنيا فى بعض الاحايين امتحانا من الله فالعاقبة لهم ويتيح الله من يقتص من أعدائهم ولو بعد حين والاشهاد جمع شاهد كصاحب وأصحاب يريد الحفظة من الملائكة والانبياء والمؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لتكونوا شهداء على الناس واليوم الثانى بدل من الاول * يحتمل أنهم يعتذرون بمعذرة ولكنها لاتنفع لانها باطلة وأنهم لو جاؤا بمعذرة لم تكن مقبولة لقوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (ولهم اللعنة) البعد من رحمة الله (ولهم سوء الدار) أى سوء دار الآخرة وهو عذابها * وقرئ تقوم ولا تنفع بالتاء والياء يريد بالهدى جميع ما آتاه فى باب الدين من المعجزات والتوراة والشرائع (وأورثنا) وتركنا على بنى اسرائيل من بعده (الكتاب) أى التوراة (هدى وذكرى) ارشادا وتذكرة وانتصابهما على المفعول له أو على الحال * وأولو الالباب المؤمنون به العاملون بما فيه (فاصبر ان وعد الله حق) يعنى ان نصرة الرسل فى ضمان الله وضمان الله لايخلف واستشهد بموسى وما آتاه من أسباب الهدى والنصرة على فرعون وجنوده وابقاء آثار هداه فى بنى اسرائيل والله ناصرك كما نصرهم ومظهرك على الدين كله ومبلغ ملك أمتك مشارق الارض ومغاربها فاصبر على مايجرعك قومك من الغصص فان العاقبة لك وماسبق به وعدى من نصرتك واعلاء كلمتك حق وأقبل على التقوى واستدرك الفرطات بالاستغفار ودم على عبادة ربك والثناء عليه (بالعشى والابكار) وقيل هما صلاتا العصر والفجر (ان فى صدورهم الا كبر) الا تكبر وتعظم وهو ارادة التقدم والرياسة وأن لايكون أحد فوقهم ولذلك عادوك ودفعوا آياتك خيفة أن تتقدمهم ويكونوا تحت يدك وأمرك ونهيك لان النبوة تحتها كل ملك ورياسة أو ارادة أن تكون لهم النبوة دونك حسدا وبغيا ويدل عليه قوله تعالى لو كان خيرا ماسبقونا اليه أو ارادة دفع الآيات بالجدال (ماهم ببالغيه) أى ببالغى موجب الكبر ومقتضيه وهو متعلق ارادتهم من الرياسة أو النبوة أو دفع الآيات وقيل المجادلون هم اليهود وكانوا يقولون يخرج صاحبنا المسيح بن داود يريدون الدجال ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الانهار وهو آية من آيات الله فيرجع الينا الملك فسمى الله تمنيهم ذلك كبرا ونفى أن يبلغوا متمناهم (فاستعذ بالله) فالتجئ اليه من كيد من يحسدك ويبغى عليك (انه هو السميع) لما تقول ويقولون (البصير) بما تعمل ويعملون فهو ناصرك عليهم وعاصمك من شرهم * (فان قلت) كيف اتصل قوله (لخلق السموات والارض) بما قبله

آولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا ومادعاء الكافرين الا فى ضلال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد يوم لاينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بنى اسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولى الالباب فاصبر ان وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان أتاهم ان فى صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله انه هو السميع البصير لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس

وذلك أنه هنا على تقدير أن يكون المراد انهم لا معذرة لهم البتة يكون قد نفى صفة المعذرة وهى المنفعة التى لها تراد المعذرة قطعا لرجائهم كى لايعتذروا البتة كأنه قيل اذا لم يحصل ثمرة المعذرة فكيف يقع ما لاثمرة له وفى الآية المتقدمة جعل نفى الموصوف بنفى الصفة ولهذا أولى النفى فى هذه الآية الفعل وفى المتقدمة أولى النفى الذات المنسوب اليها الفعل

* قوله تعالى لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس (قال فيه) فان قلت كيف اتصل قوله لخلق السموات والارض بما قبله



وأجاب بان مجادلتهم فى آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بان الله خالقها وبأنها خلق عظيم لخلق الناس بالقياس اليه شئ قليل مهين فمن قدر على خلقهما مع عظمهما كان على الانسان الضعيف أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله انتهى كلامه (قلت) الاولوية فى هذا الاستشهاد ثابتة بدرجتين أحدهما ماذكره من أن القادر على العظيم هو على الحقير أقدر الثانية أن مجادلتهم كانت فى البعث وهو الاعادة ولا شك أن الابتداء أعظم وأبهر من الاعادة فاذا كان ابتداء خلق العظيم (٤٨) يعنى السموات والارض داخلا تحت القدرة فابتداء خلق الحقير يعنى الناس أدخل تحتها وإعادته أدخل من ابتدائه فهو أولى بأن يكون مقدورا عليه مما اعترفوا به من خلق السموات والارض

لا يعلمون وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء قليلا ما تتذكرون ان الساعة لآتية لاريب فيها ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقال ربكم ادعونى أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين الله الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو

(قلت) ان مجادلتهم فى آيات الله كانت مشتملة على انكار البعث وهو أصل المجادلة ومدارها فحجوا بخلق السموات والارض لانهم كانوا مقرين بأن الله خالقها بانها خلق عظيم لا يقادر قدره وخلق الناس بالقياس اليه شئ قليل مهين فمن قدر على خلقها مع عظمها كان على خلق الانسان مع مهانته أقدر وهو أبلغ من الاستشهاد بخلق مثله (لا يعلمون) لانهم لا ينظرون ولا يتأملون لغلبة الغفلة عليهم واتباعهم أهواءهم * ضرب الاعمى والبصير مثلا للمحسن والمسىء وقرئ يتذكرون بالياء والتاء والتاء أعم (لاريب فيها) لابد من مجيئها ولا محالة وليس بمرتاب فيها لانه لابد من جزاء (لا يؤمنون) لا يصدقون بها (ادعونى) اعبدونى والدعاء بمعنى العبادة كثير فى القرآن ويدل عليه قوله تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتى * والاستجابة الانابة وفى تفسير مجاهد اعبدونى أثبكم وعن الحسن وقد سئل عنها اعملوا وأبشروا فانه حق على الله أن يستجيب للذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله وعن الثورى انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء وفى الحديث اذا شغل عبدى طاعتى عن الدعاء أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وروى النعمان بن بشير رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعاء هو العبادة وقرأ هذه الآية ويجوز أن يريد الدعاء والاستجابة على ظاهرهما ويريد بعبادتى دعائى لان الدعاء باب من العبادة ومن أفضل أبوابها يصدقه قول ابن عباس رضى الله عنهما أفضل العبادة الدعاء وعن كعب أعطى الله هذه الامة ثلاث خلال لم يعطهن الانبياء مرسلا كان يقول لكل نبى أنت شاهدى على خلقى وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء على الناس وكان يقول ما عليك من حرج وقال لنا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج وكان يقول ادعنى أستجب لك وقال لنا ادعونى أستجب لكم وعن ابن عباس وحدونى أغفر لكم وهذا تفسير للدعاء بالعبادة ثم للعبادة بالتوحيد (داخرين) صاغرين (مبصرا) من الاسناد المجازى لان الابصار فى الحقيقة لاهل النهار (فان قلت) لم قرن الليل بالمفعول له والنهار بالحال وهلا كانا حالين أو مفعولا لهما فيراعى حق المقابلة (قلت) هما متقابلان من حيث المعنى لان كل واحد منهما يؤدى مؤدى الآخر ولانه لو قيل لتبصروا فيه فاتت الفصاحة التى فى الاسناد المجازى ولو قيل ساكنا والليل يجوز أن يوصف بالسكون على الحقيقة ألا ترى الى قولهم ليل ساج وساكن لاريح فيه لم تتميز الحقيقة من المجاز (فان قلت) فهلا قيل لمفضل أو لمتفضل (قلت) لان الغرض تنكير الفضل وان يجعل فضلا لا يوازيه فضل وذلك انما يستوى بالاضافة * (فان قلت) فلو قيل ولكن أكثرهم فلا يتكرر ذكر الناس (قلت) فى هذا التكرير تخصيص لكفران النعمة بهم وأنهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه كقوله ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار (ذلكم) المعلوم المتميز بالافعال الخاصة التى لا يشاركه فيها أحد هو (الله ربكم خالق كل شئ لا اله الا هو) أخبار مترادفة أى هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية

بدرجتين والى هذا الترتيب وقعت الاشارة بقوله تعالى فى الم غلبت الروم ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون فقرر أن قيام السماء والارض هو بأمره أى خلقهما من آياته فكيف بما هو أحط من قيامهما بدرجتين وهو اعادة البشر أهون عليه من الابتداء لتحقق الدرجتان المذكورتان فقال تعالى وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه واذا تأملت الذى ذكرته منسوبا لما ذكره الزمخشرى علمت أن ما ذكره هو لباب المراد فخذه عهدا به ان لم تعلم ذلك * قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يشكرون (قال فيه) هلا قيل ولكن أكثرهم فيستغنى عن التكرير وأجاب بان فى التكرير تخصيصا لكفران النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله ولا يشكرونه ان الانسان لكفور ان الانسان لربه لكنود ان الانسان لظلوم كفار

والربوبية

* قوله تعالى قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى (قال فيه) فان قلت النبى عليه الصلاة والسلام قد اتضحت له أدلة العقل على التوحيد قبل مجىء الوحى فعلام تحمل الآية وأجاب بأن الامر كذلك ولكن البينات مقوية لادلة العقل ومؤكدة لها ومتضمنة ذكرها نحو قوله أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر الامرين أقوى فى ابطال مذهبهم وان كانت أدلة العقل وحدها كافية انتهى كلامه (قلت) اللائق بقواعد السنة أن يقال أما معرفة الله تعالى ومعرفة وحدانيته واستحالة كون الاصنام آلهة فمستفاد من أدلة

فأنى تؤفكون كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون الله الذى جعل لكم الارض قرارا (٤٩) والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين قل انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءنى البينات من ربى وأمرت أن أسلم لرب العالمين هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون هو الذى يحيى ويميت فاذا قضى أمرا فانما يقول له كن فيكون ألم تر الى الذين يجادلون فى آيات الله أنى يصرفون الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل

والربوبية وخلق كل شئ وانشائه لا يمتنع عليه شئ والوحدانية لا ثانى له (فأنى تؤفكون) فكيف ومن أى وجه تصرفون عن عبادته الى عبادة الاوثان * ثم ذكر أن كل من جحد بآيات الله ولم يتأملها ولم يكن فيه همة طلب الحق وخشية العاقبة أفك كما أفكوا * وقرئ خالق كل شئ نصبا على الاختصاص وتؤفكون بالتاء والياء * هذه أيضا دلالة أخرى على تميزه بأفعال خاصة وهى أنه جعل الارض مستقرا (والسماء بناء) أى قبة ومنه أبنية العرب لمضاربهم لان السماء فى منظر العين كقبة مضروبة على وجه الارض (فأحسن صوركم) وقرئ بكسر الصاد والمعنى واحد قيل لم يخلق حيوانا أحسن صورة من الانسان وقيل لم يخلقهم منكوسين كالبهائم كقوله تعالى فى أحسن تقويم (فادعوه) فاعبدوه (مخلصين له الدين) أى الطاعة من الشرك والرياء قائلين (الحمد لله رب العالمين) وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين * (فان قلت) أما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبادة الاوثان بأدلة العقل حتى جاءته البينات من ربه (قلت) بلى ولكن البينات لما كانت مقوية لأدلة العقل ومؤكدة لها ومضمنة ذكرها نحو قوله تعالى أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون وأشباه ذلك من التنبيه على أدلة العقل كان ذكر البينات ذكرا لادلة العقل والسمع جميعا وانما ذكر ما يدل على الامرين جميعا لان ذكر تناصر الادلة أدلة العقل وأدلة السمع أقوى فى ابطال مذهبهم وان كانت أدلة العقل وحدها كافية (لتبلغوا أشدكم) متعلق بفعل محذوف تقديره ثم يبقيكم لتبلغوا وكذلك لتكونوا وأما (ولتبلغوا أجلا مسمى) فمعناه ونفعل ذلك لتبلغوا أجلا مسمى وهو وقت الموت وقيل يوم القيامة * وقرئ شيوخا بكسر الشين وشيخا على التوحيد كقوله طفلا والمعنى كل واحد منكم أو اقتصر على الواحد لان الغرض بيان الجنس (من قبل) من قبل الشيخوخة أو من قبل هذه الاحوال اذا خرج سقطا (ولعلكم تعقلون) ما فى ذلك من العبر والحجج (فاذا قضى أمرا فانما) يكونه من غير كلفة ولا معاناة جعل هذا نتيجة من قدرته على الاحياء والاماتة وسائر ما ذكر من أفعاله الدالة على ان مقدورا لا يمتنع عليه كأنه قال فلذلك من الاقتدار اذا قضى أمرا كان أهون شئ وأسرعه (بالكتاب) بالقرآن (وبما أرسلنا به رسلنا) من الكتب (فان قلت) وهل قوله (فسوف يعلمون اذ الاغلال فى أعناقهم) الا مثل قولك سوف أصوم أمس (قلت) المعنى على اذا الآن الامور المستقبلة لما كانت فى أخبار الله تعالى متيقنة مقطوعا بها عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال * وعن ابن عباس والسلاسل يسحبون بالنصب وفتح الياء على عطف الجملة الفعلية على الاسمية وعنه والسلاسل يسحبون بجر السلاسل ووجهه أنه لو قيل اذ أعناقهم فى الاغلال مكان قوله اذ الاغلال فى أعناقهم لكان صحيحا مستقيما فلما كانتا عبارتين معتقبتين حمل قوله والسلاسل على العبارة الاخرى ونظيره

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة * ولا ناعب الا ببين غرابها

العقول وقد ترد الادلة العقلية فى مضامين السمعيات وأما وجوب عبادة الله تعالى وتحريم عبادة الاصنام فحكم شرعى لا يستفاد الا من السمع فعلى هذا يترك الجواب عن هذا السؤال وقوله تعالى انى نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله انما أريد به والله أعلم تحريم عبادة غير الله فهذا لا يستفاد الا من نهى الله تعالى عن ذلك لا من العقل لكن قاعدة الزمخشرى تقتضى أن تحريم عبادة غير الله تعالى تتلقى من العقل قبل ورود الشرع اذ العقل عندهما كم بمقتضى التحسين والتقبيح ولهذا أورد الاشكال عليه واحتاج الى الجواب عنه ثم قوله فى الجواب ان أدلة الشرع مقوية لادلة العقل ضعيف مع اعتقاده أن العقل يدل على الحكم قطعا وما دل قطعا كيف يحتمل الزيادة والتأكيد والقطعيات لا تفاوت فى ثبوتها

* قوله تعالى فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين (قال فيه) فان قلت كان قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وأجاب بان الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء * قوله تعالى فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون (قال فيه) المصحح لحاق النون المؤكدة دخول ما المؤكدة للشرط ولولاها لم يجز دخولها * قلت وانما كان كذلك لان النون المؤكدة حقها أن تدخل في غير الواجب والشرط من قبيل الواجب الا أنه اذا أكد قوى ابهامه فقرب بتسه قوة الابهام من غير الواجب فساغ دخول النون فيه * ثم قال وقوله تعالى أو نتوفينك اما أن يشرك مع الاول في الشرط ويكون قوله فالينا يرجعون جزاء مشتركا بينهما فلا يستقيم المعنى على فاما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون وان جعل الجزاء مختصا بالثاني بقي الاول

يسحبون في الحميم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ كذلك يضل الله الكافرين ذلكم بما كنتم تفرحون في الارض بغير الحق وبما كنتم تمرحون ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين فاصبر ان وعد الله حق فاما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فالينا يرجعون ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك وما كان لرسول أن يأتي بآية الا باذن الله فاذا جاء أمر الله قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون الله الذي جعل لكم الانعام

كأنه قيل يصطحبين وقرئ وبالسلاسل يسحبون (في النار يسجرون) من سجر التنور اذا ملأه بالوقود ومنه السجير كأنه سجر بالحب أي ملئ ومعناه أنهم في النار فهي محيطة بهم وهم مسجورون بالنار مملوءة بها أجوافهم ومنه قوله تعالى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة اللهم أجرنا من نارك فانا عائذون بجوارك (ضلوا عنا) غابوا عن عيوننا فلا نراهم ولا ننتفع بهم (فان قلت) أما ذكرت في تفسير قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنهم مقرونون بآلهتهم فكيف يكونون معهم وقد ضلوا عنهم (قلت) يجوز أن يضلوا عنهم اذا وبخوا وقيل لهم أينما كنتم تشركون من دون الله فيغيثوكم ويشفعوا لكم وأن يكونوا معهم في سائر الاوقات وأن يكونوا معهم في جميع أوقاتهم الا أنهم لما لم ينفعوهم فكأنهم ضالون عنهم (بل لم نكن ندعوا من قبل شيأ) أي تبين لنا أنهم لم يكونوا شيأ وما كنا نعبد بعبادتهم شيأ كما تقول حسبت أن فلانا شئ فاذا هو ليس بشئ اذا خبرته فلم تر عنده خيرا (كذلك يضل الله الكافرين) مثل ضلال آلهتهم عنهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو طلبوا الآلهة أو طلبتهم الآلهة لم يتصادفوا (ذلكم) الاضلال بسبب ما كان لكم من الفرح والمرح (بغير الحق) وهو الشرك وعبادة الاوثان (ادخلوا أبواب جهنم) السبعة المقسومة لكم قال الله تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم (خالدين) مقدرين الخلود (فبئس مثوى المتكبرين) عن الحق المستخفين به مثواكم أو جهنم (فان قلت) أليس قياس النظم أن يقال فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زر بيت الله فنعم المزار وصل في المسجد الحرام فنعم المصلى (قلت) الدخول المؤقت بالخلود في معنى الثواء (فاما نرينك) أصله فان نرك وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط ولذلك ألحقت النون بالفعل ألا تراك لا تقول ان تكرمني أكرمك ولكن اما تكرمني أكرمك * (فان قلت) لا يخلو اما أن تعطف (أو نتوفينك) على نرينك وتشركهما في جزاء واحد وهو قوله تعالى (فالينا يرجعون) فقولك فاما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا يرجعون غير صحيح وان جعلت فالينا يرجعون مختصا بالمعطوف الذي هو نتوفينك بقي المعطوف عليه بغير جزاء (قلت) فالينا يرجعون متعلق بنتوفينك وجزاء نرينك محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب وهو القتل والاسر يوم بدر فذاك أو ان نتوفينك قبل يوم بدر فالينا يرجعون يوم القيامة فننتقم منهم أشد الانتقام ونحوه قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون (ومنهم من لم نقصص عليك) قيل بعث الله ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس وعن علي رضي الله عنه ان الله تعالى بعث نبيا أسود فهو ممن لم يقصص عليه وهذا في اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا يعني أنا قد أرسلنا كثيرا من الرسل وما كان لواحد منهم (أن يأتي بآية الا باذن الله) فمن لي بأن آتي بآية مما تقترحونه الا أن يشاء الله ويأذن في الاتيان بها (فاذا جاء أمر الله) وعيد ورد عقيب اقتراح الآيات وأمر الله القيامة (المبطلون) هم المعاندون الذين اقترحوا الآيات وقد أتتهم الآيات فأنكروها وسموها سحرا * الانعام الابل خاصة * (فان قلت)

بغير جزاء وأجاب بأنه مختص بالثاني وجزاء الاول محذوف تقديره فاما نرينك بعض الذي نعدهم وهو ما حل بهم يوم بدر فذاك أو نتوفينك فالينا يرجعون فننتقم منهم اه كلامه (قلت) وانما حذف جواب الاول دون الثاني لان الاول ان وقع فذاك غاية الامل في انكائهم فالثابت على تقدير وقوعه معلوم وهو حصول المراد على التمام وأما ان لم يقع ووقع الثاني وهو توفيه قبل حلول المجازاة بهم فهذا هو الذي يحتاج الى ذكره للتسلية وتطمين النفس على أنه وان تأخر جزاؤهم عن الدنيا فهو حتم في الآخرة ولا بد منه * قال ومثله قوله تعالى فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذي وعدناهم فانا عليهم مقتدرون كأنه يستشهد على أن جزاء الاول محذوف بذكر هذه الآية

* قوله تعالى لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم (قال فيه) فان قلت هلا قيل لتركبوا منها ولتأكلوا منها ولتبلغوا ومنها تركبون ومنها تأكلون وعليها تبلغون وأجاب بان في الركوب في الغزو والحج وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين أو علم وهذه أغراض دينية اما واجبة أو مندوبة مما يتعلق به ارادة الحكيم وأما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به الارادة اه كلامه (قلت) جواب متداع للسقوط مؤسس على قاعدة واهية وهي أن الامر راجع الى الارادة فالواجب والمندوب مرادان لانهما مندرجان في الامر والمباح غير مراد لانه غير مأمور به وهذا من

هنيات المعتزلة في انكار كلام النفس فلا نطيل فيه النفس

لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الارض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا

لم قال (لتركبوا منها) ولتبلغوا عليها ولم يقل لتأكلوا منها ولتصلوا الى منافع أو هلا قال منها تركبون ومنها تأكلون وتبلغون عليها حاجة في صدوركم (قلت) في الركوب الركوب في الحج والغزو وفي بلوغ الحاجة الهجرة من بلد الى بلد لاقامة دين أو طلب علم وهذه أغراض دينية اما واجبة أو مندوب اليها مما يتعلق به ارادة الحكيم وأما الاكل واصابة المنافع فمن جنس المباح الذي لا يتعلق به ارادته ومعنى قوله (وعليها وعلى الفلك تحملون) وعلى الانعام وحدها لا تحملون ولكن عليها وعلى الفلك في البر والبحر (فان قلت) هلا قيل وفي الفلك كما قال قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين (قلت) معنى الايعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم لان الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها فلما صح المعنيان صحت العبارتان وأيضا فليطابق قوله وعليها ويزاوجه (فأي آيات الله) جاءت على اللغة المستفيضة وقولك فأية آيات الله قليل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة غريب وهي في أي أغرب لابهامه (وآثارا) قصورهم ومصانعهم وقيل مشيهم بأرجلهم لعظم أجرامهم (فما أغنى عنهم) ما نافية أو مضمنة معنى الاستفهام ومحلها النصب والثانية موصولة أو مصدرية ومحلها الرفع يعني أي شئ أغنى عنهم مكسوبهم أو كسبهم (فرحوا بما عندهم من العلم) فيه وجوه منها أنه أراد العلم الوارد على طريق التهكم في قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة وعلمهم في الآخرة أنهم كانوا يقولون لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا وكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به البينات وعلم الانبياء كما قال عز وجل كل حزب بما لديهم فرحون ومنها أن يريد علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله دفعوه وصغروا علم الانبياء الى علمهم وعن سقراط أنه سمع بموسى صلوات الله عليه وسلامه وقيل له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة بنا الى من يهذبنا ومنها أن يوضع قوله فرحوا بما عندهم من العلم ولا علم عندهم البتة موضع قوله لم يفرحوا بما جاءهم من العلم مبالغة في نفي فرحهم بالوحي الموجب لاقصى الفرح والمسرة مع تهكم بفرط جهلهم وخلوهم من العلماء ومنها أن يراد فرحوا بما عند الرسل من العلم فرح ضحك منه واستهزاء به كأنه قال استهزؤا بالبينات وبما جاؤا به من علم الوحي فرحين مرحين ويدل عليه قوله تعالى وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ومنها أن يجعل الفرح للرسل ومعناه أن الرسل لما رأوا جهلهم المتمادي واستهزاءهم بالحق وعلموا سوء عاقبتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واستهزائهم فرحوا بما أوتوا من العلم وشكروا الله عليه وحاق بالكافرين جزاء جهلهم واستهزائهم ويجوز أن يريد بما فرحوا به من العلم علمهم بأمور الدنيا ومعرفتهم بتدبيرها كما قال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم من العلم فلما جاءهم الرسل بعلوم الديانات وهي أبعد شئ من علمهم لبعثها على رفض الدنيا والظلف عن الملاذ والشهوات لم يلتفتوا اليها وصغروها واستهزؤا بها واعتقدوا أنه لا علم أنفع وأجلب للفوائد من علمهم ففرحوا به * البأس شدة العذاب ومنه قوله تعالى بعذاب بئيس * (فان قلت) أي فرق بين قوله تعالى (فلم يك ينفعهم ايمانهم) وبينه لو قيل

وقاعدة أهل الحق أنه لا ربط بين الامر والارادة فقد يأمر بخلاف ما يريد ويريد خلاف ما يأمر به فالجواب الصحيح اذا أن المقصود المهم من الانعام والمنفعة المشهورة فيها انما هي الركوب وبلوغ الحوائج عليها بواسطة الاسفار والانتقال في ابتغاء الاوطار فلذلك ذكرهما هنا مقرونين باللام الدالة على التعليل والغرض وأما الاكل وبقية المنافع كالاصواف والاوبار والالبان وما يجري مجراها فهي وان كانت حاصلة منها فغير خاصة بها خصوص الركوب والحمل وتوابع ذلك بل الاكل بالغنم خصوصا الضأن أشهر فلذلك اختيرت الضحايا منها على الغنم فلذلك جردت هذه المنافع بالاخبار عن وجودها فيها غير مقرونة بما يدل على أنها المقصودة * قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا (قال) فان قلت أي فرق بين قوله فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم وأجاب بأن معنى كان

هنا معناها في قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد يعني فلم يستقم ولم يصح أن ينفعهم ايمانهم اهـ كلامه (قلت) كان الذي ثبت التصرف فيها باجراء نونها مجرى حروف العلة حتى حذفت للجازم هي كان الكثير استعمالها المكرر دورانها في الكلام وأما كان هذه فليست كثيرة التصرف حتى يتسع فيها بالحذف بل هي مثل صان وحان في القلة فالاولى بقاؤها على بابها المعروف وفائدة دخولها في هذه الآية وأمثالها المبالغة في نفي الفعل الداخلة عليه بتعديد جهتي نفيه عموما باعتبار الكون وخصوصا باعتباره في هذه الآية مثلا فكأنه نفي مرتين والله أعلم

﴿قوله تعالى وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب الآية (قال فيه) فان قلت ما فائدة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب

فلم ينفعهم ايمانهم (قلت) هو من كان في نحو قوله ما كان لله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم ايمانهم (فان قلت) كيف ترادفت هذه الفاآت (قلت) أما قوله تعالى فما أغنى عنهم فهو نتيجة قوله كانوا أكثر منهم وأما قوله فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فجار مجرى البيان والتفسير لقوله تعالى فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فمنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله فلما رأوا بأسنا تابع لقوله فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا بأسنا آمنوا وكذلك فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا بأس الله (سنت الله) بمنزلة وعد الله وما أشبهه من المصادر المؤكدة و (هنالك) مكان مستعار للزمان أي وخسروا وقت رؤية البأس وكذلك قوله وخسر هنالك المبطلون بعد قوله فاذا جاء أمر الله قضي بالحق أي وخسروا وقت مجيء أمر الله أو وقت القضاء بالحق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الا صلى عليه واستغفر له

﴿سنت الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾

﴿سورة السجدة مكية وهي أربع وخمسون وقيل ثلاث وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿سورة السجدة مكية وهي أربع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل﴾

ان جعلت (حم) اسما للسورة كانت في موضع المبتدا و (تنزيل) خبره وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل خبر المبتدا المحذوف و (كتاب) بدل من تنزيل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف وجوز الزجاج أن يكون تنزيل مبتدأ وكتاب خبره ووجهه أن تنزيلا تخصص بالصفة فساغ وقوعه مبتدأ (فصلت آياته) ميزت وجعلت تفاصيل في معان مختلفة من أحكام وأمثال ومواعظ ووعد ووعيد وغير ذلك وقرئ فصلت أي فرقت بين الحق والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف معانيها من قولك فصل من البلد (قرآنا عربيا) نصب على الاختصاص والمدح أي أريد بهذا الكتاب المفصل قرآنا من صفته كيت وكيت وقيل هو نصب على الحال أي فصلت آياته في حال كونه قرآنا عربيا (لقوم يعلمون) أي لقوم عرب يعلمون ما نزل عليهم من الآيات المفصلة المبينة بلسانهم العربي المبين لا يلتبس عليهم شيء منه (فان قلت) بم يتعلق قوله لقوم يعلمون (قلت) يجوز أن يتعلق بتنزيل أو بفصلت أي تنزيل من الله لاجلهم أو فصلت آياته لهم والاجود أن يكون صفة مثل ما قبله وما بعده أي قرآنا عربيا كائنا لقوم عرب لئلا يفرق بين الصلاة والصفات وقرئ بشير ونذير صفة للكتاب أو خبر مبتدا محذوف (فهم لا يسمعون) لا يقبلون ولا يطيعون من قولك تشفعت الى فلان فلم يسمع قولي ولقد سمعه ولكنه لما لم يقبله ولم يعمل بمقتضاه فكأنه لم يسمعه ٭ والاكنة جمع كنان وهو الغطاء ٭ والوقر بالفتح الثقل وقرئ بالكسر وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن تقبل الحق واعتقاده كأنها في غلف وأغطية تمنع من نفوذه فيها كقوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف ومج أسماعهم له كأن بها صمما عنه ولتباعد المذهبين والدينين كأن بينهم وما هم عليه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وما هو عليه حجابا ساترا وحاجزا منيعا من جبل أو نحوه فلا تلاقي ولا ترائي (فاعمل) على دينك (اننا عاملون) على ديننا أو فاعمل في ابطال أمرنا اننا عاملون في ابطال أمرك وقرئ انا عاملون ٭ (فان قلت) هل لزيادة من في قوله ومن بيننا وبينك حجاب فائدة (قلت) نعم لانه لو قيل وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا

وأجاب بأن فائدتها الدلالة على أن من جهتهم ابتدأ الحجاب ومن جهته أيضا ابتدأ حجاب فيلزم ان المسافة المتوسطة بينهما مملوءة بالحجاب لا فراغ فيها ولولا ذكر من فيها لكان المعنى على أن في المسافة بينهما حجابا فقط اهـ كلامه (قلت) لا ينفك المعنى بدخول من عما كان عليه قبل ولو كان الامر كما ذكر لكانت من مقدرة مع بين الثانية لانه جعلها مفيدة للابتداء في الثانية كما هي مفيدة للابتداء في الاولى فيكون التقدير اذا ومن بيننا ومن بينك حجاب وهذا يخل بمعنى بين اخلالا بينا فانها تأبى تكرار العامل معها حتى لو قال القائل جلست بين زيد وجلست بين عمرو لم يكن مستقيما لان تكرار العامل يصيرها داخلة على مفرد فقط ويقطعه عن قرينه المتقدم ومن شأنها الدخول على متعدد لان في ضمن معناها التوسط وزاد الزمخشري على هذا حاصل

جعل بين الثانية غير الاولى لانه جعل الاولى بجهتهم والثانية بجهته وليس الامر كما ظنه بل بين الاولى هي الثانية بعينها وهي عبارة عن الجهة المتوسطة بين المضافين وتكرارها انما كان لان المعطوف مضمر مخفوض فوجب تكرار خافضه وهو بين والدليل على هذا انه لا تفاوت باتفاق بين أن تقول جلست بين زيد وعمرو وبين أن تقول جلست بين زيد وبين عمرو وانما كان ذكرها مع الظاهر جوازا ومع المضمر وجوبا لما بيناه فاذا وضح ذلك فالظاهر والله أعلم أن موقع من ههنا كموقعها في قوله تعالى وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا وذلك للاشعار بأن الجهة المتوسطة مثلا بينهم وبين النبي عليه الصلاة والسلام مبدأ الحجاب لا غير ووجود من قريب من عدمها ألا ترى الى آخر هذه الآية كيف لم يستعمل فيها من وهي قوله تعالى واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وكلام الزمخشري هذا اذا امتحنته بالتحقيق الذي ذكرناه تبين ضعفه والله الموفق وفي هذه الآية وأختها من المبالغة والبلاغة ما لا يليق أن

ينتظم الا في درر الكتاب العزيز فانها اشتملت على ذكر حجب ثلاثة متوالية كل واحد منهما كاف في فنه فأولها الحجاب

حاصل وسط الجهتين وأما زيادة من فالمعنى أن حجابا ابتدأ منا وابتدأ منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك مستوعبة بالحجاب لا فراغ فيها (فان قلت) هلا قيل على قلوبنا أكنة كما قيل وفي آذاننا وقر ليكون الكلام على نمط واحد (قلت) هو على نمط واحد لانه لا فرق في المعنى بين قولك قلوبنا في أكنة وعلى قلوبنا أكنة والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم أكنة ولو قيل انا جعلنا قلوبهم في أكنة لم يختلف المعنى وترى المطابيع منهم لا يراعون الطباق والملاحظة الا في المعاني (فان قلت) من أين كان قوله (انما أنا بشر مثلكم يوحى الي) جوابا لقولهم قلوبنا في أكنة (قلت) من حيث انه قال لهم اني لست ملكا وانما أنا بشر مثلكم وقد أوحي الي دونكم فصحت بالوحي الي وأنا بشر نبوتي واذا صحت نبوتي وجب عليكم اتباعي وفيما يوحى الي ان الهكم اله واحد (فاستقيموا اليه) فاستووا اليه بالتوحيد واخلاص العبادة غير ذاهبين يمينا ولا شمالا ولا ملتفتين الى ما يسول لكم الشيطان من اتخاذ الاولياء والشفعاء (وتوبوا اليه) مما سبق لكم من الشرك (واستغفروه) ٭ وقرئ قال انما أنا بشر ٭ (فان قلت) لم خص من بين أوصاف المشركين منع الزكاة مقرونا بالكفر بالآخرة (قلت) لان أحب شيء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله في سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته وصدق نيته ونصوع طويته ألا ترى الى قوله عز وجل ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم أي يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولانت شكيمتهم وأهل الردة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا الا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا وفيه بعث للمؤمنين على أداء الزكاة وتخويف شديد من منعها حيث جعل المنع من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقيل كانت قريش يطعمون الحاج ويحرمون من آمن منهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لا يفعلون ما يكونون به أزكياء وهو الايمان ٭ الممنون المقطوع وقيل لا يمن عليهم لانه انما يمن التفضل فأما الاجر فحق أداؤه وقيل نزلت في المرضى والزمنى والهرمى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كأصح ما كانوا يعملون (أئنكم) بهمزتين الثانية بين بين وآئنكم بألف بين همزتين (ذلك) الذي قدر على خلق الارض في مدة يومين هو (رب العالمين) ٭ (رواسي) جبالا ثوابت (فان قلت) ما معنى قوله (من فوقها) وهلا اقتصر على قوله وجعل فيها رواسي كقوله تعالى وجعلنا فيها رواسي شامخات وجعلنا في الارض رواسي وجعل لها رواسي (قلت) لو كانت تحتها كالاساطين

﴿انما أنا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم كافرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها﴾

الحائل الخارج وبليه حجاب الصمم وأقصاها الحجاب الذي أكن القلب والمعاذ بالله فلم تدع هذه الآية حجابا من تحيا الا أسبلته ولم تبق لهؤلاء الاشقياء مطمعا ولا صريحا الا استلبته فنسأل الله كفايته ٭ قوله تعالى قل انما أنا بشر مثلكم الآية (قال) فان قلت كيف كان هذا جوابا لما تقدمه (وأجاب) بما ملخصه فنقول لما أبوا القبول منه عليه الصلاة والسلام كل الاباء بدأهم باقامة الحجة على وجوب القبول منه فانه بشر مثلهم لا قدرة له على اظهار المعجزات التي ظهرت وانما القادر على اظهارها هو الله تعالى تصديقا له عليه الصلاة والسلام ثم بين لهم بعد قيام الحجة عليهم أهم ما بعث به وهو التوحيد واندرج تحت الاستقامة جميع تفاصيل الشرع وتمم ذلك بانذارهم على ترك القبول بالويل الطويل ٭ قوله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة (قال فيه) فان قلت لم خص الزكاة وأجاب بأن أحب الاشياء الى الانسان ماله وهو شقيق روحه فبذله مصداق لاستقامته ونصوع طويته وما خدع المؤلفة قلوبهم الا بلمظة من الدنيا وأهل الردة ما تظاهروا الا بمنع الزكاة فنصبت لهم الحرب وجوهدوا اهـ كلامه (قلت) كلام حسن بعد تبديل قوله وما خدع المؤلفة فان استعمال الخداع غير لائق لانهم انما تألفهم عليه الصلاة والسلام على الايمان من قبيل الملاطفة ودفع السيئة بالحسنة وما نحا هذا النحو

* قوله تعالى أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين وتجعلون له أندادا ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسى من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين (قال فيه) ان قوله فى أربعة أيام فذلكة بعدة خلق الله الارض وما فيها كانه قال وقدر فيها أقواتها فى يومين آخرين فذلك أربعة أيام سواء (قال) ومعنى سواء كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان ونقل عن الزجاج أن معنى الآية فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين * ثم قال فان قلت بم تعلق قوله للسائلين وأجاب بانه متعلق بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سأل فى كم خلقت الارض وما فيها أو يقدر أى قدر فيها الاقوات لاجل السائلين المحتاجين اليها من المقتاتين ثم قال وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج انتهى كلامه (قلت) لم يبين امتناعه على التفسير الاول ونحن نبينه فنقول مقتضى التفسير الاول أن قوله فى أربعة أيام فذلكة ومن شأنها الوقوع فى طرف الكلام بعد تمامه فلو جعل قوله للسائلين متعلقا بمقدر لزم وقوع الفذلكة فى حشو الكلام ولا كذلك على تفسير الزجاج فان الاربعة على قوله من تتمة الاول وهى متعلقة بمقدر على تأويل حذف التتمة

تعلق الظرف بالمظروف ليلائم ذلك اتمام الكلام ببيان المقصود من خلق الاقوات بعد بيان من خلقها وتفسير الزجاج والله أعلم أرجح فانه يشتمل على ذكر مدة خلق

وبارك فيها وقدر فيها أقواتها فى أربعة أيام سواء للسائلين ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين

الاقوات بالتأويل القريب الذى قدره ومتضمن لما يقوم مقام الفذلكة اذ ذكر جملة العدد الذى هو ظرف لخلقها وخلق أقواتها وعلى تفسير الزمخشرى تكون الفذلكة

لها تستقر عليها أوهى كوزة فيها كالمسامير لمنعت من الميدان أيضا وانما اختار ارساءها فوق الارض لتكون المنافع فى الجبال معرضة لطالبيها حاضرة لمحصليها وليبصر أن الارض والجبال أثقال على أثقال كلها مفتقرة الى ممسك لا بد لها منه وهو ممسكها عز وعلا بقدرته (وبارك فيها) وأكثر خيرها وأنماه (وقدر فيها أقواتها) أرزاق أهلها ومعايشهم وما يصلحهم وفى قراءة ابن مسعود وقسم فيها أقواتها (فى أربعة أيام سواء) فذلكة لمدة خلق الله الارض وما فيها كانه قال كل ذلك فى أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان قيل خلق الله الارض فى يوم الاحد ويوم الاثنين وما فيها يوم الثلاثاء ويوم الاربعاء وقال الزجاج فى أربعة أيام فى تتمة أربعة أيام يريد بالتتمة اليومين وقرئ سواء بالحركات الثلاث الجر على الوصف والنصب على استوت سواء أى استواء والرفع على هى سواء (فان قلت) بم تعلق قوله (للسائلين) (قلت) بمحذوف كانه قيل هذا الحصر لاجل من سأل فى كم خلقت الارض وما فيها أو بقدر أى قدر فيها الاقوات لاجل الطالبين لها المحتاجين اليها من المقتاتين وهذا الوجه الاخير لا يستقيم الا على تفسير الزجاج (فان قلت) هلا قيل فى يومين وأى فائدة فى هذه الفذلكة (قلت) اذا قال فى أربعة أيام وقد ذكر أن الارض خلقت فى يومين علم أن ما فيها خلق فى يومين فبقيت المخايرة بين أن تقول فى يومين وأن تقول فى أربعة أيام سواء فكانت فى أربعة أيام سواء فائدة ليست فى يومين وهى الدلالة على أنها كانت أياما كاملة بغير زيادة ولا نقصان ولو قال فى يومين وقد يطلق اليومان على أكثرهما لكان يجوز أن يريد باليومين الاولين والآخرين أكثرهما (ثم استوى الى السماء) من قولك استوى الى مكان كذا اذا توجه اليه توجها لا يلوى على شئ وهو من الاستواء الذى هو ضد الاعوجاج ونحوه قولهم استقام اليه وامتد اليه ومنه قوله تعالى فاستقيموا اليه والمعنى ثم دعاه داعى الحكمة الى خلق السماء بعد خلق الارض وما فيها من غير صارف يصرفه عن ذلك قيل كان عرشه قبل خلق السموات والارض على الماء فأخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء وعلا عليه فأيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين ثم خلق السماء من الدخان المرتفع * ومعنى أمر السماء والارض بالاتيان وامتثالهما أنه أراد تكوينهما فلم يمتنعا عليه ووجدتا كما أرادهما وكانتا فى ذلك كالمأمور المطيع اذا ورد عليه فعل الآمر المطاع وهو من المجاز الذى يسمى التمثيل ويجوز أن يكون تخييلا ويبنى الامر فيه على أن الله تعالى كلم السماء والارض وقال لهما ائتيا شئتما ذلك أو أبيتماه فقالتا أتينا على الطوع لا على الكره والغرض تصوير أثر قدرته فى المقدورات لا غير من غير أن يحقق شئ من الخطاب والجواب ونحوه قول

مذكورة من غير تقدم تصريح بجملة تفاصيلها فانه لم يذكر منها سوى يومين خاصة ومن شأن الفذلكة أن يتقدم النص على جميع أعدادها مفصلة ثم تأتى هى على الجملة كقوله فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة
* قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (قال فيه) اما أن يكون هذا من مجاز التمثيل كان عدم امتناعهما على قدرته امتثال المأمور المطيع اذا ورد عليه الامر المطاع فهذا وجه واما أن يكون تخييلا فبنى الامر فيه على أن الله تعالى كلم السموات والارض فأجابتا والغرض منه تصوير أثر القدرة فى المقدور من غير أن يحقق شيئا من الخطاب والجواب ومثله قول القائل قال الحائط للوتد لم تشقنى فقال الوتد اسأل من يدقنى لم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى اه كلامه (قلت) قد تقدم انكارى عليه اطلاق التخييل على كلام الله تعالى فان معنى هذا الاطلاق لو كان صحيحا والمراد منه التصوير لوجب اجتناب التعبير عنه بهذه العبارة لما فيها من ايهام وسوء ادب والله أعلم

* قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين الآية (قال) فان قلت لم ذكر الارض مع السماء وانتظمها فى الامر بالاتيان معها والارض مخلوقة قبل السماء بيومين وأجاب بأنه قد خلق جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغى من الشكل ائتى يا أرض مدحوة وقرارا ومهادا وائتى يا سماء سقفا مقببة * ثم قال فان قلت ما معنى طوعا أو كرها وأجاب بانه تمثيل للزوم تأثير القدرة فيهما كما يقول الجبار لمن تحت يده افعل هذا شئت أو أبيت * ثم قال فان قلت هلا قيل طائعين على اللفظ وطائعات على المعنى لانها سموات وأرضون وأجاب بانه لما جعلن مخاطبات ومجيبات وموصوفات بالطوع والكره قيل طائعين فى موضع طائعات نحو قوله ساجدين اه كلامه (قلت) لم يحقق الجواب عن السؤال الآخر وذلك أن فى ضمن الآية سؤالين أحدهما لم ذكرها وهى مؤنثة وهذا هو السؤال الذى أورده الثانى أتى بها على جمع العقلاء وهى لا تعقل وهذا لم يذكره فالجواب الذى ذكره مختص بالسؤال الذى لم يذكره ولهذا نظره بقوله ساجدين فان تلك الآية ليس فيها سوى السؤال عن كونها جمعت جمع العقلاء (٥٥) فاما السؤال الآخر فلا لان الكلام

راجع الى الكواكب وهى مذكرة والشمس وان كانت مؤنثة الا أنه غلب فى الكلام المذكر على المؤنث على المنهاج المعروف فاما هذه الآية فتزيد

فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح

على تلك بهذا السؤال الآخر وهو أن جميع ما تقدم ذكره من السموات والارض مؤنثة فيقال أولا لم ذكرها وثانيا لم أتى جمعها المذكر على نعت جمع العقلاء ليتحقق نسبة السؤال

القائل قال الجدار للوتد لم تشقنى قال الوتد اسأل من يدقنى فلم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى (فان قلت) لم ذكر الارض مع السماء وانتظمهما فى الامر بالاتيان والارض مخلوقة قبل السماء بيومين (قلت) قد خلق جرم الارض أولا غير مدحوة ثم دحاها بعد خلق السماء كما قال تعالى والارض بعد ذلك دحاها فالمعنى ائتيا على ما ينبغى أن تأتيا عليه من الشكل والوصف ائتى يا أرض مدحوة قرارا ومهادا لاهلك وائتى يا سماء مقببة سقفا لهم ومعنى الاتيان الحصول والوقوع كما تقول أتى عمله مرضيا وجاء مقبولا ويجوز أن يكون المعنى لتأت كل واحدة منكما صاحبتها الاتيان الذى أريده وتقتضيه الحكمة والتدبير من كون الارض قرارا للسماء وكون السماء سقفا للارض وتنصره قراءة من قرأ آتيا وآتينا من المواتاة وهى الموافقة أى لتؤات كل واحدة أختها ولتوافقها قالتا وافقنا وساعدنا ويحتمل وافقا أمرى ومشيئتى ولا تمتنعا (فان قلت) ما معنى طوعا أو كرها (قلت) هو مثل للزوم تأثير قدرته فيهما وأن امتناعهما من تأثير قدرته محال كما يقول الجبار لمن تحت يده لتفعلن هذا شئت أو أبيت ولتفعلنه طوعا أو كرها وانتصابهما على الحال بمعنى طائعتين أو مكرهتين (فان قلت) هلا قيل طائعتين على اللفظ أو طائعات على المعنى لانها سموات وأرضون (قلت) لما جعلن مخاطبات ومجيبات ووصفن بالطوع والكره قيل طائعين فى موضع طائعات نحو قوله ساجدين (فقضاهن) يجوز أن يرجع الضمير فيه الى السماء على المعنى كما قال طائعين ونحوه أعجاز نخل خاوية ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات والفرق بين النصبين أن أحدهما على الحال والثانى على التمييز قيل خلق الله السموات وما فيها فى يومين فى يوم الخميس والجمعة وفرغ فى آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة وفى هذا دليل على ما ذكرت من انه لو قيل فى يومين فى موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملان أم ناقصان (فان قلت) فلو قيل خلق الارض فى يومين كاملين وقدر فيها أقواتها فى يومين كاملين أو قيل بعد ذكر اليومين تلك أربعة سواء (قلت) الذى أورده سبحانه أخصر وأفصح وأحسن طباقا لما عليه التنزيل من مغاصاة القرائح ومصالك الركب ليتميز الفاضل من الناقص والمتقدم من الناكص وترتفع الدرجات ويتضاعف الثواب (أمرها) ما أمر به فيها ودبره من خلق الملائكة والنيرات وغير ذلك

والجواب والطوع اللاتى تختص بالعقلاء لا بها ولم يوجد فى جمع المؤنث عدول الى جمع المذكر لوجود الصيغة المرشدة الى العقل فيه فتمت الفائدة بذلك على تأويل السموات والارض بالافلاك مثلا وما فى معناه من المذكر ثم يغلب المذكر على المؤنث ولا يعدم مثل هذا التأويل فى الارضين أيضا * قوله تعالى فقضاهن سبع سموات فى يومين (قال فيه) قيل ان الله تعالى خلق السموات وما فيها فى يوم الخميس ويوم الجمعة وفرغ آخر ساعة من يوم الجمعة وخلق آدم فى تتمة اليوم وفيه تقوم القيامة ثم استدل بذلك على ما ذكر من أنه لو قال فى يومين فى موضع أربعة أيام سواء لم يعلم أنهما يومان كاملا أو ناقصان اه كلامه (قلت) كانه يستدل باهمال اليومين عن التأكيد حيث لم يكن خلق السموات بما فيها فى جملة اليومين على أنه انما أفاد ذلك أيام خلق الارض بما فيها لانه لو فصلها لم يكن فيها دليل على استيعاب الخلق لكل يومين منها بل كان يجوز أن يكون الخلق فى أحد اليومين وبعض الآخر كما كان فى هذه الآية على النقل الذى ذكر وهذا الا يتم له منه غرض فان للقائل أن يقول انما كان خلق السموات بما فيها فى يومين كاملين لان آدم لم يكن فى السموات حينئذ وبخلقه كمل اليومان على مقتضى ما نقله فتأمله

* قوله تعالى أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو أشد منهم قوة (قال فيه) القوة الشدة فى البنية ونقيضها الضعف والقدرة مالاجله يصح الفعل من الفاعل وهى نقيضة العجز فان وصف الله تعالى بالقوة فذلك بمعنى القدرة وليست القوة على حقيقتها فكيف صح قوله هو أشد منهم قوة ولابد أن يراد بالقوة (٥٦) فى الموضعين شئ واحد وأجاب عنه بان القدرة فى الانسان صحة البنية والاعتدال والشدة

أو شأنها وما يصلحها (وحفظا) وحفظناها حفظا يعنى من المسترقة بالثواقب ويجوز أن يكون مفعولا له على المعنى كانه قال وخلقنا المصابيح زينة وحفظا (فان أعرضوا) بعد ما تتلو عليهم من هذه الحجج على وحدانيته وقدرته * فحذرهم أن تصيبهم صاعقة أى عذاب شديد الوقع كانه صاعقة * وقرئ صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقا فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل (من بين أيديهم ومن خلفهم) أى أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم وأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتو والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم يعنى لآتينهم من كل جهة ولأعملن فيهم كل حيلة وتقول استدرت بفلان من كل جانب فلم يكن لى فيه حيلة وعن الحسن أنذروهم من وقائع الله فيمن قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضى وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجرى عليهم وقيل معناه اذ جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم (فان قلت) الرسل الذين من قبلهم ومن بعدهم كيف يوصفون بأنهم جاؤهم وكيف يخاطبونهم بقولهم انا بما أرسلتم به كافرون (قلت) قد جاءهم هود وصالح داعيين الى الايمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أى من قبلهم وممن يجئ من خلفهم أى من بعدهم فكأن الرسل جميعا قد جاؤهم وقولهم انا بما أرسلتم به كافرون خطاب منهم لهود وصالح ولسائر الانبياء الذين دعوا الى الايمان بهم * أن فى (أن لا تعبدوا) بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة أصله بأنه لا تعبدوا أى بأن الشأن والحديث قولنا لكم لا تعبدوا * ومفعول شاء محذوف أى (لو شاء ربنا) ارسال الرسل (لانزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون) معناه فاذ أنتم بشر ولستم بملائكة فانا لا نؤمن بكم وبما جئتم به وقولهم أرسلتم به ليس باقرار بالارسال وانما هو على كلام الرسل وفيه تهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون روى أن أبا جهل قال فى ملا من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان عن أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علما وما يخفى على فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فان كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيسنا وان تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختار من أى بنات قريش شئت وان كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغنى به ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فانطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك قد صبأت فغضب وأقسم لا يكلم محمدا أبدا ثم قال والله لقد كلمته فأجابنى بشئ والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد علمتم أن محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب (فاستكبروا فى الارض) أى تعظموا فيها على أهلها بما لا يستحقون به التعظم وهو القوة وعظم الاجرام أو استعلوا فى الارض واستولوا على أهلها بغير استحقاق للولاية (من أشد منا قوة) كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وبلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من الجبل فيقتلعها بيده (فان قلت) القوة هى الشدة والصلابة فى البنية وهى نقيضة الضعف وأما القدرة فما لاجله يصح الفعل من الفاعل من تميز بذات أو بصحة بنية وهى نقيضة العجز والله سبحانه وتعالى لا يوصف

والقوة زيادة فى القدرة فكما صح أن يقال أقدر منهم صح أن يقال أقوى منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرتهم انتهى كلامه (قلت) فسر القدرة على خلاف ما هى فى اعتقاد المتكلمين

وحفظا ذلك تقدير العزيز العليم فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود اذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم ألا تعبدوا الا الله قالوا لو شاء ربنا لانزل ملائكة فانا بما أرسلتم به كافرون فأما عاد فاستكبروا فى الارض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم

فان سلم له من حيث اللغة فقد نكص عنه الى حمل القدرة فى الآية على مقتضاها فى فن الكلام وجعل التفضيل من حيث ان الله تعالى قادر لذاته أى بلا قدرة والمخلوق قادر بقدرة على القاعدة الفاسدة

للقدرية ونظير هذا التفسير فى الفساد تفسير قول القائل زيد أعلم من عمرو باثبات صفة العلم للمفضول وسلبها بالكلية عن الافضل وهل هذا الا عته وعمى فى اتباع الهوى وعمه فالحق أن التفضيل انما جاء من جهة أن القدرة الثابتة للعبد قدرة مقارنة لا تعلق معلومة قبله وبعده مفقودة غير مؤثرة فى العقل الراجح فى محلها فضلا عن تجاوزها الى غيره وقدرة الله جلت قدرته مؤثرة فى المقدورات موجودة ازلا وأبدا عامة التعلق بجميع الكائنات من الممكنات فهذا هو النور الذى لا يلوح الا من أثبات عقائد السنة لمن سبقت له من الله المنة بالقوة

* قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم (قال فيه) فدللناهم على طريقى الضلالة والرشد * ثم قال فان قلت أليس معنى هديته حصلت له الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى فكيف ساغ استعماله فى الدلالة المجردة وأجاب بانه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بحصول موجبها * ثم قال ولو لم يكن فى القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها عليه الصلاة والسلام وكفى به شهيدا الا هذه الآية لكفى بها حجة انتهى كلامه (قلت) قد أنطقه الله الذى أنطق كل شئ بأن القدرية مجوس هذه الامة بشهادة النبى عليه الصلاة والسلام وقد شهد صحبه الاكرمون أن الطائفة الذين (٥٧) قفا الزمخشرى أثرهم القدرية

بالقوة الا على معنى القدرة فكيف صح قوله (هو أشد منهم قوة) وانما يصح اذا أريد بالقوة فى الموضعين شئ واحد (قلت) القدرة فى الانسان هى صحة البنية والاعتدال والقوة والشدة والصلابة فى البنية وحقيقتها زيادة القدرة فكما صح أن يقال الله أقدر منهم جاز أن يقال أقوى منهم على معنى أنه يقدر لذاته على ما لا يقدرون عليه بازدياد قدرهم (يجحدون) كانوا يعرفون أنها حق ولكنهم جحدوها كما يجحد المودع الوديعة وهو معطوف على فاستكبروا أى كانوا كفرة فسقة * الصرصر العاصفة التى تصرصر أى تصوت فى هبوبها وقيل الباردة التى تحرق بشدة بردها تكرير لبناء الصر وهو البرد الذى يصر أى يجمع ويقبض (نحسات) قرئ بكسر الحاء وسكونها ونحس نحسا نقيض سعد سعدا وهو نحس وأما نحس فاما مخفف نحس أو صفة على فعل كالضخم وشبهه أو وصف بمصدر * وقرئ لنذيقهم على أن الاذاقة للريح أو للايام النحسات * وأضاف العذاب الى الخزى وهو الذل والاستكانة على أنه وصف للعذاب كأنه قال عذاب خزى كما تقول فعل السوء تريد الفعل السئ والدليل عليه قوله تعالى (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو من الاسناد المجازى ووصف العذاب بالخزى أبلغ من وصفهم به ألا ترى الى البون بين قوليك هو شاعر وله شعر شاعر * وقرئ ثمود بالرفع والنصب منونا وغير منون والرفع أفصح لوقوعه بعد حرف الابتداء وقرئ بضم الثاء (فهديناهم) فدللناهم على طريقى الضلالة والرشد كقوله تعالى وهديناه النجدين (فاستحبوا العمى على الهدى) فاختاروا الدخول فى الضلالة على الدخول فى الرشد (فان قلت) أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى بمعنى تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله فى الدلالة المجردة (قلت) للدلالة على أنه مكنهم وأزاح عللهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكأنه حصل البغية فيهم بتحصيل ما يوجبها ويقتضيها (صاعقة العذاب) داهية العذاب وقارعة العذاب و (الهون) الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدله منه ولو لم يكن فى القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها صلى الله عليه وسلم وكفى به شاهدا الا هذه الآية لكفى بها حجة * قرئ يحشر على البناء للمفعول ونحشر بالنون وضم الشين وكسرها ويحشر على البناء للفاعل أى يحشر الله عز وجل (أعداء الله) الكفار من الاولين والآخرين (يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم أى يستوقف سوابقهم حتى يلحق بهم تواليهم وهى عبارة عن كثرة أهل النار نسأل الله أن يجيرنا منها بسعة رحمته * (فان قلت) ما فى قوله (حتى اذا ما جاؤها) ما هى (قلت) مزيدة للتأكيد ومعنى التأكيد فيها أن وقت مجيئهم النار لا محالة أن يكون وقت الشهادة عليهم ولا وجه لان يخلو منها ومثله قوله تعالى أثم اذا ما وقع آمنتم به أى لا بد لوقت وقوعه من أن يكون وقت ايمانهم به * شهادة الجلود بالملامسة للحرام وما أشبه ذلك مما يفضى اليها من المحرمات (فان قلت) كيف تشهد عليهم أعضاؤهم وكيف تنطق (قلت) الله عز وجل ينطقها كما أنطق الشجرة بأن يخلق فيها كلاما وقيل المراد بالجلود الجوارح وقيل هى كناية عن الفروج * أراد بكل شئ كل شئ من الحيوان كما أراد به فى قوله تعالى والله على كل شئ قدير كل شئ من المقدورات والمعنى أن نطقنا ليس بعجب من قدرة الله الذى قدر على انطاق كل حيوان وعلى خلقكم وانشائكم أول مرة وعلى اعادتكم ورجعكم الى جزائه وانما قالوا لهم لم شهدتم علينا

المتمعسة الذين أدبانهم بادناس الفساد متنجسة

هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون فأرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون ويوم يحشر أعداء الله الى النار فهم يوزعون حتى اذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شئ وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم

فهم أول منخرط فى هذا السلك ومنهبط فى مهواة هذا الهلك * ولنرجع الى أصل الكلام فنقول الهدى من الله تعالى عند أهل السنة حقيقة هو خلق الهدى فى قلوب المؤمنين والاضلال خلق الضلال فى قلوب الكافرين ثم ورد الهدى على غير ذلك من الوجوه مجازا واتساعا نحو هذه الآية فان المراد فيها بالهدى الدلالة على طريقه كما فسره الزمخشرى وقد اتفق الفريقان أهل السنة وأهل البدعة على أن استعمال الهدى ههنا مجاز ثم ان أهل السنة يحملونه على المجاز فى جميع موارده فى الشرع فأى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون وأى دليل

فى هذه الآية على أهل السنة لاهل البدعة حتى يرميهم بما ينعكس الى نحره ويذيقه وبال أمره ❊ قوله تعالى وقيضنا لهم قرناء (قال)
فيه كيف جاز أن يقيض لهم قرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم وأجاب بان معناه أنه خذلهم ومنعهم التوفيق
لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن الآية انتهى كلامه (قلت)
جواب هذا السؤال على مذهب أهل السنة أن الامر على ظاهره فان قاعدة عقيدتهم أن الله تعالى قد ينهى
عما يريد وقوعه ويأمر بما لا يريد حصوله وبذلك نطقت هذه الآية وأخواتها وانما

لما تعاظمهم من شهادتها وكبر عليهم من الافتضاح على ألسنة جوارحهم ❊ المعنى أنكم كنتم تستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن يشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم غير عالمين بشهادتها عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء أصلا ولكنكم انما استترتم لظنكم (أن الله لا يعلم كثيرا مما) كنتم (تعملون) وهو الخفيات من أعمالكم ❊ وذلك الظن هو الذى أهلككم وفى هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزل عن ذهنه أن عليه من الله عينا كالئة ورقيبا مهيمنا حتى يكون فى أوقات خلواته من ربه أهيب وأحسن احتشاما وأوفر تحفظا وتصونا منه مع الملا ولا يتبسط فى سره مراقبة من التشبه بهؤلاء الظانين ❊ وقرئ ولكن زعمتم (وذلكم) رفع بالابتداء و(ظنكم) و(أرداكم) خبران ويجوز أن يكون ظنكم بدلا من ذلكم وأرداكم الخبر (فان يصبروا) لم ينفعهم الصبر ولم ينفكوا به من الثواء فى النار (وان يستعتبوا) وان يسألوا العتبى وهى الرجوع لهم الى ما يحبون جزعا مما هم فيه لم يعتبوا لم يعطوا العتبى ولم يجابوا اليها ونحوه قوله عز وعلا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص وقرئ وان يستعتبوا فما هم من المعتبين أى ان سئلوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون أى لا سبيل لهم الى ذلك (وقيضنا لهم) وقدرنا لهم يعنى لمشركى مكة يقال هذان ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين والمقايضة المعاوضة (قرناء) أخدانا من الشياطين جمع قرين كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين (فان قلت) كيف جاز أن يقيض لهم القرناء من الشياطين وهو ينهاهم عن اتباع خطواتهم (قلت) معناه أنه أخذلهم ومنعهم التوفيق لتصميمهم على الكفر فلم يبق لهم قرناء سوى الشياطين والدليل عليه ومن يعش نقيض (ما بين أيديهم وما خلفهم) ما تقدم من أعمالهم وما هم عازمون عليها أو ما بين أيديهم من أمر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من أمر العاقبة وأن لا بعث ولا حساب (وحق عليهم القول) يعنى كلمة العذاب (فى أمم) فى جملة أمم ومثل فى هذه ما فى قوله

ان تك عن أحسن الصنيعة مأ ❊ فوكا ففى آخرين قد أفكوا

يريد فأنت فى جملة آخرين وأنت فى عداد آخرين لست فى ذلك بأوحد (فان قلت) فى أمم ما محله (قلت) محله النصب على الحال من الضمير فى عليهم أى حق عليهم القول كائنين فى جملة أمم (انهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير لهم وللامم ❊ قرئ والغوا فيه بفتح الغين وضمها يقال لغى يلغى ولغا يلغو واللغو الساقط من الكلام الذى لا طائل تحته قال ❊ من اللغا ورفث التكلم ❊ والمعنى لا تسمعوا له اذا قرئ وتشاغلوا عند قراءته برفع الاصوات بالخرافات والهذيان والزمل وما أشبه ذلك حتى تخلطوا على القارئ وتشوشوا عليه وتغلبوه على قراءته كانت قريش يوصى بذلك بعضهم بعضا (فلنذيقن الذين كفروا) يجوز أن يريد بالذين كفروا هؤلاء اللاغين والآمرين لهم باللغو خاصة وأن يذكر الذين كفروا عامة لينطووا تحت ذكرهم ❊ وقد ذكرنا اضافة أسوأ أعمالهم عن اعادته وعن ابن عباس (عذابا شديدا) يوم بدر و(أسوأ الذى كانوا يعملون) فى الآخرة (ذلك) اشارة الى الاسوأ ويجب أن يكون التقدير أسوأ جزاء الذى كانوا يعملون حتى تستقيم هذه الاشارة و(النار) عطف بيان للجزاء أو خبر مبتدأ محذوف (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (لهم فيها دار الخلد) (قلت) معناه أن النار فى نفسها دار الخلد كقوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة والمعنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة وتقول لك فى هذه الدار دار السرور وأنت تعنى الدار بعينها (جزاء بما

كانوا

أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين فان يصبروا فالنار مثوى لهم وان يستعتبوا فما هم من المعتبين وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم وحق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاء بما

تأولها الزمخشرى لتبعها هواه الفاسد فى اعتقاده أن الله تعالى لا ينهى عما يريد وان وقع النهى عنه فعلى خلاف الارادة تعالى الله عن ذلك وبه نستعيذ من جعل القرآن تبعا للهوى وحينئذ فنقول لو لم يكن فى القرآن حجة على القدرية الذين هم مجوس هذه الامة بشهادة نبيها عليه الصلاة والسلام سوى هذه الآية لكفى بها فهذا موضع هذه المقالة التى أنطقه بها الله الذى أنطق كل شئ فى الآية التى قبل هذه

كانوا بآياتنا يجحدون) أى جزاء بما كانوا يلغون فيها فذكر الجحود الذى هو سبب اللغو (الذين أضلانا) أى الشيطانين اللذين أضلانا (من الجن والانس) لان الشيطان على ضربين جنى وانسى قال الله تعالى وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن وقال تعالى الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقابيل لانهما سنا الكفر والقتل بغير حق ❊ وقرئ أرنا بسكون الراء لثقل الكسرة كما قالوا فى فخذ فخذ وقيل معناه أعطنا اللذين أضلانا وحكوا عن الخليل أنك اذا قلت أرنى ثوبك بالكسر فالمعنى بصرنيه واذا قلته بالسكون فهو استعطاء معناه أعطنى ثوبك ونظيره اشتهار الايتاء فى معنى الاعطاء وأصله الاحضار (ثم) لتراخى الاستقامة عن الاقرار فى المرتبة وفضلها عليه لان الاستقامة لها الشأن كله ونحوه قوله تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا والمعنى ثم ثبتوا على الاقرار ومقتضياته وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه استقاموا فعلا كما استقاموا قولا وعنه أنه تلاها ثم قال ما تقولون فيها قالوا لم يذنبوا قال حملتم الامر على أشده قالوا فما تقول قال لم يرجعوا الى عبادة الاوثان وعن عمر رضى الله عنه استقاموا على الطريقة لم يروغوا روغان الثعالب وعن عثمان رضى الله عنه أخلصوا العمل وعن على رضى الله عنه أدوا الفرائض وقال سفيان بن عبد الله الثقفى رضى الله عنه قلت يا رسول الله أخبرنى بأمر أعتصم به قال قل ربى الله ثم استقم قال فقلت ما أخوف ما تخاف على فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا (تتنزل عليهم الملائكة) عند الموت بالبشرى وقيل البشرى فى ثلاثة مواطن عند الموت وفى القبر واذا قاموا من قبورهم (ألا تخافوا) أن بمعنى أى أو مخففة من الثقيلة وأصله بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه لا تخافوا أى يقولون لا تخافوا والخوف غم يلحق لتوقع المكروه ❊ والحزن غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار والمعنى أن الله كتب لكم الامن من كل غم فلن تذوقوه أبدا وقيل لا تخافوا ما تقدمون عليه ولا تحزنوا على ما خلفتم ❊ كما أن الشياطين قرناء العصاة واخوانهم فكذلك الملائكة أولياء المتقين وأحباؤهم فى الدارين (تدعون) تتمنون ❊ والنزل رزق النزيل وهو الضيف وانتصابه على الحال (ممن دعا الى الله) عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى الاسلام (وعمل صالحا) فيما بينه وبين ربه وجعل الاسلام نحلة له وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضى الله عنها ما كنا نشك أن هذه الآية نزلت فى المؤذنين وهى عامة فى كل من جمع بين هذه الثلاث أن يكون موحدا معتقدا لدين الاسلام عاملا بالخير داعيا اليه وما هم الا طبقة العالمين العاملين من أهل العدل والتوحيد الدعاة الى دين الله وقوله (وقال اننى من المسلمين) ليس الغرض أنه تكلم بهذا الكلام ولكن جعل دين الاسلام مذهبه ومعتقده كما تقول هذا قول أبى حنيفة تريد مذهبه ❊ يعنى أن الحسنة والسيئة متفاوتتان فى أنفسهما فخذ بالحسنة التى هى أحسن من أختها اذا اعترضتك حسنتان فادفع بها السيئة التى ترد عليك من بعض أعدائك ومثال ذلك رجل أساء اليك اساءة فالحسنة أن تعفو عنه والتى هى أحسن أن تحسن اليه مكان اساءته اليك مثل أن يذمك فتمدحه ويقتل ولدك فتفتدى ولده من يد عدوه فانك اذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولى الحميم مصافاة لك ❊ ثم قال وما يلقى هذه الخليقة أو السجية التى هى مقابلة الاساءة بالاحسان الا أهل الصبر ❊ والا رجل خير وفق لحظ عظيم من الخير (فان قلت) فهلا قيل فادفع بالتى هى أحسن (قلت) هو على تقدير قائل قال فكيف أصنع فقيل ادفع بالتى هى أحسن ❊ وقيل لا مزيدة والمعنى ولا تستوى الحسنة والسيئة (فان قلت) فكان القياس على هذا التفسير أن يقال ادفع بالتى هى حسنة (قلت) أجل ولكن وضع التى هى أحسن موضع الحسنة ليكون أبلغ فى الدفع بالحسنة لان من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما هو دونها وعن ابن عباس رضى الله عنهما بالتى هى أحسن الصبر عند الغضب والحلم عند الجهل والعفو عند الاساءة وفسر الحظ بالثواب وعن الحسن رحمه الله والله ما عظم حظ دون الجنة وقيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب وكان عدوا مؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار وليا مصافيا ❊ النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه يبعثه على

كانوا بآياتنا يجحدون وقال الذين كفروا ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والانس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الاسفلين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال اننى من المسلمين ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم واما ينزغنك من الشيطان نزغ

مالا ينبغي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفا للشيطان بالمصدر أو لتسويله
والمعنى وان صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن (فاستعذ بالله) من شره وامض على
شأنك ولا تطعه * الضمير في (خلقهن) لليل والنهار والشمس والقمر لان حكم جماعة مالا يعقل حكم الانثى
أو الاناث يقال الاقلام بريتها وبريتهن أو لما قال ومن آياته كن في معنى الآيات فقيل خلقهن (فان قلت)
أين موضع السجدة (قلت) عند الشافعي رحمه الله تعالى (تعبدون) وهي رواية مسروق عن عبد الله لذكر
لفظ السجدة قبلها وعند أبي حنيفة رحمه الله يسأمون لانها تمام المعنى وهي عن ابن عباس وابن عمر وسعيد
ابن المسيب لعل ناسا منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم
يقصدون بالسجود لهما السجود لله فنهوا عن هذه الواسطة وأمروا أن يقصدوا بسجودهم وجه الله تعالى
خالصا ان كانوا اياه يعبدون وكانوا موحدين غير مشركين (فان استكبروا) ولم يمتثلوا ما أمروا به وأبوا الا
الواسطة فدعهم وشأنهم فان الله عز سلطانه لا يعدم عابدا ولا ساجدا بالاخلاص وله العباد المقربون الذين
ينزهونه بالليل والنهار عن الانداد وقوله (عند ربك) عبارة عن الزلفى والمكانة والكرامة * وقرئ لا يسأمون
بكسر الياء * الخشوع التذلل والتقاصر فاستعير لحال الارض اذا كانت قحطة لا نبات فيها كما وصفها بالهمود
في قوله تعالى وترى الارض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ اذا أخصبت وتزخرفت
بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الاطمار الرثة * وقرئ وربأت أي
ارتفعت لان النبت اذا هم أن يظهر ارتفعت له الارض * يقال ألحد الحافر ولحد اذا مال عن الاستقامة
فحفر في شق فاستعير للانحراف في تأويل آيات القرآن عن جهة الصحة والاستقامة وقرئ يلحدون ويلحدون
على اللغتين وقوله (لا يخفون علينا) وعيد لهم على التحريف * (فان قلت) بم اتصل قوله (ان الذين كفروا
بالذكر) (قلت) * هو بدل من قوله ان الذين يلحدون في آياتنا والذكر القرآن لانهم لكفرهم به طعنوا فيه
وحرفوا تأويله (وانه لكتاب عزيز) أي منيع محمي بحماية الله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من
خلفه) مثل كأن الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلا من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به (فان
قلت) أما طعن فيه الطاعنون وتأوله المبطلون (قلت) بلى ولكن الله قد تقدم في حمايته عن تعلق الباطل به
بان قيض قوما عارضوهم بابطال تأويلهم وافساد أقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن الا ممحوقا ولا قول مبطل الا
مضمحلا ونحوه قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (ما يقال لك) أي ما يقول لك كفار قومك (الا)
مثل ما قال للرسل كفار قومهم من الكلمات المؤذية والمطاعن في الكتب المنزلة (ان ربك لذو مغفرة) ورحمة
لانبيائه (وذو عقاب) لاعدائهم ويجوز أن يكون ما يقول لك الله الا مثل ما قال للرسل من قبلك والمقول هو
قوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم فمن حقه أن يرجوه أهل طاعته ويخافه أهل معصيته والغرض
تخويف العصاة * كانوا لتعنتهم يقولون هلا نزل القرآن بلغة العجم فقيل لو كان كما يقترحون لم يتركوا
الاعتراض والتعنت وقالوا (لولا فصلت آياته) أي بينت ولخصت بلسان نفقهه (أأعجمي وعربي) الهمزة همزة
الانكار يعني لأنكروا وقالوا أقرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل اليه عربي وقرئ أعجمي والاعجمي الذي
لا يفصح ولا يفهم كلامه من أي جنس كان والعجمي منسوب الى أمة العجم وفي قراءة الحسن أعجمي بغير
همزة الاستفهام على الاخبار بأن القرآن أعجمي والمرسل أو المرسل اليه عربي والمعنى أن آيات الله على أي
طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لان القوم غير طالبين للحق وانما يتبعون أهواءهم ويجوز في قراءة الحسن
هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب (فان قلت) كيف يصح أن يراد بالعربي
المرسل اليهم وهم أمة العرب (قلت) هو على ما يجب أن يقع في انكار المنكر لو رأى كتابا أعجميا كتب
الى قوم من العرب يقول كتاب أعجمي ومكتوب اليه عربي وذلك لان مبنى الانكار على تنافر حالتي الكتاب
والمكتوب اليه لا على أن المكتوب اليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرد لما سبق اليه من الغرض ولا يوصل
به ما يخل غرضا آخر ألا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة اللباس طويل واللابس

فاستعذ بالله انه هو
السميع العليم ومن
آياته الليل والنهار
والشمس والقمر
لا تسجدوا للشمس
ولا للقمر واسجدوا لله
الذي خلقهن ان كنتم
اياه تعبدون فان
استكبروا فالذين عند
ربك يسبحون له بالليل
والنهار وهم لا يسأمون
ومن آياته أنك ترى
الارض خاشعة فاذا
أنزلنا عليها الماء اهتزت
وربت ان الذي أحياها
لمحيي الموتى انه على كل
شيء قدير ان الذين
يلحدون في آياتنا
لا يخفون علينا أفمن
يلقى في النار خير أم من
يأتي آمنا يوم القيامة
اعملوا ما شئتم انه بما
تعملون بصير ان الذين
كفروا بالذكر لما
جاءهم وانه لكتاب عزيز
لا يأتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه
تنزيل من حكيم حميد
ما يقال لك الا ما قد
قيل للرسل من قبلك
ان ربك لذو مغفرة وذو
عقاب أليم ولو جعلناه
قرآنا أعجميا لقالوا لولا
فصلت آياته أأعجمي
وعربي

* قوله تعالى قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى (أجاز) في الواو في هذه الآية وجهين
أحدهما أن تكون الواو لعطف الذين على الذين ووقر على هدى وشفاء ويكون من العطف على عاملين قال وأما أن
يكون والذين مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف المبتدأ أو في آذانهم منه وقر انتهى (قلت) أي وبتقدير الرابط يستغنى عن تقدير المبتدأ

قصير ولو قلت واللابسة قصيرة جئت بما هو لكنة وفضول قول لان الكلام لم يقع في ذكورة اللابس
وأنوثته انما وقع في غرض وراءهما (هو) أي القرآن (هدى وشفاء) ارشاد الى الحق وشفاء (لما في الصدور)
من الظن والشك * (فان قلت) (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر) منقطع عن ذكر القرآن فما وجه
اتصاله به (قلت) لا يخلو اما أن يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله تعالى للذين آمنوا على
معنى قولك هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقر الا أن فيه عطفا على عاملين
وان كان الاخفش يجيزه واما أن يكون مرفوعا على تقدير والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقر على حذف
المبتدأ أو في آذانهم منه وقر * وقرئ وهو عليهم عم وعمي كقوله تعالى فعميت عليكم (ينادون من مكان بعيد)
يعني أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه أسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطة لا يسمع من مثلها
الصوت فلا يسمع النداء (فاختلف فيه) فقال بعضهم هو حق وقال بعضهم هو باطل * والكلمة السابقة هي
العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضي بينهم في الدنيا قال الله تعالى بل الساعة
موعدهم ولكن يؤخرهم الى أجل مسمى (فلنفسه) فنفسه نفع (فعليها) فنفسه ضر (وما ربك بظلام)
فيعذب غير المسيء (اليه يرد علم الساعة) أي اذا سئل عنها قيل الله يعلم أو لا يعلمها الا الله * وقرئ من ثمرات
من أكمامهن والكم بكسر الكاف وعاء الثمرة كجف الطلعة أي وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل
ولا وضع واضع الا وهو عالم به يعلم عدد أيام الحمل وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والانوثة
والحسن والقبح وغير ذلك (أين شركائي) أضافهم اليه تعالى على زعمهم وبيانه في قوله تعالى أين شركائي
الذين كنتم تزعمون وفيه تهكم وتقريع (آذناك) أعلمناك (ما منا من شهيد) أي ما منا أحد اليوم وقد أبصرنا
وسمعنا يشهد بأنهم شركاؤك أي ما منا الا من هو موحد لك أو ما منا من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم
وضلت عنهم آلهتهم لا يبصرونها في ساعة التوبيخ وقيل هو كلام الشركاء أي ما منا من شهيد يشهد بما أضافوا
الينا من الشركة ومعنى ضلالهم عنهم على هذا التفسير أنهم لا ينفعونهم فكأنهم ضلوا عنهم (وظنوا) وأيقنوا
* والمحيص المهرب (فان قلت) آذناك اخبار بايذان كان منهم فاذا قد آذنوا فلم سئلوا (قلت) يجوز أن يعاد عليهم
أين شركائي اعادة للتوبيخ واعادته في القرآن على سبيل الحكاية دليل على اعادة المحكي ويجوز أن يكون
المعنى أنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لانه اذا علمه من نفوسهم فكأنهم
أعلموه ويجوز أن يكون انشاء للايذان ولا يكون اخبارا بايذان قد كان كما تقول أعلم الملك أنه كان من الامر
كيت وكيت (من دعاء الخير) من طلب السعة في المال والنعمة وقرأ ابن مسعود من دعاء بالخير (وان
مسه الشر) أي الضيقة والفقر (فيؤس قنوط) بولغ فيه من طريقين من طريق بناء فعول ومن طريق
التكرير والقنوط أن يظهر عليه أثر اليأس فيتضاءل وينكسر أي يقطع الرجاء من فضل الله وروحه وهذه
صفة الكافر بدليل قوله تعالى انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * واذا فرجنا عنه بصحة بعد
مرض أو سعة بعد ضيق قال (هذا لي) أي هذا حق وصل الي لاني استوجبته بما عندي من خير وفضل
وأعمال بر أو هذا لي لا يزول عني ونحوه قوله تعالى فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه * ونحو قوله تعالى
(وما أظن الساعة قائمة) ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين يريد وما أظنها تكون * فان كانت على طريق
التوهم (ان لي) عند الله الحالة الحسنى من الكرامة والنعمة قائسا أمر الآخرة على أمر الدنيا وعن بعضهم
للكافر أمنيتان يقول في الدنيا ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى ويقول في الآخرة يا ليتني كنت ترابا
وقيل نزلت في الوليد بن المغيرة * فلنخبرنهم بحقيقة ما عملوا من الاعمال الموجبة للعذاب ولنبصرنهم عكس
ما اعتقدوا فيها أنهم يستوجبون عليها كرامة وقربة عند الله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وذلك أنهم كانوا ينفقون أموالهم رئاء الناس وطلبا للافتخار والاستكبار لا غير وكانوا يحسبون أن ماهم

قل هو للذين آمنوا
هدى وشفاء والذين
لا يؤمنون في آذانهم
وقر وهو عليهم عمى
أولئك ينادون من
مكان بعيد ولقد آتينا
موسى الكتاب فاختلف
فيه ولولا كلمة سبقت
من ربك لقضي بينهم
وانهم لفي شك منه
مريب من عمل صالحا
فلنفسه ومن أساء
فعليها وما ربك بظلام
للعبيد اليه يرد علم
الساعة وما تخرج من
ثمرات من أكمامها وما
تحمل من أنثى ولا تضع
الا بعلمه ويوم يناديهم
أين شركائي قالوا آذناك
ما منا من شهيد وضل
عنهم ما كانوا يدعون
من قبل وظنوا ما لهم
من محيص لا يسأم
الانسان من دعاء
الخير وان مسه الشر
فيؤس قنوط ولئن أذقناه
رحمة منا من بعد ضراء
مسته ليقولن هذا لي
وما أظن الساعة قائمة
ولئن رجعت الى ربي
ان لي عنده للحسنى
فلننبئن الذين كفروا بما
عملوا ولنذيقنهم من
عذاب غليظ واذا أنعمنا
على الانسان أعرض



عليه سبب الغنى والصحة وأنهم محقوقون بذلك * هذا أيضا ضرب آخر من طغيان الانسان اذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة وكأنه لم يلق بؤسا قط فنسى المنعم وأعرض عن شكره (ونأى بجانبه) أى ذهب بنفسه وتكبر وتعظم * وان مسه الضر والفقر أقبل على دوام الدعاء وأخذ فى الابتهال والتضرع وقد استعير العرض لكثرة الدعاء ودوامه وهو من صفة الاجرام ويستعار له الطول أيضا كما استعير الغلظ لشدة العذاب وقرئ ونأى بجانبه بامالة الالف وكسر النون للاتباع وناء على القلب كما قالوا راء فى رأى (فان قلت) حقق لى معنى قوله تعالى ونأى بجانبه (قلت) فيه وجهان أن يوضع جانبه موضع نفسه كما ذكرنا فى قوله تعالى على ما فرطت فى جنب الله ان مكان الشئ وجهته ينزل منزلة الشئ نفسه ومنه قوله ونفيت عنه مقام الذئب يريد ونفيت عنه الذئب ومنه ولمن خاف مقام ربه ومنه قول الكتاب حضرة فلان ومجلسه وكتبت الى جهته والى جانبه العزيز يريدون نفسه وذاته فكأنه قال ونأى بنفسه كقولهم فى المتكبر ذهب بنفسه وذهبت به الخيلاء كل مذهب وعصفت به الخيلاء وأن يراد بجانبه عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه (أرأيتم) أخبرونى (ان كان) القرآن (من عند الله) يعنى أن ما أنتم عليه من انكار القرآن وتكذيبه ليس بأمر صادر عن حجة قاطعة حصلتم منها على اليقين وثلج الصدور وانما هو قبل النظر واتباع الدليل أمر محتمل يجوز أن يكون من عند الله وأن لا يكون من عنده وأنتم لم تنظروا ولم تفحصوا فما أنكرتم أن يكون حقا وقد كفرتم به فأخبرونى من أضل منكم وأنتم أبعدتم الشوط فى مشاقته ومناصبته ولعله حق فأهلكتم أنفسكم وقوله تعالى (ممن هو فى شقاق بعيد) موضوع موضع منكم بيانا لحالهم وصفتهم (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم) يعنى ما يسر الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم وللخلفاء من بعده وأنصار دينه فى آفاق الدنيا وبلاد المشرق والمغرب عموما وفى باحة العرب خصوصا من الفتوح التى لم يتيسر أمثالها لاحد من خلفاء الارض قبلهم ومن الاظهار على الجبابرة والاكاسرة وتغليب قليلهم على كثيرهم وتسليط ضعافهم على أقويائهم واجرائه على أيديهم أمورا خارجة من المعهود خارقة للعادات ونشر دعوة الاسلام فى أقطار المعمورة وبسط دولته فى أقاصيها والاستقراء يطلعك فى التواريخ والكتب المدونة فى مشاهد أهله وأيامهم على عجائب لا ترى وقعة من وقائعهم الا علما من أعلام الله وآية من آياته يقوى معها اليقين ويزداد بها الايمان ويتبين أن دين الاسلام هو دين الحق الذى لا يحيد عنه الا مكابر حسه مغالط نفسه وما الثبات والاستقامة الا صفة الحق والصدق كما أن الاضطراب والتزلزل صفة الفرية والزور وان للباطل ريحا تخفق ثم تسكن ودولة تظهر ثم تضمحل (بربك) فى موضع الرفع على أنه فاعل كفى و (أنه على كل شئ شهيد) بدل منه تقديره أولم يكفهم أن ربك على كل شئ شهيد ومعناه أن هذا الموعود من اظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شئ شهيد أى مطلع مهيمن يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة * وقرئ فى مرية بالضم وهى الشك (محيط) عالم بجمل الاشياء وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم فى لقاء ربهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنات

ونأى بجانبه واذا مسه الشر فذو دعاء عريض قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو فى شقاق بعيد سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أولم يكف بربك أنه على كل شئ شهيد ألا انهم فى مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شئ محيط

﴿سورة حم عسق مكية وتسمى سورة الشورى وهى ثلاث وخمسون آية﴾

﴿سورة الشورى وهى ثلاث وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم عسق كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم

* قرأ ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهما حم سق (كذلك يوحى اليك) أى مثل ذلك الوحى أو مثل ذلك الكتاب يوحى اليك والى الرسل (من قبلك الله) يعنى أن ما تضمنته هذه السورة من المعانى قد أوحى الله اليك مثله فى غيرها من السور وأوحاه من قبلك الى رسله على معنى أن الله تعالى كرر هذه المعانى فى القرآن وفى جميع الكتب السماوية لما فيها من التنبيه البليغ واللطف العظيم لعباده من الاولين والآخرين ولم يقل

اوحى

أوحى اليك ولكن على لفظ المضارع ليدل على أن ايحاء مثله عادته * وقرئ يوحى اليك على البناء للمفعول (فان قلت) فما رافع اسم الله على هذه القراءة (قلت) ما دل عليه يوحى كأن قائلا قال من الموحى فقيل الله كقراءة السلمى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم على البناء للمفعول ورفع شركائهم على معنى زينه لهم شركاؤهم (فان قلت) فما رافعه فيمن قرأ نوحى بالنون (قلت) يرتفع بالابتداء * والعزيز وما بعده أخبار أو العزيز الحكيم صفتان والظرف خبر * قرئ تكاد بالتاء والياء وينفطرن ويتفطرن وروى يونس عن أبى عمرو قراءة غريبة تتفطرن بتاءين مع النون ونظيرها حرف نادر روى فى نوادر ابن الاعرابى الابل تتشمن ومعناه يكدن ينفطرن من علو شأن الله وعظمته يدل عليه مجيئه بعد العلى العظيم وقيل من دعائهم له ولدا كقوله تعالى تكاد السموات ينفطرن منه * (فان قلت) لم قال من فوقهن (قلت) لان أعظم الآيات وأدلها على الجلال والعظمة فوق السموات وهى العرش والكرسى وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتقديس حول العرش وما لا يعلم كنهه الا الله تعالى من آثار ملكوته العظمى فلذلك قال (ينفطرن من فوقهن) أى يبتدئ الانفطار من جهتهن الفوقانية أو لان كلمة الكفر جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس أن يقال ينفطرن من تحتهن من الجهة التى جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ فى ذلك فجعلت مؤثرة فى جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينفطرن من الجهة التى فوقهن دع الجهة التى تحتهن ونظيره فى المبالغة قوله عز وعلا يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم فجعل الحميم مؤثرا فى أجزائهم الباطنة وقيل من فوقهن من فوق الارضين * (فان قلت) كيف صح أن يستغفروا لمن فى الارض وفيهم الكفار أعداء الله وقد قال الله تعالى أولئك عليهم لعنة الله والملائكة فكيف يكونون لاعنين مستغفرين لهم (قلت) قوله (لمن فى الارض) يدل على جنس أهل الارض وهذه الجنسية قائمة فى كلهم وفى بعضهم فيجوز أن يراد به هذا وهذا وقد دل الدليل على أن الملائكة لا يستغفرون الا لاولياء الله وهم المؤمنون فما أراد الله الا اياهم ألا ترى الى قوله تعالى فى سورة المؤمن ويستغفرون للذين آمنوا وحكايته عنهم فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك كيف وصفوا المستغفر لهم بما يستوجب به الاستغفار فما تركوا للذين لم يتوبوا من المصدقين طمعا فى استغفارهم فكيف للكفرة ويحتمل أن يقصدوا بالاستغفار طلب الحلم والغفران فى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا الى أن قال انه كان حليما غفورا وقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والمراد الحلم عنهم وأن لا يعاجلهم بالانتقام فيكون عاما (فان قلت) قد فسرت قوله تعالى تكاد السموات ينفطرن بتفسيرين فما وجه طباق ما بعده لهما (قلت) أما على أحدهما فكأنه قيل تكاد السموات ينفطرن هيبة من جلاله واحتشاما من كبريائه والملائكة الذين هم ملء السبع الطباق وحافون حول العرش صفوفا بعد صفوف يداومون خضوعا لعظمته على عبادته وتسبيحه وتحميده ويستغفرون لمن فى الارض خوفا عليهم من سطواته وأما على الثانى فكأنه قيل يكدن ينفطرن من اقدام أهل الشرك على تلك الكلمة الشنعاء والملائكة يوحدون الله وينزهونه عما لا يجوز عليه من الصفات التى يضيفها اليه الجاهلون به حامدين له على ما أولاهم من ألطافه التى علم أنهم عندها يستعصمون مختارين غير ملجئين ويستغفرون لمؤمنى أهل الارض الذين تبرؤا من تلك الكلمة ومن أهلها أو يطلبون الى ربهم أن يحلم عن أهل الارض ولا يعاجلهم بالعقاب مع وجود ذلك فيهم لما عرفوا فى ذلك من المصالح وحرصا على نجاة الخلق وطمعا فى توبة الكفار والفساق منهم (والذين اتخذوا من دونه أولياء) جعلوا له شركاء وأندادا (الله حفيظ عليهم) رقيب على أحوالهم وأعمالهم لا يفوته منها شئ وهو محاسبهم عليها ومعاقبهم لا رقيب عليهم الا هو وحده (وما أنت) يا محمد بموكل بهم ولا مفوض اليك أمرهم ولا قسرهم على الايمان انما أنت منذر فحسب * ومثل ذلك (أوحينا اليك) وذلك اشارة الى معنى الآية قبلها من أن الله تعالى هو الرقيب عليهم وما أنت برقيب عليهم ولكن نذير لهم لان هذا المعنى كرره الله فى كتابه فى مواضع جمة والكاف مفعول به لأوحينا و (قرآنا عربيا) حال من المفعول به أى أوحيناه اليك وهو قرآن عربى بين لا لبس فيه عليك

له ما فى السموات وما فى الارض وهو العلى العظيم تكاد السموات يتفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض ألا ان الله هو الغفور الرحيم والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا

واحدة ولكن يدخل من يشاء في رحمته والظالمون مالهم من ولي ولا نصير أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه الى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت واليه أنيب فاطر السموات والارض جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه

لتفهم ما يقال لك ولا تتجاوز حد الانذار ويجوز أن يكون ذلك اشارة الى مصدر أوحينا أي ومثل ذلك الايحاء البين المفهم أوحينا اليك قرآنا عربيا بلسانك (لتنذر) يقال أنذرته كذا وأنذرته بكذا وقد عدي الاول أعني لتنذر أم القرى الى المفعول الاول والثاني وهو قوله وتنذر يوم الجمع الى المفعول الثاني (أم القرى) أهل أم القرى كقوله تعالى واسئل القرية (ومن حولها) من العرب * وقرئ لينذر بالياء والفعل للقرآن (يوم الجمع) يوم القيامة لان الخلائق تجمع فيه قال الله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل يجمع بين الارواح والاجساد وقيل يجمع بين كل عامل وعمله و(لاريب فيه) اعتراض لا محل له * قرئ فريق وفريق بالرفع والنصب فالرفع على منهم فريق ومنهم فريق والضمير للمجموعين لان المعنى يوم جمع الخلائق والنصب على الحال منهم أي متفرقين كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون (فان قلت) كيف يكونون مجموعين متفرقين في حالة واحدة (قلت) هم مجموعون في ذلك اليوم مع افتراقهم في داري البؤس والنعيم كما يجتمع الناس يوم الجمعة متفرقين في مسجدين وان أريد بالجمع جمعهم في الموقف فالتفرق على معنى مشارفتهم للتفرق (لجعلهم أمة واحدة) أي مؤمنين كلهم على القسر والاكراه كقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها وقوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا والدليل على أن المعنى هو الالجاء الى الايمان قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وقوله تعالى أفأنت تكره بادخال همزة الانكار على المكره دون فعله دليل على أن الله وحده هو القادر على هذا الاكراه دون غيره والمعنى ولو شاء ربك مشيئة قدرة لقسرهم جميعا على الايمان * ولكنه شاء مشيئة حكمة فكلفهم وبنى أمرهم على ما يختارون ليدخل المؤمنين في رحمته وهم المرادون بمن يشاء ألا ترى الى وضعهم في مقابلة الظالمين ويترك الظالمين بغير ولي ولا نصير في عذابه * معنى الهمزة في (أم) الانكار (فالله هو الولي) هو الذي يجب أن يتولى وحده ويعتقد أنه المولى والسيد فالفاء في قوله فالله هو الولي جواب شرط مقدر كأنه قيل بعد انكار كل ولي سواه ان أرادوا وليا بحق فالله هو الولي بالحق لا ولي سواه (وهو يحيي) أي ومن شأن هذا الولي أنه يحيي (الموتى وهو على كل شيء قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ وليا دون من لا يقدر على شيء (وما اختلفتم فيه من شيء) حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أي ما خالفكم فيه الكفار من أهل الكتاب والمشركين فاختلفتم أنتم وهم فيه من أمر من أمور الدين فحكم ذلك المختلف فيه مفوض الى الله تعالى وهو اثابة المحقين فيه من المؤمنين ومعاقبة المبطلين (ذلكم) الحاكم بينكم هو (الله ربي عليه توكلت) في رد كيد أعداء الدين (واليه) أرجع في كفاية شرهم وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم من شيء من الخصومات فتحاكموا فيه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره كقوله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا في بيانه الى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التي لا تتصل بتكليفكم ولا طريق لكم الى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح قال الله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي (فان قلت) هل يجوز حمله على اختلاف المجتهدين في أحكام الشريعة (قلت) لا لان الاجتهاد لا يجوز بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فاطر السموات) قرئ بالرفع والجر فالرفع على أنه أحد أخبار ذلكم أو خبر مبتدأ محذوف والجر على فحكمه الى الله فاطر السموات وذلكم الى أنيب اعتراض بين الصفة والموصوف (جعل لكم) خلق لكم (من أنفسكم) من جنسكم من الناس (أزواجا ومن الانعام أزواجا) أي وخلق من الانعام أزواجا ومعناه وخلق للانعام أيضا من أنفسها أزواجا (يذرؤكم) يكثركم يقال ذرأ الله الخلق بثهم وكثرهم والذر والذرو والذرء أخوات (فيه) في هذا التدبير وهو أن جعل للناس والانعام أزواجا حتى كان بين ذكورهم واناثهم التوالد والتناسل والضمير في يذرؤكم يرجع الى المخاطبين والانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين (فان قلت) ما معنى يذرؤكم في هذا التدبير وهلا قيل يذرؤكم به (قلت) جعل هذا التدبير كالمنبع والمعدن للبث والتكثير

القول في سورة حم عسق

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه (قال ان الضمير المتصل بيذرؤ عائد على الانفس وعلى الانعام مغلبا فيه المخاطبون العقلاء على الغيب مما لا يعقل وهي من الاحكام ذات العلتين انتهى كلامه) قلت الصحيح انهما حكمان متباينان غير متداخلين أحدهما مجيئه على نعت ضمير العقلاء أعم من قوله مخاطبا أو غائبا والثاني مجيئه بعد ذلك على نعت الخطاب فالاول لتغليب العقل والثاني لتغليب الخطاب

الا

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيء عليم شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب

ألا ترى الى تقول الحيوان في خلق الازواج تكثير كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة * قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لانهم اذا نفوه عمن يسد مسده وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك أنت لا تخفر ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون ايفاعه وبلوغه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته والقصد الى طهارته وطيبه فاذا علم أنه من باب الكناية لم يقع فرق بين قوله ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها وكأنهما عبارتان معتقبتان على معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته ونحوه قوله عز وجل بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لها لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون شيأ آخر حتى انهم استعملوها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل ومن لا مثل له ولك أن تزعم أن كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررها من قال * وصاليات ككما يؤثفين * ومن قال * فأصبحت مثل كعصف مأكول * وقرئ ويقدر (انه بكل شيء عليم) فاذا علم أن الغنى خير للعبد أغناه والا أفقره (شرع لكم من الدين) دين نوح ومحمد ومن بينهما من الانبياء ثم فسر المشروع الذي اشترك هؤلاء الاعلام من رسله فيه بقوله (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) والمراد اقامة دين الاسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والايمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل باقامته مسلما ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الامم على حسب أحوالها فانها مختلفة متفاوتة قال الله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ومحل أن أقيموا اما نصب بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه واما رفع على الاستئناف كأنه قيل وما ذلك المشروع فقيل هو اقامة الدين ونحوه قوله تعالى ان هذه أمتكم أمة واحدة (كبر على المشركين) عظم عليهم وشق عليهم (ما تدعوهم اليه) من اقامة دين الله والتوحيد (يجتبي اليه) يجتلب اليه ويجمع والضمير للدين بالتوفيق والتسديد (من يشاء) من ينفع فيهم توفيقه ويجري عليهم لطفه (وما تفرقوا) يعني أهل الكتاب بعد أنبيائهم (الا من بعد) أن علموا أن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الانبياء (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهي عدة التأخير الى يوم القيامة (لقضي بينهم) حين افترقوا لعظم ما اقترفوا (وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم) وهم أهل الكتاب الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (لفي شك) من كتابهم لا يؤمنون به حق الايمان وقيل كان الناس أمة واحدة مؤمنين بعد أن أهلك الله أهل الارض أجمعين بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الابناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله اليهم النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وانما اختلفوا للبغي بينهم وقيل وما تفرق أهل الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم

* قوله تعالى ليس كمثله شيء (قال فيه) تقول العرب مثلك لا يبخل فينفون البخل عن مثله والمراد نفسه ونظيره قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم ومنه قولهم قد أيفعت لداته وبلغت أترابه وفي حديث رقيقة بنت صيفي في سقيا عبد المطلب ألا وفيهم الطيب الطاهر لداته تريد طهارته وطيبه فاذا علم أنه من باب الكناية لم يكن فرق بين قولك ليس كالله شيء وبين قوله ليس كمثله شيء الا ما تعطيه الكناية من فائدتها ونحوه قوله تعالى بل يداه مبسوطتان فان معناه بل هو جواد من غير تصور يد ولا بسط لانها وقعت عبارة عن الجود لا يقصدون بها شيأ آخر حتى انهم يستعملونها فيمن لا يد له فكذلك استعمل هذا فيمن له مثل وفيمن لا مثل له ثم قال ولك أن تزعم ان كلمة التشبيه كررت للتأكيد كما كررت في قول من قال * وصاليات ككما يؤثفين * ومن قال * فأصبحت مثل كعصف مأكول * انتهى كلامه (قلت) هذا الوجه الثاني مردود على ما فيه من الاخلال بالمعنى وذلك ان الذي يليق هنا تأكيد نفي المماثلة والكاف على هذا الوجه انما تؤكد المماثلة وفرق بين تأكيد المماثلة المنفية وبين تأكيد نفي المماثلة فان نفي المماثلة المهملة عن التأكيد أبلغ وآكد في المعنى من نفي المماثلة المقترنة بالتأكيد اذ يلزم من نفي المماثلة الغير المؤكدة نفي كل مماثلة ولا يلزم من نفي مماثلة محققة متأكدة بالغة نفي مماثلة دونها في التحقيق والتأكيد وحيث وردت الكاف مؤكدة للمماثلة وردت في الاثبات فأكدته فليس النظر في الآية بهذين النظرين مستقيما والله أعلم وعمار شد الى صحة ما ذكرته ان القائل أن يقول ليس زيد شبيها بعمرو لكن مشبها له ولو عكس هذا لم يكن صحيحا وما ذاك الا انه يلزم من نفي أدنى المشابهة نفي أعلاها ولا يلزم من نفي أعلاها نفي أدناها فتأكيد التشبيه قصر عن المبالغة والوجه الاول الذي ذكره هو الوجه في الآية عنده وأتى عطية الضعف في هذا الوجه الثاني بقوله ولك أن تزعم فافهم

* قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب (قال فرق بين عملي العاملين بأن من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطى منها شيأ الا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له

فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا واليه المصير والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم وعليهم غضب ولهم عذاب شديد الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان وما يدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ألا ان الذين يمارون في الساعة لفي ضلال بعيد الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله

كقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم هم المشركون أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب التوراة والانجيل وقرئ ورثوا وورثوا (فلذلك) فلاجل التفرق ولما حدث بسببه من تشعب الكفر شعبا (فادع) الى الاتفاق والائتلاف على الملة الحنيفية القديمة (واستقم) عليها وعلى الدعوة اليها كما أمرك الله (ولا تتبع أهواءهم) المختلفة الباطلة (بما أنزل الله من كتاب) بأي كتاب صح أن الله أنزله يعني الايمان بجميع الكتب المنزلة لان المتفرقين آمنوا ببعض وكفروا ببعض كقوله تعالى ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض الى قوله أولئك هم الكافرون حقا (لأعدل بينكم) في الحكم اذا تخاصمتم فتحاكمتم الي (لا حجة بيننا وبينكم) أي لا خصومة لان الحق قد ظهر وصرتم محجوجين به فلا حاجة الى المحاجة ومعناه لا ايراد حجة بيننا لان المتحاجين يورد هذا حجته وهذا حجته (الله يجمع بيننا) يوم القيامة فيفصل بيننا وينتقم لنا منكم وهذه محاجزة ومتاركة بعد ظهور الحق وقيام الحجة والالزام (فان قلت) كيف حوجزوا وقد فعل بهم بعد ذلك ما فعل من القتل وتخريب البيوت وقطع النخيل والاجلاء (قلت) المراد محاجزتهم في مواقف المقاولة لا المقاتلة (يحاجون في الله) يخاصمون في دينه (من بعد) ما استجاب له الناس ودخلوا في الاسلام ليردوهم الى دين الجاهلية كقوله تعالى ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا كان اليهود والنصارى يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق وقيل من بعد ما استجاب الله لرسوله ونصره يوم بدر وأظهر دين الاسلام (داحضة) باطلة زالة (أنزل الكتاب) أي جنس الكتاب (والميزان) والعدل والتسوية ومعنى انزال العدل أنه أنزله في كتبه المنزلة وقيل الذي يوزن به * بالحق ملتبسا بالحق مقترنا به بعيدا من الباطل أو بالغرض الصحيح كما اقتضته الحكمة أو بالواجب من التحليل والتحريم وغير ذلك (الساعة) في تأويل البعث فلذلك قيل (قريب) أو لعل مجيء الساعة قريب (فان قلت) كيف يوفق ذكر اقتراب الساعة مع انزال الكتاب والميزان (قلت) لان الساعة يوم الحساب ووضع الموازين بالقسط فكأنه قيل أمركم الله بالعدل والتسوية والعمل بالشرائع قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم فيه ويزن أعمالكم ويوفي لمن أوفى ويطفف لمن طفف * المماراة الملاحة لان كل واحد منهما يماري ما عند صاحبه (لفي ضلال بعيد) من الحق لان قيام الساعة غير مستبعد من قدرة الله ولدلالة الكتاب المعجز على انها آتية لا ريب فيها ولشهادة العقول على أنه لابد من دار الجزاء (لطيف بعباده) بر بليغ البر بهم قد توصل بره الى جميعهم وتوصل من كل واحد منهم الى حيث لا يبلغه وهم أحد من كلياته وجزئياته (فان قلت) فما معنى قوله (يرزق من يشاء) بعد توصل بره الى جميعهم (قلت) كلهم مبرورون لا يخلو أحد من بره الا أن البر أصناف وله أوصاف والقسمة بين العباد تتفاوت على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ويصيب هذا حظ له وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه فمن قسم له منهم ما لا يقسم للآخر فقد رزقه وهو الذي أراد بقوله تعالى يرزق من يشاء كما يرزق أحد الاخوين ولدا دون الآخر على انه أصابه بنعمة أخرى لم يرزقها صاحب الولد (وهو القوي) الباهر القدرة الغالب على كل شئ (العزيز) المنيع الذي لا يغلب * سمى ما يعمله العامل مما يبتغي به الفائدة والزكاء حرثا على المجاز وفرق بين عملي العاملين بأن من عمل للآخرة وفق في عمله وضوعفت حسناته ومن كان عمله للدنيا أعطى شيأ منها الا ما يريده ويبتغيه وهو رزقه الذي قسم له وفرغ منه وماله نصيب قط في الآخرة ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على أن رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك الى جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب * معنى الهمزة في (أم) التقرير والتقريع * وشركاؤهم شياطينهم الذين زينوا لهم الشرك وانكار البعث والعمل للدنيا لانهم لا يعلمون غيرها وهو الدين الذي شرعت لهم الشياطين

وفرغ منه وماله في الآخرة من نصيب ولم يذكر في معنى عامل الآخرة وله في الدنيا نصيب على ان رزقه المقسوم له واصل اليه لا محالة للاستهانة بذلك في جنب ما هو بصدده من زكاء عمله وفوزه في المآب

ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وان الظالمين لهم عذاب أليم ترى الظالمين مشفقين مما كسبوا وهو واقع بهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى

* قوله تعالى الا المودة في القربى (قال فيه) ان قلت هلا قيل الا مودة القربى أو الا المودة للقربى وأجاب بأنهم جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان هوى وحب شديد وليس في صلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى وانما هي متعلقة بمحذوف تقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها انتهى كلامه (قلت) وهذا المعنى هو الذي قصد بقوله في الآية التي تقدمت ان قوله يذرؤكم فيه انما جاء عوضا من قوله يذرؤكم به فافهمه

وتعالى الله عن الاذن فيه والامر به وقيل شركاؤهم أوثانهم وانما أضيفت اليهم لانهم متخذوها شركاء الله فتارة تضاف اليهم لهذه الملابسة وتارة الى الله ولما كانت سببا لضلالتهم وافتتانهم جعلت شارعة لدين الكفر كما قال ابراهيم صلوات الله عليه انهن أضللن كثيرا من الناس (ولولا كلمة الفصل) أي القضاء السابق بتأجيل الجزاء أو ولولا العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لقضي بينهم) أي بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم * وقرأ مسلم بن جندب وأن الظالمين بالفتح عطفا له على كلمة الفصل يعني ولولا كلمة الفصل وتقدير تعذيب الظالمين في الآخرة لقضي بينهم في الدنيا (ترى الظالمين) في الآخرة (مشفقين) خائفين خوفا شديدا أرق قلوبهم (مما كسبوا) من السيآت (وهو واقع بهم) يريد وباله واقع بهم وواصل اليهم لا بد لهم منه أشفقوا أو لم يشفقوا * كأن روضة جنة المؤمن أطيب بقعة فيها وأنزهها (عند ربهم) منصوب بالظرف لا بيشاؤن * قرئ يبشر من بشره ويبشر من أبشره ويبشر من بشره والاصل ذلك الثواب الذي يبشر الله به عباده فحذف الجار كقوله تعالى واختار موسى قومه ثم حذف الراجع الى الموصول كقوله تعالى أهذا الذي بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذي يبشره الله عباده * روي أنه اجتمع المشركون في مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون محمدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت الآية (الا المودة في القربى) يجوز أن يكون استثناء متصلا أي لا أسألكم أجرا الا هذا وهو أن تودوا أهل قرابتي ولم يكن هذا أجرا في الحقيقة لان قرابته قرابتهم فكانت صلتهم لازمة لهم في المروءة ويجوز أن يكون منقطعا أي لا أسألكم أجرا قط ولكنني أسألكم أن تودوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم (فان قلت) هلا قيل الا مودة القربى أو الا المودة للقربى وما معنى قوله الا المودة في القربى (قلت) جعلوا مكانا للمودة ومقرا لها كقولك لي في آل فلان مودة ولي فيهم هوى وحب شديد تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله وليست في بصلة للمودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك المال في الكيس وتقديره الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيها والقربى مصدر كالزلفى والبشرى بمعنى القرابة والمراد في أهل القربى وروي أنها لما نزلت قيل يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال علي وفاطمة وابناهما ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه شكوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حسد الناس لي فقال أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذريتنا خلف أزواجنا وعن النبي صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي ومن اصطنع صنيعة الى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه عليها غدا اذا لقيني يوم القيامة وروي أن الانصار قالوا فعلنا وفعلنا كأنهم افتخروا فقال عباس أو ابن عباس رضي الله عنهما لنا الفضل عليكم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم في مجالسهم فقال يا معشر الانصار ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال ألم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي قالوا بلى يا رسول الله قال أفلا تجيبونني قالوا ما نقول يا رسول الله قال ألا تقولون ألم يخرجك قومك فآويناك أو لم يكذبوك فصدقناك أو لم يخذلوك فنصرناك قال فما زال يقول حتى جثوا على الركب وقالوا أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله فنزلت الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات على حب آل محمد مات شهيدا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة وقيل لم يكن بطن من بطون قريش الا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم قربى فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه نزلت والمعنى الا أن تودوني في القربى أي في حق القربى ومن أجلها كما تقول الحب في الله والبغض في الله بمعنى في حقه ومن أجله يعني أنكم قومي وأحق من أجابني

وأطاعنى فاذ قد أبيتم ذلك فاحفظوا حق القربى ولا تؤذونى ولا تهيجوا على وقيل أتت الانصار رسول الله
صلى الله عليه وسلم بمال جمعوه وقالوا يا رسول الله قد هدانا الله بك وأنت ابن أختنا وتعروك نوائب وحقوق
ومالك سعة فاستعن بهذا على ما ينوبك فنزلت ورده وقيل القربى التقرب الى الله تعالى أى الا أن تحبوا الله
ورسوله فى تقربكم اليه بالطاعة والعمل الصالح وقرئ الا مودة فى القربى (ومن يقترف حسنة) عن السدى
أنها المودة فى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم والظاهر
العموم فى أى حسنة كانت الا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة فى القربى دل ذلك على أنها تناولت المودة
تناولا أوليا كأن سائر الحسنات لها توابع وقرئ يزد أى يزد الله وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها كقوله
تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وقرئ حسنى وهى مصدر كالبشرى
* الشكور فى صفة الله مجاز للاعتداد بالطاعة وتوفية ثوابها والتفضل على المثاب (أم) منقطعة ومعنى الهمزة
فيه التوبيخ كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله الى الافتراء ثم الى الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى
وأفحشها (فان يشأ الله يختم على قلبك) فان يشأ الله يجعلك من المختوم على قلوبهم حتى تفترى عليه الكذب
فانه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله الا من كان فى مثل حالهم وهذا الاسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من
مثله وأنه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا أن يخون بعض الامناء
فيقول لعل الله خذلنى لعل الله أعمى قلبى وهو لا يريد اثبات الخذلان وعمى القلب وانما يريد استبعاد أن
يخون مثله والتنبيه على أنه ركب من تخوينه أمر عظيم ثم قال ومن عادة الله أن يمحو الباطل ويثبت الحق
(بكلماته) بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه يعنى لو كان مفتريا كما
تزعمون لكشف الله افتراءه ومحقه وقذف بالحق على باطله فدمغه ويجوز أن يكون عدة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم بأنه يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى أنت عليه بالقرآن
وبقضائه الذى لا مرد له من نصرتك عليهم * ان الله عليم بما فى صدرك وصدورهم فيجرى الامر على حسب
ذلك وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحى يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك
وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم (فان قلت) ان كان قوله ويمح الله الباطل
كلاما مبتدأ غير معطوف على يختم فما بال الواو ساقطة فى الخط (قلت) كما سقطت فى قوله تعالى ويدع
الانسان بالشر وقوله تعالى سندع الزبانية على أنها مثبتة فى بعض المصاحف * يقال قبلت منه الشئ وقبلته
عنه فمعنى قبلته منه أخذته منه وجعلته مبدأ قبولى ومنشأه ومعنى قبلته عنه عزلته عنه وأبنته عنه * والتوبة
أن يرجع عن القبيح والاخلال بالواجب بالندم عليهما والعزم على أن لا يعاود لان المرجوع عنه قبيح والاخلال
بالواجب وان كان فيه لعبد حق لم يكن بد من التفصى على طريقه وروى جابر أن أعرابيا دخل مسجد رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه
يا هذا ان سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى التوبة فقال يا أمير المؤمنين وما التوبة
قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذابة
النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية واذاقة النفس مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء
بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيئات) عن الكبائر اذا تيب عنها وعن الصغائر اذا اجتنبت الكبائر
(ويعلم ما يفعلون) قرئ بالتاء والياء أى يعلمه فيثيب على حسناته ويعاقب على سيئاته (ويستجيب الذين
آمنوا) أى يستجيب لهم فحذف اللام كما حذف فى قوله تعالى واذا كالوهم أى يثيبهم على طاعتهم ويزيدهم
على الثواب تفضلا أو اذا دعوه استجاب دعاءهم وأعطاهم ما طلبوا وزادهم على مطلوبهم وقيل
الاستجابة فعلهم أى يستجيبون له بالطاعة اذا دعاهم اليها (ويزيدهم) هو (من فضله) على ثوابهم وعن
سعيد بن جبير هذا من فعلهم يجيبونه اذا دعاهم وعن ابراهيم بن أدهم أنه قيل له ما بالنا ندعو فلا
نجاب قال لانه دعاكم فلم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو الى دار السلام ويستجيب الذين آمنوا (لبغوا) من

البغى

ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور أم يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله والكافرون لهم عذاب شديد ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض ولكن ينزل

بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وما أنتم

البغى وهو الظلم أى لبغى هذا على ذاك وذاك على هذا لان الغنى مبطرة مأشرة وكفى بحال قارون عبرة ومنه
قوله عليه الصلاة والسلام أخوف ما أخاف على أمتى زهرة الدنيا وكثرتها ولبعض العرب

وقد جعل الوسمى ينبت بيننا * وبين بنى رومان نبعا وشوحطا

يعنى أنهم أحيوا فحدثوا أنفسهم بالبغى والتفانى أو من البغى وهو البذخ والكبر أى لتكبروا فى الارض وفعلوا
ما يتبع الكبر من العلو فيها والفساد وقيل نزلت فى قوم من أهل الصفة تمنوا سعة الرزق والغنى قال خباب
ابن الارت فينا نزلت وذلك أنا نظرنا الى أموال بنى قريظة والنضير وبنى قينقاع فتمنيناها (بقدر) بتقدير يقال
قدره قدرا وقدرا (خبير بصير) يعرف ما يؤول اليه أحوالهم فيقدر لهم ما هو أصلح لهم وأقرب الى جمع
شملهم فيفقر ويغنى ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط كما توجبه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعا لبغوا ولو
أفقرهم لهلكوا (فان قلت) قد نرى الناس يبغى بعضهم على بعض ومنهم مبسوط لهم ومنهم مقبوض عنهم
فان كان المبسوط لهم يبغون فلم بسط لهم وان كان المقبوض عنهم يبغون فقد يكون البغى بدون البسط فلم
شرطه (قلت) لا شبهة فى أن البغى مع الفقر أقل ومع البسط أكثر وأغلب وكلاهما سبب ظاهر للاقدام على
البغى والاحجام عنه فلو عم البسط لغلب البغى حتى ينقلب الامر الى عكس ما عليه الآن * قرئ قنطوا بفتح
النون وكسرها (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه وما يحصل به من الخصب وعن عمر رضى الله عنه
أنه قيل له اشتد القحط وقنط الناس فقال مطروا اذا أراد هذه الآية ويجوز أن يريد رحمته فى كل شئ كأنه قال
ينزل الرحمة التى هى الغيث وينشر غيرها من رحمته الواسعة (الولى) الذى يتولى عباده باحسانه (الحميد)
المحمود على ذلك يحمده أهل طاعته (وما بث) يجوز أن يكون مرفوعا ومجرورا بحمل على المضاف اليه أو
المضاف (فان قلت) لم جاز (فيهما من دابة) والدواب فى الارض وحدها (قلت) يجوز أن ينسب الشئ الى
جميع المذكور وان كان ملتبسا ببعضه كما يقال بنو تميم فيهم شاعر مجيد أو شجاع بطل وانما هو فى فخذ من
أفخاذهم أو فصيلة من فصائلهم وبنو فلان فعلوا كذا وانما فعله نويس منهم ومنه قوله تعالى يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح ويجوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا
بالدبيب كما يوصف به الاناسى ولا يبعد أن يخلق فى السموات حيوانا يمشى فيها مشى الاناسى على الارض
سبحان الذى خلق ما نعلم وما لا نعلم من أصناف الخلق * اذا يدخل على المضارع كما يدخل على الماضى قال الله
تعالى والليل اذا يغشى ومنه (اذا يشاء) وقال الشاعر

واذا ما أشاء أبعث منها * آخر الليل ناشطا مذعورا

* فى مصاحف أهل العراق (فبما كسبت) باثبات الفاء على تضمين ما معنى الشرط وفى مصاحف أهل المدينة
بما كسبت بغير فاء على أن ما مبتدأة وبما كسبت خبرها من غير تضمين معنى الشرط والآية مخصوصة بالمجرمين
ولا يمتنع أن يستوفى الله بعض عقاب المجرم ويعفو عن بعض فأما من لا جرم له كالانبياء والاطفال والمجانين
فهؤلاء اذا أصابهم شئ من ألم أو غيره فللعوض الموفى والمصلحة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ما من اختلاج

* قوله تعالى وما بث فيهما من دابة (قال فيه فان قلت لم جاز فيهما من دابة والدواب فى الارض وحدها وأجاب بأنه يجوز أن ينسب
الشئ الى جميع المذكور وان كان لبعضه كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرج من الملح الخ) قال أحمد اطلاق الدواب
على الاناسى بعيد من عرف اللغة فكيف فى اطلاقه على الملائكة والصواب والله أعلم هو الوجه الاول وقد جاء مفسرا فى غير ما آية
كقوله ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار ثم قال وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث فيها
من كل دابة فخص هذا الامر بالارض والله أعلم * قوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت (٦٩) أيديكم ويعفو عن كثير (قال
فيه الآية مخصوصة بالمجرمين الخ) قال أحمد هذه الآية تنكسر عندها القدرية ولا يمكنهم ترويج حيلة فى صرفها عن مقتضى نصها فانهم حملوا قوله تعالى ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء على
التائب وهو غير ممكن لهم ههنا فانه قد أثبت التبعيض فى العفو ومحال عندهم أن يكون العفو هنا مقرونا بالتوبة فانه يلزم تبعيض التوبة أيضا وهى عندهم لا تتبعض
وكذلك نقل الامام عن أبى هاشم وهو رأس الاعتزال والذى تولى كبره منهم فلا محمل لها الا الحق الذى لا مرية فيه وهو صرف العفو الى
مشيئة الله تعالى غير موقوف على التوبة وقول الزمخشرى ان الآلام التى تصيب الاطفال والمجانين لها أعواض انما يريد به وجوب
العوض على الله تعالى على سياق معتقده وقد أخطأ على الاصل والفرع لان المعتزلة وان أخطأت فى ايجاب العوض فلم تقل بايجابه فى
الاطفال والمجانين ألا ترى ان القاضى أبا بكر ألزمهم قبح ايلام البهائم والاطفال والمجانين فقال لا أعواض لها وليس مترتبا على استحقاق
سابق فيحسن فانما يتم الزامه بموافقتهم له على أن لا أعواض لها

بمعجزين فى الارض ومالكم من دون (٧٠) الله من ولى ولانصير ومن آياته الجوار فى البحر كالاعلام ان يشأ يسكن

الريح فيظللن رواكد
على ظهره ان فى ذلك
لآيات لكل صبار
شكور أو يوبقهن بما
كسبوا و يعف عن كثير
ويعلم الذين يجادلون فى
آياتنا مالهم من محيص
فما أوتيتم من شئ
فمتاع الحياة الدنيا وما
عند الله خير وأبقى
للذين آمنوا وعلى
ربهم يتوكلون والذين
يجتنبون كبائر الاثم
والفواحش واذا
ماغضبوا هم يغفرون
والذين استجابوا لربهم
وأقاموا الصلوة
وأمرهم شورى بينهم

عرق ولا خدش عود ولا نكبة حجر الا بذنب ولما يعفو الله عنه أكثر وعن بعضهم من لم يعلم أن ماوصل اليه من الفتن والمصائب باكتسابه وأن ماعفا عنه مولاه أكثر كان قليل النظر فى احسان ربه اليه وعن آخر العبد ملازم للجنايات فى كل أوان وجناياته فى طاعاته أكثر من جناياته فى معاصيه لان جناية المعصية من وجه وجناية الطاعة من وجوه والله يطهر عبده من جناياته بأنواع من المصائب ليخفف عنه أثقاله فى القيامة ولولا عفوه ورحمته لهلك فى أول خطوة وعن على رضى الله عنه وقد رفعه من عفى عنه فى الدنيا عفى عنه فى الآخرة ومن عوقب فى الدنيا لم تثن عليه العقوبة فى الآخرة وعنه رضى الله عنه هذه أرجى آية للمؤمنين فى القرآن (بمعجزين) بفائتين ماقضى عليكم من المصائب (من ولى) من متول بالرحمة (الجوارى) السفن وقرى الجوار (كالاعلام) كالجبال قالت الخنساء * كأنه علم فى رأسه نار * وقرئ الرياح فيظللن بفتح اللام وكسرها من ظل يظل و يظل نحو ضل يضل ويضل (رواكد) ثوابت لا تجرى (على ظهره) على ظهر البحر (لكل صبار) على بلاء الله (شكور) لنعمائه وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه وهو الذى وكل همته بالنظر فى آيات الله فهو يستملى منها العبر (يوبقهن) يهلكهن والمعنى أنه ان يشأ يبتلى المسافرين فى البحر باحدى بليتين اما أن يسكن الريح فيركد الجوارى على متن البحر ويمنعهن من الجرى واما أن يرسل الريح عاصفة فيهلكهن اغراقا بسبب ما كسبوا من الذنوب (و يعف عن كثير) منها (فان قلت) علام عطف يوبقهن (قلت) على يسكن لان المعنى ان يشأ يسكن الريح فيركدن أو يعصفها فيغرقن بعصفها (فان قلت) فما معنى ادخال العفو فى حكم الايباق حيث جزم جزمه (قلت) معناه أو ان يشأ يهلك ناسا و ينج ناسا على طريق العفو عنهم (فان قلت) فمن قرأ و يعفو (قلت) قد استأنف الكلام (فان قلت) فما وجوه القراآت الثلاث فى (و يعلم) قلت أما الجزم فعلى ظاهر العطف وأما الرفع فعلى الاستئناف وأما النصب فللعطف على تعليل محذوف تقديره لينتقم منهم و يعلم الذين يجادلون ونحوه فى العطف على التعليل المحذوف غير عزيز فى القرآن منه قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله تعالى وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وأما قول الزجاج النصب على اضمار أن لان قبلها جزاء تقول ماتصنع أصنع مثله وأكرمك وان شئت وأكرمك على وأنا أكرمك وان شئت وأكرمك جزما ففيه نظر لما أورده سيبويه فى كتابه قال واعلم أن النصب بالفاء والواو فى قوله ان تأتنى آتك وأعطيك ضعيف وهو نحو من قوله * وألحق بالحجاز فأستريحا * فهذا يجوز وليس بحد الكلام ولا وجهه الا أنه فى الجزاء صار أقوى قليلا لانه ليس بواجب أنه يفعل الا أن يكون من الاول فعل فلما ضارع الذى لا يوجبه كالاستفهام ونحوه أجازوا فيه هذا على ضعفه اه ولا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه ولو كانت من هذا الباب لما أخلى سيبويه منها كتابه وقد ذكر نظائرها من الآيات المشكلة (فان قلت) فكيف يصح المعنى على جزم و يعلم (قلت) كأنه قال ان يشأ يجمع بين ثلاثة أمور هلاك قوم ونجاة قوم وتحذير آخرين (من محيص) من محيد عن عقابه * ما الاولى ضمنت معنى الشرط فجاءت الفاء فى جوابها بخلاف الثانية عن على رضى الله عنه اجتمع لابى بكر رضى الله عنه مال فتصدق به كله فى سبيل الله والخير فلامه المسلمون وخطأه الكافرون فنزلت (والذين يجتنبون) عطف على الذين آمنوا وكذلك ما بعده ومعنى (كبائر الاثم) الكبائر من هذا الجنس وقرئ كبير الاثم وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما كبير الاثم هو الشرك (هم يغفرون) أى هم الاخصاء بالغفران فى حال الغضب لا يغول الغضب أحلامهم كما يغول حلوم الناس والمجئ بهم وايقاعه مبتدأ واسناد يغفرون اليه لهذه الفائدة ومثله هم ينتصرون (والذين استجابوا لربهم) نزلت فى الانصار دعاهم الله عز وجل للايمان به وطاعته فاستجابوا له بأن آمنوا به وأطاعوه (وأقاموا الصلوة) وأتموا الصلوات الخمس * وكانوا قبل الاسلام وقبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اذا كان بهم أمر اجتمعوا وتشاوروا فأثنى الله عليهم أى لا ينفردون برأى حتى يجتمعوا عليه وعن الحسن ما تشاور قوم الا هدوا لأرشد أمرهم * والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور ومعنى قوله (وأمرهم شورى بينهم)

* قوله تعالى ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره (قال فيه معناه ثوابت لا تجرى على ظهر البحر) قال أحمد وهم يقولون ان الريح لم ترد فى القرآن الا عذابا بخلاف الرياح وهذه الآية تخرم الاطلاق فان الريح المذكور هنا نعمة ورحمة اذ بواسطتها يسير الله السفن فى البحر حتى لو سكنت لركدت السفن ولا ينكر أن الغالب من ورودها مفردة ماذكروه وأما اطراده فلا وما ورد فى الحديث اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا فلاجل الغالب فى الاطلاق والله أعلم

أى

* قوله تعالى فمن عفا وأصلح فأجره على الله انه لا يحب الظالمين (قال فيه دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه الخ) قال أحمد معنى حسن يجاب به عن قول القائل لم ذكر هذا عقب العفو مع أن الانتصار ليس بظلم فيشفى غليل السائل و يحصل منه على كل طائل ومن هذا النمط والله الموفق قوله تعالى وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت (٧١) أيديهم فان الانسان كفور (قال فيه لم يقل

ومما رزقناهم ينفقون
والذين اذا أصابهم البغى
هم ينتصرون وجزاء
سيئة سيئة مثلها فمن
عفا وأصلح فأجره على
الله انه لا يحب الظالمين
ولمن انتصر بعد ظلمه
فأولئك ماعليهم من
سبيل انما السبيل على
الذين يظلمون الناس
ويبغون فى الارض بغير
الحق أولئك لهم عذاب
أليم ولمن صبر وغفر ان
ذلك لمن عزم الأمور
ومن يضلل الله فماله
من ولى من بعده وترى
الظالمين لما رأوا العذاب
يقولون هل الى مرد
من سبيل وتراهم
يعرضون عليها خاشعين
من الذل ينظرون من
طرف خفى وقال الذين
آمنوا ان الخاسرين
الذين خسروا أنفسهم
وأهليهم يوم القيامة
ألا إن الظالمين فى عذاب
مقيم وما كان لهم من
أولياء ينصرونهم من
دون الله ومن يضلل
الله فماله من سبيل
استجيبوا لربكم من قبل
أن يأتى يوم لا مرد له
من الله مالكم من

أى ذو شورى وكذلك قولهم ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة شورى * هو أن يقتصروا فى الانتصار على ماجعله الله لهم ولا يعتدوا وعن النخعى أنه كان اذا قرأها قال كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فيجترئ عليهم الفساق (فان قلت) أهم محمودون على الانتصار (قلت) نعم لان من أخذ حقه غير متعد حد الله وما أمر به فلم يسرف فى القتل ان كان ولى دم أو رد على سفيه محاماة على عرضه وردعا له فهو مطيع وكل مطيع محمود * كلتا الفعلتين الاولى وجزاؤها سيئة لانها تسوء من تنزل به قال الله تعالى وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك يريد ما يسوءهم من المصائب والبلايا والمعنى أنه يجب اذا قوبلت الاساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة فاذا قال أخزاك الله قال أخزاك الله (فمن عفا وأصلح) بينه وبين خصمه بالعفو والاغضاء كما قال تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم (فأجره على الله) عدة مبهمة لا يقاس أمرها فى العظم وقوله (انه لا يحب الظالمين) دلالة على أن الانتصار لا يكاد يؤمن فيه تجاوز السيئة والاعتداء خصوصا فى حال الحرد والتهاب الحمية فربما كان المجازى من الظالمين وهو لا يشعر وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة نادى مناد من كان له على الله أجر فليقم قال فيقوم خلق فيقال لهم ما أجركم على الله فيقولون نحن الذين عفونا عمن ظلمنا فيقال لهم ادخلوا الجنة باذن الله (بعد ظلمه) من اضافة المصدر الى المفعول وتفسره قراءة من قرأ بعد ماظلم (فأولئك) اشارة الى معنى من دون لفظه (ماعليهم من سبيل) للمعاقب ولا للعاتب والعائب (انما السبيل على الذين يظلمون الناس) يبتدؤنهم بالظلم (ويبغون فى الارض) يتكبرون فيها و يعلون ويفسدون (ولمن صبر) على الظلم والاذى (وغفر) ولم ينتصر وفوض أمره الى الله (ان ذلك) منه (لمن عزم الامور) وحذف الراجع لانه مفهوم كما حذف من قولهم السمن منوان بدرهم ويحكى أن رجلا سب رجلا فى مجلس الحسن رحمه الله فكان المسبوب يكظم و يعرق فيمسح العرق ثم قام فتلا هذه الآية فقال الحسن عقلها والله وفهمها اذ ضيعها الجاهلون وقالوا العفو مندوب اليه ثم الامر قد ينعكس فى بعض الاحوال فيرجع ترك العفو مندوبا اليه وذلك اذا احتيج الى كف زيادة البغى وقطع مادة الاذى وعن النبى صلى الله عليه وسلم مايدل عليه وهو أن زينب أسمعت عائشة بحضرته وكان ينهاها فلا تنتهى فقال لعائشة دونك فانتصرى (ومن يضلل الله) ومن يخذل الله (فماله من ولى من بعده) فليس له من ناصر يتولاه من بعد خذلانه (خاشعين) متضائلين متقاصرين مما يلحقهم (من الذل) وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين (ينظرون من طرف خفى) أى يبتدئ نظرهم من تحريك لأجفانهم ضعيف خفى بمسارقة كما ترى المصبور ينظر الى السيف وهكذا نظر الناظر الى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها كما يفعل فى نظره الى المحاب وقيل يحشرون عميا فلا ينظرون الا بقلوبهم وذلك نظر من طرف خفى وفيه تعسف (يوم القيامة) إما أن يتعلق بخسروا و يكون قول المؤمنين واقعا فى الدنيا واما أن يتعلق بقال أى يقولون يوم القيامة اذا رأوهم على تلك الصفة (من الله) من صلة لا مرد أى لا يرده الله بعدما حكم به أو من صلة يأتى أى من قبل أن يأتى من الله يوم لا يقدر أحد على رده * والنكير الانكار أى مالكم من مخلص من العذاب ولا تقدرون أن تنكروا شيأ مما اقترفتموه ودون فى صحائف أعمالكم * أراد بالانسان الجمع لا الواحد لقوله وان تصبهم سيئة ولم يرد الا المجرمين لان اصابة السيئة بما قدمت أيديهم انما تستقيم فيهم * والرحمة النعمة من الصحة والغنى والأمن والسيئة البلاء من المرض والفقر والمخاوف * والكفور البليغ الكفران ولم يقل فانه كفور ليسجل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم كما قال ان الانسان لظلوم كفار ان الانسان لربه لكنود

فانه كفور ليسجل على هذا الجنس أنه موسوم بكفران النعم الخ) قال أحمد وقد أغفل هذه النكتة بعينها فى الآية التى قبل هذه وهى قوله تعالى وقال الذين آمنوا ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم فوضع الظالمين موضع الضمير الذى كان من حقه أن يعود على اسم ان فيقال ألا انهم فى عذاب مقيم فأتى هذا الظاهر تسجيلا عليهم بلسان ظلمهم

ملجأ يومئذ ومالكم من نكير فان أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا ان عليك الا البلاغ وانا اذا أذقنا الانسان منا رحمة فرح بها وان تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم فان الانسان كفور لله ملك السموات والارض يخلق ما يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما انه عليم قدير وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء انه علي حكيم وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان

والمعنى أنه يذكر البلاء وينسى النعم ويغمطها لما ذكر اذاقة الانسان الرحمة واصابته بضدها أتبع ذلك ان لله الملك وأنه يقسم النعمة والبلاء كيف أراد ويهب لعباده من الاولاد ما تقتضيه مشيئته فيخص بعضا بالاناث وبعضا بالذكور وبعضا بالصنفين جميعا ويعقم آخرين فلا يهب لهم ولدا قط (فان قلت) لم قدم الاناث أولا على الذكور مع تقدمهم عليهن ثم رجع فقدمهم ولم عرف الذكور بعدما نكر الاناث (قلت) لانه ذكر البلاء في آخر الآية الاولى وكفران الانسان بنسيانه الرحمة السابقة عنده ثم عقبه بذكر ملكه ومشيئته وذكر قسمة الاولاد فقدم الاناث لأن سياق الكلام أنه فاعل ما يشاؤه لا ما يشاؤه الانسان فكان ذكر الاناث اللاتي من جملة ما لا يشاؤه الانسان أهم والاهم واجب التقديم وليلي الجنس الذي كانت العرب تعده بلاء ذكر البلاء وأخر الذكور فلما أخرهم لذلك تدارك تأخيرهم وهم أحقاء بالتقديم بتعريفهم لان التعريف تنويه وتشهير كأنه قال ويهب لمن يشاء الفرسان الاعلام المذكورين الذين لا يخفون عليكم ثم أعطى بعد ذلك كلا الجنسين حقه من التقديم والتأخير وعرف أن تقديمهن لم يكن لتقدمهن ولكن لمقتض آخر فقال (ذكرانا واناثا) كما قال انا خلقناكم من ذكر وأنثى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وقيل نزلت في الانبياء صلوات الله عليهم وسلامه حيث وهب لشعيب ولوط اناثا ولابراهيم ذكورا ولمحمد ذكورا واناثا وجعل يحيى وعيسى عقيمين (انه عليم) بمصالح العباد (قدير) على تكوين ما يصلحهم (وما كان لبشر) وما صح لاحد من البشر (أن يكلمه الله الا) على ثلاثة أوجه اما على طريق الوحي وهو الالهام والقذف في القلب أو المنام كما أوحى الى أم موسى والى ابراهيم عليه السلام في ذبح ولده وعن مجاهد أوحى الله الزبور الى داود عليه السلام في صدره قال عبيد بن الابرص

وأوحى الي الله أن قد تأمروا * بابل أبي أوفى فقمت على رجل

أي ألهمني وقذف في قلبي واما على أن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الاجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه لانه في ذاته غير مرئي وقوله (من وراء حجاب) مثل أي كما يكلم الملك المحتجب بعض خواصه وهو من وراء الحجاب فيسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى ويكلم الملائكة واما على أن يرسل اليه رسولا من الملائكة فيوحي الملك اليه كما كلم الانبياء غير موسى وقيل وحيا كما أوحى الى الرسل بواسطة الملائكة (أو يرسل رسولا) أي نبيا كما كلم أمم الانبياء على ألسنتهم ووحيا وان يرسل مصدران واقعان موقع الحال لان أن يرسل في معنى ارسالا ومن وراء حجاب ظرف واقع موقع الحال أيضا كقوله تعالى وعلى جنوبهم والتقدير وما صح أن يكلم أحدا الا موحيا أو مسمعا من وراء حجاب أو مرسلا ويجوز أن يكون وحيا موضوعا موضع كلاما لان الوحي كلام خفي في سرعة كما تقول لا أكلمه الا جهرا والا خفاتا لان الجهر والخفات ضربان من الكلام وكذلك ارسالا جعل الكلام على لسان الرسول بمنزلة الكلام بغير واسطة تقول قلت لفلان كذا وانما قاله وكيلك أو رسولك وقوله أو من وراء حجاب معناه أو اسماعا من وراء حجاب ومن جعل وحيا في معنى أن يوحي وعطف يرسل عليه على معنى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أي الا بأن يوحي أو بأن يرسل فعليه أن يقدر قوله أو من وراء حجاب تقديرا يطابقه ماعليه نحو أو أن يسمع من وراء حجاب وقرئ أو يرسل رسولا فيوحي بالرفع على أو هو يرسل أو بمعنى مرسلا عطفا على وحيا في معنى موحيا وروي أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر اليه ان كنت نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فانا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك فقال لم ينظر موسى الى الله فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت أولم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية (انه علي) عن صفات المخلوقين (حكيم) يجري أفعاله على موجب الحكمة فيكلم تارة بواسطة وأخرى بغير واسطة اما الهاما واما خطابا (روحا من أمرنا) يريد ما أوحى اليه لان الخلق يحيون به في دينهم كما يحيا الجسد بالروح (فان قلت) قد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدري ما القرآن قبل نزوله عليه فما معنى قوله (ولا الايمان) والانبياء لا يجوز عليهم اذا عقلوا وتمكنوا من

* قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب (٧٢) ولا الايمان (قال فان قلت قد علم ان النبي عليه الصلاة والسلام ما كان يدري الكتاب قبل الوحي الخ) قال أحمد لما كان معتقد الزمخشري ان الايمان اسم التصديق مضافا اليه كثير من الطاعات فعلا وتركا حتى لا يتناول الموحد العاصي ولو بكبيرة واحدة اسم الايمان ولا يناله وعد المؤمنين وتفطن لامكان الاستدلال على صحة معتقده بهذه الآية عدها فرصة لينتهزها وغنيمة ليحرزها وأبعد الظن بما أراده مذهب أهل السنة على صورة السؤال ليجيب عنه بمقتضى معتقده فكأنه يقول لو كان الايمان هو مجرد التوحيد والتصديق كما تقول أهل السنة لزم أن ينفى عن النبي عليه الصلاة والسلام قبل المبعث بهذه الآية كونه مصدقا

النظر

ولما كان التصديق ثابتا للنبي عليه الصلاة والسلام قبل البعث باتفاق الفريقين لزم أن لا يكون الايمان المنفي في الآية عبارة عما اتفق على ثبوته وحينئذ يتعين صرفه الى مجموع أشياء من جملتها التصديق ومن جملتها كثير من الطاعات التي لم تعلم الا بالوحي وحينئذ يستقيم نفيه قبل البعث وهذا الذي طمع فيه يخرط القتاد ولا يبلغ منه ما أراد وذلك أن أهل السنة وان قالوا ان الايمان هو التصديق خاصة حتى يتصف به كل موحد وان كان فاسقا يخصون التصديق بالله وبرسوله فالنبي (٧٣) عليه الصلاة والسلام مخاطب في الايمان بالتصديق برسالة نفسه كما أن أمته مخاطبون بتصديقه ولا شك انه قبل الوحي لم يكن يعلم أنه رسول الله وما علم ذلك الا بالوحي

ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض ألا الى الله تصير الامور

﴿سورة الزخرف مكية وهي تسع وثمانون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم أفنضرب عنكم الذكر صفحا أن كنتم قوما مسرفين وكم أرسلنا من نبي في الاولين

النظر والاستدلال أن يخطئهم الايمان بالله وتوحيده ويجب أن يكونوا معصومين من ارتكاب الكبائر ومن الصغائر التي فيها تنفير قبل المبعث وبعده فكيف لا يعصمون من الكفر (قلت) الايمان اسم يتناول أشياء بعضها الطريق اليه العقل وبعضها الطريق اليه السمع فعنى به ما الطريق اليه السمع دون العقل وذلك ما كان له فيه علم حتى كسبه بالوحي ألا ترى أنه قد فسر الايمان في قوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم بالصلاة لانها بعض ما يتناوله الايمان (من نشاء من عبادنا) من له لطف ومن لا لطف له فلا هداية تجدي عليه (صراط الله) بدل وقرئ لتهدي أي يهديك الله وقرئ لتدعو * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم عسق كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون له

﴿سورة الزخرف مكية وقال مقاتل الا قوله واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا وهي تسع وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

أقسم بالكتاب المبين وهو القرآن وجعل قوله انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم وهو من الايمان الحسنة البديعة لتناسب القسم والمقسم عليه وكونهما من واد واحد ونظيره قول أبي تمام * وثناياك انها اغريض * (المبين) البين للذين أنزل عليهم لانه بلغتهم وأساليبهم وقيل الواضح للمتدبرين وقيل المبين الذي أبان طرق الهدى من طرق الضلالة وأبان ما تحتاج اليه الامة في أبواب الديانة (جعلناه) بمعنى صيرناه معدى الى مفعولين أو بمعنى خلقناه معدى الى واحد كقوله تعالى وجعل الظلمات والنور و(قرآنا عربيا) حال ولعل مستعار لمعنى الارادة لتلاحظ معناها ومعنى الترجي أي خلقناه عربيا غير عجمي ارادة أن تعقله العرب ولئلا يقولوا لولا فصلت آياته وقرئ ام الكتاب بالكسر وهو اللوح كقوله تعالى بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ سمي بأم الكتاب لانه الاصل الذي أثبتت فيه الكتب منه تنقل وتستنسخ * على رفيع الشأن في الكتب لكونه معجزا من بينها (حكيم) ذو حكمة بالغة أي منزلته عندنا منزلة كتاب هما صفتاه وهو مثبت في أم الكتاب هكذا (أفنضرب عنكم الذكر صفحا) بمعنى أفننحي عنكم الذكر ونذوده عنكم على سبيل المجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض ومنه قول الحجاج ولأضربنكم ضرب غرائب الابل وقال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقها * ضربك بالسيف قونس الفرس

والفاء للعطف على محذوف تقديره أنهملكم فنضرب عنكم الذكر انكارا لان يكون الامر على خلاف ما قدم من انزاله الكتاب وخلقه قرآنا عربيا ليعقلوه ويعملوا بمواجبه وصفحا على وجهين اما مصدر من صفح عنه اذا أعرض منتصب على أنه مفعول له على معنى أفنعزل عنكم انزال القرآن والزام الحجة به اعراضا عنكم واما بمعنى الجانب من قولهم نظر اليه بصفح وجهه وصفح وجهه على معنى أفننحيه عنكم جانبا فينتصب على الظرف كما تقول ضعه جانبا وامش جانبا وتعضده قراءة من قرأ صفحا بالضم وفي هذه القراءة وجه آخر وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح وينتصب على الحال أي صافحين معرضين (أن كنتم) أي لان كنتم وقرئ ان

واذا كان الايمان عند أهل السنة هو التصديق بالله ورسوله ولم يكن هذا المجموع ثابتا قبل الوحي بل كان الثابت هو التصديق بانه تعالى خاصة استقام نفي الايمان قبل الوحي على هذه الطريقة الواضحة والله أعلم ﴿ القول في سورة الزخرف ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون الآية (قال فيه أقسم بالكتاب المبين وجعل قوله انا جعلناه قرآنا عربيا جوابا للقسم الخ) قال أحمد تنبيه حسن جدا ووجه التناسب فيه انه أقسم بالقرآن وانما يقسم بعظيم ثم جعل المقسم عليه تعظيم القرآن بانه قرآن عربي مرجو به أن يعقل به العالمون أي يتعقلوا آيات الله تعالى فكان جواب القسم متحدا بالقسم وكذلك أقسم أبو تمام بالثنايا وانما يقسم الشعراء بمثل هذا الاشعار بانه في غاية الحسن ثم جعل المقسم عليه كونها في نهاية الحسن لا أنها اغريض وهو من أحسن تشبيهات الثنايا فجعل المقسم عليه متحدا بالقسم والله أعلم * عاد كلامه الى قوله تعالى لعلكم تعقلون (فسره بالارادة) وقد بينا فساد ذلك غير مامرة

* قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا الآية (قال فيه فان قلت قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم الخ) قال أحمد الذى يظهر أن الكلام مجزأ فبعضه من قولهم وبعضه من قول الله تعالى فالذى هو من قولهم خلقهن وما بعده من قول الله عز وجل وأصل الكلام أنهم قالوا خلقهن الله ويدل عليه قوله فى الآية الاخرى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله ثم لما قالوا خلقهن الله وصف الله تعالى ذاته بهذه الصفات ولما سبق الكلام كله سياقة واحدة حذف الموصوف من كلامهم وأقيمت الصفات المذكورة فى كلام الله تعالى مقامه كأنه كلام واحد ونظير هذا أن تقول للرجل من أكرمك من القوم فيقول أكرمنى زيد فتقول أنت واصفا للمذكور الكريم الجواد الذى من صفته كذا وكذا ثم لما وقع الانتقال من كلامهم الى كلام الله عز وجل جرى كلامه عز وجل على ما عرف من الافتنان فى البلاغة فجاء أوله على لفظ الغيبة وآخره على الانتقال منها الى التكلم فى قوله فأنشرنا كل ذلك افتنان فى أفانين البلاغة ومن هذا النمط قوله تعالى حكاية عن موسى قال علمها عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فجاء أول الكلام حكاية (٧٤) عن موسى الى قوله ولا ينسى ثم وقع الانتقال من كلام موسى الى كلام الله تعالى فوصف ذاته

وما يأتيهم من نبى الا كانوا به يستهزؤن فأهلكنا أشد منهم بطشا ومضى مثل الاولين ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهدا وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون والذى خلق الازواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا

كنتم واذ كنتم (فان قلت) كيف استقام معنى ان الشرطية وقد كانوا مسرفين على البت (قلت) هو من الشرط الذى ذكرت أنه يصدر عن المدل بصحة الامر المتحقق لثبوته كما يقول الاجير ان كنت عملت لك فوفنى حقى وهو عالم بذلك ولكنه يخيل فى كلامه أن تفريطك فى الخروج عن الحق فعل من له شك فى الاستحقاق مع وضوحه استجهالا له (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية مستمرة أى كانوا على ذلك وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه الضمير فى (أشد منهم) للقوم المسرفين لانه صرف الخطاب عنهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره عنهم (ومضى مثل الاولين) أى سلف فى القرآن فى غير موضع منه ذكر قصتهم وحالهم العجيبة التى حقها أن تسير مسير المثل وهذا وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد لهم (فان قلت) قوله (ليقولن خلقهن العزيز العليم) وما سرد من الاوصاف عقيبه ان كان من قولهم فما تصنع بقوله فأنشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون وان كان من قول الله فما وجهه (قلت) هو من قول الله لا من قولهم ومعنى قوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذى من صفته كيت وكيت لينسبن خلقها الى الذى هذه أوصافه وليسندنه اليه (بقدر) بمقدار يسلم معه البلاد والعباد ولم يكن طوفانا (والازواج) الاصناف (ما تركبون) أى تركبونه (فان قلت) يقال ركبوا الانعام وركبوا فى الفلك وقد ذكر الجنسين فكيف قال تركبونه (قلت) غلب المتعدى بغير واسطة لقوته على المتعدى بواسطة فقيل تركبونه (على ظهوره) على ظهور ما تركبون وهو الفلك والانعام ومعنى ذكر نعمة الله عليهم أن يذكروها فى قلوبهم معترفين بها مستعظمين لها ثم يحمدوا عليها بالسنتهم

أوصافا متصلة بكلام موسى حتى كأنه كلام واحد وابتدأ فى ذكر صفاته على لفظ الغيبة الى قوله فأخرجنا به أزواجا من نبات شتى فانظر الى تحقيق التطبيق بين الآيتين ترى العجب والله الموفق * قوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون الآية (قال فيه يقال ركبت الدابة وركبت فى الفلك الى آخره) قال أحمد لم يحرر لعبارة فى هذا الموضع فان قوله غلب المتعدى بغير واسطة على المتعدى بنفسه يوهم أن بين الفعلين تباينا وليس كذلك فان المتعدى الى الانعام هو عين الفعل المتعدى الى السفن غايته ما ثم ان العرب خصته باعتبار بعض مفاعيله بالواسطة وباعتبار بعضها بالتعدى بنفسه والاختلاف بالتعدى والقصور أو باختلاف آلات التعدى وباختلاف أعداد المفاعيل لا يوجب الاختلاف فى المعنى فمن ثم يعدون الفعل الواحد مرة بنفسه ومرة بواسطة مثل شكرت وأخواته ويعدون الافعال المترادفة بآلات مختلفة مثل دعوت وصليت فانك تقول صلى النبى على آل أبى أوفى ولو قلت دعا على آل أبى أوفى لافهم عكس المقصود ولكن دعا لآل أبى أوفى ويعدون بعضها الى مفعولين ومرادفه الى مفعول واحد كعلم وعرف فلا يترتب على الاختلاف بالتعدى والقصور الاختلاف فى المعنى فالذى يحرر من هذا ان ركب باعتبار القبيلين معناه واحد وان خص أحدهما باقتران الواسطة والآخر بسقوطها فالصواب أحد أمرين اما تقدير المتعلقين على ما هما عليه لو انفردا فيكون التقدير ما تركبونه وتركبون فيه والاقرب تعليله باعتبار التعدى بنفسه ويكون هذا من تغليب أحد اعتبارى الفعل على الآخر وهو أسهل من التغليب فى قوله تعالى فأجمعوا أمركم وشركاءكم على أحد التأويلين فيه فان التباين ثم ثابت بين الفعلين من حيث المعنى أعنى أجمع على الامر وجمع الشركاء ولكن لما تقاربا غلب أحدهما على الآخر ثم جعل المغلب هو المتعدى بنفسه والله أعلم

* قوله تعالى أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين (قال فيه كأنه قيل هبوا أن اضافة الولد اليه جائزة فرضا وتمثيلا أما تستحيون من الشطط فى القسمة ومن ادعاء أنه آثركم على نفسه الخ) قال أحمد نحن معاشر أهل السنة نقول ان كل شىء بمشيئة الله تعالى حتى الضلالة والهدى اتباعا للدليل العقلى وتصديقا للنص النقلى فى أمثال قوله تعالى يضل من يشاء ويهدى من يشاء وآية الزخرف هذه لا ترد هذا المعتقد الصحيح الا عهيدا ولا تمده الا تصويبا وتسديدا فنقول اذا قال الكافر لو شاء الله ما كفرت فهذه كلمة حق أراد بها باطلا أما كونها كلمة حق فلما مهدناه وأما كونه أراد بها باطلا فمراد الكافر بذلك أن يكون له الحجة على (٧٥) الله توهما انه يلزم من مشيئة الله تعالى لضلالة من ضل أن لا يعاقبه على ذلك لانه انما فعل مقتضى مشيئته كما توهم القدرية اخوان الوثنية ذلك فأشركوا بربهم واعتقدوا أن الضلالة وقعت بمشيئة الخلق على خلاف مشيئة الخالق فالذين أشركوا بالملائكة أرفع منهم درجة لان هؤلاء أشركوا أنفسهم الدنية

سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون وجعلوا له من عباده جزأ ان الانسان لكفور مبين أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين واذا بشر أحدهم

بألسنتهم وهو ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فاذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا الى قوله لمنقلبون وكبر ثلاثا وهلل ثلاثا وقالوا اذا ركب فى السفينة قال بسم الله مجراها ومرساها ان ربى لغفور رحيم وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه رأى رجلا يركب دابة فقال سبحان الذى سخر لنا هذا فقال أبهذا أمرتم فقال وبم أمرنا قال أن تذكروا نعمة ربكم كان قد أغفل التحميد فنبهه عليه وهذا من حسن مراعاتهم لآداب الله ومحافظتهم على دقيقها وجليلها جعلنا الله من المقتدين بهم والسائرين بسيرتهم فما أحسن بالعاقل النظر فى لطائف الصناعات فكيف بالنظر فى لطائف الديانات (مقرنين) مطيقين يقال أقرن الشىء اذا أطاقه قال ابن هرمة

وأقرنت ما حملتنى ولقلما * يطاق احتمال الصد يادعد والهجر

وحقيقة أقرنه وجده قرينته وما يقرن به لان الصعب لا يكون قرينة للضعيف ألا ترى الى قولهم فى الضعيف لا يقرن به الصعبة وقرئ مقرنين والمعنى واحد (فان قلت) كيف اتصل بذلك قوله * وانا الى ربنا لمنقلبون (قلت) كم من راكب دابة عثرت به أو شمست أو تقحمت أو طاح من ظهرها فهلك وكم من راكبين فى سفينة انكسرت بهم فغرقوا فلما كان الركوب مباشرة أمر مخطر واتصالا بسبب من أسباب التلف كان من حق الراكب وقد اتصل بسبب من أسباب التلف أن لا ينسى عند اتصاله به يومه وأنه هالك لا محالة فمنقلب الى الله غير منفلت من قضائه ولا يدع ذكر ذلك بقلبه ولسانه حتى يكون مستعدا للقاء الله باصلاحه من نفسه والحذر من أن يكون ركوبه ذلك من أسباب موته فى علم الله وهو غافل عنه ويستعيذ بالله من مقام من يقول لقرنائه تعالوا نتنزه على الخيل أو فى بعض الزوارق فيركبون حاملين مع أنفسهم أوانى الخمر والمعازف فلا يزالون يسقون حتى تميل طلاهم وهم على ظهور الدواب أو فى بطون السفن وهى تجرى بهم لا يذكرون الا الشيطان ولا يمتثلون الا أوامره وقد بلغنى أن بعض السلاطين ركب وهو يشرب من بلد الى بلد بينهما مسيرة شهر فلم يصح الا بعد ما اطمأنت به الدار فلم يشعر بمسيره ولا أحس به فكم بين فعل أولئك الراكبين وبين ما أمر الله به فى هذه الآية وقيل يذكرون عند الركوب ركوب الجنازة (وجعلوا له من عباده جزأ) متصل بقوله ولئن سألتهم أى ولئن سألتهم عن خالق السموات والارض ليعترفن به وقد جعلوا له مع ذلك الاعتراف من عباده جزأ فوصفوه بصفات المخلوقين ومعنى من عباده جزأ أن قالوا الملائكة بنات الله فجعلوهم جزأ له وبعضا منه كما يكون الولد بضعة من والده وجزأ له ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالاناث وادعاء أن الجزء فى لغة العرب اسم للاناث وما هو الا كذب على العرب ووضع مستحدث منحول ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت المرأة ثم صنعوا بيتا وبيتا

ان أجزأت حرة يوما فلا عجب * زوجتها من بنات الاوس مجزئة

وقرئ جزؤا بضمتين (لكفور مبين) لجحود للنعمة ظاهر جحوده لان نسبة الولد اليه كفر والكفر أصل لكفران كله (أم اتخذ) بل اتخذ والهمزة للانكار تجهيلا لهم وتعجيبا من شأنهم حيث لم يرضوا بأن جعلوا لله من عباده جزأ حتى جعلوا ذلك الجزء شر الجزأين وهو الاناث دون الذكور على أنهم أنفر خلق الله عن الاناث أمقتهم لهن ولقد بلغ بهم المقت الى أن وأدوهن كأنه قيل هبوا أن اضافة اتخاذ الولد اليه جائزة فرضا وتمثيلا

فى ملك ربهم المتوحد بالربانية جل وعلا فاذا وضح ما قلناه فانكار الله عليهم مقالتهم هذه لانهم توهموا أنها حجة على الله فدحض الله حجتهم وأكذب أمنيتهم وبين أن مقالتهم صادرة عن ظن كاذب وتخرص محض فقال ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون وان هم الا يظنون وقد أفصحت أخت هذه الآية مع هذه الآية عن هذا التقدير وذلك قوله تعالى فى سورة الانعام وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شىء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون فبين تعالى أن الحامل لهؤلاء على التكذيب بالرسل والاشراك بالله اغترارهم بأن لهم الحجة على الله بقولهم لو شاء الله ما أشركنا فشبه تعالى حالهم فى الاعتماد على هذا الخيال بحال أوائلهم ثم بين انه معتقد نشأ عن ظن خلب وخيال مكذب فقال ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرصون ثم لما

أبطل أن يكون لهم في مقالتهم حجة على الله أثبت تعالى الحجة له عليهم بقوله فلله الحجة البالغة ثم أوضح أن الرد عليهم ليس الا في احتجاجهم
على الله بذلك لا لأن المقالة في نفسها كذب فقال فلو شاء لهداكم أجمعين وهو معنى قولهم لو شاء الله ما أشركنا من حيث ان لومقتضاها
امتناع الهداية لامتناع المشيئة فدلت الآية الاخيرة على أن الله تعالى لم يشأ هدايتهم بل شاء ضلالهم ولو شاء هدايتهم لما ضلوا فهذا
هو الدين القويم والصراط المستقيم والنور اللائح والمنهج الواضح والذى يدحض به حجة هؤلاء مع اعتقاد أن الله تعالى شاء وقوع
الضلالة منهم هو أنه تعالى جعل للعبد تأتيا وتيسرا للهداية وغيرها من الافعال الكسبية حتى صارت الافعال

الصادرة منه مناط التكليف لانها اختيارية يفرق بالضرورة بينها وبين العوارض القسرية فهذه الآية أقامت الحجة ووضحت لمن اصطفاه الله للمعتقدات الصحيحة المحجة ولما كانت تفرقة دقيقة لم تنتظم في سلك الافهام الكثيفة فلا جرم أن أفهامهم تبددت وأفكارهم تبدلت فغلت طائفة القدرية واعتقدت أن العبد فعال لما يريد على خلاف مشيئة ربه وحارت الجبرية فاعتقدت أن لا قدرة للعبد البتة ولا اختيار وأن جميع الافعال صادرة منه على سبيل الاضطرار
أما أهل الحق فحبهم الله من هدايته قسطا وأرشدهم الى الطريق الوسطى فانتهجوا سبل السلام وساروا وراائد التوفيق لهم إمام
مستضيئين بأنوار العقول المرشدة الى أن جميع الكائنات بقدرة الله تعالى ومشيئته ولم يغب عن أفهامهم أن يكون بعض الافعال للعبد
مقدورة لما وجدوه من التفرقة بين الاختيارية والقسرية بالضرورة لكنها قدرة تقارن بلا تأثير وتميز بين الضروري والاختياري
في التصور فهذا هو التحقيق والله ولي التوفيق

بالبنين

بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم أومن ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسئلون وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم

أما تستحيون من الشطط في القسمة ومن ادعائكم أنه آثركم على نفسه بخير الجزأين وأعلاهما وترك له
شرهما وأدناهما * وتنكير بنات وتعريف البنين وتقديمهن في الذكر عليهم لما ذكرت في قوله تعالى يهب
لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور (بما ضرب للرحمن مثلا) بالجنس الذى جعله له مثلا أى شبها لانه اذا
جعل الملائكة جزأ لله وبعضا منه فقد جعله من جنسه ومماثلا له لأن الولد لا يكون الا من جنس الوالد يعني
أنهم نسبوا اليه هذا الجنس ومن حالهم أن أحدهم اذا قيل له قد ولدت لك بنت اغتم واربد وجهه غيظا
وتأسفا وهو مملوء من الكرب وعن بعض العرب أن امرأته وضعت أنثى فهجر البيت الذى فيه المرأة فقالت

مالأبي حمزة لا يأتينا * يظل في البيت الذى يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا * ليس لنا من أمرنا ما شينا
وانما نأخذ ما أعطينا

* والظلول بمعنى الصيرورة كما يستعمل أكثر الافعال الناقصة بمعناها * وقرئ مسود ومسواد على أن في
ظل ضمير المبشر ووجهه مسود جملة واقعة موقع الخبر * ثم قال أو يجعل للرحمن من الولد من هذه الصفة
المذمومة صفته وهو أنه (ينشأ في الحلية) أى يتربى في الزينة والنعمة وهو اذا احتاج الى مجاثاة الخصوم
ومجاراة الرجال كان غير مبين ليس عنده بيان ولا يأتي ببرهان يحتج به من يخاصمه وذلك لضعف عقول النساء
ونقصانهن عن فطرة الرجال يقال قلما تكلمت امرأة فأرادت أن تتكلم بحجتها الا تكلمت بالحجة عليها
وفيه أنه جعل النشء في الزينة والنعومة من المعايب والمذام وأنه من صفة ربات الحجال فعلى الرجل أن
يجتنب ذلك ويأنف منه ويربأ بنفسه عنه ويعيش كما قال عمر رضى الله عنه اخشوشنوا واخشوشبوا
وتمعددوا وان أراد أن يزين نفسه زينها من باطن بلباس التقوى وقرئ ينشأ وينشأ ويناشأ ونظير المناشأة
بمعنى الانشاء المغالاة بمعنى الاغلاء * قد جمعوا في كفرة ثلاث كفرات وذلك أنهم نسبوا الى الله الولد ونسبوا
اليه أخس النوعين وجعلوه من الملائكة الذين هم أكرم عباد الله على الله فاستخفوا بهم واحتقروهم * وقرئ
عباد الرحمن وعبيد الرحمن وعند الرحمن وهو مثل لزلفاهم واختصاصهم واناثا وأنثا جمع الجمع ومعنى جعلوا
سموا وقالوا انهم اناث * وقرئ أشهدوا وأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بألف بينهما وهذا
تهكم بهم بمعنى أنهم يقولون ذلك من غير أن يستند قولهم الى علم فان الله لم يضطرهم الى علم ذلك ولا تطرقوا
اليه باستدلال ولا أحاطوا به عن خبر يوجب العلم فلم يبق الا أن يشاهدوا خلقهم فأخبروا عن هذه المشاهدة
(ستكتب شهادتهم) التى شهدوا بها على الملائكة من أنوثتهم (ويسئلون) وهذا وعيد وقرئ سيكتب
وسنكتب بالياء والنون وشهاداتهم ويساءلون على يفاعلون (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) هما
كفرتان أيضا مضمومتان الى الكفرات الثلاث وهما عبادتهم الملائكة من دون الله وزعمهم أن عبادتهم
بمشيئة الله كما يقول اخوانهم المجبرة (فان قلت) ما أنكرت على من يقول قالوا ذلك على وجه الاستهزاء ولو قالوه
جادين لكانوا مؤمنين (قلت) لا دليل على أنهم قالوه مستهزئين وادعاء ما لا دليل عليه باطل على أن الله تعالى
قد حكى عنهم ذلك على سبيل الذم والشهادة بالكفر أنهم جعلوا له من عباده جزأ وأنه اتخذ بنات وأصفاهم

بالبنين وأنهم جعلوا الملائكة المكرمين اناثا وأنهم عبدوهم وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم فلو كانوا ناطقين
بها على طريق الهزء لكان النطق بالمحكيات قبل هذا المحكى الذى هو ايمان عنده لو جدوا في النطق به مدحا
لهم من قبل أنها كلمات كفر نطقوا بها على طريق الهزء فبقى أن يكونوا جادين وتشترك كلها في أنها كلمات
كفر فان قالوا نجعل هذا الاخير وحده مقولا على وجه الهزء دون ما قبله فما بهم الا تعويج كتاب الله الذى
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه لتسوية مذهبهم الباطل ولو كانت هذه كلمة حق نطقوا بها
هزأ لم يكن لقوله تعالى (ما لهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون) معنى لأن من قال لا اله الا الله على طريق
الهزء كان الواجب أن ينكر عليه استهزاؤه ولا يكذب لأنه لا يجوز تكذيب الناطق بالحق جادا كان أو هازئا
(فان قلت) ما قولك فيمن يفسر ما لهم بقولهم ان الملائكة بنات الله من علم ان هم الا يخرصون في ذلك القول
لا في تعليق عبادتهم بمشيئة الله (قلت) تمحل مبطل وتحريف مكابر ونحوه قوله تعالى سيقول الذين أشركوا
لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ كذلك كذب الذين من قبلهم * الضمير في (من قبله) للقرآن
أو الرسول والمعنى أنهم ألصقوا عبادة غير الله بمشيئة الله قولا قالوه غير مستند الى علم ثم قال أم آتيناهم كتابا
قبل هذا الكتاب نسبنا فيه الكفر والقبائح الينا فحصل لهم علم بذلك من جهة الوحى فاستمسكوا بذلك
الكتاب واحتجوا به بل لا حجة لهم يستمسكون بها الا قولهم (انا وجدنا آباءنا على أمة) على دين وقرئ على
إمة بالكسر وكلتاهما من الأم وهو القصد فالأمة الطريقة التى تؤم أى تقصد كالرحلة للمرحول اليه والإمة
الحالة التى يكون عليها الآم وهو القاصد وقيل على نعمة وحالة حسنة (على آثارهم مهتدون) خبران
أو الظرف صلة لمهتدون (مترفوها) الذين أترفتهم النعمة أى أبطرتهم فلا يحبون الا الشهوات والملاهى
ويعافون مشاق الدين وتكاليفه * قرئ قل وقال وجئتكم وجئناكم يعنى أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين
أهدى من دين آبائكم * قالوا انا ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه وان جئتنا بما هو أهدى وأهدى * قرئ
براء بفتح الباء وضمها وبرئ * فبرئ وبراء نحو كريم وكرام وبراء مصدر كظماء ولذلك استوى فيه الواحد
والاثنان والجماعة والمذكر والمؤنث يقال نحن البراء منك والخلاء منك (الذى فطرنى) فيه غير وجه أن
يكون منصوبا على انه استثناء منقطع كأنه قال لكن الذى فطرنى فانه سيهدين وأن يكون مجرورا بدلا من
المجرور بمن كأنه قال انني براء مما تعبدون الا من الذى فطرنى (فان قلت) كيف تجعله بدلا وليس من جنس
ما يعبدون من وجهين أحدهما أن ذات الله مخالفة لجميع الذوات فكانت مخالفة لذوات ما يعبدون والثانى
أن الله تعالى غير معبود بينهم والأوثان معبودة (قلت) قالوا كانوا يعبدون الله مع أوثانهم وأن تكون
الا صفة بمعنى غير على أن ما فى ما تعبدون موصوفة تقديره اننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى فهو
نظير قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * (فان قلت) ما معنى قوله (سيهدين) على التسويف
(قلت) قال مرة فهو يهدين ومرة فانه سيهدين فاجمع بينهما وقدر كأنه قال فهو يهدين وسيهدين فيدلان
على استمرار الهداية فى الحال والاستقبال (وجعلها) وجعل ابراهيم صلوات الله عليه كلمة التوحيد التى
تكلم بها وهى قوله انني براء مما تعبدون الا الذى فطرنى (كلمة باقية فى عقبه) فى ذريته فلا يزال فيهم من
يوحد الله ويدعو الى توحيده * لعل من أشرك منهم يرجع بدعاء من وحد منهم ونحوه ووصى بها ابراهيم
بنيه وقيل وجعلها الله * وقرئ كلمة على التخفيف وفى عقبه كذلك وفى عاقبه أى فيمن عقبه أى خلفه (بل
متعت هؤلاء) يعنى أهل مكة وهم من عقب ابراهيم بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وشغلوا بالتنعم
واتباع الشهوات وطاعة الشيطان عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم الحق) وهو القرآن (ورسول مبين)
الرسالة واضحها بما معه من الآيات البينة فكذبوا به وسموه ساحرا وما جاء به سحرا ولم يوجد منهم ما رجاه
ابراهيم وقرئ بل متعنا (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ متعت بفتح التاء (قلت) كأن الله تعالى اعترض
على ذاته فى قوله وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون فقال بل متعتهم بما متعتهم به من طول العمر
والسعة فى الرزق حتى شغلهم ذلك عن كلمة التوحيد وأراد بذلك الاطناب فى تعييرهم لانه اذا متعهم بزيادة

ان هم الا يخرصون أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا بما أرسلتم به كافرون فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى فانه سيهدين وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين



* قوله تعالى حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون (قال فيه فان قلت قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم أردفه الى آخره) قال أحمد كلام نفيس لا مزيد عليه الا ان قوله تخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها اطلاق ينبغي اجتنابه والله أعلم وما أحسن مجيء الغاية على هذا النحو مجيء الاضراب في بعض التارات فكما جاءت الغاية هنا

وليس المراد بها أن الفعل المذكور قبلها منقطع عندها على ماهو المفهوم منها بل المراد استمراره وزيادته فكان تلك الحالة النافعة انتهت بوجود ماهو أكمل منها كذلك الاضراب في مثل قوله تعالى بل ادارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون وهذه الاضرابات ليست على معنى أن الثاني منها رد للاول بل ثانيها آكد من أولها وجاء الاضراب مع التوافق والزيادة للاشعار بان الثاني لما زاد على الاول صار باعتبار زيادته ونقصان الاول كانهما شيآن متنافيان يضرب عن أولهما ويثبت آخرهما ومثله كثير وبالله وهو التوفيق * قوله تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا (قال فيه فان قلت معيشتهم ما يعيشون به من المنافع الخ) قال أحمد قد تقدم ان الرزق عند أهل السنة يطلق على ما يقوم الله به حال العبد حلالا كان أو حراما وهذه الآية معضدة والزمخشري بنى على أصله وقد تقدم

ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمت ربك خير مما يجمعون ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن

النعم وجب عليهم أن يجعلوا ذلك سببا في زيادة الشكر والثبات على التوحيد والايمان لا أن يشركوا به ويجعلوا له أندادا فمثاله أن يشكو الرجل اساءة من أحسن اليه ثم يقبل على نفسه فيقول أنت السبب في ذلك بمعروفك واحسانك وغرضه بهذا الكلام توبيخ المسيء لا تقبيح فعله (فان قلت) قد جعل مجيء الحق والرسول غاية التمتيع ثم أردفه قوله (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر) فما طريقة هذا النظم ومؤداه (قلت) المراد بالتمتيع ماهو سبب له وهو اشتغالهم بالاستمتاع عن التوحيد ومقتضياته فقال عز وعلا بل اشتغلوا عن التوحيد حتى جاءهم الحق ورسول مبين فخيل بهذه الغاية أنهم تنبهوا عندها عن غفلتهم لاقتضائها التنبه ثم ابتدأ قصتهم عند مجيء الحق فقال ولما جاءهم الحق جاؤا بما هو شر من غفلتهم التي كانوا عليها وهو أن ضموا الى شركهم معاندة الحق ومكابرة الرسول ومعاداته والاستخفاف بكتاب الله وشرائعه والاصرار على أفعال الكفرة والاحتكام على حكمة الله في تخير محمد من أهل زمانه بقولهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) وهي الغاية في تشويه صورة أمرهم قرئ على رجل بسكون الجيم من القريتين من احدى القريتين كقوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان أي من أحدهما والقريتان مكة والطائف وقيل من رجلي القريتين وهما الوليد بن المغيرة المخزومي وحبيب بن عمرو بن عمير الثقفي عن ابن عباس وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل وعن قتادة الوليد بن المغيرة وعروة ابن مسعود الثقفي وكان الوليد يقول لو كان حقا ما يقول محمد لنزل هذا القرآن علي أو على أبي مسعود الثقفي وأبو مسعود كنية عروة بن مسعود ما زالوا ينكرون أن يبعث الله بشرا رسولا فلما علموا بتكرير الله الحجج أن الرسل لم يكونوا الا رجالا من أهل القرى جاؤا بالانكار من وجه آخر وهو تحكمهم أن يكون أحد هذين وقولهم هذا القرآن ذكر له على وجه الاستهانة به وأرادوا بعظم الرجل رياسته وتقدمه في الدنيا وعزب عن عقولهم أن العظيم من كان عند الله عظيما (أهم يقسمون رحمت ربك) هذه الهمزة للانكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم وأن يكونوا هم المدبرين لامر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بها والمتولين لقسمة رحمة الله التي لا يتولاها الا هو بباهر قدرته وبالغ حكمته * ثم ضرب لهم مثلا فاعلم أنهم عاجزون عن تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم في دنياهم وان الله عز وعلا هو الذي قسم بينهم معيشتهم وقدرها ودبر أحوالهم تدبير العالم بها فلم يسو بينهم ولكن فاوت بينهم في أسباب العيش وغاير بين منازلهم فجعل منهم أقوياء وضعفاء وأغنياء ومحاويج وموالي وخدما ليصرف بعضهم بعضا في حوائجهم ويستخدموهم في مهنهم ويتسخروهم في أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا الى منافعهم ويحصلوا على مرافقهم ولو وكلهم الى أنفسهم وولاهم تدبير أمرهم لضاعوا وهلكوا واذا كانوا في تدبير المعيشة الدنية في الحياة الدنيا على هذه الصفة فما ظنك بهم في تدبير أمور الدين الذي هو رحمة الله الكبرى ورأفته العظمى وهو الطريق الى حيازة حظوظ الآخرة والسلم الى حلول دار السلام * ثم قال (ورحمت ربك) يريد وهذه الرحمة وهي دين الله وما يتبعه من الفوز في المآب خير مما يجمع هؤلاء من حطام الدنيا (فان قلت) معيشتهم ما يعيشون به من المنافع ومنهم من يعيش بالحلال ومنهم من يعيش بالحرام فاذن قد قسم الله تعالى الحرام كما قسم الحلال (قلت) الله تعالى قسم لكل عبد معيشته وهي مطاعمه ومشاربه وما يصلحهم من المنافع وأذن له في تناولها ولكن شرط عليه وكلفه أن يسلك في تناولها الطريق التي شرعها فاذا سلكها فقد تناول قسمته من المعيشة حلالا وسماها رزق الله واذا لم يسلكها تناولها حراما وليس له أن يسميها رزق الله فالله تعالى قاسم المعايش والمنافع ولكن العباد هم الذين يكسبونها صفة الحرمة بسوء تناولهم

* قوله تعالى ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم الآية (قال فيه معناه لولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر لجعلنا للكفرة سقوفا من فضة أي لوسعنا عليهم الدنيا لحقارتها عندنا انتهى كلامه) قال أحمد لولا هنا أخت لولا في قوله ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم الآية فلك أن تصحح الكلام بتقدير كراهة ذلك بأن لا تقدر محذوفا كما قدمته فيكون وجه الكلام ههنا ان اجماعهم على الكفر مانع من بسط الدنيا وهذا هو معنى لولا المطرد أن ما بعدها أبدا مانع من جوابها ولكن قد يكون المانع موجودا تحقيقا فيمتنع الجواب بلا اشكال كقوله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين وهو الاكثر وقد يكون وجوده تقديرا معه وعلى ذلك الآية أي لو وجد بسط الدنيا للكافر مقدر الوجد مانعه عندنا وهو الاجتماع على الكفر مقدرا معه وكل ما أدى وجوده الى وجود مانعه لا يوجد (ثم قال) فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة من الاطباق على الكفر فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الايمان وأجاب بان التوسعة عليهم مفسدة أيضا لما يؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا وذلك من دين المنافقين اهـ كلامه (قال أحمد) سؤال وجواب مبنيان على قاعدتين فاسدتين احداهما تعليل أفعال الله تعالى والاخرى أن الله تعالى أراد الاسلام من الخلق أجمعين أما الاولى فقد أخرس الله السائل عنه بقوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وأما الثانية فقد كفى الله المؤمنين الجواب عنه فيه بقوله ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا * قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا الآية (قال فيه يقال عشى بصره بكسر الشين اذا أصابته الآفة الخ) قال أحمد في هذه الآية نكتتان بديعتان * احداهما الدلالة على ان النكرة الواقعة في سياق الشرط تفيد العموم وهي مسئلة اضطرب فيها الاصوليون وامام الحرمين من القائلين بافادتها العموم حتى استدرك على الائمة اطلاقهم القول بان النكرة في سياق الاثبات تخص وقال ان الشرط يعم والنكرة في سياقه تعم وقد رد عليه الفقيه أبو الحسن علي الانباري شارح كتابه ردا عنيفا وفي هذه الآية للامام ومن قال بقوله كفاية وذلك أن الشيطان ذكر فيها منكرا في سياق شرط ونحن نعلم انه انما أراد عموم الشياطين لا واحدا لوجهين أحدهما أنه قد ثبت أن لكل أحد شيطانا فكيف بالعاشي عن ذكر الله والآخر يؤخذ من الآية وهو أنه أعاد عليه الضمير مجموعا في قوله وانهم فانه عائد الى الشيطان قولا واحدا ولولا افادته عموم الشمول لما جاز عود ضمير الجمع عليه بلا اشكال فهذه نكتة تجد عند استماعها لمخالفي هذا الرأي سكتة * النكتة الثانية أن في هذه الآية ردا على من زعم أن العود على معنى من يمنع من العود على لفظها بعد ذلك واحتج المانع لذلك بأنه اجمال بعد تفسير وهو خلاف المعهود من الفصاحة وقد نقض الكندي هذا بقوله تعالى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا ونقض غيره بقوله ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين واذا تتلى عليه الآية وكان جدي رحمه الله قد استخرج من هذه الآية نقض ذلك لانه أعاد على اللفظ في قوله يعش وله مرتين ثم على المعنى في قوله ليصدونهم ثم على اللفظ بقوله حتى اذا جاءنا وقد قدمت ان الذي منع ذلك

لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين

وهو عدولهم فيه عما شرعه الله الى ما لم يشرعه (لبيوتهم) بدل اشتمال من قوله لمن يكفر ويجوز أن يكونا بمنزلة اللامين في قولك وهبت له ثوبا لقميصه وقرئ سقفا بفتح السين وسكون القاف وبضمها وسكون القاف وبضمهما جمع سقف كرهن ورهن ورهن وعن الفراء جمع سقيفة وسقفا بفتحتين كأنه لغة في سقف وسقوفا * ومعارج ومعاريج والمعارج جمع معرج أو اسم جمع لمعراج وهي المصاعد الى العلالي (عليها يظهرون) أي على المعارج يظهرون السطوح يعلونها فما اسطاعوا أن يظهروه * وسررا بفتح الراء لاستثقال الضمتين مع حرفي التضعيف (لما متاع الحياة) اللام هي الفارقة بين ان المخففة والنافية وقرئ بكسر اللام أي للذي هو متاع الحياة كقوله تعالى مثلا ما بعوضة ولما بالتشديد بمعنى الا وان نافية وقرئ الا وقرئ وما كل ذلك الا * لما قال خير مما يجمعون فقلل أمر الدنيا وصغرها أردفه ما يقرر قلة الدنيا عنده من قوله (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) أي ولولا كراهة أن يجتمعوا على الكفر ويطبقوا عليه لجعلنا لحقارة زهرة الحياة الدنيا عندنا للكفار سقوفا ومصاعد وأبوابا وسررا كلها من فضة وجعلنا لهم زخرفا أي زينة من كل شيء والزخرف الزينة والذهب ويجوز أن يكون الاصل سقفا من فضة وزخرف يعني بعضها من فضة وبعضها من ذهب فنصب عطفا على محل من فضة وفي معناه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء (فان قلت) فحين لم يوسع على الكافرين للفتنة التي كان يؤدي اليها التوسعة عليهم من اطباق الناس على الكفر لحبهم الدنيا وتهالكهم عليها فهلا وسع على المسلمين ليطبق الناس على الاسلام (قلت) التوسعة عليهم مفسدة أيضا لما تؤدي اليه من الدخول في الاسلام لاجل الدنيا والدخول في الدين لاجل الدنيا من دين المنافقين فكانت الحكمة فيما دبر حيث جعل في الفريقين أغنياء وفقراء وغلب الفقر على الغنى * قرئ ومن يعش بضم الشين وفتحها والفرق بينهما أنه اذا حصلت الآفة في بصره قيل عشي

قد يكون اقتصر عنه على مجئ ذلك فى جملة واحدة وأما اذا تعددت الجمل واستقلت كل بنفسها فقد لا يمنع ذلك حتى رددت

واذا انظر نظر العشى ولا آفة به قيل عشا ونظيره عرج لمن به الآفة وعرج لمن مشى مشية العرجان من غير عرج قال الحطيئة * متى تأته تعشو الى ضوء ناره * أى تنظر اليها نظر العشى لما يضعف بصرك من عظم الوقود واتساع الضوء وهو بين فى قول حاتم أعشو اذا ما جارتى برزت * حتى يوارى جارتى الخدر وقرئ يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط وحق هذا القارئ أن يرفع نقيض ومعنى القراءة بالفتح ومن يعم (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن كقوله تعالى صم بكم عمى وأما القراءة بالضم فمعناها ومن يتعام عن ذكره أى يعرف أنه الحق وهو يتجاهل ويتغابى كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم (نقيض له شيطانا) نخذله ونخل بينه وبين الشياطين كقوله تعالى وقيضنا لهم قرناء ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين وقرئ يقيض أى يقيض له الرحمن ويقيض له الشيطان * (فان قلت) لم جمع ضمير من وضمير الشيطان فى قوله (وانهم ليصدونهم) (قلت) لان من مبهم فى جنس العاشى وقد قيض له شيطان مبهم فى جنسه فلما جاز أن يتناولا لابهامهما غير واحدين جاز أن يرجع الضمير اليهما مجموعا (حتى اذا جاءنا) العاشى وقرئ جاآنا على أن الفعل له ولشيطانه (قال) لشيطانه (ياليت بينى وبينك بعد المشرقين) يريد المشرق والمغرب فغلب كما قيل العمران والقمران (فان قلت) فما بعد المشرقين (قلت) تباعدهما والاصل بعد المشرق من المغرب والمغرب من المشرق فلما غلب وجمع المفترقين بالتثنية أضاف البعد اليهما (أنكم) فى محل الرفع على الفاعلية يعنى ولن ينفعكم كونكم مشتركين فى العذاب كما ينفع الواقعين فى الامر الصعب اشتراكهم فيه لتعاونهم فى تحمل أعبائه وتقسمهم لشدته وعنائه وذلك أن كل واحد منكم به من العذاب ما لا تبلغه طاقته ولك أن تجعل الفعل للتمنى فى قوله ياليت بينى وبينك على معنى ولن ينفعكم اليوم ما أنتم فيه من تمنى مباعدة القرين وقوله انكم فى العذاب مشتركون تعليل أى لن ينفعكم تمنيكم لان حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه وهو الكفر وتقويه قراءة من قرأ انكم بالكسر وقيل اذا رأى الممنو بشدة من منى بمثلها روحه ذلك ونفس بعض كربه وهو التأسى الذى ذكرته الخنساء
* أعزى النفس عنه بالتأسى * فهؤلاء لا يؤسيهم اشتراكهم ولا يروحهم لعظم ما هم فيه (فان قلت) ما معنى قوله تعالى اذ ظلمتم (قلت) معناه اذ صح ظلمكم وتبين ولم يبق لكم ولا لاحد شبهة فى أنكم كنتم ظالمين وذلك يوم القيامة واذ بدل من اليوم ونظيره * اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة * أى تبين أنى ولد كريمة * كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجد ويجتهد ويكد روحه فى دعاء قومه وهم لا يزيدون على دعائه الا تصميما على الكفر وتماديا فى الغى فأنكر عليه بقوله (أفأنت تسمع الصم) انكار تعجب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وأراد أنه لا يقدر على ذلك منهم الا هو وحده على سبيل الالجاء والقسر كقوله تعالى ان الله يسمع من يشاء وما أنت بمسمع من فى القبور * ما فى قوله (فاما نذهبن بك) بمنزلة لام القسم فى أنها اذا دخلت دخلت معها النون المؤكدة والمعنى فان قبضناك قبل أن ننصرك عليهم ونشفى صدور المؤمنين منهم (فانا منهم منتقمون) أشد الانتقام فى الآخرة كقوله تعالى أو نتوفينك فالينا يرجعون * وان أردنا أن ننجز فى حياتك ما وعدناهم من العذاب النازل بهم وهو يوم بدر فهم تحت ملكتنا وقدرتنا لا يفوتوننا وصفهم بشدة الشكيمة فى الكفر والضلال ثم أتبعه شدة الوعيد بعذاب الدنيا والآخرة * وقرئ نرينك بالنون الخفيفة * وقرئ بالذى أوحى اليك على البناء للفاعل وهو الله عز وجل والمعنى وسواء عجلنا لك الظفر والغلبة أو أخرنا الى اليوم الآخر فكن مستمسكا بما أوحينا اليك وبالعمل به فانه الصراط المستقيم الذى لا يحيد عنه الا ضال شقى وزد كل يوم صلابة فى المحاماة على دين الله ولا يخرجك الضجر بأمرهم الى شئ من اللين والرخاوة فى أمرك ولكن كما يفعل الثابت الذى لا ينشطه تعجيل ظفر ولا يثبطه تأخيره (وانه) وان الذى أوحى اليك (لذكر) لشرف (لك ولقومك و) سوف (تسئلون) عنه يوم القيامة وعن قيامكم بحقه وعن تعظيمكم له وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين * ليس المراد بسؤال الرسل حقيقة السؤال لاحالته ولكنه مجاز عن النظر

على الزمخشرى فى قوله تعالى لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الرحمن عهدا فان الجمل واحدة

ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم أنكم فى العذاب مشتركون أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى ومن كان فى ضلال مبين فاما نذهبن بك فانا منهم منتقمون أو نرينك الذى وعدناهم فانا عليهم مقتدرون فاستمسك بالذى أوحى اليك انك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ولقد أرسلنا موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فقال انى رسول رب العالمين

فانظره فى موضعه * قوله تعالى واسئل من أرسلنا من قبلك من رسلنا (قال سؤال الرسل مجاز عن الفحص فى شرائعهم والنظر فى ملاهم الخ) قال أحمد ويشهد لارادة سؤال الامم فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك والله أعلم

* قوله تعالى فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها (قال فيه جازت اجابة لما باذا التى للمفاجأة لان فعل المفاجأة مقدر معها وهو العامل فيها النصب الخ) قال أحمد الظاهر فى تسويغ هذا الاطلاق والله أعلم أن كل واحدة من هذه الآى اذا أفردتها بالفكر استغرقت عظمتها الفكر وبهرته حتى يجزم أنها النهاية وأن كل آية دونها فاذا انتقل الفكرة الى أختها استوعبت أيضا فكره بعظمها وذهل عن الاولى فيجزم بأن هذه النهاية وأن كل آية دونها والحاصل أنه لا يقدر الفكر على أن يجمع بين آيتين منهما ليتحقق عنده الفاضلة من المفضولة بل مهما أفرده بالكفر جزم بانه النهاية وعلى هذا التقدير يجرى جميع ما يرد من أمثاله والله أعلم * قوله تعالى وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون الآية (قال معناه ارادة ان يرجعوا عن الكفر الى الايمان الخ) قال أحمد تقدم فى غير موضع أن لعل حيثما وردت فى سياق كلام الله تعالى فالمراد صرف الرجاء الى المخلوقين أى ليكونوا بحيث يرجى منهم ذلك هذا هو الحق وعليه تأول سيبويه ما ورد وأما الزمخشرى فيحمل لعل على الارادة لانه لا يتحاشى من اعتقاد أن الله يريد شيأ ويريد العبد خلافه فيقع مراد العبد ولا يقع مراد الرب تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا انها أشنعها زلة وأبشعها خلة ولقد أساء الادب فى هذا الموضع حتى انه لولا تعين الرد عليه لما جرى القلم بنقل ما هذى به وما اهتدى وقد جرى على سنن أوائله فى جعل حقيقة الامر هو الارادة وأضاف الى ذلك اعتقاد أن العبد يوجد فعله ويخلقه وان مراد العبد يقع ومراد الرب لا يقع فهذه ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض نعوذ بالله من هذه الغواية ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا

فى أديانهم والفحص عن مللهم هل جاءت عبادة الاوثان قط فى ملة من ملل الانبياء وكفاه نظرا وفحصا نظره فى كتاب الله المعجز المصدق لما بين يديه واخبار الله فيه بأنهم يعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا وهذه الآية فى نفسها كافية لا حاجة الى غيرها والسؤال الواقع مجازا عن النظر حيث لا يصح السؤال على الحقيقة كثير منه مساءلة الشعراء الديار والرسوم والاطلال وقول من قال سل الارض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك فانها ان لم تجبك حوارا أجابتك اعتبارا وقيل ان النبى صلى الله عليه وسلم جمع له الانبياء ليلة الاسراء فى بيت المقدس فأمهم وقيل له سلهم فلم يشكك ولم يسأل وقيل معناه سل أمم من أرسلنا وهم أهل الكتابين التوراة والانجيل وعن الفراء هم انما يخبرونه عن كتب الرسل فاذا سألهم فكأنه سأل الانبياء * ما أجابوه به عند قوله انى رسول رب (العالمين) محذوف دل عليه قوله (فلما جاءهم بآياتنا) وهو مطالبتهم اياه باحضار البينة على دعواه وابراز الآية (اذا هم منها يضحكون) أى يسخرون منها ويهزؤن بها ويسمونها سحرا واذا للمفاجأة (فان قلت) كيف جاز أن يجاب لما باذا المفاجأة (قلت) لان فعل المفاجأة معها مقدر وهو عامل النصب فى محلها كأنه قيل فلما جاءهم بآياتنا فاجؤا وقت ضحكهم (فان قلت) اذا جاءتهم آية واحدة من جملة التسع فما أختها التى فضلت عليها فى الكبر من بقية الآيات (قلت) أختها التى هى آية مثلها وهذه صفة كل واحدة منها فكان المعنى على أنها أكبر من بقية الآيات على سبيل التفصيل والاستقراء واحدة بعد واحدة كما تقول هو أفضل رجل رأيته تريد تفضيله على أمة الرجال الذين رأيتهم اذا قروتهم رجلا رجلا (فان قلت) هو كلام متناقض لان معناه ما من آية من التسع الا هى أكبر من كل واحدة منها فتكون كل واحدة منها فاضلة ومفضولة فى حالة واحدة (قلت) الغرض بهذا الكلام أنهن موصوفات بالكبر لا يكدن يتفاوتن فيه وكذلك العادة فى الاشياء التى تتلاقى فى الفضل وتتفاوت منازلها فيه التفاوت اليسير أن تختلف آراء الناس فى تفضيلها فيفضل بعضهم هذا وبعضهم ذاك فعلى ذلك بنى الناس كلامهم فقالوا رأيت رجالا بعضهم أفضل من بعض وربما اختلفت آراء الرجل الواحد فيها فتارة يفضل هذا وتارة يفضل ذاك ومنه بيت الحماسة

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

وقد فاضلت الانمارية بين الكملة من بنيها ثم قالت لما أبصرت مراتبهم متدانية قليلة التفاوت ثكلتهم ان كنت أعلم أيهم أفضل هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها (لعلهم يرجعون) ارادة أن يرجعوا عن الكفر الى الايمان (فان قلت) لو أراد رجوعهم لكان (قلت) ارادته فعل غيره ليس الا أن يأمره به ويطلب منه ايجاده فان كان ذلك على سبيل القسر وجد والا دار بين أن يوجد وبين أن لا يوجد على حسب اختيار المكلف وانما لم يكن الرجوع لان الارادة لم تكن قسرا ولم يختاروه * والمراد بالعذاب السنون والطوفان والجراد وغير ذلك * وقرئ يا أيه الساحر بضم الهاء وقد سبق وجهه (فان قلت) كيف سموه بالساحر مع قولهم (اننا لمهتدون) (قلت) قولهم اننا لمهتدون وعد منوى اخلافه وعهد معزوم على نكثه معلق بشرط أن يدعو لهم وينكشف عنهم العذاب ألا ترى الى قوله تعالى (فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون) فما كانت تسميتهم اياه بالساحر بمنافية لقولهم اننا لمهتدون وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر * بما عهد

العالمين فلما جاءهم بآياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من آية الا هى أكبر من أختها وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون وقالوا يا أيه الساحر ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون

عندك بعهده عندك من أن دعوتك مستجابة أو بعهده عندك وهو النبوة أو بما عهد عندك فوفيت به وهو
الايمان والطاعة أو بما عهد عندك من كشف العذاب عمن اهتدى (ونادى فرعون فى قومه) جعلهم محلا
لندائه وموقعا له والمعنى أنه أمر بالنداء فى مجامعهم وأماكنهم من نادى فيها بذلك فأسند النداء اليه كقولك
قطع الأمير اللص اذا أمر بقطعه ويجوز أن يكون عنده عظماء القبط فيرفع صوته بذلك فيما بينهم ثم ينشر عنه
فى جموع القبط فكأنه نودى به بينهم فقال (أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار) يعنى أنهار النيل ومعظمها
أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس قيل كانت تجرى تحت قصره وقيل تحت سريره
لارتفاعه وقيل بين يدى فى جنانى وبساتينى ويجوز أن تكون الواو عاطفة للانهار على ملك مصر وتجرى
نصب على الحال منها وأن تكون الواو للحال واسم الاشارة مبتدأ والانهار صفة لاسم الاشارة وتجرى خبر
للمبتدا وليت شعرى كيف ارتقت الى دعوة الربوبية همة من تعظم بملك مصر وعجب الناس من مدى
عظمته وأمر فنودى بها فى أسواق مصر وأزقتها لئلا تخفى تلك الابهة والجلالة على صغير ولا كبير وحتى
يتربع فى صدور الدهماء مقدار عزته وملكوته وعن الرشيد أنه لما قرأها قال لأولينها أخس عبيدى فولاها
الخصيب وكان على وضوئه وعن عبدالله بن طاهر أنه وليها فخرج اليها فلما شارفها ووقع عليها بصره قال أهى
القرية التى افتخر بها فرعون حتى قال أليس لى ملك مصر والله لهى أقل عندى من أن أدخلها فثنى عنانه
(أم أنا خير) أم هذه متصلة لان المعنى أفلا تبصرون أم تبصرون الا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون
لأنهم اذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من انزال السبب منزلة المسبب ويجوز أن تكون منقطعة
على بل أأنا خير والهمزة للتقرير وذلك أنه قدم تعديد أسباب الفضل والتقدم عليهم من ملك مصر وجرى
الانهار تحته ونادى بذلك وملأ به مسامعهم ثم قال أنا خير كأنه يقول أثبت عندكم واستقر أنى أنا خير وهذه
حالى (من هذا الذى هو مهين) أى ضعيف حقير وقرئ أما أنا خير (ولا يكاد يبين) الكلام لما به من الرتة يريد
أنه ليس معه من العدد وآلات الملك والسياسة ما يعتضد به وهو فى نفسه مخل بما ينعت به الرجال من اللسن
والفصاحة وكانت الانبياء كلهم أبيناء بلغاء وأراد بالقاء الأسورة عليه القاء مقاليد الملك اليه لأنهم كانوا اذا
أرادوا تسويد الرجل سوروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب (مقترنين) اما مقترنين به من قولك قرنته
فاقترن به وإما من اقترنوا بمعنى تقارنوا لما وصف نفسه بالملك والعزة ووازن بينه وبين موسى صلوات الله عليه
فوصفه بالضعف وقلة الاعضاد اعترض فقال هلا ان كان صادقا ملكه ربه وسوده وسوره وجعل الملائكة
أعضاده وأنصاره * وقرئ أساور جمع أسورة وأساوير جمع إسوار وهو السوار وأساورة على تعويض التاء
من ياء أساوير * وقرئ ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (فاستخف قومه)
فاستفزهم وحقيقته حملهم على أن يخفوا له ولما أراد منهم وكذلك استفز من قولهم للخفيف فز (آسفونا)
منقول من أسف أسفا اذا اشتد غضبه ومنه الحديث فى موت الفجأة رحمة للمؤمن وأخذة أسف للكافر ومعناه
أنهم أفرطوا فى المعاصى وعدوا طورهم فاستوجبوا أن نعجل لهم عذابنا وانتقامنا وأن لا نحلم عنهم
* وقرئ سلفا جمع سالف كخادم وخدم وسلفا بضمتين جمع سليف أى فريق قد سلف وسلفا جمع سلفة أى
ثلة قد سلفت ومعناه فجعلناهم قدوة للآخرين من الكفار يقتدون بهم فى استحقاق مثل عقابهم ونزوله
بهم لاتيانهم بمثل أفعالهم وحديثا عجيب الشأن سائرا مسير المثل يحدثون به ويقال لهم مثلكم مثل قوم
فرعون * لما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على قريش انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم امتعضوا
من ذلك امتعاضا شديدا فقال عبدالله بن الزبعرى يا محمد أخاصة لنا ولآلهتنا أم لجميع الامم فقال عليه السلام
هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم فقال خصمتك ورب الكعبة ألست تزعم أن عيسى بن مريم نبى وتثنى عليه
خيرا وعلى أمه وقد علمت أن النصارى يعبدونهما وعزير يعبد والملائكة يعبدون فان كان هؤلاء فى النار فقد
رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرحوا وضحكوا وسكت النبى صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى ان
الذين سبقت لهم منا الحسنى ونزلت هذه الآية والمعنى ولما ضرب عبدالله بن الزبعرى عيسى بن مريم

ونادى فرعون فى
قومه قال ياقوم أليس
لى ملك مصر وهذه
الأنهار تجرى من تحتى
أفلا تبصرون أم أنا
خير من هذا الذى هو
مهين ولا يكاد يبين
فلولا ألقى عليه أسورة
من ذهب أو جاء معه
الملائكة مقترنين
فاستخف قومه فأطاعوه
انهم كانوا قوما فاسقين
فلما آسفونا انتقمنا
منهم فأغرقناهم
أجمعين فجعلناهم سلفا
ومثلا للآخرين ولما
ضرب ابن مريم مثلا

مثلا وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذا قومك) قريش من هذا المثل (يصدون)
ترتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وضحكا بما سمعوا منه من اسكات رسول الله صلى الله عليه وسلم بجدله كما
يرتفع لغط القوم ولجبهم اذا تعيوا بحجة ثم فتحت عليهم وأما من قرأ يصدون بالضم فمن الصدود أى من أجل
هذا المثل يصدون عن الحق ويعرضون عنه وقيل من الصديد وهو الجلبة وأنهما لغتان نحو يعكف ويعكف
ونظائرهما (وقالوا أآلهتنا خير أم هو) يعنون أن آلهتنا عندك ليست بخير من عيسى واذا كان عيسى من
حصب النار كان أمر آلهتنا هينا (ما ضربوه) أى ما ضربوا هذا المثل (لك الا جدلا) الا لاجل الجدل
والغلبة فى القول لا لطلب الميز بين الحق والباطل (بل هم قوم خصمون) لدّ شداد الخصومة دأبهم اللجاج
كقوله تعالى قوما لدّا وذلك أن قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله ما أريد به الا الأصنام وكذلك قوله
عليه السلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الامم انما قصد به الاصنام ومحال أن يقصد به الانبياء والملائكة الا
أن ابن الزبعرى بخبثه وخداعه وخبث دخلته لما رأى كلام الله ورسوله محتملا لفظه وجه العموم مع علمه بأن
المراد به أصنامهم لا غير وجد للحيلة مساغا فصرف معناه الى الشمول والاحاطة بكل معبود غير الله على
طريقة المحك والجدال وحب المغالبة والمكابرة وتوقح فى ذلك فتوقر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أجاب
عنه ربه ان الذين سبقت لهم منا الحسنى فدل به على أن الآية خاصة فى الاصنام على أن ظاهر قوله وما
تعبدون لغير العقلاء وقيل لما سمعوا قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم قالوا نحن أهدى من
النصارى لأنهم عبدوا آدميا ونحن نعبد الملائكة فنزلت وقوله أآلهتنا خير أم هو على هذا القول تفضيل
لآلهتهم على عيسى لان المراد بهم الملائكة وما ضربوه لك الا جدلا معناه وما قالوا هذا القول يعنى أآلهتنا
خير أم هو الا للجدال * وقرئ أآلهتنا خير باثبات همزة الاستفهام وباسقاطها لدلالة أم العديلة عليها وفى
حرف ابن مسعود خير أم هذا ويجوز أن يكون جدلا حالا أى جدلين وقيل لما نزلت ان مثل عيسى عند الله
قالوا ما يريد محمد بهذا الا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وإن كان بشرا كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر
ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير فى أم هو لمحمد صلى الله عليه وسلم وغرضهم بالموازنة بينه وبين
آلهتهم السخرية به والاستهزاء ويجوز أن يقولوا لما أنكر عليهم قولهم الملائكة بنات الله وعبدوهم ما قلنا
بدعا من القول ولا فعلنا نكرا من الفعل فان النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه ونحن أشف منهم قولا
وفعلا فانا نسبنا اليه الملائكة وهم نسبوا اليه الأناسى فقيل لهم مذهب النصارى شرك بالله ومذهبكم شرك
مثله وما تنصلكم مما أنتم عليه بما أوردتموه الا قياس باطل بباطل وما عيسى (الا عبد) كسائر العبيد (أنعمنا
عليه) حيث جعلناه آية بأن خلقناه من غير سبب كما خلقنا آدم وشرفناه بالنبوة وصيرناه عبرة عجيبة كالمثل
السائر لبنى اسرائيل (ولو نشاء) لقدرتنا على عجائب الأمور وبدائع الفطر (لجعلنا منكم) لولدنا منكم يا رجال
(ملائكة) يخلفونكم فى الارض كما يخلفكم أولادكم كما ولدنا عيسى من أنثى من غير فحل لتعرفوا تميزنا بالقدرة
الباهرة ولتعلموا أن الملائكة أجسام لا تتولد الا من أجسام وذات القديم متعالية عن ذلك (وانه) وان عيسى
عليه السلام (لعلم للساعة) أى شرط من أشراطها تعلم به فسمى الشرط علما لحصول العلم به وقرأ ابن عباس
لعلم وهو العلامة وقرئ للعلم وقرأ أبى لذكر على تسمية ما يذكر به ذكرا كما سمى ما يعلم به علما وفى الحديث أن
عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالارض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وشعر رأسه دهين وبيده
حربة وبها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح والامام يؤم بهم فيتأخر الامام فيقدمه
عيسى ويصلى خلفه على شريعة محمد عليه السلام ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع
والكنائس ويقتل النصارى الا من آمن به وعن الحسن أن الضمير للقرآن وأن القرآن به تعلم الساعة لان
فيه الاعلام بها (فلا تمترن بها) من المرية وهى الشك (واتبعون) واتبعوا هداى وشرعى أو رسولى وقيل هذا
أمر لرسول الله أن يقوله (هذا صراط مستقيم) أى هذا الذى أدعوكم اليه أو هذا القرآن ان جعل الضمير فى
وانه للقرآن (عدو مبين) قد أبانت عداوته لكم اذ أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور (بالبينات)

اذا قومك منه يصدون
وقالوا أآلهتنا خير أم
هو ما ضربوه لك الا
جدلا بل هم قوم
خصمون إن هو الا عبد
أنعمنا عليه وجعلناه
مثلا لبنى اسرائيل ولو
نشاء لجعلنا منكم
ملائكة فى الارض
يخلفون وإنه لعلم للساعة
فلا تمترن بها واتبعون
هذا صراط مستقيم
ولا يصدنكم الشيطان
إنه لكم عدو مبين ولما
جاء عيسى بالبينات
قال قد جئتكم

بالحكمة ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون انّ الله هو ربى وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين ظلموا من عذاب يوم أليم هل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة وهم لايشعرون الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ الا المتقين ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ماتشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون وماظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ونادوا يامالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون

بالمعجزات أو بآيات الانجيل والشرائع البينات الواضحات (بالحكمة) يعنى الانجيل والشرائع * (فان قلت) هلا بين لهم كل الذى يختلفون فيه ولكن بعضه (قلت) كانوا يختلفون فى الديانات ومايتعلق بالتكليف وفيما سوى ذلك مما لم يتعبدوا بمعرفته والسؤال عنه وانما بعث ليبين لهم مااختلفوا فيه مما يعنيهم من أمر دينهم (الأحزاب) الفرق المتحزبة بعد عيسى وقيل اليهود والنصارى (فويل للذين ظلموا) وعيد للاحزاب (فان قلت) من بينهم الى من يرجع الضمير فيه (قلت) الى الذين خاطبهم عيسى فى قوله قد جئتكم بالحكمة وهم قومه المبعوث اليهم (أن تأتيهم) بدل من الساعة والمعنى هل ينظرون الا اتيان الساعة (فان قلت) أما أدّى قوله (بغتة) مؤدّى قوله (وهم لايشعرون) فيستغنى عنه (قلت) لا لأن معنى قوله تعالى وهم لا يشعرون وهم غافلون لاشتغالهم بأمور دنياهم كقوله تعالى تأخذهم وهم يخصمون ويجوز أن تأتيهم بغتة وهم فطنون (يومئذ) منصوب بعدوّ أى تنقطع فى ذلك اليوم كل خلة بين المتخالين فى غير ذات الله وتنقلب عداوة ومقتا الا خلة المتصادقين فى الله فانها الخلة الباقية المزدادة قوة اذا رأوا ثواب التحاب فى الله تعالى والتباغض فى الله وقيل (الا المتقين) الا المجتنبين أخلاء السوء وقيل نزلت فى أبى بن خلف وعقبة بن أبى معيط (ياعبادى) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ * و(الذين آمنوا) منصوب المحل صفة لعبادى لانه منادى مضاف أى الذين صدقوا (بآياتنا وكانوا مسلمين) مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وقيل اذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادى مناد ياعبادى فيرجوها الناس كلهم ثم يتبعها الذين آمنوا فييأس الناس منها غير المسلمين * وقرئ ياعباد (تحبرون) تسرون سرورا يظهر حباره أى أثره على وجوهكم كقوله تعالى تعرف فى وجوههم نضرة النعيم وقال الزجاج تكرمون اكراما يبالغ فيه والحبرة المبالغة فيما وصف بجميل * والكوب الكوز لاعروة له (وفيها) الضمير للجنة * وقرئ تشتهى وتشتهيه وهذا حصر لأنواع النعم لانها اما مشتهاة فى القلوب واما مستلذة فى العيون (وتلك) اشارة الى الجنة المذكورة وهى مبتدأ و(الجنة) خبر و(التى أورثتموها) صفة الجنة أو الجنة صفة للمبتدا الذى هو اسم الاشارة والتى أورثتموها خبر المبتدا أو التى أورثتموها صفة و(بما كنتم تعملون) الخبر والباء تتعلق بمحذوف كما فى الظروف التى تقع أخبارا وفى الوجه الاول تتعلق بأورثتموها وشبهت فى بقائها على أهلها بالميراث الباقى على الورثة * وقرئ ورثتموها (منها تأكلون) من للتبعيض أى لاتأكلون الا بعضها وأعقابها باقية فى شجرها فهى مزينة بالثمار أبدا موقرة بها لاترى شجرة عريانة من ثمرها كما فى الدنيا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لاينزع رجل فى الجنة من ثمرها الا نبت مكانها مثلاها (لايفتر عنهم) لايخفف ولاينقص من قولهم فترت عنه الحمى اذا سكنت عنه قليلا ونقص حرها * والمبلس اليائس الساكت سكوت يأس من فرج وعن الضحاك يجعل المجرم فى تابوت من نار ثم يردم عليه فيبقى فيه خالدا لايرى ولايرى (هم) فصل عند البصريين عماد عند الكوفيين وقرئ وهم فيها أى فى النار * وقرأ على وابن مسعود رضى الله عنهما يامال بحذف الكاف للترخيم كقول القائل

* والحق يامال غير ماتصف *

وقيل لابن عباس ان ابن مسعود قرأ ونادوا يامال فقال ماأشغل أهل النار عن الترخيم وعن بعضهم حسن الترخيم أنهم يقتطعون بعض الاسم لضعفهم وعظم ماهم فيه وقرأ أبو السرار الغنوى يامال بالرفع كما يقال ياحار (ليقض علينا ربك) من قضى عليه اذا أماته فوكزه موسى فقضى عليه والمعنى سل ربك أن يقضى علينا (فان قلت) كيف قال ونادوا يامالك بعد ماوصفهم بالابلاس (قلت) تلك أزمنة متطاولة وأحقاب ممتدة فتختلف بهم الأحوال فيسكتون أوقاتا لغلبة اليأس عليهم وعلمهم أنه لافرج لهم ويغوثون أوقاتا لشدة مابهم (ماكثون) لابثون وفيه استهزاء والمراد خالدون عن ابن عباس رضى الله عنهما انما يجيبهم بعد ألف سنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ماهم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالكا فيدعون يامالك ليقض علينا ربك (لقد جئناكم بالحق) كلام الله عز وجل بدليل قراءة من قرأ لقد جئتكم ويجب أن يكون فى قال ضمير الله عز وجل لما سألوا مالكا أن يسأل الله تعالى القضاء عليهم أجابهم الله بذلك (كارهون) لاتقبلونه وتنفرون

منه

* قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين (قال فيه معناه ان صح وثبت برهان قاطع فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد له الى آخره) قال أحمد لقد اجترأ أعظمها واقتحم مهلكة فى تمثيله ذلك بقول من سماه عدليا ان كان الله خالقا للكفر فى القلوب ومعذبا عليه فأنا أول القائلين انه شيطان وليس بإله فلينقم عليه ذلك بقول القائل قد ثبت قطعا عقلا وشرعا أنه تعالى خالق لذلك فى القلوب كما خلق الايمان وفاء بمقتضى دليل العقل الدال على أن لاخالق الا الله وتصديقا بمضمون قوله تعالى هل من خالق غير الله وقوله الله خالق كل شئ واذا ثبتت هذه المقدمة عقلا ونقلا لزمه فرك اذنه وغل عنقه اذ يلحد فى الله الحادا (٨٥) لم يسبقه اليه أحد من عباده الكفرة ولا تجرأ عليه مارد من مردة الفجرة ومن خالف فى كفر القدرية فقد وافق على كفر من تجرأ فقال هذه المقالة واقحم هذه الضلالة بلا محالة فانه قد صرح بكلمة الكفر على أقبح وجوهها وأشنع أنحائها والله المسؤل أن يعصمنا وهو حسبنا ونعم الوكيل

أم أبرموا أمرا فانا مبرمون أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين سبحان رب السموات والارض رب العرش عما يصفون فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله وهو الحكيم العليم وتبارك الذى له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه

منه وتشمئزون منه لأن مع الباطل الدعة ومع الحق التعب (أم) أبرم مشركو مكة (أمرا) من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (فانا مبرمون) كيدنا كما أبرموا كيدهم كقوله تعالى أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون * وكانوا يتنادون فيتناجون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان قلت) ما المراد بالسر والنجوى (قلت) السر ماحدث به الرجل نفسه او غيره فى مكان خال والنجوى ماتكلموا به فيما بينهم (بلى) نسمعهما ونطلع عليهما (ورسلنا) يريد الحفظة عندهم (يكتبون) ذلك وعن يحيى بن معاذ الرازى من ستر من الناس ذنوبه وأبداها للذى لايخفى عليه شئ فى السموات فقد جعله أهون الناظرين اليه وهو من علامات النفاق (قل ان كان للرحمن ولد) وصح ذلك وثبت ببرهان صحيح توردونه وحجة واضحة تدلون بها (فأنا أول) من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل الفرض والتمثيل لغرض وهو المبالغة فى نفى الولد والاطناب فيه وأن لايترك الناطق به شبهة الا مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم فى باب التوحيد وذلك أنه علق العبادة بكينونة الولد وهى محال فى نفسها فكان المعلق بها محالا مثلها فهو فى صورة اثبات الكينونة والعبادة وفى معنى نفيهما على أبلغ الوجوه وأقواها ونظيره أن يقول العدلى للمجبرة ان كان الله تعالى خالقا للكفر فى القلوب ومعذبا عليه عذابا سرمدا فأنا أول من يقول هو شيطان وليس بإله فمعنى هذا الكلام وماوضع له أسلوبه ونظمه نفى أن يكون الله تعالى خالقا للكفر وتنزيهه عن ذلك وتقديسه ولكن على طريق المبالغة فيه من الوجه الذى ذكرنا مع الدلالة على سماجة المذهب وضلالة الذاهب اليه والشهادة القاطعة باحالته والافصاح عن نفسه بالبراءة وغاية النفار والاشمئزاز من ارتكابه ونحو هذه الطريقة قول سعيد بن جبير رحمه الله للحجاج حين قال له أما والله لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى لو عرفت أن ذلك اليك ماعبدت الها غيرك وقد تمحل الناس بما أخرجوه به من هذا الاسلوب الشريف الملئ بالنكت والفوائد المستقل باثبات التوحيد على أبلغ وجوهه فقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم باضافة الولد اليه وقيل ان كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول الآنفين من أن يكون له ولد من عبد يعبد اذا اشتد أنفه فهو عبد وعابد * وقرأ بعضهم العبدين وقيل هى ان النافية أى ما كان للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وعبد ووحد وروى أن النضر بن عبد الدار بن قصى قال ان الملائكة بنات الله فنزلت فقال النضر ألا ترون أنه قد صدقنى فقال له الوليد بن المغيرة ماصدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولد فأنا أول الموحدين من أهل مكة أن لا ولد له * وقرئ ولد بضم الواو * ثم نزه ذاته موصوفة بربوبية السموات والارض والعرش عن اتخاذ الولد ليدل على أنه من صفة الأجسام ولو كان جسما لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره (فذرهم يخوضوا) فى باطلهم (ويلعبوا) فى دنياهم (حتى يلاقوا يومهم) وهذا دليل على أن مايقولونه من باب الجهل والخوض واللعب واعلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم من المطبوع على قلوبهم الذين لايرجعون البتة وان ركب فى دعوتهم كل صعب وذلول وخذلان لهم وتخلية بينهم وبين الشيطان كقوله تعالى اعملوا ماشئتم وايعاد بالشقاء فى العاقبة * ضمن اسمه تعالى معنى وصف فلذلك علق به الظرف فى قوله فى السماء وفى الارض كما

* قوله تعالى وهو الذى فى السماء اله وفى الارض اله (قال فيه ضمن اسمه عز وجل معنى وصف فعلق به الظرف وهو قوله فى السماء الخ) قال أحمد وعما سهل حذف الراجع مضافا الى الطول الذى ذكره وقوع الموصول خبرا عن مضمر لو ظهر الراجع لكان كالتكرار المستكره اذ كان أصل الكلام وهو الذى هو فى السماء اله ولا ينكر أن الكلام مع المحذوف الراجع أخف وأسهل وأن الراجع انما حذف على قلة حذف مثله لأمر ما كذ فانه لم يرد فى الكتاب العزيز الا فى قوله تماما على الذى أحسن ومع أى فى موضعين على رأى * عاد كلامه قال (وتحتمل الآية أن يكون فى السماء صلة الذى على تأويل الالهية الخ)

ترجعون ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق وهم يعلمون ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون وقيله يارب ان هؤلاء قوم لا يؤمنون فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون

﴿سورة الدخان مكية وهى سبع وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة

تقول هو حاتم فى طى حاتم فى تغلب على تضمين معنى الجواد الذى شهر به كأنك قلت هو جواد فى طى جواد فى تغلب * وقرئ وهو الذى فى السماء الله وفى الارض الله ومثله قوله تعالى وهو الله فى السموات وفى الارض كأنه ضمن معنى المعبود أو المالك أو نحو ذلك والراجع الى الموصول محذوف لطول الكلام كقولهم ما أنا بالذى قائل لك شيأ وزاده طولا أن المعطوف داخل فى حيز الصلة ويحتمل أن يكون فى السماء صلة الذى واله خبر مبتدإ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه فى السماء على سبيل الالهية والربوبية لا على معنى الاستقرار وفيه نفى الآلهة التى كانت تعبد فى الارض (ترجعون) قرئ بضم التاء وفتحها ويرجعون بياء مضمومة وقرئ تحشرون بالتاء * ولايملك آلهتهم الذين يدعون من دون الله الشفاعة كما زعموا أنهم شفعاؤهم عند الله ولكن من (شهد بالحق) وهو توحيد الله وهو يعلم ما يشهد به عن بصيرة وايقان واخلاص هو الذى يملك الشفاعة وهو استثناء منقطع ويجوز أن يكون متصلا لأن فى جملة الذين يدعون من دون الله الملائكة * وقرئ تدعون بالتاء وتدّعون بالتاء وتشديد الدال (وقيله) قرئ بالحركات الثلاث وذكر فى النصب عن الأخفش أنه حمله على أم يحسبون أنا لانسمع سرهم ونجواهم وقيله وعنه وقال قيله وعطفه الزجاج على محل الساعة كما تقول عجبت من ضرب زيد وعمرا وحمل الجر على لفظ الساعة والرفع على الابتداء والخبر ما بعده وجوز عطفه على علم الساعة على تقدير حذف المضاف معناه وعنده علم الساعة وعلم قيله والذى قالوه ليس بقوى فى المعنى مع وقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بما لايحسن اعتراضا ومع تنافر النظم وأقوى من ذلك وأوجه أن يكون الجر والنصب على اضمار حرف القسم وحذفه والرفع على قولهم أيمن الله وأمانة الله ويمين الله ولعمرك ويكون قوله (ان هؤلاء قوم لا يؤمنون) جواب القسم كأنه قيل وأقسم بقيله يارب أو وقيله يارب قسمى ان هؤلاء قوم لا يؤمنون (فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم يائسا عن ايمانهم وودعهم وتاركهم (وقل) لهم (سلام) أى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) وعيد من الله لهم وتسلية لرسوله صلى الله عليه وسلم والضمير فى وقيله لرسول الله صلى الله عليه وسلم واقسام الله بقيله رفع منه وتعظيم لدعائه والتجائه اليه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب

﴿سورة الدخان مكية الا قوله انا كاشفوا العذاب قليلا الآية وهى سبع وخمسون آية وقيل تسع وخمسون﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* الواو فى (والكتاب) واو القسم ان جعلت حم تعديدا للحروف أو اسما للسورة مرفوعا على خبر الابتداء المحذوف وواو العطف ان كانت حم مقسما بها وقوله (انا أنزلناه) جواب القسم * والكتاب المبين القرآن والليلة المباركة ليلة القدر وقيل ليلة النصف من شعبان ولها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصك وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل فى تسميتها ليلة البراءة والصك ان البندار اذا استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة كذلك الله عز وجل يكتب لعباده المؤمنين البراءة فى هذه الليلة وقيل هى مختصة بخمس خصال تفريق كل أمر حكيم وفضيلة العبادة فيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى فى هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله اليه مائة ملك ثلاثون يبشرونه بالجنة وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان ونزول الرحمة قال عليه الصلاة والسلام إن الله يرحم أمتى فى هذه الليلة بعدد شعر أغنام بنى كلب وحصول المغفرة قال عليه الصلاة والسلام ان الله تعالى يغفر لجميع المسلمين فى تلك الليلة الا لكاهن أو ساحر أو مشاحن أو مدمن خمر أو عاق للوالدين أو مصر على الزنا وما أعطى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم من تمام الشفاعة وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان فى أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم سأل ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع الا من شرد على الله شراد البعير ومن عادة الله فى هذه الليلة أن يزيد فيها ماء زمزم زيادة ظاهرة والقول الأكثر أن المراد بالليلة المباركة ليلة القدر لقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر

انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا انا كنا مرسلين رحمة من ربك انه هو السميع العليم رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين لا اله الا هو يحيى ويميت ربكم ورب آبائكم الاولين بل هم فى شك يلعبون فارتقب يوم تأتى السماء

ولمطابقة قوله فيها يفرق كل أمر حكيم لقوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر وقوله تعالى شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن وليلة القدر فى أكثر الاقاويل فى شهر رمضان (فان قلت) ما معنى انزال القرآن فى هذه الليلة (قلت) قالوا أنزل جملة واحدة من السماء السابعة الى السماء الدنيا وأمر السفرة الكرام بانتساخه فى ليلة القدر وكان جبريل عليه السلام ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما نجوما (فان قلت) (انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم) ما موقع هاتين الجملتين (قلت) هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان فسر بهما جواب القسم الذى هو قوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة مباركة كأنه قيل أنزلناه لان من شأننا الانذار والتحذير من العقاب وكان انزالنا إياه فى هذه الليلة خصوصا لان انزال القرآن من الامور الحكيمة وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم * والمباركة الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الامور التى يتعلق بها منافع العباد فى دينهم ودنياهم ولو لم يوجد فيها الا انزال القرآن وحده لكفى به بركة * ومعنى يفرق يفصل ويكتب كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم منها الى الاخرى القابلة وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح المحفوظ فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الارزاق الى ميكائيل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسف ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت وعن بعضهم يعطى كل عامل بركات أعماله فيلقى على ألسنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته * وقرئ يفرّق بالتشديد ويفرق كل على بنائه للفاعل ونصب كل والفارق الله عز وجل وقرأ زيد بن على رضى الله عنه نفرق بالنون * كل أمر حكيم كل شأن ذى حكمة أى مفعول على ما تقتضيه الحكمة وهو من الاسناد المجازى لان الحكيم صفة صاحب الامر على الحقيقة ووصف الامر به مجاز (أمرا من عندنا) نصب على الاختصاص جعل كل أمر جزلا فخما بأن وصفه بالحكيم ثم زاده جزالة وكسبه فخامة بأن قال أعنى بهذا الامر أمرا حاصلا من عندنا كائنا من لدنا وكما اقتضاه علمنا وتدبيرنا ويجوز أن يراد به الامر الذى هو ضد النهى ثم اما أن يوضع موضع فرقانا الذى هو مصدر يفرق لان معنى الامر والفرقان واحد من حيث انه اذا حكم بالشئ وكتبه فقد أمر به وأوجبه أو يكون حالا من أحد الضميرين فى أنزلناه إما من ضمير الفاعل أى أنزلناه آمرين أمرا أو من ضمير المفعول أى أنزلناه فى حال كونه أمرا من عندنا بما يجب أن يفعل (فان قلت) (انا كنا مرسلين رحمة من ربك) بم يتعلق (قلت) يجوز أن يكون بدلا من قوله انا كنا منذرين ورحمة من ربك مفعولا له على معنى انا أنزلنا القرآن لأن من شأننا ارسال الرسل بالكتب الى عبادنا لأجل الرحمة عليهم وأن يكون تعليلا ليفرق أو لقوله أمرا من عندنا ورحمة مفعولا به وقد وصف الرحمة بالارسال كما وصفها به فى قوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده أى يفصل فى هذه الليلة كل أمر أو تصدر الاوامر من عندنا لأن من عادتنا أن نرسل رحمتنا وفصل كل أمر من قسمة الارزاق وغيرها من باب الرحمة وكذلك الاوامر الصادرة من جهته عز وعلا لأن الغرض فى تكليف العباد تعريضهم للمنافع والأصل انا كنا مرسلين رحمة منا فوضع الظاهر موضع الضمير ايذانا بأن الربوبية تقتضى الرحمة على المربوبين * وفى قراءة زيد بن على أمر من عندنا على هو أمر وهى تنصر انتصابه على الاختصاص * وقرأ الحسن رحمة من ربك على تلك رحمة وهى تنصر انتصابها بأنها مفعول له (انه هو السميع العليم) وما بعده تحقيق لربوبيته وأنها لاتحق الا لمن هذه أوصافه * وقرئ رب السموات ربكم ورب آبائكم بالجر بدلا من ربك (فان قلت) ما معنى الشرط الذى هو قوله (ان كنتم موقنين) (قلت) كانوا يقرّون بأن للسموات والارض ربا وخالقا فقيل لهم ان ارسال الرسل وانزال الكتب رحمة من الرب ثم قيل ان هذا الرب هو السميع العليم الذى أنتم مقرّون به ومعترفون بأنه رب السموات والارض وما بينهما ان كان اقراركم عن علم وايقان كما تقول ان هذا انعام زيد الذى تسامع الناس بكرمه واشتهروا سخاؤه ان بلغك حديثه وحدثت بقصته ثم رد أن يكونوا موقنين بقوله (بل هم فى شك يلعبون) وأن اقرارهم غير صادر عن علم وتيقن ولا عن جد وحقيقة بل قول مخلوط بهزؤ ولعب (يوم تأتى السماء) مفعول به مرتقب يقال رقبته وارتقبته

نحو تطرته وانتظرته * واختلف في الدخان فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبه أخذ الحسن أنه دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة يدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد منهم كالرأس الحنيذ ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الارض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى بن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس الى المحشر قال حذيفة يا رسول الله وما الدخان فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوما وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره وعن ابن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضت الروم والدخان والقمر والبطشة واللزام ويروى أنه قيل لابن مسعود ان قاصا عند أبواب كندة يقول إنه دخان يأتي يوم القيامة فيأخذ بأنفاس الخلق فقال من علم علما فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من علم الرجل أن يقول لشئ لا يعلمه الله أعلم ثم قال ألا وسأحدثكم أن قريشا لما استعصت على رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فأصابهم الجهد حتى أكلوا الجيف والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والارض الدخان وكان يحدث الرجل فيسمع كلامه ولا يراه من الدخان فمشى اليه أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم وواعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا فلما كشف عنهم رجعوا الى شركهم (بدخان مبين) ظاهر حاله لا يشك أحد في أنه دخان (يغشى الناس) يشملهم ويلبسهم وهو في محل الجر صفة الدخان و(هذا عذاب) الى قوله مؤمنون منصوب المحل بفعل مضمر وهو يقولون ويقولون منصوب على الحال أى قائلين ذلك (انا مؤمنون) موعدة بالايمان ان كشف عنهم العذاب (أنى لهم الذكرى) كيف يذكرون ويتعظون ويفون بما وعدوه من الايمان عند كشف العذاب (وقد جاءهم) ما هو أعظم وأدخل في وجوب الادكار من كشف الدخان وهو ما ظهر على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات البينات من الكتاب المعجز وغيره من المعجزات فلم يذكروا * وتولوا عنه وبهتوه بأن عداسا غلاما أعجميا لبعض ثقيف هو الذي علمه ونسبوه الى الجنون ثم قال (انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون) أى ريثما نكشف عنكم العذاب تعودون الى شرككم لا تلبثون غب الكشف على ما أنتم عليه من التضرع والابتهال (فان قلت) كيف يستقيم على قول من جعل الدخان قبل يوم القيامة قوله انا كاشفوا العذاب قليلا (قلت) اذا أتت السماء بالدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون منيبون فيكشفه الله عنهم بعد أربعين يوما فريثما يكشفه عنهم يرتدون لا يتمهلون ثم قال (يوم نبطش البطشة الكبرى) يريد يوم القيامة كقوله تعالى فاذا جاءت الطامة الكبرى (انا منتقمون) أى ننتقم منهم في ذلك اليوم (فان قلت) بم انتصب يوم نبطش (قلت) بما دل عليه انا منتقمون وهو ننتقم ولا يصح أن ينتصب بمنتقمون لأن ان تحجب عن ذلك * وقرئ نبطش بضم الطاء وقرأ الحسن نبطش بضم النون كأنه يحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى أو يجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقيل البطشة الكبرى يوم بدر * وقرئ ولقد فتنا بالتشديد للتأكيد أو لوقوعه على القوم ومعنى الفتنة أنه أمهلهم ووسع عليهم في الرزق فكان ذلك سببا في ارتكابهم المعاصي واقترافهم الآثام أو ابتلاهم بارسال موسى اليهم ليؤمنوا فاختاروا الكفر على الايمان أو سلبهم ملكهم وأغرقهم (كريم) على الله وعلى عباده المؤمنين أو كريم في نفسه لأن الله لم يبعث نبيا الا من سراة قومه وكرامهم (أن أدوا الي) هي أن المفسرة لأن مجيء الرسول من بعث اليهم متضمن لمعنى القول لأنه لا يجيئهم الا مبشرا ونذيرا وداعيا الى الله أو المخففة من الثقيلة ومعناه وجاءهم بأن الشأن والحديث أدوا الي (وعباد الله) مفعول به وهم بنو اسرائيل يقول أدوهم الي وأرسلوهم معي كقوله تعالى أرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم ويجوز أن يكون نداء لهم على أدوا الي يا عباد الله ما هو واجب لي عليكم من الايمان لي وقبول دعوتي واتباع سبيلي * وعلل ذلك بأنه (رسول أمين) غير ظنين قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته (وأن لا تعلوا) أن هذه مثل الأولى في

بدخان مبين يغشى الناس هذا عذاب أليم ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون انا كاشفوا العذاب قليلا انكم عائدون يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم أن أدوا الي عباد الله إني لكم رسول أمين وأن لا تعلوا

وجهيها

وجهيها أى لا تستكبروا (على الله) بالاستهانة برسوله ووحيه أو لا تستكبروا على نبي الله (بسلطان مبين) بحجة واضحة (أن ترجمون) أن تقتلون * وقرئ عت بالادغام ومعناه أنه عائذ بربه متكل على أنه يعصمه منهم ومن كيدهم فهو غير مبال بما كانوا يتوعدونه به من الرجم والقتل (فاعتزلون) يريد ان لم تؤمنوا الي فلا موالاة بيني وبين من لا يؤمن فتنحوا عني واقطعوا أسباب الوصلة عني أو فخلوني كفافا لا لي ولا علي ولا تتعرضوا الي بشركم وأذاكم فليس جزاء من دعاكم الى ما فيه فلاحكم ذلك (أن هؤلاء) بأن هؤلاء أى دعا ربه بذلك قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم ما يستحقونه باجرامهم وقيل هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وانما ذكر الله تعالى السبب الذي استوجبوا به الهلاك وهو كونهم مجرمين وقرئ إن هؤلاء بالكسر على اضمار القول أى فدعا ربه فقال ان هؤلاء (فأسر) قرئ بقطع الهمزة من أسرى ووصلها من سرى وفيه وجهان اضمار القول بعد الفاء فقال أسر بعبادي وأن يكون جواب شرط محذوف كأنه قيل قال ان كان الامر كما تقول فأسر (بعبادي) يعني فأسر ببني اسرائيل فقد دبر الله أن تتقدموا ويتبعكم فرعون وجنوده فينجي المتقدمين ويغرق التابعين * الرهو فيه وجهان أحدهما أنه الساكن قال الأعشى

يمشين رهوا فلا الأعجاز خاذلة * ولا الصدور على الأعجاز تتكل

أى مشيا ساكنا على هينة أراد موسى لما جاوز البحر أن يضربه بعصاه فينطبق كما ضربه فانفلق فأمر بأن يتركه ساكنا على هيئته قارا على حاله من انتصاب الماء وكون الطريق يبسا لا يضربه بعصاه ولا يغير منه شيأ ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله عليهم والثاني أن الرهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب أنه رأى جملا فالجا فقال سبحان الله رهو بين سنامين أى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (انهم جند مغرقون) وقرئ بالفتح بمعنى لأنهم * والمقام الكريم ما كان لهم من المجالس والمنازل الحسنة وقيل المنابر * والنعمة بالفتح من التنعم وبالكسر من الانعام وقرئ فاكهين وفكهين (كذلك) الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الاخراج أخرجناهم منها (وأورثناها) أو في موضع الرفع على الأمر كذلك (قوما آخرين) ليسوا منهم في شئ من قرابة ولا دين ولا ولاء وهم بنو اسرائيل كانوا متسخرين مستعبدين في أيديهم فأهلكهم الله على أيديهم وأورثهم ملكهم وديارهم * اذا مات رجل خطير قالت العرب في تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح وأظلمت له الشمس وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن مات في غربة غابت فيها بواكيه الا بكت عليه السماء والارض وقال جرير * تبكي عليك نجوم الليل والقمرا * وقالت الخارجية

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

وذلك على سبيل التمثيل والتخييل مبالغة في وجوب الجزع والبكاء عليه وكذلك ما روى عن ابن عباس رضي الله عنهما من بكاء مصلى المؤمن وآثاره في الارض ومصاعد عمله ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونفى ذلك عنهم في قوله تعالى (فما بكت عليهم السماء والارض) فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال فيه بكت عليه السماء والارض وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا بهلاكهم مسرورين يعني فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الارض (وما كانوا منظرين) لما جاء وقت هلاكهم لم ينظروا الى وقت آخر ولم يمهلوا الى الآخرة بل عجل لهم في الدنيا (من فرعون) بدل من العذاب المهين كأنه في نفسه كان عذابا مهينا لافراطه في تعذيبهم واهانتهم ويجوز أن يكون المعنى من العذاب المهين واقعا من جهة فرعون * وقرئ من عذاب المهين ووجهه أن يكون تقدير قوله من فرعون من عذاب فرعون حتى يكون المهين هو فرعون وفي قراءة ابن عباس من فرعون لما وصف عذاب فرعون بالشدة والفظاعة قال من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو في عتوه وشيطنته ثم عرف حاله في ذلك بقوله (انه كان عاليا من المسرفين) أى كبيرا رفيع الطبقة ومن بينهم فائقا لهم بليغا في اسرافه أو عاليا متكبرا كقوله تعالى ان فرعون علا في الارض ومن المسرفين خبر ثان كأنه قيل انه كان متكبرا مسرفا * الضمير في (اخترناهم) لبني اسرائيل و(على علم) في موضع الحال أى عالمين بمكان الخيرة وبأنهم أحقاء أن يختاروا ويجوز أن يكون المعنى مع علم

على الله إني آتيكم بسلطان مبين وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون فأسر بعبادي ليلا انكم متبعون واترك البحر رهوا إنهم جند مغرقون كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين من فرعون إنه كان عاليا من المسرفين ولقد اخترناهم على علم

(القول فى سورة الدخان) (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى ان هؤلاء ليقولون ان هى الا موتتنا الاولى (قال فيه فان قلت كان الكلام معهم واقعا فى الحياة الثانية لا فى الموت الخ) قال أحمد وأظهر من ذلك أنهم لما وعدوا بعد الحياة الدنيا حالتين أخريين الاولى منهما الموت والاخرى حياة البعث أثبتوا الحالة الاولى وهى الموت ونفوا ما بعدها وسموها أولى مع أنهم اعتقدوا أن لا شئ بعدها لانهم نزلوا جحدهم على الاثبات فجعلوها أولى على ما ذكرت لهم وهذا أولى من حمل الموتة الاولى على السابقة على

الحياة الدنيا لوجهين أحدهما ان الاقتصار عليها لا يعتقدونه لانهم يثبتون الموت الذى

على العالمين وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين إن هؤلاء ليقولون إن هى الا موتتنا الاولى وما نحن بمنشرين فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين يوم لا يغنى مولى عن مولى شيأ ولا هم ينصرون الا من رحم الله انه هو العزيز الرحيم ان شجرت الزقوم طعام الأثيم

منا بأنهم يزيغون ويفرط منهم الفرطات فى بعض الاحوال (على العالمين) على عالمى زمانهم وقيل على الناس جميعا لكثرة الانبياء منهم (من الآيات) من نحو فلق البحر وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الآيات العظام التى لم يظهر الله فى غيرهم مثلها (بلاء مبين) نعمة ظاهرة لان الله تعالى يبلو بالنعمة كما يبلو بالمصيبة أو اختبار ظاهر لينظر كيف تعملون كقوله تعالى وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم (هؤلاء) إشارة الى كفار قريش (فان قلت) كان الكلام واقعا فى الحياة الثانية لا فى الموت فهلا قيل ان هى الا حياتنا الاولى وما نحن بمنشرين كما قيل ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وما معنى قوله (ان هى الا موتتنا الاولى) وما معنى ذكر الاولى كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى نفوها وجحدوها وأثبتوا الاولى (قلت) معناه والله الموفق للصواب أنه قيل لهم انكم تموتون موتة تتعقبها حياة كما تقدمتكم موتة قد تعقبتها حياة وذلك قوله عز وجل وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم فقالوا ان هى الا موتتنا الاولى يريدون ما الموتة التى من شأنها أن يتعقبها حياة الا الموتة الاولى دون الموتة الثانية وما هذه الصفة التى تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها الا للموتة الاولى خاصة فلا فرق اذا بين هذا وبين قوله ان هى الا حياتنا الدنيا فى المعنى * يقال أنشر الله الموتى ونشرهم اذا بعثهم (فأتوا بآبائنا) خطاب للذين كانوا يعدونهم النشور من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أى ان صدقتم فيما تقولون فعجلوا لنا احياء من مات من آبائنا بسؤالكم ربكم ذلك حتى يكون دليلا على أن ما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى حق وقيل كانوا يطلبون اليهم أن يدعوا الله فينشر لهم قصى بن كلاب ليشاوروه فانه كان كبيرهم ومشاورهم فى النوازل ومعاظم الشؤن * هو تبع الحميرى كان مؤمنا وقومه كافرين ولذلك ذم الله قومه ولم يذممه وهو الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان اذا كتب قال بسم الله الذى ملك برا وبحرا وعن النبى صلى الله عليه وسلم لا تسبوا تبعا فانه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى أكان تبع نبيا أو غير نبى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كان نبيا وقيل نظر الى قبرين بناحية حمير قال هذا قبر رضوى وقبر حبى بنتى تبع لا تشركان بالله شيا وقيل هو الذى كسا البيت وقيل لملوك اليمن التبابعة لانهم يتبعون كما قيل الأقيال لانهم يتقيلون وسمى الظل تبعا لانه يتبع الشمس (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (أهم خير) ولا خير فى الفريقين (قلت) معناه أهم خير فى القوة والمنعة كقوله تعالى أكفاركم خير من أولئكم بعد ذكر آل فرعون وفى تفسير ابن عباس رضى الله عنهما أهم أشد أم قوم تبع (وما بينهما) وما بين الجنسين وقرأ عبيد بن عمير وما بينهن * وقرأ ميقاتهم بالنصب على أنه اسم ان ويوم الفصل خبرها أى ان ميعاد حسابهم وجزائهم فى يوم الفصل (لا يغنى مولى) أى مولى كان من قرابة أو غيرها (عن مولى) عن أى مولى كان (شيأ) من اغناء أى قليلا منه (ولا هم ينصرون) الضمير للموالى لانهم فى المعنى كثير لتناول اللفظ على الابهام والشياع كل مولى (الا من رحم الله) فى محل الرفع على البدل من الواو فى ينصرون أى لا يمنع من العذاب الا من رحمه الله ويجوز أن ينتصب على الاستثناء (انه هو العزيز) لا ينصر منه من عصاه (الرحيم) لمن أطاعه * قرئ ان شجرت الزقوم بكسر الشين وفيها ثلاث لغات شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة بالياء وروى أنه لما نزل أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم قال ابن الزبعرى ان أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر التزقم فدعا أبو جهل بتمر وزبد فقال تزقموا فان هذا هو الذى يخوفكم به محمد فنزل (ان شجرت الزقوم طعام الأثيم) وهو الفاجر الكثير الآثام وعن أبى الدرداء انه كان يقرئ رجلا فكان

يعقب حياة الدنيا وحمل الحصر المباشر للموت فى كلامهم على صفة لم تذكر لا على نفس الموت المشاهد لهم فيه عدول عن الظاهر بلا حاجة الثانى ان الموت السابق على الحياة الدنيا لا يعبر عنه بالموتة فان الموتة فعلة فيها اشعار بالتجدد والطريان والموت السابق على الحياة الدنيا أمر مستصحب لم تتقدمه حياة طرأ عليها هذا مع أن فى بقية السورة قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وانما عنى بالموتة الاولى هنا الموت المتعقب للحياة الدنيا فقط ففيه ارشاد لما ذكرته والله أعلم * قوله تعالى ان شجرت الزقوم طعام

الاثيم الآية (قال فيه نقل ان أبا الدرداء أقرأ أعرابيا فلم يقم النطق بالاثيم وجعل يقول طعام اليتيم الخ) قال أحمد لا دليل فيه لذلك وقول أبى الدرداء محمول على ايضاح المعنى ليكون وضوح المعنى عند المتعلم عونا على أن يأتى بالقراءة كما أنزلت على هذا حمله

القاضى أبو بكر فى كتاب الانتصار وهو الوجه والله أعلم * قوله تعالى لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى (قال انما استثنيت الموتة الاولى المذوقة

كالمهل يغلى فى البطون كغلى الحميم خذوه فاعتلوه الى سواء الجحيم ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم ان هذا ما كنتم به تمترون ان المتقين فى مقام أمين فى جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون فارتقب

يقول طعام اليتيم فقال قل طعام الفاجر يا هذا وبهذا يستدل على أن ابدال كلمة مكان كلمة جائز اذا كانت مؤدية معناها ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة وهى أن يؤدى القارئ المعانى على كمالها من غير أن يخرم منها شيأ قالوا وهذه الشريطة تشهد أنها اجازة كلا اجازة لان فى كلام العرب خصوصا فى القرآن الذى هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعانى والأغراض ما لا يستقل بأدائه لسان من فارسية وغيرها وما كان أبو حنيفة رحمه الله يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر وروى على بن الجعد عن أبى يوسف عن أبى حنيفة مثل قول صاحبيه فى انكار القراءة بالفارسية (كالمهل) قرئ بضم الميم وفتحها وهو دردى الزيت ويدل عليه قوله تعالى يوم تكون السماء كالمهل مع قوله فكانت وردة كالدهان وقيل هو ذائب الفضة والنحاس والكاف رفع خبر بعد خبر وكذلك (تغلى) وقرئ بالتاء للشجرة وبالياء للطعام و (الحميم) الماء الحار الذى انتهى غليانه * يقال للزبانية (خذوه فاعتلوه) فقودوه بعنف وغلظة وهو أن يؤخذ بتلبيب الرجل فيجر الى حبس أو قتل ومنه العتل وهو الغليظ الجافى وقرئ بكسر التاء وضمها (الى سواء الجحيم) الى وسطها ومعظمها * (فان قلت) هلا قيل صبوا فوق رأسه من الحميم كقوله تعالى يصب من فوق رؤسهم الحميم لان الحميم هو المصبوب لا عذابه (قلت) اذا صب عليه الحميم فقد صب عليه عذابه وشدته الا أن صب العذاب طريقة الاستعارة كقوله * صبت عليه صروف الدهر من صبب * وكقوله تعالى أفرغ علينا صبرا فذكر العذاب معلقا به الصب مستعارا له ليكون أهول وأهيب * يقال (ذق انك أنت العزيز الكريم) على سبيل الهزؤ والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه وروى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها أعز ولا أكرم منى فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيأ وقرئ انك بمعنى لانك وعن الحسن بن على رضى الله عنهما أنه قرأ به على المنبر (إن هذا) العذاب أو ان هذا الأمر هو (ما كنتم به تمترون) أى تشكون أو تتمارون وتتلاجون * قرئ فى مقام بالفتح وهو موضع القيام والمراد المكان وهو من الخاص الذى وقع مستعملا فى معنى العموم وبالضم وهو موضع الاقامة * والأمين من قولك أمن الرجل أمانة فهو أمين وهو ضد الخائن فوصف به المكان استعارة لان المكان المخيف كأنما يخون صاحبه بما يلقى فيه من المكاره * قيل السندس ما رق من الديباج * والاستبرق ما غلظ منه وهو تعريب استبر (فان قلت) كيف ساغ أن يقع فى القرآن العربى المبين لفظ أعجمى (قلت) اذا عرب خرج من أن يكون عجميا لان معنى التعريب أن يجعل عربيا بالتصرف فيه وتغييره عن منهاجه واجرائه على أوجه الاعراب (كذلك) الكاف مرفوعة على الامر كذلك أو منصوب على مثل ذلك أثبناهم (وزوجناهم) وقرأ عكرمة بحور عين على الاضافة والمعنى بالحور من العين لان العين اما أن تكون حورا أو غير حور فهؤلاء من الحور العين لا من شهلهن مثلا وفى قراءة عبد الله بعيس عين والعيساء البيضاء تعلوها حمرة * وقرأ عبيد بن عمير لا يذاقون فيها الموت وقرأ عبد الله لا يذوقون فيها طعم الموت (فان قلت) كيف استثنيت الموتة الاولى المذوقة قبل دخول الجنة من الموت المنفى ذوقه فيها (قلت) أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لان الموتة الماضية محال ذوقها فى المستقبل فهو من باب التعليق بالمحال كأنه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها فى المستقبل فانهم يذوقونها * وقرئ ووقاهم بالتشديد (فضلا من ربك) عطاء من ربك وثوابا يعنى كل ما أعطى المتقين من نعيم الجنة والنجاة من النار وقرئ فضل أى ذلك فضل (فانما يسرناه بلسانك) فذلكة للسورة ومعناها ذكرهم بالكتاب المبين فانما يسرناه أى سهلناه حيث أنزلناه عربيا بلسانك بلغتك إرادة أن يفهمه قومك فيتذكروا (فارتقب) فانتظر ما يحل بهم

قبل دخول الجنة من الموت المنفى ذوقه فيها الخ) قال أحمد هذا الذى ذكره مبنى على أن الموتة بدل على طريقة بنى تميم المجوزين البدل من غير الجنس وأما على طريقة الحجازيين فانتصبت الموتة استثناء منقطعا وسر اللغة التميمية بناء النفى المراد على وجه لا يبقى للسامع مطمعا فى الاثبات فيقولون ما فيها أحد الا الحمار على معنى ان كان الحمار من الاحدين ففيها أحد فيعلقون الثبوت على أمر محال حتما بالنفى وعليه حمل الزمخشرى قل لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله أى ان كان الله ممن فى السموات والارض فى السموات

(انهم مرتقبون) ما يحل بك متربصون بك الدوائر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك وعنه عليه السلام من قرأ حم التى يذكر فيها الدخان فى ليلة جمعة أصبح مغفورا له

﴿سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية وقيل ست﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(حم) ان جعلتها اسما مبتدأ مخبرا عنه بـ(تنزيل الكتاب) لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب و(من الله) صلة للتنزيل وان جعلتها تعديدا للحروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا (ان فى السموات والارض) يجوز أن يكون على ظاهره وأن يكون المعنى ان فى خلق السموات لقوله (وفى خلقكم) * (فان قلت) علام عطف (وما يبث) أعلى الخلق المضاف أم على الضمير المضاف اليه (قلت) بل على المضاف لأن المضاف اليه ضمير متصل مجرور يقبح العطف عليه استقبحوا أن يقال مررت بك وزيد وهذا أبوك وعمرو وكذلك ان أكدوه كرهوا أن يقولوا مررت بك أنت وزيد * قرئ آيات لقوم يوقنون بالنصب والرفع على قولك ان زيدا فى الدار وعمرا فى السوق أو وعمرو فى السوق وأما قوله آيات لقوم يعقلون فمن العطف على عاملين سواء نصبت أو رفعت فالعاملان اذا نصبت هما ان وفى أقيمت الواو مقامهما فعملت الجر فى اختلاف الليل والنهار والنصب فى آيات واذا رفعت فالعاملان الابتداء وفى عملت الرفع فى آيات والجر فى واختلاف وقرأ ابن مسعود وفى اختلاف الليل والنهار (فان قلت) العطف على عاملين على مذهب الاخفش سديد لا مقال فيه وقد أباه سيبويه فما وجه تخريج الآية عنده (قلت) فيه وجهان عنده أحدهما أن يكون على اضمار فى والذى حسنه تقدم ذكره فى الآيتين قبلها ويعضده قراءة ابن مسعود والثانى أن ينتصب آيات على الاختصاص بعد انقضاء المجرور معطوفا على ما قبله أو على التكرير ورفعها باضمار هى * وقرئ واختلاف الليل والنهار بالرفع وقرئ آية وكذلك وما يبث من دابة آية وقرئ وتصريف الريح والمعنى أن المنصفين من العباد اذا نظروا فى السموات والارض النظر الصحيح علموا أنها مصنوعة وأنه لا بد لها من صانع فآمنوا بالله وأقروا فاذا نظروا فى خلق أنفسهم وتنقلها من حال الى حال وهيئة الى هيئة وفى خلق ما على ظهر الارض من صنوف الحيوان ازدادوا ايمانا وأيقنوا وانتفى عنهم اللبس فاذا نظروا فى سائر الحوادث التى تتجدد فى كل وقت كاختلاف الليل والنهار ونزول الامطار وحياة الارض بها بعد موتها (وتصريف الرياح) جنوبا وشمالا وقبولا ودبورا عقلوا واستحكم علمهم وخلص يقينهم وسمى المطر رزقا لانه سبب الرزق (تلك) اشارة الى الآيات المتقدمة أى تلك الآيات آيات الله و(نتلوها) فى محل الحال أى متلوة (عليك بالحق) والعامل ما دل عليه تلك من معنى الاشارة ونحوه وهذا بعلى شيخا وقرئ يتلوها بالياء (بعد الله وآياته) أى بعد آيات الله كقولهم أعجبنى زيد وكرمه يريدون أعجبنى كرم زيد ويجوز أن يراد بعد حديث الله وهو كتابه وقرآنه كقوله تعالى الله نزل أحسن الحديث * وقرئ (يؤمنون) بالتاء والياء * الأفاك الكذاب * والأثيم المتبالغ فى اقتراف الآثام (يصر) يقبل على كفره ويقيم عليه وأصله من اصرار الحمار على العانة وهو أن ينحى عليها صارا أذنيه (مستكبرا) عن الايمان بالآيات والاذعان لما ينطق به من الحق مزدريا لها معجبا بما عنده قيل نزلت فى النضر بن الحرث وما كان يشترى من أحاديث الأعاجم ويشغل الناس بها عن استماع القرآن والآية عامة فى كل ما كان مضارا لدين الله (فان قلت) ما معنى ثم فى قوله ثم يصر مستكبرا (قلت) كمعناه فى قول القائل * يرى غمرات الموت ثم يزورها * وذلك أن غمرات الموت حقيقة بأن ينجو رائيها بنفسه ويطلب الفرار عنها وأما زيارتها والاقدام على مزاولتها فأمر مستبعد فمعنى ثم الايذان بأن فعل المقدم عليها بعد ما رآها وعاينها شئ يستبعد فى العادات والطباع وكذلك آيات الله الواضحة الناطقة بالحق من تليت عليه وسمعها كان مستبعدا فى العقول اصراره على الضلالة عندها

انهم مرتقبون

* (سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية) *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأى حديث بعد الله وآياته يؤمنون ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم

والارض من يعلم الغيب فاذا نفر السامع من ثبوت الاول تعدت النفرة الى ثبوت الثانى فعزمت بالنفى والله أعلم

واستكباره عن الايمان بها (كأن) مخففة والاصل كأنه لم يسمعها والضمير ضمير الشأن كما فى قوله * كأن ظبية تعطو الى ناضر السلم * ومحل الجملة النصب على الحال أى يصر مثل غير السامع (واذا) بلغه شئ من آياتنا وعلم أنه منها (اتخذها) أى اتخذ الآيات (هزوا) ولم يقل اتخذه للاشعار بأنه اذا أحس بشئ من الكلام أنه من جملة الآيات التى أنزلها الله تعالى على محمد صلى الله عليه وسلم خاض فى الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بما بلغه ويحتمل واذا علم من آياتنا شيأ يمكن أن يتشبث به المعاند ويجد له محملا يتسلق به على الطعن والغميزة افترصه واتخذ آيات الله هزوا وذلك نحو افتراص ابن الزبعرى قوله عز وجل انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم ومغالطته رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله خصمتك ويجوز أن يرجع الضمير الى شئ لانه فى معنى الآية كقول أبى العتاهية

نفسى بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدى يكفيها

حيث أراد عتبة * وقرئ علم (أولئك) اشارة الى كل أفاك أثيم لشموله الأفاكين * والوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف أو قدام قال

أليس ورائى ان تراخت منيتى * أدب مع الولدان أزحف كالنسر

ومنه قوله عز وجل (من ورائهم) أى من قدامهم (ما كسبوا) من الاموال فى رحلهم ومتاجرهم (ولا ما اتخذوا من دون الله) من الاوثان (هذا) اشارة الى القرآن يدل عليه قوله تعالى والذين كفروا بآيات ربهم لأن آيات ربهم هى القرآن أى هذا القرآن كامل فى الهداية كما تقول زيد رجل تريد كامل فى الرجولية وأيما رجل والرجز أشد العذاب * وقرئ بجر أليم ورفعه (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة أو بالغوص على اللؤلؤ والمرجان واستخراج اللحم الطرى وغير ذلك من منافع البحر (فان قلت) ما معنى منه فى قوله (جميعا منه) وما موقعها من الاعراب (قلت) هى واقعة موقع الحال والمعنى أنه سخر هذه الاشياء كائنة منه وحاصلة من عنده يعنى أنه مكونها وموجدها بقدرته وحكمته ثم مسخرها لخلقه ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف تقديره هى جميعا منه وأن يكون وسخر لكم تأكيدا لقوله تعالى سخر لكم ثم ابتدئ قوله ما فى السموات وما فى الارض جميعا منه وأن يكون ما فى الارض مبتدأ ومنه خبره وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما منة وقرأ سلمة ابن محارب منه على أن يكون منه فاعل سخر على الاسناد المجازى أو على أنه خبر مبتدا محذوف أى ذلك أو هو منه * حذف المقول لأن الجواب دال عليه والمعنى قل لهم اغفروا يغفروا (لا يرجون أيام الله) لا يتوقعون وقائع الله بأعدائه من قولهم لوقائع العرب أيام العرب وقيل لا يأملون الاوقات التى وقتها الله لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخ حكمها وقيل نزولها فى عمر رضى الله عنه وقد شتمه رجل من غفار فهم أن يبطش به وعن سعيد بن المسيب كنا بين يدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقرأ قارئ هذه الآية فقال عمر ليجزى عمر بما صنع (ليجزى) تعليل للامر بالمغفرة أى انما أمروا بأن يغفروا لما أراده الله من توفيتهم جزاء مغفرتهم يوم القيامة (فان قلت) قوله (قوما) ما وجه تنكيره وانما أراد الذين آمنوا وهم معارف (قلت) هو مدح لهم وثناء عليهم كأنه قيل ليجزى أيما قوم وقوما مخصوصين لصبرهم واغضائهم على أذى أعدائهم من الكفار وعلى ما كانوا يتجرعونه من الغصص (بما كانوا يكسبون) من الثواب العظيم بكظم الغيظ واحتمال المكروه ومعنى قول عمر ليجزى عمر بما صنع ليجزى بصبره واحتماله وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند نزول الآية والذى بعثك بالحق لا ترى الغضب فى وجهى وقرئ ليجزى قوما أى الله عز وجل وليجزى قوم وليجزى قوما على معنى وليجزى الجزاء قوما (الكتاب) التوراة (والحكم) الحكمة والفقه أو فصل الخصومات بين الناس لأن الملك كان فيهم والنبوة (من الطيبات) مما أحل الله لهم وأطاب من الارزاق (وفضلناهم على العالمين) حيث لم نؤت غيرهم مثل ما آتيناهم (بينات) آيات ومعجزات (من الامر) من أمر الدين * فما وقع بينهم الخلاف فى الدين (الا من بعد ما جاءهم) ما هو موجب لزوال الخلاف وهو العلم * وانما اختلفوا لبغى حدث بينهم أى لعداوة وحسد (على شريعة) على

واذا علم من آياتنا شيأ اتخذها هزوا أولئك لهم عذاب مهين من ورائهم جهنم ولا يغنى عنهم ما كسبوا شيأ ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء ولهم عذاب عظيم هذا هدى والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم الله الذى سخر لكم البحر لتجرى الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزى قوما بما كانوا يكسبون من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها ثم الى ربكم ترجعون ولقد آتينا بنى اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين وآتيناهم بينات من الامر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضى بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ثم جعلناك على شريعة

طريقة ومنهاج (من الامر) من أمر الدين فاتبع شريعتك الثابتة بالدلائل والحجج ولا تتبع ما لا حجة عليه من أهواء الجهال ودينهم المبنى على هوى وبدعة وهم رؤساء قريش حين قالوا ارجع الى دين آبائك * ولا توالهم انما توالى الظالمين من هو ظالم مثلهم * وأما المتقون فوليهم الله وهم موالوه وما أبين الفصل بين الولايتين (هذا) القرآن (بصائر للناس) جعل ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب كما جعل روحا وحياة وهو هدى من الضلالة ورحمة من العذاب لمن آمن وأيقن وقرئ هذه بصائر أى هذه الآيات (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها انكار الحسبان * والاجتراح الاكتساب ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى كاسبهم (أن نجعلهم) أن نصيرهم وهو من جعل المتعدى الى مفعولين فأولهما الضمير والثانى الكاف والجملة التى هى (سواء محياهم ومماتهم) بدل من الكاف لان الجملة تقع مفعولا ثانيا فكانت فى حكم المفرد ألا ترى أنك لو قلت أن نجعلهم سواء محياهم ومماتهم كان سديدا كما تقول ظننت زيدا أبوه منطلق ومن قرأ سواء بالنصب أجرى سواء مجرى مستويا وارتفع محياهم ومماتهم على الفاعلية وكان مفردا غير جملة ومن قرأ ومماتهم بالنصب جعل محياهم ومماتهم ظرفين كمقدم الحاج وخفوق النجم أى سواء فى محياهم وفى مماتهم والمعنى انكار أن يستوى المسيئون والمحسنون محيا وأن يستووا مماتا لافتراق أحوالهم أحياء حيث عاش هؤلاء على القيام بالطاعات وأولئك على ركوب المعاصى ومماتا حيث مات هؤلاء على البشرى بالرحمة والوصول الى ثواب الله ورضوانه وأولئك على اليأس من رحمة الله والوصول الى هول ما أعد لهم وقيل معناه انكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة لأن المسيئين والمحسنين مستو محياهم فى الرزق والصحة وانما يفترقون فى الممات وقيل سواء محياهم ومماتهم كلام مستأنف على معنى أن محيا المسيئين ومماتهم سواء وكذلك محيا المحسنين ومماتهم كل يموت على حسب ما عاش عليه وعن تميم الدارى رضى الله عنه أنه كان يصلى ذات ليلة عند المقام فبلغ هذه الآية فجعل يبكى ويردد الى الصباح ساء ما يحكمون وعن الفضيل أنه بلغها فجعل يرددها ويبكى ويقول يا فضيل ليت شعرى من أى الفريقين أنت (ولتجزى) معطوف على بالحق لان فيه معنى التعليل أو على معلل محذوف تقديره خلق الله السموات والارض ليدل بها على قدرته ولتجزى كل نفس * أى هو مطواع لهوى النفس يتبع ما تدعوه اليه فكأنه يعبده كما يعبد الرجل الهه وقرئ آلهة هواه لأنه كان يستحسن الحجر فيعبده فاذا رأى ما هو أحسن رفضه اليه فكأنه اتخذ هواه آلهة شتى يعبد كل وقت واحدا منها (وأضله الله على علم) وتركه عن الهداية واللطف وخذله على علم عالما بأن ذلك لا يجدى عليه وأنه ممن لا لطف له أو مع علمه بوجوه الهداية واحاطته بأنواع الالطاف المحصلة والمقربة (فمن يهديه من بعد) اضلال (الله) * وقرئ غشاوة بالحركات الثلاث وغشوة بالكسر والفتح * وقرئ تتذكرون (نموت ونحيى) نموت نحن ويحيا أولادنا أو يموت بعض ويحيا بعض أو نكون مواتا نطفا فى الاصلاب ونحيا بعد ذلك أو يصيبنا الأمران الموت والحياة يريدون الحياة فى الدنيا والموت بعدها وليس وراء ذلك حياة وقرئ نحيا بضم النون وقرئ الادهر يمر * وما يقولون ذلك عن علم ولكن عن ظن وتخمين كانوا يزعمون أن مرور الايام والليالى هو المؤثر فى هلاك الأنفس وينكرون ملك الموت وقبضه الارواح بأمر الله وكانوا يضيفون كل حادثة تحدث الى الدهر والزمان وترى أشعارهم ناطقة بشكوى الزمان ومنه قوله عليه السلام لا تسبوا الدهر فان الله هو الدهر أى فان الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر * قرئ حجتهم بالنصب والرفع على تقديم خبر كان وتأخيره (فان قلت) لم سمى قولهم حجة وليس بحجة (قلت) لانهم أدلوا به كما يدلى المحتج بحجته وساقوه مساقها فسميت حجة على سبيل التهكم أو لأنه فى حسبانهم وتقديرهم حجة أو لأنه فى أسلوب قولهم * تحية بينهم ضرب وجيع * كأنه قيل ما كان حجتهم الا ما ليس بحجة والمراد نفى أن تكون لهم حجة البتة * (فان قلت) كيف وقع قوله (قل الله يحييكم) جوابا لقولهم ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين (قلت) لما أنكروا البعث وكذبوا الرسل وحسبوا أن ما قالوه قول مبكت ألزموا ما هم مقرون به من أن الله عز وجل هو الذى يحييهم ثم يميتهم وضم الى الزام ذلك الزام ما هو واجب الاقرار به ان أنصفوا وأصغوا الى داعى الحق وهو جمعهم الى يوم القيامة ومن كان قادرا على

من الامر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون انهم لن يغنوا عنك من الله شيأ وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون أفرأيت من اتخذ الهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون وقالوا ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ما كان حجتهم الا أن قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيامة لا ريب فيه

ذلك

ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولله ملك السموات والارض ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى الى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون فأما الذين آمنوا وعملوا

ذلك كان قادرا على الاتيان بآبائهم وكان أهون شئ عليه * عامل النصب فى (يوم تقوم) يخسر و (يومئذ) بدل من يوم تقوم (جاثية) باركة مستوفزة على الركب وقرئ جاذية والجذو أشد استيفازا من الجثو لأن الجاذى هو الذى يجلس على أطراف أصابعه وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة وعن قتادة جماعات من الجثوة وهى الجماعة وجمعها جثى وفى الحديث من جثى جهنم * وقرئ (كل أمة) على الابتداء وكل أمة على الابدال من كل أمة (الى كتابها) الى صحائف أعمالها فاكتفى باسم الجنس كقوله تعالى ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه (اليوم تجزون) محمول على القول (فان قلت) كيف أضيف الكتاب اليهم والى الله عز وجل (قلت) الاضافة تكون للملابسة وقد لابسهم ولابسه أما ملابسته اياهم فلأن أعمالهم مثبتة فيه وأما ملابسته اياه فلأنه مالكه والآمر ملائكته أن يكتبوا فيه أعمال عباده (ينطق عليكم) يشهد عليكم بما عملتم (بالحق) من غير زيادة ولا نقصان (انا كنا نستنسخ) الملائكة (ما كنتم تعملون) أى نستكتبهم أعمالكم (فى رحمته) فى جنته وجواب أما محذوف تقديره وأما الذين كفروا فيقال لهم (أفلم تكن آياتى تتلى عليكم) والمعنى ألم يأتكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه * وقرئ والساعة بالنصب عطفا على الوعد وبالرفع عطفا على محل ان واسمها (ما الساعة) أى شئ الساعة (فان قلت) ما معنى ان نظن الا ظنا (قلت) أصله نظن ظنا ومعناه اثبات الظن فحسب فأدخل حرفا النفى والاستثناء ليفاد اثبات الظن مع نفى ما سواه وزيد نفى ما سوى الظن توكيدا بقوله (وما نحن بمستيقنين * سيئات ما عملوا) أى قبائح أعمالهم أو عقوبات أعمالهم السيئات كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها (ننساكم) نترككم فى العذاب كما تركتم عدة لقاء يومكم هذا وهى الطاعة أو نجعلكم بمنزلة الشئ المنسى غير المبالى به كما لم تبالوا أنتم بلقاء يومكم ولم تخطروه ببال كالشئ الذى يطرح نسيا منسيا (فان قلت) ما معنى اضافة اللقاء الى اليوم (قلت) كمعنى اضافة المكر فى قوله تعالى بل مكر الليل والنهار أى نسيتم لقاء الله فى يومكم هذا ولقاء جزائه * وقرئ لا يخرجون بفتح الياء (ولا هم يستعتبون) ولا يطلب منهم أن يعتبوا ربهم أى يرضوه (فلله الحمد) فاحمدوا الله الذى هو ربكم ورب كل شئ من السموات والارض والعالمين فان مثل هذه الربوبية العامة يوجب الحمد والثناء على كل مربوب * وكبروه فقد ظهرت آثار كبريائه وعظمته (فى السموات والارض) وحق مثله أن يكبر ويعظم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله عورته وسكن روعته يوم الحساب

﴿سورة الاحقاف مكية وهى اربع وثمانون آية وقيل خمس﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحكمة والغرض الصحيح (و) بتقدير (أجل مسمى) ينتهى اليه وهو يوم القيامة (والذين كفروا عما أنذروا) من هول ذلك اليوم الذى لا بد لكل خلق من انتهائه اليه (معرضون) لا يؤمنون به ولا يهتمون بالاستعداد له ويجوز أن تكون ما مصدرية أى عن انذارهم ذلك اليوم (بكتاب من قبل هذا) أى من قبل هذا الكتاب وهو القرآن يعنى أن هذا الكتاب ناطق بالتوحيد وابطال الشرك وما من كتاب أنزل من قبله من كتب الله الا وهو ناطق بمثل ذلك فأتوا بكتاب واحد منزل من قبله شاهد بصحة ما أنتم عليه من عبادة غير الله (أو أثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين من قولهم سمنت الناقة على أثارة من شحم أى على بقية شحم كانت بها من شحم ذاهب وقرئ أثرة أى من شئ أوثرتم به وخصصتم من علم لا احاطة به لغيركم وقرئ أثرة بالحركات الثلاث فى الهمزة مع سكون الثاء فالاثرة بالكسر بمعنى الأثرة وأما الاثرة فالمرة من مصدر أثر الحديث اذا رواه وأما الاثرة بالضم فاسم ما يؤثر كالخطبة اسم ما يخطب به

الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته ذلك هو الفوز المبين وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين واذا قيل ان وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة ان نظن الا ظنا وما نحن بمستيقنين وبدا لهم سيآت ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحياة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين وله الكبرياء فى السموات والارض وهو العزيز الحكيم

(سورة الأحقاف مكية وهى أربع وثمانون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ما خلقنا السموات والارض وما بينهما

الا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عما أنذروا معرضون قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أرونى ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك فى السموات ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين

(القول فى سورة الاحقاف) (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (قال فيه استفهام معناه انكار أن يكون فى الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاصنام الخ) قال أحمد وفى قوله الى يوم القيامة نكتة حسنة وذلك أنه جعل يوم القيامة غاية لعدم الاستجابة ومن شأن الغاية انتهاء المغيا عندها لكن عدم الاستجابة مستمر بعد هذه الغاية لانهم فى القيامة أيضا لا يستجيبون لهم فالوجه والله أعلم أنها من الغايات المشعرة بأن ما بعدها وان وافق ما قبلها الا أنه أزيد منه زيادة بينة تلحقه بالثانى حتى كأن الحالتين وان كانتا نوعا واحدا

لتفاوت ما بينهما كالشىء وضده وذلك ان الحالة الاولى التى جعلت غايتها القيامة لا تزيد على عدم الاستجابة والحالة الثانية التى فى القيامة زادت على عدم الاستجابة بالعداوة بالكفر بعبادتهم اياهم فهو من وادى ما تقدم آنفا فى سورة الزخرف

(ومن أضل) معنى الاستفهام فيه انكار أن يكون فى الضلال كلهم أبلغ ضلالا من عبدة الاصنام حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام ويدعون من دونه جمادا لا يستجيب لهم ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دامت الدنيا والى أن تقوم القيامة * واذا قامت القيامة وحشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا عليهم ضدا فليسوا فى الدارين الا على نكد ومضرة لا تتولاهم فى الدنيا بالاستجابة وفى الآخرة تعاديهم وتجحد عبادتهم وانما قيل من وهم لانه أسند اليهم ما يسند الى أولى العلم من الاستجابة والغفلة ولانهم كانوا يصفونهم بالتمييز جهلا وغباوة ويجوز أن يريد كل معبود من دون الله من الجن والانس والاوثان فغلب غير الاوثان عليها * قرئ ما لا يستجيب وقرئ يدعو غير الله من لا يستجيب ووصفهم بترك الاستجابة والغفلة طريقه طريق التهكم بها وبعبدتها ونحوه قوله تعالى ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم (بينات) جمع بينة وهى الحجة والشاهد أو واضحات مبينات * واللام فى (للحق) مثلها فى قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا أى لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا والمراد بالحق الآيات وبالذين كفروا المتلو عليهم فوضع الظاهران موضع الضميرين للتسجيل عليهم بالكفر وللمتلو بالحق (لما جاءهم) أى بادهوه بالجحود ساعة أتاهم وأول ما سمعوه من غير اجالة فكر ولا اعادة نظر * ومن عنادهم وظلمهم أنهم سموه سحرا مبينا ظاهرا أمره فى البطلان لا شبهة فيه (أم يقولون افتراه) اضراب عن ذكر تسميتهم الآيات سحرا الى ذكر قولهم ان محمدا افتراه ومعنى الهمزة فى أم الانكار والتعجب كأنه قيل دع هذا واسمع قولهم المستنكر المقضى منه العجب وذلك أن محمدا كان لا يقدر عليه حتى يقوله ويفتريه على الله ولو قدر عليه دون أمة العرب لكانت قدرته عليه معجزة لخرقها العادة واذا كانت معجزة كانت تصديقا من الله له والحكيم لا يصدق الكاذب فلا يكون مفتريا والضمير للحق والمراد به الآيات (قل ان افتريته) على سبيل الفرض عاجلنى الله تعالى لا محالة بعقوبة الافتراء عليه فلا تقدرون على كفه عن معاجلتى ولا تطيقون دفع شئ من عقابه عنى فكيف أفتريه وأتعرض لعقابه يقال فلان لا يملك اذا غضب ولا يملك عنانه اذا صمم ومثله فمن يملك من الله شيأ ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ ومنه قوله عليه السلام لا أملك لكم من الله شيأ ثم قال (هو أعلم بما تفيضون فيه) أى تندفعون فيه من القدح فى وحى الله تعالى والطعن فى آياته وتسميته سحرا تارة وفرية أخرى (كفى به شهيدا بينى وبينكم) يشهد لى بالصدق والبلاغ ويشهد عليكم بالكذب والجحود ومعنى ذكر العلم والشهادة وعيد بجزاء افاضتهم (وهو الغفور الرحيم) موعدة بالغفران والرحمة ان رجعوا عن الكفر وتابوا وآمنوا واشعار بحلم الله عنهم مع عظم ما ارتكبوا (فان قلت) فما معنى اسناد الفعل اليهم فى قوله تعالى فلا تملكون لى (قلت) كان

فيما

ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون واذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه كفى به شهيدا بينى وبينكم وهو الغفور الرحيم

فى قوله بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون * قوله تعالى واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين أم يقولون افتراه الآية (قال فيه اللام فى قوله تعالى للحق نحو اللام فى قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه أى لاجل الحق ولاجل الذين آمنوا الخ) قال أحمد هذا الاضراب فى بابه مثل الغاية التى قدمتها آنفا فى بابها فانه انتقال الى موافق لكنه أزيد من الاول فنزل لزيادته عليه مع ما تقدمه مما ينقص عنه منزلة المتنافيين كالنفى والاثبات الذين يضرب عن أحدهما للآخر وذلك ان نسبتهم للآيات الى أنها مفتريات أشد وأبعد من نسبتها الى أنها سحر فأضرب عن ذلك الاول الى ذكر ما هو أغرب منه * قوله تعالى قل ان افتريته فلا تملكون لى من الله شيأ (قال فان قلت ما معنى اسناد الفعل اليهم الخ) قال أحمد فيه نظر من قبيل ان الكلام جرى فرضا وتقديرا ومتى فرض الافتراء لا يتصور على تقديره

نصح فان النصح عبارة عن الدعاء الى ما فيه نفع ولا ينفع المكلف فى عمل ظاهر أو باطن الا أن يكون مأمورا به من الله تعالى ولا سبيل الى الاطلاع على ذلك الا من الوحى الحق لا غير فاذا لا يتصور نصح مع الافتراء وانما يتم هذا الذى قرره على قاعدة المعتزلة القائلين بأن العقل طريق يوصل الى معرفة حكم الله تعالى لانه اذا أمر بطاعة من الطاعات كالتوحيد مثلا وقال ان الله حتم عليكم وجوب التوحيد وأنا رسول الله اليكم ولم يكن متعوقا فانه محق فى الامر بالتوحيد لان العقل دل على وجوبه عندهم وان كان

مفتريا فى دعوى كونه رسولا من الله عزوجل وهذه قاعدة قد أفسدتها الادلة القاطعة فيحتمل فى إجراء الآية على مذهب أهل السنة أن يكون اسناد الفعل لهم على معنى التنبيه بالشئ على مقابله بطريق المفهوم فالمعنى اذا ان كنت مفتريا فالعقوبة واقعة

فيما أتاهم به النصيحة لهم والاشفاق عليهم من سوء العاقبة وارادة الخير بهم فكأنه قال لهم ان افتريته وأنا أريد بذلك التنصح لكم وصدكم عن عبادة الآلهة الى عبادة الله فما تغنون عنى أيها المنصوحون ان أخذنى الله بعقوبة الافتراء عليه * البدع بمعنى البديع كالخف بمعنى الخفيف وقرئ بدعا بفتح الدال أى ذا بدع ويجوز أن يكون صفة على فعل كقولهم دين قيم ولحم زيم كانوا يقترحون عليه الآيات ويسألونه عما لم يوح به اليه من الغيوب فقيل له (قل ما كنت بدعا من الرسل) فآتيكم بكل ما تقترحونه وأخبركم بكل ما تسألون عنه من المغيبات فان الرسل لم يكونوا يأتون الا بما آتاهم الله من آياته ولا يخبرون الا بما أوحى اليهم ولقد أجاب موسى صلوات الله عليه عن قول فرعون فما بال القرون الاولى بقوله علمها عند ربى (وما أدرى) لانه لا علم لى بالغيب ما يفعل الله بى وبكم فيما يستقبل من الزمان من أفعاله ويقدر لى ولكم من قضاياه (ان أتبع الا ما يوحى الى) وعن الحسن وما أدرى ما يصير اليه أمرى وأمركم فى الدنيا ومن الغالب منا والمغلوب وعن الكلبى قال له أصحابه وقد ضجروا من أذى المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج الى أرض قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه ذات نخيل وشجر وعن ابن عباس ما يفعل بى ولا بكم فى الآخرة وقال هى منسوخة بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويجوز أن يكون نفيا للدراية المفصلة وقرئ ما يفعل بفتح الياء أى يفعل الله عزوجل (فان قلت) ان يفعل مثبت غير منفى فكان وجه الكلام ما يفعل بى وبكم (قلت) أجل ولكن النفى فى ما أدرى لما كان مشتملا عليه لتناوله وما فى حيزه صح ذلك وحسن ألا ترى الى قوله أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر كيف دخلت الباء فى حيز أن وذلك لتناول النفى اياها مع ما فى حيزها * وما فى ما يفعل يجوز أن تكون موصولة منصوبة وأن تكون استفهامية مرفوعة * وقرئ يوحى أى الله عزوجل * جواب الشرط محذوف تقديره ان كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين ويدل على هذا المحذوف قوله تعالى ان الله لا يهدى القوم الظالمين * والشاهد من بنى اسرائيل عبد الله بن سلام لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة نظر الى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه هو النبى المنتظر وقال له انى سائلك عن ثلاث لا يعلمهن الا نبى ما أول أشراط الساعة وما أول طعام يأكله أهل الجنة وما بال الولد ينزع الى أبيه أو الى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق الى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فاذا سبق ماء الرجل نزعه وان سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقا ثم قال يا رسول الله ان اليهود قوم بهت وان علموا باسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم ان أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج اليهم عبد الله فقال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر قال سعد ابن أبى وقاص ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاحد يمشى على وجه الارض انه من أهل الجنة الا لعبد الله بن سلام وفيه نزل (وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله) الضمير للقرآن أى على مثله فى المعنى وهو ما فى التوراة من المعانى المطابقة لمعانى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك ويدل عليه قوله

قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الى وما أنا الا نذير مبين قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ان الله لا يهدى القوم الظالمين وقال الذين كفروا

بى لا تدفعونها عنى فهموه وان كنت محقا وأنتم مفترون فالعقوبة واقعة بكم لا أقدر على دفعها عنكم ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى قل ان افتريته فعلى اجرامى وأنا برىء مما تجرمون

وأمثاله كثيرة والله أعلم * قوله تعالى وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم (قال أحمد ماذكر فيه حمله على الدراية المفصلة يريد بذلك أن تفصيل ما يصير اليه من خير ويصيرون اليه من شر الخ) قال أحمد بنى على أن المجرور معطوف على مثله وانهما جميعا فى صلة موصول واحد ولو قيل ان المجرور الثانى من صلة موصول محذوف معطوف على مثله حتى يكون التقدير وما أدرى ما يفعل بى ولا ما يفعل بكم لكانت لا واقعة بمكانة غير مفتقرة الى تأويل وحذف الموصول المعطوف وتفاصيله كثيرة ومنه فمن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء * يريد حسان رضى الله عنه أمن يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يمدحه سواء

* قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم (قال فيه ان قلت أخبرنى عن نظم هذا الكلام لاقف عليه من جهة النظم الخ) قال أحمد انما لم يوجه المعطوف الى جهة واحدة لان التفصيل قد يكون عطف مجموع مفردات على مجموع مفردات كل منهما والآية من هذا النمط ومثلها قوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور وقوله ان المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الآية وقد تقدم تقرير ذلك فى الآيتين فجدد به عهدا * قوله تعالى واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم (قال فيه لابد من عامل للظرف وغير مستقيم أن يعمل فيه الخ) قال أحمد ان لم يكن مانع من عمل فسيقولون فى الظرف الا تنافى دلالتى المضى والاستقبال فهذا غير (٩٨) مانع فان الاستقبال ههنا انما خرج مخرج الاشعار بدوام ما وقع ومضى لان القوم قد حرموا الهداية وقالوا هذا افك قديم وأساطير الاولين وغير ذلك فمعنى الآية اذا وقالوا اذ لم يهتدوا به هذا افك قديم وداموا على ذلك وأصروا عليه فعبر عن وقوعه ثم دوامه بصيغة الاستقبال كما قال ابراهيم الا الذى فطرنى فانه سيهدين وقد كانت الهداية واقعة وماضية ولكن أخبر عن وقوعها ثم دوامها فعبر بصيغة الاستقبال وهذا طريق الجمع بين قوله سيهدين وقوله فى الاخرى فهو يهدين ولولا دخول الفاء على الفعل لكان هذا الذى ذكرته هو الوجه ولكن محل الفاء المسببة دلت بدخولها على محذوف هو السبب وقطعت الفعل عن الظرف المتقدم فوجب تقدير المحذوف عاملا فيه لينتظم بتقديره عاملا أمران مصادفة الظرف للعامل والفعل المعلل لعلته فتعين ماذكره الزمخشرى لاجل الفاء لا لتنافى الدلالتين والله أعلم * قوله تعالى وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا (أجاز فى نصبه أن يكون حالا عن كتاب لتخصصه بالصفة الخ) قال أحمد وجهان حسنان أعزهما ثالث وهو النصب على الاختصاص وهذه الوجوه فى قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم أمرا من عندنا والله أعلم

للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة

تعالى وانه لفى زبر الاولين ان هذا لفى الصحف الاولى كذلك يوحى اليك والى الذين من قبلك ويجوز أن يكون المعنى ان كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك يعنى كونه من عند الله (فان قلت) أخبرنى عن نظم هذا الكلام لاقف على معناه من جهة النظم (قلت) الواو الاولى عاطفة لكفرتم على فعل الشرط كما عطفته ثم فى قوله تعالى قل أرأيتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به وكذلك الواو الآخرة عاطفة لاستكبرتم على شهد شاهد وأما الواو فى وشهد شاهد فقد عطفت جملة قوله شهد شاهد من بنى اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم على جملة قوله كان من عند الله وكفرتم به ونظيره قولك ان أحسنت اليك وأسأت وأقبلت عليك وأعرضت عنى لم نتفق فى أنك أخذت ضميمتين فعطفتهما على مثليهما والمعنى قل أخبرونى ان اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به واجتمع شهادة أعلم بنى اسرائيل على نزول مثله وايمانه به مع استكباركم عنه وعن الايمان به ألستم أضل الناس وأظلمهم وقد جعل الايمان فى قوله فآمن مسببا عن الشهادة على مثله لانه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه وأنه من جنس الوحى وليس من كلام البشر وأنصف من نفسه فشهد عليه واعترف كان الايمان نتيجة ذلك (للذين آمنوا) لاجلهم وهو كلام كفار مكة قالوا عامة من يتبع محمدا السقاط يعنون الفقراء مثل عمار وصهيب وابن مسعود فلو كان ما جاء به خيرا ما سبقنا اليه هؤلاء وقيل لما أسلمت جهينة ومزينة وأسلم وغفار قالت بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لو كان خيرا ما سبقنا اليه رعاء البهم وقيل ان أمة لعمر أسلمت فكان عمر يضربها حتى يفتر ثم يقول لولا أنى فترت لزدتك ضربا وكان كفار قريش يقولون لو كان ما يدعو اليه محمد حقا ما سبقتنا اليه فلانة وقيل كان اليهود يقولونه عند اسلام عبد الله بن سلام وأصحابه (فان قلت) لابد من عامل فى الظرف فى قوله (واذ لم يهتدوا به) ومن متعلق لقوله (فسيقولون) وغير مستقيم أن يكون فسيقولون هو العامل فى الظرف لتدافع دلالتى المضى والاستقبال فما وجه هذا الكلام (قلت) العامل فى اذ محذوف لدلالة الكلام عليه كما حذف من قوله فلما ذهبوا به وقولهم حينئذ الآن وتقديره واذ لم يهتدوا به ظهر عنادهم فسيقولون هذا افك قديم فهذا المضمر صح به الكلام حيث انتصب به الظرف وكان قوله فسيقولون مسببا عنه كما صح باضمار أن قوله حتى يقول الرسول لمصادفة حتى مجرورها والمضارع ناصبه وقولهم (افك قديم) كقولهم أساطير الاولين (كتاب موسى) مبتدأ ومن قبله ظرف واقع خبرا مقدما عليه وهو ناصب (اماما) على الحال كقولك فى الدار زيد قائما وقرئ ومن قبله كتاب موسى على وآتينا الذين قبله التوراة ومعنى اماما قدوة يؤتم به فى دين الله وشرائعه كما يؤتم بالامام (ورحمة) لمن آمن به وعمل بما فيه (وهذا) القرآن (كتاب مصدق) لكتاب موسى أو لما بين يديه وتقدمه من جميع الكتب وقرئ مصدق لما بين يديه و (لسانا عربيا) حال من ضمير الكتاب فى مصدق والعامل فيه مصدق ويجوز أن ينتصب عن كتاب لتخصصه بالصفة ويعمل فيه معنى الاشارة وجوز أن يكون مفعولا لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى وهو الرسول * وقرئ لينذر بالياء والتاء ولينذر من نذر ينذر اذا حذر (وبشرى) فى

* قوله تعالى وأصلح لى فى ذريتى (قال فيه فان قلت ما معنى فى ههنا وأجاب بان المراد جعل ذريته الخ) قال أحمد ومثله قوله تعالى الا المودة فى القربى عدولا عن قوله الا مودة القربى أو المودة للقربى والله أعلم * قوله تعالى والذى قال لوالديه الى قوله أولئك الذين حق عليهم القول الآية (قال زعم بعضهم ان المعنى بالآية عبد الرحمن بن أبى بكر الخ) قال أحمد ونحن نختار أن المراد الجنس لا عبد الرحمن بن أبى بكر ولكنا لا نختار الرد على قائل ذلك بهذا الوجه فان له أن يقول أراد عبد الرحمن وأمثاله ومثل ذلك قول الله تعالى حكاية عن العزيز يخاطب زليخا انه من كيدكن ان كيدكن عظيم فخاطبها وخاطب أمثالها والمقصودة (٩٩) هى وقد عاد الى خطابها خصوصا بقوله واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين ولكن وجه الرد على من زعم أن المراد عبد الرحمن ماذكره الزمخشرى ثانيا فقال ان الذين حق عليهم القول هم المخلدون فى النار فى علم الله تعالى وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم ونقل أن معاوية كتب الى مروان بأن يبايع الناس ليزيد فقال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان أيها الناس ان هذا هو الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه الآية فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه فأنت فضض من لعنة الله اهـ كلامه (قلت) وفى هذه الآية رد على من زعم ان المفرد الجنسى لا يعم لانه لا يعامل معاملة الجمع لا فى الصفة ولا فى الخبر فلا يجوز أن تقول الدينار الصفر خير من الدرهم البيض وهذا مردود بأن خبر الذى الواقع جنسا جاء على نعت خبر المجموع كما رأيت والله أعلم

خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى اذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى انى تبت اليك وانى من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون والذى قال لوالديه أف لكما

محل النصب معطوف على محل لينذر لانه مفعول له * قرئ حسنا بضم الحاء وسكون السين وبضمهما وبفتحهما واحسانا وكرها بالفتح والضم وهما لغتان فى معنى المشقة كالفقر والفقر وانتصابه على الحال أى ذات كره أو على أنه صفة للمصدر أى حملا ذا كره (وحمله وفصاله) ومدة حمله وفصاله (ثلاثون شهرا) وهذا دليل على أن أقل الحمل ستة أشهر لان مدة الرضاع اذا كانت حولين لقوله عز وجل حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة بقيت للحمل ستة أشهر * وقرئ وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى (فان قلت) المراد بيان مدة الرضاع لا الفطام فكيف عبر عنه بالفصال (قلت) لما كان الرضاع يليه الفصال ويلابسه لانه ينتهى به ويتم سمى فصالا كما سمى المدة بالامد من قال

كل حى مستكمل مدة العمر * ومود اذا انتهى أمده

وفيه فائدة وهى الدلالة على الرضاع التام المنتهى بالفصال ووقته وقرئ حتى اذا استوى وبلغ أشده وبلوغ الاشد أن يكتهل ويستوفى السن التى تستحكم فيها قوته وعقله وتمييزه وذلك اذا أناف على الثلاثين وناطح الاربعين وعن قتادة ثلاث وثلاثون سنة ووجهه أن يكون ذلك أول الاشد وغايته الاربعين وقيل لم يبعث نبى قط الا بعد أربعين سنة * والمراد بالنعمة التى استوزع الشكر عليها نعمة التوحيد والاسلام وجمع بين شكرى النعمة عليه وعلى والديه لان النعمة عليهما نعمة عليه * وقيل فى العمل المرضى هو الصلوات الخمس (فان قلت) ما معنى فى فى قوله (وأصلح لى فى ذريتى) قلت معناه أن يجعل ذريته موقعا للصلاح ومظنة له كأنه قال هب لى الصلاح فى ذريتى وأوقعه فيهم ونحوه * يجرح فى عراقيبها نصلى * (من المسلمين) من المخلصين وقرئ يتقبل ويتجاوز بفتح الياء والضمير فيهما لله عز وجل وقرئا بالنون (فان قلت) ما معنى قوله (فى أصحاب الجنة) قلت هو نحو قولك أكرمنى الامير فى ناس من أصحابه تريد أكرمنى فى جملة من أكرم منهم ونظمنى فى عدادهم ومحله النصب على الحال على معنى كائنين من أصحاب الجنة ومعدودين فيهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لان قوله يتقبل ويتجاوز وعد من الله لهم بالتقبل والتجاوز وقيل نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وفى أبيه أبى قحافة وأمه أم الخير وفى أولاده واستجابة دعائه فيهم وقيل لم يكن أحد من الصحابة من المهاجرين منهم والانصار أسلم هو ووالداه وبنوه وبناته غير أبى بكر (والذى قال لوالديه) مبتدأ خبره أولئك الذين حق عليهم القول والمراد بالذى قال الجنس القائل ذلك القول ولذلك وقع الخبر مجموعا وعن الحسن هو فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر قبل اسلامه وقد دعاه أبوه أبو بكر وأمه أم رومان الى الاسلام فأفف بهما وقال ابعثوا الى جدعان بن عمرو وعثمان بن عمرو وهما من أجداده حتى أسألهما عما يقول محمد ويشهد لبطلانه أن المراد بالذى قال جنس القائلين ذلك وأن قوله الذين حق عليهم القول هم أصحاب النار وعبد الرحمن كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وعن عائشة رضى الله عنها انكار نزولها فيه وحين كتب معاوية الى مروان بأن يبايع الناس ليزيد قال عبد الرحمن لقد جئتم بها هرقلية أتبايعون لابنائكم فقال مروان يا أيها الناس هو الذى قال الله فيه والذى قال لوالديه أف لكما فسمعت عائشة فغضبت وقالت والله ما هو به ولو شئت أن أسميه لسميته

*قوله تعالى ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا الآية (قال فيه عرضهم على النار إما من قولهم عرض بنوفلان على السيف الخ) قال أحمد ان كان (١٠٠) قولهم عرضت الناقة على الحوض مقلوبا فليس قوله يعرض الذين كفروا على النار مقلوبا بالان الملجئ ثم الى اعتقاد القلب

ولكن الله لعن أباك وأنت فى صلبه فأنت فضض من لعنة الله * وقرئ أف بالكسر والفتح بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين وهو صوت اذا صوت به الانسان علم أنه متضجر كما اذا قال حس علم منه أنه متوجع واللام للبيان معناه هذا التأفيف لكما خاصة ولاجلكما دون غيركما * وقرئ أتعداننى بنونين وأتعدانى بأحدهما وأتعدانى بالادغام وقد قرأ بعضهم أتعداننى بفتح النون كأنه استثقل اجتماع النونين والكسرتين والياء ففتح الاولى تحريا للتخفيف كما تحراه من أدغم ومن اطرح أحدهما (أن أخرج) أن أبعث وأخرج من الارض وقرئ أخرج (وقد خلت القرون من قبلى) يعنى ولم يبعث منهم أحد (يستغيثان الله) يقولان الغياث بالله منك ومن قولك وهو استعظام لقوله (ويلك) دعاء عليه بالثبور والمراد به الحث والتحريض على الايمان لا حقيقة الهلاك (فى أمم) نحو قوله فى أصحاب الجنة * وقرئ أن بالفتح على معنى آمن بأن وعد الله حق (ولكل) من الجنسين المذكورين (درجات مما عملوا) أى منازل ومراتب من جزاء ما عملوا من الخير والشر أو من أجل ما عملوا منهما (فان قلت) كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات والنار دركات (قلت) يجوز أن يقال ذلك على وجه التغليب لاشتمال كل على الفريقين (وليوفيهم) وقرئ بالنون تعليل معلله محذوف لدلالة الكلام عليه كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم قدر جزاءهم على مقادير أعمالهم فجعل الثواب درجات والعقاب دركات * ناصب الظرف هو القول المضمر قبل (أذهبتم) * وعرضهم على النار تعذيبهم بها من قولهم عرض بنوفلان على السيف اذا قتلوا به ومنه قوله تعالى النار يعرضون عليها ويجوز أن يراد عرض النار عليهم من قولهم عرضت الناقة على الحوض يريدون عرض الحوض عليها فقلبوا ويدل عليه تفسير ابن عباس رضى الله عنه يجاء بهم اليها فيكشف لهم عنها (أذهبتم طيباتكم) أى ما كتب لكم حظ من الطيبات الا ما قد أصبتموه فى دنياكم وقد ذهبتم به وأخذتموه فلم يبق لكم بعد استيفاء حظكم شئ منها وعن عمر رضى الله عنه لو شئت لدعوت بصلائق وصناب وكراكر وأسنمة ولكنى رأيت الله تعالى نعى على قوم طيباتهم فقال أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا وعنه لو شئت لكنت أطيبكم طعاما وأحسنكم لباسا ولكنى أستبقى طيباتى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه دخل على أهل الصفة وهم يرقعون ثيابهم بالادم ما يجدون لها رقاعا فقال أأنتم اليوم خير أم يوم يغدو أحدكم فى حلة ويروح فى أخرى ويغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى ويستر بيته كما تستر الكعبة قالوا نحن يومئذ خير قال بل أنتم اليوم خير وقرئ أأذهبتم بهمزة الاستفهام وآأذهبتم بألف بين همزتين * الهون الهوان وقرئ عذاب الهوان * وقرئ يفسقون بضم السين وكسرها * الاحقاف جمع حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشئ اذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال مشرفين على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة و (النذر) جمع نذير بمعنى المنذر أو الانذار (من بين يديه) من قبله (ومن خلفه) ومن بعده وقرئ من بين يديه ومن بعده والمعنى أن هودا عليه السلام قد أنذرهم فقال لهم لا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم العذاب وأعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو انذاره وعن ابن عباس رضى الله عنه يعنى الرسل الذين بعثوا قبله والذين بعثوا فى زمانه ومعنى ومن خلفه على هذا التفسير ومن بعد انذاره هذا اذا علقت وقد خلت النذر بقوله أنذر قومه ولك أن تجعل قوله تعالى وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه اعتراضا بين أنذر قومه وبين (ألا تعبدوا) ويكون المعنى واذكر انذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه مثل ذلك فاذكرهم * الافك الصرف يقال أفكه عن رأيه (عن آلهتنا) عن عبادتها (بما تعدنا) من معاجلة العذاب على الشرك (ان كنت) صادقا فى وعدك (فان قلت) من أين طابق قوله تعالى (انما العلم عند الله) جوابا لقولهم فأتنا

أتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق فيقول ما هذا الا أساطير الاولين أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والانس انهم كانوا خاسرين ولكل درجات مما عملوا وليوفيهم أعمالهم وهم لا يظلمون ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون فى الارض بغير الحق وبما كنتم تفسقون * واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا الا الله انى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما العلم عند الله

أن الحوض جماد لا ادراك له والناقة هى المدركة فهى التى يعرض عليها الحوض حقيقة وأما النار فقد وردت النصوص بأنها بما حينئذ مدركة ادراك الحيوانات بل ادراك أولى العلم فالامر فى الآية على ظاهره كقولك عرضت الاسرى على الامير والله أعلم

*قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه الخ (قال أحمد بيت المتنبى ليس كما أنشده لعمرك وانما هو * يرى أن ما ما بان منك لضارب * بأقتل مما بان منك لعائب * ولا يستقيم الا كذلك لان قبله * هو ابن رسول الله وابن صفيه * وشبههما شبهت بعد التجارب * من قصيدة يمدح بها طاهر بن الحسين العلوى ولو أتى أبو الطيب عوض ما بان بلجاء (١٠١) البيت * يرى أن إن ما بان عنك لضارب * وهذا التكرار أثقل من تكرار ما بلا مراء وانما فنده الزمخشرى وألزمه استعمال ان عوض ما لاعتقاده أن البيت كما أنشده

بما تعدنا (قلت) من حيث ان قولهم هذا استعجال منهم بالعذاب ألا ترى الى قوله تعالى بل هو ما استعجلتم به فقال لهم لا علم عندى بالوقت الذى يكون فيه تعذيبكم حكمة وصوابا انما علم ذلك عند الله فكيف أدعوه بأن يأتيكم بعذابه فى وقت عاجل تقترحونه أنتم ومعنى (وأبلغكم ما أرسلت به) وقرئ بالتخفيف أن الذى هو شأنى وشرطى أن أبلغكم ما أرسلت به من الانذار والتخويف والصرف عما يعرضكم لسخط الله بجهدى ولكنكم جاهلون لا تعلمون أن الرسل لم يبعثوا الا منذرين لا مقترحين ولا سائلين غير ما أذن لهم فيه (فلما رأوه) فى الضمير وجهان أن يرجع الى ما تعدنا وأن يكون مبهما قد وضح أمره بقوله (عارضا) إما تمييزا واما حالا وهذا الوجه أعرب وأفصح والعارض السحاب الذى يعرض فى أفق السماء ومثله الحبى والعنان من حبا وعن اذا عرض * واضافة مستقبل وممطر مجازية غير معرفة بدليل وقوعهما وهما مضافان الى معرفتين وصفا للنكرة (بل هو) القول قبله مضمر والقائل هود عليه السلام والدليل عليه قراءة من قرأ قال هود بل هو وقرئ قل بل ما استعجلتم به هى ريح أى قال الله تعالى قل (تدمر كل شئ) تهلك من نفوس عاد وأموالهم الجم الكثير فعبر عن الكثرة بالكلية وقرئ يدمر كل شئ من دمر دمارا اذا هلك (لا ترى) الخطاب للرائى من كان وقرئ لا يرى على البناء للمفعول بالياء والتاء وتأويل القراءة بالتاء وهى عن الحسن رضى الله عنه لا ترى بقايا ولا أشياء منهم (الا مساكنهم) ومنه بيت ذى الرمة * وما بقيت الا الضلوع الجراشع * وليست بالقوية * وقرئ لا ترى الا مسكنهم ولا يرى الا مسكنهم وروى أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها فى الجو حتى ترى كأنها جرادة وقيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار وروى أول ما عرفوا به أنه عذاب أنهم رأوا ما كان فى الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير به الريح بين السماء والارض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الابواب وصرعتهم وأمال الله عليهم الاحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم فى البحر وروى أن هودا لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطا الى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود ومن معه فى حظيرة ما يصيبهم من الريح الا ما يلين على الجلود وتلذه الانفس وانها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا رأى الريح فزع وقال اللهم انى أسألك خيرها وخير ما أرسلت به وأعوذ بك من شرها وشر ما أرسلت به واذا رأى مخيلة قام وقعد وجاء وذهب وتغير لونه فيقال له يا رسول الله ما تخاف فيقول انى أخاف أن يكون مثل قوم عاد حيث قالوا هذا عارض ممطرنا (فان قلت) ما فائدة اضافة الرب الى الريح (قلت) الدلالة على أن الريح وتصريف أعنتها مما يشهد لعظم قدرته لانها من أعاجيب خلقه وأكابر جنوده وذكر الامر وكونها مأمورة من جهته عز وجل يعضد ذلك ويقويه (ان) نافية أى فيما ما مكناكم فيه الا أن ان أحسن فى اللفظ لما فى مجامعة ما مثلها من التكرير المستبشع ومثله مجتنب ألا ترى أن الاصل فى مهما ما ما فلبشاعة التكرير قلبوا الالف هاء ولقد أغث أبو الطيب فى قوله * لعمرك ما ما بان منك لضارب * وما ضره لو اقتدى بعذوبة لفظ التنزيل فقال لعمرك ما ان بان منك لضارب وقد جعلت ان صلة مثلها فيما أنشده الاخفش

يرجى المرء ما ان لا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب

وتؤول بانا مكناهم فى مثل ما مكناكم فيه والوجه هو الاول ولقد جاء عليه غير آية فى القرآن هم أحسن أثاثا وريا كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا وهو أبلغ فى التوبيخ وأدخل فى الحث على الاعتبار (من شئ) أى

وأبلغكم ما أرسلت به ولكنى أراكم قوما تجهلون فلما رأوه عارضا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شئ

لعمرك ما ما بان منك لضارب * بأقتل مما بان منك لعائب ولو عوض إن عوض ما كما أصلحه الزمخشرى لزم دخول الباء فى خبر ما وانما تدخل الباء فى خبر ما الحجازية العاملة وإن لا تعمل عمل ما على الصحيح فلا يستقيم دخول الباء فى خبرها فانما عدل المتنبى عن ذلك الا لتعذره عليه من كل وجه على انى لا أبرئ المتنبى من التجرف فانه كان مغرى به مغرما بالغريب من النظم ونقل الزمخشرى فى الآية وجها آخر وهو جعلها صلة مثلها فى قوله * يرجى المرء ما إن لا يراه * وتعرض دون أدناه الخطوب * (قال ويكون معناه على هذا مكناهم فى مثل ما مكناكم الخ) قلت واختص بهذه الطائفة قوله تعالى وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذى خلقهم هو

أشد منهم قوة وقوله مكناهم في الارض مالم نمكن لكم * قوله تعالى فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة (قال فيه أحد مفعولي اتخذ الراجع الى الموصول محذوف الخ) قال أحمد لم يتبين وجه فساد المعنى على هذا الاعراب ونحن نبينه فنقول لو كان قربانا مفعولا ثانيا ومعناه متقربا بهم لصار المعنى الى أنهم وبخوا على ترك اتخاذ الله متقربا به لان السيد اذا وبخ عبده وقال اتخذت فلانا سيدا دوني فانما معناه اللوم على نسبة السيادة الى غيره وليس هذا المقصد فان الله تعالى لا يتقرب اليه ولا يتقرب به لغيره فانما وقع (١٠٢) التوبيخ على نسبة الالاهية الى غير الله تعالى فكان حق الكلام أن يكون آلهة هو المفعول الثاني لا غير * قوله تعالى يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم الآية (قال انما بعض المغفرة لان من الذنوب ما لا يغفره الايمان كذنوب المظالم اه كلامه) قال أحمد ليس ما أطلقه من أن الايمان لا يغفر المظالم بصحيح عن لان الحربي لو نهب الاموال المصونة وسفك الدماء المحقونة ثم حسن اسلامه جب الاسلام عنه اثم ما تقدم بلا اشكال ويقال انه ما وعد المغفرة للكافر على تقدير الايمان في كتاب الله تعالى الا مبعضة وهذا منه فان لم يكن لاطراده بذلك سر فما هو الا أن مقام الكافر قبض لا بسط فلذلك لم يبسط رجاءه في مغفرة جملة الذنوب وقد ورد في حق المؤمنين مثله كثيرا والله أعلم

اذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة بل ضلوا عنهم وذلك إفكهم وما كانوا يفترون واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم

من شئ من الاغناء وهو القليل منه (فان قلت) بم انتصب (اذ كانوا يجحدون) قلت بقوله تعالى فما أغنى (فان قلت) لم جرى مجرى التعليل (قلت) لاستواء مؤدى التعليل والظرف في قولك ضربته لاساءته وضربته اذ أساء لانك اذا ضربته في وقت اساءته فانما ضربته فيه لوجود اساءته فيه الا أن اذ وحيث غلبتا دون سائر الظروف في ذلك (ما حولكم) يا أهل مكة (من القرى) نحو حجر ثمود وقرى سدوم وغيرهما والمراد أهل القرى ولذلك قال (لعلهم يرجعون) * القربان ما تقرب به الى الله تعالى أي اتخذوهم شفعاء متقربا بهم الى الله حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وأحد مفعولي اتخذ الراجع الى الذين المحذوف والثاني آلهة وقربانا حال ولا يصح أن يكون قربانا مفعولا ثانيا وآلهة بدلا منه لفساد المعنى وقرئ قربانا بضم الراء والمعنى فهلا منعهم من الهلاك آلهتهم (بل ضلوا عنهم) أي غابوا عن نصرتهم (وذلك) اشارة الى امتناع نصرة آلهتهم لهم وضلالهم عنهم أي وذلك أثر افكهم الذي هو اتخاذهم اياها آلهة وثمرة شركهم وافترائهم على الله الكذب من كونه ذا شركاء * وقرئ أفكهم والافك والافك كالحذر والحذر وقرئ وذلك أفكهم أي وذلك الاتخاذ الذي هذا أثره وثمرته صرفهم عن الحق وقرئ أفكهم على التشديد للمبالغة وآفكهم جعلهم آفكين وآفكهم أي قولهم الآفك ذو الافك كما تقول قول كاذب وذلك أفك مما كانوا يفترون أي بعض ما كانوا يفترون من الافك (صرفنا اليك نفرا) أملناهم اليك وأقبلنا بهم نحوك وقرئ صرفنا بالتشديد لانهم جماعة والنفر دون العشرة ويجمع أنفارا وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه لو كان ههنا أحد من أنفارنا (فلما حضروه) الضمير (للقرآن) أي فلما كان بمسمع منهم أو لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعضده قراءة من قرأ فلما قضى أي أتم قراءته وفرغ منها (قالوا) قال بعضهم لبعض (أنصتوا) اسكتوا مستمعين يقال أنصت لكذا واستنصت له روي أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا بالشهب قالوا ما هذا الا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو تسعة من أشراف جن نصيبين أو نينوى منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا الى وادي نخلة فوافقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم في جوف الليل يصلي أو في صلاة الفجر فاستمعوا القراءة وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج اليهم يستنصرهم فلم يجيبوه الى طلبته وأغروا به سفهاء ثقيف وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه ما قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وانما كان يتلو في صلاته فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر فأنبأه الله باستماعهم وقيل بل أمر الله رسوله أن ينذر الجن ويقرأ عليهم فصرف اليه نفرا منهم جمعهم له فقال اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة فمن يتبعني قالها ثلاثا فأطرقوا الا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال لم يحضره ليلة الجن أحد غيري فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون فخط لي خطا وقال لا تخرج منه حتى أعود اليك ثم افتتح القرآن وسمعت لغطا شديدا حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه حتى ما أسمع صوته ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت شيأ قلت نعم رجالا سودا مستثفري ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا اثني عشر ألفا والسورة التي قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (فان قلت) كيف قالوا (من بعد موسى) قلت عن عطاء رضي الله عنه أنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام فلذلك قالت من بعد موسى (فان قلت) لم بعض في قوله (من ذنوبكم) قلت لان من الذنوب ما لا يغفر بالايمان كذنوب المظالم ونحوها ونحوه قوله

القول في سورة محمد عليه الصلاة والسلام بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم (قال معناه جعلها كالضالة من الابل الخ) قال أحمد هذا المعنى الثاني حسن متمكن ملي بمقابلة قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم قال كفر عنهم سيآتهم وأصلح بالهم وتحرير المقابلة بينهما ان الكفار ضلت أعمالهم الصالحة (١٠٣) في جملة أعمالهم السيئة من الكفر والمعاصي حتى صار صالحهم مستهلكا في غمار سيئهم ومقابله في المؤمنين ستر الله لاعمالهم السيئة في كنف أعمالهم الصالحة من الايمان والطاعة حتى صار سيئهم مكفرا ممحقا في جنب صالح أعمالهم والى هذا التمثيل الحسن في عدم تقبل صالح الكفار والتجاوز عن سيء أعمال المؤمنين وقعت الاشارة بقوله تعالى كذلك يضرب الله للناس أمثالهم والله أعلم

ويجركم من عذاب أليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والارض ولم يعي بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شئ قدير ويوم يعرض الذين كفروا على النار أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك الا القوم الفاسقون

﴿سورة القتال مدنية وهي تسع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم

عز وجل أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم (فان قلت) هل للجن ثواب كما للانس (قلت) اختلف فيه فقيل لا ثواب لهم الا النجاة من النار لقوله تعالى (ويجركم من عذاب أليم) واليه كان يذهب أبو حنيفة رحمه الله والصحيح أنهم في حكم بني آدم لانهم مكلفون مثلهم (فليس بمعجز في الارض) أي لا ينجي منه مهرب ولا يسبق قضاءه سابق ونحوه قوله تعالى وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الارض ولن نعجزه هربا (بقادر) محله الرفع لانه خبر أن يدل عليه قراءة عبد الله قادر وانما دخلت الباء لاشتمال النفي في أول الآية على أن وما في حيزها وقال الزجاج لو قلت ما ظننت أن زيدا بقائم جاز كأنه قيل أليس الله بقادر ألا ترى الى وقوع بلى مقررة للقدرة على كل شئ من البعث وغيره لا لرؤيتهم وقرئ يقدر * ويقال عييت بالامر اذا لم تعرف وجهه ومنه أفعيينا بالخلق الاول (أليس هذا بالحق) محكي بعد قول مضمر وهذا المضمر هو ناصب الظرف وهذا اشارة الى العذاب بدليل قوله تعالى فذوقوا العذاب والمعنى التهكم بهم والتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين (أولوا العزم) أولوا الجد والثبات والصبر و(من) يجوز أن تكون للتبعيض ويراد بأولي العزم بعض الانبياء قيل هم نوح صبر على أذى قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وابراهيم على النار وذبح ولده واسحق على الذبح ويعقوب على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه انا لمدركون قال كلا ان معي ربي سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة وقال انها معبرة فاعبروها ولا تعمروها وقال الله تعالى في آدم ولم نجد له عزما وفي يونس ولا تكن كصاحب الحوت ويجوز أن تكون للبيان فيكون أولوا العزم صفة الرسل كلهم (ولا تستعجل) لكفار قريش بالعذاب أي لا تدع لهم بتعجيله فانه نازل بهم لا محالة وان تأخر وانهم مستقصرون حينئذ مدة لبثهم في الدنيا حتى يحسبوها (ساعة من نهار بلاغ) أي هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة أو هذا تبليغ من الرسول عليه السلام (فهل يهلك) الا الخارجون عن الاتعاظ به والعمل بموجبه * ويدل على معنى التبليغ قراءة من قرأ بلغ فهل يهلك وقرئ بلاغا أي بلغوا بلاغا وقرئ يهلك بفتح الياء وكسر اللام وفتحها من هلك وهلك ونهلك بالنون الا القوم الفاسقين * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة في الدنيا

﴿سورة محمد صلى الله عليه وسلم مدنية عند مجاهد وقال الضحاك وسعيد بن جبير مكية وهي سورة القتال وهي تسع وثلاثون آية وقيل ثمان﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وصدوا) وأعرضوا وامتنعوا عن الدخول في الاسلام أو صدوا غيرهم عنه قال ابن عباس رضي الله عنهما هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل كانوا اثني عشر رجلا من أهل الشرك يصدون الناس عن الاسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل هم أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل في الاسلام وقيل هو عام في كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أبطلها وأحبطها وحقيقته جعلها ضالة ضائعة ليس لها من يتقبلها ويثيب عليها كالضالة من الابل التي هي بمضيعة لا رب لها يحفظها ويعتني بأمرها أو جعلها ضالة في كفرهم ومعاصيهم مغلوبة بها كما يضل الماء في اللبن وأعمالهم ما عملوه في كفرهم مما كانوا يسمونه مكارم من صلة الارحام وفك الاسارى وقرى الاضياف وحفظ الجوار وقيل أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله

صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيل الله بأن نصره عليهم وأظهر دينه على الدين كله (والذين آمنوا) قال مقاتل هم ناس من قريش وقيل من الانصار وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب وقيل هو عام ❊ وقوله (وآمنوا بما نزل على محمد) اختصاص للايمان بالمنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين ما يجب به الايمان تعظيما لشأنه وتعليما لانه لا يصح الايمان ولا يتم الا به وأكد ذلك بالجملة الاعتراضية التي هي قوله (وهو الحق من ربهم) وقيل معناها أن دين محمد هو الحق اذ لا يرد عليه النسخ وهو ناسخ لغيره وقرئ نزل وأنزل على البناء للمفعول ونزل على البناء للفاعل ونزل بالتخفيف (كفر عنهم سيآتهم) ستر بايمانهم وعملهم الصالح ما كان منهم من الكفر والمعاصي لرجوعهم عنها وتوبتهم (وأصلح بالهم) أي حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين وبالتسلط على الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد (ذلك) مبتدأ وما بعده خبره أي ذلك الامر وهو اضلال أعمال أحد الفريقين وتكفير سيئات الثاني كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق ويجوز أن يكون ذلك خبر مبتدا محذوف (١) أي الامر كما ذكر بهذا السبب فيكون محل الجار والمجرور منصوبا على هذا ومرفوعا على الاول و(الباطل) ما لا ينتفع به وعن مجاهد الباطل الشيطان وهذا الكلام يسميه علماء البيان التفسير (كذلك) مثل ذلك الضرب (يضرب الله للناس أمثالهم) والضمير راجع الى الناس أو الى المذكورين من الفريقين على معنى أنه يضرب أمثالهم لاجل الناس ليعتبروا بهم (فان قلت) أين ضرب الامثال (قلت) في أن جعل اتباع الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين أو في أن جعل الاضلال مثلا لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين (لقيتم) من اللقاء وهو الحرب (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضربا فحذف الفعل وقدم المصدر فأنيب منابه مضافا الى المفعول وفيه اختصار مع اعطاء معنى التوكيد لانك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه وضرب الرقاب عبارة عن القتل لان الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الاعضاء وذلك أنهم كانوا يقولون ضرب الامير رقبة فلان وضرب عنقه وعلاوته وضرب ما فيه عيناه اذا قتله وذلك أن قتل الانسان أكثر ما يكون بضرب رقبته فوقع عبارة عن القتل وان ضرب غير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله بما كسبت أيديكم على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدة ما ليس في لفظ القتل لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق واطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان (أثخنتموهم) أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشيء الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض (فشدوا الوثاق) فأسروهم والوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به ❊ منا وفداء منصوبان بفعليهما مضمرين أي فاما تمنون منا واما تفدون فداء والمعنى التخيير بعد الاسر بين أن يمنوا عليهم فيطلقوهم وبين أن يفادوهم (فان قلت) كيف حكم أسارى المشركين (قلت) أما عند أبي حنيفة وأصحابه فأحد أمرين اما قتلهم واما استرقاقهم أيهما رأى الامام ويقولون في المن والفداء المذكورين في الآية نزل ذلك في يوم بدر ثم نسخ وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء وانما هو الاسلام أو ضرب العنق ويجوز أن يراد بالمن أن يمن عليهم بترك القتل ويسترقوا أو يمن عليهم فيخلوا لقبولهم الجزية وكونهم من أهل الذمة وبالفداء أن يفادي بأساراهم أسارى المشركين فقد رواه الطحاوي مذهبا عن أبي حنيفة والمشهور أنه لا يرى فداءهم لا بمال ولا بغيره خيفة أن يعودوا حربا للمسلمين وأما الشافعي فيقول للامام أن يختار أحد أربعة على حسب ما اقتضاه نظره للمسلمين وهو القتل والاسترقاق والفداء بأسارى المسلمين والمن ويحتج بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم من على أبي عروة الحجبي وعلى بن أثال الحنفي وفادى رجلا برجلين من المشركين وهذا كله منسوخ عند أصحاب الرأي وقرئ فدى بالقصر مع فتح الفاء ❊ أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التي لا تقوم الا بها كالسلاح والكراع قال الاعشى

وأعددت للحرب أوزارها ❊ رماحا طوالا وخيلا ذكورا

وسميت أوزارها لانه لما لم يكن لها بد من جرها فكأنها تحملها وتستقل بها فاذا انقضت فكأنها وضعتها وقيل أوزارها آثامها يعني حتى يترك أهل الحرب وهم المشركون شركهم ومعاصيهم بأن يسلموا (فان قلت)

والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء حتى تضع الحرب أوزارها

(١) قوله أي الامر كما ذكر الظاهر أن يقول أي الامر ذلك كما قال عند قوله ذلك ولو يشاء الله كتبه مصححه

حتى

حتى بم تعلقت (قلت) لا تخلو اما أن تتعلق بالضرب والشد أو بالمن والفداء فالمعنى على كلا المتعلقين عند الشافعي رضي الله عنه أنهم لا يزالون على ذلك أبدا الى أن لا يكون حرب مع المشركين وذلك اذا لم يبق لهم شوكة وقيل اذا نزل عيسى بن مريم عليه السلام وعند أبي حنيفة رحمه الله اذا علق بالضرب والشد فالمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى تضع جنس الحرب الاوزار وذلك حين لا تبقى شوكة للمشركين واذا علق بالمن والفداء فالمعنى أنه يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها الا أن يتأول المن والفداء بما ذكرنا من التأويل (ذلك) أي الامر ذلك أو افعلوا ذلك (لانتصر منهم) لانتقم منهم ببعض أسباب الهلاك من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت جارف (ولكن) أمركم بالقتال ليبلو المؤمنين بالكافرين بأن يجاهدوا ويصبروا حتى يستوجبوا الثواب العظيم والكافرين بالمؤمنين بأن يعالجهم على أيديهم ببعض ما وجب لهم من العذاب ❊ وقرئ قتلوا بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقاتلوا ❊ وقرئ فلن يضل أعمالهم وتضل أعمالهم على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من ضل وعن قتادة أنها نزلت في يوم أحد (عرفها لهم) أعلمها لهم وبينها بما يعلم به كل أحد منزلته ودرجته من الجنة قال مجاهد يهتدي أهل الجنة الى مساكنهم منها لا يخطئون كأنهم كانوا سكانها منذ خلقوا لا يستدلون عليها وعن مقاتل أن الملك الذي وكل بحفظ عمله في الدنيا يمشي بين يديه فيعرفه كل شيء أعطاه الله أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة وفي كلام بعضهم عزف كنوح القماري وعرف كفوح القماري أو حددها لهم فجنة كل أحد محدودة مفرزة عن غيرها من عرف الدار وأرفها والعرف والارف الحدود (إن تنصروا) دين (الله) ورسوله (ينصركم) على عدوكم ويفتح لكم (ويثبت أقدامكم) في مواطن الحرب أو على محجة الاسلام (والذين كفروا) يحتمل الرفع على الابتداء والنصب بما يفسره (فتعسا لهم) كأنه قال أتعس الذين كفروا (فان قلت) علام عطف قوله (وأضل أعمالهم) (قلت) على الفعل الذي نصب تعسا لأن المعنى فقال تعسا لهم أو فقضى تعسا لهم وتعسا له نقيض لعاله قال الاعشى

❊ فالتعس أولى لها من أن أقول لعا ❊

يريد فالعثور والانحطاط أقرب لها من الانتعاش والثبوت وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد في الدنيا القتل وفي الآخرة التردي في النار (كرهوا) القرآن وما أنزل الله فيه من التكاليف والاحكام لانهم قد ألفوا الاهمال واطلاق العنان في الشهوات والملاذ فشق عليهم ذلك وتعاظمهم ❊ دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به والمعنى دمر الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وكل ما كان لهم (وللكافرين أمثالها) الضمير للعاقبة المذكورة أو للهلكة لان التدمير يدل عليها أو للسنة لقوله عز وعلا سنة الله في الذين خلوا (مولى الذين آمنوا) وليهم وناصرهم وفي قراءة ابن مسعود ولي الذين آمنوا ❊ وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في الشعب يوم أحد وقد فشت فيهم الجراحات وفيه نزلت فنادى المشركون أعل هبل فنادى المسلمون الله أعلى وأجل فنادى المشركون يوم بيوم والحرب سجال إن لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم إن القتلى مختلفة أما قتلانا فأحياء يرزقون وأما قتلاكم ففي النار يعذبون (فان قلت) قوله تعالى وردوا الى الله مولاهم الحق مناقض لهذه الآية (قلت) لا تناقض بينهما لأن الله مولى عباده جميعا على معنى أنه ربهم ومالك أمرهم وأما على معنى الناصر فهو مولى المؤمنين خاصة (يتمتعون) ينتفعون بمتاع الحياة الدنيا أياما قلائل (ويأكلون) غافلين غير مفكرين في العاقبة (كما تأكل الأنعام) في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح (مثوى لهم) منزل ومقام ❊ وقرئ وكائن بوزن كاعن ❊ وأراد بالقرية أهلها ولذلك قال (أهلكناهم) كأنه قال وكم من قوم هم أشد قوة من قومك الذين أخرجوك أهلكناهم ❊ ومعنى أخرجوك كانوا سبب خروجك (فان قلت) كيف قال (فلا ناصر لهم) وانما هو أمر قد مضى (قلت) مجراه مجرى الحال المحكية كأنه قال أهلكناهم فهم لا ينصرون ❊ من زين له هم أهل مكة الذين زين لهم الشيطان شركهم وعداوتهم لله ورسوله ومن كان على بينة من ربه أي على حجة من عنده وبرهان وهو القرآن المعجز وسائر المعجزات هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ أمن كان على بينة من ربه وقال تعالى (سوء عمله واتبعوا)

ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض والذين قتلوا في سبيل الله فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم يا أيها الذين آمنوا ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم أفلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم

*قوله تعالى مثل الجنة التى وعد المتقون الآية (قال فيه هو كلام فى صورة الاثبات ومعناه النفى الخ) قال أحمد كم ذكر الناس فى تأويل هذه الآية فلم أر أطلى ولا أحلى من هذه النكت التى ذكرها لا يعوزها الا التنبيه على أن فى الكلام محذوفا لابد من تقديره لانه لامعادلة بين الجنة وبين الخالدين (١٠٦) فى النار الا على تقدير مثل ساكن فيه يقوم وزن الكلام و يتعادل كفتاه *ومن هذا النمط قوله تعالى أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله

فانه لابد من تقدير محذوف مع الاول أو الثانى ليتعادل القسمان وبهذا الذى قدرته فى الآية ينطبق آخر الكلام على أوله فيكون المقصود تنظير بعد التسوية بين المتمسك بالبينة والراكب للهوى ببعد التسوية بين المنعم فى الجنة والمعذب فى النار على الصفات المتقابلة المذكورة فى الجهتين وهو من وادى تنظير الشئ بنفسه باعتبار حالتين احداهما أوضح فى البيان من الاخرى فان المتمسك بالسنة هو المنعم فى الجنة الموصوفة والمتبع للهوى هو المعذب فى النار المنعوتة ولكن أنكر التسوية بينهما باعتبار الاعمال أولا وأوضح ذلك بانكار التسوية بينهما باعتبار الجزاء ثانيا

مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما فقطع أمعاءهم ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم فهل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتة

للحمل على لفظ من ومعناه (فان قلت) مامعنى قوله تعالى (مثل الجنة التى وعد المتقون فيها أنهار) كمن هو خالد فى النار (قلت) هو كلام فى صورة الاثبات ومعنى النفى والانكار لانطوائه تحت حكم كلام مصدر بحرف الانكار ودخوله فى حيزه وانخراطه فى سلكه وهو قوله تعالى أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله فكأنه قيل أمثل الجنة كمن هو خالد فى النار أى كمثل جزاء من هو خالد فى النار (فان قلت) فلم عرى من حرف الانكار وما فائدة التعرية (قلت) تعريته من حرف الانكار فيها زيادة تصوير لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة والتابع لهواه وأنه بمنزلة من يثبت التسوية بين الجنة التى تجرى فيها تلك الانهار وبين النار التى يسقى أهلها الحميم ونظيره قول القائل

أفرح أن أرزأ الكرام وأن * أورث ذودا شصائصا نبلا

هو كلام منكر للفرح برزية الكرام ووراثة الذود مع تعريه عن حرف الانكار لانطوائه تحت حكم قول من قال أتفرح بموت أخيك وبوراثة ابله والذى طرح لاجله حرف الانكار ارادة أن يصور قبح ما أزن به فكأنه قال له نعم مثلى يفرح بمرزأة الكرام وبأن يستبدل منهم ذودا يقل طائله وهو من التسليم الذى تحته كل انكار ومثل الجنة صفة الجنة العجيبة الشأن وهو مبتدأ وخبره كمن هو خالد وقوله فيها أنهار داخل فى حكم الصلة كالتكرير لها ألا ترى الى صحة قولك التى فيها أنهار ويجوز أن يكون خبر مبتدا محذوف هى فيها أنهار وكأن قائلا قال وما مثلها فقيل فيها أنهار وأن يكون فى موضع الحال أى مستقرة فيها أنهار وفى قراءة على رضى الله عنه أمثال الجنة أى ماصفاتها كصفات النار وقرئ أسن يقال أسن الماء وأجن اذا تغير طعمه وريحه وأنشد ليزيد بن معاوية لقد سقتنى رضابا غير ذى أسن * كالمسك فت على ماء العناقيد

(من لبن لم يتغير طعمه) كما تتغير ألبان الدنيا فلا يعود قارصا ولا حاذرا ولا ما يكره من الطعوم (لذة) تأنيث لذ وهو اللذيذ أو وصف بمصدر وقرئ بالحركات الثلاث فالجر على صفة الخمر والرفع على صفة الانهار والنصب على العلة أى لاجل لذة الشاربين والمعنى ما هو الا التلذذ الخالص ليس معه ذهاب عقل ولا خمار ولا صداع ولا آفة من آفات الخمر (مصفى) لم يخرج من بطون النحل فيخالطه الشمع وغيره (ماء حميما) قيل اذا دنا منهم شوى وجوههم وانمازت فروة رؤسهم فاذا شربوه قطع أمعاءهم * هم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يلقون له بالا تهاونا منهم فاذا خرجوا قالوا لأولى العلم من الصحابة ماذا قال الساعة على جهة الاستهزاء وقيل كان يخطب فاذا عاب المنافقين خرجوا فقالوا ذلك للعلماء وقيل قالوه لعبد الله بن مسعود وعن ابن عباس أنا منهم وقد سميت فيمن سئل (آنفا) وقرئ أنفا على فعل نصب على الظرف قال الزجاج هو من استأنفت الشئ اذا ابتدأته والمعنى ماذا قال فى أول وقت يقرب منا (زادهم) الله (هدى) بالتوفيق (وآتاهم تقواهم) أعانهم عليها أو آتاهم جزاء تقواهم وعن السدى بين لهم ما يتقون وقرئ وأعطاهم وقيل الضمير فى زادهم لقول الرسول أو لاستهزاء المنافقين (أن تأتيهم) بدل اشتمال من الساعة نحو أن تطؤهم من قوله رجال مؤمنون ونساء مؤمنات وقرئ إن تأتهم بالوقف على الساعة واستئناف الشرط وهى فى مصاحف أهل مكة كذلك (فان قلت) فما جزاء الشرط (قلت) قوله فأنى لهم ومعناه ان تأتهم الساعة فكيف لهم ذكراهم أى تذكرهم واتعاظهم اذا جاءتهم الساعة يعنى لا تنفعهم الذكرى حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى (فان قلت) بم يتصل

فقد جاء أشراطها فأنى لهم اذا جاءتهم ذكراهم فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فاذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين فى قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت فأولى لهم طاعة وقول معروف فاذا عزم الامر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا فى الارض

قوله (فقد جاء أشراطها) على القراءتين (قلت) باتيان الساعة اتصال العلة بالمعلول كقولك ان أكرمنى زيد فأنا حقيق بالاكرام أكرمه والأشراط العلامات قال أبو الاسود

فان كنت قد أزمعت بالصرم بيننا * فقد جعلت أشراط أوله تبدو

وقيل مبعث محمد خاتم الانبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم منها وانشقاق القمر والدخان وعن الكلبى كثرة المال والتجارة وشهادة الزور وقطع الأرحام وقلة الكرام وكثرة اللئام * وقرئ بغتة بوزن جربة وهى غريبة لم ترد فى المصادر أختها وهى مروية عن أبى عمرو وما أخوفنى أن تكون غلطة من الراوى على أبى عمرو وأن يكون الصواب بغتة بفتح الغين من غير تشديد كقراءة الحسن فيما تقدم *لما ذكر حال المؤمنين وحال الكافرين قال اذا علمت أن الامر كما ذكر من سعادة هؤلاء وشقاوة هؤلاء فاثبت على ما أنت عليه من العلم بوحدانية الله وعلى التواضع وهضم النفس باستغفار ذنبك وذنوب من على دينك * والله يعلم أحوالكم ومتصرفاتكم ومتقلبكم فى معايشكم ومتاجركم و يعلم حيث تستقرون فى منازلكم أو متقلبكم فى حياتكم ومثواكم فى القبور أو متقلبكم فى أعمالكم ومثواكم من الجنة والنار ومثله حقيق بأن يخشى ويتقى وأن يستغفر ويسترحم وعن سفيان بن عيينة أنه سئل عن فضل العلم فقال ألم تسمع قوله حين بدأ به فقال فاعلم أنه لا اله الا الله واستغفر لذنبك فأمر بالعمل بعد العلم وقال اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو الى قوله سابقوا الى مغفرة من ربكم وقال واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة ثم قال بعد فاحذروهم وقال واعلموا أنما غنمتم من شئ فأن لله خمسه ثم أمر بالعمل بعده * كانوا يدعون الحرص على الجهاد ويتمنونه بألسنتهم ويقولون (لولا نزلت سورة) فى معنى الجهاد (فاذا أنزلت) وأمروا فيها بما تمنوا وحرصوا عليه كاعوا وشق عليهم وسقطوا فى أيديهم كقوله تعالى فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس (محكمة) مبينة غير متشابهة لا تحتمل وجها الا وجوب القتال وعن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة وهى أشد القرآن على المنافقين وقيل لها محكمة لان النسخ لا يرد عليها من قبل أن القتال قد نسخ ما كان من الصفح والمهادنة وهو غير منسوخ الى يوم القيامة وقيل هى المحدثة لانها حين يحدث نزولها لا يتناولها النسخ ثم تنسخ بعد ذلك أو تبقى غير منسوخة وفى قراءة عبد الله سورة محدثة وقرئ فاذا نزلت سورة وذكر فيها القتال على البناء للفاعل ونصب القتال (الذين فى قلوبهم مرض) هم الذين كانوا على حرف غير ثابتى الاقدام (نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبنا وهلعا وغيظا كما ينظر من أصابته الغشية عند الموت (فأولى لهم) وعيد بمعنى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى طاعة وقول معروف خير لهم وقيل هى حكاية قولهم أى قالوا طاعة وقول معروف بمعنى أمرنا طاعة وقول معروف وتشهد له قراءة أبى يقولون طاعة وقول معروف (فاذا عزم الامر) أى جد والعزم والجد لأصحاب الامر وانما يسندان الى الامر اسنادا مجازيا ومنه قوله تعالى إن ذلك لمن عزم الامور (فلو صدقوا الله) فيما زعموا من الحرص على الجهاد أو فلو صدقوا فى ايمانهم وواطأت قلوبهم فيه ألسنتهم * عسيت وعسيتم لغة أهل الحجاز وأما بنو تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا ولا يلحقون الضمائر وقرأ نافع بكسر السين وهو غريب وقد نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات ليكون أبلغ فى التوكيد (فان قلت) مامعنى فهل عسيتم أن تفسدوا فى الارض (قلت) معناه هل يتوقع منكم الافساد (فان قلت) فكيف يصح هذا فى كلام الله عز وعلا وهو عالم بما كان وما يكون (قلت) معناه أنكم لما عهد منكم أحقاء بأن يقول لكم كل من ذاقكم وعرف تمريضكم ورخاوة عقدكم فى الايمان يا هؤلاء ما ترون هل يتوقع منكم إن توليتم أمور الناس وتأمرتم عليهم لما تبين منكم من الشواهد ولاح من المخايل (أن تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم) تناحرا على الملك وتهالكا على الدنيا وقيل إن أعرضتم وتوليتم عن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته أن ترجعوا الى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الافساد فى الارض بالتغاور والتناهب وقطع الارحام بمقاتلة بعض الاقارب بعضا ووأد البنات وقرئ وليتم وفى قراءة على بن أبى طالب

رضى الله عنه توليتم أى ان توليا كم ولاة غشمة خرجتم معهم ومشيتم تحت لوائهم وأفسدتم بافسادهم * وقرئ
وتقطعوا وتقطعوا من التقطيع والتقطع (أولئك) اشارة الى المذكورين (لعنهم الله) لافسادهم وقطعهم
الارحام فمنعهم ألطافه وخذلهم حتى صموا عن استماع الموعظة وعموا عن إبصار طريق الهدى ويجوز أن
يريد بالذين آمنوا المؤمنين الخلص الثابتين وأنهم يتشوقون الى الوحى اذا أبطأ عليهم فاذا أنزلت سورة فى
معنى الجهاد رأيت المنافقين فيما بينهم يضجرون منها (أفلا يتدبرون القرآن) ويتصفحونه وما فيه من
المواعظ والزواجر ووعيد العصاة حتى لا يجسروا على المعاصى ثم قال (أم على قلوب أقفالها) وأم بمعنى بل
وهمزة التقرير للتسجيل عليهم بأن قلوبهم مقفلة لا يتوصل اليها ذكر وعن قتادة اذن والله يجدوا فى القرآن
زاجرا عن معصية الله لو تدبروه ولكنهم أخذوا بالمتشابه فهلكوا (فان قلت) لم نكرت القلوب وأضيفت
الأقفال اليها (قلت) أما التنكير ففيه وجهان أن يراد على قلوب قاسية مبهم أمرها فى ذلك أو يراد على بعض
القلوب وهى قلوب المنافقين وأما اضافة الأقفال فلانه يريد الأقفال المختصة بها وهى أقفال الكفر التى
استغلقت فلا تنفتح وقرئ إقفالها على المصدر (الشيطان سوّل لهم) جملة من مبتدا وخبر وقعت خبرا لان
كقولك ان زيدا عمرو مربه سوّل لهم سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقد اشتقه من
السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا (وأملى لهم) ومدّ لهم فى الآمال والأمانى وقرئ وأملى لهم
يعنى أن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم كقوله تعالى انما نملى لهم وقرئ وأملى لهم على البناء للمفعول أى
أمهلوا ومدّ فى عمرهم وقرئ سوّل لهم ومعناه كيد الشيطان زين لهم على تقدير حذف المضاف (فان قلت)
من هؤلاء (قلت) اليهود كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم من بعد ما تبين لهم الهدى وهو نعته فى التوراة وقيل
هم المنافقون * الذين قالوا اليهود * والذين كرهوا ما نزل الله المنافقون وقيل عكسه وأنه قول
المنافقين لقريظة والنضير لئن أخرجتم لنخرجن معكم * وقيل بعض الامر التكذيب برسول الله صلى الله
عليه وسلم أو بلا اله الا الله أو ترك القتال معه وقيل هو قول أحد الفريقين للمشركين سنطيعكم فى التظافر
على عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والقعود عن الجهاد معه ومعنى (فى بعض الامر) فى بعض
ما تأمرون به أو فى بعض الامر الذى يهمكم (والله يعلم أسرارهم) وقرئ إسرارهم على المصدر قالوا ذلك سرا
فيما بينهم فأفشاه الله عليهم * فكيف يعملون وما حيلتهم حينئذ * وقرئ توفاهم ويحتمل أن يكون ماضيا
ومضارعا قد حذفت احدى تاءيه كقوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لا يتوفى
أحد على معصية الله الا يضرب من الملائكة فى وجهه ودبره (ذلك) اشارة الى التوفى الموصوف (ما أسخط
الله) من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم و(رضوانه) الايمان برسول الله (أضغانهم) أحقادهم
واخراجها ابرازها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين واظهارهم على نفاقهم وعداوتهم لهم وكانت
صدورهم تغلى حنقا عليهم (لأريناكهم) لعرفناكهم ودللناك عليهم حتى تعرفهم بأعيانهم لا يخفون عليك
(بسيماهم) بعلامتهم وهو أن يسمهم الله تعالى بعلامة يعلمون بها وعن أنس رضى الله عنه ما خفى على
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شئ من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا فى بعض
الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى جبهة كل واحد منهم
مكتوب هذا منافق * (فان قلت) أى فرق بين اللامين فى فلعرفتهم ولتعرفنهم (قلت) الأولى هى الداخلة فى
جواب لو كالتى فى لأريناكهم كررت فى المعطوف وأما اللام فى ولتعرفنهم فواقعة مع النون فى جواب قسم
محذوف (فى لحن القول) فى نحوه وأسلوبه وعن ابن عباس هو قولهم ما لنا ان أطعنا من الثواب ولا يقولون
ما علينا ان عصينا من العقاب وقيل اللحن أن تلحن بكلامك أى تميله الى نحو من الانحاء ليفطن له صاحبك
كالتعريض والتورية قال ولقد لحنت لكم لكيما تفقهوا * واللحن يعرفه ذوو الألباب
وقيل للمخطئ لاحن لأنه يعدل بالكلام عن الصواب (أخباركم) ما يحكى عنكم وما يخبر به عن أعمالكم ليعلم
حسنها من قبيحها لأن الخبر على حسب المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح * وقرأ يعقوب ونبلو

وتقطعوا أرحامكم أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ان الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوّل لهم وأملى لهم ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم فى بعض الامر والله يعلم أسرارهم فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم أم حسب الذين فى قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم فى لحن القول والله يعلم أعمالكم ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم ان الذين

* قوله تعالى الشيطان سوّل لهم (قال فيه هو مشتق من السول وهو الاسترخاء أى سهل لهم ركوب العظائم قال وقد اشتقه من السؤل من لا علم له بالتصريف والاشتقاق جميعا) قلت لان السؤل مهموز وسوّل معتل

بسكون الواو على معنى ونحن نبلو أخباركم * وقرئ وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء وعن الفضيل أنه كان اذا
قرأها بكى وقال اللهم لا تبتلنا فانك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا (وسيحبط أعمالهم) التى عملوها
فى دينهم يرجون بها الثواب لانها مع كفرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم باطلة وهم قريظة والنضير أو
سيحبط أعمالهم التى عملوها والمكايد التى نصبوها فى مشاقة الرسول أى سيبطلها فلا يصلون منها الى أغراضهم
بل يستنصرون بها ولا يثمر لهم الا القتل والجلاء عن أوطانهم وقيل هم رؤساء قريش والمطعمون يوم بدر
(ولا تبطلوا أعمالكم) أى لا تحبطوا الطاعات بالكبائر كقوله تعالى لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى
الى أن قال أن تحبط أعمالكم وعن أبى العالية كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرون أنه
لا يضر مع الايمان ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل حتى نزلت ولا تبطلوا أعمالكم فكانوا يخافون الكبائر
على أعمالهم وعن حذيفة فخافوا أن تحبط الكبائر أعمالهم وعن ابن عمر كنا نرى أنه ليس شئ من حسناتنا
الا مقبولا حتى نزل ولا تبطلوا أعمالكم فقلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقلنا الكبائر الموجبات والفواحش
حتى نزل ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فكففنا عن القول فى ذلك فكنا نخاف على
من أصاب الكبائر ونرجو لمن لم يصبها وعن قتادة رحمه الله رحم الله عبدا لم يحبط عمله الصالح بعمله السئ
وقيل لا تبطلوها بمعصيتهما وعن ابن عباس رضى الله عنه لا تبطلوها بالرياء والسمعة وعنه بالشك والنفاق
وقيل بالعجب فان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقيل ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى
(ثم ماتوا وهم كفار) قيل هم أصحاب القليب والظاهر العموم (فلا تهنوا) ولا تضعفوا ولا تذلوا
للعدو (و) لا (تدعوا الى السلم) وقرئ السلم وهما المسالمة (وأنتم الأعلون) أى الاغلبون الاقهرون
(والله معكم) أى ناصركم وعن قتادة لا تكونوا أول الطائفتين ضرعت الى صاحبتها بالموادعة * وقرئ
ولا تدعوا من ادّعى القوم وتداعوا اذا دعوا نحو قولك ارتموا الصيد وتراموه وتدعوا مجزوم لدخوله
فى حكم النهى أو منصوب لاضمار أن ونحو قوله تعالى وأنتم الاعلون قوله تعالى انك أنت الأعلى (ولن
يتركم) من وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم أو حربته وحقيقته أفردته من قريبه أو
ماله من الوتر وهو الفرد فشبه اضاعة عمل العامل وتعطيل ثوابه بوتر الواتر وهو من فصيح الكلام ومنه
قوله عليه السلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله أى أفرد عنهما قتلا ونهبا (يؤتكم أجوركم)
ثواب ايمانكم وتقواكم (ولا يسألكم أموالكم) أى ولا يسألكم جميعها انما يقتصر منكم على ربع العشر ثم
قال (ان يسألكموها فيحفكم) أى يجهدكم ويطلبه كله والاحفاء المبالغة وبلوغ الغاية فى كل شئ يقال أحفاه
فى المسئلة اذا لم يترك شيأ من الالحاح وأحفى شاربه اذا استأصله (تبخلوا ويخرج أضغانكم) أى تضطغنون
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتضيق صدوركم لذلك وأظهرتم كراهتكم ومقتكم لدين يذهب بأموالكم
والضمير فى يخرج لله عز وجل أى يضغنكم بطلب أموالكم أو للبخل لانه سبب الاضطغان * وقرئ نخرج
بالنون ويخرج بالياء والتاء مع فتحهما ورفع أضغانكم (هؤلاء) موصول بمعنى الذين صلته (تدعون)
أى أنتم الذين تدعون أو أنتم يا مخاطبون هؤلاء الموصوفون ثم استأنف وصفهم كأنهم قالوا وما وصفنا فقيل
تدعون (لتنفقوا فى سبيل الله) قيل هى النفقة فى الغزو وقيل الزكاة كأنه قيل الدليل على أنه

كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى لن يضروا الله شيأ وسيحبط أعمالهم يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم فلا تهنوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم انما الحياة الدنيا لعب ولهو وان تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم ان يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم ها أنتم هؤلاء تدعون لتنفقوا فى سبيل الله فمنكم من يبخل

قوله تعالى ولا تبطلوا أعمالكم (قال فيه معناه لا تحبطوا الطاعات بالكبائر الخ) قال أحمد قاعدة أهل السنة مؤسسة على أن الكبائر ما دون
الشرك لا تحبط حسنة مكتوبة لان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما ثم يقولون ان الحسنات
يذهبن السيآت كما وعد به الكريم جل وعلا وقاعدة المعتزلة موضوعة على أن كبيرة واحدة تحبط ما تقدمها من الحسنات ولو كانت مثل
زبد البحر لانهم يقطعون بخلود الفاسق فى النار وسلب سمة الايمان عنه ومتى خلد فى النار (١٠٩) لم تنفع طاعاته ولا ايمانه فعلى هذا
بنى الزمخشرى كلامه وجلب الآثار التى فى بعضها موافقة فى الظاهر لمعتقده ولا كلام عليها جملة من غير تفصيل لأن القاعدة
المتقدمة ثابتة قطعا بأدلة اقتضت ذلك يحاشى كل معتبر فى الحل والعقد عن مخالفتها فهما ورد من ظاهر يخالفها وجب رده اليها بوجه
من التأويل فان كان نصا لا يقبل التأويل فالطريق فى ذلك تحسين الظن بالمنقول عنه والتوريك بالغلط على النقلة على أن الاثر
المذكور عن ابن عمر هو أولى بأن يدل ظاهره لاهل السنة فتأمله وأما محمل الآية عند أهل الحق فعلى أن النهى عن الاخلال بشرط
من شروط العمل وركن يقتضى بطلانه من أصله لأنه يبطل بعد استجماعه شرائط الصحة والقبول

لو أحفاكم لبخلتم وكرهتم العطاء واضطغنتم أنكم تدعون الى أداء ربع العشر فمنكم ناس يبخلون به ثم قال (ومن يبخل) بالصدقة وأداء الفريضة فلا يتعداه ضرر بخله وانما (يبخل عن نفسه) يقال بخلت عليه وعنه وكذلك ضننت عليه وعنه ٭ ثم أخبر أنه لا يأمر بذلك ولا يدعو اليه لحاجته اليه فهو الغني الذي تستحيل عليه الحاجات ولكن لحاجتكم وفقركم الى الثواب (وان تتولوا) معطوف على وان تؤمنوا وتتقوا (يستبدل قوما غيركم) يخلق قوما سواكم على خلاف صفتكم راغبين في الايمان والتقوى غير متولين عنهما كقوله تعالى ويأت بخلق جديد وقيل هم الملائكة وقيل الانصار وعن ابن عباس كندة والنخع وعن الحسن العجم وعن عكرمة فارس والروم وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القوم وكان سلمان الى جنبه فضرب على فخذه وقال هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الايمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد صلى الله عليه وسلم كان حقا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة

(سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

٭ هو فتح مكة وقد نزلت مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مكة عام الحديبية عدة له بالفتح وجيء به على لفظ الماضي على عادة رب العزة سبحانه في أخباره لانها في تحققها وتيقنها بمنزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى (فان قلت) كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة (قلت) لم يجعل علة للمغفرة ولكن لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة وهي المغفرة واتمام النعمة وهداية الصراط المستقيم والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك بين عز الدارين وأغراض العاجل والآجل ويجوز أن يكون فتح مكة من حيث انه جهاد للعدو سببا للغفران والثواب والفتح الظفر بالبلد عنوة أو صلحا بحرب أو بغير حرب لانه منغلق ما لم يظفر به فاذا ظفر به وحصل في اليد فقد فتح وقيل هو فتح الحديبية ولم يكن فيه قتال شديد ولكن ترام بين القوم بسهام وحجارة وعن ابن عباس رضي الله عنه رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبي ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح (فان قلت) كيف يكون فتحا وقد أحصروا فنحروا وحلقوا بالحديبية (قلت) كان ذلك قبل الهدنة فلما طلبوها وتمت كان فتحا مبينا وعن موسى بن عقبة أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية راجعا فقال رجل من أصحابه ما هذا بفتح لقد صدونا عن البيت وصد هدينا فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فقال بئس الكلام هذا بل هو أعظم الفتوح وقد رضي المشركون أن يدفعوكم عن بلادهم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا اليكم في الأمان وقد رأوا منكم ما كرهوا وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الغزوة ما لم يصب في غزوة أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وظهرت الروم على فارس وبلغ الهدي محله وأطعموا نخل خيبر وكان في فتح الحديبية آية عظيمة وذلك أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرّت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو فتح خيبر وقيل فتح الروم وقيل فتح الله له بالاسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كلها اذ لا فتح من فتوح الاسلام الا وهو تحته ومتشعب منه وقيل معناه قضينا لك قضاء بينا على أهل مكة أن تدخلها انت وأصحابك من قابل لتطوفوا بالبيت من الفتاحة وهي الحكومة وكذا عن قتادة (ما تقدم من ذنبك وما تأخر) يريد جميع ما فرط منك وعن مقاتل ما تقدم في الجاهلية وما بعدها وقيل ما تقدم من حديث مارية وما تأخر من امرأة زيد (نصرا عزيزا) فيه عز ومنعة أو وصف بصفة المنصور اسنادا مجازيا أو عزيزا صاحبه (السكينة) السكون كالبهيتة للبهتان أي أنزل الله في قلوبهم السكون والطمأنينة بسبب الصلح والامن ليعرفوا فضل الله عليهم بتيسير الامن

ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه والله الغني وأنتم الفقراء وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم

(سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله الآية (قال فيه جاء الاخبار بالفتح على لفظ الماضي وان لم يقع بعد لأن المراد فتح مكة والآية نزلت حين رجع عليه الصلاة والسلام من الحديبية قبل عام الفتح وذلك على عادة رب العزة في أخباره لانها لما كانت محققة نزلت منزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المخبر ما لا يخفى (قلت) ومن الفخامة الالتفات من التكلم الى الغيبة ٭ عاد كلامه (قال) فان قلت كيف جعل فتح مكة علة للمغفرة وأجاب بأن ذلك علة لاجتماع ما عدد من الامور الاربعة المغفرة واتمام النعمة والهداية والنصر العزيز كأنه قيل يسرنا لك فتح مكة ونصرناك على عدوك لنجمع لك عز الدارين واغراض العاجل والآجل ٭ قال ويجوز أن يكون الفتح من حيث كونه جهادا وعبادة سببا للغفران

بعد

بعد الخوف والهدنة غب القتال فيزدادوا يقينا الى يقينهم أو أنزل فيها السكون الى ما جاء به محمد عليه السلام من الشرائع (ليزدادوا ايمانا) بالشرائع مقرونا الى ايمانهم وهو التوحيد عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أول ما أتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد فلما آمنوا بالله وحده أنزل الصلاة والزكاة ثم الحج ثم الجهاد فازدادوا ايمانا الى ايمانهم أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله عز وجل ولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلك ايمانا الى ايمانهم وقيل أنزل فيها الرحمة ليتراحموا فيزداد ايمانهم (ولله جنود السموات والارض) يسلط بعضها على بعض كما يقتضيه علمه وحكمته ومن قضيته أن سكن قلوب المؤمنين بصلح الحديبية ووعدهم أن يفتح لهم وانما قضى ذلك ليعرف المؤمنون نعمة الله فيه ويشكروها فيستحقوا الثواب فيثيبهم ويعذب الكافرين والمنافقين لما غاظهم من ذلك وكرهوه ٭ وقع السوء عبارة عن رداءة الشيء وفساده والصدق عن جودته وصلاحه فقيل في المرضي الصالح من الافعال فعل صدق وفي المسخوط الفاسد منها فعل سوء ومعنى (ظن السوء) ظنهم أن الله تعالى لا ينصر الرسول والمؤمنين ولا يرجعهم الى مكة ظافرين فاتحيها عنوة وقهرا (عليهم دائرة السوء) أي ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهو حائق بهم ودائر عليهم والسوء الهلاك والدمار وقرئ دائرة السوء بالفتح أي الدائرة التي يذمونها ويسخطونها فهي عندهم دائرة سوء وعند المؤمنين دائرة صدق (فان قلت) هل من فرق بين السوء والسوء (قلت) هما كالكره والكره والضعف والضعف من ساء الا أن المفتوح غلب في أن يضاف اليه ما يراد ذمه من كل شيء وأما السوء بالضم فجار مجرى الشر الذي هو نقيض الخير يقال أراد به السوء وأراد به الخير ولذلك أضيف الظن الى المفتوح لكونه مذموما وكانت الدائرة محمودة فكان حقها أن لا تضاف اليه الا على التأويل الذي ذكرنا وأما دائرة السوء بالضم فلأن الذي أصابهم مكروه وشدة فصح أن يقع عليه اسم السوء كقوله عز وعلا ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة (شاهدا) تشهد على أمتك كقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيدا (ليؤمنوا) الضمير للناس (ويعزروه) ويقووه بالنصرة (ويوقروه) ويعظموه (ويسبحوه) من التسبيح أو من السبحة والضمائر لله عز وجل والمراد بتعزير الله تعزير دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن فرق الضمائر فقد أبعد ٭ وقرئ لتؤمنوا وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بالتاء والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأمته ٭ وقرئ وتعزروه بضم الزاي وكسرها وتعزروه بضم التاء والتخفيف وتعززوه بالزايين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره وتسبحوا الله (بكرة وأصيلا) عن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر ٭ لما قال (انما يبايعون الله) أكده تأكيدا على طريق التخييل فقال (يد الله فوق أيديهم) يريد أن يد رسول الله التي تعلو أيدي المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن الجوارح وعن صفات الاجسام وانما المعنى تقرير أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله والمراد بيعة الرضوان (فانما ينكث على نفسه) فلا يعود ضرر نكثه الا عليه قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه بايعنا رسول الله تحت الشجرة على الموت وعلى أن لا نفر فما نكث أحد منا البيعة الا جد بن قيس وكان منافقا اختبأ تحت ابط بعيره ولم يسر مع القوم ٭ وقرئ انما يبايعون لله أي لأجل الله ولوجهه ٭ وقرئ ينكث بضم الكاف وكسرها ٭ وبما عاهد وعهد (فسنؤتيه) بالنون والياء ٭ يقال وفيت بالعهد وأوفيت به وهي لغة تهامة ومنها قوله تعالى أوفوا بالعقود والموفون بعهدهم ٭ هم الذين خلفوا عن الحديبية وهم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراد المسير الى مكة عام الحديبية معتمرا استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم هو صلى الله عليه وسلم وساق معه الهدي ليعلم أنه لا يريد حربا فتثاقل كثير من الاعراب وقالوا نذهب الى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم وظنوا أنه يهلك فلا ينقلب الى المدينة واعتلوا بالشغل بأهاليهم وأموالهم وأنه ليس لهم من يقوم بأشغالهم ٭ وقرئ شغّلتنا بالتشديد (يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم) تكذيب لهم في اعتذارهم وأن الذي خلفهم ليس بما يقولون وانما هو الشك في الله والنفاق ٭ وطلبهم

ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض وكان الله عليما حكيما ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ويكفر عنهم سيآتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولله جنود السموات والارض وكان الله عزيزا حكيما إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما سيقول لك المخلفون من الاعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل

٭ قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم (قال فيه لما قال انما يبايعون الله أكده تأكيدا على طريق التخييل الخ) قال أحمد كلام حسن بعد اسقاط لفظ التخييل وابداله بالتمثيل وقد تقدمت أمثاله

*قوله تعالى قل فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا (قال أى قتلا وهزيمة أو أراد بكم نفعا أى ظفرا وغنيمة انتهى كلامه) قال أحمد لا تخلو الآية من الفن المعروف عند علماء البيان باللف وكان الاصل والله أعلم فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا ومن يحرمكم النفع ان أراد بكم نفعا لأن مثل هذا النظم يستعمل فى الضر وكذلك ورد فى الكتاب العزيز مطردا كقوله فمن يملك من الله شيأ ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ فلا تملكون لى من الله شيأ هو أعلم بما تفيضون فيه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام فى بعض الحديث انى لا أملك لكم شيأ يخاطب عشيرته وأمثاله كثيرة وسر اختصاصه بدفع المضرة أن الملك مضاف فى هذه المواضع باللام ودفع المضرة نفع يضاف للمدفوع عنه وليس كذلك حرمان المنفعة فانه ضرر عائد عليه لا له فاذا ظهر ذلك فانما انتظمت الآية على هذا الوجه لان القسمين يشتركان فى أن كل واحد منهما نفى لدفع المقدر من خير وشر فلما تقاربا أدرجهما فى عبارة واحدة وخص عبارة دفع الضر لانه هو المتوقع لهؤلاء اذ الآية فى سياق التهديد أو الوعيد الشديد وهى نظير قوله قل من ذا الذى يعصمكم من الله ان أراد بكم سوأ أو أراد بكم رحمة فان العصمة انما تكون من السوء لا من الرحمة فهاتان الآيتان يرامان فى التقرير

الاستغفار أيضا ليس بصادر عن حقيقة (فمن يملك لكم) فمن يمنعكم من مشيئة الله وقضائه (ان أراد بكم) ما يضركم من قتل أو هزيمة (أو أراد بكم نفعا) من ظفر وغنيمة * وقرئ ضرا بالفتح والضم * الأهلون جمع أهل ويقال أهلات على تقدير تاء التأنيث كأرض وأرضات وقد جاء أهلة وأما أهال فاسم جمع كليال * وقرئ الى أهليهم وزين على البناء للفاعل وهو الشيطان أو الله عز وجل وكلاهما جاء فى القرآن وزين لهم الشيطان أعمالهم وزينا لهم * والبور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ويجوز أن يكون جمع بائر كعائذ وعوذ والمعنى وكنتم قوما فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لا خير فيكم أو هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه (للكافرين) مقام مقام لهم للايذان بأن من لم يجمع بين الايمانين الايمان بالله وبرسوله فهو كافر ونكر (سعيرا) لانها نار مخصوصة كما نكر نارا تلظى (ولله ملك السموات والارض) يدبره تدبير قادر حكيم * فيغفر و يعذب بمشيئته ومشيئته تابعة لحكمته وحكمته المغفرة للتائب وتعذيب المصر (وكان الله غفورا رحيما) رحمته سابقة لغضبه حيث يكفر السيآت باجتناب الكبائر ويغفر الكبائر بالتوبة (سيقول المخلفون) الذين تخلفوا عن الحديبية (اذا انطلقتم الى مغانم) الى غنائم خيبر (أن يبدلوا كلام الله) وقرئ كلم الله أن يغيروا موعد الله لاهل الحديبية وذلك أنه وعدهم أن يعوضهم من مغانم مكة مغانم خيبر اذا قفلوا موادعين لا يصيبون منهم شيأ وقيل هو قوله تعالى لن تخرجوا معى أبدا (تحسدوننا) أن نصيب معكم من الغنائم قرئ بضم السين وكسرها (لا يفقهون) لا يفهمون الا فهما (قليلا) وهو فطنتهم لامور الدنيا دون أمور الدين كقوله تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا (فان قلت) ما الفرق بين حرفى الاضراب (قلت) الاول اضراب معناه رد أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم واثبات الحسد والثانى اضراب عن وصفهم باضافة الحسد الى المؤمنين الى وصفهم بما هو أطم منه وهو الجهل وقلة الفقه (قل للمخلفين) هم الذين تخلفوا عن الحديبية (الى قوم أولى بأس شديد) يعنى بنى حنيفة قوم مسيلمة وأهل الردة الذين حاربهم أبو بكر الصديق رضى الله عنه لان مشركى العرب والمرتدين هم الذين لا يقبل منهم الا الاسلام أو السيف عند أبى حنيفة ومن عداهم من مشركى العجم وأهل الكتاب والمجوس تقبل منهم الجزية وعند الشافعى لا تقبل الجزية الا من أهل الكتاب والمجوس دون مشركى العجم والعرب وهذا دليل

فمن يملك لكم من الله شيأ ان أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى أهليهم أبدا وزين ذلك فى قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا أعتدنا للكافرين سعيرا ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا قل للمخلفين من الاعراب ستدعون الى قوم أولى بأس شديد تقاتلونهم

على

الذى ذكرته والله أعلم * قوله تعالى ولله ملك السموات والارض يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء (قال فيه يغفر و يعذب بمشيئته الخ) قال أحمد قد تقدمت أمثالها والقول بأن موجب الحكمة ما ذكر تحكم هذا وأدلة الشرع القاطعة تأتى على ما يعتقده فلا تبقى ولا تذر فكم من دليل على أن المغفرة لا تقف على التوبة وكم يروم اتباع القرآن للرأى الفاسد فيقيد مطلقا و يحجر واسعا والله الموفق * قوله تعالى سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا بل كانوا لا يفقهون الا قليلا (قال المراد بكلام الله وعده أهل الحديبية بغنائم خيبر عوضا عما يفوتهم من غنائم مكة الخ) قال أحمد فالاضراب الاول اذا هو المعروف والثانى هو المستغرب المستعذب الذى ليس فيه مباينة بين الاول والثانى بل زيادة بينة ومبالغة متمكنة وانما كان المنسوب اليهم ثانيا أشد من المنسوب اليهم أولا لان الاول نسبة الى جهل فى شئ مخصوص وهو نسبتهم الحسد الى المؤمنين والثانى يعتبر بجهل على الاطلاق وقلة فهم على الاسترسال

على امامة أبى بكر الصديق رضى الله عنه فانهم لم يدعوا الى حرب فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن بعد وفاته وكيف يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قوله تعالى فقل لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا وقيل هم فارس والروم ومعنى (يسلمون) ينقادون لان الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم اعطاء الجزية (فان قلت) عن قتادة أنهم ثقيف وهوازن وكان ذلك فى أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) ان صح ذلك فالمعنى لن تخرجوا معى أبدا مادمتم على ما أنتم عليه من مرض القلوب والاضطراب فى الدين أو على قول مجاهد كان الموعد أنهم لا يتبعون رسول الله صلى الله عليه وسلم الا متطوعين لا نصيب لهم فى المغنم (كما توليتم من قبل) يريد فى غزوة الحديبية * أو يسلمون معطوف على تقاتلونهم أى يكون أحد الامرين اما المقاتلة أو الاسلام لا ثالث لهما وفى قراءة أبى أو يسلموا بمعنى الى أن يسلموا * نفى الحرج عن هؤلاء من ذوى العاهات فى التخلف عن الغزو * وقرئ ندخله ونعذبه بالنون * هى بيعة الرضوان سميت بهذه الآية وقصتها أن النبى صلى الله عليه وسلم حين نزل الحديبية بعث (١) جواس بن أمية الخزاعى رسولا الى أهل مكة فهموا به فمنعه الاحابيش فلما رجع دعا بعمر رضى الله عنه ليبعثه فقال انى أخافهم على نفسى لما عرف من عداوتى اياهم وما بمكة عدوى يمنعنى ولكنى أدلك على رجل هو أعز بها منى وأحب اليهم عثمان بن عفان فبعثه فخبرهم أنه لم يأت بحرب وانما جاء زائرا لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا ان شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ما كنت لاطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس الى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت سمرة قال جابر بن عبد الله لو كنت أبصر لأريتكم مكانها وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فى أصل الشجرة وعلى ظهره غصن من أغصانها قال عبد الله بن المغفل وكنت قائما على رأسه وبيدى غصن من الشجرة أذب عنه فرفعت الغصن عن ظهره فبايعوه على الموت دونه وعلى أن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الارض وكان عدد المبايعين ألفا وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفا وأربعمائة وقيل ألفا وثلثمائة (فعلم ما فى قلوبهم) من الاخلاص وصدق الضمائر فيما بايعوا عليه (فأنزل السكينة) أى الطمأنينة والامن بسبب الصلح على قلوبهم (وأثابهم فتحا قريبا) وقرئ وآتاهم وهو فتح خيبر غب انصرافهم من مكة وعن الحسن فتح هجر وهو أجل فتح اتسعوا بثمرها زمانا (ومغانم كثيرة يأخذونها) هى مغانم خيبر وكانت أرضا ذات عقار وأموال فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ثم أتاه عثمان بالصلح فصالحهم وانصرف بعد أن نحر بالحديبية وحلق (وعدكم الله مغانم كثيرة) وهى ما يفئ على المؤمنين الى يوم القيامة (فعجل لكم هذه) المغانم يعنى مغانم خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) يعنى أيدى أهل خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان حين جاؤا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح (ولتكون) هذه الكفة (آية للمؤمنين) وعبرة يعرفون بها أنهم من الله تعالى بمكان وأنه ضامن نصرهم والفتح عليهم وقيل رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة فى منامه ورؤيا الانبياء صلوات الله عليهم وحى فتأخر ذلك الى السنة القابلة فجعل فتح خيبر علامة وعنوانا لفتح مكة (ويهديكم صراطا مستقيما) ويزيدكم بصيرة ويقينا وثقة بفضل الله (وأخرى) معطوفة على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى (لم تقدروا عليها) وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين وقال لم تقدروا عليها لما كان فيها من الجولة (قد أحاط الله بها) أى قدر عليها واستولى وأظهركم عليها وغنمكموها ويجوز فى أخرى النصب بفعل مضمر يفسره قد أحاط الله بها تقديره وقضى الله أخرى قد أحاط بها وأما لم تقدروا عليها فصفة لاخرى والرفع على الابتداء لكونها موصوفة بلم تقدروا وقد أحاط الله بها خبر المبتدا والجر باضمار رب (فان قلت) قوله تعالى ولتكون آية للمؤمنين كيف موقعه (قلت) هو كلام معترض ومعناه ولتكون الكفة آية للمؤمنين فعل ذلك ويجوز أن يكون المعنى وعدكم المغانم فعجل هذه الغنيمة وكف الاعداء لينفعكم بها ولتكون آية للمؤمنين اذا وجدوا وعد الله بها صادقا لان صدق الاخبار عن الغيوب معجزة وآية ويزيدكم بذلك هداية وايقانا (ولو قاتلكم الذين كفروا) من أهل

أو يسلمون فان تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا وان تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا أليما لقد رضى الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطا مستقيما وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها وكان الله على كل شئ قديرا ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا

(١) قوله جواس بن أمية كذا فى النسخ وفى أبى السعود خراش وكتب عليه بالهامش هو بالخاء والشين المعجمتين بينهما راء وألف وغيره تحريف نص عليه الشهاب اه كتبه مصححه

مكة ولم يصالحوا وقيل من حلفاء أهل خيبر لغلبوا وانهزموا (سنة الله) فى موضع المصدر المؤكد أى سن الله غلبة أنبيائه سنة وهو قوله تعالى لاغلبن أنا ورسلى (أيديهم) أيدى أهل مكة أى قضى بينهم وبينكم المكافة والمحاجزة بعد ما خولكم الظفر عليهم والغلبة وذلك يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن مكة فتحت عنوة لا صلحا وقيل كان ذلك فى غزوة الحديبية لما روى أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من هزمه وأدخله حيطان مكة وعن ابن عباس رضى الله عنه أظهر الله المسلمين عليهم بالحجارة حتى أدخلوهم البيوت * وقرئ تعملون بالتاء والياء * قرئ والهدى والهدى بتخفيف الياء وتشديدها وهو ما يهدى الى الكعبة بالنصب عطفا على الضمير المنصوب فى صدوكم أى صدوكم وصدوا الهدى وبالجر عطفا على المسجد الحرام بمعنى وصدوكم عن نحر الهدى (معكوفا أن يبلغ محله) محبوسا عن أن يبلغ وبالرفع على وصد الهدى ومحله مكانه الذى يحل فيه نحره أى يجب وهذا دليل لابى حنيفة على أن المحصر محل هديه الحرم (فان قلت) فكيف حل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه وانما نحر هديهم بالحديبية (قلت) بعض الحديبية من الحرم وروى أن مضارب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم (فان قلت) فاذن قد نحر فى الحرم فلم قيل معكوفا أن يبلغ محله (قلت) المراد المحل المعهود وهو منى (لم تعلموهم) صفة للرجال والنساء جميعا و (أن تطؤهم) بدل اشتمال منهم أو من الضمير المنصوب فى تعلموهم * والمعرة مفعلة من عره بمعنى عراه اذا دهاه ما يكره ويشق عليه و (بغير علم) متعلق بأن تطؤهم يعنى أن تطؤهم غير عالمين بهم والوطء والدوس عبارة عن الايقاع والابادة قال

ووطئتنا وطأ على حنق * وطء المقيد نابت الهرم

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وان آخر وطأة وطئها الله بوج والمعنى أنه كان بمكة قوم من المسلمين مختلطون بالمشركين غير متميزين منهم ولا معروفى الاماكن فقيل ولولا كراهة أن تهلكوا ناسا مؤمنين بين ظهرانى المشركين وأنتم غير عارفين بهم فيصيبكم باهلاكهم مكروه ومشقة لما كف أيديكم عنهم وحذف جواب لولا لدلالة الكلام عليه ويجوز أن يكون لو تزيلوا كالتكرير للولا رجال مؤمنون لمرجعهما الى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب (فان قلت) أى معرة تصيبهم اذا قتلوهم وهم لا يعلمون (قلت) يصيبهم وجوب الدية والكفارة وسوء قالة المشركين انهم فعلوا بأهل دينهم مثل ما فعلوا بنا من غير تمييز والمأثم اذا جرى منهم بعض التقصير (فان قلت) قوله تعالى (ليدخل الله فى رحمته من يشاء) تعليل لماذا (قلت) لما دلت عليه الآية وسيقت له من كف الايدى عن أهل مكة والمنع من قتلهم صونا لمن بين أظهرهم من المؤمنين كأنه قال كان الكف ومنع التعذيب ليدخل الله فى رحمته أى فى توفيقه لزيادة الخير والطاعة مؤمنيهم أو ليدخل فى الاسلام من رغب فيه من مشركيهم (لو تزيلوا) لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض من زاله يزيله وقرئ لو تزايلوا (إذ) يجوز أن يعمل فيه ما قبله أى لعذبناهم أو صدوهم عن المسجد الحرام فى ذلك الوقت وأن ينتصب باضمار اذكر * والمراد بحمية الذين كفروا وسكينة المؤمنين والحمية الانفة والسكينة الوقار ما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية بعثت قريش سهيل بن عمرو القرشى وحويطب بن عبد العزى ومكرز بن حفص بن الاخيف على أن يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتابا فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل وأصحابه ما نعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل مكة فقالوا لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال عليه الصلاة

سنة الله التى قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا وهو الذى كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيرا هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله فى رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما اذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم

* قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم الى قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما (قال فيه يجوز أن يكون جواب لولا محذوفا الخ) قال أحمد وانما كان مرجعهما ههنا واحدا وان كانت لولا تدل على امتناع لوجود ولو تدل على امتناع لامتناع وبين هذين تناف ظاهر لان لولا ههنا دخلت على وجود ولو دخلت على قوله تزيلوا وهو راجع الى عدم وجودهم وامتناع عدم الوجود وجود فآلا الى أمر واحد من هذا الوجه وكان جدى رحمه الله يختار هذا الوجه الثانى ويسميه تطرية وأكثر ما تكون اذا تطاول الكلام وبعد عهد أوله واحتيج الى رد الآخر على الاول فمرة يطرى بلفظه ومرة بلفظ آخر يؤدى مؤداه وقد تقدمت لهما أمثال والله أعلم وهو الموفق

والسلام اكتب ما يريدون فأنا أشهد أنى رسول الله وأنا محمد بن عبد الله فهم المسلمون أن يأبوا ذلك ويشمئزوا منه فأنزل الله على رسوله السكينة فتوقروا وحلموا و (كلمة التقوى) بسم الله الرحمن الرحيم ومحمد رسول الله قد اختارها الله لنبيه وللذين معه أهل الخير ومستحقيه ومن هم أولى بالهداية من غيرهم وقيل هى كلمة الشهادة وعن الحسن رضى الله عنه كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد ومعنى اضافتها الى التقوى أنها سبب التقوى وأساسها وقيل كلمة أهل التقوى * وفى مصحف الحرث بن سويد صاحب عبد الله وكانوا أهلها وأحق بها وهو الذى دفن مصحفه أيام الحجاج * رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه الى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها فى عامهم وقالوا ان رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم حق فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبى وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت ومعنى (صدق الله رسوله الرؤيا) صدقه فى رؤياه ولم يكذبه تعالى الله عن الكذب وعن كل قبيح علوا كبيرا فحذف الجار وأوصل الفعل كقوله تعالى صدقوا ما عاهدوا الله عليه (فان قلت) بم تعلق (بالحق) قلت إما بصدق أى صدقه فيما رأى وفى كونه وحصوله صدقا ملتبسا بالحق أى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وذلك ما فيه من الابتلاء والتمييز بين المؤمن المخلص وبين من فى قلبه مرض ويجوز أن يتعلق بالرؤيا حالا منها أى صدقه الرؤيا ملتبسا بالحق على معنى أنها لم تكن من أضغاث الاحلام ويجوز أن يكون بالحق قسما إما بالحق الذى هو نقيض الباطل أو بالحق الذى هو من أسمائه و (لتدخلن) جوابه وعلى الاول هو جواب قسم محذوف (فان قلت) ما وجه دخول (ان شاء الله) فى اخبار الله عز وجل (قلت) فيه وجوه أن يعلق عدته بالمشيئة تعليما لعباده أن يقولوا فى عداتهم مثل ذلك متأدبين بأدب الله ومقتدين بسنته وأن يريد لتدخلن جميعا ان شاء الله ولم يمت منكم أحد أو كان ذلك على لسان ملك فأدخل الملك ان شاء الله أو هى حكاية ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه وقص عليهم وقيل هو متعلق بآمنين (فعلم ما لم تعلموا) من الحكمة والصواب فى تأخير فتح مكة الى العام القابل (فجعل من دون ذلك) أى من دون فتح مكة (فتحا قريبا) وهو فتح خيبر لتستروح اليه قلوب المؤمنين الى أن يتيسر الفتح الموعود (بالهدى ودين الحق) بدين الاسلام (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جنس الدين كله يريد الاديان المختلفة من أديان المشركين والجاحدين من أهل الكتاب ولقد حقق ذلك سبحانه فانك لا ترى دينا قط الا وللاسلام دونه العز والغلبة وقيل هو عند نزول عيسى حين لا يبقى على وجه الارض كافر وقيل هو اظهاره بالحجج والآيات وفى هذه الآية تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أن الله تعالى سيفتح لهم من البلاد ويقيض لهم من الغلبة على الاقاليم ما يستقلون اليه فتح مكة (وكفى بالله شهيدا) على ان ما وعده كائن عن الحسن رضى الله عنه شهد على نفسه أنه سيظهر دينك (محمد) اما خبر مبتدأ أى هو محمد لتقدم قوله تعالى هو الذى أرسل رسوله واما مبتدأ ورسول الله عطف بيان وعن ابن عامر أنه قرأ رسول الله بالنصب على المدح (والذين معه) أصحابه (أشداء على الكفار رحماء بينهم) جمع شديد ورحيم ونحوه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين واغلظ عليهم بالمؤمنين رؤف رحيم وعن الحسن رضى الله عنه بلغ من تشددهم على الكفار أنهم كانوا يتحرزون من ثيابهم أن تلزق بثيابهم ومن أبدانهم أن تمس أبدانهم وبلغ من ترحمهم فيما بينهم أنه كان لا يرى مؤمن مؤمنا الا صافحه وعانقه والمصافحة لم تختلف فيها الفقهاء وأما المعانقة فقد كرهها أبو حنيفة رحمه الله وكذلك التقبيل قال لا أحب أن يقبل الرجل من الرجل وجهه ولا يده ولا شيأ من جسده وقد رخص أبو يوسف فى المعانقة ومن حق المسلمين فى كل زمان أن يراعوا هذا التشدد وهذا التعطف فيتشددوا على من ليس على ملتهم ودينهم ويتحاموه ويعاشروا اخوتهم فى الاسلام متعطفين بالبر والصلة وكف الاذى والمعونة والاحتمال والاخلاق السجيحة ووجه من قرأ أشداء ورحماء بالنصب أن ينصبهما على المدح أو على الحال بالمقدر فى معه ويجعل تراهم الخبر (سيماهم) علامتهم وقرئ سيماؤهم وفيها ثلاث لغات هاتان والسيماء والمراد بها السمة التى تحدث فى جبهة السجاد من كثرة السجود وقوله تعالى

كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شئ عليما لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم

(من أثر السجود) يفسرها أى من التأثير الذى يؤثره السجود وكان كل من العليين على بن الحسين زين العابدين وعلى بن عبد الله بن عباس أبى الاملاك يقال له ذو الثفنات لان كثرة سجودهما أحدثت فى مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير وقرئ من أثر السجود ومن آثار السجود وكذا عن سعيد بن جبير هى السمة فى الوجه (فان قلت) فقد جاء عن النبى صلى الله عليه وسلم لا تعلبوا صوركم وعن ابن عمر رضى الله عنه أنه رأى رجلا قد أثر فى وجهه السجود فقال ان صورة وجهك أنفك فلا تعلب وجهك ولا تشن صورتك (قلت) ذلك اذا اعتمد بجبهته على الارض لتحدث فيه تلك السمة وذلك رياء ونفاق يستعاذ بالله منه ونحن فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لا يسجد الا خالصا لوجه الله تعالى وعن بعض المتقدمين كنا نصلى فلا يرى بين أعيننا شئ ونرى أحدنا الآن يصلى فيرى بين عينيه ركبة البعير فما ندرى أثقلت الارؤس أم خشنت الارض وانما أراد بذلك من تعمد ذلك للنفاق وقيل هو صفرة الوجه من خشية الله وعن الضحاك ليس بالندب فى الوجوه ولكنه صفرة وعن سعيد بن المسيب ندى الطهور وتراب الارض وعن عطاء رحمه الله استنارت وجوههم من طول ما صلوا بالليل كقوله من كثر صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار (ذلك) الوصف (مثلهم) أى وصفهم العجيب الشأن فى الكتابين جميعا ثم ابتدأ فقال (كزرع) يريدهم كزرع وقيل تم الكلام عند قوله ذلك مثلهم فى التوراة ثم ابتدئ ومثلهم فى الانجيل كزرع ويجوز أن يكون ذلك اشارة مبهمة أوضحت بقوله كزرع أخرج شطأه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين * وقرئ الانجيل بفتح الهمزة (شطأه) فراخه يقال أشطأ الزرع اذا فرخ وقرئ شطأه بفتح الطاء وشطاه بتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها الى ما قبلها وشطوه بقلبها واوا (فآزره) من المؤازرة وهى المعاونة وعن الاخفش أنه أفعل وقرئ فأزره بالتخفيف والتشديد أى فشد أزره وقواه ومن جعل آزر أفعل فهو فى معنى القراءتين (فاستغلظ) فصار من الدقة الى الغلظ (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقيل مكتوب فى الانجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وعن عكرمة أخرج شطأه بأبى بكر فآزره بعمر فاستغلظ بعثمان فاستوى على سوقه بعلى وهذا مثل ضربه الله لبدء أمر الاسلام وترقيه فى الزيادة الى أن قوى واستحكم لان النبى صلى الله عليه وسلم قام وحده ثم قواه الله بمن آمن معه كما يقوى الطاقة الاولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزراع (فان قلت) قوله (ليغيظ بهم الكفار) تعليل لماذا (قلت) لما دل عليه تشبيههم بالزرع من نمائهم وترقيهم فى الزيادة والقوة ويجوز أن يعلل به (وعد الله الذين آمنوا) لان الكفار اذا سمعوا بما أعد لهم فى الآخرة مع ما يعزهم به فى الدنيا غاظهم ذلك ومعنى (منهم) البيان كقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع محمد فتح مكة

﴿سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* قدمه وأقدمه منقولان بتثقيل الحشو والهمزة من قدمه اذا تقدمه فى قوله تعالى يقدم قومه ونظيرهما معنى ونقلا سلفه وأسلفه وفى قوله تعالى (لا تقدموا) من غير ذكر مفعول وجهان أحدهما أن يحذف ليتناول كل ما يقع فى النفس مما يقدم والثانى أن لا يقصد قصد مفعول ولا حذفه ويتوجه بالنهى الى نفس التقدمة كأنه قيل لا تقدموا على التلبس بهذا الفعل ولا تجعلوه منكم بسبيل كقوله تعالى هو الذى يحيى ويميت ويجوز أن يكون من قدم بمعنى تقدم كوجه وبين ومنه مقدمة الجيش خلاف ساقته وهى الجماعة المتقدمة منه وتعضده قراءة من قرأ لا تقدموا بحذف احدى تاءى تتقدموا الا أن الاول أملأ بالحسن وأوجه وأشد

فاسق بنبا (ذكر فيه من النكت أنه تعالى ابتدأ السورة بايجاب أن يكون الامر الذى ينتهى الى الله ورسوله متقدما على الامور كلها من غير تقييد ولا تخصيص) قال أحمد يريد أنه لم يذكر المفعول

من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما

﴿سورة الحجرات مدنية وهى ثمان عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله

الذى يتقاضاه تقدموا باطراح ذلك المفعول كقوله يحيى ويميت وحمل الكلام بمجاز التمثيل فى قوله بين يدى الله ورسوله بفائدة ليست فى الكلام العريان وهو تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على أمر دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة وجعل صورة ذلك المنهى عنه مثل أن يجلس العبد فى الجهتين المسامتتين ليمين سيده ملاءمة

ويساره ويوليه دبره ومعناه ان لا تقدموا على أمر حتى يأذن الله ورسوله فيه فتكونوا مقتدين فيما تأتون وتذرون بكتاب الله وسنة نبيه

ملاءمة لبلاغة القرآن والعلماء له أقبل وقرئ لا تقدموا من القدوم أى لا تقدموا الى أمر من أمور الدين قبل قدومهما ولا تعجلوا عليهما * وحقيقة قولهم جلست بين يدى فلان أن يجلس بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله قريبا منه فسميت الجهتان يدين لكونهما على سمت اليدين مع القرب منهما توسعا كما يسمى الشئ باسم غيره اذا جاوره وداناه فى غير موضع وقد جرت هذه العبارة ههنا على سنن ضرب من المجاز وهو الذى يسميه أهل البيان تمثيلا ولجريها هكذا فائدة جليلة ليست فى الكلام العريان وهى تصوير الهجنة والشناعة فيما نهوا عنه من الاقدام على أمر من الامور دون الاحتذاء على أمثلة الكتاب والسنة والمعنى أن لا تقطعوا أمرا الا بعد ما يحكمان به ويأذنان فيه فتكونوا اما عاملين بالوحى المنزل واما مقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه يدور تفسير ابن عباس رضى الله عنه وعن مجاهد لا تفتاتوا على الله شيأ حتى يقصه على لسان رسوله ويجوز أن يجرى مجرى قولك سرنى زيد وحسن حاله وأعجبت بعمرو وكرمه وفائدة هذا الاسلوب الدلالة على قوة الاختصاص ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من الله بالمكان الذى لا يخفى سلك به ذلك المسلك وفى هذا تمهيد وتوطئة لما نقم منهم فيما يتلوه من رفع أصواتهم فوق صوته لان من أحظاه الله بهذه الاثرة واختصه هذا الاختصاص القوى كان أدنى ما يجب له من التهيب والاجلال أن يخفض بين يديه الصوت ويخافت لديه بالكلام وقيل بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى تهامة سرية سبعة وعشرين رجلا وعليهم المنذر بن عمرو الساعدى فقتلهم بنو عامر وعليهم عامر بن الطفيل الا ثلاثة نفر نجوا فلقوا رجلين من بنى سليم قرب المدينة فاعتزيا لهم الى بنى عامر لانهم أعز من بنى سليم فقتلوهما وسلبوهما ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئسما صنعتم كانا من سليم والسلب ما كسوتهما فوداهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزلت أى لا تعملوا شيأ من ذات أنفسكم حتى تستأمروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مسروق دخلت على عائشة فى اليوم الذى يشك فيه فقالت للجارية اسقيه عسلا فقلت انى صائم فقالت قد نهى الله عن صوم هذا اليوم وفيه نزلت وعن الحسن أن أناسا ذبحوا يوم الاضحى قبل الصلاة فنزلت وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعيدوا ذبحا آخر وهذا مذهب أبى حنيفة رحمه الله الا أن تزول الشمس وعند الشافعى يجوز الذبح اذا مضى من الوقت مقدار الصلاة وعن الحسن أيضا لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة أتته الوفود من الآفاق فأكثروا عليه بالمسائل فنهوا أن يبتدؤه بالمسئلة حتى يكون هو المبتدئ وعن قتادة ذكر لنا أن ناسا كانوا يقولون لو أنزل فى كذا لكان كذا فكره الله ذلك منهم وأنزلها وقيل هى عامة فى كل قول وفعل ويدخل فيه أنه اذا جرت مسئلة فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسبقوه بالجواب وأن لا يمشى بين يديه الا لحاجة وأن يستأنى فى الافتتاح بالطعام (واتقوا الله) فانكم ان اتقيتموه عاقتكم التقوى عن التقدمة المنهى عنها وعن جميع ما تقتضى مراقبة الله تجنبه فان التقى حذر لا يشافه أمرا الا عن ارتفاع الريب وانجلاء الشك فى أن لا تبعة عليه فيه وهذا كما تقول لمن يقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق بك العار فتنهاه أولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل فيه أمرك لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب فى طريقها ويتعلق بسببها (ان الله سميع) لما تقولون (عليم) بما تعملون وحق مثله أن يتقى ويراقب * اعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد وتطرية الانصات لكل حكم نازل وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم وما أخذوا به عند حضور مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم من الادب الذى المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى فى دينهم وذلك لان فى اعظام صاحب الشرع اعظام ما ورد به ومستعظم الحق لا يدعه استعظامه أن يألو عملا بما يحدوه عليه وارتداعا عما يصده عنه وانتهاء الى كل خير والمراد بقوله (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) أنه اذا نطق ونطقتم فعليكم أن لا تبلغوا بأصواتكم وراء الحد الذى يبلغه بصوته وأن تغضوا منها بحيث يكون كلامه عاليا لكلامكم وجهره باهرا لجهركم حتى تكون مزيته عليكم لائحة وسابقته واضحة وامتيازه عن جمهوركم كشية الابلق غير خاف لا أن تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم * وبقوله ولا تجهروا له بالقول

واتقوا الله ان الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى

* قال وقوله واتقوا الله على اثر ذلك بمنزلة قولك لمقارف بعض الرذائل لا تفعل هذا وتحفظ مما يلصق العار بك فتنهاه أولا عن عين ما قارفه ثم تعم وتشيع وتأمره بما لو امتثل أمرك فيه لم يرتكب تلك الفعلة وكل ما يضرب فى طريقها ويتعلق بسببها * وقوله ان الله سميع عليم أى حقيق أن يتقى ويراقب * وقوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى جدد النداء عليهم استدعاء لتجديد الاستبصار والتيقظ والتنبه عند كل خطاب وارد وتطرية للانصات منهم لكل حكم نازل * وقوله لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى أى اذا نطق ونطقتم فلتكن أصواتكم قاصرة عن الحد الذى يبلغه صوته ليكون عاليا

على كلامكم وجهره باهر الجهركم لا أن تغمروا صوته بلغطكم وتبهروا منطقه بصخبكم * وقوله ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أى اذا كان صامتافابتدأ تموه (١١٨) بالخطاب فاياكم والعدول عمانهيتم عنه من رفع أصواتكم بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم * قال ولا يتناول النهى الرفع الذى لا يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان بينهم فى حرب أو مجادلة معانده أو ارهاب عدو ونحوه ففى الحديث أنه قال للعباس وكان أجهر الناس صوتا لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس ويروى من جهارة صوت العباس أنه

ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك

صاح فى غارة ياصباحاه فاسقطت الحوامل وفيه يقول نابغة بنى جعدة * زجر أبى عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم وزعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع فى جوفه * قوله تعالى أن تحبط أعمالكم (قال فيه انه مفعول له ومتعلقه اما معنى النهى كأنه قال انتهوا كراهية حبوط أعمالكم على حذف مضاف كقوله يبين الله لكم أن تضلوا وامانفس الفعل فهو المنهى عنه على معنى تنزيل صيرورة الجهر المنهى عنه الى الحبوط منزلة جعل الحبوط علة فى الجهر على التمثيل من وادى ليكون لهم عدوا وحزنا قال وتلخيص الفرق بينهما انه على الثانى يقدر انضمام المفعول من أجله الى الفعل الاول الخ) قال أحمد هو يحوم على شرعة وبيئة ايالك وورودها

أنكم اذا كلمتموه وهو صامت فاياكم والعدول عمانهيتم عنه من رفع الصوت بل عليكم أن لا تبلغوا به الجهر الدائر بينكم وأن تتعمدوا فى مخاطبته القول اللين المقرب من الهمس الذى يضاد الجهر كما تكون مخاطبة المهيب المعظم عاملين بقوله عزاسمه وتعزروه وتوقروه وقيل معنى (ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض) لا تقولوا له يا محمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر رضى الله عنه يا رسول الله والله لا أكلمك الا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكلم النبى صلى الله عليه وسلم كأخى السرار لا يسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر اذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد أرسل اليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس الغرض برفع الصوت ولا الجهر ما يقصد به الاستخفاف والاستهانة لان ذلك كفر والمخاطبون مؤمنون وانما الغرض صوت هو فى نفسه والمسموع من جرسه غير مناسب لما يهاب به العظماء ويوقر الكبراء فيتكلف الغض منه ورده الى حد يميل به الى ما يستبين فيه المأمور به من التعزير والتوقير ولم يتناول النهى أيضا رفع الصوت الذى لا يتأذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما كان منهم فى حرب أو مجادلة معاند أو ارهاب عدو أو ما أشبه ذلك ففى الحديث أنه قال عليه الصلاة والسلام للعباس بن عبد المطلب لما انهزم الناس يوم حنين اصرخ بالناس وكان العباس أجهر الناس صوتا يروى أن غارة أتتهم يوما فصاح العباس ياصباحاه فأسقطت الحوامل لشدة صوته وفيه يقول نابغة بنى جعدة

زجر أبى عروة السباع اذا * أشفق أن يختلطن بالغنم

زعمت الرواة أنه كان يزجر السباع عن الغنم فيفتق مرارة السبع فى جوفه وفى قراءة ابن مسعود لا ترفعوا بأصواتكم والباء مزيدة محذو بها حذو التشديد فى قول الاعلم الهذلى

رفعت عينى بالحجا * زالى أناس بالمناقب

وليس المعنى فى هذه القراءة أنهم نهوا عن الرفع الشديد تخيلا أن يكون مادون الشديد مسوغا لهم ولكن المعنى نهيهم عما كانوا عليه من الجلبة واستجفاؤهم فيما كانوا يفعلون وعن ابن عباس نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى أذنه وقر وكان جهورى الصوت فكان اذا تكلم رفع صوته وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس أن هذه الآية لما نزلت فقد ثابت فتفقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد أنزلت اليك هذه الآية وانى رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملى قد حبط فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لست هناك انك تعيش بخير وتموت بخير وانك من أهل الجنة وأما ما روى عن الحسن انها نزلت فيمن كان يرفع صوته من المنافقين فوق صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحمله والخطاب للمؤمنين على أن ينهى المؤمنون ليندرج المنافقون تحت النهى ليكون الامر أغلظ عليهم وأشق وقيل كان المنافقون يرفعون أصواتهم ليظهروا قلة مبالاتهم فيقتدى بهم ضعفة المسلمين وكاف التشبيه فى محل النصب أى لا تجهروا له جهرا مثل جهر بعضكم لبعض وفى هذا أنهم لم ينهوا عن الجهر مطلقا حتى لا يسوغ لهم أن يكلموه الا بالهمس والمخافتة وانما نهوا عن جهر مخصوص مقيد بصفة أعنى الجهر المنعوت بمماثلة ما قد اعتادوه منه فيما بينهم وهو الخلو من مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وانحطاط سائر الرتب وان جلت عن رتبتها (أن تحبط أعمالكم) منصوب الموضع على أنه مفعول له وفى متعلقه وجهان أحدهما أن يتعلق بمعنى النهى فيكون المعنى انتهوا عما نهيتم عنه لحبوط

ذلك أنه يعتقد أن مادون الكفر ولو كبيرة واحدة تحبط العمل وتوجب الخلود فى العذاب المقيم وتخرج المؤمن من اسم الايمان ورسمه ومعاذ الله من هذا المعتقد فعليك بعقيدة أهل السنة الممهدة فى مواضع من هذا المجموع فجدد العهد بها وهى اعتقاد ان المؤمن لا يخلد فى النار وان الجنة له بوعد الله حتم ولو كانت خطاياه مادون الشرك أو ما يؤدى اليه كزبد البحر وانه لا تحبط حسنة سيئة طارئة كائنة ما كانت سوى الشرك والزمخشرى اغتنم الفرصة فى ظاهر هذه الآية فنزلها على معتقده ووجه ظهورها فيما يدعيه أن رفع الصوت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم معصية لا تبلغ الشرك وقد أخاف الله عباده من احباطه الاعمال بها ولو كان الاحباط مقطوعا بنفيه لم تستقم الاخافة به وأنى له أن يبلغ من ذلك آماله ونظم الكلام يأباه عند البصر بمعناه (١١٩) فنقول المراد فى الآية النهى عن رفع الصوت على الاطلاق ومعلوم أن حكم النهى الحذر مما يتوقع فى ذلك من ايذاء النبى عليه السلام والقاعدة المختارة ان ايذاءه عليه الصلاة والسلام يبلغ مبلغ الكفر المحبط للعمل باتفاق فورد النهى عما هو مظنة لاذى النبى

الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم

عليه الصلاة والسلام سواء وجد هذا المعنى أولا حماية للذريعة وحسما للمادة ثم لما كان هذا المنهى عنه وهو رفع الصوت منقسما الى ما يبلغ ذلك المبلغ أولا ولا دليل يميز أحد القسمين عن الآخر لزم المكلف أن يكف عن ذلك مطلقا وخوف أن يقع فيما هو محبط للعمل وهو البالغ حد الايذاء اذ لا دليل ظاهر يميزه وان كان فلا يتفق تمييزه فى كثير من الاحيان والى التباس أحد القسمين بالآخر وقعت الاشارة بقوله أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون والا فلو كان الامر على ما يعتقده الزمخشرى لم يكن لقوله وأنتم لا تشعرون موقع اذ الامر بين أن يكون رفع الصوت مؤذيا فيكون كفرا محبطا قطعا وبين أن يكون غير مؤذ فيكون كبيرة محبطة على رأيه قطعا فعلى كلا حاليه الاحباط به محقق اذا فلا موقع لادعام الكلام بعدم الشعور مع أن الاحباط ثابت مطلقا والله أعلم وهذا التقرير الذى ذكرته يدور على مقدمتين كلتاهما صحيحة احداهما أن رفع الصوت من جنس ما يحصل به الايذاء وهذا أمر يشهد به النقل والمشاهدة الآن حتى ان الشيخ ليتأذى برفع التلميذ صوته بين يديه فكيف برتبة النبوة وما يستحقه من الاجلال والاعظام المقدمة الاخرى ان ايذاء النبى صلى الله عليه وسلم كفر وهذا أمر ثابت قد نص عليه أئمتنا وأفتوا بقتل من تعرض لذلك كفرا ولا تقبل توبته فما أتاه أعظم عند الله وأكبر والله الموفق

أعمالكم أى لخشية حبوطها على تقدير حذف المضاف كقوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا والثانى أن يتعلق بنفس الفعل ويكون المعنى أنهم نهوا عن الفعل الذى فعلوه لاجل الحبوط لانه لما كان بصدد الاداء الى الحبوط جعل كانه فعل لاجله وكأنه العلة والسبب فى ايجاده على سبيل التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدوا (فان قلت) لخص الفرق بين الوجهين (قلت) تلخيصه أن يقدر الفعل فى الثانى مضموما اليه المفعول له كأنهما شئ واحد ثم يصب النهى عليهما جميعا صبا وفى الاول يقدر النهى موجها على الفعل على حياله ثم يعلل له منهيا عنه (فان قلت) بأى النهيين تعلق المفعول له (قلت) بالثانى عند البصريين مقدرا اضماره عند الاول كقوله تعالى آتونى أفرغ عليه قطرا وبالعكس عند الكوفيين وأيهما كان فرجع المعنى الى أن الرفع والجهر كلاهما منصوص اداؤه الى حبوط العمل وقراءة ابن مسعود فتحبط أعمالكم أظهر نصا بذلك لان ما بعد الفاء لا يكون الا مسببا عما قبله فيتنزل الحبوط من الجهر منزلة الحلول من الطغيان فى قوله تعالى فيحل عليكم غضبى والحبوط من حبطت الابل اذا أكلت الخضر فنفخ بطونها وربما هلكت ومنه قوله عليه الصلاة والسلام وان مما ينبت الربيع لما يقتل حبطا أو يلم ومن أخواته حبجت الابل اذا أكلت العرفج فاصابها ذلك وأحبض عمله مثل أحبطه وحبط الجرح وحبر اذا غفر وهو نكسه وترامى الى الفساد جعل العمل السئ فى اضراره بالعمل الصالح كالداء والحرض لمن يصاب به أعاذنا الله من حبط الاعمال وخيبة الآمال وقد دلت الآية على أمرين هائلين أحدهما أن فيما يرتكب من يؤمن من الآثام ما يحبط عمله والثانى أن فى آثامه ما لا يدرى أنه محبط ولعله عند الله كذلك فعلى المؤمن أن يكون فى تقواه كالماشى فى طريق شائك لا يزال يحترز ويتوقى ويتحفظ (امتحن الله قلوبهم للتقوى) من قولك امتحن فلان لامر كذا وجرب له ودرب للنهوض به فهو مضطلع به غير وان عنه والمعنى أنهم صبر على التقوى أقوياء على احتمال مشاقها أو وضع الامتحان موضع المعرفة لان تحقق الشئ باختباره كما يوضع الخبر موضعها فكأنه قيل عرف الله قلوبهم للتقوى وتكون اللام متعلقة بمحذوف واللام هى التى فى قولك أنت لهذا الامر أى كائن له ومختص به قال

أنت لها أحمد من بين البشر * أعداء من لليعملات على الوجى *

وهى مع معمولها منصوبة على الحال أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لاجل التقوى أى لتثبت وتظهر تقواها ويعلم أنهم متقون لان حقيقة التقوى لا تعلم الا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها وقيل أخلصها للتقوى من قولهم امتحن الذهب وفتنه اذا أذابه فخلص ابريزه من خبثه ونقاه وعن عمر رضى الله عنه أذهب الشهوات عنها والامتحان افتعال من محنه وهو اختبار بليغ أو بلاء جهيد قال أبو عمرو كل شئ جهدته فقد محنته وأنشد

أتت رذايا باديا كلالها * قد محنت واضطربت آطالها

قيل أنزلت فى الشيخين رضى الله عنهما لما كان منهما من غض الصوت والبلوغ به أخا السرار وهذه الآية بنظمها الذى رتبت عليه من ايقاع الغاضين أصواتهم اسما لان المؤكدة وتصيير خبرها جملة من مبتدا وخبر معرفتين معا والمبتدأ اسم الاشارة واستئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم وايراد الجزاء نكرة مبهما أمره ناظرة فى الدلالة على غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خفض أصواتهم وفى الاعلام بمبلغ عزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدر شرف منزلته وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء * والوراء الجهة التى يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام ومن لابتداء الغاية وأن المناداة نشأت من ذلك المكان (فان قلت) افرق بين الكلامين بين ما تثبت فيه وما تسقط عنه (قلت) الفرق بينهما أن المنادى والمنادى فى أحدهما يجوز أن يجمعهما الوراء وفى الثانى لا يجوز لان الوراء تصير بدخول من مبتدأ الغاية ولا يجتمع على الجهة الواحدة أن تكون مبتدأ ومنتهى لفعل واحد والذى يقول نادانى فلان من وراء الدار لا يريد وجه الدار ولا دبرها ولكن أى قطر من أقطارها الظاهرة كان مطلقا بغير تعيين واختصاص والانكار لم يتوجه عليهم من قبل أن النداء وقع منهم فى أدبار الحجرات أو فى وجوهها وانما أنكر عليهم أنهم نادوه من البر والخارج مناداة الاجلاف بعضهم لبعض من غير قصد الى جهة دون جهة * والحجرة الرقعة من الارض المحجورة بحائط يحوط عليها وحظيرة الابل تسمى الحجرة وهى فعلة بمعنى مفعولة كالغرفة والقبضة وجمعها الحجرات بضمتين والحجرات بفتح الجيم والحجرات بتسكينها وقرئ بهن جميعا والمراد حجرات نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت لكل واحدة منهن حجرة ومناداتهم من ورائها يحتمل أنهم قد تفرقوا على الحجرات متطلبين له فناداه بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك وأنهم قد أتوها حجرة حجرة فنادوه من ورائها وأنهم نادوه من وراء الحجرة التى كان فيها ولكنها جمعت اجلالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمكان حرمته والفعل وان كان مسندا الى جميعهم فانه يجوز أن يتولاه بعضهم وكان الباقون راضين فكأنهم تولوه جميعا فقد ذكر الاصم أن الذى ناداه عيينة بن حصن والاقرع بن حابس * والاخبار عن أكثرهم بأنهم لا يعقلون يحتمل أن يكون فيهم من قصد بالمحاشاة ويحتمل أن يكون الحكم بقلة العقلاء فيهم قصدا الى نفى أن يكون فيهم من يعقل فان القلة تقع موقع النفى فى كلامهم وروى أن وفد بنى تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت الظهيرة وهو راقد فجعلوا ينادونه يا محمد اخرج الينا فاستيقظ فخرج ونزلت وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فقال هم جفاة بنى تميم لولا أنهم من أشد الناس قتالا للاعور الدجال لدعوت الله عليهم أن يهلكهم فورود الآية على النمط الذى وردت عليه فيه ما لا يخفى على الناظر من بينات اكبار محل رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلاله منها مجيئها على النظم المسجل على الصائحين به بالسفه والجهل لما أقدموا عليه ومنها التفظ الحجرات وايقاعها كناية عن موضع خلوته ومقيله مع بعض نسائه ومنها المرور على لفظها بالاقتصار على القدر الذى تبين به ما استنكر عليهم ومنها التعريف باللام دون الاضافة ومنها أن شفع ذمهم باستجفائهم واستركاك عقولهم وقلة ضبطهم لمواضع التمييز فى المخاطبات تهوينا للخطب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسلية له واماطة لما تداخله من ايحاش تعجرفهم وسوء أدبهم وهلم جرا من أول السورة الى آخر هذه الآية فتأمل كيف ابتدئ بايجاب أن تكون الامور التى تنتمى الى الله ورسوله متقدمة على الامور كلها من غير حصر ولا تقييد ثم أردف ذلك النهى عما هو من جنس التقديم من رفع الصوت والجهر كأن الاول بساط للثانى ووطاء لذكره ثم ذكر ما هو ثناء على الذين تحاموا ذلك فغضوا أصواتهم دلالة على عظيم موقعه عند الله ثم جىء على عقب ذلك بما هو أطم وهجنته أتم من الصياح برسول الله صلى الله عليه وسلم فى حال خلوته ببعض حرماته من وراء الجدر كما يصاح بأهون الناس قدرا لينبه على فظاعة ما أجروا اليه وجسروا عليه لان من رفع الله قدره عن أن يجهر له بالقول حتى خاطبه جلة المهاجرين والانصار بأخى السرار كان صنيع هؤلاء من المنكر الذى بلغ من التفاحش مبلغا ومن هذا وأمثاله يقتطف ثمر الالباب وتقتبس محاسن الآداب كما يحكى عن أبى عبيد ومكانه من العلم والزهد وثقة الرواية ما لا

يخفى

ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون

* قوله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (قال فيه الوراء الجهة التى يواريها عنك الشخص بظله من خلف أو قدام الخ) قال أحمد ولقد اغتر بعضهم فى تبكيت بنى تميم بما لا تساعده عليه الآية فانها نزلت فى المتولين لمناداة النبى عليه الصلاة والسلام أو فى الحاضرين حينئذ الراضين بفعل المنادين له وقد سئل عليه الصلاة والسلام عنهم فقال هم جفاة بنى تميم وعلى الجملة ولا تزر وازرة وزر أخرى فكيف يسوغ اطلاق اللسان بالسوء فى حق أمة عظيمة لان واحدا منهم أو اثنين ارتكب جهالة وجفاء فقد وردان المنادى له عليه السلام هو الاقرع هذا مع توارد الاحاديث فى فضائل تميم وتخليدها وجوه الكتب الصحاح * عاد كلامه (قال وتأمل نظم الآية ومجيئها على النمط المسجل على الصائحين الخ)

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (قال فيه نكر فاسقا ونبأ لقصد الشياع فكأنه قيل أى فاسق جاءكم بأى نبأ) قال أحمد تسامح بلفظ الشياع والمراد الشمول لان النكرة اذا وقعت فى سياق الشرط ثم كما اذا وقعت فى سياق النفى والله أعلم * عاد كلامه (قال وعدل عن اذا الى ان لان مجىء الفاسق بالكذب لرسول الله ولاصحابه عما يندر الخ * قوله تعالى واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان الآية (قال فيه الجملة المصدرة بلو لا تكون مستأنفة لادائه الى تنافر النظم الخ) قال أحمد من جملة هنات المعتزلة تلبهم على عثمان

يعنى أنه قال ما دققت بابا على عالم قط حتى يخرج فى وقت خروجه (أنهم صبروا) فى موضع الرفع على الفاعلية لان المعنى ولو ثبت صبرهم والصبر حبس النفس عن أن تنازع الى هواها قال الله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم وقولهم صبر عن كذا محذوف منه المفعول وهو النفس وهو حبس فيه شدة ومشقة على المحبوس فلهذا قيل للحبس على اليمين أو القتل صبر وفى كلام بعضهم الصبر مر لا يتجرعه الا حر (فان قلت) هل من فرق بين (حتى تخرج) والى أن تخرج (قلت) ان حتى مختصة بالغاية المضروبة تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولو قلت حتى نصفها أو صدرها لم يجز والى عامة فى كل غاية فقد أفادت حتى بوضعها أن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم غاية قد ضربت لصبرهم فما كان لهم أن يقطعوا أمرا دون الانتهاء اليه (فان قلت) فأى فائدة فى قوله (اليهم) (قلت) فيه أنه لو خرج ولم يكن خروجه اليهم ولاجلهم للزمهم أن يصبروا الى أن يعلموا أن خروجه اليهم (لكان خيرا لهم) فى كان اما ضمير فاعل الفعل المضمر بعد لو واما ضمير مصدر صبروا كقولهم من كذب كان شرا له (والله غفور رحيم) بليغ الغفران والرحمة واسعهما فلن يضيق غفرانه ورحمته عن هؤلاء ان تابوا وأنابوا * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد بن عقبة أخا عثمان لامه وهو الذى ولاه عثمان الكوفة بعد سعد بن أبى وقاص فصلى بالناس وهو سكران صلاة الفجر أربعا ثم قال هل أزيدكم فعزله عثمان عنهم مصدقا الى بنى المصطلق وكانت بينه وبينهم احنة فلما شارف ديارهم ركبوا مستقبلين له فحسبهم مقاتليه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أن يغزوهم فبلغ القوم فوردوا وقالوا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله فاتهمهم فقال لتنتهن أو لأبعثن اليكم رجلا هو عندى كنفسى يقاتل مقاتلتكم ويسبى ذراريكم ثم ضرب بيده على كتف على رضى الله عنه وقيل بعث اليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا اليه الصدقات فرجع * وفى تنكير الفاسق والنبأ شياع فى الفساق والانباء كأنه قال أى فاسق جاءكم بأى نبأ فتوقفوا فيه وتطلبوا بيان الامر وانكشاف الحقيقة ولا تعتمدوا قول الفاسق لان من لا يتحامى جنس الفسوق لا يتحامى الكذب الذى هو نوع منه والفسوق الخروج من الشئ والانسلاخ منه يقال فسقت الرطبة عن قشرها ومن مقلوبه فقست البيضة اذا كسرتها وأخرجت ما فيها ومن مقلوبه أيضا قفست الشئ اذا أخرجته عن يد مالكه مغتصبا له عليه ثم استعمل فى الخروج عن القصد والانسلاخ من الحق قال رؤبة

فواسقا عن قصدها جوائرا * وقرأ ابن مسعود فتثبتوا والتثبت والتبين متقاربان وهما طلب الثبات والبيان والتعرف ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين معه بالمنزلة التى لا يجسر أحد أن يخبرهم بكذب وما كان يقع مثل ما فرط من الوليد الا فى الندرة قيل ان جاءكم بحرف الشك وفيه أن على المؤمنين أن يكونوا على هذه الصفة لئلا يطمع فاسق فى مخاطبتهم بكلمة زور (أن تصيبوا) مفعول له أى كراهة اصابتكم (قوما بجهالة) حال كقوله تعالى ورد الله الذين كفروا بغيظهم يعنى جاهلين بحقيقة الامر وكنه القصة * والاصباح بمعنى الصيرورة * والندم ضرب من الغم وهو أن تغتم على ما وقع منك تتمنى أنه لم يقع وهو غم يصحب الانسان صحبة لها دوام ولزام لانه كلما تذكر المتندم عليه راجعه من الندام وهو لزام الشريب ودوام صحبته ومن مقلوباته أدمن الامر أدامه ومدن بالمكان أقام به ومنه المدينة وقد تراهم يجعلون الهم صاحبا ونجيا وسميرا وضجيعا وموصوفا بانه لا يفارق صاحبه * الجملة المصدرة بلو لا تكون كلاما مستأنفا لادائه الى تنافر النظم

ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الامر

رضى الله عنه ووقوفهم عن الحكم بتعنيف قتلته فضم الى هذا المعتقد غير معرج عليه ما أورده الزمخشرى فى هذا الموضع من حكايات تولية عثمان لاخيه الوليد الفاعل تلك الفعلة الشنعاء عوضا عن سعد بن أبى وقاص أحد الصحابة وما عرض به من أن بعض الصحابة كان يصدر منهم هنات فنهاهم طالبتهم النبى صلى الله عليه وسلم باتباع آرائهم التى من جملتها التصديق الوليد فى الايقاع ببنى المصطلق فاذا ضممت هذه النبذة التى ذكرها ارسالا الى ما علمت من معتقده تبين لك من حاله أعنى الزمخشرى ما لا أطيق التصريح به لانه لم يصرح وانما سلكنا معه سبيل الانصاف ومحجة الانتصاف نص بنص وتلويح بتلويح فنسأل الله العظيم بعد الصلاة على نبيه محمد خاتم النبيين أن يرضى عن أصحابه أجمعين وعنا بهم آمين

* عاد كلامه (قال ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق الخ) قال أحمد تلجلج والحق أبلج وزاغ والسبيل منهج وقاس الخلق بالواحد الحق وجعل أفعالهم لهم من ايمان وكفر وخير وشر اغترارا بحال اعتقد اطراده فى الشاهد وهو أن الانسان لا يمدح بفعل غيره وقاس الغائب على الشاهد تحكما وتغلغل باتباع هوى مجمحا بجره ذلك بل جرأه على تأويل الآية وابطال ما ذكرته من نسبة تحبيب الايمان الى الله تعالى على حقيقته وجعله مجازا لانه يعتقد أنها لو بقيت على ظاهرها لكان خلق الايمان مضافا الى الله تعالى والعبد اذا ممدوح بما ليس من فعله وهذا عنده محال فاتبع الآية رأيه الفاسد فاذا عرضت عليه الادلة العقلية على الوحدانية والنقلية على أنه لا خالق الا الله خالق كل شئ وطولب بابقاء الآية على ظاهرها المؤيد بالعقل والنقل فانه يتمسك فى تأويلها بالخيال المذكورة فى التحكم بقياس الغائب على الشاهد بماله ادلاء الى تعويج كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فالذى نعتقده ثبتنا الله على الحق أن الله تعالى منح ومدح وأعطى وامتن فلا موجود الا الله وصفاته وأفعاله غير أنه تعالى جعل أفعاله بعضها محلا لبعض فسمى المحل فاعلا والحال فعلا فهذا هو التوحيد الذى لا محيص عنه لمؤمن ولا محيد ولا بد أن أطارحه القول فأقول أخبرنى عن ثناء الله على أنبيائه ورسله بما حاصله اصطفاؤه لهم لاختياره اياهم هل بمكتسب أم بغير مكتسب فلا يسعه أن يقول الا أنه أثنى عليهم بما لم يكتسبوه بل بما وهبه اياهم فانهبوه وان عرج على القسم الآخر وهو دعوى أنه أثنى عليهم بمكتسب لهم من رسالة أو نبوة فقد خرج عن أهل الملة وانحرف عن أهل القبلة وهذه النبذة كفاية ان شاء الله تعالى

لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون

ولكن متصلا بما قبله حالا من أحد الضميرين فى فيكم المستتر المرفوع أو البارز المجرور وكلاهما مذهب سديد والمعنى ان فيكم رسول الله على حالة يجب عليكم تغييرها أو أنتم على حالة يجب عليكم تغييرها وهى أنكم تحاولون منه أن يعمل فى الحوادث على مقتضى ما يعن لكم من رأى واستصواب فعل المطواع لغيره التابع له فيما يرتئيه المحتذى على أمثلته ولو فعل ذلك (لعنتم) أى لوقعتم فى العنت والهلاك يقال فلان يتعنت فلانا أى يطلب ما يؤديه الى الهلاك وقد أعنت العظم اذا هيض بعد الجبر وهذا يدل على أن بعض المؤمنين زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الايقاع ببنى المصطلق وتصديق قول الوليد وأن نظائر ذلك من الهنات كانت تفرط منهم وأن بعضهم كانوا يتصونون ويزعهم جدهم فى التقوى عن الجسارة على ذلك وهم الذين استثناهم بقوله تعالى (ولكن الله حبب اليكم الايمان) أى الى بعضكم ولكنه أغنت عن ذكر البعض صفتهم المفارقة لصفة غيرهم وهذا من ايجازات القرآن ولمحاته اللطيفة التى لا يفطن لها الا الخواص وعن بعض المفسرين هم الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى وقوله (أولئك هم الراشدون) والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى أولئك المستثنون هم الراشدون يصدق ما قلته (فان قلت) ما فائدة تقديم خبر ان على اسمها (قلت) القصد الى توبيخ بعض المؤمنين على ما استهجن الله منهم من استتباع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم لآرائهم فوجب تقديمه لانصباب الغرض اليه (فان قلت) فلم قيل يطيعكم دون أطاعكم (قلت) للدلالة على انه كان فى ارادتهم استمرار عمله على ما يستصوبونه وانه كلما عن لهم رأى فى أمر كان معمولا عليه بدليل قوله فى كثير من الامر كقولك فلان يقرى الضيف ويحمى الحريم تريد أنه مما اعتاده ووجد منه مستمرا (فان قلت) كيف موقع لكن وشريطتها مفقودة من مخالفة ما بعدها لما قبلها نفيا واثباتا (قلت) هى مفقودة من حيث اللفظ حاصلة من حيث المعنى لان الذين حبب اليهم الايمان قد غايرت صفتهم صفة المتقدم ذكرهم فوقعت لكن فى حاق موقعها من الاستدراك ومعنى تحبيب الله وتكريهه اللطف والامداد بالتوفيق وسبيله الكناية كما سبق وكل ذى لب وراجع الى بصيرة وذهن لا يغبى عليه أن الرجل لا يمدح بغير فعله وحمل الآية على ظاهرها يؤدى الى أن يثنى عليهم بفعل الله وقد نفى الله هذا عن الذين أنزل فيهم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا (فان قلت) فان العرب تمدح بالجمال وحسن الوجوه وذلك فعل الله وهو مدح مقبول عند الناس غير مردود (قلت) الذى سوغ ذلك لهم أنهم رأوا حسن الرواء ووسامة المنظر فى الغالب يسفر عن مخبر مرضى وأخلاق محمودة ومن ثم قالوا أحسن ما فى الدميم وجهه فلم يجعلوه من صفات المدح لذاته ولكن لدلالته على غيره على أن من محققة الثقات وعلماء المعانى من دفع صحة ذلك وخطأ المادح به وقصر المدح على النعت بأمهات الخير وهى الفصاحة والشجاعة والعدل والعفة وما يتشعب منها ويرجع اليها وجعل الوصف بالجمال والثروة وكثرة الحفدة والاعضاد وغير ذلك مما ليس للانسان فيه عمل غلطا ومخالفة عن المعقول * (والكفر) تغطية نعم الله تعالى وغمطها بالجحود (والفسوق) الخروج عن قصد الايمان ومحجته بركوب الكبائر (والعصيان) ترك الانقياد والمضى لما أمر به الشارع والعرق العاصى العاند واعتصت النواة اشتدت * والرشد الاستقامة على طريق الحق مع تصلب فيه من الرشادة وهى الصخرة قال أبو الوازع كل صخرة رشادة وأنشد

وغير مقلد وموشمات * صلين الضوء من صم الرشاد

* قوله تعالى أولئك هم الراشدون فضلا من الله ونعمة (أعرب فضلا فى الآية مفعولا من أجله منتصبا عن قوله الراشدون الخ) قال أحمد أورد الاشكال بعد تقرر أن الرشد ليس من فعل الله تعالى وانما هو فعلهم حقيقة على ما هو معتقده ونحن بنينا على ما بينا أن الرشد من أفعال الله ومخلوقاته فقد وجد شرط انتصاب المفعول له وهو اتحاد فاعل الفعلين على أن الاشكال وارد نصا على تقريرنا على غير الحد الذى أورده عليه الزمخشرى بل من جهة أن الله تعالى خاطب خلقه بلغتهم المعهودة عندهم وبما يعهدونه أن الفاعل من نسب اليه الفعل وسواء كان ذلك حقيقة أو مجازا حتى يكون زيد فاعلا وانقض الحائط وأشباهه كذلك وقد نسب الرشد اليهم على طريقة أنهم الفاعلون وان كانت النسبة مجازية باعتبار المعتقد واذا تقرر وروده على هذا الوجه فلك فى الجواب عنه طريقان اما جواب الزمخشرى واما أمكن منه وأبين وهو أن الرشد هنا يستلزم كونه راشدا اذ هو مطاوعه لان الله تعالى أرشدهم فرشدوا وحينئذ يتحد الفاعل على طريقة الصناعة المطابقة للحقيقة وهو عكس قوله يريكم البرق خوفا وطمعا فان الاشكال بعينه وارد فيها اذ الخوف والطمع فعلهم أى منسوب اليهم على طريقة أنهم الخائفون الطامعون والفعل الاول لله تعالى لانه مر بهم ذلك والجواب عنه أنهم مفعولون فى معنى الفاعلين بواسطة استلزام المطاوعة لانه اذا أراهم فقد رأوا وقد سلف هذا الجواب مكانه وصحت الكلام ههنا بتقدير المفعول فاعلا وعكسه آية الحجرات اذ تصحيح الكلام فيها بتقدير الفاعل مفعولا وهذا من دقائق العربية فتأمله والله الموفق * قوله تعالى وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا (قال فيه لم قال اقتتلوا عدولا الخ) قال أحمد قد تقدم فى مواضع انكار النحاة الحمل على لفظ من بعد الحمل على معناها وفى هذه الآية حمل على المعنى بقوله اقتتلوا ثم على اللفظ بقوله بينهما ولا يعتقد أن المقول فى من مطرد فى هذا لان المانع لزوم الاجمال والابهام بعد التفسير وههنا لا يلزم ذلك اذ لا ابهام فى الطائفة بل لفظها مفرد أبدا ومعناها جمع أبدا وكانت كذلك لا اختلاف أحوالها من حيث المعنى مرة جمعا ومرة مفردا فتأمله والله الموفق

فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفئ الى أمر الله فان فاءت

و(فضلا) مفعول له أو مصدر من غير فعله (فان قلت) من أين جاز وقوعه مفعولا له والرشد فعل القوم والفضل فعل الله تعالى والشرط أن يتحد الفاعل (قلت) لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة الى اسمه تقدست أسماؤه صار الرشد كأنه فعله فجاز أن ينتصب عنه أو لا ينتصب عن الراشدون ولكن عن الفعل المسند الى اسم الله تعالى والجملة التى هى أولئك هم الراشدون اعتراض أو عن فعل مقدر كأنه قيل جرى ذلك أو كان ذلك فضلا من الله وأما كونه مصدرا من غير فعله فأن يوضع موضع رشدا لان رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه والفضل والنعمة بمعنى الافضال والانعام (والله عليم) بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل (حكيم) حين يفضل وينعم بالتوفيق على أفاضلهم * عن ابن عباس رضى الله عنهما قال وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مجلس بعض الانصار وهو على حمار فبال الحمار فأمسك عبد الله بن أبى بأنفه وقال خل سبيل حمارك فقد آذانا نتنه فقال عبد الله بن رواحة والله ان بول حماره لاطيب من مسكك وروى حماره أفضل منك وبول حماره أطيب من مسكك ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطال الخوض بينهما حتى استبا وتجالدا وجاء قوماهما وهما الاوس والخزرج فتجالدوا بالعصى وقيل بالايدى والنعال والسعف فرجع اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلح بينهم ونزلت وعن مقاتل قرأها عليهم فاصطلحوا * والبغى الاستطالة والظلم واباء الصلح * والفئ الرجوع وقد سمى به الظل والغنيمة لان الظل يرجع بعد نسخ الشمس والغنيمة ما يرجع من أموال الكفار الى المسلمين وعن أبى عمرو حتى تفى بغير همز ووجهه أن أبا عمرو خفف الاولى من الهمزتين الملتقيتين فلطفت على الراوى تلك الخلسة فظنه قد طرحها (فان قلت) ما وجه قوله اقتتلوا والقياس اقتتلتا كما قرأ ابن أبى عبلة أو اقتتلا كما قرأ عبيد بن عمير على تأويل الرهطين أو النفرين (قلت) هو مما حمل على المعنى دون اللفظ لان الطائفتين فى معنى القوم والناس وفى قراءة عبد الله حتى يفيئوا الى أمر الله فان فاؤا فخذوا بينهم بالقسط وحكم الفئة الباغية وجوب قتالها ما قاتلت وعن ابن عمر ما وجدت فى نفسى من شئ ما وجدته من أمر هذه الآية ان لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرنى الله عز وجل قاله بعد أن اعتزل فاذا كفت وقبضت عن الحرب أيديها تركت واذا تولت عمل بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يا ابن أم عبد هل تدرى كيف حكم الله فيمن بغى من هذه الامة قال الله ورسوله أعلم قال لا يجهز على جريحها ولا يقتل أسيرها ولا يطلب هاربها ولا يقسم فيؤها ولا تخلو الفئتان من المسلمين فى اقتتالهما اما أن يقتتلا على سبيل البغى منهما جميعا فالواجب فى ذلك أن يمشى بينهما بما يصلح ذات البين ويثمر المكافة والموادعة فان لم تتحاجزا ولم تصطلحا وأقامتا على البغى صير الى مقاتلتهما واما أن يلتحم بينهما القتال لشبهة دخلت عليهما وكلتاهما عند أنفسهما محقة فالواجب ازالة الشبهة بالحجج النيرة والبراهين القاطعة واطلاعهما على مراشد الحق فان ركبتا متن اللجاج ولم تعملا على شاكلة ما هديتا اليه ونصحتا به من اتباع

الحق بعد وضوحه لهما فقد لحقتا بالفئتين الباغيتين واما أن تكون احداهما الباغية على الاخرى فالواجب
أن تقاتل فئة البغى الى أن تكف وتتوب فان فعلت أصلح بينها وبين المبغى عليها بالقسط والعدل وفى ذلك
تفاصيل ان كانت الباغية من قلة العدد بحيث لا منعة لها ضمنت بعد الفيئة ما جنت وان كانت كثيرة ذات
منعة وشوكة لم تضمن الا عند محمد بن الحسن رحمه الله فانه كان يفتى بأن الضمان يلزمها اذا فاءت وأما قبل
التجمع والتجند أو حين تتفرق عند وضع الحرب أوزارها فما جنته ضمنته عند الجميع فمحمل الاصلاح بالعدل
فى قوله تعالى (فاصلحوا بينهما بالعدل) على مذهب محمد واضح منطبق على لفظ التنزيل وعلى قول غيره
وجهه أن يحمل على كون الفئة قليلة العدد والذى ذكروا أن الغرض اماتة الضغائن وسل الاحقاد دون
ضمان الجنايات ليس بحسن الطباق للمأمور به من أعمال العدل ومراعاة القسط (فان قلت) فلم قرن بالاصلاح
الثانى العدل دون الاول (قلت) لان المراد بالاقتتال فى أول الآية أن يقتتلا باغيتين معا أو راكبتى شبهة
وأيتهما كانت فالذى يجب على المسلمين أن يأخذوا به فى شأنهما اصلاح ذات البين وتسكين الدهماء باراءة
الحق والمواعظ الشافية ونفى الشبهة الا اذا أصرتا فحينئذ تجب المقاتلة وأما الضمان فلا يتجه وليس كذلك
اذا بغت احداهما فان الضمان متجه على الوجهين المذكورين (وأقسطوا) أمر باستعمال القسط على
طريق العموم بعدما أمر به فى اصلاح ذات البين والقول فيه مثله فى الامر باتقاء الله على عقب النهى عن
التقديم بين يديه والقسط بالفتح الجور من القسط وهو اعوجاج فى الرجلين وعود قاسط يابس وأقسطته
الرياح وأما القسط بمعنى العدل فالفعل منه أقسط وهمزته للسلب أى أزال القسط وهو الجور ⁕ هذا تقرير
لما ألزمه من تولى الاصلاح بين من وقعت بينهم المشاقة من المؤمنين وبيان أن الايمان قد عقد بين أهله من
السبب القريب والنسب اللاصق ما ان لم يفضل الاخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غايتها
ثم قد جرت عادة الناس على أنه اذا نشب مثل ذلك بين اثنين من اخوة الولاد لزم السائر أن يتناهضوا فى رفعه
وازاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما الى أن يصادف ما وهى من الوفاق من
يرقعه وما استشن من الوصال من يبله فالاخوة فى الدين أحق بذلك وبأشد منه وعن النبى صلى الله عليه
وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه فى البنيان فيستر عنه الريح الا باذنه
ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم الا قليل (فان قلت) فلم خص الاثنان بالذكر دون الجمع
(قلت) لان أقل من يقع بينهم الشقاق اثنان فاذا لزمت المصالحة بين الاقل كانت بين الاكثر ألزم لان الفساد
فى شقاق الجمع أكثر منه فى شقاق الاثنين وقيل المراد بالاخوين الاوس والخزرج ⁕ وقرئ بين اخوتكم
واخوانكم والمعنى ليس المؤمنون الا اخوة وأنهم خلص لذلك متمحضون قد أزيحت عنهم شبهات
الاجنبية وأبى لطف حالهم فى التمازج والاتحاد أن يقدموا على ما يتولد منه التقاطع فبادروا قطع ما يقع من
ذلك ان وقع واحسموه (واتقوا الله) فانكم ان فعلتم لم تحملكم التقوى الا على التواصل والائتلاف والمسارعة
الى اماطة ما يفرط منه ⁕ وكان عند فعلكم ذلك وصول رحمة الله اليكم واشتمال رأفته عليكم حقيقا بأن تعقدوا
به رجاءكم ⁕ القوم الرجال خاصة لانهم القوام بامور النساء قال الله تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه
الصلاة والسلام النساء لحم على وضم الا ما ذب عنه والذابون هم الرجال وهو فى الاصل جمع قائم كصوم وزور
فى جمع صائم وزائر أو تسمية بالمصدر عن بعض العرب اذا أكلت طعاما أحببت نوما وأبغضت قوما أى قياما
واختصاص القوم بالرجال صريح فى الآية وفى قول زهير ⁕ أقوم آل حصن أم نساء ⁕ وأما قولهم فى قوم
فرعون وقوم عاد هم الذكور والاناث فليس لفظ القوم بمتعاط للفريقين ولكن قصد ذكر الذكور وترك ذكر
الاناث لانهن توابع لرجالهن ⁕ وتنكير القوم والنساء يحتمل معنيين أن يراد لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات
من بعض وأن تقصد افادة الشياع وأن تصير كل جماعة منهم منهية عن السخرية وانما لم يقل رجل من رجل
ولا امرأة من امرأة على التوحيد اعلاما باقدام غير واحد من رجالهم وغير واحدة من نسائهم على السخرية
واستفظاعا للشأن الذى كانوا عليه ولان مشهد الساخر لا يكاد يخلو ممن يتلهى ويستضحك على قوله ولا يأتى

فأصلحوا بينهما بالعدل
وأقسطوا ان الله يحب
المقسطين انما المؤمنون
اخوة فأصلحوا بين
أخويكم واتقوا الله
لعلكم ترحمون يا أيها
الذين آمنوا لا يسخر
قوم من قوم

⁕ قوله تعالى يا أيها
الذين آمنوا لا يسخر
قوم من قوم عسى أن
يكونوا خيرا منهم
الآية (قال فيه لم يقل
لا يسخر بعض المؤمنين
والمؤمنات الخ) قال
أحمد ولو عرف فقال
لا يسخر المؤمنون
بعضهم من بعض لكانت
كل جماعة منهم منهية
ضرورة شمول النهى
ولكن أورد الزمخشرى
هذا وانما أراد أن فى
التنكير فائدة أن كل
جماعة منهية على
التفصيل فى الجماعات
والتعرض بالنهى لكل
جماعة على الخصوص
ومع التعريف تحصيل
النهى لكن لا على
التفصيل بل على الشمول
والنهى على التفصيل
أبلغ وأوقع ⁕ عاد كلامه
(قال وانما لم يقل رجل
من رجل ولا امرأة
من امرأة للاشعار الخ)
قال أحمد وهو فى غاية
الحسن لامزيد عليه

ما عليه من النهى والانكار فيكون شريك الساخر وتلوه فى تحمل الوزر وكذلك كل من يطرق سمعه
فيستطيبه ويضحك به فيؤدى ذلك وان أوجده واحدا الى تكثر السخرة وانقلاب الواحد جماعة وقوما
وقوله تعالى (عسى أن يكونوا خيرا منهم) كلام مستأنف قد ورد مورد جواب المستخبر عن العلة الموجبة
لما جاء النهى عنه والا فقد كان حقه أن يوصل بما قبله بالفاء والمعنى وجوب أن يعتقد كل أحد أن المسخور
منه ربما كان عند الله خيرا من الساخر لان الناس لا يطلعون الا على ظواهر الاحوال ولا علم لهم بالخفيات
وانما الذى يزن عند الله خلوص الضمائر وتقوى القلوب وعلمهم من ذلك بمعزل فينبغى أن لا يجترئ أحد على
الاستهزاء بمن تقتحمه عينه اذا رآه رث الحال أو ذا عاهة فى بدنه أو غير لبيق فى محادثته فلعله أخلص ضميرا
وأنقى قلبا ممن هو على ضد صفته فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله والاستهانة بمن عظمه الله ولقد بلغ بالسلف
افراط توقيهم وتصونهم من ذلك أن قال عمرو بن شرحبيل لو رأيت رجلا يرضع عنزا فضحكت منه خشيت
أن أصنع مثل الذى صنعه وعن عبد الله بن مسعود البلاء موكل بالقول لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول
كلبا ⁕ وفى قراءة عبد الله عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى على هذه القراءة هى ذات الخبر كالتى فى
قوله تعالى فهل عسيتم وعلى الاولى التى لا خبر لها كقوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيأ ⁕ واللمز الطعن
والضرب باللسان وقرئ ولا تلمزوا بالضم والمعنى وخصوا أيها المؤمنون أنفسكم بالانتهاء عن عيبها والطعن فيها
ولا عليكم أن تعيبوا غيركم ممن لا يدين بدينكم ولا يسير بسيرتكم ففى الحديث عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذكروا الفاجر بما فيه كى يحذره الناس وعن الحسن رضى الله عنه فى ذكر الحجاج أخرج الى بنانا
قصيرة قلما عرقت فيها الاعنة فى سبيل الله ثم جعل يطبطب شعيرات له ويقول يا أبا سعيد يا أبا سعيد وقال لما
مات اللهم أنت أمته فاقطع سنته فانه أتانا أخيفش أعيمش يخطر فى مشيته ويصعد المنبر حتى تفوته الصلاة
لا من الله يتقى ولا من الناس يستحى فوقه الله وتحته مائة ألف أو يزيدون لا يقول له قائل الصلاة أيها الرجل
الصلاة أيها الرجل هيهات دون ذلك السيف والسوط وقيل معناه لا يعب بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس
واحدة فتى عاب المؤمن المؤمن فكأنما عاب نفسه وقيل معناه لا تفعلوا ما تلمزون به لان من فعل ما استحق به
اللمز فقد لمز نفسه حقيقة ⁕ والتنابز بالالقاب التداعى بها تفاعل من نبزه وبنو فلان يتنابزون ويتنازبون
ويقال النبز والنزب لقب السوء والتلقيب المنهى عنه هو ما يتداخل المدعو به كراهة لكونه تقصيرا به وذما له
وشينا فأما ما يحبه مما يزينه وينوه به فلا بأس به روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من حق المؤمن على أخيه
أن يسميه بأحب أسمائه اليه ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن قال عمر رضى الله عنه أشيعوا
الكنى فانها منبهة ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق وعمر بالفاروق وحمزة بأسد الله وخالد بسيف الله وقل
من المشاهير فى الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم تزل هذه الالقاب الحسنة فى الامم كلها من العرب والعجم
تجرى فى مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير ⁕ روى عن الضحاك أن قوما من بنى تميم استهزؤا ببلال وخباب
وعمار وصهيب وأبى ذر وسالم مولى حذيفة فنزلت وعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تسخر من زينب
بنت خزيمة الهلالية وكانت قصيرة وعن ابن عباس أن أم سلمة ربطت حقويها بسبيبة وسدلت طرفيها خلفها
وكانت تجره فقالت عائشة لحفصة انظرى ما تجر خلفها كأنه لسان كلب وعن أنس عيرت نساء رسول الله
صلى الله عليه وسلم أم سلمة بالقصر وعن عكرمة عن ابن عباس أن صفية بنت حيى أتت رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ان النساء يعيرننى ويقلن يا يهودية بنت يهوديين فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم هلا
قلت ان أبى هرون وان عمى موسى وان زوجى محمد وروى أنها نزلت فى ثابت بن قيس وكان به وقر وكانوا
يوسعون له فى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسمع فأتى يوما وهو يقول تفسحوا لى حتى انتهى الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال من هذا فقال الرجل أنا فلان فقال بل أنت ابن
فلانة يريد أما كان يعير بها فى الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا أفخر على أحد فى الحسب بعدها

عسى أن يكونوا خيرا
منهم ولا نساء من نساء
عسى أن يكن خيرا
منهن ولا تلمزوا أنفسكم
ولا تنابزوا بالالقاب

(قال وقوله عسى أن
يكونوا خيرا منهم
جواب للمستخبر عن
علة النهى الخ) (قال أحمد)
وهو من الطراز الاول

آبدا (الاسم) ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم كما يقال طار ثناؤه وصيته
وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس ألا ترى الى قولهم اشاد بذكره كأنه قيل بئس الذكر المرتفع
للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائر أن يذكروا بالفسق وفى قوله (بعد الايمان) ثلاثة أوجه أحدها
استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذى يأباه الايمان ويحظره كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة
والثانى أنه كان فى شتائمهم لمن أسلم من اليهود يا يهودى يا فاسق فنهوا عنه وقيل لهم بئس الذكر أن تذكروا
الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهى عن التنابز والثالث أن يجعل
من فسق غير مؤمن كما تقول للمتحول عن التجارة الى الفلاحة بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة * يقال
جنبه الشر اذا أبعده عنه وحقيقته جعله منه فى جانب فيعدى الى مفعولين قال الله عز وجل واجنبنى وبنى
أن نعبد الاصنام ثم يقال فى مطاوعه اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا والمأمور باجتنابه هو بعض
الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى الى قوله (ان بعض الظن اثم) (فان قلت) بين الفصل بين كثير
حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة (قلت) مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية وأن فى الظنون ما يجب أن
يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ أحد على ظن الا بعد نظر وتأمل وتمييز بين حقه وباطله بأمارة
بينة مع استشعار التقوى والحذر ولو عرف لكان الامر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل ووجب
أن يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا وما اتصف منه بالقلة مرخصا فى تظننه والذى يميز الظنون التى
يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب وذلك
اذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح وأونست منه الامانة فى الظاهر فظن الفساد والخيانة به
محرم بخلاف من اشتهره الناس بتعاطى الريب والمجاهرة بالخبائث عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء وعن الحسن كنا فى زمان الظن بالناس حرام وأنت اليوم
فى زمان اعمل واسكت وظن بالناس ما شئت وعنه لا حرمة لفاجر وعنه ان الفاسق اذا أظهر فسقه وهتك
ستره هتكه الله واذا استتر لم يظهر الله عليه لعله أن يتوب وقد روى من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له
* والاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الأثام فعال منه كالنكال والعذاب
والوبال قال
لقد فعلت هذى النوى بى فعلة * أصاب النوى قبل الممات أثامها
والهمزة فيه عن الواو كأنه يثم الاعمال أى يكسرها باحباطه * وقرئ ولا تحسسوا بالحاء والمعنيان متقاربان
يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس كما أن التلمس بمعنى التطلب من اللمس لما فى اللمس
من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى وانا لمسنا السماء والتحسس التعرف من الحس ولتقاربهما
قيل لمشاعر الانسان الحواس بالحاء والجيم والمراد النهى عن تتبع عورات المسلمين ومعايبهم والاستكشاف
عما ستروه وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستره الله وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه خطب فرفع صوته
حتى أسمع العواتق فى خدورهن قال يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان الى قلبه لا تتبعوا عورات
المسلمين فان من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته وعن زيد بن وهب قلنا
لابن مسعود هل لك فى الوليد بن عقبة بن أبى معيط تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود انا قد نهينا عن التجسس
فان ظهر لنا شئ أخذنا به * غابه واغتابه كغاله واغتاله والغيبة من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وهى ذكر
السوء فى الغيبة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فقد
اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيبة ادام كلاب الناس (أيحب أحدكم)
تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه وفيه مبالغات شتى منها الاستفهام
الذى معناه التقرير ومنها جعل ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى أحدكم
والاشعار بأن أحدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الانسان حتى
جعل الانسان أخا ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره ان وجدت جيفة

بئس الاسم الفسوق
بعد الايمان ومن لم يتب
فأولئك هم الظالمون
يا أيها الذين آمنوا
اجتنبوا كثيرا من
الظن ان بعض الظن
اثم ولا تجسسوا ولا يغتب
بعضكم بعضا أيحب
أحدكم

* قوله تعالى بئس
الاسم الفسوق بعد
الايمان (قال فيه الاسم
ههنا الذكر من قولهم
طار اسمه فى الناس
بالكرم كأنه قال بئس
الذكر المرتفع للمؤمنين
الخ) قال أحمد أقرب
الوجوه الثلاثة ملاءمة
لقاعدة أهل السنة
وأولاها هو أولها ولكن
بعد صرف الذم الى
نفس الفسق وهو
مستقيم لان الاسم
هو المسمى ولكن
الزمخشرى لم يستطع
ذلك انحرافا الى قاعدة
بصرف الذم الى ارتفاع
ذكر الفسق من المؤمن
تحوما على ان الاسم
التسمية ولا شك أن
صرف الذم الى نفس
الفسق أولى وأما الوجه
الثانى فادخله ليتم له حمل
الاسم على التسمية
صريحا وأما الثالث
فليتم له أن الفاسق غير
مؤمن وكلا القاعدتين
تخالف السنة فاحذرهما
وبالله التوفيق ولقد
كشف الله لى عن

مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حى * وانتصب (ميتا) على الحال من اللحم ويجوز أن
ينتصب عن الاخ وقرئ ميتا * ولما قررهم عز وجل بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله
تعالى (فكرهتموه) معناه فقد كرهتموه واستقر ذلك وفيه معنى الشرط أى ان صح هذا فكرهتموه وهى الفاء
الفصيحة أى فتحققت بوجوب الاقرار عليكم وبأنكم لا تقدرون على دفعه وانكاره لاباء البشرية عليكم أن
تجحدوه كراهتكم له وتقذركم منه فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن فى أعراض
المسلمين * وقرئ فكرهتموه أى جبلتم على كراهته (فان قلت) هلا عدى بالى كما عدى فى قوله وكره اليكم
الكفر وأيهما القياس (قلت) القياس تعديه بنفسه لانه ذو مفعول واحد قبل تثقيل حشوه تقول كرهت
الشئ فاذا ثقل استدعى زيادة مفعول وأما تعديه بالى فتأول واجراء لكره مجرى بغض لان بغض منقول من
بغض اليه الشئ فهو بغيض اليه كقولك حب اليه الشئ فهو حبيب اليه * والمبالغة فى التواب للدلالة على
كثرة من يتوب عليه من عباده أو لانه ما من ذنب يقترفه المقترف الا كان معفوا عنه بالتوبة أو لانه بليغ
فى قبول التوبة منزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه والمعنى واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه
والندم على ما وجد منكم منه فانكم ان اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين وعن ابن
عباس أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوى لهما طعامهما فنام عن شأنه يوما فبعثاه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما اداما وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما عندى شئ
فأخبرهما سلمان بذلك فعند ذلك قالا لو بعثناه الى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال انكما قد اغتبتما فنزلت (من
ذكر وأنثى) من آدم وحواء وقيل خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فما منكم أحد الا وهو يدلى بمثل
ما يدلى به الآخر سواء بسواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل فى النسب * والشعب الطبقة الاولى من
الطبقات الست التى عليها العرب وهى الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة فالشعب
يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن تجمع الافخاذ والفخذ تجمع
الفصائل خزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وسميت
الشعوب لان القبائل تشعبت منها * وقرئ لتتعارفوا ولتعارفوا بالادغام ولتعرفوا أى لتعلموا كيف
تتناسبون ولتتعرفوا والمعنى أن الحكمة التى من أجلها رتبكم على شعوب وقبائل هى أن يعرف بعضكم
نسب بعض فلا يعتزى الى غير آبائه لا أن تتفاخروا بالآباء والاجداد وتدعوا التفاوت والتفاضل فى الانساب
* ثم بين الخصلة التى بها يفضل الانسان غيره ويكتسب الشرف والكرم عند الله تعالى فقال (ان
أكرمكم عند الله أتقاكم) وقرئ أن بالفتح كأنه قيل لم لا يتفاخر بالانساب فقيل لان أكرمكم عند الله
أتقاكم لا أنسبكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال
الحمد لله الذى أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتكبرها يا أيها الناس انما الناس رجلان مؤمن تقى كريم
على الله وفاجر شقى هين على الله ثم قرأ الآية وعنه عليه السلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق
الله وعن ابن عباس كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى وعن يزيد بن شجرة مر رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى سوق المدينة فرأى غلاما أسود يقول من اشترانى فعلى شرط لا يمنعنى عن الصلوات الخمس
خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتراه رجل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراه عند كل صلاة
ففقده يوما فسأل عنه صاحبه فقال محموم فعاده ثم سأل عنه بعد ثلاثة أيام فقال هو لما به فجاءه وهو فى
ذمائه فتولى غسله ودفنه فدخل على المهاجرين والانصار أمر عظيم فنزلت * الايمان هو التصديق مع
الثقة وطمأنينة النفس والاسلام الدخول فى السلم والخروج من أن يكون حربا للمؤمنين باظهار الشهادتين
ألا ترى الى قوله تعالى ولما يدخل الايمان فى قلوبكم فاعلم أن ما يكون من الاقرار باللسان من غير
مواطأة القلب فهو اسلام وما واطأ فيه القلب اللسان فهو ايمان (فان قلت) ما وجه قوله تعالى (قل لم

أن يأكل لحم أخيه
ميتا فكرهتموه واتقوا
الله ان الله تواب رحيم
يا أيها الناس انا خلقناكم
من ذكر وأنثى وجعلناكم
شعوبا وقبائل لتعارفوا
ان أكرمكم عند الله
أتقاكم ان الله عليم
خبير قالت الاعراب
آمنا قل لم

مقاصده حتى ما تنقلب
كلمة مضرة الى فتنة
البدعة الا اذا أدركها
الحق فكلمها ولله الحمد

قوله تعالى قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا (قال فيه وجه هذا النظم تكذيب دعواهم أولا الخ) قال أحمد ونظير هذا
النظم ومراعاة هذه اللطيفة (١٢٨) قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ثم قال والله يشهد ان المنافقين لكاذبون

تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) والذى يقتضيه نظم الكلام أن يقال قل لا تقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو قل لم تؤمنوا ولكن أسلمتم (قلت) أفاد هذا النظم تكذيب دعواهم أولا ودفع ما انتحلوه فقيل قل لم تؤمنوا وروعى فى هذا النوع من التكذيب أدب حسن حين لم يصرح بلفظه فلم يقل كذبتم ووضع لم تؤمنوا الذى هو نفى ما ادعوا اثباته موضعه ثم نبه على ما فعل من وضعه موضع كذبتم فى قوله فى صفة المخلصين أولئك هم الصادقون تعريضا بأن هؤلاء هم الكاذبون ورب تعريض لا يقاومه التصريح واستغنى بالجملة التى هى لم تؤمنوا عن أن يقال لا تقولوا آمنا لاستهجان أن يخاطبوا بلفظ مؤداه النهى عن القول بالايمان ثم وصلت بها الجملة المصدرة بكلمة الاستدراك محمولة على المعنى ولم يقل ولكن أسلمتم ليكون خارجا مخرج الزعم والدعوى كما كان قولهم آمنا كذلك ولو قيل ولكن أسلمتم لكان خروجه فى معرض التسليم لهم والاعتداد بقولهم وهو غير معتد به (فان قلت) قوله (ولما يدخل الايمان فى قلوبكم) بعد قوله تعالى قل لم تؤمنوا يشبه التكرير من غير استقلال بفائدة متجددة (قلت) ليس كذلك فان فائدة قوله لم تؤمنوا هو تكذيب دعواهم وقوله ولما يدخل الايمان فى قلوبكم توقيت لما أمروا به أن يقولوه كأنه قيل لهم ولكن قولوا أسلمنا حين لم تثبت مواطأة قلوبكم لالسنتكم لانه كلام واقع موقع الحال من الضمير فى قولوا وما فى لما من معنى التوقع دال على أن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد (لا يلتكم) لا ينقصكم ولا يظلمكم يقال ألته السلطان حقه أشد الالت وهى لغة غطفان ولغة أسد وأهل الحجاز لاته ليتا وحكى الاصمعى عن أم هشام السلولية أنها قالت الحمد لله الذى لا يفات ولا يلات ولا تصمه الاصوات وقرئ باللغتين لا يلتكم ولا يألتكم ونحوه فى المعنى فلا تظلم نفس شيأ ٭ ومعنى طاعة الله ورسوله أن يتوبوا عما كانوا عليه من النفاق ويعقدوا قلوبهم على الايمان ويعملوا بمقتضاته فان فعلوا ذلك تقبل الله توبتهم ووهب لهم مغفرته وأنعم عليهم بجزيل ثوابه وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن نفرا من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدبة فأظهروا الشهادة وأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وهم يغدون ويروحون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولون أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها وجئناك بالاثقال والذرارى يريدون الصدقة ويمنون عليه فنزلت ٭ ارتاب مطاوع رابه اذا أوقعه فى الشك مع التهمة والمعنى أنهم آمنوا ثم لم يقع فى نفوسهم شك فيما آمنوا به ولا اتهام لمن صدقوه واعترفوا بأن الحق منه (فان قلت) ما معنى ثم ههنا وهى للتراخى وعدم الارتياب يجب أن يكون مقارنا للايمان لانه وصف فيه لما بينت من افادة الايمان معنى الثقة والطمأنينة التى حقيقتها التيقن وانتفاء الريب (قلت) الجواب على طريقين أحدهما أن من وجد منه الايمان ربما اعترضه الشيطان أو بعض المضلين بعد ثلج الصدر فشككه وقذف فى قلبه ما يثلم يقينه أو نظر هو نظرا غير سديد يسقط به على الشك ثم يستمر على ذلك راكبا رأسه لا يطلب له مخرجا فوصف المؤمنون حقا بالبعد عن هذه الموبقات ونظيره قوله ثم استقاموا والثانى أن الايقان وزوال الريب لما كان ملاك الايمان أفرد بالذكر بعد تقدم الايمان تنبيها على مكانه وعطف على الايمان بكلمة التراخى اشعارا باستقراره فى الازمنة المتراخية المتطاولة غضا جديدا (وجاهدوا) يجوز أن يكون المجاهد منويا وهو العدو المحارب أو الشيطان أو الهوى وأن يكون جاهد مبالغة فى جهد ويجوز أن يراد بالمجاهدة بالنفس الغزو وأن يتناول العبادات بأجمعها وبالمجاهدة بالمال نحو ما صنع عثمان رضى الله عنه فى جيش العسرة وأن يتناول الزكوات وكل ما يتعلق بالمال من أعمال البر التى يتحامل فيها الرجل على ماله لوجه الله تعالى (أولئك هم الصادقون) الذين صدقوا فى قولهم آمنا ولم يكذبوا كما كذب أعراب بنى أسد أو هم الذين ايمانهم ايمان صدق وايمان حق وجد وثبات ٭ يقال ما علمت بقدومك أى ما شعرت به ولا أحطت به ومنه قوله تعالى (أتعلمون الله بدينكم) وفيه تجهيل لهم ٭ يقال منّ عليه بيد أسداها اليه كقولك أنعم عليه وأفضل عليه والمنة النعمة التى لا يستثيب

ولما كان مؤدى هذا
تكذيب الله تعالى لهم
فى شهادتهم برسالة
النبى صلى الله عليه وسلم
قدم على ذلك مقدمة
تلخص المقصود وتخلصه
من حوادث الوهم
وبوائبه فقال بين

تؤمنوا ولكن قولوا
أسلمنا ولما يدخل
الايمان فى قلوبكم وان
تطيعوا الله ورسوله
لا يلتكم من أعمالكم
شيأ ان الله غفور رحيم
انما المؤمنون الذين
آمنوا بالله ورسوله ثم لم
يرتابوا وجاهدوا
بأموالهم وأنفسهم
فى سبيل الله أولئك
هم الصادقون قل
أتعلمون الله بدينكم
والله يعلم ما فى السموات
وما فى الارض والله
بكل شئ عليم يمنون
عليك أن أسلموا قل
لا تمنوا علىّ اسلامكم
بل الله يمن عليكم أن
هداكم للايمان ان كنتم
صادقين ان الله يعلم
غيب السموات والارض
والله بصير بما تعملون

الكلامين والله يعلم
انك لرسوله ثم قال بعد
ذلك والله يشهد ان
المنافقين لكاذبون
فتلخص من ذلك أنهم كذبوا فيما ادعوه من شهادة قلوبهم بالحق لان ذلك حقيقة الشهادة لا أنهم كذبوا فى
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رسول من الله وكان المخلص من ذلك قوله جل وعلا والله يعلم انك لرسوله

مسديها

مسديها من يزلها اليه واشتقاقها من المن الذى هو القطع لانه انما يسديها اليه ليقطع بها حاجته لا غير من غير أن يعمد لطلب مثوبة ثم يقال منّ عليه صنعه اذا اعتده عليه منة وانعاما وسياق هذه الآية فيه لطف ورشاقة وذلك أن الكائن من الاعاريب قد سماه الله اسلاما ونفى أن يكون كما زعموا ايمانا فلما منوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان منهم قال الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه السلام ان هؤلاء يعتدون عليك بما ليس جديرا بالاعتداد به من حدثهم الذى حق تسميته أن يقال له اسلام فقل لهم لا تعتدوا علىّ اسلامكم أى حدثكم المسمى اسلاما عندى لا ايمانا ٭ ثم قال بل الله يعتد عليكم أن أمدكم بتوفيقه حيث هداكم للايمان على ما زعمتم وادعيتم أنكم أرشدتم اليه ووفقتم له ان صح زعمكم وصدقت دعواكم الا أنكم تزعمون وتدعون ما الله عليم بخلافه وفى اضافة الاسلام اليهم وايراد الايمان غير مضاف ما لا يخفى على المتأمل وجواب الشرط محذوف لدلالة ما قبله عليه تقديره ان كنتم صادقين فى ادعائكم الايمان فلله المنة عليكم ٭ وقرئ ان هداكم بكسر الهمزة وفى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه اذ هداكم ٭ وقرئ تعلمون بالتاء والياء وهذا بيان لكونهم غير صادقين فى دعواهم يعنى انه عز وجل يعلم كل مستتر فى العالم ويبصر كل عمل تعملونه فى سركم وعلانيتكم لا يخفى عليه منه شئ فكيف يخفى عليه ما فى ضمائركم ولا يظهر على صدقكم وكذبكم وذلك أن حاله مع كل معلوم واحدة لا تختلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الاجر بعدد من أطاع الله وعصاه

﴿سورة ق مكية وهى خمس وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

٭ الكلام فى (ق والقرآن المجيد بل عجبوا) نحوه فى ص والقرآن ذى الذكر بل الذين كفروا سواء بسواء لالتقائهما فى أسلوب واحد والمجيد ذو المجد والشرف على غيره من الكتب ومن أحاط علما بمعانيه وعمل بما فيه مجد عند الله وعند الناس وهو بسبب من الله المجيد فجاز اتصافه بصفته ٭ قوله بل عجبوا (أن جاءهم منذر منهم) انكار لتعجبهم مما ليس بعجب وهو أن ينذرهم بالمخوف رجل منهم قد عرفوا وساطته فيهم وعدالته وأمانته ومن كان على صفته لم يكن الا ناصحا لقومه مترفرفا عليهم خائفا أن ينالهم سوء ويحل بهم مكروه واذا علم أن مخوفا أظلهم لزمه أن ينذرهم ويحذرهم فكيف بما هو غاية المخاوف ونهاية المحاذير وانكار لتعجبهم مما أنذرهم به من البعث مع علمهم بقدرة الله تعالى على خلق السموات والارض وما بينهما وعلى اختراع كل شئ وابداعه واقرارهم بالنشأة الاولى ومع شهادة العقل بانه لا بد من الجزاء ٭ ثم عوّل على أحد الانكارين بقوله تعالى (فقال الكافرون هذا شئ عجيب أئذا متنا) دلالة على أن تعجبهم من البعث أدخل فى الاستبعاد وأحق بالانكار ووضع الكافرون موضع الضمير للشهادة على أنهم فى قولهم هذا مقدمون على الكفر العظيم وهذا اشارة الى الرجع واذا منصوب بمضمر معناه أحين نموت ونبلى نرجع (ذلك رجع بعيد) مستبعد مستنكر كقولك هذا قول بعيد وقد أبعد فلان فى قوله ومعناه بعيد من الوهم والعادة ويجوز أن يكون الرجع بمعنى المرجوع وهو الجواب ويكون من كلام الله تعالى استبعادا لانكارهم ما أنذروا به من البعث والوقف قبله على هذا التفسير حسن وقرئ اذا متنا على لفظ الخبر ومعناه اذا متنا بعد أن نرجع والدال عليه ذلك رجع بعيد (فان قلت) فما ناصب الظرف اذا كان الرجع بمعنى المرجوع (قلت) ما دل عليه المنذر من المنذر به وهو البعث (قد علمنا) رد لاستبعادهم الرجع لان من لطف علمه حتى تغلغل الى ما تنقص الارض من أجساد الموتى وتأكله من لحومهم وعظامهم كان قادرا على رجعهم أحياء كما كانوا عن النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى الا عجب الذنب وعن السدى ما تنقص الارض منهم ما يموت فيدفن فى الارض منهم (كتاب حفيظ) محفوظ من الشياطين ومن التغير وهو اللوح المحفوظ أو حافظ لما أودعه وكتب فيه (بل كذبوا) اضراب اتبع الاضراب الاول للدلالة على أنهم جاؤا بما هو أفظع من تعجبهم وهو التكذيب

﴿سورة ق مكية وهى
خمس وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ق والقرآن المجيد بل
عجبوا أن جاءهم منذر
منهم فقال الكافرون
هذا شئ عجيب أئذا
متنا وكنا ترابا ذلك
رجع بعيد قد علمنا
ما تنقص الارض منهم
وعندنا كتاب حفيظ
بل كذبوا بالحق
لما جاءهم

﴿القول فى سورة ق﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد (وقع فى النسخة ما أحكيه وصورته فان قلت لم نكر الخلق الجديد الخ) قال أحمد هذا كلام كما تراه غير منتظم والظاهر أنه لفساد فى النسخة والذى يتحرر فى الآية وهو مقتضى تفسير الزمخشرى ان فيها أسئلة ثلاثة لم عرف الخلق الاول ونكر اللبس والخلق الجديد فاعلم ان التعريف لا غرض منه الا التفخيم ما قصد تعريفه وتعظيمه ومنه تعريف

بالحق الذى هو النبوة الثابتة بالمعجزات فى أول وهلة من غير تفكر ولا تدبر (فهم فى أمر مريج) مضطرب يقال مرج الخاتم فى أصبعه وجرج فيقولون تارة شاعر وتارة ساحر وتارة كاهن لا يثبتون على شئ واحد * وقرئ لما جاءهم بكسر اللام وما المصدرية واللام هى التى فى قولهم لخمس خلون أى عند مجيئه اياهم وقيل الحق القرآن وقيل الاخبار بالبعث (أفلم ينظروا) حين كفروا بالبعث الى آثار قدرة الله فى خلق العالم (بنيناها) رفعناها بغير عمد (من فروج) من فتوق يعنى أنها ملساء سليمة من العيوب لا فتق فيها ولا صدع ولا خلل كقوله تعالى هل ترى من فطور (مددناها) دحوناها (رواسى) جبالا ثوابت لولاها لتكفأت (من كل زوج) من كل صنف (بهيج) يبتهج به لحسنه (تبصرة وذكرى) لتبصر به وتذكر كل (عبد منيب) راجع الى ربه مفكر فى بدائع خلقه وقرئ تبصرة وذكرى بالرفع أى خلقها تبصرة (ماء مباركا) كثير المنافع (وحب الحصيد) وحب الزرع الذى من شأنه أن يحصد وهو ما يقتات به من نحو الحنطة والشعير وغيرهما (باسقات) طوالا فى السماء وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم باصقات بابدال السين صادا لاجل القاف (نضيد) منضود بعضه فوق بعض اما أن يراد كثرة الطلع وتراكمه أو كثرة ما فيه من الثمر (رزقا) على أنبتناها رزقا لان الانبات فى معنى الرزق أو على أنه مفعول له أى أنبتناها لرزقهم (كذلك الخروج) كما حييت هذه البلدة الميتة كذلك تخرجون أحياء بعد موتكم والكاف فى محل الرفع على الابتداء * أراد بفرعون قومه كقوله تعالى من فرعون وملئهم لان المعطوف عليه قوم نوح والمعطوفات جماعات (كل) يجوز أن يراد به كل واحد منهم وأن يراد جميعهم الا أنه وحد الضمير الراجع اليه على اللفظ دون المعنى (فحق وعيد) فوجب وحل وعيدى وهو كلمة العذاب وفيه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم * عيى بالامر اذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للانكار والمعنى انا لم نعجز كما علموا عن الخلق الاول حتى نعجز عن الثانى ثم قال هم لا ينكرون قدرتنا على الخلق الاول واعترافهم بذلك فى طيه الاعتراف بالقدرة على الاعادة (بل هم فى لبس) أى فى خلط وشبهة قد لبس عليهم الشيطان وحيرهم ومنه قول على رضى الله عنه يا حار انه لملبوس عليك اعرف الحق تعرف أهله ولبس الشيطان عليهم تسويله اليهم أن احياء الموتى أمر خارج عن العادة فتركوا لذلك القياس الصحيح أن من قدر على الانشاء كان على الاعادة أقدر (فان قلت) لم نكر الخلق الجديد وهلا عرف كما عرف الخلق الاول (قلت) قصد فى تنكيره الى خلق جديد له شأن عظيم وحال شديد حق من سمع به أن يهتم به ويخاف ويبحث عنه ولا يقعد على لبس فى مثله * الوسوسة الصوت الخفى ومنها وسواس الحلى ووسوسة النفس ما يخطر ببال الانسان ويهجس فى ضميره من حديث النفس * والباء مثلها فى قولك صوت بكذا وهمس به ويجوز أن تكون للتعدية والضمير للانسان أى ما تجعله موسوسا وما مصدرية لانهم يقولون حدث نفسه بكذا كما يقولون حدثته به نفسه قال * وأكذب النفس اذا حدثتها (ونحن أقرب اليه) مجاز والمراد قرب علمه منه وأنه يتعلق بمعلومه منه ومن أحواله تعلقا لا يخفى عليه شئ من خفياته فكان ذاته قريبة منه كما يقال الله فى كل مكان وقد جل عن الامكنة * وحبل الوريد مثل فى فرط القرب كقولهم هو منى مقعد القابلة ومعقد الازار قال ذو الرمة * والموت أدنى لى من الوريد * والحبل العرق شبه بواحد الحبال ألا ترى الى قوله * كأن وريديه رشا آخاب * والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتى العنق فى مقدمهما متصلان بالوتين يردان من الرأس اليه وقيل سمى وريدا لان الروح ترده (فان قلت) ما وجه اضافة الحبل الى الوريد والشئ لا يضاف الى نفسه (قلت) فيه وجهان أحدهما أن تكون الاضافة للبيان كقولهم بعير سانية والثانى أن يراد حبل العاتق فيضاف الى

فهم فى أمر مريج أفلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسى وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون واخوان لوط وأصحاب الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل فحق وعيد أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد

المذكور فى قوله ويهب لمن يشاء الذكور ولهذا المقصد عرف الخلق الاول لان الغرض جعله دليلا على امكان الخلق الثانى بطريق الاولى أى اذا لم نعى تعالى بالخلق الاول على عظمته فالخلق الآخر أولى أن لا يعيا به فهذا سر تعريف الخلق الاول وأما التنكير فأمر منقسم فمرة يقصد به تفخيم المنكر من حيث ما فيه من الابهام كأنه أفخم من أن يخاطبه معرفة ومرة يقصد به التقليل من المنكر والوضع منه وعلى الاول سلام قولا من رب رحيم وقوله لهم مغفرة

الوريد كما يضاف الى العاتق لاجتماعهما فى عضو واحد كما لو قيل حبل العلباء مثلا (اذ) منصوب بأقرب وساغ ذلك لان المعانى تعمل فى الظرف متقدمة ومتأخرة والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه الى خطرات النفس وما لا شئ أخفى منه وهو أقرب من الانسان من كل قريب حين يتلقى الحفيظان ما يتلفظ به ايذانا بأن استحفاظ الملكين أمر هو غنى عنه وكيف لا يستغنى عنه وهو مطلع على أخفى الخفيات وانما ذلك لحكمة اقتضت ذلك وهى ما فى كتبة الملكين وحفظهما وعرض صحائف العمل يوم يقوم الاشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه باحاطة الله بعمله من زيادة لطف له فى الانتهاء عن السيآت والرغبة فى الحسنات وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحى من الله تعالى ولا منهما ويجوز أن يكون تلقى الملكين بيانا للقرب يعنى ونحن قريبون منه مطلعون على أحواله مهيمنون عليه اذ حفظتنا وكتبتنا موكلون به والتلقى التلقن بالحفظ والكتبة * والقعيد المقاعد كالجليس بمعنى المجالس وتقديره عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد من المتلقيين فترك أحدهما لدلالة الثانى عليه كقوله * كنت منه ووالدى بريا * (رقيب) ملك يرقب عمله (عتيد) حاضر واختلف فيما يكتب الملكان فقيل يكتبان كل شئ حتى أنينه فى مرضه وقيل لا يكتبان الا ما يؤجر عليه أو يؤزر به ويدل عليه قوله عليه السلام كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيآت على يسار الرجل وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيآت فاذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشرا واذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر وقيل ان الملائكة يجتنبون الانسان عند غائطه وعند جماعه * وقرئ ما يلفظ على البناء للمفعول لما ذكر انكارهم البعث واحتج عليهم بوصف قدرته وعلمه أعلمهم أن ما أنكروه وجحدوه هم لاقوه عن قريب عند موتهم وعند قيام الساعة ونبه على اقتراب ذلك بأن عبر عنه بلفظ الماضى وهو قوله (وجاءت سكرة الموت بالحق) ونفخ فى الصور وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء فى بالحق للتعدية يعنى وأحضرت سكرة الموت حقيقة الامر الذى أنطق الله به كتبه وبعث به رسله أو حقيقة الامر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى خلق له الانسان من أن كل نفس ذائقة الموت ويجوز أن تكون الباء مثلها فى قوله تنبت بالدهن أى وجاءت ملتبسة بالحق أى بحقيقة الامر أو بالحكمة والغرض الصحيح كقوله تعالى خلق السموات والارض بالحق وقرأ أبو بكر وابن مسعود رضى الله عنهما سكرة الحق بالموت على اضافة السكرة الى الحق والدلالة على أنها السكرة التى كتبت على الانسان وأوجبت له وأنها حكمة والباء للتعدية لانها سبب زهوق الروح لشدتها أو لان الموت يعقبها فكأنها جاءت به ويجوز أن يكون المعنى جاءت ومعها الموت وقيل سكرة الحق سكرة الله أضيفت اليه تفظيعا لشأنها وتهويلا وقرئ سكرات الموت (ذلك) اشارة الى الموت والخطاب للانسان فى قوله ولقد خلقنا الانسان على طريق الالتفات أو الى الحق والخطاب للفاجر (تحيد) تنفر وتهرب وعن بعضهم أنه سأل زيد بن أسلم عن ذلك فقال الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فحكاه لصالح بن كيسان فقال والله ما سن عالية ولا لسان فصيح ولا معرفة بكلام العرب هو للكافر ثم حكاهما للحسين بن عبد الله بن عبد الله بن عباس فقال أخالفهما جميعا هو للبر والفاجر (ذلك يوم الوعيد) على تقدير حذف المضاف أى وقت ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ (سائق وشهيد) ملكان أحدهما يسوقه الى المحشر والآخر يشهد عليه بعمله أو ملك واحد جامع بين الامرين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها ومحل معها سائق النصب على الحال من كل لتعرفه بالاضافة الى ما هو فى حكم المعرفة * وقرئ لقد كنت عنك غطاءك فبصرك بالكسر على خطاب النفس أى يقال لها لقد كنت * جعلت الغفلة كأنها غطاء غطى به جسده كله أو غشاوة غطى بها عينيه فهو لا يبصر شيأ فاذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت الغفلة عنه وغطاؤها فيبصر ما لم يبصره من الحق * ورجع بصره الكليل عن الابصار لغفلته حديدا لتيقظه (وقال قرينه) هو الشيطان الذى قيض له فى قوله نقيض له شيطانا فهو له قرين يشهد له قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته (هذا ما لدى عتيد) هذا شئ لدى وفى ملكتى عتيد لجهنم والمعنى أن ملكا يسوقه وآخر يشهد عليه وشيطانا مقرونا به يقول قد اعتدته لجهنم وهيأته لها باغوائى واضلالى (فان قلت) كيف

اذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه هذا ما لدى عتيد

وأجر عظيم وان المتقين فى جنات ونعيم وقوله بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وهو أكثر من أن يحصى والثانى هو الاصل فى التنكير فلا يحتاج الى تمثيله فتنكير اللبس من التعظيم والتفخيم كأنه قال فى لبس أى لبس وتنكير الخلق الجديد للتقليل منه والتهوين لامره بالنسبة الى الخلق الاول ويحتمل أن يكون للتفخيم كأنه أمر أعظم من أن يرضى الانسان بكونه ملتبسا عليه

مع أنه أول ما تبه مرفيه صحته ولعل اشارة الزمخشرى الى هذا والله أعلم فهذا كما تراه كلام مناسب لاستطراف أمثلة وأجوبة فان يكن هو ما أراده الزمخشرى فذاك والا فالعق العسل ولا تسل * قوله تعالى قال قرينه ربنا ما أطغيته (قال فيه) ان قلت لم طرحت الواو من هذه الجملة وذكرت فى الاولى وأجاب بانها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول كما رأيت فى حكاية المقاولة بين موسى وفرعون (قال) فان قلت أين المقاولة قلت لما قال قرينه هذا ما لدى عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته وتلاه لا تختصموا علم أن ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت (١٣٢) للدلالة عليها من السياق كانه لما قال القرين هذا ما لدى عتيد قال الكافر رب هو أطغانى

فلما قال الكافر ذلك قال القرين ما أطغيته فلما حكى قول القرين والكافر كان قائلا يقول فماذا قال الله تعالى فقيل قال

ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد مناع للخير معتد مريب الذى جعل مع الله الها آخر فألقياه فى العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان فى ضلال بعيد قال لا تختصموا لدى وقد قدمت اليكم بالوعيد ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد وأزلفت الجنة للمتقين

لا تختصموا أى لا تختصموا فى دار الجزاء وذكر الواو فى الجملة الاولى لانها أول المقاولة ولابد من عطفها

اعراب هذا الكلام (قلت) ان جعلت ما موصوفة فعتيد صفة لها وان جعلتها موصولة فهو بدل أو خبر بعد خبر أو خبر مبتدا محذوف (ألقيا) خطاب من الله تعالى للملكين السابقين السائق والشهيد ويجوز أن يكون خطابا للواحد على وجهين أحدهما قول المبرد ان تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل لاتحادهما كانه قيل ألق ألق للتأكيد والثانى أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على ألسنتهم أن يقولوا خليلى وصاحبى وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الاثنين عن الحجاج أنه كان يقول ياحرسى اضربا عنقه وقرأ الحسن ألقين بالنون الخفيفة ويجوز أن تكون الالف فى ألقيا بدلا من النون اجراء للوصل مجرى الوقف (عنيد) معاند مجانب للحق معاد لاهله (مناع للخير) كثير المنع للمال على حقوقه جعل ذلك عادة له لا يبذل منه شيأ قط أو مناع لجنس الخير أن يصل الى أهله يحول بينه و بينهم قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة كان يمنع بنى أخيه من الاسلام وكان يقول من دخل منكم فيه لم أنفعه بخير ما عشت (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل) مبتدأ مضمن معنى الشرط ولذلك أجيب بالفاء ويجوز أن يكون الذى جعل منصوبا بدلا من كل كفار ويكون (فألقياه) تكريرا للتوكيد (فان قلت) لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على الاولى (قلت) لانها استؤنفت كما تستأنف الجمل الواقعة فى حكاية التقاول كما رأيت فى حكاية المقاولة بين موسى وفرعون (فان قلت) فأين التقاول ههنا (قلت) لما قال قرينه هذا ما لدى عتيد وتبعه قوله قال قرينه ربنا ما أطغيته وتلاه لا تختصموا لدى علم أن ثم مقاولة من الكافر لكنها طرحت لما يدل عليها كانه قال رب هو أطغانى فقال قرينه ربنا ما أطغيته وأما الجملة الاولى فواجب عطفها للدلالة على الجمع بين معناها ومعنا ما قبلها فى الحصول أعنى مجيء كل نفس مع الملكين وقول قرينه ما قال له (ما أطغيته) ما جعلته طاغيا وما أوقعته فى الطغيان * ولكنه طغى واختار الضلالة على الهدى كقوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى قال (لا تختصموا) استئناف مثل قوله قال قرينه كان قائلا قال فماذا قال الله فقيل قال لا تختصموا والمعنى لا تختصموا فى دار الجزاء وموقف الحساب فلا فائدة فى اختصامكم ولا طائل تحته وقد أوعدتكم بعذابى على الطغيان فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فما تركت لكم حجة على * ثم قال لا تطمعوا أن أبدل قولى ووعيدى فأعفيكم عما أوعدتكم به (وما أنا بظلام للعبيد) فأعذب من ليس بمستوجب للعذاب * والباء فى بالوعيد مزيدة مثلها فى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة أو معدية على أن قدم مطاوع بمعنى تقدم و يجوز أن يقع الفعل على جملة قوله ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد ويكون بالوعيد حالا أى قدمت اليكم هذا ملتبسا بالوعيد مقترنا به أو قدمته اليكم موعدا لكم به (فان قلت) ان قوله وقد قدمت اليكم واقع موقع الحال من لا تختصموا والتقديم بالوعيد فى الدنيا والخصومة فى الآخرة واجتماعهما فى زمان واحد واجب (قلت) معناه لا تختصموا وقد صح عندكم أنى قدمت اليكم بالوعيد وصحة ذلك عندهم فى الآخرة (فان قلت) كيف قال بظلام على لفظ المبالغة (قلت) فيه وجهان

للدلالة على الجمع بين معناها ومعنى ما قبلها فى الحصول أعنى مجيء كل نفس مع الملكين وهذه المقاولة الى آخرها (قال) وقوله وقد قدمت اليكم بالوعيد حال مما اشتمل عليه قوله لا تختصموا وصح ذلك مع أن التقديم فى الدنيا والخصومة فى الآخرة لان المراد وقد صح عندكم أنى قدمت وصحة ذلك عندهم فى الآخرة فاتحد زمان الفعلين الحال والعامل فى صاحبه * قوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد (قال فيه ان قلت كيف جاء على لفظ المبالغة الخ) قال أحمد وذكر فيه وجهان آخران أحدهما أن فعالا قد ورد بمعنى فاعل فهذا منه الثانى أن المنسوب فى المعتاد الى الملوك من الظلم تحت ظلمهم ان عظيما فعظيم وان قليلا فقليل فلما كان ملك الله تعالى على كل شئ ملكه قدس ذاته عما يتوهم مخذول والعياذ بالله أنه منسوب اليه من ظلم تحت شمول كل موجود ولقد بدل القدرية فتوهموا أن الله تعالى لم يأمر الا بما أراده وعاهو من خلق العبد بناء على انه لو كلف على خلاف ما أراد وبما ليس من خلق العبد لكان تكليفا بما لا يطاق واعتقدوا أن ذلك ظلم فى

الشاهد فلو ثبت فى الغائب لكان كما هو فى الشاهد ظلما والله تعالى مبرأ من الظلم ألا ترى هذا المعتقد كيف لزمهم عليه أن يكون الله تعالى ظلاما للعبيد تعالى الله عن ذلك لان الحق الذى قامت بصحته البراهين هو عين ما اعتقدوه ظلما فنفوه فلمثلهم وردت هذه الآية وأشباهها لتبين للناس ما نزل اليهم ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والله الموفق للصواب * قوله تعالى يوم نقول لجهنم هل امتلأت الآية (قال فيه سؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذى يقصد به تصوير المعنى الخ) قال أحمد قد تقدم انكارى عليه اطلاق التخييل فى غير ما موضع والنكير ههنا أشد عليه فان اطلاق التخييل قد مضى له فى مثل قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة وفى مثل قوله بل يداه مبسوطتان وانما أراد به حمل الايدى على نوع من المجاز فعنى كلامه صحيح لانا نعتقد فيهما المجاز وندين الله بتقديسه عن المفهوم الحقيقى فلا بأس عليه فى معنى اطلاقه غير أنا مخاطبون باجتناب الالفاظ (١٣٣) الموهمة فى حق جلال الله تعالى وان كانت معانيها صحيحة وأى ايهام أشد من ايهام لفظ التخييل ألا ترى كيف استعمله الله فيما أخبر أنه سحر وباطل فى قوله يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى فلا يشك فى وجوب اجتنابه ثم يعود بنا الكلام الى اطلاقه ههنا فنقول هو منكر لفظا ومعنى

غير بعيد هذا ما توعدون لكل أواب حفيظ من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشا

أما اللفظ فقد تقدم وأما المعنى فلانا نعتقد ان سؤال جهنم وجوابها حقيقة وان الله تعالى

أحدهما أن يكون من قولك هو ظالم لعبده وظلام لعبيده والثانى أن يراد لو عذبت من لا يستحق العذاب لكنت ظلاما مفرط الظلم فنفى ذلك * قرئ نقول بالنون والياء وعن سعيد بن جبير يوم يقول الله لجهنم وعن ابن مسعود والحسن يقال * وانتصاب اليوم بظلام أو بمضمر نحو اذكروا أنذر ويجوز أن ينتصب بنفخ كأنه قيل ونفخ فى الصور يوم نقول لجهنم وعلى هذا يشار بذلك الى يوم نقول ولا يقدر حذف المضاف * وسؤال جهنم وجوابها من باب التخييل الذى يقصد به تصوير المعنى فى القلب وتثبيته وفيه معنيان أحدهما أنها تمتلئ مع اتساعها وتباعد أطرافها حتى لا يسعها شئ ولا يزاد على امتلائها لقوله تعالى لاملأن جهنم والثانى انها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها موضع للمزيد ويجوز أن يكون هل من مزيد استكثارا للداخلين فيها واستبداعا للزيادة عليهم لفرط كثرتهم أو طلبا للزيادة غيظا على العصاة والمزيد اما مصدر كالمحيد والمميد واما اسم مفعول كالمبيع (غير بعيد) نصب على الظرف أى مكانا غير بعيد أو على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير والصليل والمصادر يستوى فى الوصف بها المذكر والمؤنث أو على حذف الموصوف أى شيأ غير بعيد ومعناه التوكيد كما تقول هو قريب غير بعيد وعزيز غير ذليل * وقرئ توعدون بالتاء والياء وهى جملة اعتراضية و (لكل أواب) بدل من قوله للمتقين بتكرير الجار كقوله تعالى للذين استضعفوا لمن آمن منهم * وهذا اشارة الى الثواب أو الى مصدر أزلفت * والاواب الرجاع الى ذكر الله تعالى والحفيظ الحافظ لحدوده تعالى و (من خشى) بدل بعد بدل تابع لكل ويجوز أن يكون بدلا عن موصوف أواب وحفيظ ولا يجوز أن يكون فى حكم أواب وحفيظ لان من لا يوصف به ولا يوصف من بين الموصولات الا بالذى وحده ويجوز أن يكون مبتدأ خبره يقال لهم ادخلوها بسلام لان من فى معنى الجمع ويجوز أن يكون منادى كقولهم من لا يزال محسنا أحسن الى وحذف حرف النداء للتقريب (بالغيب) حال من المفعول أى خشيه وهو غائب لم يعرفه وكونه معاقبا الا بطريق الاستدلال أو صفة لمصدر خشى أى خشيه خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب أو خشيه بسبب الغيب الذى أوعده به من عذابه وقيل فى الخلوة حيث لا يراه أحد (فان قلت) كيف قرن بالخشية اسمه الدال على سعة الرحمة (قلت) للثناء البليغ على الخاشى وهو خشيته مع علمه أنه الواسع الرحمة كما أثنى عليه بأنه خاش مع أن المخشى منه غائب ونحوه والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فوصفهم بالوجل مع كثرة الطاعات * وصف القلب بالانابة وهى الرجوع الى الله تعالى لان الاعتبار بما ثبت منها فى القلب * يقال لهم (ادخلوها بسلام) أى سالمين من العذاب وزوال النعم أو مسلما عليكم يسلم عليكم الله وملائكته (ذلك يوم الخلود) أى يوم تقدير الخلود كقوله تعالى فادخلوها خالدين أى مقدرين الخلود (ولدينا مزيد) هو ما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه أمانيهم حتى يشاؤه

يخلق فيها الادراك بذلك بشرطه وكيف نفرض وقد وردت الاخبار وتظاهرت على ذلك منها هذا ومنها لحاج الجنة والنار ومنها اشتكاؤها الى ربها فاذن لها فى نفسين وهذه وان لم تكن نصوصا فظواهر يجب حملها على حقائقها الا أنا متعبدون باعتقاد الظاهر ما لم يمنع مانع ولا مانع ههنا فان القدرة صالحة والعقل يجوز والظواهر قاضية بوقوع ما صوره العقل وقد وقع مثل هذا قطعا فى الدنيا كتسليم الشجر وتسبيح الحصا فى كف النبى صلى الله عليه وسلم وفى يد أصحابه ولو فتح باب المجاز والعدول عن الظاهر فى تفاصيل المقالة لاتسع الخرق وضل كثير من الخلق عن الحق وليس هذا كالظواهر الواردة فى الالهيات مما لم يجوز العقل اعتقاد ظاهرها فان العدول فيها عن ظاهر الكلام بضرورة الانقياد الى أدلة العقل المرشدة الى المعتقد الحق فاشدد يدك بما فصل فى هذا الفصل مما أرشدتك به الى منهج

وقيل ان السحاب تمر باهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال الله عزوجل ولدينا مزيد (فنقبوا) وقرئ بالتخفيف فخرقوا فى البلاد ودوّخوا والتنقيب التنقير عن الامر والبحث والطلب قال الحرث بن حلزة

نقبوا فى البلاد من حذر المو * ت وجالوا فى الارض كل مجال

ودخلت الفاء للتسبيب عن قوله هم أشد منهم بطشا أى شدة بطشهم أبطرتهم وأقدرتهم على التنقيب وقوتهم عليه ويجوز أن يراد فنقب أهل مكة فى أسفارهم ومسايرهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصا حتى يؤملوا مثله لانفسهم والدليل على صحته قراءة من قرأ فنقبوا على الامر كقوله تعالى فسيحوا فى الارض وقرئ بكسر القاف مخففة من النقب وهو أن ينتقب خف البعير قال * ماسمها من نقب ولا دبر * والمعنى فنقبت أخفاف ابلهم أوحفيت أقدامهم ونقبت كما تنقب أخفاف الابل لكثرة طوفهم فى البلاد (هل من محيص) من الله أو من الموت (لمن كان له قلب) أى قلب واع لان من لايعى قلبه فكانه لاقلب له * والقاء السمع الاصغاء (وهو شهيد) أى حاضر بفطنته لان من لايحضر ذهنه فكانه غائب وقد ملح الامام عبد القاهر فى قوله لبعض من يأخذ عنه

ماشئت من زهزهة والفتى * بمصقلاباذ لسقى الزروع

أو وهو مؤمن شاهد على صحته وأنه وحى من الله أو وهو بعض الشهداء فى قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس وعن قتادة وهو شاهد على صدقه من أهل الكتاب لوجود نعته عنده وقرأ السدى وجماعة ألقى السمع على البناء للمفعول ومعناه لمن ألقى غيره السمع وفتح له أذنه فحسب ولم يحضر ذهنه وهو حاضر الذهن متفطن وقيل ألقى سمعه أو السمع منه * اللغوب الاعياء وقرئ بالفتح بزنة القبول والولوع قيل نزلت فى اليهود لعنت تكذيبا لقولهم خلق الله السموات والارض فى ستة أيام أولها الاحد وآخرها الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش وقالوا ان الذى وقع من التشبيه فى هذه الامة انما وقع من اليهود ومنهم أخذ (فاصبر على مايقولون) أى اليهود ويأتون به من الكفر والتشبيه وقيل فاصبر على مايقول المشركون من انكارهم البعث فان من قدر على خلق العالم قدر على بعثهم والانتقام منهم وقيل هى منسوخة بآية السيف وقيل الصبر مأمور به فى كل حال (بحمد ربك) حامدا ربك والتسبيح محمول على ظاهره أو على الصلاة فالصلاة (قبل طلوع الشمس) الفجر (وقبل الغروب) الظهر والعصر (ومن الليل) العشا آن وقيل التهجد (وأدبار السجود) التسبيح فى آثار الصلوات والسجود والركوع يعبر بهما عن الصلاة وقيل النوافل بعد المكتوبات وعن على رضى الله عنه الركعتان بعد المغرب وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم من صلى بعد المغرب قبل أن يتكلم كتبت صلاته فى عليين وعن ابن عباس رضى الله عنهما الوتر بعد العشاء والادبار جمع دبر وقرئ وادبار من أدبرت الصلاة اذا انقضت وتمت ومعناه ووقت انقضاء السجود كقولهم آتيك خفوق النجم (واستمع) يعنى واستمع لما أخبرك به من حال يوم القيامة وفى ذلك تهويل وتعظيم لشأن المخبر به والمحدث عنه كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال سبعة أيام لمعاذ بن جبل يامعاذ اسمع ما أقول لك ثم حدثه بعد ذلك (فان قلت) بم انتصب اليوم (قلت) بما دل عليه ذلك يوم الخروج أى يوم ينادى المنادى يخرجون من القبور * ويوم يسمعون بدل من (يوم ينادى) و (المنادى) اسرافيل ينفخ فى الصور وينادى أيتها العظام البالية والاوصال المنقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة ان الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل اسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (من مكان قريب) من صخرة بيت المقدس وهى أقرب الارض من السماء باثنى عشر ميلا وهى وسط الارض وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة أيتها العظام البالية و (الصيحة) النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والمراد به البعث والحشر للجزاء وقرئ تشقق وتشقق بادغام التاء فى الشين وتشقق على البناء للمفعول وتنشق (سراعا) حال من المجرور (علينا يسير) تقديم الظرف يدل على الاختصاص يعنى لايتيسر مثل ذلك الامر العظيم الا على القادر الذات الذى لايشغله شأن عن شأن كما قال تعالى ماخلقكم ولابعثكم الا كنفس واحدة (نحن أعلم بما يقولون) تهديد لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (بجبار) كقوله تعالى

فنقبوا فى البلاد هل من محيص ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ولقد خلقنا السموات والارض ومابينهما فى ستة أيام ومامسنا من لغوب فاصبر على مايقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود واستمع يوم ينادى المناد من مكان قريب يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج انا نحن نحيى ونميت والينا المصير يوم تشقق الارض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن

القرب والوصل والله الموفق * قوله تعالى من خشى الرحمن بالغيب (قال فيه ان قلت كيف قرن الخشية باسمه الدال على سعة الرحمة الخ) قال أحمد ومن هذا الوادى بالغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الثناء على صهيب بقوله نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه

بمسيطر

بمسيطر حتى تقسرهم على الايمان انما أنت داع و باعث وقيل أريد التحلم عنهم وترك الغلظة عليهم و يجوز أن يكون من جبره على الامر بمعنى أجبره عليه أى ما أنت بوال عليهم تجبرهم على الايمان وعلى عزائمه فى قولك هو عليهم اذا كان واليهم ومالك أمرهم (من يخاف وعيد) كقوله تعالى انما أنت منذر من يخشاها لانه لاينفع الا فيه دون المصر على الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ق هوّن الله عليه تارات الموت وسكراته

﴿سورة والذاريات مكية وهى ستون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(والذاريات) الرياح لانها تذرو التراب وغيره قال الله تعالى تذروه الرياح وقرئ بادغام التاء فى الذال (فالحاملات وقرا) السحاب لانها تحمل المطر وقرئ وقرا بفتح الواو على تسمية المحمول بالمصدر أو على ايقاعه موقع حملا (فالجاريات يسرا) الفلك ومعنى يسرا جريا ذا يسر أى ذا سهولة (فالمقسمات أمرا) الملائكة لانها تقسم الامور من الامطار والارزاق وغيرها أو تفعل التقسيم مأمورة بذلك وعن مجاهد تتولى تقسيم أمر العباد جبريل للغلظة وميكائيل للرحمة وملك الموت لقبض الارواح واسرافيل للنفخ وعن على رضى الله عنه أنه قال وهو على المنبر سلونى قبل أن لاتسألونى ولن تسألوا بعدى مثلى فقام ابن الكواء فقال ما الذاريات ذروا قال الرياح قال فالحاملات وقرا قال السحاب قال فالجاريات يسرا قال الفلك قال فالمقسمات أمرا قال الملائكة وكذا عن ابن عباس وعن الحسن المقسمات السحاب يقسم الله بها أرزاق العباد وقد حملت على الكواكب السبعة ويجوز أن يراد الرياح لاغير لانها تنشئ السحاب وتقله وتصرفه وتجرى فى الجو جريا سهلا وتقسم الامطار بتصريف السحاب (فان قلت) مامعنى الفاء على التفسيرين (قلت) أما على الاول فمعنى التعقيب فيها أنه تعالى أقسم بالرياح فبالسحاب الذى تسوقه فبالفلك التى تجريها بهبوبها فبالملائكة التى تقسم الارزاق باذن الله من الامطار وتجارات البحر ومنافعه وأما على الثانى فلانها تبتدئ بالهبوب فتذرو التراب والحصباء فتقل السحاب فتجرى فى الجو باسطة له فتقسم المطر (ان ماتوعدون) جواب القسم وما موصولة أو مصدرية والموعود البعث * ووعد صادق كعيشة راضية * والدين الجزاء * والواقع الحاصل (الحبك) الطرائق مثل حبك الرمل والماء اذا ضربته الريح وكذلك حبك الشعر آثار تثنيه وتكسره قال زهير

مكلل بأصول النجم تنسجه * ريح خريق لضاحى مائه حبك

والدرع محبوكة لان حلقها مطرق طرائق ويقال ان خلقة السماء كذلك وعن الحسن حبكها نجومها والمعنى أنها تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشى وقيل حبكها صفاقتها واحكامها من قولهم فرس محبوك المعاقم أى محكمها واذا أجاد الحائك الحياكة قالوا ما أحسن حبكه وهو جمع حباك كمثال ومثل أو حبيكة كطريقة وطرق وقرئ الحبك بوزن القفل والحبك بوزن السلك والحبك بوزن الجبل والحبك بوزن البرق والحبك بوزن النعم والحبك بوزن الابل (انكم لفى قول مختلف) قولهم فى الرسول ساحر وشاعر ومجنون وفى القرآن شعر وسحر وأساطير الاولين وعن الضحاك قول الكفرة لايكون مستويا انما هو متناقض مختلف وعن قتادة منكم مصدق ومكذب ومقر ومنكر (يؤفك عنه) الضمير للقرآن أو للرسول أى يصرف عنه من صرف الصرف الذى لاصرف أشد منه وأعظم كقوله لايهلك على الله الاهالك وقيل يصرف عنه من صرف فى سابق علم الله أى علم فيما لم يزل أنه مأفوك عن الحق لايرعوى ويجوز أن يكون الضمير لما توعدون أو للدين أقسم بالذاريات على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسماء على أنهم فى قول مختلف فى وقوعه فمنهم شاك ومنهم جاحد ثم قال يؤفك عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك ووجه آخر وهو أن يرجع الضمير الى قول مختلف وعن مثله فى قوله * ينهون عن أكل وعن شرب * أى يتناهون فى السمن بسبب الاكل والشرب وحقيقته يصدر تناهيهم فى السمن عنهما وكذلك يصدر افكهم عن القول المختلف وقرأ سعيد بن جبير يؤفك عنه من أفك على البناء

﴿سورة الذاريات مكية وهى ستون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا انما توعدون لصادق وان الدين لواقع والسماء ذات الحبك انكم لفى قول مختلف يؤفك عنه من أفك

﴿القول فى سورة الذاريات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى يؤفك عنه من أفك (قال فيه يصرف عنه من صرف الصرف الذى لاصرف أشد منه الخ) قال أحمد انما أفاد هذا النظم المعنى الذى ذكر من قبل انك اذا قلت يصرف عنه من صرف علم السامع أن قولك يصرف عنه يغنى عن قولك من صرف لانه بمجرده كالتكرار الاول لولا مايستشعر فيه من فائدة تأبى جعله تكرارا وتلك الفائدة أنك لما خصصت هذا بأنه هو الذى صرف أفهم أن غيره لم يصرف فكانك قلت لايثبت الصرف فى الحقيقة الا لهذا وكل صرف دونه فكلا صرف بالنسبة اليه والله تعالى أعلم

* قوله تعالى كانوا قليلا من الليل ما يهجعون (ذكر) فيه وجهين أن تكون ما زائدة وقليلا ظرف منتصب بيهجعون أى كانوا يهجعون
فى طائفة قليلة من الليل أو تكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على
الفاعلية اهـ كلامه (قال أحمد) وجوه مستقيمة خلا جعل ما مصدرية فان قليلا حينئذ واقع على الهجوع لانه فاعله وقوله من الليل
لا يستقيم أن يكون صفة للقليل ولا بيانا له ولا يستقيم أن يكون من صلة المصدر لانه تقدم عليه ولا كذلك على أنها موصولة

فان قليلا حينئذ واقع
على الليل كأنه قال قليلا
المقدار الذى كانوا
يهجعون فيه من الليل
فلا مانع أن يكون من
الليل بيانا للقليل على
هذا الوجه وهذا الذى
ذكره انما تبع فيه
الزجاج وقدرد الزمخشرى
أن تكون

للفاعل أى من أفك الناس عنه وهم قريش وذلك أن الحى كانوا يبعثون الرجل ذا العقل والرأى ليسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون له احذره فيرجع فيخبرهم وعن زيد بن على يؤفك عنه من أفك أى يصرف الناس عنه من هو مأفوك فى نفسه وعنه أيضا يأفك عنه من أفك أى يصرف الناس عنه من هو أفاك كذاب وقرئ يؤفن عنه من أفن أى يحرمه من حرم من أفن الضرع اذا نهكه حلبا (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله تعالى قتل الانسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن وقبح والخراصون الكذابون المقدرون ما لا يصح وهم أصحاب القول المختلف واللام اشارة اليهم كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرئ قتل الخراصين أى قتل الله (فى غمرة) فى جهل يغمرهم (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسئلون) فيقولون (أيان يوم الدين) أى متى يوم الجزاء وقرئ بكسر الهمزة وهى لغة (فان قلت) كيف وقع أيان ظرفا لليوم وانما تقع الاحيان ظروفا للحدثان (قلت) معناه أيان وقوع يوم الدين (فان قلت) فبم انتصب اليوم الواقع فى الجواب (قلت) بفعل مضمر دل عليه السؤال أى يقع يوم هم على النار يفتنون ويجوز أن يكون مفتوحا لاضافته الى غير متمكن وهى الجملة (فان قلت) فما محله مفتوحا (قلت) يجوز أن يكون محله نصبا بالمضمر الذى هو يقع ورفعا على هو يوم هم على النار يفتنون وقرأ ابن أبى عبلة بالرفع (يفتنون) يحرقون ويعذبون ومنه الفتين وهى الحرة لان حجارتها كأنها محرقة (ذوقوا فتنتكم) فى محل الحال أى مقولا لهم هذا القول (هذا) مبتدأ و (الذى) خبره أى هذا العذاب هو الذى (كنتم به تستعجلون) ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم أى ذوقوا هذا العذاب (آخذين ما آتاهم ربهم) قابلين لكل ما أعطاهم راضين به يعنى أنه ليس فيما آتاهم الا ما هو متلقى بالقبول مرضى غير مسخوط لان جميعه حسن طيب ومنه قوله تعالى ويأخذ الصدقات أى يقبلها ويرضاها (محسنين) قد أحسنوا أعمالهم وتفسير احسانهم ما بعده (ما) مزيدة والمعنى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل ان جعلت قليلا ظرفا ولك أن تجعله صفة للمصدر أى كانوا يهجعون هجوعا قليلا ويجوز أن تكون ما مصدرية أو موصولة على كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه وارتفاعه بقليلا على الفاعلية وفيه مبالغات لفظ الهجوع وهو الفرار من النوم قال

قد حصت البيضة رأسى فما * أطعم نوما غير تهجاع

وقوله قليلا ومن الليل لان الليل وقت السبات والراحة وزيادة ما المؤكدة لذلك وصفهم بأنهم يحيون الليل متهجدين فاذا أسحروا أخذوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم وقوله (هم يستغفرون) فيه أنهم هم المستغفرون الاحقاء بالاستغفار دون المصرين فكأنهم المختصون به لاستدامتهم له واطنابهم فيه (فان قلت) هل يجوز أن تكون ما نافية كما قال بعضهم وأن يكون المعنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا ويحيونه كله (قلت) لا لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها تقول زيدا لم أضرب ولا تقول زيدا ما ضربت * السائل الذى يستجدى (والمحروم) الذى يحسب غنيا فيحرم الصدقة لتعففه وعن النبى صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذى ترده الاكلة والاكلتان واللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان قالوا فما هو قال الذى لا يجد ولا يتصدق عليه وقيل الذى لا ينمى له مال وقيل المحارف الذى لا يكاد يكسب (وفى الارض آيات) تدل على

قتل الخراصون الذين
هم فى غمرة ساهون
يسئلون أيان يوم الدين
يوم هم على النار يفتنون
ذوقوا فتنتكم هذا الذى
كنتم به تستعجلون ان
المتقين فى جنات وعيون
آخذين ما آتاهم ربهم
انهم كانوا قبل ذلك
محسنين كانوا قليلا من
الليل ما يهجعون
وبالاسحار هم يستغفرون
وفى أموالهم حق
للسائل والمحروم وفى
الارض آيات

ما نفيا وقليلا منصوب
بيهجعون على تقدير
كانوا ما يهجعون قليلا
من الليل وأسند رده الى
امتناع تقدم ما فى حيز
النفى عليه (قلت) وفيه
خلل من حيث المعنى
فان طلب قيام جميع الليل غير مستثنى منه الهجوع وان قل غير ثابت فى الشرع ولا معهود ثم قال وصفهم بأنهم
يحيون الليل متهجدين فاذا أسحروا شرعوا فى الاستغفار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم * قال وقوله هم معناه هم الاحقاء بالاستغفار دون
المصرين * قال وفى الآية مبالغات منها لفظ الهجوع وهو الخفيف القرار من النوم * قال وقوله قليلا وقوله من الليل لانه وقت السبات
قال ومنها زيادة ما فى بعض الوجوه (قلت) وفى عدها من المبالغة نظر فانها تؤكد الهجوع وتحققه الا أن يجعلها تعمق القلة فيحتمل

الصانع

الصانع وقدرته وحكمته وتدبيره حيث هى مدحوة كالبساط لما فوقها كما قال الذى جعل لكم الارض مهادا وفيها المسالك والفجاج للمتقلبين فيها والماشين فى مناكبها وهى مجزأة فمن سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات من صلبة ورخوة وعذاة وسبخة وهى كالطروقة تلقح بألوان النبات وأنواع الاشجار بالثمار المختلفة الالوان والطعوم والروائح تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الاكل وكلها موافقة لحوائج ساكنيها ومنافعهم ومصالحهم فى صحتهم واعتلالهم وما فيها من العيون المتفجرة والمعادن المفتنة والدواب المنبثة فى برها وبحرها المختلفة الصور والاشكال والافعال من الوحشى والانسى والهوام وغير ذلك (للموقنين) الموحدين الذين سلكوا الطريق السوى البرهانى الموصل الى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة كلما رأوا آية عرفوا وجه تأملها فازدادوا ايمانا مع ايمانهم وايقانا الى ايقانهم (وفى أنفسكم) فى حال ابتدائها وتنقلها من حال الى حال وفى بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق ما تتحير فيه الاذهان وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول وخصت به من أصناف المعانى وبالالسن والنطق ومخارج الحروف وما فى تركيبها وترتيبها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر دع الاسماع والابصار والاطراف وسائر الجوارح وتأتيها لما خلقت له وما سوى فى الاعضاء من المفاصل للانعطاف والتثنى فانه اذا جسا شئ منها جاء العجز واذا استرخى أناخ الذل فتبارك الله أحسن الخالقين (وفى السماء رزقكم) هو المطر لانه سبب الاقوات وعن سعيد بن جبير هو الثلج وكل عين دائمة منه وعن الحسن أنه كان اذا رأى السحاب قال لاصحابه فيه والله رزقكم ولكنكم تحرمونه بخطاياكم (وما توعدون) الجنة هى على ظهر السماء السابعة تحت العرش أو أراد أن ما ترزقونه فى الدنيا وما توعدون به فى العقبى كله مقدر مكتوب فى السماء * قرئ مثل ما بالرفع صفة للحق أى حق مثل نطقكم وبالنصب على انه لحق حقا مثل نطقكم ويجوز أن يكون فتحا لاضافته الى غير متمكن وما مزيدة بنص الخليل وهذا كقول الناس ان هذا لحق كما أنك ترى وتسمع ومثل ما انك ههنا وهذا الضمير اشارة الى ما ذكر من أمر الآيات والرزق وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أو الى ما توعدون وعن الاصمعى أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابى على قعود له فقال من الرجل قلت من بنى أصمع قال من أين أقبلت قلت من موضع يتلى فيه كلام الرحمن فقال اتل على فتلوت والذاريات فلما بلغت قوله تعالى وفى السماء رزقكم قال حسبك فقام الى ناقته فنحرها ووزعها على من أقبل وأدبر وعمد الى سيفه وقوسه فكسرهما وولى فلما حججت مع الرشيد طفقت أطوف فاذا أنا بمن يهتف بى بصوت دقيق فالتفت فاذا أنا بالاعرابى قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ثم قال وهل غير هذا فقرأت فورب السماء والارض إنه لحق فصاح وقال يا سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل حتى حلف لم يصدقوه بقوله حتى ألجؤه الى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه (هل أتاك) تفخيم للحديث وتنبيه على أنه ليس من علم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما عرفه بالوحى * والضيف للواحد والجماعة كالزور والصوم لانه فى الاصل مصدر ضافه وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك معهما وجعلهم ضيفا لانهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم ابراهيم أو لانهم كانوا فى حسبانه كذلك * واكرامهم أن ابراهيم خدمهم بنفسه وأخدمهم امرأته وعجل لهم القرى أو أنهم فى أنفسهم مكرمون قال الله تعالى بل عباد مكرمون (اذ دخلوا) نصب بالمكرمين اذا فسر باكرام ابراهيم لهم والا فبما فى ضيف من معنى الفعل أو باضمار اذكر (سلاما) مصدر ساد مسد الفعل مستغنى به عنه وأصله نسلم عليكم سلاما * وأما (سلام) فمعدول به الى الرفع على الابتداء وخبره محذوف معناه عليكم سلام للدلالة على ثبات السلام كأنه قصد أن يحييهم بأحسن مما حيوه به أخذا بأدب الله تعالى وهذا أيضا من اكرامه لهم وقرئا مرفوعين وقرئ سلاما قال سلما والسلم السلام وقرئ سلاما قال سلم (قوم منكرون) أنكرهم للسلام الذى هو علم الاسلام أو أراد أنهم ليسوا من معارفه أو من جنس الناس الذين عهدهم كما لو أبصر العرب قوما من الخزر أو رأى لهم حالا وشكلا خلاف حال الناس وشكلهم

للموقنين وفى أنفسكم
أفلا تبصرون وفى
السماء رزقكم وما
توعدون فورب السماء
والارض إنه لحق مثل
ما أنكم تنطقون هل
أتاك حديث ضيف
ابراهيم المكرمين اذ
دخلوا عليه فقالوا سلاما
قال سلام قوم منكرون

*قوله تعالى فراغ الى أهله (قال فيه اشارة لاختفائه من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفى أمره الخ) قال أحمد معنى حسن وقد نقل أبو عبيد أنه لا يقال راغ الا اذا ذهب (١٣٨) على خفية ونقل أبو عبيد فى قوله عليه السلام اذا كفى أحدكم خادمه حر طعامه فليقعده معه

فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين فقربه اليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم فأقبلت امرأته فى صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم قالوا كذلك قال ربك إنه هو الحكيم العليم قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم وهو مليم وفى عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ما تذر من شئ أتت عليه الا جعلته كالرميم وفى ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فما استطاعوا من قيام وما كانوا

أو كان هذا سوأ الالهم كأنه قال أنتم قوم منكرون فعرفونى من أنتم (فراغ الى أهله) فذهب اليهم فى خفية من ضيوفه ومن أدب المضيف أن يخفى أمره وأن يباده بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذرا من أن يكفه و يعذره قال قتادة كان عامة مال نبى الله ابراهيم البقر (فجاء بعجل سمين) * والهمزة فى (ألا تأكلون) للانكار أنكر عليهم ترك الاكل أو حثهم عليه (فأوجس) فأضمر وانما خافهم لانهم لم يتحرموا بطعامه فظن أنهم يريدون به سوأ وعن ابن عباس وقع فى نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب وعن عون بن شداد مسح جبريل العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بامه (بغلام عليم) أى يبلغ و يعلم وعن الحسن عليم نبى والمبشر به اسحق وهو أكثر الاقاويل وأصحها لان الصفة صفة سارة لا هاجر وهى امرأة ابراهيم وهو بعلها وعن مجاهد هو اسمعيل (فى صرة) فى صيحة من صر الجندب وصر القلم والباب ومحله النصب على الحال أى فجاءت صارة قال الحسن أقبلت الى بيتها وكانت فى زاوية تنظر اليهم لانها وجدت حرارة الدم فلطمت وجهها من الحياء وقيل فأخذت فى صرة كما تقول أقبل يشتمنى وقيل صرتها قولها أوه وقيل ياويلتا وعن عكرمة رنتها (فصكت) فلطمت بيسط يديها وقيل فضربت بأطراف أصابعها جبهتها فعل المتعجب (عجوز) أنا عجوز فكيف ألد (كذلك) مثل ذلك الذى قلنا وأخبرنا به (قال ربك) أى انما نخبرك عن الله والله قادر على ما تستبعدين وروى أن جبريل قال لها انظرى الى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة *لما علم أنهم ملائكة وأنهم لا ينزلون الا باذن الله رسلا فى بعض الامور (قال فما خطبكم) أى فما شأنكم وما طلبكم (الى قوم مجرمين) الى قوم لوط (حجارة من طين) يريد السجيل وهو طين طبخ كما يطبخ الآجر حتى صار فى صلابة الحجارة (مسومة) معلمة من السومة وهى العلامة على كل واحد منها اسم من يهلك به وقيل أعلمت بأنها من حجارة العذاب وقيل بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا * سماهم مسرفين كما سماهم عادين لاسرافهم وعدوانهم فى عملهم حيث لم يقنعوا بما أبيح لهم * الضمير فى (فيها) للقرية ولم يجر لها ذكر لكونها معلومة وفيه دليل على أن الايمان والاسلام واحد وأنهما صفتا مدح قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل بيته الذين نجوا ثلاثة عشر وعن قتادة لو كان فيها أكثر من ذلك لأنجاهم ليعلموا أن الايمان محفوظ لا ضيعة على أهله عند الله (آية) علامة يعتبر بها الخائفون دون القاسية قلوبهم قال ابن جريج هى صخر منضود فيها وقيل ماء أسود منتن (وفى موسى) عطف على وفى الارض آيات أو على قوله وتركنا فيها آية على معنى وجعلنا فى موسى آية كقوله علفتها تبنا وماء باردا (فتولى بركنه) فازور وأعرض كقوله تعالى ونأى بجانبه وقيل فتولى بما كان يتقوى به من جنوده وملكه وقرئ بركنه بضم الكاف (وقال ساحر) أى هو ساحر (مليم) آت بما يلام عليه من كفره وعناده والجملة مع الواو حال من الضمير فى فأخذناه (فان قلت) كيف وصف نبى الله يونس صلوات الله عليه بما وصف به فرعون فى قوله تعالى فالتقمه الحوت وهو مليم (قلت) موجبات اللوم تختلف وعلى حسب اختلافها تختلف مقادير اللوم فراكب الكبيرة ملوم على مقدارها وكذلك مقترف الصغيرة ألا ترى الى قوله تعالى وعصوا رسله وعصى آدم ربه لان الكبيرة والصغيرة يجمعهما اسم العصيان كما يجمعهما اسم القبيح والسيئة (العقيم) التى لا خير فيها من انشاء مطر أو إلقاح شجر وهى ريح الهلاك واختلف فيها فعن على رضى الله عنه النكباء وعن ابن عباس الدبور وعن ابن المسيب الجنوب * الرميم كل مارم أى بلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك (حتى حين) تفسيره قوله تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام (فعتوا عن أمر ربهم) فاستكبروا عن امتثاله * وقرئ الصعقة وهى المرة من مصدر صعقتهم الصاعقة والصاعقة النازلة نفسها (وهم ينظرون) كانت نهارا يعاينونها وروى أن العمالقة كانوا معهم فى الوادى ينظرون اليهم وما ضرتهم (فما استطاعوا من قيام) كقوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين وقيل هو من قولهم ما يقوم به

والا فليروغ له لقمة قال أبو عبيد يقال روغ اللقمة وسغبلها وسغسغها ورغها اذا غمسها فرويت سمنا (قلت) وهو من هذا المعنى لانها تذهب مغموسة فى السمن حتى تخفى ومن مقلوبه غور الارض والجرح وسائر مقلوباته قريبة من هذا المعنى والله أعلم

*قوله تعالى ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين (قال فيه معنى ففروا الى الله أى الى طاعته من معصيته والى ثوابه الخ) قال أحمد حمل الآية مالم تحمله لانه لا يكاد يخلى سورة حتى يدس فى تفسيرها بيده من معتقده فدس ههنا القطع بوعيد الفساق و بخلودهم كالكفار ولا تحتمل الآية لما ذكر فان العناية فى قوله ففروا الى الله الفرار الى عبادة الله فتوعد من لم يعبد الله ثم نهى عابده أن يشرك بعبادة ربه غيره وتوعده على ذلك وفائدة تكرار النذارة الدلالة على أنه لا تنفع العبادة مع الاشراك بل حكم المشرك حكم الجاحد المعطل لا كما قال الزمخشرى المأمور به فى الاول الطاعة الموظفة بعد الايمان فتوعد تاركها بالوعيد المعروف له وهو الخلود وعلى هذا لا يكون تكرارا على اختلاف الوعيدين فهو أولى فكيف يحمل الآية على خلاف ما هو أولى بها ليتم الاستدلال بها على معتقده الفاسد نعوذ بالله من ذلك *قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون (قال فيه الا لاجل العبادة ولم أرد (١٣٩) من جميعهم الا اياها الخ) قال أحمد

منتصرين وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون والارض فرشناها فنعم الماهدون ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون فتول عنهم فما أنت بملوم وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة

اذا عجز عن دفعه (منتصرين) ممتنعين من العذاب (وقوم) قرئ بالجر على معنى وفى قوم نوح وتقويه قراءة عبد الله وفى قوم نوح و بالنصب على معنى وأهلكنا قوم نوح لان ما قبله يدل عليه أو واذكر قوم نوح (بأيد) بقوة والأيد والآد القوة وقد آد يئيد وهو أيد (وانا لموسعون) لقادرون من الوسع وهى الطاقة والموسع القوى على الانفاق وعن الحسن لموسعون الرزق بالمطر وقيل جعلنا بينها و بين الارض سعة (فنعم الماهدون) فنعم الماهدون نحن (ومن كل شئ) أى من كل شئ من الحيوان (خلقنا زوجين) ذكرا وأنثى وعن الحسن السماء والارض والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر والموت والحياة فعدد أشياء وقال كل اثنين منها زوج والله تعالى فرد لا مثل له (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله من بناء السماء وفرش الارض وخلق الازواج ارادة أن تتذكروا فتعرفوا الخالق وتعبدوه (ففروا الى الله) أى الى طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووحدوه ولا تشركوا به شيأ وكرر قوله (انى لكم منه نذير مبين) عند الامر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم أن الايمان لا ينفع الا مع العمل كما أن العمل لا ينفع الا مع الايمان وأنه لا يفوز عند الله الا الجامع بينهما ألا ترى الى قوله تعالى لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا والمعنى قل يا محمد ففروا الى الله (كذلك) الامر أى مثل ذلك وذلك إشارة الى تكذيبهم الرسول وتسميته ساحرا ومجنونا ثم فسر ما أجمل بقوله (ما أتى) ولا يصح أن تكون الكاف منصوبة بأتى لان ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها ولو قيل لم يأت لكان صحيحا على معنى مثل ذلك الاتيان لم يأت من قبلهم رسول الا قالوا (أتواصوا به) الضمير للقول يعنى أتواصى الاولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعا متفقين عليه (بل هم قوم طاغون) أى لم يتواصوا به لانهم لم يتلاقوا فى زمان واحد بل جمعتهم العلة الواحدة وهى الطغيان والطغيان هو الحامل عليه (فتول عنهم) فأعرض عن الذين كررت عليهم الدعوة فلم يجيبوا وعرفت منهم العناد واللجاج فلا لوم عليك فى اعراضك بعدما بلغت الرسالة و بذلت مجهودك فى البلاغ والدعوة ولا تدع التذكير والموعظة بأيام الله (فان الذكرى تنفع المؤمنين) أى تؤثر فى الذين عرف الله منهم أنهم يدخلون فى الايمان أو يزيد الداخلين فيه ايمانا و روى أنه لما نزلت فتول عنهم حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد ذلك على أصحابه ورأوا أن الوحى قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله وذكر أى وما خلقت الجن والانس الا لأجل العبادة ولم أرد من جميعهم الا اياها (فان قلت) لو كان مريدا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادا (قلت) انما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين اليها لانه خلقهم ممكنين فاختار بعضهم ترك العبادة مع كونه مريدا لها

من عادته أنه اذا استشعر أن ظاهرا موافق لمعتقده نزله على مذهبه بصورة ايراد معتقد أهل السنة سؤالا وايراد معتقده جوابا فكذلك صنع ههنا فنقول السؤال الذى أورده مما لا يجاب عنه بما ذكره فانه سؤال مقدماته قطعية عقلية فيجب تنزيل الآية عليه وهى أن ظاهر سياق الآية دليل لأهل السنة فانها انما سيقت لبيان عظمته عز وجل وأن شأنه مع عبيده لا يقاس به شأن عبيد الخلق معهم فان عبيدهم مطلوبون بالخدمة والتكسب للسادة و بواسطة مكاسب عبيدهم قدر أرزاقهم والله تعالى لا يطلب من عباده رزقا ولا اطعاما وانما يطلب منهم عبادته لا غير وزائد على كونه لا يطلب منهم رزقا أنه هو الذى يرزقهم فهذا المعنى الشريف هو الذى تحلى تحت رابة هذه الآية وله سيقت وبه نطقت ولكن الهوى يعمى و يصم فحاصله وما خلقت الجن والانس الا لأدعوهم الى عبادتى وهذا مما لا يعدل عنه أهل السنة فانه وافق معتقدهم و بالله التوفيق

ولو أرادها على القسر والالجاء لوجدت من جميعهم * يريد أن شأنى مع عبادى ليس كشأن السادة مع عبيدهم فان ملاك العبيد انما يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وأرزاقهم فاما مجهز فى تجارة ليفىء ربحا أو مرتب فى فلاحة ليغتل أرضا أو مسلم فى حرفة لينتفع بأجرته أو محتطب أو محتش أو مستق أو طابخ أو خابز وما أشبه ذلك من الاعمال والمهن التى هى تصرف فى أسباب المعيشة وأبواب الرزق فأما مالك ملك العبيد وقال لهم اشتغلوا بما يسعدكم فى أنفسكم ولا أريد أن أصرفكم فى تحصيل رزقى ولا رزقكم وأنا غنى عنكم وعن مرافقكم ومتفضل عليكم برزقكم وبما يصلحكم ويعيشكم من عندى فما هو الا أنا وحدى (المتين) الشديد القوة قرئ بالرفع صفة لذو وبالجر صفة للقوة على تأويل الاقتدار والمعنى فى وصفه بالقوة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شئ * وقرئ الرازق وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم انى أنا الرازق * الذنوب الدلو العظيمة وهذا تمثيل أصله فى السقاة يتقسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال

لنا ذنوب ولكم ذنوب * فان أبيتم فلنا القليب

ولما قال عمرو بن شاس

وفى كل حى قد خبطت بنعمة * فحق لشاس من نداك ذنوب

قال الملك نعم وأذنبة والمعنى فان الذين ظلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب من أهل مكة لهم نصيب من عذاب الله مثل نصيب أصحابهم ونظرائهم من القرون وعن قتادة سجلا من عذاب الله مثل سجل أصحابهم (من يومهم) من يوم القيامة وقيل من يوم بدر * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والذاريات أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا

(سورة الطور مكية وهى تسع وأربعون وقيل ثمان وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* الطور الجبل الذى كلم الله عليه موسى وهو بمدين * والكتاب المسطور فى الرق المنشور والرق الصحيفة وقيل الجلد الذى يكتب فيه الكتاب الذى يكتب فيه الاعمال قال الله تعالى ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقيل هو ما كتبه الله لموسى وهو يسمع صرير القلم وقيل اللوح المحفوظ وقيل القرآن ونكر لانه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب كقوله تعالى ونفس وما سواها (والبيت المعمور) الضراح فى السماء الرابعة وعمرانه كثرة غاشيته من الملائكة وقيل الكعبة لكونها معمورة بالحجاج والعمار والمجاورين (والسقف المرفوع) السماء (والبحر المسجور) المملوء وقيل الموقد من قوله تعالى واذا البحار سجرت وروى أن الله تعالى يجعل يوم القيامة البحار كلها نارا تسجر بها نار جهنم وعن على رضى الله عنه أنه سأل يهوديا أين موضع النار فى كتابكم قال فى البحر قال على ما أراه الا صادقا لقوله تعالى والبحر المسجور (لواقع) لنازل قال جبير بن مطعم أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أكلمه فى الاسارى فألفيته فى صلاة الفجر يقرأ سورة الطور فلما بلغ ان عذاب ربك لواقع أسلمت خوفا من أن ينزل العذاب (تمور السماء) تضطرب وتجىء وتذهب وقيل المور تحرك فى تموج وهو الشئ يتردد فى عرض كالداغصة فى الركبة * غلب الخوض فى الاندفاع فى الباطل والكذب ومنه قوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وخضتم كالذى خاضوا * الدع الدفع العنيف وذلك أن خزنة النار يغلون أيديهم الى أعناقهم ويجمعون نواصيهم الى أقدامهم ويدفعونهم الى النار دفعا على وجوههم وزخا فى أقفيتهم وقرأ زيد بن على يدعون من الدعاء أى يقال لهم هلموا الى النار وادخلوا النار (دعا) مدعوعين يقال لهم هذه النار (أفسحر هذا) يعنى كنتم تقولون للوحى هذا سحر أفسحر هذا يريد أهذا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى (أم أنتم لا تبصرون) كما كنتم لا تبصرون فى الدنيا يعنى أم أنتم عمى عن المخبر عنه كما كنتم عميا عن الخبر وهذا تقريع وتهكم (سواء) خبر محذوف أى سواء عليكم الامران الصبر وعدمه (فان قلت) لم علل استواء الصبر وعدمه بقوله (انما تجزون ما كنتم تعملون) (قلت) لان الصبر انما يكون

المتين فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون فويل للذين كفروا من يومهم الذين يوعدون

﴿سورة الطور مكية وهى تسع وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والطور وكتاب مسطور فى رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع يوم تمور السماء مورا وتسير الجبال سيرا فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التى كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون ان المتقين

(القول فى سورة الطور)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى هذه النار التى كنتم بها تكذبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون (قال فيه يريد هذا المصداق أيضا سحر ودخلت الفاء لهذا المعنى أم أنتم لا تبصرون كما كنتم الخ

لا مزية على الجزع لنفعه فى العاقبة بأن يجازى عليه الصابر جزاء الخير فأما الصبر على العذاب الذى هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة فلا مزية له على الجزع (فى جنات ونعيم) فى أية جنات وأى نعيم بمعنى الكمال فى الصفة أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين خلقت لهم خاصة * وقرئ فاكهين وفكهين وفاكهون من نصبه حالا جعل الظرف مستقرا ومن رفعه خبرا جعل الظرف لغوا أى متلذذين (بما آتاهم ربهم) * (فان قلت) علام عطف قوله (ووقاهم ربهم) (قلت) على قوله فى جنات أو على آتاهم ربهم على أن تجعل ما مصدرية والمعنى فاكهين بايتائهم ربهم ووقايتهم عذاب الجحيم ويجوز أن تكون الواو للحال وقد بعدها مضمرة * يقال لهم (كلوا واشربوا) أكلا وشربا (هنيئا) أو طعاما وشرابا هنيئا وهو الذى لا تنغيص فيه ويجوز أن يكون مثله فى قوله

هنيأ مريأ غير داء مخامر * لعزة من أعراضنا ما استحلت

أعنى صفة استعملت استعمال المصدر القائم مقام الفعل مرتفعا به ما استحلت كما يرتفع بالفعل كأنه قيل هنأ عزة المستحل من أعراضنا وكذلك معنى هنيأ ههنا هنأكم الاكل والشرب أو هنأكم ما كنتم تعملون أى جزاء ما كنتم تعملون والباء مزيدة كما فى كفى بالله والباء متعلقة بكلوا واشربوا اذا جعلت الفاعل الاكل والشرب * وقرئ بعيس عين (والذين آمنوا) معطوف على حور عين أى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم كقوله تعالى اخوانا على سرر متقابلين فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وتارة بمؤانسة الاخوان المؤمنين (وأتبعناهم ذرياتهم) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يرفع ذرية المؤمن فى درجته وان كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية فيجمع الله لهم أنواع السرور بسعادتهم فى أنفسهم وبمزاوجة الحور العين وبمؤانسة الاخوان المؤمنين وباجتماع أولادهم ونسلهم بهم ثم قال (بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم) أى بسبب ايمان عظيم رفيع المحل وهو ايمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وان كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم لنتم سرورهم ونكمل نعيمهم (فان قلت) ما معنى تنكير الايمان (قلت) معناه الدلالة على أنه ايمان خاص عظيم المنزلة ويجوز أن يراد ايمان الذرية الدانى المحل كأنه قال بشئ من الايمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم وقرئ وأتبعتهم ذريتهم وأتبعتهم ذريتهم وذرياتهم وقرئ ذرياتهم بكسر الذال ووجه آخر وهو ان يكون والذين آمنوا مبتدأ خبره بايمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما بينهما اعتراض (وما ألتناهم) وما نقصناهم يعنى وفرنا عليهم جميع ما ذكرنا من الثواب والتفضل وما نقصناهم من ثواب عملهم من شئ وقيل معناه وما نقصناهم من ثوابهم شيأ نعطيه الأبناء حتى يلحقوا بهم انما ألحقناهم بهم على سبيل التفضل قرئ ألتناهم وهو من بابين من ألت يألت ومن ألات يليت كأمات يميت وآلتناهم من آلت يؤلت كآمن يؤمن ولتناهم من لات يليت وولتناهم من ولت يلت ومعناهن واحد (كل امرئ بما كسب رهين) أى مرهون كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذى هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده بدين عليه فان عمل صالحا فكها وخلصها والا أوبقها (وأمددناهم) وزدناهم فى وقت بعد وقت (يتنازعون) يتعاطون ويتعاورون هم وجلساؤهم من أقربائهم واخوانهم (كأسا) خمرا (لا لغو فيها) فى شربها (ولا تأثيم) أى لا يتكلمون فى أثناء الشرب بسقط الحديث وما لا طائل تحته كفعل المتنادمين فى الدنيا على الشراب فى سفههم وعربدتهم ولا يفعلون ما يؤثم به فاعله أى ينسب الى الاثم لو فعله فى دار التكليف من الكذب والشتم والفواحش وانما يتكلمون بالحكم والكلام الحسن متلذذين بذلك لان عقولهم ثابتة غير زائلة وهم حكماء علماء * وقرئ لا لغو فيها ولا تأثيم (غلمان لهم) أى مملوكون لهم مخصوصون بهم (مكنون) فى الصدف لانه رطبا أحسن وأصفى أو مخزون لانه لا يخزن الا الثمين الغالى القيمة وقيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام ان أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك (يتساءلون) يتحادثون ويسأل بعضهم بعضا عن أحواله وأعماله وما استوجب به نيل ما عند الله (مشفقين) أرقاء القلوب من خشية الله وقرئ ووقانا بالتشديد (عذاب السموم)

فى جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم كلوا واشربوا هنيأ بما كنتم تعملون متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شئ كل امرئ بما كسب رهين وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون يتنازعون فيها كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم انا كنا

من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون أم عندهم خزائن ربك أم هم المسيطرون أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين أم له البنات ولكم البنون أم تسئلهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون أم يريدون كيدا فالذين كفروا هم المكيدون أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون وان يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيأ ولا هم ينصرون وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم

عذاب النار ووهجها ولفحها والسموم الريح الحارة التى تدخل المسام فسميت بها نار جهنم لانها بهذه الصفة (من قبل) من قبل لقاء الله تعالى والمصير اليه يعنون فى الدنيا (ندعوه) نعبده ونسأله الوقاية (انه هو البر) المحسن (الرحيم) العظيم الرحمة الذى اذا عبد أثاب واذا سئل أجاب وقرئ أنه بالفتح بمعنى لانه (فذكر) فاثبت على تذكير الناس وموعظتهم ولا يثبطنك قولهم كاهن أو مجنون ولا تبال به فانه قول باطل متناقض لان الكاهن يحتاج فى كهانته الى فطنة ودقة نظر والمجنون مغطى على عقله وما أنت بحمد الله وانعامه عليك بصدق النبوة ورجاحة العقل أحد هذين * وقرئ يتربص به ريب المنون على البناء للمفعول وريب المنون ما يقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر قال * أمن المنون وريبه تتوجع * وقيل المنون الموت وهو فى الاصل فعول من منه اذا قطعه لان الموت قطوع ولذلك سميت شعوب قالوا ننتظر به نوائب الزمان فيهلك كما هلك من قبله من الشعراء زهير والنابغة (من المتربصين) أتربص هلاككم كما تتربصون هلاكى (أحلامهم) عقولهم وألبابهم ومنه قولهم أحلام عاد والمعنى أتأمرهم أحلامهم بهذا التناقض فى القول وهو قولهم كاهن وشاعر مع قولهم مجنون وكانت قريش يدعون أهل الأحلام والنهى (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحد فى العناد مع ظهور الحق لهم (فان قلت) ما معنى كون الأحلام آمرة (قلت) هو مجاز لأدائها الى ذلك كقوله تعالى أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا * وقرئ بل هم قوم طاغون (تقوله) اختلقه من تلقاء نفسه (بل لا يؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه المطاعن مع علمهم ببطلان قولهم وأنه ليس بمتقول لعجز العرب عنه وما محمد الا واحد من العرب * وقرئ بحديث مثله على الاضافة والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه أن مثل محمد فى فصاحته ليس بمعوز فى العرب فان قدر محمد على نظمه كان مثله قادرا عليه فليأتوا بحديث ذلك المثل (أم خلقوا) أم أحدثوا وقدروا التقدير الذى عليه فطرتهم (من غير شئ) من غير مقدر (أم هم) الذين خلقوا أنفسهم حيث لا يعبدون الخالق (بل لا يوقنون) أى اذا سئلوا من خلقكم وخلق السموات والارض قالوا الله وهم شاكون فيما يقولون لا يوقنون وقيل أخلقوا من أجل لا شئ من جزاء ولا حساب وقيل أخلقوا من غير أب وأم (أم عندهم خزائن) الرزق حتى يرزقوا النبوة من شاؤا أو أعندهم خزائن علمه حتى يختاروا لها من اختياره حكمة ومصلحة (أم هم المسيطرون) الارباب الغالبون حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الامور على ارادتهم ومشيئتهم وقرئ المصيطرون بالصاد (أم لهم سلم) منصوب الى السماء يستمعون صاعدين فيه الى كلام الملائكة وما يوحى اليهم من علم الغيب حتى يعلموا ما هو كائن من تقدم هلاكه على هلاكهم وظفرهم فى العاقبة دونه كما يزعمون (بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماع مستمعهم * المغرم أن يلتزم الانسان ما ليس عليه أى لزمهم مغرم ثقيل فدحهم فزهدهم ذلك فى اتباعك (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ (فهم يكتبون) ما فيه حتى يقولوا لا نبعث وان بعثنا لم نعذب (أم يريدون كيدا) وهو كيدهم فى دار الندوة برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين (فالذين كفروا) اشارة اليهم أو أريد بهم كل من كفر بالله (هم المكيدون) هم الذين يعود عليهم وبال كيدهم ويحيق بهم مكرهم وذلك أنهم قتلوا يوم بدر أو المغلوبون فى الكيد من كايدته فكدته * الكسف القطعة وهو جواب قولهم أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا يريد أنهم لشدة طغيانهم وعنادهم لو أسقطناه عليهم لقالوا هذا سحاب مركوم بعضه فوق بعض يمطرنا ولم يصدقوا أنه كسف ساقط للعذاب * وقرئ حتى يلقوا ويلقوا (يصعقون) يموتون وقرئ يصعقون يقال صعقه فصعق وذلك عند النفخة الاولى نفخة الصعق (وان للذين ظلموا) وان لهؤلاء الظلمة (عذابا دون ذلك) دون يوم القيامة وهو القتل يبدر والقحط سبع سنين وعذاب القبر وفى مصحف عبد الله دون ذلك قريبا (لحكم ربك) بامهالهم وما يلحقك فيه من المشقة والكلفة (فانك بأعيننا) مثل أى بحيث نراك ونكلؤك وجمع العين لان الضمير بلفظ ضمير الجماعة الا ترى الى قوله تعالى ولتصنع على عينى * وقرئ بأعينا بالادغام (حين تقوم) من أى مكان قمت وقيل من منامك (وادبار النجوم) واذا أدبرت النجوم من آخر الليل وقرئ وأدبار بالفتح بمعنى فى أعقاب النجوم وآثارها اذا غربت والمراد الأمر بقول

سبحان

﴿ سورة والنجم مكية وهى احدى وستون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين

سبحان الله وبحمده فى هذه الاوقات وقيل التسبيح الصلاة اذا قام من نومه ومن الليل صلاة العشاءين وادبار النجوم صلاة الفجر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطور كان حقا على الله أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته

﴿ سورة النجم مكية وهى احدى وستون وقيل ثنتان وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* النجم الثريا وهو اسم غالب لها قال اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعى كساء أو جنس النجوم قال * فباتت تعد النجم فى مستحيرة * يريد النجوم (اذا هوى) اذا غرب أو انتثر يوم القيامة أو النجم الذى يرجم به اذا هوى اذا انقض أو النجم من نجوم القرآن وقد نزل منجما فى عشرين سنة اذا هوى اذا نزل أو النبات اذا هوى اذا سقط على الارض وعن عروة بن الزبير أن عتبة بن أبى لهب وكانت تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الخروج الى الشام فقال لآتين محمدا فلأوذينه فأتاه فقال يا محمد هو كافر بالنجم اذا هوى وبالذى دنا فتدلى ثم تفل فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد عليه ابنته وطلقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك وكان أبو طالب حاضرا فوجم لها وقال ما كان أغناك يا ابن أخى عن هذه الدعوة فرجع عتبة الى أبيه فأخبره ثم خرجوا الى الشام فنزلوا منزلا فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم ان هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب لاصحابه أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة فانى أخاف على ابنى دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الاسد يتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وقال حسان

من يرجع العام الى أهله * فما أكيل السبع بالراجع

(ما ضل صاحبكم) يعنى محمدا صلى الله عليه وسلم والخطاب لقريش وهو جواب القسم والضلال نقيض الهدى * والغى نقيض الرشد أى هو مهتد راشد وليس كما تزعمون من نسبتكم اياه الى الضلال والغى * وما أتاكم به من القرآن ليس بمنطق يصدر عن هواه ورأيه * وانما هو وحى من عند الله يوحى اليه ويحتج بهذه الآية من لا يرى الاجتهاد للانبياء ويجاب بأن الله تعالى اذا سوغ لهم الاجتهاد كان الاجتهاد وما يستند اليه كله وحيا لا نطقا عن الهوى (شديد القوى) ملك شديد قواه والاضافة غير حقيقية لانها اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها وهو جبريل عليه السلام ومن قوته أنه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الاسود وحملها على جناحه ورفعها الى السماء ثم قلبها وصاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الانبياء وصعوده فى أوحى من رجعة الطرف ورأى ابليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب الارض المقدسة فنفحه بجناحه نفحة فألقاه فى أقصى جبل بالهند (ذو مرة) ذو حصافة فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه (فاستوى) فاستقام على صورة نفسه الحقيقية دون الصورة التى كان يتمثل بها كلما هبط بالوحى وكان ينزل فى صورة دحية وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها فاستوى له فى الافق الأعلى وهو أفق الشمس فملأ الافق وقيل ما رآه أحد من الانبياء فى صورته الحقيقية غير محمد صلى الله عليه وسلم مرتين مرة فى الارض ومرة فى السماء (ثم دنا) من رسول الله صلى الله عليه وسلم (فتدلى) فتعلق عليه فى الهواء ومنه تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير والدوالى الثمر المعلق قال * تدلى عليها بين سب وخيطة * ويقال هو مثل القرلى ان رأى خيرا تدلى وان لم يره تولى (قاب قوسين) مقدار قوسين عربيتين والقاب والقيب والقاد والقيد والقيس المقدار وقرأ زيد بن على قاد وقرئ قيد وقدر وقد جاء التقدير بالقوس والرمح والسوط والذراع والباع والخطوة والشبر والفتر والاصبع ومنه لا صلاة الى أن ترتفع الشمس مقدار رمحين وفى الحديث لقاب قوس أحدكم من الجنة وموضع قده خير من الدنيا وما فيها والقد السوط ويقال بينهما

﴿ القول في سورة النجم ﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فكان قاب قوسين (قال فيه تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين الى آخره) قال أحمد وقد قال بعضهم انه كناية عن المعاهدة على لزوم الطاعة لان الحليفين في عرف العرب اذا تحالفا على الوفاء والصفاء ألصقا وترى قوسيهما (قلت) وفيه ميل لقوله أو أدنى * قوله تعالى فأوحى الى عبده ما أوحى (قال فيه هذا تفخيم للوحى الذى أوحى الله اليه) قال أحمد التفخيم لما فيه (١٤٤) من الابهام كأنه أعظم من أن يحيط به بيان وهو كقوله اذ يغشى السدرة ما يغشى وقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم * قوله تعالى لقد رأى من آيات ربه الكبرى (قال فيه معناه قد رأى من آيات ربه الآيات التى الخ) قال أحمد ويحتمل أن تكون الكبرى صفة آيات ربه لا مفعولا به ويكون المرئى محذوفا للتفخيم

أو أدنى فأوحى الى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى اذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة

خطوات يسيرة وقال * وقد جعلتنى من حزيمة اصبعا (فان قلت) كيف تقدير قوله فكان قاب قوسين (قلت) تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين فحذفت هذه المضافات كما قال أبو على فى قوله وقد جعلتنى من حزيمة اصبعا أى ذا مقدار مسافة اصبع (أو أدنى) أى على تقديركم كقوله تعالى أو يزيدون (الى عبده) الى عبد الله وان لم يجر لاسمه عز وجل ذكر لانه لا يلبس كقوله على ظهرها (ما أوحى) تفخيم للوحى الذى أوحى اليه قيل أوحى اليه أن الجنة محرمة على الانبياء حتى تدخلها وعلى الامم حتى تدخلها أمتك (ما كذب) فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم ما رآه ببصره من صورة جبريل عليه السلام أى ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لانه عرفه يعنى أنه رآه بعينه وعرفه بقلبه ولم يشك فى أن ما رآه حق وقرئ ما كذب أى صدقه ولم يشك أنه جبريل عليه السلام بصورته (أفتمارونه) من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كل واحد من المتجادلين يمرى ما عند صاحبه وقرئ أفتمرونه أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما تقول غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه وأنشدوا لئن هجوت أخا صدق ومكرمة * لقد مريت أخا ما كان يمريكا وقالوا يقال مريته حقه اذا جحدته وتعديته بعلى لا تصح الا على مذهب التضمين (نزلة أخرى) مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لان الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها أى نزل عليه جبريل عليه السلام نزلة أخرى فى صورة نفسه فرآه عليها وذلك ليلة المعراج * قيل فى سدرة المنتهى هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الانهار التى ذكرها الله فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاما لا يقطعها * والمنتهى بمعنى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وآخرها وقيل لم يجاوزها أحد واليها ينتهى علم الملائكة وغيرهم ولا يعلم أحد ما وراءها وقيل تنتهى اليها أرواح الشهداء (جنة المأوى) الجنة التى يصير اليها المتقون عن الحسن وقيل تأوى اليها أرواح الشهداء وقرأ على وابن الزبير وجماعة جنه المأوى أى ستره بظلاله ودخل فيه وعن عائشة انها أنكرته وقالت من قرأ به فأجنه الله (ما يغشى) تعظيم وتكثير لما يغشاها فقد علم بهذه العبارة أن ما يغشاها من الخلائق الدالة على عظمة الله وجلاله أشياء لا يكتنهها النعت ولا يحيط بها الوصف وقد قيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله عندها وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت على كل ورقة من ورقها ملكا قائما يسبح الله وعنه عليه السلام يغشاها رفرف من طير خضر وعن ابن مسعود وغيره يغشاها فراش من ذهب (ما زاغ) بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما طغى) أى أثبت ما رآه اثباتا مستيقنا صحيحا من غير أن يزيغ بصره عنه أو يتجاوزه أو ما عدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها وما طغى وما جاوز ما أمر برؤيته (لقد رأى) والله لقد رأى (من آيات ربه) الآيات التى هى كبراها وعظماها يعنى حين رقى به الى السماء فأرى عجائب الملكوت (اللات والعزى ومناة) أصنام كانت لهم وهى مؤنثات فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل كانت بنخلة تعبدها قريش وهى فعلة من لوى لانهم كانوا يلوون عليها ويعكفون للعبادة أو يلتوون عليها أى يطوفون وقرئ اللات بالتشديد وزعموا أنه سمى برجل كان يلت عنده السمن بالزيت

الامر وتعظيمه كأنه قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى أمورا عظاما لا يحيط بها الوصف والحذف فى مثل هذا أبلغ وأهول وهذا والله أعلم أولى من الاول لان فيه تفخيما لآيات الله الكبرى وأن فيها ما رآه وفيها ما لم يره وهو على الوجه الاول يكون مقتضاه أنه رأى جميع الآيات الكبرى على الشمول والعموم وفيه بعد فان آيات الله تعالى ما لا يحيط أحد علما بجملتها فان قال عام أريد به خاص فقد رجع الى الوجه الذى ذكرنا والله أعلم * قوله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى (قال فيه اشتقاق اللات من لوى على كذا اذا أقام عليه لانهم كانوا الخ) قال أحمد الاخرى تأنيث آخر ولا شك أنه فى الاصل مشتق من التأخير الوجودى الا أن العرب عدلت به عن الاستعمال فى التأخير الوجودى الى الاستعمال حيث يتقدم ذكر مغاير لا غير حتى سلبته دلالته على المعنى الاصلى بخلاف آخر وآخرة على وزن فاعل وفاعلة فان اشعارهما بالتأخير الوجودى ثابت لم يتغير ومن ثم عدلوا عن أن يقولوا ربيع الآخر على وزن الافعل وجمادى الاخرى الى ربيع الآخر على وزن فاعل وجمادى الآخرة على وزن فاعلة لانهم أرادوا أن يفهموا التأخير الوجودى (١٤٥) لان الافعل والفعلى من هذا الاشتقاق مسلوب الدلالة على غرضهم فعدلوا عنها الى الآخر والآخرة

الاخرى ألكم الذكر وله الانثى تلك اذا قسمة ضيزى ان هى الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى أم للانسان ما تمنى فلله الآخرة والاولى وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيأ الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى وما لهم به من علم ان يتبعون الا الظن وان الظن لا يغنى من الحق شيأ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ولله ما فى السموات وما فى الارض ليجزى الذين أساؤا

والتزم وإذ ذلك فيهما وهذا البحث مما كان الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله تعالى قد حرره

ويطعمه الحاج وعن مجاهد كان رجل يلت السويق بالطائف وكانوا يعكفون على قبره فجعلوه وثنا والعزى كانت لغطفان وهى سمرة وأصلها تأنيث الاعز وبعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها فجعل يضربها بالسيف حتى قتلها وهو يقول يا عز كفرانك لا سبحانك * انى رأيت الله قد أهانك ورجع فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام تلك العزى ولن تعبد أبدا ومناة صخرة كانت لهذيل وخزاعة وعن ابن عباس رضى الله عنهما لثقيف وقرئ ومناءة وكأنها سميت مناة لان دماء النسائك كانت تمنى عندها أى تراق ومناءة مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الانواء تبركا بها و (الاخرى) ذم وهى المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله تعالى وقالت أخراهم لاولاهم أى وضعاؤهم لرؤسائهم وأشرافهم ويجوز أن تكون الاولية والتقدم عندهم للات والعزى * كانوا يقولون ان الملائكة وهذه الاصنام بنات الله وكانوا يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاؤهم عند الله تعالى مع وأدهم البنات فقيل لهم (ألكم الذكر وله الانثى) ويجوز أن يراد ان اللات والعزى ومناة اناث وقد جعلتموهن لله شركاء ومن شأنكم أن تحتقروا الاناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم وينسبن اليكم فكيف تجعلون هؤلاء الاناث أندادا لله وتسمونهن آلهة (قسمة ضيزى) جائرة من ضازه يضيزه اذا ضامه (١) والاصل ضوزى ففعل بها ما فعل ببيض لتسلم الياء وقرئ ضئزى من ضأزه بالهمز وضيزى بفتح الضاد (هى) ضمير الاصنام أى ما هى (الا أسماء) ليس تحتها فى الحقيقة مسميات لانكم تدعون الالاهية لما هو أبعد شئ منها وأشده منافاة لها ونحوه قوله تعالى ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتموها أو ضمير الاسماء وهى قولهم اللات والعزى ومناة وهم يقصدون بهذه الاسماء الآلهة يعنى ما هذه الاسماء الا أسماء سميتموها بهواكم وشهوتكم ليس لكم من الله على صحة تسميتها برهان تتعلقون به ومعنى (سميتموها) سميتم بها يقال سميته زيدا وسميته بزيد (ان يتبعون) وقرئ بالتاء (الا الظن) الا توهم أن ما هم عليه حق وأن آلهتهم شفعاؤهم وما تشتهيه أنفسهم ويتركون ما جاءهم من الهدى والدليل على أن دينهم باطل (أم للانسان ما تمنى) هى أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار أى ليس للانسان ما تمنى والمراد طمعهم فى شفاعة الآلهة وهو تمن على الله فى غاية البعد وقيل هو قولهم ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وقيل هو قول الوليد بن المغيرة لأوتين مالا وولدا وقيل هو تمنى بعضهم أن يكون هو النبى صلى الله عليه وسلم (فلله الآخرة والاولى) أى هو مالكهما فهو يعطى منهما من يشاء ويمنع من يشاء وليس لاحد أن يتحكم عليه فى شئ منهما * يعنى أن أمر الشفاعة ضيق وذلك أن الملائكة مع قربتهم وزلفاهم وكثرتهم واغتصاص السموات بجموعهم لو شفعوا بأجمعهم لاحد لم تغن شفاعتهم عنه شيأ قط ولم تنفع الا اذا شفعوا من بعد أن يأذن الله لهم فى الشفاعة لمن يشاء الشفاعة له ويرضاه ويراه أهلا لان يشفع له فكيف تشفع الاصنام اليه بعبدتهم (ليسمون الملائكة) أى كل واحد منهم (تسمية الانثى) لانهم اذا قالوا الملائكة بنات الله فقد سموا كل واحد منهم بنتا وهى تسمية الانثى (به من علم) أى بذلك وبما يقولون وفى قراءة أبى بها أى بالملائكة أو التسمية (لا يغنى من الحق شيأ) يعنى انما يدرك الحق الذى هو حقيقة الشئ وما هو عليه بالعلم والتيقن لا بالظن والتوهم (فأعرض) عن دعوة من رأيته معرضا عن ذكر الله وعن الآخرة ولم يرد الا الدنيا ولا تتهالك على اسلامه ثم قال (ان ربك هو أعلم) أى انما يعلم الله من يجيب ممن لا يجيب وأنت لا تعلم فخفض على نفسك ولا تتعبها فانك لا تهدى من أحببت وما عليك الا البلاغ * وقوله تعالى ذلك مبلغهم من العلم اعتراض أو فأعرض عنه ولا تقابله ان ربك هو أعلم بالضال والمهتدى وهو مجازيهما بما يستحقان من الجزاء * قرئ ليجزى ونجزى بالياء والنون فيهما ومعناه ان الله عز وجل انما خلق العالم وسوى هذه الملكوت لهذا

(١٩ — كشاف ثالث) آخر مدته وهو الحق ان شاء الله تعالى وحينئذ يكون المراد الاشعار بتقدم مغاير فى الذكر مع ما نعتقده فى الوفاء بفاصلة رأس الآية والله أعلم

(١) قوله والاصل ضوزى الصواب ضيزى أى بضم الضاد وبالياء الساكنة على فعلى مضموم الفاء فكسرت الضاد لتسلم الياء كتبه مصححه

الغرض وهو أن يجازى المحسن من المكلفين والمسىء منهم ويجوز أن يتعلق بقوله هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى لان نتيجة العلم بالضال والمهتدى جزاؤهما (بما عملوا) بعقاب ما عملوا من السوء و(بالحسنى) بالمثوبة الحسنى وهى الجنة أو بسبب ما عملوا من السوء وبسبب الاعمال الحسنى (كبائر الاثم) أى الكبائر من الاثم لان الاثم جنس يشتمل على كبائر وصغائر والكبائر الذنوب التى لا يسقط عقابها الا بالتوبة وقيل التى يكبر عقابها بالاضافة الى ثواب صاحبها (والفواحش) ما فحش من الكبائر كأنه قال والفواحش منها خاصة وقرئ كبير الاثم أى النوع الكبير منه وقيل هو الشرك بالله * واللمم ما قل وصغر ومنه اللمم المس من الجنون واللوثة منه وألم بالمكان اذا قل فيه لبثه وألم بالطعام قل منه أكله ومنه * لقاء أخلاء الصفاء لمام * والمراد الصغائر من الذنوب ولا يخلو قوله تعالى (الا اللمم) من أن يكون استثناء منقطعا أو صفة كقوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله كأنه قيل كبائر الاثم غير اللمم وآلهة غير الله وعن أبى سعيد الخدرى اللمم هى النظرة والغمزة والقبلة وعن السدى الخطرة من الذنب وعن الكلبى كل ذنب لم يذكر الله عليه حدا ولا عذابا وعن عطاء عادة النفس الحين بعد الحين (ان ربك واسع المغفرة) حيث يكفر الصغائر باجتناب الكبائر والكبائر بالتوبة (فلا تزكوا أنفسكم) فلا تنسبوها الى زكاء العمل وزيادة الخير وعمل الطاعات أو الى الزكاء والطهارة من المعاصى ولا تثنوا عليها واهضموها فقد علم الله الزكى منكم والتقى أولا وآخرا قبل أن يخرجكم من صلب آدم وقبل أن تخرجوا من بطون أمهاتكم وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهذا اذا كان على سبيل الاعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ما عمله من العمل الصالح من الله وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح لم يكن من المزكين أنفسهم لان المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (أكدى) قطع عطيته وأمسك وأصله اكداء الحافر وهو أن تلقاه كدية وهى صلابة كالصخرة فيمسك عن الحفر ونحوه أجبل الحافر ثم استعير فقيل أجبل الشاعر اذا أفحم روى أن عثمان رضى الله عنه كان يعطى ماله فى الخير فقال له عبد الله بن سعد بن أبى سرح وهو أخوه من الرضاعة يوشك أن لا يبقى لك شئ فقال عثمان ان لى ذنوبا وخطايا وانى أطلب بما أصنع رضا الله تعالى وأرجو عفوه فقال عبد الله أعطنى ناقتك برحلها وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن العطاء فنزلت ومعنى تولى ترك المركز يوم أحد فعاد عثمان الى أحسن من ذلك وأجمل (فهو يرى) فهو يعلم أن ما قال له أخوه من احتمال أوزاره حق (وفى) قرئ مخففا ومشددا والتشديد مبالغة فى الوفاء أو بمعنى وفر وأتم كقوله تعالى فأتمهن واطلاقه ليتناول كل وفاء وتوفية من ذلك تبليغه الرسالة واستقلاله بأعباء النبوة والصبر على ذبح ولده وعلى نار نمروذ وقيامه بأضيافه وخدمته اياهم بنفسه وأنه كان يخرج كل يوم فيمشى فرسخا يرتاد ضيفا فان وافقه أكرمه والانوى الصوم وعن الحسن ما أمره الله بشئ الا وفى به وعن الهذيل بن شرحبيل كان بين نوح وبين ابراهيم يؤخذ الرجل بجريرة غيره ويقتل بأبيه وابنه وعمه وخاله والزوج بامرأته والعبد بسيده فأول من خالفهم ابراهيم وعن عطاء بن السائب عهد أن لا يسأل مخلوقا فلما قذف فى النار قال له جبريل وميكائيل ألك حاجة فقال أما اليكما فلا وعن النبى صلى الله عليه وسلم وفى عمله كل يوم بأربع ركعات فى صدر النهار وهى صلاة الضحى وروى ألا أخبركم لم سمى الله خليله الذى وفى كان يقول اذا أصبح وأمسى فسبحان الله حين تمسون الى حين تظهرون وقيل وفى سهام الاسلام وهى ثلاثون عشرة فى التوبة التائبون وعشرة فى الاحزاب ان المسلمين وعشرة فى المؤمنين قد أفلح المؤمنون وقرئ فى صحف بالتخفيف (ألا تزر) أن مخففة من الثقيلة والمعنى أنه لا تزر والضمير ضمير الشأن ومحل أن وما بعدها الجر بدلا من ما فى صحف موسى أو الرفع على هو أن لا تزر كأن قائلا قال وما فى صحف موسى وابراهيم فقيل أن لا تزر (الا ما سعى) الا سعيه (فان قلت) أما صح فى الاخبار الصدقة عن الميت والحج عنه وله الاضعاف (قلت) فيه جوابان أحدهما أن سعى غيره لما لم ينفعه الا مبنيا على سعى نفسه وهو أن يكون مؤمنا صالحا وكذلك الاضعاف كان سعى غيره كأنه سعى نفسه لكونه تابعا له وقائما بقيامه والثانى أن سعى غيره لا ينفعه اذا عمله لنفسه ولكن اذا نواه به فهو بحكم الشرع

بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم اذ أنشأكم من الارض واذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى أفرأيت الذى تولى وأعطى قليلا وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى أم لم ينبأ بما فى صحف موسى وابراهيم الذى وفى ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى

* قوله تعالى أضحك وأبكى (قال فيه أى خلق قوتى الضحك والبكاء) قال أحمد وخلق أيضا فعلى الضحك والبكاء على قواعد السنة وعليه دلت الآية غير منابرة لتحريفه والله الموفق * قوله تعالى وأن عليه النشأة الاخرى (قال فيه

انما قال عليه لانها واجبة عليه الخ) قال أحمد هذا من فساد اعتقاد المعتزلة الذى يسمونه مراعاة للصلاح والحكمة

كالنائب عنه والوكيل القائم مقامه (ثم يجزاه) ثم يجزى العبد سعيه يقال جزاه الله عمله وجزاه على عمله بحذف الجار وايصال الفعل ويجوز أن يكون الضمير للجزاء ثم فسره بقوله (الجزاء الاوفى) أو أبدله عنه كقوله تعالى وأسروا النجوى الذين ظلموا (وان الى ربك المنتهى) قرئ بالفتح على معنى أن هذا كله فى الصحف وبالكسر على الابتداء وكذلك ما بعده والمنتهى مصدر بمعنى الانتهاء أى ينتهى اليه الخلق ويرجعون اليه كقوله تعالى والى الله المصير (أضحك وأبكى) خلق قوتى الضحك والبكاء (اذا تمنى) اذا تدفق فى الرحم يقال منى وأمنى وعن الاخفش تخلق من منى المانى أى قدر المقدر * قرئ النشأة والنشاءة بالمد وقال عليه لانها واجبة عليه فى الحكمة ليجازى على الاحسان والاساءة (وأقنى) وأعطى القنية وهى المال الذى تأثلته وعزمت أن لا تخرجه من يدك (الشعرى) مرزم الجوزاء وهى التى تطلع وراءها وتسمى كلب الجبار وهما شعريان الغميصاء والعبور وأراد العبور وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيها له به لمخالفته اياهم فى دينهم يريد أنه رب معبودهم هذا * عاد الاولى قوم هود وعاد الاخرى ارم وقيل الاولى القدماء لانهم أولى الامم هلاكا بعد قوم نوح أو المتقدمون فى الدنيا الاشراف وقرئ عادا لولى وعاد لولى بادغام التنوين فى اللام وطرح همزة أولى ونقل ضمها الى لام التعريف (وثمودا) وقرئ وثمود (أظلم وأطغى) لانهم كانوا يؤذونه ويضربونه حتى لا يكون به حراك وينفرون عنه حتى كانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وما أثر فيهم دعاؤه قريبا من ألف سنة (والمؤتفكة) والقرى التى ائتفكت باهلها أى انقلبت وهم قوم لوط يقال أفكه فائتفك وقرئ والمؤتفكات (أهوى) رفعها الى السماء على جناح جبريل ثم أهواها الى الارض أى أسقطها (ما غشى) تهويل وتعظيم لما صب عليها من العذاب وأمطر عليها من الصخر المنضود (فبأى آلاء ربك تتمارى) تتشكك والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو للانسان على الاطلاق وقد عدد نعما ونقما وسماها كلها آلاء من قبل ما فى نقمه من المزاجر والمواعظ للمعتبرين (هذا) القرآن (نذير من النذر الاولى) أى انذار من جنس الانذارات الاولى التى أنذر بها من قبلكم أو هذا الرسول منذر من المنذرين الاولين وقال الاولى على تأويل الجماعة (أزفت الآزفة) قربت الموصوفة بالقرب فى قوله تعالى اقتربت الساعة (ليس لها) نفس (كاشفة) أى مبينة متى تقوم كقوله تعالى لا يجليها لوقتها الا هو أو ليس لها نفس كاشفة أى قادرة على كشفها اذا وقعت الا الله غير أنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بالتأخير وقيل الكاشفة مصدر بمعنى الكشف كالعافية وقرأ طلحة ليس لها مما يدعون من دون الله كاشفة وهى على الظالمين ساءت الغاشية (أفمن هذا الحديث) وهو القرآن (تعجبون) انكارا (وتضحكون) استهزاء (ولا تبكون) والبكاء والخشوع حق عليكم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لم ير ضاحكا بعد نزولها وقرئ تعجبون تضحكون بغير واو (وأنتم سامدون) شامخون مبرطمون وقيل لاهون لاعبون وقال بعضهم لجارية له اسمدى لنا أى غنى لنا (فاسجدوا لله واعبدوا) ولا تعبدوا الآلهة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنجم أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة

ثم يجزاه الجزاء الاوفى وأن الى ربك المنتهى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى وأنه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وأن عليه النشأة الاخرى وأنه هو أغنى وأقنى وأنه هو رب الشعرى وأنه أهلك عادا الاولى وثمود فما أبقى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى فبأى آلاء ربك تتمارى هذا نذير من النذر الاولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون فاسجدوا لله واعبدوا

﴿سورة القمر مكية وهى خمس وخمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

اقتربت الساعة وانشق القمر

* انشقاق القمر من آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعجزاته النيرة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر مرتين وكذا عن ابن عباس وابن مسعود رضى الله

وأى فساد أعظم مما يؤدى الى اعتقاد الايجاب على رب الارباب تعالى الله عن ذلك ومثل هذه القاعدة التى عفت البراهين القاطعة رسمها وأبطلت حكمها لا يكفى فيها كلمة محتملة هى لو كانت ظاهرة لوجب تنزيلها على ما يوفق بينها وبين القواطع والذى حملت عليه لفظة عليه غير هذا المعنى وهو أن المراد أن أمر النشأة الاخرى يدور على قدرته عز وجل وارادته كما يقال دارت قضية فلان على يدى وقول المحدثين على يدى دار

الحديث أى هو الاصل فيه والسند والله أعلم ﴿القول فى سورة القمر﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر (قال فيه ان قلت مافائدة كذبوا بعد قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) قال أحمد قد تقدم كلامه على قوله تعالى وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم فكذبوا رسلى وأجاب عنه بجوابين أحدهما متعذر ههنا والآخر ممكن وهو ان ذلك كقول القائل أقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد عليه الصلاة والسلام وقد مضى لى جوابان أحدهما يمكن اجراؤه هنا وحاصله منع ورود السؤال لان الاول مطلق والثانى مقيد فليس تكرارا وهو كقوله فى هذه السورة فتعاطى فعقر فان تعاطيه هو نفس عقره ولكن ذكره من جهة عمومه ثم من ناحية خصوصه اسهابا وهو بمثابة ذكره مرتين وجواب آخر ههنا وهو ان المكذب أولا محذوف دل عليه ذكر نوح فكأنه قال كذبت قوم نوح نوحا ثم كذبوا جاء تكذيبهم ثانيا مضافا الى قوله عبدنا فوصف نوحا بخصوص العبودية وأضافه اليه اضافة تشريف فالتكذيب المخبر عنه ثانيا أبشع عليهم من المذكور أولا لتلك اللمحة والله أعلم

وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر وكذبوا واتبعوا أهواءهم وكل أمر مستقر ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر فتول عنهم يوم يدع الداع الى شئ نكر خشعا أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين الى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا

عنهما قال ابن عباس انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتى القمر وعن بعض الناس أن معناه ينشق يوم القيامة وقوله (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) يرده وكفى به رادا وفى قراءة حذيفة وقد انشق القمر أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق كما تقول أقبل الامير وقد جاء المبشر بقدومه وعن حذيفة أنه خطب بالمدائن ثم قال ألا ان الساعة قد اقتربت وان القمر قد انشق على عهد نبيكم * مستمر دائم مطرد وكل شئ قد انقادت طريقته ودامت حاله قيل فيه قد استمر لما رأوا تتابع المعجزات وترادف الآيات قالوا هذا سحر مستمر وقيل مستمر قوى محكم من قولهم استمر مريره وقيل هو من استمر الشئ اذا اشتدت مرارته أى مستبشع عندنا مر على لهواتنا لانقدر أن نسيغه كما لا يساغ المر الممقر وقيل مستمر مار ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لانفسهم وتعليلا وقرئ وان يروا (واتبعوا أهواءهم) وما زين لهم الشيطان من دفع الحق بعد ظهوره (وكل أمر مستقر) أى كل أمر لابد أن يصير الى غاية يستقر عليها وان أمر محمد سيصير الى غاية يتبين عندها أنه حق أو باطل وسيظهر لهم عاقبته أو وكل أمر من أمرهم وأمره مستقر أى سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة وقرئ بفتح القاف يعنى كل أمر ذو مستقر أى ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو زمان استقرار وعن أبى جعفر مستقر بكسر القاف والجر عطفا على الساعة أى اقتربت الساعة واقترب كل أمر مستقر يستقر ويتبين حاله (من الأنباء) من القرآن المودع أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة وما وصف من عذاب الكفار (مزدجر) ازدجار أو موضع ازدجار والمعنى هو فى نفسه موضع الازدجار ومظنة له كقوله تعالى لكم فى رسول الله أسوة حسنة أى هو أسوة وقرئ مزجر بقلب تاء الافتعال زايا وادغام الزاى فيها (حكمة بالغة) بدل من ما أو على هو حكمة وقرئ بالنصب حالا من ما (فان قلت) ان كانت ما موصولة ساغ لك أن تنصب حكمة حالا فكيف تعمل ان كانت موصوفة وهو الظاهر (قلت) تخصصها الصفة فيحسن نصب الحال عنها (فما تغنى النذر) نفى أو انكار وما منصوبة أى فأى غناء تغنى النذر (فتول عنهم) لعلمك أن الانذار لا يغنى فيهم * نصب (يوم يدع الداعى) بيخرجون أو باضمار اذكر وقرئ باسقاط الياء اكتفاء بالكسرة عنها والداعى اسرافيل أو جبريل كقوله تعالى يوم ينادى المنادى (الى شئ نكر) منكر فظيع تنكره النفوس لانها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة وقرئ نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر (خاشعا أبصارهم) حال من الخارجين فعل للابصار وذكر كما تقول يخشع أبصارهم وقرئ خاشعة على تخشع أبصارهم وخشعا على يخشعن أبصارهم وهى لغة من يقول أكلونى البراغيث وهم طيئ ويجوز أن يكون فى خشعا ضميرهم وتقع أبصارهم بدلا عنه وقرئ خشع أبصارهم على الابتداء والخبر ومحل الجملة النصب على الحال كقوله * وجدته حاضراه الجود والكرم * وخشوع الابصار كناية عن الذلة والانخزال لان ذلة الذليل وعزة العزيز تظهران فى عيونهما * وقرئ يخرجون من الاجداث من القبور (كأنهم جراد منتشر) الجراد مثل فى الكثرة والتموج يقال فى الجيش الكثير المائج بعضه فى بعض جاؤا كالجراد وكالدبا منتشر فى كل مكان لكثرته (مهطعين الى الداع) مسرعين مادى أعناقهم اليه وقيل ناظرين اليه لا يقلعون بأبصارهم قال

تعبدنى نمر بن سعد وقد أرى * ونمر بن سعد لى مطيع ومهطع

(قبلهم) قبل أهل مكة (فكذبوا عبدنا) يعنى نوحا (فان قلت) مامعنى قوله تعالى فكذبوا بعد قوله كذبت (قلت) معناه كذبوا فكذبوا عبدنا أى كذبوه تكذيبا على عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن مكذب أو كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا أى لما كانوا مكذبين بالرسل جاحدين للنبوة رأسا

كذبوا نوحا لانه من جملة الرسل (مجنون) هو مجنون (وازدجر) وانتهروه بالشتم والضرب والوعيد بالرجم فى قولهم لتكونن من المرجومين وقيل هو من جملة قيلهم أى قالوا هو مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته وذهبت بلبه وطارت بقلبه * قرئ أنى بمعنى فدعا بأنى مغلوب وانى على ارادة القول فدعا فقال انى مغلوب غلبنى قومى فلم يسمعوا منى واستحكم اليأس من اجابتهم لى (فانتصر) فانتقم منهم بعذاب تبعثه عليهم وانما دعا بذلك بعد ما طم عليه الامر وبلغ السيل الزبى فقد روى أن الواحد من أمته كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشيا عليه فيفيق وهو يقول اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون * وقرئ ففتحنا مخففا ومشددا وكذلك وفجرنا (منهمر) منصب فى كثرة وتتابع لم ينقطع أربعين يوما (وفجرنا الارض عيونا) وجعلنا الارض كلها كأنها عيون تتفجر وهو أبلغ من قولك وفجرنا عيون الارض ونظيره فى النظم واشتعل الرأس شيبا (فالتقى الماء) يعنى مياه السماء والارض وقرئ الماآن أى النوعان من الماء السماوى والارضى ونحوه قولك عندى تمران تريد ضربان من التمر برنى ومعقلى قال * لنا ابلان فيهما ما علمتم * وقرأ الحسن الماوان بقلب الهمزة واوا كقولهم علباوان (على أمر قد قدر) على حال قدرها الله كيف شاء وقيل على حال جاءت مقدرة مستوية وهى ان قدر ما أنزل من السماء كقدر ما أخرج من الارض سواء بسواء وقيل على أمر قد قدر فى اللوح أنه يكون وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (على ذات ألواح ودسر) أراد السفينة وهى من الصفات التى تقوم مقام الموصوفات فتنوب منابها وتؤدى مؤداها بحيث لا يفصل بينها وبينها ونحوه (١) * ولكن قميصى مسرودة من حديد * أراد ولكن قميصى درع وكذلك * ولو فى عيون النازيات بأكرع * أراد ولو فى عيون الجراد ألا ترى أنك لو جمعت بين السفينة وبين هذه الصفة أو بين الدرع والجراد وهاتين الصفتين لم يصح وهذا من فصيح الكلام وبديعه والدسر جمع دسار وهو المسمار فعال من دسره اذا دفعه لانه يدسر به منفذه (جزاء) مفعول له لما قدم من فتح أبواب السماء وما بعده أى فعلنا ذلك جزاء (لمن كان كفر) وهو نوح عليه السلام وجعله مكفورا لان النبى نعمة من الله ورحمة قال الله تعالى وما أرسلناك الا رحمة للعالمين فكان نوح عليه السلام نعمة مكفورة ومن هذا المعنى ما يحكى أن رجلا قال للرشيد الحمد لله عليك فقال مامعنى هذا الكلام قال أنت نعمة حمدت الله عليها ويجوز أن يكون على تقدير حذف الجار وايصال الفعل وقرأ قتادة كفر أى جزاء للكافرين وقرأ الحسن جزاء بالكسر أى مجازاة * الضمير فى (تركناها) للسفينة أو للفعلة أى جعلناها آية يعتبر بها وعن قتادة أبقاها الله بأرض الجزيرة وقيل على الجودى دهرا طويلا حتى نظر اليها أوائل هذه الامة * والمدكر المعتبر وقرئ مذتكر على الاصل ومذكر بقلب التاء ذالا وادغام الذال فيها وهذا نحو مزجر * والنذر جمع نذير وهو الانذار (ولقد يسرنا القرآن للذكر) أى سهلناه للادكار والاتعاظ بأن شحناه بالمواعظ الشافية وصرفنا فيه من الوعد والوعيد (فهل من) متعظ وقيل ولقد سهلناه للحفظ وأعنا عليه من أراد حفظه فهل من طالب لحفظه ليعان عليه ويجوز أن يكون المعنى ولقد هيأناه للذكر من يسرنا قته للسفر اذا رحلها ويسر فرسه للغزو اذا أسرجه وألجمه قال

وقمت اليه باللجام ميسرا * هنالك يجزينى الذى كنت أصنع

ويروى أن كتب أهل الاديان نحو التوراة والانجيل لا يتلوها أهلها الا نظرا ولا يحفظونها ظاهرا كالقرآن (ونذر) وانذارى لهم بالعذاب قبل نزوله أو انذارى فى تعذيبهم لمن بعدهم (فى يوم نحس) فى يوم شؤم وقرئ فى يوم نحس كقوله فى أيام نحسات (مستمر) قد استمر عليهم ودام حتى أهلكهم أو استمر عليهم جميعا كبيرهم وصغيرهم حتى لم يبق منهم نسمة وكان فى أربعاء فى آخر الشهر لا تدور ويجوز أن يريد بالمستمر الشديد المرارة والبشاعة (تنزع الناس) تقلعهم عن أماكنهم وكانوا يصطفون آخذين أيديهم بأيدى بعض ويتدخلون فى الشعاب ويحفرون الحفر فيندسون فيها فتنزعهم وتكبهم وتدق رقابهم (كأنهم أعجاز نخل منقعر) يعنى أنهم كانوا يتساقطون على الارض أمواتا وهم جثث طوال عظام كأنهم أعجاز نخل وهى أصولها بلا فروع منقعر منقلع عن مغارسه وقيل شبهوا بأعجاز النخل لان الريح كانت تقطع رؤسهم فتبقى أجسادا بلا رؤس وذكر

مجنون وازدجر فدعا ربه أنى مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر وحملناه على ذات ألواح ودسر تجرى بأعيننا جزاء لمن كان كفر ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت عاد فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا فى يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر فكيف كان عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر

(١) قوله ولكن قميصى هو عجز بيت من الخفيف صدره مفرشى صهوة الحصان ولكن الخ وقوله بعده ولو فى عيون الخ عجز بيت من الطويل صدره وانى لأستوفى حقوق جاهدا * ولو الخ كتبه مصححه

فقالوا أبشرا منا واحدا نتبعه انا اذا لفى ضلال وسعر أألقى الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر سيعلمون غدا من الكذاب الاشر انا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر فكيف كان عذابى ونذر انا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر كذبت قوم لوط بالنذر انا أرسلنا عليهم حاصبا الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزى من شكر ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابى ونذر ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ولقد جاء آل فرعون النذر

صفة نخل على اللفظ ولو حملها على المعنى لأنث كما قال أعجاز نخل خاوية (أبشرا منا واحدا) نصب بفعل مضمر يفسره (نتبعه) وقرئ أبشر منا واحد على الابتداء ونتبعه خبره والاول أوجه للاستفهام ٭ كان يقول ان لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر ونيران جمع سعير فعكسوا عليه فقالوا ان اتبعناك كنا اذن كما تقول وقيل الضلال الخطأ والبعد عن الصواب والسعر الجنون يقال ناقة مسعورة قال

كأن بها سعرا اذا العيس هزها ٭ ذميل وارخاء من السير متعب

(فان قلت) كيف أنكروا أن يتبعوا بشرا منهم واحدا (قلت) قالوا أبشرا انكارا لأن يتبعوا مثلهم فى الجنسية وطلبوا أن يكون من جنس أعلى من جنس البشر وهم الملائكة وقالوا منا لانه اذا كان منهم كانت المماثلة أقوى وقالوا واحدا انكارا لان تتبع الامة رجلا واحدا أو أرادوا واحدا من أفنائهم ليس بأشرفهم وأفضلهم ويدل عليه قولهم (أألقى الذكر عليه من بيننا) أى أأنزل عليه الوحى من بيننا وفينا من هو أحق منه بالاختيار للنبوة (أشر) بطر متكبر حمله بطره وشطارته وطلبه التعظم علينا على ادعاء ذلك (سيعلمون غدا) عند نزول العذاب بهم أو يوم القيامة (من الكذاب الاشر) أصالح أم من كذبه وقرئ ستعلمون بالتاء على حكاية ما قال لهم صالح مجيبا لهم أو هو كلام الله تعالى على سبيل الالتفات وقرئ الاشر بضم الشين كقولهم حدث وحدث وحذر وحذر وأخوات لها وقرئ الأشر وهو الابلغ فى الشرارة والاخير والاشر أصل قولهم هو خير منه وشر منه وهو أصل مرفوض وقد حكى ابن الانبارى قول العرب هو أخير وأشر وما أخيره وما أشره (مرسلوا الناقة) باعثوها ومخرجوها من الهضبة كما سألوا (فتنة لهم) امتحانا لهم وابتلاء (فارتقبهم) فانتظرهم وتبصر ما هم صانعون (واصطبر) على أذاهم ولا تعجل حتى يأتيك أمرى (قسمة بينهم) مقسوم بينهم لها شرب يوم ولهم شرب يوم وانما قال بينهم تغليبا للعقلاء (محتضر) محضور لهم أو للناقة وقيل يحضرون الماء فى نوبتهم واللبن فى نوبتها (صاحبهم) قدار بن سالف أحيمر ثمود (فتعاطى) فاجترأ على تعاطى الامر العظيم غير مكترث له ٭ فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف (صيحة واحدة) صيحة جبريل ٭ والهشيم الشجر اليابس المتهشم المتكسر ٭ و (المحتظر) الذى يعمل الحظيرة وما يحتظر به ييبس بطول الزمان وتتوطؤه البهائم فيتحطم ويتهشم وقرأ الحسن بفتح الظاء وهو موضع الاحتظار أى الحظيرة (حاصبا) ريحا تحصبهم بالحجارة أى ترميهم (بسحر) بقطع من الليل وهو السدس الاخير منه وقيل هما سحران فالسحر الاعلى قبل انصداع الفجر والآخر عند انصداعه وأنشد ٭ مرت بأعلى السحرين تدأل ٭ وصرف لانه نكرة ويقال لقيته سحر اذا لقيته فى سحر يومه (نعمة) انعاما مفعول له (من شكر) نعمة الله بايمانه وطاعته (ولقد أنذرهم) لوط عليه السلام (بطشتنا) أخذتنا بالعذاب (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) متشاكين (فطمسنا أعينهم) فمسحناها وجعلناها كسائر الوجه لا يرى لها شق روى أنهم لما عالجوا باب لوط عليه السلام ليدخلوا قالت الملائكة خلهم يدخلوا انا رسل ربك لن يصلوا اليك فصفقهم جبريل عليه السلام بجناحه صفقة فتركهم يترددون لا يهتدون الى الباب حتى أخرجهم لوط (فذوقوا) فقلت لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة (بكرة) أول النهار وباكره كقوله مشرقين ومصبحين وقرأ زيد بن على رضى الله عنهما بكرة غير مصروفة تقول أتيته بكرة وغدوة بالتنوين اذا أردت التنكير وبغيره اذا عرفت وقصدت بكرة نهارك وغدوته (عذاب مستقر) ثابت قد استقر عليهم الى أن يفضى بهم الى عذاب الآخرة (فان قلت) ما فائدة تكرير قوله (فذوقوا عذابى ونذر ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) قلت فائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الاولين ادكارا واتعاظا وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا اذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه وأن يقرع لهم العصا مرات ويقعقع لهم الشن تارات لئلا يغلبهم السهو ولا تستولى عليهم الغفلة وهكذا حكم التكرير كقوله فبأى آلاء ربكما تكذبان عند كل نعمة عدها فى سورة الرحمن وقوله ويل يومئذ للمكذبين عند كل آية أوردها فى سورة والمرسلات وكذلك تكرير الانباء والقصص فى أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب مصورة للاذهان مذكورة غير منسية فى كل أوان (النذر) موسى وهرون وغيرهما من الانبياء لانهما

عرضا

قوله تعالى انا كل شئ خلقناه بقدر (قال فيه منصوب بمضمر يفسره الظاهر) قال أحمد كان قياس ما مهده النحاة اختيار رفع كل لكن لم يقرأ بها واحد من السبعة وانما كان كذلك لان الكلام مع الرفع جملة واحدة ومع النصب جملتان فالرفع أخصر مع أنه لا مقتضى للنصب ههنا من أحد الاصناف الستة أعنى الامر والنهى الى آخرها ولا أجد ههنا مناسب عطف ولا غيره مما يعدونه من محال اختيارهم النصب فاذا تبين ذلك فاعلم أنه انما عدل عن الرفع اجماعا لسر لطيف يعين اختيار النصب وهو أنه لو رفع لوقعت الجملة التى هى خلقناه صفة لشئ ورفع قوله بقدر خبرا عن كل شئ المقيد بالصفة ويحصل الكلام على تقدير انا كل شئ (١٥١) مخلوق لنا بقدر فأفهم ذلك ان مخلوقا مما يضاف الى غير الله تعالى ليس بقدر وعلى

كذبوا بآياتنا كلها فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة فى الزبر أم يقولون نحن جميع منتصر سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ان المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر انا كل شئ خلقناه بقدر وما أمرنا الا واحدة كلمح بالبصر ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر وكل شئ فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر ان المتقين فى جنات ونهر فى مقعد صدق عند مليك مقتدر

عرضا عليهم ما أنذر به المرسلون أو جمع نذير وهو الانذار (بآياتنا كلها) بالآيات التسع (أخذ عزيز) لا يغالب (مقتدر) لا يعجزه شئ (أكفاركم) يا أهل مكة (خير من أولئكم) الكفار المعدودين قوم نوح وهود وصالح ولوط وآل فرعون أى أهم خير قوة وآلة ومكانة فى الدنيا أو أقل كفرا وعنادا يعنى أن كفاركم مثل أولئك بل شر منهم (أم) أنزلت عليكم يا أهل مكة (براءة) فى الكتب المتقدمة أن من كفر منكم وكذب الرسل كان آمنا من عذاب الله فأمنتم بتلك البراءة (نحن جميع) جماعة أمرنا مجتمع (منتصر) ممتنع لا نرام ولا نضام ٭ وعن أبى جهل أنه ضرب فرسه يوم بدر فتقدم فى الصف وقال نحن ننتصر اليوم من محمد وأصحابه فنزلت (سيهزم الجمع) عن عكرمة لما نزلت هذه الآية قال عمر أى جمع يهزم فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يثب فى الدرع ويقول سيهزم الجمع عرف تأويلها (ويولون الدبر) أى الادبار كما قال ٭ كلوا فى بعض بطنكم تعفوا ٭ وقرئ الادبار (أدهى) أشد وأفظع والداهية الامر المنكر الذى لا يهتدى لدوائه (وأمر) من الهزيمة والقتل والاسر ٭ وقرئ سنهزم الجمع (فى ضلال وسعر) فى هلاك ونيران أو فى ضلال عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة (مس سقر) كقولك وجد مس الحمى وذاق طعم الضرب لان النار اذا أصابتهم بحرها ولفحتهم بايلامها فكأنها تمسهم مسا بذلك كما يمس الحيوان ويباشر بما يؤذى ويؤلم ٭ وذوقوا على ارادة القول ٭ وسقر علم لجهنم من سقرته النار وصقرته اذا لوحته قال ذو الرمة

اذا ذابت الشمس اتقى صقراتها ٭ بأفنان مربوع الصريمة معبل

وعدم صرفها للتعريف والتأنيث (كل شئ) منصوب بفعل مضمر يفسره الظاهر وقرئ كل شئ بالرفع ٭ والقدر والقدر التقدير وقرئ بهما أى خلقنا كل شئ مقدرا محكما مرتبا على حسب ما اقتضته الحكمة أو مقدرا مكتوبا فى اللوح معلوما قبل كونه قد علمنا حاله وزمانه (وما أمرنا الا واحدة) الا كلمة واحدة سريعة التكوين (كلمح بالبصر) أراد قوله كن يعنى أنه اذا أراد تكوين شئ لم يلبث كونه (أشياعكم) أشباهكم فى الكفر من الامم (فى الزبر) فى دواوين الحفظة (وكل صغير وكبير) من الاعمال ومن كل ما هو كائن (مستطر) مسطور فى اللوح (ونهر) وأنهار اكتفى باسم الجنس وقيل هو السعة والضياء من النهار وقرئ بسكون الهاء ونهر جمع نهر كأسد وأسد (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى وقرئ فى مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) مقربين عند مليك مبهم أمره فى الملك والاقتدار فلا شئ الا وهو تحت ملكه وقدرته فأى منزلة أكرم من تلك المنزلة وأجمع للغبطة كلها والسعادة بأسرها ٭ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى كل غب بعثه الله يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر

﴿سورة الرحمن مكية وقيل مدنية وقيل فيها مكى ومدنى وهى ست وسبعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

النصب يصير الكلام انا خلقنا كل شئ بقدر فيفيد عموم نسبة كل مخلوق الى الله تعالى فلما كانت هذه الفائدة لا توازيها الفائدة اللفظية على قراءة الرفع مع ما فى الرفع من نقصان المعنى ومع ما فى هذه القراءة المستفيضة من مجىء المعنى تاما واضحا كفلق الصبح لا جرم أجمعوا على العدول عن الرفع الى النصب لكن الزمخشرى لما كان من قاعدة أصحابه تقسيم المخلوقات الى مخلوق لله ومخلوق لغير الله فيقولون هذا لله بزعمهم وهذا لنا فغرت هذه الآية فاه وقام اجماع القراء حجة عليه فأخذ يستروح الى الشقاء وينقل قراءتها بالرفع فليراجع له ويعرض عليه اعراض القراء السبعة عن هذه الرواية مع أنها هى الاولى فى العربية لولا ما ذكرناه أيجوز فى حكمه حينئذ الاجماع على خلاف الاولى لفظا ومعنى من غير معنى اقتضى ذلك أم لا وهو المخير فيما يحكم به فالى الله ترجع الامور

﴿القول فى سورة الرحمن﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان (قال فيه عدد الله عز وجل آلاءه فأراد أن يقدم أول شئ ماهو أسبق قدما فى ضروب آلائه الخ) قال أحمد نغير من هذا الكلام قوله ان (١٥٢) خلق الانسان كان الغرض فيه أى المراد منه أن يحيط علما بالكتب والوحى و يعوض بأن المراد بخلقه أن يدعى الى ذلك لا أن يقع ذلك منه فهذا هو المراد العام ثم منهم من أراد الله منه أن يحيط علما بالدين فيسر له ذلك ومنهم من أراد ضلالته وجهالته فبعد عنه ولم يوفق والله الموفق للصواب * عاد كلامه (قال ثم ذكر ما تميز به عن سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب الخ) قال أحمد وانما خص الجمل الاول بذكرها تبكيتا للانسان لاجل التصاق معانيها به ألا ترى أنه مذكور فيها نطقا واضمارا وحذفا مدلولا عليه فى الكلام فهو منطوق به مظهرا فى قوله خلق الانسان ومضمرا فى قوله علمه البيان ومدلولا على حذفه فى قوله علم القرآن فانه المفعول الثانى أما قوله الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فليس للانسان فيهما ذكر البتة وجل المقصود من سياقهما التنبيه على عظمة الله تعالى * عاد كلامه قال وانما قرن هاتين الجملتين لتناسبهما من حيث التقابل الخ

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان والسماء رفعها ووضع الميزان أن لا تطغوا فى الميزان وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا الميزان والارض وضعها للانام فيها فاكهة والنخل ذات الاكمام

* عدد الله عز وعلا آلاءه فأراد أن يقدم أول شئ ماهو أسبق قدما من ضروب آلائه وأصناف نعمائه وهى نعمة الدين فقدم من نعمة الدين ماهو فى أعلى مراتبها وأقصى مراقيها وهو انعامه بالقرآن وتنزيله وتعليمه لانه أعظم وحى الله رتبة وأعلاه منزلة وأحسنه فى أبواب الدين أثرا وهو سنام الكتب السماوية ومصداقها والعيار عليها وأخر ذكر خلق الانسان عن ذكره ثم أتبعه اياه ليعلم أنه انما خلقه للدين وليحيط علما بوحيه وكتبه وماخلق الانسان من أجله وكان الغرض فى انشائه كان مقدما عليه وسابقا له ثم ذكر ما تميز به من سائر الحيوان من البيان وهو المنطق الفصيح المعرب عما فى الضمير و (الرحمن) مبتدأ وهذه الافعال مع ضمائرها أخبار مترادفة واخلاؤها من العاطف لمجيئها على نمط التعديد كما تقول زيد أغناك بعد فقر أعزك بعد ذل كثرك بعد قلة فعل بك مالم يفعل أحد بأحد فما تنكر من احسانه (بحسبان) بحساب معلوم وتقدير سوى (يجريان) فى بروجهما ومنازلهما وفى ذلك منافع للناس عظيمة منها علم السنين والحساب (والنجم) والنبات الذى ينجم من الارض لا ساق له كالبقول (والشجر) الذى له ساق * وسجودهما انقيادهما لله فيما خلقا له وأنهما لا يمتنعان تشبيها بالساجد من المكلفين فى انقياده (فان قلت) كيف اتصلت هاتان الجملتان بالرحمن (قلت) استغنى فيهما عن الوصل اللفظى بالوصل المعنوى لما علم أن الحسبان حسبانه والسجود له لا لغيره كأنه قيل الشمس والقمر بحسبانه والنجم والشجر يسجدان له (فان قلت) كيف أخل بالعاطف فى الجمل الاول ثم جىء به بعد (قلت) بكت بتلك الجمل الاول واردة على سنن التعديد ليكون كل واحدة من الجمل مستقلة فى تقريع الذين أنكروا الرحمن وآلاءه كما يبكت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها عليه فى المثال الذى قدمته ثم رد الكلام الى منهاجه بعد التبكيت فى وصل ما يجب وصله للتناسب والتقارب بالعاطف (فان قلت) أى تناسب بين هاتين الجملتين حتى وسط بينهما العاطف (قلت) ان الشمس والقمر سماويان والنجم والشجر أرضيان فبين القبيلين تناسب من حيث التقابل وان السماء والارض لا تزالان تذكران قرينتين وان جرى الشمس والقمر بحسبان من جنس الانقياد لامر الله فهو مناسب لسجود النجم والشجر وقيل علم القرآن جعله علامة وآية وعن ابن عباس رضى الله عنه الانسان آدم وعنه أيضا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن مجاهد النجم نجوم السماء (والسماء رفعها) خلقها مرفوعة مسموكة حيث جعلها منشأ أحكامه ومصدر قضاياه ومتنزل أوامره ونواهيه ومسكن ملائكته الذين يهبطون بالوحى على أنبيائه ونبه بذلك على كبرياء شأنه وملكه وسلطانه (ووضع الميزان) وفى قراءة عبد الله وخفض الميزان وأراد به كل ما توزن به الاشياء وتعرف مقاديرها من ميزان وقرسطون ومكيال ومقياس أى خلقه موضوعا مخفوضا على الارض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم وما تعبدهم به من التسوية والتعديل فى أخذهم واعطائهم (ألا تطغوا) لئلا تطغوا أو هى أن المفسرة وقرأ عبد الله لا تطغوا بغير أن على ارادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) وقوموا وزنكم بالعدل (ولا تخسروا الميزان) ولا تنقصوه أمر بالتسوية ونهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة وعن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديدا للتوصية به وتقوية للامر باستعماله والحث عليه * وقرئ والسماء بالرفع ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها وفتحها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وأما الفتح فعلى أن الاصل ولا تخسروا فى الميزان فحذف الجار وأوصل الفعل (وضعها) خفضها مدحوة على الماء (للانام) للخلق وهو كل ما على ظهر الارض من دابة وعن الحسن الانس والجن فهى كالمهاد لهم يتصرفون فوقها (فاكهة) ضروب مما يتفكه به و (الاكمام) كل ما يكم أى يغطى من ليفة وسعفة وكفراة

* قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (قال فيه ان قلت لم قال منهما وانما يخرجان من الملح الخ) قال أحمد هذا القول الثانى مردود بالمشاهدة والصواب هو الاول ومثله لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم (١٥٣) وانما أريد احدى القريتين هذا هو الصحيح الظاهر وكما تقول فلان من أهل ديار مصر وانما بلده محلة واحدة منها * قوله تعالى ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام (قال فيه الوجه يعبر به عن الذات ومساكين مكة يقولون الخ) قال أحمد المعتزلة ينكرون الصفات الالهية التى دل عليها العقل فكيف بالصفات السمعية على أن من الاشعرية من حمل الوجه واليدين والعينين على نحو ما ذكر ولم ير بيانها صفات سمعية * (ثم قال) فان قلت كيف عد هذا من الآلاء والنعم وحاصله فناء الخلق وأجاب بأن معناه أنهم يفنون ثم يبعثون الى دار الجزاء أى دار النعيم المقيم الحقيقى بأن يكون هو النعيم لا غير

والحب ذو العصف والريحان فبأى آلاء ربكما تكذبان خلق الانسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار فبأى آلاء ربكما تكذبان رب المشرقين ورب المغربين فبأى آلاء ربكما تكذبان مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان فبأى آلاء ربكما تكذبان يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام فبأى آلاء ربكما تكذبان كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام فبأى آلاء ربكما تكذبان يسئله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن فبأى آلاء ربكما تكذبان

وكله منتفع به كما ينتفع بالمكموم من ثمره وجماره وجذوعه وقيل الاكمام أوعية الثمر الواحد كم بكسر الكاف و (العصف) ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) الرزق وهو اللب أراد فيها ما يتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب وقرئ والريحان بالكسر ومعناه والحب ذو العصف الذى هو علف الانعام والريحان الذى هو مطعم الناس وبالضم على وذو الريحان فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه وقيل معناه وفيها الريحان الذى يشم وفى مصاحف أهل الشأم والحب ذا العصف والريحان أى وخلق الحب والريحان أو وأخص الحب والريحان ويجوز أن يراد وذا الريحان فيحذف المضاف ويقام المضاف اليه مقامه * والخطاب فى (ربكما تكذبان) للثقلين بدلالة الانام عليهما وقوله سنفرغ لكم أيها الثقلان * الصلصال الطين اليابس له صلصلة * والفخار الطين المطبوخ بالنار وهو الخزف (فان قلت) قد اختلف التنزيل فى هذا وذلك قوله عز وجل من حمإ مسنون من طين لازب من تراب (قلت) هو متفق فى المعنى ومفيد أنه خلقه من تراب جعله طينا ثم حمأ مسنونا ثم صلصالا و (الجان) أبو الجن وقيل هو ابليس * والمارج اللهب الصافى الذى لا دخان فيه وقيل المختلط بسواد النار من مرج الشئ اذا اضطرب واختلط * (فان قلت) فما معنى قوله (من نار) (قلت) هو بيان لمارج كأنه قيل من صاف من نار أو مختلط من نار أو أراد من نار مخصوصة كقوله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى * قرئ رب المشرقين ورب المغربين بالجر بدلا من ربكما وأراد مشرقى الصيف والشتاء ومغربيهما (مرج البحرين) أرسل البحر الملح والبحر العذب متجاورين متلاقيين لا فصل بين الماءين فى مرأى العين (بينهما برزخ) حاجز من قدرة الله تعالى (لا يبغيان) لا يتجاوزان حديهما ولا يبغى أحدهما على الآخر بالممازجة * قرئ يخرج ويخرج من أخرج وخرج ويخرج أى الله عز وجل اللؤلؤ والمرجان بالنصب ونخرج بالنون * واللؤلؤ الدر والمرجان هذا الخرز الاحمر وهو البسذ وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره (فان قلت) لم قال منهما وانما يخرجان من الملح (قلت) لما التقيا وصارا كالشئ الواحد جاز أن يقال يخرجان منهما كما يقال يخرجان من البحر ولا يخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وتقول خرجت من البلد وانما خرجت من محلة من محاله بل من دار واحدة من دوره وقيل لا يخرجان الا من ملتقى الملح والعذب (الجوارى) السفن وقرئ الجوار بحذف الياء ورفع الراء ونحوه

لها ثنايا أربع حسان * وأربع فكلها ثمان

و (المنشآت) المرفوعات الشرع وقرئ بكسر الشين وهى الرافعات الشرع أو اللاتى ينشئن الامواج بجريهن * والأعلام جمع علم وهو الجبل الطويل (عليها) على الارض (وجه ربك) ذاته والوجه يعبر به عن الجملة والذات ومساكين مكة يقولون أين وجه عربى كريم ينقذنى من الهوان و (ذو الجلال والاكرام) صفة الوجه وقرأ عبد الله ذى على صفة ربك ومعناه الذى يجله الموحدون عن التشبيه بخلقه وعن أفعالهم أو الذى يقال له ما أجلك وأكرمك أو من عنده الجلال والاكرام للمخلصين من عباده وهذه الصفة من عظيم صفات الله ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والاكرام وعنه عليه الصلاة والسلام أنه مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والاكرام فقال قد استجيب لك (فان قلت) ما النعمة فى ذلك قلت أعظم النعمة وهو مجىء وقت الجزاء عقيب ذلك * كل من أهل السموات والارض مفتقرون اليه فيسأله أهل السموات ما يتعلق بدينهم وأهل الارض ما يتعلق بدينهم ودنياهم (كل يوم هو فى شأن) أى كل وقت وحين يحدث أمورا ويجدد أحوالا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فقيل له وما ذلك الشأن فقال من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين وعن ابن عيينة الدهر عند الله تعالى يومان أحدهما

سنفرغ لكم أيه الثقلان فبأى آلاء ربكما تكذبان يامعشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لاتنفذون الابسلطان فبأى آلاء ربكما تكذبان يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران فبأى آلاء ربكما تكذبان فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيومئذ لايسئل عن ذنبه انس ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان يعرف المجرمون بسيماهم

* قوله تعالى لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان (قال فيه لم يطمث الانسية انسى ولا الجنية جنى الخ) قال أحمد بشير الى الرد على من زعم أن الجن المؤمنين لاثواب لهم وانما جزاؤهم ترك العقوبة وجعلهم ترابا * وقال فى قوله ومن دونهما جنتان انما تقاصرت صفة هاتين الجنتين عن صفة الاولين حتى قال ومن دونهما لانه قال مدهامتان وذلك دون ذواتا أفنان ونضاختان وذلك دون تجريان وفاكهة وذلك دون من كل فاكهة وكذلك صفة الحور

اليوم الذى هو مدة عمر الدنيا فشأنه فيه الامر والنهى والاماتة والاحياء والاعطاء والمنع والآخر يوم القيامة فشأنه فيه الجزاء والحساب وقيل نزلت فى اليهود حين قالوا ان الله لا يقضى يوم السبت شيأ وسأل بعض الملوك وزيره عنها فاستمهله الى الغد وذهب كئيبا يفكر فيها فقال غلام له أسود يامولاى أخبرنى ماأصابك لعل الله يسهل لك على يدى فأخبره فقال له انا أفسرها للملك فأعلمه فقال أيها الملك شأن الله أن يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل ويخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويشفى سقيما ويسقم سليما ويبتلى معافى ويعافى مبتلى ويعز ذليلا ويذل عزيزا ويفقر غنيا ويغنى فقيرا فقال الامير أحسنت وأمر الوزير أن يخلع عليه ثياب الوزارة فقال يامولاى هذا من شأن الله وعن عبد الله بن طاهر أنه دعا الحسين بن الفضل وقال له أشكلت على ثلاث آيات دعوتك لتكشفها لى قوله تعالى فأصبح من النادمين وقد صح أن الندم توبة وقوله تعالى كل يوم هو فى شأن وقد صح أن القلم قد جف بما هو كائن الى يوم القيامة وقوله تعالى وأن ليس للانسان الاماسعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز أن لايكون الندم توبة فى تلك الامة ويكون توبة فى هذه الامة لان الله تعالى خص هذه الامة بخصائص لم يشاركهم فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل هابيل ولكن على حمله وأما قوله وأن ليس للانسان الاماسعى فمعناه ليس له الاماسعى عدلا ولى أن أجزيه بواحدة ألفا فضلا وأما قوله كل يوم هو فى شأن فانها شؤن يبديها لاشؤن يبتدئها فقام عبد الله وقبل رأسه وسوغ خراجه (سنفرغ لكم) مستعار من قول الرجل لمن يتهدده سأفرغ لك يريد سأتجرد للايقاع بك من كل مايشغلنى عنك حتى لايكون لى شغل سواه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه ويجوز أن يراد ستنتهى الدنيا وتبلغ آخرها وتنتهى عند ذلك شؤن الخلق التى أرادها بقوله كل يوم هو فى شأن فلا يبقى الاشأن واحد وهو جزاؤكم فجعل ذلك فراغا لهم على طريق المثل وقرئ سيفرغ لكم أى الله تعالى وسأفرغ لكم وسنفرغ بالنون مفتوحا ومكسورا وفتح الراء وسيفرغ بالياء مفتوحا ومضموما مع فتح الراء وفى قراءة أبى سنفرغ اليكم بمعنى سنقصد اليكم * والثقلان الانس والجن سميا بذلك لانهما ثقلا الارض (يامعشر الجن والانس) كالترجمة لقوله أيها الثقلان (ان استطعتم) أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن سمائى وأرضى فافعلوا * ثم قال لاتقدرون على النفوذ (الا بسلطان) يعنى بقوة وقهر وغلبة وأنى لكم ذلك ونحوه وماأنتم بمعجزين فى الارض ولا فى السماء وروى أن الملائكة عليهم السلام تنزل فتحيط بجميع الخلائق فاذا رآهم الجن والانس هربوا فلا يأتون وجها الاوجدوا الملائكة أحاطت به * قرئ شواظ ونحاس كلاهما بالضم والكسر والشواظ اللهب الخالص والنحاس الدخان وأنشد

تضىء كضوء سراج السليـ * ـط لم يجعل الله فيه نحاسا

وقيل الصفر المذاب يصب على رؤسهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما اذا خرجوا من قبورهم ساقهم شواظ الى المحشر وقرئ ونحاس مرفوعا عطفا على شواظ ومجرورا عطفا على نار وقرئ ونحس جمع نحاس وهو الدخان نحو لحاف ولحف وقرئ ونحس أى ونقتل بالعذاب وقرئ نرسل عليكما شواظا من نار ونحاسا (فلا تنتصران) فلا تمتنعان (وردة) حمراء (كالدهان) كدهن الزيت كما قال كالمهل وهو دردى الزيت وهو جمع دهن أو اسم مايدهن به كالحزام والادام قال

كأنهما مزادتا متعجل * فريان لما تدهنا بدهان

وقيل الدهان الاديم الاحمر وقرأ عمرو بن عبيد وردة بالرفع بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذى يسمى التجريد كقوله

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوى الغنائم أو يموت كريم

(انس) بعض من الانس (ولا جان) أريد به ولا جن أى ولا بعض من الجن فوضع الجان الذى هو أبو الجن موضع الجن كما يقال هاشم ويراد ولده وانما وحد ضمير الانس فى قوله عن ذنبه لكونه فى معنى البعض والمعنى لايسئلون لانهم يعرفون بسيما المجرمين وهى سواد الوجوه وزرقة العيون (فان قلت) هذا خلاف قوله تعالى

فيؤخذ بالنواصى والأقدام فبأى آلاء ربكما تكذبان هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن فبأى آلاء ربكما تكذبان ولمن خاف مقام ربه جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان ذواتا أفنان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان تجريان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على فرش بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان كأنهن الياقوت والمرجان فبأى آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا الاحسان فبأى آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان فبأى آلاء ربكما تكذبان مدهامتان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهما فاكهة ونخل ورمان فبأى آلاء ربكما تكذبان فيهن

فوربك لنسألنهم أجمعين وقوله وقفوهم انهم مسؤلون (قلت) ذلك يوم طويل وفيه مواطن فيسئلون فى موطن ولايسئلون فى آخر قال قتادة قد كانت مسئلة ثم ختم على أفواه القوم وتكلمت أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقيل لايسئل عن ذنبه ليعلم من جهته ولكن يسئل سؤال توبيخ وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد ولاجأن فرارا من التقاء الساكنين وان كان على حده (فيؤخذ بالنواصى والأقدام) عن الضحاك يجمع بين ناصيته وقدمه فى سلسلة من وراء ظهره وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصى وتارة تأخذ بالأقدام (حميم آن) ماء حار قد انتهى حره ونضجه أى يعاقب عليهم بين التصلية بالنار وبين شرب الحميم وقيل اذا استغاثوا من النار جعل غياثهم الحميم وقيل ان واديا من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم فى الاغلال فيغمسون فيه حتى تنخلع أوصالهم ثم يخرجون منه وقد أحدث الله لهم خلقا جديدا * وقرئ يطوّفون من التطويف ويطوّفون أى يتطوّفون ويطافون وفى قراءة عبد الله هذه جهنم التى كنتما بها تكذبان تصليان لاتموتان فيها ولاتحييان يطوفون بينها * ونعمة الله فيماذكر من هول العذاب نجاة الناجى منه برحمته وفضله ومافى الانذار به من اللطف (مقام ربه) موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين ونحوه لمن خاف مقامى ويجوز أن يراد بمقام ربه أن الله قائم عليه أى حافظ مهيمن من قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته وقيل هو مقحم كما تقول أخاف جانب فلان وفعلت هذا لمكانك وأنشد

ذعرت به القطا ونفيت عنه * مقام الذئب كالرجل اللعين

يريد ونفيت عنه الذئب * (فان قلت) لم قال جنتان (قلت) الخطاب للثقلين فكأنه قيل لكل خائفين منكما جنتان جنة للخائف الانسى وجنة للخائف الجنى ويجوز أن يقال جنة لفعل الطاعات وجنة لترك المعاصى لان التكليف دائر عليهما وأن يقال جنة يثاب بها وأخرى تضم اليها على وجه التفضل كقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة * خص الافنان بالذكر وهى الغصنة التى تتشعب من فروع الشجرة لأنها هى التى تورق وتثمر فمنها تمتد الظلال ومنها تجتنى الثمار وقيل الافنان ألوان النعم ماتشتهى الأنفس وتلذ الاعين قال

ومن كل أفنان اللذاذة والصبا * لهوت به والعيش أخضر ناضر

(عينان تجريان) حيث شاؤا فى الاعالى والاسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن الحسن تجريان بالماء الزلال احداهما التسنيم والاخرى السلسبيل (زوجان) صنفان قيل صنف معروف وصنف غريب (متكئين) نصب على المدح للخائفين أو حال منهم لان من خاف فى معنى الجمع (بطائنها من إستبرق) من ديباج ثخين واذا كانت البطائن من الاستبرق فما ظنك بالظهائر وقيل ظهائرها من سندس وقيل من نور (دان) قريب يناله القائم والقاعد والنائم * وقرئ وجنى بكسر الجيم (فيهن) فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والعينين والفاكهة والفرش والجنى أو فى الجنتين لاشتمالهما على أماكن وقصور ومجالس (قاصرات الطرف) نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن لاينظرن الى غيرهم * لم يطمث الانسيات منهن أحد من الانس ولا الجنيات أحد من الجن وهذا دليل على أن الجن يطمثون كما يطمث الانس * وقرئ لم يطمثهن بضم الميم قيل هن فى صفاء الياقوت وبياض المرجان وصغار الدر أنصع بياضا قيل ان الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الاحمر فى الزجاجة البيضاء (هل جزاء الاحسان) فى العمل (الا الاحسان) فى الثواب وعن محمد بن الحنفية هى مسجلة للبر والفاجر أى مرسلة يعنى أن كل من أحسن أحسن اليه وكل من أساء أسىء اليه (ومن دونهما) ومن دون تينك الجنتين الموعودتين للمقربين (جنتان) لمن دونهم من أصحاب اليمين (مدهامتان) قد ادهامتا من شدة الخضرة (نضاختان) فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح لان النضح غير معجمة مثل الرش (فان قلت) لم عطف النخل والرمان على الفاكهة وهما منها (قلت) اختصاصا لهما وبيانا لفضلهما كأنهما لما لهما من المزية جنسان آخران كقوله تعالى وجبريل وميكائيل أولأن النخل ثمره فاكهة وطعام والرمان فاكهة ودواء فلم يخلصا للتفكه ومنه قال أبو حنيفة

رحمه الله اذا حلف لا يأكل فاكهة فأكل رمانا أو رطبا لم يحنث وخالفه صاحباه (خيرات) خيرات فخففت كقوله عليه السلام هينون لينون وأما خير الذى هو بمعنى أخير فلا يقال فيه خيرون ولا خيرات وقرئ خيرات على الاصل والمعنى فاضلات الاخلاق حسان الخلق (مقصورات) قصرن فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة ومقصورة مخدرة وقيل ان الخيمة من خيامهن درة مجوّفة (قبلهم) قبل أصحاب الجنتين دل عليهم ذكر الجنتين (متكئين) نصب على الاختصاص والرفرف ضرب من البسط وقيل البسط وقيل الوسائد وقيل كل ثوب عريض رفرف ويقال لاطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه * والعبقرى منسوب الى عبقر تزعم العرب أنه بلد الجن فينسبون اليه كل شئ عجيب وقرئ رفارف خضر بضمتين وعباقرى كمدائنى نسبة الى عباقر فى اسم البلد وروى أبو حاتم عباقرى بفتح القاف ومنع الصرف وهذا لا وجه لصحته (فان قلت) كيف تقاصرت صفات هاتين الجنتين عن الاولين حتى قيل ومن دونهما (قلت) مدهامتان دون ذواتا أفنان ونضاختان دون تجريان وفاكهة دون كل فاكهة وكذلك صفة الحور والمتكأ * وقرئ ذو الجلال صفة للاسم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه

﴿ سورة الواقعة مكية وهى سبع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وقعت الواقعة) كقولك كانت الكائنة وحدثت الحادثة والمراد القيامة وصفت بالوقوع لانها تقع لا محالة فكأنه قيل اذا وقعت التى لا بد من وقوعها ووقوع الامر نزوله يقال وقع ما كنت أتوقعه أى نزل ما كنت أترقب نزوله (فان قلت) بم انتصب اذا (قلت) بليس كقولك يوم الجمعة ليس لى شغل أو بمحذوف يعنى اذا وقعت كان كيت وكيت أو باضمار اذكر (كاذبة) نفس كاذبة أى لا تكون حين تقع نفس تكذب على الله وتكذب فى تكذيب الغيب لان كل نفس حينئذ مؤمنة صادقة مصدقة وأكثر النفوس اليوم كواذب مكذبات كقوله تعالى فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتة واللام مثلها فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى أو ليس لها نفس تكذبها وتقول لها لم تكونى كما لها اليوم نفوس كثيرة يكذبنها يقلن لها لن تكونى أو هى من قولهم كذبت فلانا نفسه فى الخطب العظيم اذا شجعته على مباشرته وقالت له انك تطيقه وما فوقه فتعرض له ولا تبال به على معنى أنها وقعة لا تطاق شدة وفظاعة وان لا نفس حينئذ تحدث صاحبها بما تحدثه به عند عظائم الامور وتزين له احتمالها واطاقتها لانهم يومئذ أضعف من ذلك وأذل ألا ترى الى قوله تعالى كالفراش المبثوث والفراش مثل فى الضعف وقيل كاذبة مصدر كالعاقبة بمعنى التكذيب من قولك حمل على قرنه فما كذب أى فما جبن وما تثبط وحقيقته فما كذب نفسه فيما حدثته به من اطاقته له واقدامه عليه قال زهير

* اذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا *

أى اذا وقعت لم تكن لها رجعة ولا ارتداد (خافضة رافعة) على هى خافضة رافعة ترفع أقواما وتضع آخرين اما وصفا لها بالشدة لان الواقعات العظام كذلك يرتفع فيها ناس الى مراتب ويتضع ناس واما لان الاشقياء يحطون الى الدركات والسعداء يرفعون الى الدرجات واما انها تزلزل الاشياء وتزيلها عن مقارها فتخفض بعضا وترفع بعضا حيث تسقط السماء كسفا وتنتثر الكواكب وتنكدر وتسير الجبال فتمر فى الجو مر السحاب وقرئ خافضة رافعة بالنصب على الحال (رجت) حركت تحريكا شديدا حتى ينهدم كل شئ فوقها من جبل وبناء (وبست الجبال) وفتت حتى تعود كالسويق أو سيقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله وسيرت الجبال (منبثا) متفرقا وقرئ بالتاء أى منقطعا وقرئ رجت وبست أى ارتجت وذهبت وفى كلام بنت الخس عينها هاج وصلاها راج وهى تمشى وتفاج (فان قلت) بم انتصب اذا رجت (قلت) هو بدل من اذا وقعت ويجوز أن ينتصب بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الارض وبس الجبال لانه عند ذلك ينخفض ما هو مرتفع ويرتفع ما هو منخفض (أزواجا) أصنافا يقال للاصناف التى

بعضها

خيرات حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات فى الخيام فبأى آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فبأى آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان فبأى آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك ذى الجلال والاكرام

﴿ سورة الواقعة مكية وهى سبع وتسعون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة خافضة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة

(القول فى سورة الواقعة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ليس لوقعتها كاذبة (قال فيه) كاذبة صفة تقدير موصوفها نفس كاذبة الخ

* قوله تعالى فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم (قال فيه ما تعجيب من حال المقربين الخ) قال أحمد اختار ما هو المختار لانه أقعد بالفصاحة لكن بقى التنبيه على المخالفة بين المذكورين فى السابقين وفى أصحاب اليمين مع أن كل واحد منهما انما أريد به التعظيم والتهويل لحال المذكورين فنقول التعظيم المؤدّى بقوله السابقون أبلغ من قرينه وذلك أن مؤدى هذا أن أمر السابقين وعظمة شأنه مالا يكاد يخفى وانما تحير فهم السامع فيه مشهور وأما المذكور فى قوله وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة فانه تعظيم على السامع بما ليس عنده منه علم سابق ألا ترى كيف سبق بسط حال السابقين بقوله أولئك المقربون فجمع بين اسم الاشارة المشار به الى معروف وبين الاخبار عنه بقوله المقربون معرفا بالالف واللام العهدية وليس مثل هذا مذكورا فى بسط حال أصحاب اليمين فانه مصدر بقوله فى سدر مخضود

بعضها مع بعض أو يذكر بعضها مع بعض أزواج (فأصحاب الميمنة) الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم (وأصحاب المشأمة) الذين يؤتونها بشمائلهم أو أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المنزلة الدنية من قولك فلان منى باليمين وفلان منى بالشمال اذا وصفتهما بالرفعة عندك والضعة وذلك لتيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل ولتفاؤلهم بالسانح وتطيرهم من البارح ولذلك اشتقوا لليمين الاسم من اليمن وسموا الشمال الشؤمى وقيل أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أصحاب اليمن والشؤم لان السعداء ميامين على أنفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائيم عليها بمعصيتهم وقيل يؤخذ بأهل الجنة ذات اليمين وبأهل النار ذات الشمال (والسابقون) المخلصون الذين سبقوا الى ما دعاهم الله اليه وشقوا الغبار فى طلب مرضاة الله عز وجل وقيل الناس ثلاثة فرجل ابتكر الخير فى حداثة سنه ثم داوم عليه حتى خرج من الدنيا فهذا السابق المقرّب ورجل ابتكر عمره بالذنب وطول الغفلة ثم تراجع بتوبة فهذا صاحب اليمين ورجل ابتكر الشر فى حداثة سنه ثم لم يزل عليه حتى خرج من الدنيا فهذا صاحب الشمال * ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة تعجيب من حال الفريقين فى السعادة والشقاوة والمعنى أى شئ هم * والسابقون السابقون يريد والسابقون من عرفت حالهم وبلغك وصفهم كقوله وعبد الله عبد الله وقول أبى النجم وشعرى شعرى كأنه قال وشعرى ما انتهى اليك وسمعت بفصاحته وبراعته وقد جعل السابقون تأكيدا وأولئك المقربون خبرا وليس بذاك ووقف بعضهم على والسابقون وابتدأ السابقون أولئك المقربون والصواب أن يوقف على الثانى لانه تمام الجملة وهو فى مقابلة ما أصحاب الميمنة وما أصحاب المشأمة (المقربون فى جنات النعيم) الذين قربت درجاتهم فى الجنة من العرش وأعليت مراتبهم * وقرئ فى جنة النعيم * والثلة الامة من الناس الكثيرة قال

وجاءت اليهم ثلة خندفية * بجيش كتيار من السيل مزبد

وقوله عز وجل وقليل من الآخرين كفى به دليلا على الكثرة وهى من الثل وهو الكسر كما أن الامة من الام وهو الشج كأنها جماعة كسرت من الناس وقطعت منهم والمعنى أن السابقين من الأولين كثير وهم الامم من لدن آدم عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم (وقليل من الآخرين) وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من الاولين من متقدمى هذه الامة ومن الآخرين من متأخريها وعن النبى صلى الله عليه وسلم الثلتان جميعا من أمتى (فان قلت) كيف قال وقليل من الآخرين ثم قال وثلة من الآخرين (قلت) هذا فى السابقين وذلك فى أصحاب اليمين وأنهم يتكاثرون من الاولين والآخرين جميعا (فان قلت) فقد روى أنها لما نزلت شق ذلك على المسلمين فما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجع ربه حتى نزلت ثلة من الاولين وثلة من الآخرين (قلت) هذا لا يصح لامرين أحدهما أن هذه الآية واردة فى السابقين ورودا ظاهرا وكذلك الثانية فى أصحاب اليمين ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين ووعدهم على السابقين ووعدهم والثانى أن النسخ فى الاخبار غير جائز وعن الحسن رضى الله عنه سابقوا الامم أكثر من سابقى أمتنا وتابعوا الامم مثل تابعى هذه الامة وثلة خبر مبتدا محذوف أى هم ثلة (موضونة) مرمولة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت قد دوخل بعضها فى بعض كما توضن حلق الدرع قال الاعشى * ومن نسج داود موضونة * وقيل متواصلة أدنى بعضها من بعض (متكئين) حال من الضمير فى على وهو العامل فيها أى استقروا عليها متكئين (متقابلين) لا ينظر بعضهم فى أقفاء بعض وصفوا بحسن العشرة وتهذيب الاخلاق والآداب (مخلدون) مبقون أبدا على شكل الولدان وحد الوصافة لا يتحولون عنه وقيل مقرطون والخلدة القرط وقيل هم أولاد أهل الدنيا لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى عن على رضى الله عنه وعن الحسن وفى الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة * الاكواب أوان بلا عرى وخراطيم والاباريق ذوات

فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم ثلة من الأوّلين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين

لايصدعون عنها ولا ينزفون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون وحور عين كامثال اللؤلؤ المكنون جزاء بما كانوا يعملون لايسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فى سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لامقطوعة ولا ممنوعة وفرش مرفوعة انا أنشأناهن انشاء فجعلناهن أبكارا عربا أترابا لأصحاب اليمين ثلة من الاولين وثلة من الآخرين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال فى سموم وحميم وظل من يحموم لابارد ولا كريم انهم كانوا قبل ذلك مترفين وكانوا يصرون على الحنث العظيم وكانوا يقولون أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أوآباؤنا الاولون قل إن الاولين والآخرين لمجموعون

الخراطيم (لايصدعون عنها) أى بسببها وحقيقته لايصدر صداعهم عنها أولا يفرقون عنها وقرأ مجاهد لايصدعون بمعنى لايتصدعون لايتفرقون كقوله يومئذ يصدعون ويصدعون أى لايصدع بعضهم بعضا لايفرقونهم (يتخيرون) يأخذون خيره وأفضله (يشتهون) يتمنون * وقرئ ولحوم طير * قرئ وحور عين بالرفع على وفيها حور عين كبيت الكتاب الا رواكد جمرهن هباء * ومشجج أو للعطف على ولدان وبالجر عطفا على جنات النعيم كأنه قال هم فى جنات النعيم وفاكهة ولحم وحور أو على أكواب لان معنى يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب على ويؤتون حورا (جزاء) مفعول له أى يفعل بهم ذلك كله جزاء بأعمالهم (سلاما سلاما) اما بدل من قيلا بدليل قوله لايسمعون فيها لغوا الا سلاما واما مفعول به لقيلا بمعنى لايسمعون فيها الا أن يقولوا سلاما سلاما والمعنى أنهم يفشون السلام بينهم فيسلمون سلاما بعد سلام وقرئ سلام سلام على الحكاية * السدر شجر النبق * والمخضود الذى لاشوك له كأنما خضد شوكه وعن مجاهد الموقر الذى تثنى أغصانه كثرة حمله من خضد الغصن اذا ثناه وهو رطب * والطلح شجر الموز وقيل هو شجر أم غيلان وله نوار كثير طيب الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن على رضى الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله لها طلع نضيد فقيل له أو نحولها فقال آى القرآن لاتهاج اليوم ولا تحول وعن ابن عباس نحوه * والمنضود الذى نضد بالحمل من أسفله الى أعلاه فليست له ساق بارزة (وظل ممدود) ممتد منبسط لايتقلص كظل ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس (مسكوب) يسكب لهم أين شاؤا وكيف شاؤا لايتعنون فيه وقيل دائم الجرية لاينقطع وقيل مصبوب يجرى على الارض فى غير أخدود (لامقطوعة) هى دائمة لاتنقطع فى بعض الاوقات كفواكه الدنيا (ولا ممنوعة) لاتمنع عن متناولها بوجه ولا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا * وقرئ وفاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة كقوله وحور عين (وفرش) جمع فراش وقرئ وفرش بالتخفيف (مرفوعة) نضدت حتى ارتفعت أو مرفوعة على الاسرة وقيل هى النساء لان المرأة يكنى عنها بالفراش مرفوعة على الارائك قال الله تعالى هم وأزواجهم فى ظلال على الارائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى (انا أنشأناهن انشاء) وعلى التفسير الاول أضمر لهن لان ذكر الفرش وهى المضاجع دل عليهن أنشأناهن انشاء أى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديدا من غير ولادة فاما أن يراد اللاتى ابتدئ انشاؤهن أو اللاتى أعيد انشاؤهن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أم سلمة رضى الله عنها سألته عن قول الله تعالى انا أنشأناهن فقال يا أم سلمة هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطا رمصا جعلهن الله بعد الكبر أترابا على ميلاد واحد فى الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكارا فلما سمعت عائشة رضى الله عنها ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت واوجعاه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس هناك وجع وقالت عجوز لرسول الله صلى الله عليه وسلم ادع الله أن يدخلنى الجنة فقال ان الجنة لاتدخلها العجائز فولت وهى تبكى فقال عليه الصلاة والسلام أخبروها أنها ليست يومئذ بعجوز وقرأ الآية (عربا) وقرئ عربا بالتخفيف جمع عروب وهى المتحببة الى زوجها الحسنة التبعل (أترابا) مستويات فى السن بنات ثلاث وثلاثين وأزواجهن أيضا كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل أهل الجنة الجنة جردا مردا بيضا جعادا مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين * واللام فى لأصحاب اليمين من صلة أنشأنا وجعلنا (فى سموم) فى حر نار ينفذ فى المسام (وحميم) وماء حار متناه فى الحرارة (وظل من يحموم) من دخان أسود بهيم (لابارد ولا كريم) نفى لصفتى الظل عنه يريد أنه ظل ولكن لا كسائر الظلال سماه ظلا ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوى اليه من أذى الحر وذلك كرمه ليمحق ما فى مدلول الظل من الاسترواح اليه والمعنى أنه ظل حار ضار الا أن للنفى فى نحو هذا شأنا ليس للاثبات وفيه تهكم بأصحاب المشأمة وأنهم لايستأهلون الظل البارد الكريم الذى هو لأضدادهم فى الجنة وقرئ لابارد ولا كريم بالرفع اى لاهو كذلك و (الحنث) الذنب العظيم ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث اى الحلم ووقت المؤاخذة بالمآثم ومنه حنث فى يمينه خلاف برفيها ويقال تحنث اذا تأثم وتحرج (أوآباؤنا) دخلت همزة الاستفهام على حرف العطف (فان قلت) كيف

الى ميقات يوم معلوم ثم انكم أيها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم هذا نزلهم يوم الدين نحن خلقناكم فلولا تصدقون أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فى ما لاتعلمون ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون أفرأيتم ما تحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون

حسن العطف على المضمر فى لمبعوثون من غير تأكيد بنحن (قلت) حسن للفاصل الذى هو الهمزة كما حسن فى قوله تعالى ما أشركنا ولا آباؤنا لفصل لا المؤكدة للنفى وقرئ أوآباؤنا * وقرئ لمجموعون (الى ميقات يوم معلوم) الى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والاضافة بمعنى من كخاتم فضة والميقات ما وقت به الشئ أى حد ومنه مواقيت الاحرام وهى الحدود التى لايتجاوزها من يريد دخول مكة الا محرما (أيها الضالون) عن الهدى (المكذبون) بالبعث وهم أهل مكة ومن فى مثل حالهم (من شجر من زقوم) من الاولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره * وأنث ضمير الشجر على المعنى وذكره على اللفظ فى قوله منها وعليه ومن قرأ من شجرة من زقوم فقد جعل الضميرين للشجرة وانما ذكر الثانى على تأويل الزقوم لأنه تفسيرها وهى فى معناه (شرب الهيم) قرئ بالحركات الثلاث فالفتح والضم مصدران وعن جعفر الصادق رضى الله عنه أيام أكل وشرب بفتح الشين وأما المكسور فبمعنى المشروب أى ما يشربه الهيم وهى الابل التى بها الهيام وهو داء تشرب منه فلا تروى جمع أهيم وهيماء قال ذو الرمة

فأصبحت كالهيماء لا الماء مبرد * صداها ولا يقضى عليها هيامها

وقيل الهيم الرمال ووجهه أن يكون جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل الذى لايتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به ما فعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع ما يضطرهم الى أكل الزقوم الذى هو كالمهل فاذا ملؤا منه البطون يسلط عليهم من العطش ما يضطرهم الى شرب الحميم الذى يقطع أمعاءهم فيشربونه شرب الهيم (فان قلت) كيف صح عطف الشاربين على الشاربين وهما لذوات متفقة وصفتان متفقتان فكان عطفا للشئ على نفسه (قلت) ليستا بمتفقتين من حيث إن كونهم شاربين للحميم على ما هو عليه من تناهى الحرارة وقطع الامعاء أمر عجيب وشربهم له على ذلك كما تشرب الهيم الماء أمر عجيب أيضا فكانتا صفتين مختلفتين * النزل الرزق الذى يعد للنازل تكرمة له وفيه تهكم كما فى قوله تعالى فبشرهم بعذاب أليم وكقول أبى الشعر الضبى

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وقرئ نزلهم بالتخفيف (فلولا تصدقون) تحضيض على التصديق اما بالخلق لانهم وان كانوا مصدقين به الا أنهم لما كان مذهبهم خلاف ما يقتضيه التصديق فكأنهم مكذبون به واما بالبعث لان من خلق أولا لم يمتنع عليه أن يخلق ثانيا (ما تمنون) ما تمنونه أى تقذفونه فى الارحام من النطف وقرأ أبو السمال بفتح التاء يقال أمنى النطفة ومناها قال الله تعالى من نطفة اذا تمنى (تخلقونه) تقدرونه وتصورونه (قدرنا بينكم الموت) تقديرا وقسمناه عليكم قسمة الرزق على اختلاف وتفاوت كما تقتضيه مشيئتنا فاختلفت أعماركم من قصير وطويل ومتوسط وقرئ قدرنا بالتخفيف * سبقته على الشئ اذا أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكنه منه فمعنى قوله (وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم) أنا قادرون على ذلك لاتغلبوننا عليه وأمثالكم جمع مثل أى على أن نبدل منكم ومكانكم أشباهكم من الخلق (و) على أن (ننشئكم) فى خلق لاتعلمونها وما عهدتم بمثلها يعنى أنا نقدر على الامرين جميعا على خلق ما يماثلكم وما لا يماثلكم فكيف نعجز عن اعادتكم ويجوز أن يكون أمثالكم جمع مثل أى على أن نبدل ونغير صفاتكم التى أنتم عليها فى خلقكم وأخلاقكم وننشئكم فى صفات لاتعلمونها * قرئ النشأة والنشاءة وفى هذا دليل على صحة القياس حيث جهلهم فى ترك قياس النشأة الاخرى على الاولى (أفرأيتم ما تحرثون) من الطعام أى تبذرون حبه وتعملون فى أرضه (أأنتم تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتا يرف وينمى الى أن يبلغ الغاية وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم لايقولن احدكم زرعت وليقل حرثت قال أبو هريرة أرأيتم الى قوله أفرأيتم الآية والحطام من حطم كالفتات والجذاذ من فت وجذ وهو ما صار هشيما وتحطم (فظلتم) وقرئ بالكسر وفظللتم على الاصل (تفكهون) تعجبون وعن الحسن رضى الله عنه تندمون على تعبكم فيه وانفاقكم عليه أو على ما اقترفتم من المعاصى التى أصبتم بذلك من أجلها وقرئ تفكنون ومنه الحديث مثل العالم كمثل الحمة يأتيها البعداء ويتركها القرباء فبيناهم

اذغارماؤها فانتفع بها قوم وبقى قوم يتفكنون أى يتندمون (انا لمغرمون) لملزمون غرامة ما أنفقنا أومهلكون لهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك (بل نحن) قوم (محرومون) محارفون محدودون لاحظ لنا ولا بخت لنا ولو كنا مجدودين لما جرى علينا هذا وقرئ أئنا (الماء الذى تشربون) يريد الماء العذب الصالح للشرب و (المزن) السحاب الواحدة مزنة وقيل هو السحاب الابيض خاصة وهو أعذب ماء (أجاجا) ملحا زعاقا لا يقدر على شربه (فان قلت) لم أدخلت اللام على جواب لو فى قوله لجعلناه حطاما ونزعت منه ههنا (قلت) ان لو لما كانت داخلة على جملتين معلقة ثانيتهما بالاولى تعلق الجزاء بالشرط ولم تكن مخلصة للشرط كان ولا عاملة مثلها وانما سرى فيها معنى الشرط اتفاقا من حيث افادتها فى مضمونى جملتيها أن الثانى امتنع لامتناع الاول افتقرت فى جوابها الى ما ينصب علما على هذا التعلق فزيدت هذه اللام لتكون علما على ذلك فاذا حذفت بعد ما صارت علما مشهورا مكانه فلان الشئ اذا علم وشهر موقعه وصار مألوفا ومأنوسا به لم يبال باسقاطه عن اللفظ استغناء بمعرفة السامع ألا ترى الى ما يحكى عن رؤبة أنه كان يقول خير لمن قال له كيف أصبحت فحذف الجار لعلم كل أحد بمكانه وتساوى حالى حذفه واثباته لشهرة أمره وناهيك بقول أوس

حتى اذا الكلاب قال لها * كاليوم مطلوبا ولا طلبا

وحذفه لم أرفاذن حذفها اختصار لفظى وهى ثابتة فى المعنى فاستوى الموضعان بلا فرق بينهما على أن تقدم ذكرها والمسافة قصيرة مغن عن ذكرها ثانية ونائب عنه ويجوز أن يقال ان هذه اللام مفيدة معنى التوكيد لا محالة فادخلت فى آية المطعوم دون آية المشروب للدلالة على أن أمر المطعوم مقدم على أمر المشروب وان الوعيد بفقده أشد وأصعب من قبل أن المشروب انما يحتاج اليه تبعا للمطعوم ألا ترى أنك انما تسقى ضيفك بعد أن تطعمه ولو عكست قعدت تحت قول أبى العلاء

اذا سقيت ضيوف الناس محضا * سقوا أضيافهم شبما زلالا

وسقى بعض العرب فقال أنا لا أشرب الا على ثميلة ولهذا قدمت آية المطعوم على آية المشروب (تورون) تقدحونها وتستخرجونها من الزناد والعرب تقدح بعودين تحك أحدهما على الآخر ويسمون الاعلى الزند والاسفل الزندة شبهوهما بالفحل والطروقة (شجرتها) التى منها الزناد (تذكرة) تذكيرا لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعايش كلها وعممنا بالحاجة اليها البلوى لتكون حاضرة للناس ينظرون اليها ويذكرون ما أوعدوا به أو جعلناها تذكرة وأنموذجا من جهنم لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ناركم هذه التى يوقد بنو آدم جزء من سبعين جزأ من حر جهنم (ومتاعا) ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهى القفر أو للذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام يقال أقويت من أيام أى لم آكل شيأ (فسبح باسم ربك) فأحدث التسبيح بذكر اسم ربك أو أراد بالاسم الذكر أى بذكر ربك و (العظيم) صفة للمضاف أو للمضاف اليه والمعنى أنه لما ذكر ما دل على قدرته وانعامه على عباده قال فأحدث التسبيح وهو أن يقول سبحان الله اما تنزيها له عما يقول الظالمون الذين يجحدون وحدانيته ويكفرون نعمته واما تعجبا من أمرهم فى غمط آلائه وأياديه الظاهرة واما شكرا لله على النعم التى عدها ونبه عليها (فلا أقسم) معناه فأقسم ولا مزيدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب وقرأ الحسن فلأقسم ومعناه فلأنا أقسم اللام لام الابتداء دخلت على جملة من مبتدا وخبر وهى أنا أقسم كقولك لزيد منطلق ثم حذف المبتدا ولا يصح أن تكون اللام لام القسم لأمرين أحدهما أن حقها أن يقرن بها النون المؤكدة والاخلال بها ضعيف قبيح والثانى أن لأفعلن فى جواب القسم للاستقبال وفعل القسم يجب أن يكون للحال (بمواقع النجوم) بمساقطها ومغاربها ولعل لله تعالى فى آخر الليل اذا انحطت النجوم الى المغرب أفعالا مخصوصة عظيمة أو للملائكة عبادات موصوفة أو لانه وقت قيام المتهجدين والمبتهلين اليه من عباده الصالحين ونزول الرحمة والرضوان عليهم فلذلك أقسم بمواقعها واستعظم ذلك بقوله (وانه لقسم لو تعلمون عظيم) أو أراد بمواقعها منازلها ومساريها وله تعالى

ف

انا لمغرمون بل نحن محرومون أفرأيتم الماء الذى تشربون أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون أفرأيتم النار التى تورون أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم

* قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم (قال فيه لا زائدة مؤكدة مثلها فى قوله لئلا يعلم أهل الكتاب قال وقرأ الحسن فلأقسم واللام فى هذه للابتداء الخ) قلت تلخيص الرد بهذا الوجه الثانى أن سياق الآية يرشد الى أن القسم بمواقع النجوم واقع ويدل عليه القراءة الاخرى على زيادة لا ومقتضى جعلها جوابا لقسم محذوف ان لا يكون القسم بمواقع النجوم واقعا بل مستقبلا فتتنافر القراءتان اذا والله الموفق للصواب

ذلك من الدليل على عظيم القدرة والحكمة ما لا يحيط به الوصف وقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فى اعتراض لانه اعترض به بين المقسم والمقسم عليه وهو قوله (انه لقرآن كريم) واعترض بلو تعلمون بين الموصوف وصفته وقيل مواقع النجوم أوقات وقوع نجوم القرآن أى أوقات نزولها كريم حسن مرضى فى جنسه من الكتب أو نفاع جم المنافع أو كريم على الله (فى كتاب مكنون) مصون من غير المقربين من الملائكة لا يطلع عليه من سواهم وهم المطهرون من جميع الادناس أدناس الذنوب وما سواها ان جعلت الجملة صفة لكتاب مكنون وهو اللوح وان جعلتها صفة للقرآن فالمعنى لا ينبغى أن يمسه الا من هو على الطهارة من الناس يعنى مس المكتوب منه ومن الناس من حمله على القراءة أيضا وعن ابن عمر أحب الى أن لا يقرأ الا وهو طاهر وعن ابن عباس فى رواية أنه كان يبيح القراءة للجنب ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أى لا ينبغى له أن يظلمه أو يسلمه وقرئ المتطهرون والمطهرون بالادغام والمطهرون من أطهره بمعنى طهره والمطهرون بمعنى يطهرون أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار لهم والوحى الذى ينزلونه (تنزيل) صفة رابعة للقرآن أى منزل من رب العالمين أو وصف بالمصدر لانه نزل نجوما من بين سائر كتب الله تعالى فكأنه فى نفسه تنزيل ولذلك جرى مجرى بعض أسمائه فقيل جاء فى التنزيل كذا ونطق به التنزيل أو هو تنزيل على حذف المبتدا وقرئ تنزيلا على نزل تنزيلا (أفبهذا الحديث) يعنى القرآن (أنتم مدهنون) أى متهاونون به كمن يدهن فى الامر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاونا به (وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون) على حذف المضاف يعنى وتجعلون شكر رزقكم التكذيب أى وضعتم التكذيب موضع الشكر وقرأ على رضى الله عنه وتجعلون شكركم أنكم تكذبون وقيل هى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وتجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل نزلت فى الأنواء ونسبتهم السقيا اليها والرزق المطر يعنى وتجعلون شكر ما يرزقكم الله من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله حيث تنسبونه الى النجوم وقرئ تكذبون وهو قولهم فى القرآن شعر وسحر وافتراء وفى المطر هو من الانواء ولأن كل مكذب بالحق كاذب * ترتيب الآية فلولا ترجعونها اذا بلغت الحلقوم ان كنتم غير مدينين ولولا الثانية مكررة للتوكيد والضمير فى ترجعونها للنفس وهى الروح وفى أقرب اليه للمحتضر (غير مدينين) غير مربوبين من دان السلطان الرعية اذا ساسهم * ونحن أقرب اليه منكم يا أهل الميت بقدرتنا وعلمنا أو بملائكة الموت والمعنى أنكم فى جحودكم أفعال الله تعالى وآياته فى كل شئ ان أنزل عليكم كتابا معجزا قلتم سحر وافتراء وان أرسل اليكم رسولا قلتم ساحر كذاب وان رزقكم مطرا يحييكم به قلتم صدق نوء كذا على مذهب يؤدى الى الاهمال والتعطيل فما لكم لا ترجعون الروح الى البدن بعد بلوغه الحلقوم ان لم يكن ثم قابض وكنتم صادقين فى تعطيلكم وكفركم بالمحيى المميت المبدئ المعيد (فأما ان كان) المتوفى (من المقربين) من السابقين من الازواج الثلاثة المذكورة فى أول السورة (فروح) فله استراحة وروت عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروح بالضم وقرأ به الحسن وقال الروح الرحمة لانها كالحياة للمرحوم وقيل البقاء أى فهذان له معا وهو الخلود مع الرزق والنعيم * والريحان الرزق (فسلام لك من أصحاب اليمين) أى فسلام لك يا صاحب اليمين من اخوانك أصحاب اليمين أى يسلمون عليك كقوله تعالى الا قيلا سلاما سلاما (فنزل من حميم) كقوله تعالى هذا نزلهم يوم الدين وقرئ بالتخفيف (وتصلية جحيم) قرئت بالرفع والجر عطفا على نزل وحميم (ان هذا) الذى أنزل فى هذه السورة (لهو حق اليقين) أى الحق الثابت من اليقين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبدا

(سورة الحديد مكية وهى تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* جاء فى بعض الفواتح سبح على لفظ الماضى وفى بعضها على لفظ المضارع وكل واحد منهما معناه أن من شأن

انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون تنزيل من رب العالمين أفبهذا الحديث أنتم مدهنون وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين فأما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما ان كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم

(سورة الحديد مكية وهى تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبح لله

(ثم قال قوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم اعتراض فيه اعتراض فالجملة الكبرى اعتراض بين القسم والجواب الخ) قال أحمد وعلى هذا التفسير يكون جواب القسم مناسبا للقسم مثل قوله حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا ومن واديه * وثنايا انها اغريض * كما تقدم

﴿القول فى سورة الحديد﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى هو الأول والآخر والظاهر والباطن (قال فيه) ان قلت مامعنى الواو وأجاب بأن المتوسطة بين الاول والآخر للجمع بين معنى الاولية والبقاء الخ * قال ومعنى الظاهر أى بالادلة والباطن أى عن الحواس قال وفيه دليل الرد على من زعم أنه تعالى يرى فى الآخرة بالحاسة (قلت) لادليل فيه على ذلك فان لنا أن نقول ان المراد عدم الادراك بالحاسة فى الدنيا لافى الآخرة ونحن نقول به أو فى الآخرة والمراد الكفار والجاحدون للرؤية كالقدرية ألا ترى الى قوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فان قيل تقييد وتخصيص على خلاف الظاهر قلنا والمسئلة قطعية فيكفى الاحتمال وأيضا فقسيمه لابدفيه من تخصيص فانه تعالى لم يظهر جميع خلقه على الادلة الموصلة الى معرفته بل أخفاها عن كثير منهم وحرمهم الفوز بالايمان به عز وجل

ما فى السموات والارض وهو العزيز (١٦٢) الحكيم له ملك السموات والارض يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير هو الاول والآخر

والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم هو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها وماينزل من السماء ومايعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير له ملك السموات والارض والى الله ترجع الامور يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وهو عليم بذات الصدور آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فالذين آمنوا منكم وأنفقوا لهم أجر كبير ومالكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين هو الذى ينزل على عبده آيات

من أسند اليه التسبيح أن يسبحه وذلك هجيراه وديدنه وقد عدى هذا الفعل باللام تارة وبنفسه أخرى فى قوله تعالى ويسبحوه وأصله التعدى بنفسه لان معنى سبحته بعدته عن السوء منقول من سبح اذا ذهب وبعد فاللام لاتخلو إما أن تكون مثل اللام فى نصحته ونصحت له وإما أن يراد بسبح لله أحدث التسبيح لاجل الله ولوجهه خالصا (مافى السموات والارض) مايتأتى منه التسبيح ويصح (فان قلت) مامحل (يحيى) (قلت) يجوز أن لايكون له محل ويكون جملة برأسها كقوله له ملك السموات وأن يكون مرفوعا على هو يحيى ويميت ومنصوبا حالا من المجرور فى له والجار عاملا فيها ومعناه يحيى النطف والبيض والموتى يوم القيامة ويميت الاحياء (هو الاول) هو القديم الذى كان قبل كل شئ (والآخر) الذى يبقى بعد هلاك كل شئ (والظاهر) بالادلة الدالة عليه (والباطن) لكونه غير مدرك بالحواس (فان قلت) فمامعنى الواو (قلت) الواو الاولى معناها الدلالة على أنه الجامع بين الصفتين الاولية والآخرية والثالثة على أنه الجامع بين الظهور والخفاء وأما الوسطى فعلى أنه الجامع بين مجموع الصفتين الاوليين ومجموع الصفتين الاخريين فهو المستمر الوجود فى جميع الاوقات الماضية والآتية وهو فى جميعها ظاهر وباطن جامع للظهور بالادلة والخفاء فلا يدرك بالحواس وفى هذا حجة على من جوز ادراكه فى الآخرة بالحاسة وقيل الظاهر العالى على كل شئ الغالب له من ظهر عليه اذا علاه وغلبه والباطن الذى بطن كل شئ أى علم باطنه وليس بذاك مع العدول عن الظاهر المفهوم (مستخلفين فيه) يعنى أن الاموال التى فى أيديكم انما هى أموال الله بخلقه وانشائه لها وانما مولكم اياها وخولكم الاستمتاع بها وجعلكم خلفاء فى التصرف فيها فليست هى بأموالكم فى الحقيقة وما أنتم فيها الا بمنزلة الوكلاء والنواب * فأنفقوا منها فى حقوق الله وليهن عليكم الانفاق منها كما يهون على الرجل النفقة من مال غيره اذا أذن له فيه أو جعلكم مستخلفين ممن كان قبلكم فيما فى أيديكم بتوريثه اياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم اليكم وسينتقل منكم الى من بعدكم فلا تبخلوا به وانفعوا بالانفاق منها أنفسكم (لاتؤمنون) حال من معنى الفعل فى مالكم كما تقول مالك قائما بمعنى ماتصنع قائما أى ومالكم كافرين بالله * والواو فى (والرسول يدعوكم) واو الحال فهما حالان متداخلتان وقرئ ومالكم لاتؤمنون بالله ورسوله والرسول يدعوكم والمعنى وأى عذر لكم فى ترك الايمان والرسول يدعوكم اليه وينبهكم عليه ويتلو عليكم الكتاب الناطق بالبراهين والحجج وقبل ذلك قد أخذ الله ميثاقكم بالايمان حيث ركب فيكم العقول ونصب لكم الادلة ومكنكم من النظر وأزاح عللكم فاذ لم تبق لكم علة بعد أدلة العقول وتنبيه الرسول فمالكم لاتؤمنون (ان كنتم مؤمنين) لموجب ما فان هذا الموجب لامزيد عليه * وقرئ أخذ ميثاقكم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (ليخرجكم) الله بآياته من ظلمات الكفر الى نور الايمان أو ليخرجكم الرسول بدعوته (لرؤف) وقرئ لرؤوف

بينات ليخرجكم من الظلمات الى النور وان الله بكم لرؤف رحيم (وما

فالظاهر اذا معناه فى التخصيص كالثانى طبقا بينه وبين الاول * قوله تعالى والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين (قال فيه أخذ الميثاق عبارة عن تركيب العقول فيهم الخ) قال أحمد وما عليه أن يحمل أخذ الميثاق على ما بينه الله فى آية غير هذه اذ يقول تعالى واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى ولقد يربى منه انكاره لكثير من مثل هذه الظواهر والعدول بها عن حقائقها مع امكانها عقلا ووقوعها بالسمع قطعا الى ما يتوهمه من تمثيل يسميه تخييلا فالقاعدة التى تعتمد عليها كى لايضرك ما يومئ اليه أن ما كل ماجوزه العقل وورد بوقوعه السمع وجب حمله على ظاهره والله الموفق

(ومالكم ألا تنفقوا) فى أن لا تنفقوا (ولله ميراث السموات والارض) يرث كل شئ فيهما لايبقى منه باق لاحد من مال وغيره يعنى وأى غرض لكم فى ترك الانفاق فى سبيل الله والجهاد مع رسوله والله مهلككم فوارث أموالكم وهو من أبلغ البعث على الانفاق فى سبيل الله * ثم بين التفاوت بين المنفقين منهم فقال (لايستوى منكم من أنفق) قبل فتح مكة قبل عز الاسلام وقوة أهله ودخول الناس فى دين الله أفواجا وقلة الحاجة الى القتال والنفقة فيه ومن أنفق من بعد الفتح فحذف لوضوح الدلالة (أولئك) الذين أنفقوا قبل الفتح وهم السابقون الاولون من المهاجرين والانصار الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا مابلغ مد أحدهم ولانصيفه (أعظم درجة) * وقرئ قبل الفتح (وكلا) وكل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة مع تفاوت الدرجات وقرئ بالرفع على وكل وعده الله وقيل نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه لانه أول من أسلم وأول من أنفق فى سبيل الله * القرض الحسن الانفاق فى سبيله شبه ذلك بالقرض على سبيل المجاز لانه اذا أعطى ماله لوجهه فكأنه أقرضه اياه (فيضاعفه له) أى يعطيه أجره على انفاقه مضاعفا أضعافا من فضله (وله أجر كريم) يعنى وذلك الاجر المضموم اليه الاضعاف كريم فى نفسه وقرئ فيضعفه وقرئا منصوبين على جواب الاستفهام والرفع عطف على يقرض أو على فهو يضاعفه (يوم ترى) ظرف لقوله وله أجر كريم أو منصوب باضمار اذكر تعظيما لذلك اليوم * وانما قال (بين أيديهم وبأيمانهم) لان السعداء يؤتون صحائف أعمالهم من هاتين الجهتين كما أن الاشقياء يؤتونها من شمائلهم ومن وراء ظهورهم فيجعل النور فى الجهتين شعارا لهم وآية لانهم هم الذين بحسناتهم سعدوا وبصحائفهم البيض أفلحوا فاذا ذهب بهم الى الجنة ومروا على الصراط يسعون سعى بسعيهم ذلك النور جنيبا لهم ومتقدما * ويقول لهم الذين يتلقونهم من الملائكة (بشراكم اليوم) * وقرئ ذلك الفوز (يوم يقول) بدل من يوم ترى (انظرونا) انتظرونا لانهم يسرع بهم الى الجنة كالبروق الخاطفة على ركاب تذف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا الينا لانهم اذا نظروا اليهم استقبلوهم بوجوههم والنور بين أيديهم فيستضيئون به وقرئ أنظرونا من النظرة وهى الامهال جعل اتئادهم فى المضى الى أن يلحقوا بهم انظارا لهم (نقتبس من نوركم) نصب منه وذلك أن يلحقوا بهم فيستنيروا به (قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا) طرد لهم وتهكم بهم أى ارجعوا الى الموقف الى حيث أعطينا هذا النور فالتمسوه هنالك فمن ثم يقتبس أو ارجعوا الى الدنيا فالتمسوا نورا بتحصيل سببه وهو الايمان أو ارجعوا خائبين وتنحوا عنا فالتمسوا نورا آخر فلا سبيل لكم الى هذا النور وقد علموا أن لانور وراءهم وانما هو تخييب وإقناط لهم (فضرب بينهم بسور) بين المؤمنين والمنافقين بحائط حائل بين شق الجنة وشق النار قيل هو الاعراف * لذلك السور (باب) لاهل الجنة يدخلون منه (باطنه) باطن السور أو الباب وهو الشق الذى يلى الجنة (وظاهره) ماظهر لاهل النار (من قبله) من عنده ومن جهته (العذاب) وهو الظلمة والنار وقرأ زيد بن على رضى الله عنهما فضرب بينهم على البناء للفاعل (ألم نكن معكم) يريدون موافقتهم فى الظاهر (فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وغرتكم الامانى) طول الآمال والطمع فى امتداد الاعمار (حتى جاء أمر الله) وهو الموت (وغركم بالله الغرور) وغركم الشيطان بأن الله عفو كريم لايعذبكم وقرئ الغرور بالضم (فدية) مايفتدى به (هى مولاكم) قيل هى أولى بكم وأنشد قول لبيد

فغدت كلا الفرجين تحسب أنه * مولى المخافة خلفها وأمامها

وحقيقة مولاكم محراكم ومقمنكم أى مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما قيل هو مئنة للكرم أى مكان لقول القائل إنه لكريم ويجوز أن يراد هى ناصركم أى لاناصر لكم غيرها والمراد نفى الناصر على البتات ونحوه قولهم أصيب فلان بكذا فاستنصر الجزع ومنه قوله تعالى يغاثوا بماء كالمهل وقيل تتولاكم كما توليتم فى الدنيا أعمال أهل النار (ألم يأن) من أنى الامر يأنى اذا جاء اناه أى وقته وقرئ ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى يأنى وألما يأن قيل كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة ففتروا عما كانوا عليه فنزلت

ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السموات والارض لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى والله بما تعملون خبير من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له وله أجر كريم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هى مولاكم وبئس المصير ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم

وعن ابن مسعود ما كان بين اسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية الا أربع سنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة من نزول القرآن وعن الحسن رضى الله عنه أما والله لقد استبطأهم وهم يقرؤن من القرآن أقل مما تقرؤن فانظروا فى طول ما قرأتم منه وما ظهر فيكم من الفسق وعن أبى بكر رضى الله عنه أن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل اليمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر اليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب * وقرئ نزل ونزل وأنزل (ولا يكونوا) عطف على تخشع وقرئ بالتاء على الالتفات ويجوز أن يكون نهيا لهم عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بنى اسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم واذا سمعوا التوراة والانجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم فلما طال عليهم الزمان غلبهم الجفاء والقسوة واختلفوا وأحدثوا ما أحدثوا من التحريف وغيره (فان قلت) ما معنى لذكر الله وما نزل من الحق (قلت) يجوز أن يراد بالذكر وبما نزل من الحق القرآن لأنه جامع للأمرين للذكر والموعظة وأنه حق نازل من السماء وأن يراد خشوعها اذا ذكر الله واذا تلى القرآن كقوله تعالى اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا * أراد بالأمد الأجل كقوله اذا انتهى أمده وقرئ الأمد أى الوقت الأطول (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن دينهم رافضون لما فى الكتابين (اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها) قيل هذا تمثيل لأثر الذكر فى القلوب وأنه يحييها كما يحيى الغيث الأرض (المصدقين) المتصدقين وقرئ على الأصل والمصدقين من صدق وهم الذين صدقوا الله ورسوله يعنى المؤمنين (فان قلت) علام عطف قوله (وأقرضوا) (قلت) على معنى الفعل فى المصدقين لأن اللام بمعنى الذين واسم الفاعل بمعنى اصدقوا كأنه قيل ان الذين اصدقوا وأقرضوا * والقرض الحسن أن يتصدق من الطيب عن طيبة النفس وصحة النية على المستحق للصدقة * وقرئ يضعف ويضاعف بكسر العين أى يضاعف الله * يريد أن المؤمنين بالله ورسله هم عند الله بمنزلة الصديقين والشهداء وهم الذين سبقوا الى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله (لهم أجرهم ونورهم) أى مثل أجر الصديقين والشهداء ومثل نورهم (فان قلت) كيف يسوى بينهم فى الأجر ولا بد من التفاوت (قلت) المعنى ان الله يعطى المؤمنين أجرهم ويضاعفه لهم بفضله حتى يساوى أجرهم مع أضعافه أجر أولئك ويجوز أن يكون والشهداء مبتدأ ولهم أجرهم خبره * أراد أن الدنيا ليست الا محقرات من الأمور وهى اللعب واللهو والزينة والتفاخر والتكاثر وأما الآخرة فما هى الا أمور عظام وهى العذاب الشديد والمغفرة ورضوان الله وشبه حال الدنيا وسرعة تقضيها مع قلة جدواها بنبات أنبته الغيث فاستوى واكتهل وأعجب به الكفار الجاحدون لنعمة الله فيما رزقهم من الغيث والنبات فبعث عليه العاهة فهاج واصفر وصار حطاما عقوبة لهم على جحودهم كما فعل بأصحاب الجنة وصاحب الجنتين وقيل الكفار الزراع * وقرئ مصفارا (سابقوا) سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم فى المضمار الى جنة (عرضها كعرض السماء والأرض) قال السدى كعرض سبع السموات وسبع الأرضين وذكر العرض دون الطول لأن كل ماله عرض وطول فان عرضه أقل من طوله فاذا وصف عرضه بالبسطة عرف أن طوله أبسط وأمد ويجوز أن يراد بالعرض البسطة كقوله تعالى فذو دعاء عريض لما حقر الدنيا وصغر أمرها وعظم أمر الآخرة بعث عباده على المسارعة الى نيل ما وعد من ذلك وهى المغفرة المنجية من العذاب الشديد والفوز بدخول الجنة (ذلك) الموعود من المغفرة والجنة (فضل الله) عطاؤه (يؤتيه من يشاء) وهم المؤمنون * المصيبة فى الأرض نحو الجدب وآفات الزروع والثمار وفى الأنفس نحو الأدواء والموت (فى كتاب) فى اللوح (من قبل أن نبرأها) يعنى الأنفس أو المصائب (ان ذلك) ان تقديرذلك واثباته فى كتاب (على الله يسير) وان كان عسيرا على العباد * ثم علل ذلك وبين الحكمة فيه فقال (لكيلا تأسوا * ولا تفرحوا) يعنى أنكم اذا علمتم أن كل شئ مقدر مكتوب عند الله قل أساكم على الفائت وفرحكم على الآتى لأن من علم أن ما عنده مفقود لا محالة لم يتفاقم جزعه عند فقده لأنه وطن نفسه على ذلك وكذلك من علم أن بعض الخير واصل اليه وأن وصوله لا يفوته بحال لم يعظم فرحه عند نيله (والله لا يحب كل

لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل

* قوله تعالى وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الآية (قال فيه الرهبانية الفعلة المنسوبة للرهبان الخ) قال أحمد وفيه اشكال فان النسب الى الجمع على صيغته غير مقبول عندهم حتى يرد الى مفرده الا أن يقال انه لما صار الرهبان طائفة مخصوصة صار هذا الاسم وان كان جمعا كالعلم لهم فلحق بانصارى ومدائنى وأعرابى * عاد كلامه (قال وهى منصوبة بفعل مضمر الخ) قال أحمد فى اعراب هذه الآية تورط أبو على الفارسى وتحيز الى فئة الفتنة وطائفة البدعة فأعرب رهبانية على أنها منصوبة بفعل مضمر يفسره الظاهر وعلل امتناع العطف فقال ألا ترى

مختال فخور) لأن من فرح بحظ من الدنيا وعظم فى نفسه اختال وافتخر به وتكبر على الناس * قرئ بما آتاكم وأتاكم من الايتاء والاتيان وفى قراءة ابن مسعود بما أوتيتم (فان قلت) فلا أحد يملك نفسه عند مضرة تنزل به ولا عند منفعة ينالها أن لا يحزن ولا يفرح (قلت) المراد الحزن المخرج الى ما يذهل صاحبه عن الصبر والتسليم لأمر الله ورجاء ثواب الصابرين والفرح المطغى الملهى عن الشكر فأما الحزن الذى لا يكاد الانسان يخلو منه مع الاستسلام والسرور بنعمة الله والاعتداد بها مع الشكر فلا بأس بهما (الذين يبخلون) بدل من قوله كل مختال فخور كأنه قال لا يحب الذين يبخلون يريد الذين يفرحون الفرح المطغى اذا رزقوا مالا وحظا من الدنيا فلحبهم له وعزته عندهم وعظمه فى عيونهم يزوونه عن حقوق الله ويبخلون به ولا يكفيهم أنهم بخلوا حتى يحملوا الناس على البخل ويرغبوهم فى الامساك ويزينوه لهم وذلك كله نتيجة فرحهم به وبطرهم عند اصابته (ومن يتول) عن أوامر الله ونواهيه ولم ينته عما نهى عنه من الأسى على الفائت والفرح بالآتى فان الله غنى عنه * وقرئ بالبخل * وقرأ نافع فان الله الغنى وهو فى مصاحف أهل المدينة والشأم كذلك (لقد أرسلنا رسلنا) يعنى الملائكة الى الأنبياء (بالبينات) بالحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أى الوحى (والميزان) روى أن جبريل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه الى نوح وقال مر قومك يزنوا به (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والابرة وروى ومعه المر والمسحاة وعن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أنزل أربع بركات من السماء الى الأرض أنزل الحديد والنار والماء والملح وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام وذلك أن أوامره تنزل من السماء وقضاياه وأحكامه (فيه بأس شديد) وهو القتال به (ومنافع للناس) فى مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم فما من صناعة الا والحديد آلة فيها أو ما يعمل بالحديد (وليعلم الله من ينصره ورسله) باستعمال السيوف والرماح وسائر السلاح فى مجاهدة أعداء الدين (بالغيب) غائبا عنهم قال ابن عباس رضى الله عنهما ينصرونه ولا يبصرونه (ان الله قوى عزيز) غنى بقدرته وعزته فى اهلاك من يريد هلاكه عنهم وانما كلفهم الجهاد لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيه الى الثواب (والكتاب) والوحى وعن ابن عباس الخط بالقلم يقال كتب كتابا وكتابة (فمنهم) فمن الذرية أو من المرسل اليهم وقد دل عليهم ذكر الارسال والمرسلين وهذا تفصيل لحالهم أى فمنهم مهتد ومنهم فاسق والغلبة للفساق * قرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وأمره أهون من أمر البرطيل والسكينة فيمن رواهما بفتح الفاء لأن الكلمة أعجمية لا يلزم فيها حفظ أبنية العرب * وقرئ رآفة على فعالة أى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه فى صفة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحماء بينهم * والرهبانية ترهبهم فى الجبال فارين من الفتنة فى الدين مخلصين أنفسهم للعبادة وذلك أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد موت عيسى فقاتلوهم ثلاث مرات فقتلوا حتى لم يبق منهم الا القليل فخافوا أن يفتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية ومعناها الفعلة المنسوبة الى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرئ ورهبانية بالضم كأنها نسبة الى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وانتصابها بفعل مضمر يفسره الظاهر تقديره وابتدعوا رهبانية (ابتدعوها) يعنى وأحدثوها من عند أنفسهم

مختال فخور الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز ولقد أرسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا فى ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون ثم قفينا على آثارهم برسلنا وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الانجيل وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة ورحمة ورهبانية ابتدعوها

ان الرهبانية لا يستقيم حملها على جعلنا مع وصفها بقوله ابتدعوها لأن ما يجعله هو تعالى لا يبتدعونه هم والزمخشرى ورد أيضا مورده الذميم وأسلمه شيطانه الرجيم فلما أجاز ما منعه أبو على من جعلها معطوفة أعذر لذلك بتحريف الجعل الى التوفيق فرارا مما فر منه أبو على من اعتقاد أن ذلك مخلوق لله تعالى وجنوحا الى الاشراك واعتقاد أن ما يفعلونه هم لا يفعله الله تعالى ولا يخلقه * وكفى بما فى هذه الآية دليلا بعد الأدلة القطعية والبراهين العقلية على بطلان ما اعتقداه فانه ذكر محل الرحمة والرأفة مع العلم بأن محلها القلب فجعل قوله فى قلوب الذين اتبعوه تأكيدا لخلقه هذه المعانى وتصوير المعنى الخلق بذكر محله ولو كان المراد أمرا غير مخلوق فى قلوبهم لله تعالى كما زعما لم يبق لقوله فى قلوب الذين اتبعوه موقع ويأبى الله أن يشتمل كتابه الكريم على ما لا موقع له ألهمنا الله الحجة وانهج بنا واضح

ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شئ من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذوا الفضل العظيم

﴿سورة المجادلة مدنية وهى ثنتان وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قد سمع الله قول التى تجادلك

ونذروها (ما كتبناها عليهم) لم نفرضها نحن عليهم (الا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أى ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله (فما رعوها حق رعايتها) كما يجب على الناذر رعاية نذره لانه عهد مع الله لا يحل نكثه (فآتينا الذين آمنوا) يريد أهل الرحمة والرأفة الذين اتبعوا عيسى (وكثير منهم فاسقون) الذين لم يحافظوا على نذرهم ويجوز أن تكون الرهبانية معطوفة على ما قبلها وابتدعوها صفة لها فى محل النصب أى وجعلنا فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية مبتدعة من عندهم بمعنى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها ما كتبناها عليهم الا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب على أنه كتبها عليهم وألزمها اياهم ليتخلصوا من الفتن ويبتغوا بذلك رضا الله وثوابه فما رعوها جميعا حق رعايتها ولكن بعضهم فآتينا المؤمنين المراعين منهم للرهبانية أجرهم وكثير منهم فاسقون وهم الذين لم يرعوها (يا أيها الذين آمنوا) يجوز أن يكون خطابا للذين آمنوا من أهل الكتاب والذين آمنوا من غيرهم فان كان خطابا لمؤمنى أهل الكتاب فالمعنى يا أيها الذين آمنوا بموسى وعيسى آمنوا بمحمد (يؤتكم) الله (كفلين) أى نصيبين (من رحمته) لايمانكم بمحمد وايمانكم بمن قبله (ويجعل لكم) يوم القيامة (نورا تمشون به) وهو النور المذكور فى قوله يسعى نورهم (ويغفر لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصى (لئلا يعلم) ليعلم (أهل الكتاب) الذين لم يسلموا ولا مزيدة (ألا يقدرون) أن مخففة من الثقيلة أصله أنه لا يقدرون يعنى أن الشأن لا يقدرون (على شئ من فضل الله) أى لا ينالون شيأ مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة لانهم لم يؤمنوا برسول الله فلم ينفعهم ايمانهم بمن قبله ولم يكسبهم فضلا قط وان كان خطابا لغيرهم فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على ايمانكم برسول الله يؤتكم ما وعده من آمن من أهل الكتاب من الكفلين فى قوله أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لانكم مثلهم فى الايمانين لا تفرقون بين أحد من رسله روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جعفرا رضى الله عنه فى سبعين راكبا الى النجاشى يدعوه فقدم جعفر عليه فدعاه فاستجاب له فقال ناس ممن آمن من أهل مملكته وهم أربعون رجلا ائذن لنا فى الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن لهم فقدموا مع جعفر وقد تهيأ لوقعة أحد فلما رأوا بالمسلمين من خصاصة استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعوا وقدموا بأموال لهم فآسوا بها المسلمين فأنزل الله الذين آتيناهم الكتاب الى قوله ومما رزقناهم ينفقون فلما سمع من لم يؤمن من أهل الكتاب قوله يؤتون أجرهم مرتين فخروا على المسلمين وقالوا أما من آمن بكتابكم وكتابنا فله أجره مرتين وأما من لم يؤمن بكتابكم فله أجر كأجركم فما فضلكم علينا فنزلت وروى أن مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على غيرهم من المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت ۞ وقرئ لكى يعلم ولكيلا يعلم وليعلم ولان يعلم بادغام النون فى الياء ولين يعلم بقلب الهمزة ياء وادغام النون فى الياء وعن الحسن ليلا يعلم بفتح اللام وسكون الياء ورواه قطرب بكسر اللام وقيل فى وجهها حذفت همزة أن وأدغمت نونها فى لام لا فصار للا ثم أبدلت من اللام المدغمة ياء كقولهم ديوان وقيراط ومن فتح اللام فعلى أن أصل لام الجر الفتح كما أنشده أريد لانسى ذكرها وقرئ أن لا يقدروا (بيد الله) فى ملكه وتصرفه واليد مثل (يؤتيه من يشاء) ولا يشاء الا ايتاء من يستحقه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله

﴿سورة المجادلة مدنية وهى ثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(قد سمع الله) قالت عائشة رضى الله عنها الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات لقد كلمت المجادلة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جانب البيت وأنا عنده لا أسمع وقد سمع لها وعن عمر أنه كان اذا دخلت عليه أكرمها وقال قد سمع الله لها ۞ وقرئ تحاورك أى تراجعك الكلام وتحاولك أى تسائلك وهى خولة بنت ثعلبة امرأة أوس ابن الصامت أخى عبادة رآها وهى تصلى وكانت حسنة الجسم فلما سلمت راودها فأبت فغضب وكان به خفة ولمم فظاهر منها فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان أوسا تزوجنى وأنا شابة مرغوب فى فلما خلى سنى

ونثرت

الحمد لله ولى التوفيق وواهب التحقيق

(القول فى سورة المجادلة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها (قال فيه قالت عائشة رضى الله عنها الحمد لله الذى وسع سمعه الاصوات الخ) قال أحمد ولقد استدل به بعضهم على عدم لزوم ظهار الذمى وليس بقوى لانه غير المقصود

۞ عاد كلامه قوله تعالى ثم يعودون لما قالوا (قال فيه يعنى والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول الخ) قال أحمد وهذا الوجه يلزم الكفارة بمجرد قول الظهار فى الاسلام لا غير والقول بوجوبها بمجرد الظهار قول مجاهد من التابعين وسفيان من الفقهاء ۞ عاد كلامه (قال ووجه ثان ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا الخ) قال أحمد وهذا التفسير منزل على أن وجوب الكفارة مشروط بالعود بعد الظهار وهو القول المشهور لفقهاء الامصار ولا يخص هذا التفسير وجها من وجوه العود التى ذكرها العلماء عاد كلامه (قال ووجه ثالث وهو أن يكون المراد بما قالوا الخ) قال أحمد وهذا التفسير يقوى القول بأن العود الوطء نفسه لان حاصله ثم يعودون للوطء وظاهر قول مالك عاد للوطء فعله وحمل العود على الوطء من جملة أقوال مالك رحمه الله فقد تلخص ان كلام المختلفين فى العود له مآخذ من هذه الآية فأما من لم يقف وجوب الكفارة عنده الا على مجرد الظهار فحمل العود على الظهار وتسميته عودا والحالة هذه باعتبار أنه كان فى الجاهلية وانقطع فى الاسلام فايقاعه بعد الاسلام عود اليه وأما من أوقفها على العود وجعل العود أن يعيد لفظ الظهار وهو قول داود فاعتبر ظاهر اللفظ وأما من حمل العود على العزم على الوطء فرأى أن العود الى القول الاول عود بالتدارك لا بالتكرار وتدارك بعضه ببعضه وهل نقيضه العزم على الوطء لان الاول امتناع منه أو العزم على الامساك لان العصمة تقتضى الحل وعدم الامتناع فيكفى محل خلاف وأما من حمله على الوطء نفسه فرأى أن المراد بالقول المقول فيه ويحمل قوله من قبل أن يتماسا أى مرة ثانية وقد اختلف العلماء أيضا فيما اذا قدم الوطء على الكفارة فالمذهب المشهور للعلماء أن ذلك لا يسقط الكفارة ولا يوجب أخرى وذهب مجاهد الى ايجاب أخرى به وذهبت طائفة الى اسقاط الكفارة به أصلا ورأسا وكأن منشأ خلافهم النظر الى قوله من قبل أن يتماسا فرآه أكثر العلماء منعا من الوطء قبل التكفير حتى كأنه قال لا تماس حتى تكفر ورآه الطائفة المسقطة للكفارة بالوطء شرطا فى الوجوب فلا جرم اذا مسها فقد فقد الشرط الذى هو عدم التماس فسقط الوجوب ورآه مجاهد فى ايجاب الكفارة فاذا تماسا قبل الكفارة تعددت ثم فيه نظر آخر وهو انه ذكر عدم التماس فى كفارتى العتق والصوم وأسقطه فى كفارة الاطعام فتلقى أبو حنيفة بذلك الفرق بين الاطعام وبين الاخريين حتى انه لو وطئ فى حال الاطعام لم يجب عليه استئناف كفارة بخلاف الاخريين فان الوطء فى خلال كل واحدة منهما يوجب ابطالها واستئناف أخرى على أن أبا حنيفة سوى بين الثلاث فى تحريم المساس قبل حصولها كاملة كذا نقل الزمخشرى عنه ولقائل أن يقول على أبى حنيفة اذا جعلت الفائدة فى ذكر عدم التماس فى بعضها واسقاطه من بعضها الفرق بين أنواعها فلم صرفت الفرق الى أحد الحكمين وهو ايجاب الاستئناف بالوطء فى خلال الكفارة فى بعضها دون البعض

في زوجها وتشتكى الى الله والله يسمع تحاوركما ان الله سميع بصير الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا

ونثرت بطنى أى كثر ولدى جعلنى عليه كأمه وروى أنها قالت له ان لى صبية صغارا ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الى جاعوا فقال ما عندى فى أمرك شئ وروى أنه قال لها حرمت عليه فقالت يا رسول الله ما ذكر طلاقا وانما هو أبو ولدى وأحب الناس الى فقال حرمت عليه فقالت أشكو الى الله فاقتى ووجدى كلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حرمت عليه هتفت وشكت الى الله فنزلت (فى زوجها) فى شأنه ومعناه (ان الله سميع بصير) يصح أن يسمع كل مسموع ويبصر كل مبصر (فان قلت) ما معنى قد فى قوله قد سمع (قلت) معناه التوقع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمجادلة كانا يتوقعان أن يسمع الله مجادلتها وشكواها وينزل فى ذلك ما يفرج عنها (الذين يظاهرون منكم) فى منكم توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فى الظهار لانه كان من أيمان أهل جاهليتهم خاصة دون سائر الامم (ما هن أمهاتهم) وقرئ بالرفع على اللغتين الحجازية والتميمية وفى قراءة ابن مسعود بأمهاتهم بزيادة الباء فى لغة من ينصب والمعنى أن من يقول لامرأته أنت على كظهر أمى ملحق فى كلامه هذا الزوج بالام وجاعلها مثلها وهذا تشبيه باطل لتباين الحالين (ان أمهاتهم الا اللائى ولدنهم) يريد أن الامهات على الحقيقة انما هن الوالدات وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن فى حكمهن فالمرضعات أمهات لانهن لما أرضعن دخلن بالرضاع فى حكم الامهات وكذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين لان الله حرم نكاحهن على الامة فدخلن بذلك فى حكم الامهات وأما الزوجات فأبعد شئ من الامومة لانهن لسن بأمهات على الحقيقة ولا بداخلات فى حكم الامهات ۞ فكان قول المظاهر منكرا من القول تنكره الحقيقة وتنكره الاحكام الشرعية وزورا وكذبا باطلا منحرفا عن الحق (وان الله لعفو غفور) لما سلف منه اذا تيب عنه ولم يعد اليه ثم قال (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) يعنى والذين كانت عادتهم أن يقولوا هذا القول المنكر فقطعوه بالاسلام ثم يعودون لمثله فكفارة من عاد أن يحرر رقبة ثم يماس المظاهر منها لا تحل له مماستها الا بعد تقديم الكفارة ووجه آخر ثم يعودون لما قالوا ثم يتداركون ما قالوا لأن المتدارك للامر عائد اليه ومنه المثل عاد غيث على ما أفسد أى تداركه بالاصلاح والمعنى أن تدارك هذا القول وتلافيه بأن يكفر حتى ترجع حالهما كما كانت قبل الظهار ووجه ثالث وهو

دون الحكم الآخر وهو تحريم التماس قبل الشروع في الكفارة فما تخصيص أحد الحكمين دون الآخر الا نوع من التحكم وله أن يقول اتفقنا على التسوية فيه فتعين صرفه الى الآخر هذا منتهى النظر مع أبي حنيفة ورأى القائلون بان الطعام يبطل بتخلل الوطء في أثنائه كالصيام ان فائدة ذكره عدم المماسة ثم اسقاطه التنبيه على التسوية بين التكفير قبل و بعد وتقريره ان ذكره مع الاثنين كذكره مع الثالث واطلاق الثالث كاطلاق الاثنين فكأنه قال في الجميع من قبل أن يتماسا ومن بعد وانطوى ايراد الآية على هذا الوجه على ابطال قول من قال ان الامر يختلف بين ما قبل التماس وما بعده فيجب قبل و يسقط بعد وعلى قول من قال يجب قبل كفاره و بعد كفارتان وههنا نظر آخر في أنه لم ذكر عدم التماس مع نوعين منها وقد كان ذكره مع واحد منها مفيد الهذه الفائدة على التقرير المذكور والجواب عنه ان ذكره مع العتق مقتصر على افادة تحريم الوطء قبل العتق ولا يتصور في العتق الوطء في أثنائه اذ لا يتبعض ولا يتفرق فاحتيج الى ذكره مع الصيام الواقع على التوالي ليفيد تحريم الوطء قبل الشروع فيه و بعد الشروع الى التمام اذ لو لم يذكره هنا لتوهم ان الوطء انما يحرم قبل الشروع خاصة لا بعد لانها هي الحالة التي دل عليها التقييد في العتق فلما ذكره مع الصيام الواقع متواليا استغنى عن ذكره مع الطعام لانه مثله في التعدد والتوالي وامكان الوطء في خلاله وهذا التقرير منزل على ان العتق لا يتجزأ ولا يتبعض وهذا هو المرضي وقد نقل العيني عن ابن القاسم ان من أعتق شقصا من عبد علك جميعه ثم أعتق بقيته عن الظهار أن ذلك يجزيه وهو خلاف أصله في المدونة وعابه عليه أصبغ وسحنون وابنه ﴿تنبيه﴾ ان قال قائل ارتفاع التحريم بالكفارة لا يخلو اما أن يكون مشروطا فيلزم أن لا يرتفع التحريم بالكفارة التي تقدم على الشروع فيها مساس وان لم يكن مشروطا لزم ارتفاع التحريم بالكفارة التي تخللها المساس وكلاهما غير مقول به عندكم * فالجواب أن المساس مناف لصحة الكفارة واعتبارها في رفع التحريم فان وقع قبل الشروع في الكفارة تعذر الحكم ببطلان الكفارة لان المحل لم يوجد وتعذر ذلك لا يبطل الحكم ككونه منافيا أما ان وقع في أثنائها فالمحل المحكوم فيه بعدم الصحة قائم فوجب اعمال المنافي وهذا كالحدث مناف لصحة الصلاة فان وقع في أثنائها أثر في ابطالها والله تعالى الموفق للصواب

ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا

أن يرادعما قالوا ما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه نحو ما ذكرنا في قوله تعالى ونرثه ما يقول ويكون المعنى ثم يريدون العود للتماس والمماسة الاستمتاع بها من جماع أو لمس بشهوة أو نظر الى فرجها بشهوة (ذلكم) الحكم (توعظون به) لان الحكم بالكفارة دليل على ارتكاب الجناية فيجب أن تتعظوا بهذا الحكم حتى لا تعودوا الى الظهار وتخافوا عقاب الله عليه (فان قلت) هل يصح الظهار بغير هذا اللفظ (قلت) نعم اذا وضع مكان أنت عضوا منها يعبر به عن الجملة كالرأس والوجه والرقبة والفرج أو مكان الظهر عضوا آخر يحرم النظر اليه من الأم كالبطن والفخذ أو مكان الام ذات رحم محرم منه من نسب أو رضاع أو صهر أو جماع نحو أن يقول أنت علي كظهر أختي من الرضاع أو عمتي من النسب أو امرأة ابني أو أبي أو أم امرأتي أو بنتها فهو مظاهر وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه وعن الحسن والنخعي والزهري والاوزاعي والثوري وغيرهم نحوه وقال الشافعي لا يكون الظهار الا بالام وحدها وهو قول قتادة والشعبي وعن الشعبي لم ينس الله أن يذكر البنات والاخوات والعمات والخالات اذ أخبر أن الظهار انما يكون بالامهات الوالدات دون المرضعات وعن بعضهم لا بد من ذكر الظهر حتى يكون ظهارا (فان قلت) فاذا امتنع المظاهر من الكفارة هل للمرأة أن ترافعه (قلت) لها ذلك وعلى القاضي أن يجبره على أن يكفر وأن يحبسه ولا شئ من الكفارات يجبر عليه و يحبس الا كفارة الظهار وحدها لانه يضر بها في ترك التكفير والامتناع من الاستمتاع فيلزم ايفاء حقها (فان قلت) فان مس قبل أن يكفر (قلت) عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر لما روى أن سلمة بن صخر البياضي قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهرت من امرأتي ثم أبصرت خلخالها في ليلة قمراء فواقعتها فقال عليه الصلاة والسلام استغفر ربك ولا تعد حتى تكفر (فان قلت) أي رقبة تجزى في كفارة الظهار (قلت) المسلمة والكافرة جميعا لانها في الآية مطلقة وعند الشافعي لا تجزى الا المؤمنة لقوله تعالى في كفارة القتل فتحرير رقبة مؤمنة ولا تجزى أم الولد والمدبر والمكاتب الذي أدى شيأ فان لم يؤد شيأ جاز وعند الشافعي لا يجوز (فان قلت) فان أعتق بعض الرقبة أو صام بعض الصيام ثم مس (قلت) عليه أن يستأنف نهارا مس أو ليلا ناسيا أو عامدا عند أبي حنيفة وعند أبي يوسف ومحمد عتق بعض الرقبة عتق كلها فيجزيه وان كان المس يفسد الصوم استقبل والا بنى (فان قلت) كم يعطى المسكين في الاطعام (قلت) نصف صاع من بر أو صاعا من غيره عند أبي حنيفة وعند الشافعي مدا من طعام بلده الذي يقتات فيه (فان قلت) ما بال التماس لم يذكر عند الكفارة بالاطعام كما ذكر عند الكفارتين (قلت) اختلف في ذلك فعند أبي حنيفة أنه لا فرق بين الكفارات الثلاث في وجوب تقديمها على المساس وانما ترك ذكره عند الاطعام دلالة على أنه اذا وجد في خلال الاطعام لم يستأنف كما يستأنف الصوم اذا وقع في خلاله وعند غيره لم يذكر للدلالة على أن التكفير قبله و بعده سواء (فان قلت) الضمير

ذلك لتؤمنوا بالله و رسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب أليم ان الذين يحادون الله ورسوله كبتوا كما كبت الذين من قبلهم وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين عذاب مهين يوم يبعثهم الله جميعا فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شئ شهيد ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا خمسة الا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر الا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة ان الله بكل شئ عليم ألم تر الى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول

الضمير في أن يتماسا الام يرجع (قلت) الى ما دل عليه الكلام من المظاهر والمظاهر منها (ذلك) البيان والتعليم للاحكام والتنبيه عليها لتصدقوا (بالله ورسوله) في العمل بشرائعه التي شرعها من الظهار وغيره ورفض ما كنتم عليه في جاهليتكم (وتلك حدود الله) التي لا يجوز تعديها (وللكافرين) الذين لا يتبعونها ولا يعملون عليها (عذاب أليم * يحادون) يعادون و يشاقون (كبتوا) أخزوا وأهلكوا (كما كبت) من قبلهم من أعداء الرسل قيل أريد كبتهم يوم الخندق (وقد أنزلنا آيات بينات) تدل على صدق الرسول وصحة ما جاء به (وللكافرين) بهذه الآيات (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم) منصوب بلهم أو بمهين أو باضمار اذكر تعظيما لليوم (جميعا) كلهم لا يترك منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين في حال واحدة كما تقول حي جميع (فينبئهم بما عملوا) تخجيلا لهم وتوبيخا وتشهيرا بحالهم يتمنون عنده المسارعة بهم الى النار لما يلحقهم من الخزي على رؤس الاشهاد (أحصاه الله) أحاط به عددا لم يفته منه شئ (ونسوه) لانهم تهاونوا به حين ارتكبوه لم يبالوا به لضراوتهم بالمعاصي وانما تحفظ معظمات الامور (ما يكون) من كان التامة وقرئ بالياء والتاء والياء على أن النجوى تأنيثها غير حقيقي ومن فاصلة أو على أن المعنى ما يكون شئ من النجوى * والنجوى التناجي فلا تخلو اما أن تكون مضافة الى ثلاثة أي من نجوى ثلاثة نفر أو موصوفة بها أي من أهل نجوى ثلاثة فحذف الاهل أو جعلوا نجوى في أنفسهم مبالغة كقوله تعالى خلصوا نجيا وقرأ ابن أبي عبلة ثلاثة وخمسة بالنصب على الحال باضمار يتناجون لان نجوى يدل عليه أو على تأويل نجوى بمتناجين ونصبها من المستكن فيه (فان قلت) ما الداعي الى تخصيص الثلاثة والخمسة (قلت) فيه وجهان أحدهما أن قوما من المنافقين تحلقوا للتناجي مغايظة للمؤمنين على هذين العددين ثلاثة وخمسة فقيل ما يتناجى منهم ثلاثة ولا خمسة كما ترونهم يتناجون كذلك (ولا أدنى من) عدديهم (ولا أكثر الا) والله معهم يسمع ما يقولون فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها نزلت في ربيعة وحبيب ابني عمرو وصفوان بن أمية كانوا يوما يتحدثون فقال أحدهم أترى أن الله يعلم ما نقول فقال الآخر يعلم بعضا ولا يعلم بعضا وقال الثالث ان كان يعلم بعضا فهو يعلم كله وصدق لان من علم بعض الاشياء بغير سبب فقد علمها كلها لان كونه عالما بغير سبب ثابت له مع كل معلوم والثاني انه قصد أن يذكر ما جرت عليه العادة من أعداد أهل النجوى والمتخالين للشورى والمندبون لذلك ليسوا بكل أحد وانما هم طائفة مجتباة من أولى النهى والاحلام ورهط من أهل الرأي والتجارب وأول عددهم الاثنان فصاعدا الى خمسة الى ستة الى ما اقتضته الحال وحكم الاستصواب ألا ترى الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه كيف ترك الامر شورى بين ستة ولم يتجاوز بها الى سابع فذكر عز وعلا الثلاثة والخمسة وقال ولا أدنى من ذلك فدل على الاثنين والاربعة وقال ولا أكثر فدل على ما يلي هذا العدد ويقاربه وفي مصحف عبد الله الا الله رابعهم ولا أربعة الا الله خامسهم ولا خمسة الا الله سادسهم ولا أقل من ذلك ولا أكثر الا الله معهم اذا انتجوا وقرئ ولا أدنى من ذلك ولا أكثر بالنصب على أن لا لنفي الجنس ويجوز أن يكون ولا أكثر بالرفع معطوفا على محل لا مع أدنى كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بفتح الحول ورفع القوة ويجوز أن يكونا مرفوعين على الابتداء كقولك لا حول ولا قوة الا بالله وأن يكون ارتفاعهما عطفا على محل من نجوى كأنه قيل ما يكون أدنى ولا أكثر الا هو معهم و يجوز أن يكونا مجرورين عطفا على نجوى كأنه قيل ما يكون من أدنى ولا أكثر الا هو معهم وقرئ ولا أكبر بالباء ومعنى كونه معهم أنه يعلم ما يتناجون به ولا يخفى عليه ما هم فيه فكأنه مشاهدهم ومحاضرهم وقد تعالى عن المكان والمشاهدة * وقرئ ثم ينبئهم على التخفيف * كانت اليهود والمنافقون يتناجون فيما بينهم و يتغامزون بأعينهم اذا رأوا المؤمنين يريدون أن يغيظوهم فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعادوا لمثل فعلهم وكان تناجيهم بما هو اثم وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول ومخالفته * وقرئ ينتجون بالاثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول (حيوك بما لم يحيك به الله) يعني أنهم يقولون في تحيتك السام عليك يا محمد والسام الموت والله تعالى يقول وسلام على عباده الذين اصطفى ويا أيها الرسول ويا أيها النبي (لولا يعذبنا الله بما نقول) كانوا يقولون ما له ان كان نبيا لا يدعو علينا حتى يعذبنا

* قوله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات (قال فيه تعميم ثم تخصيص للعلماء الخ) قال أحمد فى الجزاء برفع الدرجات هه‍نا مناسبة للعمل لان المأمور به تفسيح المجلس كيلا يتنافسوا فى القرب من المكان الرفيع حوله عليه الصلاة والسلام فيتضايقوا فلما كان الممتثل لذلك يخفض نفسه عما يتنافس فيه من الرفعة امتثالا وتواضعا جوزى على تواضعه برفع الدرجات كقوله من تواضع لله رفعه الله ثم لما علم أن أهل العلم بحيث يستوجبون عند أنفسهم وعند الناس ارتفاع مجالسهم خصهم بالذكر عند الجزاء ليسهل عليهم ترك مالهم من الرفعة فى المجلس تواضعا لله تعالى * عاد كلامه ثم ذكر فى فضل العلم فصلا أنقله بعينه) قال روى عن ابن مسعود رضى

حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير يا أيها الذين آمنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى واتقوا الله الذى اليه تحشرون انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيأ الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون يا أيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم

الله عما تقول فقال الله تعالى (حسبهم جهنم) عذابا (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمنافقين الذين آمنوا بألسنتهم ويجوز أن يكون للمؤمنين أى اذا تناجيتم فلا تتشبهوا بأولئك فى تناجيهم بالشر (وتناجوا بالبر والتقوى) وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا كنتم ثلاثة فلا يتناج اثنان دون صاحبهما فان ذلك يحزنه وروى دون الثالث * وقرئ فلا تنتجوا وعن ابن مسعود اذا انتجيتم فلا تنتجوا (انما النجوى) اللام اشارة الى النجوى بالاثم والعدوان بدليل قوله تعالى (ليحزن الذين آمنوا) والمعنى أن الشيطان يزينها لهم فكأنها منه ليغيظ الذين آمنوا ويحزنهم (وليس) الشيطان أو الحزن (بضارهم شيأ الا باذن الله) (فان قلت) كيف لا يضرهم الشيطان أو الحزن الا باذن الله (قلت) كانوا يوهمون المؤمنين فى نجواهم وتغامزهم أن غزاتهم غلبوا وأن أقاربهم قتلوا فقال لا يضرهم الشيطان أو الحزن بذلك الموهم الا باذن الله أى بمشيئته وهو أن يقضى الموت على أقاربهم أو الغلبة على الغزاة * وقرئ ليحزن وليحزن (تفسحوا فى المجلس) توسعوا فيه وليفسح بعضكم عن بعض من قولهم افسح عنى أى تنح ولا تتضاموا وقرئ تفاسحوا والمراد مجلس رسول الله وكانوا يتضامون فيه تنافسا على القرب منه وحرصا على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهى مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال وقرئ فى المجالس قيل كان الرجل يأتى الصف فيقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرئ فى المجلس بفتح اللام وهو الجلوس أى توسعوا فى جلوسكم ولا تتضايقوا فيه (يفسح الله لكم) مطلق فى كل ما يبتغى الناس الفسحة فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغير ذلك (انشزوا) انهضوا للتوسعة على المقبلين أو انهضوا عن مجلس رسول الله اذا أمرتم بالنهوض عنه ولا تملوا رسول الله بالارتكاز فيه أو انهضوا الى الصلاة والجهاد وأعمال الخير اذا استنهضتم ولا تثبطوا ولا تفرطوا (يرفع الله) المؤمنين بامتثال أوامره وأوامر رسوله والعالمين منهم خاصة (درجات * بما تعملون) قرئ بالتاء والياء عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه كان اذا قرأها قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم وعن النبى صلى الله عليه وسلم بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه السلام فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه السلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هى واسطة بين النبوة والشهادة بشهادة رسول الله وعن ابن عباس خير سليمان بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه وقال عليه السلام أوحى الله الى ابراهيم يا ابراهيم انى عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فات من أدرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال (بين يدى نجواكم) استعارة ممن له يدان والمعنى قبل نجواكم كقول عمر من أفضل ما أوتيت العرب الشعر يقدمه الرجل أمام حاجته فيستمطر به الكريم ويستنزل به اللئيم يريد قبل حاجته (ذلكم) التقديم (خير لكم) فى دينكم (وأطهر) لان

الله عنه أنه كان اذا تلا هذه الآية قال يا أيها الناس افهموا هذه الآية ولترغبكم فى العلم وعنه عليه الصلاة والسلام بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة وعنه عليه الصلاة والسلام يشفع يوم القيامة ثلاثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة بين النبوة والشهادة بشهادة النبى عليه الصلاة والسلام وعن ابن عباس خير سليمان عليه الصلاة والسلام بين العلم والملك والمال فاختار العلم فأعطاه الله الملك والمال تبعا له وفى الخبر ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم عليه الصلاة والسلام يا ابراهيم انى عليم أحب كل عليم وعن بعض الحكماء ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شئ فات من أدرك العلم وعن الاحنف كاد العلماء يكونون أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل ما يصير وعن الزبيرى العلم ذكر فلا يحبه الا ذكورة الرجال والله أعلم

الصدقة

الصدقة طهرة روى أن الناس أكثروا مناجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يريدون حتى أملوه وأبرموه فأريد أن يكفوا عن ذلك فأمر وا بأن من أراد أن يناجيه قدم قبل مناجاته صدقة قال على رضى الله عنه لما نزلت دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تقول فى دينار قلت لا يطيقونه قال كم قلت حبة أو شعيرة قال انك لزهيد فلما رأوا ذلك اشتد عليهم فارتدعوا وكفوا أما الفقير فلعسرته وأما الغنى فلشحه وقيل كان ذلك عشر ليال ثم نسخ وقيل ما كان الا ساعة من نهار وعن على رضى الله عنه ان فى كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلى ولا يعمل بها أحد بعدى كان لى دينار فصرفته فكنت اذا ناجيته تصدقت بدرهم قال الكلبى تصدق به فى عشر كلمات سألهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عمر كان لعلى ثلاث لو كانت لى واحدة منهن كانت أحب الى من حمر النعم تزويجه فاطمة واعطاؤه الراية يوم خيبر وآية النجوى قال ابن عباس هى منسوخة بالآية التى بعدها وقيل هى منسوخة بالزكاة (أأشفقتم) أخفتم تقديم الصدقات لما فيه من الانفاق الذى تكرهونه وأن الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء (فاذ لم تفعلوا) ما أمرتم به وشق عليكم (وتاب الله عليكم) وعذركم ورخص لكم فى أن لا تفعلوه * فلا تفرطوا فى الصلاة والزكاة وسائر الطاعات (بما تعملون) قرئ بالتاء والياء * كان المنافقون يتولون اليهود وهم الذين غضب الله عليهم فى قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه ويناصحونهم وينقلون اليهم أسرار المؤمنين (ما هم منكم) يا مسلمون (ولا منهم) ولا من اليهود كقوله تعالى مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء (ويحلفون على الكذب) أى يقولون والله انا لمسلمون فيحلفون على الكذب الذى هو ادعاء الاسلام (وهم يعلمون) أن المحلوف عليه كذب بحت (فان قلت) فما فائدة قوله وهم يعلمون (قلت) الكذب أن يكون الخبر لا على وفاق المخبر عنه سواء علم المخبر أو لم يعلم فالمعنى أنهم الذين يخبرون وخبرهم خلاف ما يخبرون عنه وهم عالمون بذلك متعمدون له كمن يحلف بالغموس وقيل كان عبد الله بن نبتل المنافق يجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يرفع حديثه الى اليهود فبينا رسول الله فى حجرة من حجره اذ قال لاصحابه يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل ابن نبتل وكان أزرق فقال له النبى صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه السلام فعلت فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ما سبوه فنزلت (عذابا شديدا) نوعا من العذاب متفاقما (انهم ساء ما كانوا يعملون) يعنى أنهم كانوا فى الزمان الماضى المتطاول على سوء العمل مصرين عليه أو هى حكاية ما يقال لهم فى الآخرة * وقرئ ايمانهم بالكسر أى اتخذوا أيمانهم التى حلفوا بها أو ايمانهم الذى أظهروه (جنة) أى سترة يتسترون بها من المؤمنين ومن قتلهم (فصدوا) الناس فى خلال أمنهم وسلامتهم (عن سبيل الله) وكانوا يثبطون من لقوا عن الدخول فى الاسلام ويضعفون أمر المسلمين عندهم * وانما وعدهم الله العذاب المهين المخزى لكفرهم وصدهم كقوله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب (من الله) من عذاب الله (شيأ) قليلا من الاغناء روى أن رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة بأنفسنا وأموالنا وأولادنا (فيحلفون) لله تعالى على أنهم مسلمون فى الآخرة (كما يحلفون لكم) فى الدنيا على ذلك (ويحسبون أنهم على شئ) من النفع يعنى ليس العجب من حلفهم لكم فانكم بشر تخفى عليكم السرائر وان لهم نفعا فى ذلك دفعا عن أرواحهم واستجرار فوائد دنيوية وانهم يفعلونه فى دار لا يضطرون فيها الى علم ما يوعدون ولكن العجب من حلفهم لله عالم الغيب والشهادة مع عدم النفع والاضطرار الى علم ما أنذرتهم الرسل والمراد وصفهم بالتوغل فى نفاقهم ومرونهم عليه وأن ذلك بعد موتهم وبعثهم باق فيهم لا يضمحل كما قال ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وقد اختلف العلماء فى كذبهم فى الآخرة والقرآن ناطق بثباته نطقا مكشوفا كما ترى فى هذه الآية وفى قوله تعالى والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ونحو حسبانهم أنهم على شئ من النفع اذا حلفوا استنظارهم المؤمنين ليقتبسوا من نورهم لحسبانهم ان الايمان الظاهر مما ينفعهم وقيل عند ذلك يختم على أفواههم (ألا انهم هم الكاذبون) يعنى أنهم الغاية التى لا مطمح وراءها فى قول الكذب حيث استوت حالهم فيه فى الدنيا والآخرة (استحوذ عليهم) استولى عليهم من حاذ الحمار العانة اذا جمعها وساقها غالبا لها

أأشفقتم ان تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الله ورسوله والله خبير بما تعملون ألم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون أعد الله لهم عذابا شديدا انهم ساء ما كانوا يعملون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله فلهم عذاب مهين لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شئ ألا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم

الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون ان الذين يحادون الله ورسوله أولئك فى الاذلين كتب الله لاغلبن أنا ورسلى ان الله قوى عزيز لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون

سورة الحشر مدنية وهى أربع وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبح لله ما فى السموات وما فى الارض وهو العزيز الحكيم هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر

ومنه كان أحوذيا نسيج وحده وهو أحد ماجاء على الاصل نحو استصوب واستنوق أى ملكهم (الشيطان) لطاعتهم له فى كل ما يريده منهم حتى جعلهم رعيته وحزبه (فأنساهم) أن يذكروا الله أصلا لا بقلوبهم ولا بالسنتهم * قال أبو عبيدة حزب الشيطان جنده (فى الاذلين) فى جملة من هو أذل خلق الله لا ترى أحدا أذل منهم (كتب الله) فى اللوح (لأغلبن أنا ورسلى) بالحجة والسيف أو بأحدهما (لاتجد قوما) من باب التخييل خيل أن من الممتنع المحال أن تجد قوما مؤمنين يوالون المشركين والغرض به أنه لا ينبغى أن يكون ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال مبالغة فى النهى عنه والزجر عن ملابسته والتوصية بالتصلب فى مجانبة أعداء الله ومباعدتهم والاحتراس من مخالطتهم ومعاشرتهم وزاد ذلك تأكيدا وتشديدا بقوله (ولو كانوا آباءهم) وبقوله أولئك كتب فى قلوبهم الايمان وبمقابلته قوله أولئك حزب الشيطان بقوله أولئك حزب الله فلا تجد شيأ أدخل فى الاخلاص من موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه بل هو الاخلاص بعينه (كتب فى قلوبهم الايمان) أثبته فيها بما وفقهم فيه وشرح له صدورهم (وأيدهم بروح منه) بلطف من عنده حييت به قلوبهم ويجوز أن يكون الضمير للايمان أى بروح من الايمان على أنه فى نفسه روح لحياة القلوب به وعن الثورى انه قال كانوا يرون أنها نزلت فيمن يصحب السلطان وعن عبد العزيز بن أبى رواد أنه لقيه المنصور فى الطواف فلما عرفه هرب منه وتلاها وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اللهم لا تجعل لفاجر ولا لفاسق عندى نعمة فانى وجدت فيما أوحيت الى لاتجد قوما وروى أنها نزلت فى أبى بكر رضى الله عنه وذلك أن أبا قحافة سب رسول الله صلى الله عليه وسلم فصكه صكة سقط منها فقال له رسول الله أوفعلته قال نعم قال لا تعد قال والله لو كان السيف قريبا منى لقتلته وقيل فى أبى عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله الجراح يوم أحد وفى أبى بكر دعا ابنه يوم بدر الى البراز وقال لرسول الله دعنى أكن فى الرعلة الاولى قال متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندى بمنزلة سمعى وبصرى وفى مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد وفى عمر قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر وفى على وحمزة وعبيدة بن الحرث قتلوا عتبة وشيبة ابنى ربيعة والوليد بن عتبة يوم بدر * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة

سورة الحشر مدنية وهى أربع وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* صالح بنو النضير رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يكونوا عليه ولا له فلما ظهر يوم بدر قالوا هو النبى الذى نعته فى التوراة لا ترد له راية فلما هزم المسلمون يوم أحد ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الاشرف فى أربعين راكبا الى مكة فحالفوا عليه قريشا عند الكعبة فأمر عليه السلام محمد بن مسلمة الانصارى فقتل كعبا غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتائب وهو على حمار مخطوم بليف فقال لهم اخرجوا من المدينة فقالوا الموت أحب الينا من ذلك فتنادوا بالحرب وقيل استمهلوا رسول الله عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه اليهم لا تخرجوا من الحصن فان قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الازقة وحصنوها فحاصرهم احدى وعشرين ليلة فلما قذف الله الرعب فى قلوبهم وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم الا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ما شاؤا من متاعهم فجلوا الى الشام الى أريحا وأذرعات الا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق وآل حيى بن أخطب فانهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة بالحيرة * اللام فى لاول الحشر تتعلق بأخرج وهى اللام فى قوله تعالى يا ليتنى قدمت لحياتى وقولك جئته لوقت كذا والمعنى أخرج الذين كفروا عند أول الحشر ومعنى أول الحشر أن هذا أول حشرهم

من ديارهم لاول الحشر قال فيه اللام فى قوله لاول الحشر كاللام فى قوله قدمت لحياتى) قال أحمد كأنه يريد أنها اللام التى تصحب التاريخ كقوله كتبت لعام كذا ولشهر كذا

الى

ماظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف فى قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين فاعتبروا يا أولى الابصار ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فان الله شديد العقاب ماقطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فباذن الله وليخزى الفاسقين

* قوله تعالى ماقطعتم من لينة (ذكر فيه تفسيرين أحدهما أنه النخل ماعدا العجوة والبرنى وهما خير النخل الخ) قال أحمد والظاهر ان الاذن عام فى القطع والترك لانه جواب الشرط المضمر لهما جميعا ويكون التعليل باخزاء الفاسقين لهما جميعا وان القطع يحسرهم على ذهابها والترك يحسرهم على بقائها للمسلمين ينتفعون بها فهم فى حسرتين من الامرين جميعا

الى الشأم وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب الى الشأم أو هذا أول حشرهم وآخر حشرهم اجلاء عمر اياهم من خيبر الى الشأم وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لان المحشر يكون بالشأم وعن عكرمة من شك أن المحشر ههنا يعنى الشأم فليقرأ هذه الآية وقيل معناه أخرجهم من ديارهم لاول ما حشر لقتالهم لانه أول قتال قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (ماظننتم أن يخرجوا) لشدة بأسهم ومنعتهم ووثاقة حصونهم وكثرة عددهم وعدتهم * وظنوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله فأتاهم أمر الله (من حيث لم يحتسبوا) من حيث لم يظنوا ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب ابن الاشرف غرة على يد أخيه وذلك مما أضعف قوتهم وفل من شوكتهم وسلب قلوبهم الامن والطمأنينة بما قذف فيها من الرعب وألهمهم أن يوافقوا المؤمنين فى تخريب بيوتهم ويعينوا على أنفسهم وثبط المنافقين الذين كانوا يتولونهم عن مظاهرتهم وهذا كله لم يكن فى حسبانهم ومنه أتاهم الهلاك (فان قلت) أى فرق بين قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم وبين النظم الذى جاء عليه (قلت) فى تقديم الخبر على المبتدا دليل على فرط وثوقهم بحصانتها ومنعها اياهم وفى تصيير ضميرهم اسما لان واسناد الجملة اليه دليل على اعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لا يبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع فى معازتهم وليس ذلك فى قولك وظنوا أن حصونهم تمنعهم * وقرئ فآتاهم الله أى فآتاهم الهلاك والرعب الخوف الذى يرعب الصدر أى يملؤه * وقذفه اثباته وركزه ومنه قالوا فى صفة الاسد مقذف كأنما قذف باللحم قذفا لاكتنازه وتداخل أجزائه * وقرئ يخربون ويخربون مثقلا ومخففا والتخريب والاخراب الافساد بالنقض والهدم والخربة الفساد كانوا يخربون بواطنها والمسلمون ظواهرها لما أراد الله من استئصال شأفتهم وأن لا يبقى لهم بالمدينة دار ولا منهم ديار والذى دعاهم الى التخريب حاجتهم الى الخشب والحجارة ليسدوا بها أفواه الازقة وأن لا يتحسروا بعد جلائهم على بقائها مساكن للمسلمين وأن ينقلوا معهم ما كان فى أبنيتهم من جيد الخشب والساج المليح وأما المؤمنون فداعيهم ازالة متحصنهم ومتمنعهم وأن يتسع لهم مجال الحرب (فان قلت) ما معنى تخريبهم لها بأيدى المؤمنين (قلت) لما عرضوهم لذلك وكانوا السبب فيه فكأنهم أمروهم به وكلفوهم اياه (فاعتبروا) بما دبر الله ويسر من أمر اخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال وقيل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يورثهم الله أرضهم وأموالهم بغير قتال فكان كما قال * يعنى أن الله قد عزم على تطهير أرض المدينة منهم واراحة المسلمين من جوارهم وتوريثهم أموالهم فلولا أنه كتب عليهم الجلاء واقتضته حكمته ودعاه الى اختياره أنه أشق عليهم من الموت (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل كما فعل باخوانهم بنى قريظة (ولهم) سواء أجلوا أو قتلوا (عذاب النار) يعنى ان نجوا من عذاب الدنيا لم ينجوا من عذاب الآخرة (من لينة) بيان لما قطعتم ومحل ما نصب بقطعتم كأنه قال أى شئ قطعتم وأنث الضمير الراجع الى ما فى قوله (أو تركتموها) لانه فى معنى اللينة واللينة النخلة من الالوان وهى ضروب النخل ما خلا العجوة والبرنية وهما أجود النخل وياؤها عن واو قلبت لكسرة ما قبلها كالديمة وقيل اللينة النخلة الكريمة كأنهم اشتقوها من اللين قال ذو الرمة

كأن قتودى فوقها عش طائر * على لينة سوقاء تهفو جنوبها

وجمعها الين وقرئ قوما على أصلها وفيه وجهان أنه جمع أصل كرهن ورهن أو اكتفى فيه بالضمة عن الواو وقرئ قائما على أصوله ذهابا الى لفظ ما (فباذن الله) فقطعها باذن الله وأمره (وليخزى الفاسقين) وليذل اليهود ويغيظهم اذن فى قطعها وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمر أن تقطع نخلهم وتحرق قالوا يا محمد قد كنت تنهى عن الفساد فى الارض فما بال قطع النخل وتحريقها فكان فى أنفس المؤمنين من ذلك شئ فنزلت يعنى أن الله أذن لهم فى قطعها ليزيدكم غيظا ويضاعف لكم حسرة اذا رأيتموهم يتحكمون فى أموالكم كيف أحبوا ويتصرفون فيها ما شاؤا واتفق العلماء أن حصون الكفرة وديارهم لا بأس بأن تهدم وتحرق وتغرق وترمى بالمجانيق وكذلك أشجارهم لا بأس بقلعها مثمرة كانت أو غير مثمرة وعن ابن

* قوله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم (قال فيه هو بدل من قوله لذى القربى وما بعده والذى منع الابدال من الله وللرسول الخ) قال أحمد مذهب أبى حنيفة أن استحقاق ذوى القربى لسهمهم من الفىء موقوف على الفقراء حتى لا يستحقه أغنياؤهم وقد أغلظ الشافعى رضى الله عنه فيما نقله عنه امام الحرمين الرد على هذا المذهب بأن الله تعالى علق الاستحقاق بالقرابة ولم يشرط الحاجة وعدم اعتبار القرابة مضادة ومحادة واعتذر امام الحرمين لابى حنيفة بان الصدقات لما حرمت عليهم كان فائدة ذكرهم فى خمس الفىء والغنيمة انه لا يمنع (١٧٤) صرف ذلك اليهم امتناع صرف الصدقات ثم أتبع هذا العذر بان قال لا ينبغى أن يعبر به فان صيغة الآية ناصة على تعين الاستحقاق لهم تشريفا لهم وتنبيها على عظم اقدارهم فمن حمل ذلك على جواز الصرف اليهم مع معارضة هذا الجواز بجواز حرمانهم فقد عطل فحوى الآية ثم استعظم الامام وقع ذلك عليهم لانهم يذهبون الى اشتراط الايمان فى رقبة الظهار زيادة على النص المعنى فيأتون فى اثبات ذلك بالقياس لانه يستنتج وليس من شأنه الثبوت بالقياس قال فكذلك يلزمهم أن يعتقدوا ان اشتراط الفقر فى القرابة واشتراط الحاجة لقرب ما ذكروه بغرض القرب فأما وان أصلهم المخصوصون من نسب الرسول عليه الصلاة والسلام والنابتون من شجرته كالنجمة فلا يبقى مع هذا المذهبهم وجه انتهى كلام الامام وانما أوردته ليعلم أن معارضته لابى حنيفة على أن اشتراط الحاجة عند أبى حنيفة مستند الى قياس أو نحوه من الاسباب الخارجة عن الآية فلذلك ألزمه أن يكون زيادة على النص فأما وقد تلقى أبو حنيفة اعتبار الحاجة من تقييد هذا البدل المذكور فى الآية فانما يسلك معه فى واد غير هذا فيقول هو بدل من المساكين

مسعود قطعوا منها ما كان موضعا للقتال (فان قلت) لم خصت اللينة بالقطع (قلت) ان كانت من الالوان فليستبقوا لانفسهم العجوة والبرنية وان كانت من كرام النخل فليكون غيظ اليهود أشد وأشق وروى أن رجلين كانا يقطعان أحدهما العجوة والآخر اللون فسألهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا تركتها لرسول الله وقال هذا قطعتها غيظا للكفار وقد استدل به على جواز الاجتهاد وعلى جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم لانهما بالاجتهاد فعلا ذلك واحتج به من يقول كل مجتهد مصيب (أفاء الله على رسوله) جعله له فيأ خاصة * والايجاف من الوجيف وهو السير السريع ومنه قوله عليه السلام فى الافاضة من عرفات ليس البر بايجاف الخيل ولا ايضاع الابل على هينتكم ومعنى (فما أوجفتم عليه) فما أوجفتم على تحصيله وتغنمه خيلا ولا ركابا ولا تعبتم فى القتال عليه وانما مشيتم اليه على أرجلكم والمعنى أن ما خول الله رسوله من أموال بنى النضير شىء لم تحصلوه بالقتال والغلبة ولكن سلطه الله عليهم وعلى ما فى أيديهم كما كان يسلط رسله على أعدائهم فالامر فيه مفوض اليه يضعه حيث يشاء يعنى أنه لا يقسم قسمة الغنائم التى قوتل عليها وأخذت عنوة وقهرا وذلك أنهم طلبوا القسمة فنزلت * لم يدخل العاطف على هذه الجملة لانها بيان للاولى فهى منها غير أجنبية عنها بين لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصنع بما أفاء الله عليه وأمره أن يضعه حيث يضع الخمس من الغنائم مقسوما على الاقسام الخمسة * والدولة والدولة بالفتح والضم وقد قرئ بهما ما يدول للانسان أى يدور من الجد يقال دالت له الدولة وأديل لفلان ومعنى قوله تعالى (كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم) كيلا يكون الفىء الذى حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها جدا بين الاغنياء يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية بينهم ومعنى الدولة الجاهلية أن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة لانهم أهل الرياسة والدولة والغلبة وكانوا يقولون من عزبز والمعنى كيلا يكون أخذه غلبة وأثرة جاهلية ومنه قول الحسن اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يريد من غلب منهم أخذه واستأثر به وقيل الدولة ما يتداول كالغرفة اسم ما يغترف يعنى كيلا يكون الفىء شيأ يتداوله الاغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والدولة بالفتح بمعنى التداول أى كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون امساكه تداولا بينهم لا يخرجونه الى الفقراء وقرئ دولة بالرفع على كان التامة كقوله تعالى وان كان ذو عسرة يعنى كيلا يقع دولة جاهلية ولينقطع أثرها أو كيلا يكون تداول له بينهم أو كيلا يكون شىء متعاور بينهم غير مخرج الى الفقراء (وما آتاكم الرسول) من قسمة غنيمة أو فىء (فخذوه وما نهاكم) عن أخذه منها (فانتهوا) عنه ولا تتبعه أنفسكم (واتقوا الله) أن تخالفوه وتتهاونوا بأوامره ونواهيه (ان الله شديد العقاب) لمن خالف رسوله والاجود أن يكون عاما فى كل ما آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهى عنه وأمر النبى داخل فى عمومه وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه لقى رجلا محرما وعليه ثيابه فقال له انزع عنك هذا فقال الرجل اقرأ على فى هذا آية من كتاب الله قال نعم فقرأها عليه (للفقراء) بدل من قوله لذى القربى والمعطوف عليه والذى منع الابدال من الله وللرسول والمعطوف عليهما وان كان

وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شىء قدير ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله

لا غيره وتقريره انه سبحانه أراد أن يصف المساكين بصفات تؤكد استحقاقهم وبحمل الاغنياء على ايثارهم وأن لا يجدوا فى صدورهم حاجة مما أوتوا فلما قصد ذلك وقد فصل بين ذكرهم وبين ما يقصد من ذكر صفاتهم بقوله كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم الى قوله شديد العقاب طرى ذكرهم ليكون توطئة للصفات المتتالية بعده فذكر بصفة أخرى مناسبة للصفة الاولى مبدلة منها وهى الفقر لتشهد النظرية على زائدة الجمع لهم بين صفتى المسكنة والفقر ثم تليت صفاتهم على اثر ذلك وهى اخراجهم من ديارهم وأموالهم مهاجرين وابتغاؤهم الفضل والرضوان من الله ونصرهم لله ورسوله وصدقهم فى نياتهم الى آخر ذلك فهذا هو الذى يرشد (١٧٥) اليه السياق مؤيدا بالاصل فان ذوى القربى ذكروا بصفة الاطلاق فالاصل بقاؤهم على ذلك حتى يتحقق أنهم مرادون بالتقييد وما ذكرناه من صرف ذلك الى المساكين يكفى فى اقامة وزن الكلام فيبقى ذو والقربى على أصل الاطلاق وتلك قاعدة لا يسع الحنفية مدافعتها فانهم يرون الاستثناء المتعقب للجمل يختص بالجملة الاخيرة لان عوده اليها يقيم وزن الكلام ويبقى ما تقدمها على الاصل ولا فرق بين التعقب بالاستثناء والبدل وكل ما سوى هذا مع أنه لو جعل بدلا من ذوى القربى مع ما بعده لم يكن ابداله من ذوى القربى الا بدل بعض من كل فان ذوى القربى منقسمون الى فقراء وأغنياء ولم يكن ابداله من المساكين الا بدلا للشىء من الشىء وهما العين واحدة فيلزم أن يكون هذا البدل مخصوصا بالنوعين المذكورين فى حالة واحدة وذلك متعذر لما بين النوعين من الاختلاف والتباين وكل منهما يتقاضى ما يأباه الآخر فهذا القدر كاف ان شاء الله تعالى وعليه

المعنى لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله عز وجل أخرج رسوله من الفقراء فى قوله وينصرون الله ورسوله وانه يترفع برسول الله عن التسمية بالفقير وأن الابدال على ظاهر اللفظ من خلاف الواجب فى تعظيم الله عز وجل (أولئك هم الصادقون) فى ايمانهم وجهادهم (والذين تبوؤا) معطوف على المهاجرين وهم الانصار (فان قلت) ما معنى عطف الايمان على الدار ولا يقال تبوؤا الايمان (قلت) معناه تبوؤا الدار وأخلصوا الايمان كقوله علفتها تبنا وماء باردا أى وجعلوا الايمان مستقرا ومتوطنا لهم لتمكنهم منه واستقامتهم عليه كما جعلوا المدينة كذلك أو أراد دار الهجرة ودار الايمان فأقام لام التعريف فى الدار مقام المضاف اليه وحذف المضاف من دار الايمان ووضع المضاف اليه مقامه أو سمى المدينة لانها دار الهجرة ومكان ظهور الايمان بالايمان (من قبلهم) من قبل المهاجرين لانهم سبقوهم فى تبوء دار الهجرة والايمان وقيل من قبل هجرتهم (ولا يجدون) ولا يعلمون فى أنفسهم (حاجة مما أوتوا) أى طلب محتاج اليه مما أوتى المهاجرون من الفىء وغيره والمحتاج اليه يسمى حاجة يقال خذ منه حاجتك وأعطاه من ماله حاجته يعنى أن نفوسهم لم تتبع ما أعطوا ولم تطمح الى شىء منه يحتاج اليه (ولو كان بهم خصاصة) أى خلة وأصلها خصاص البيت وهى فروجه والجملة فى موضع الحال أى مفروضة خصاصتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الانصار الا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل ابن حنيف والحرث بن الصمة وقال لهم ان شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وان شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة فقالت الانصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت * الشح بالضم والكسر وقد قرئ بهما اللؤم وأن تكون نفس الرجل كزة حريصة على المنع كما قال

يمارس نفسا بين جنبيه كزة * اذا هم بالمعروف قالت له مهلا

وقد أضيف الى النفس لانه غريزة فيها وأما البخل فهو المنع نفسه ومنه قوله تعالى وأحضرت الانفس الشح (ومن يوق شح نفسه) ومن غلب ما أمرته به منه وخالف هواها بمعونة الله وتوفيقه (فأولئك هم المفلحون) الظافرون بما أرادوا وقرئ ومن يوق (والذين جاؤا من بعدهم) عطف أيضا على المهاجرين وهم الذين هاجروا من بعد وقيل التابعون باحسان (غلا) وقرئ غمرا وهما الحقد (لاخوانهم) للذين بينهم وبينهم أخوة الكفر ولانهم كانوا يوالونهم ويؤاخونهم وكانوا معهم على المؤمنين فى السر ولا نطيع فيكم فى قتالكم أحدا من رسول الله والمسلمين ان حملنا عليه أو فى خذلانكم واخلاف ما وعدناكم من النصرة (لكاذبون) أى فى مواعيدهم لليهود وفيه دليل على صحة النبوة لانه اخبار بالغيوب (فان قلت) كيف قيل (ولئن نصروهم) بعد الاخبار بأنهم لا ينصرونهم (قلت) معناه ولئن نصروهم على الفرض والتقدير كقوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك وكما يعلم ما يكون فهو يعلم ما لا يكون لو كان كيف يكون والمعنى ولئن نصر المنافقون اليهود ليهزمن

أولئك هم الصادقون والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وان قوتلتم لننصرنكم والله يشهد انهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولن الادبار ثم لا ينصرون

أعرب الزجاج الآية فجعله بدلا من المساكين خاصة والله تعالى الموفق للصواب *قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد (قال فيه سمى يوم القيامة غدا تقريبا له الخ) قال أحمد وقد قيل في قوله تعالى علمت نفس ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا حتى قيل انه من عكس الكلام الذي يقصد به الافراط فيما يعكس عنه كقوله ربما يود الذين كفروا والمعنى رب ههنا هو معنى كم وأبلغ منه قول القائل * قد أترك القرن مصفرا أنامله * الا أن الزمخشري فر من هذا المعنى لان الواقع قلة

لانتم أشد رهبة في صدورهم من الله ذلك بأنهم قوم لا يفقهون لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى محصنة أو من وراء جدر بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون كمثل الذين من قبلهم قريبا ذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى أخاف الله رب العالمين فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله

المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمن اليهود ثم لا ينفعهم نصرة المنافقين (رهبة) مصدر رهب المبنى للمفعول كأنه قيل أشد مرهوبية وقوله (في صدورهم) دلالة على نفاقهم يعني أنهم يظهرون لكم في العلانية خوف الله وأنتم أهيب في صدورهم من الله (فان قلت) كأنهم كانوا يرهبون من الله حتى تكون رهبتهم منهم أشد (قلت) معناه أن رهبتهم في السر منكم أشد من رهبتهم من الله التي يظهرونها لكم وكانوا يظهرون لهم رهبة شديدة من الله ويجوز أن يريد أن اليهود يخافونكم في صدورهم أشد من خوفهم من الله لانهم كانوا قوما أولى بأس ونجدة فكانوا يتشجعون لهم مع اضمار الخيفة في صدورهم (لا يفقهون) لا يعلمون الله وعظمته حتى يخشوه حق خشيته (لا يقاتلونكم) لا يقدرون على مقاتلتكم (جميعا) مجتمعين متساندين يعني اليهود والمنافقين (الا) كائنين (في قرى محصنة) بالخنادق والدروب (أو من وراء جدر) دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لقذف الله الرعب في قلوبهم وأن تأييد الله تعالى ونصرته معكم وقرئ جدر بالتخفيف وجدار وجدر وجدر وهما الجدار (بأسهم بينهم شديد) يعني أن البأس الشديد الذي يوصفون به انما هو بينهم اذا اقتتلوا ولو قاتلوكم لم يبق لهم ذلك البأس والشدة لان الشجاع يجبن والعز يذل عند محاربة الله ورسوله (تحسبهم جميعا) مجتمعين ذوى ألفة واتحاد (وقلوبهم شتى) متفرقة لا ألفة بينها يعني أن بينهم احنا وعداوات فلا يتعاضدون حق التعاضد ولا يرمون عن قوس واحدة وهذا تجسير للمؤمنين وتشجيع لقلوبهم على قتالهم (قوم لا يعقلون) أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم ويعين على أرواحهم (كمثل الذين من قبلهم) أي مثلهم كمثل أهل بدر في زمان قريب (فان قلت) بم انتصب (قريبا) (قلت) بمثل على كوجود مثل أهل بدر قريبا (ذاقوا وبال أمرهم) سوء عاقبة كفرهم وعداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قولهم كلأ وبيل وخيم سيء العاقبة يعني ذاقوا عذاب القتل في الدنيا (ولهم) في الآخرة عذاب النار *مثل المنافقين في اغرائهم اليهود على القتال ووعدهم اياهم النصر ثم متاركتهم لهم واخلافهم (كمثل الشيطان) اذا استغوى الانسان بكيده ثم تبرأ منه في العاقبة والمراد استغواؤه قريشا يوم بدر وقوله لهم لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم الى قوله انى برىء منكم وقرأ ابن مسعود خالدان فيها على أنه خبر أن وفي النار لغو وعلى القراءة المشهورة الظرف مستقر وخالدين فيها حال *وقرئ أنا برىء وعاقبتهما بالرفع *كرر الامر بالتقوى تأكيدا واتقوا الله في أداء الواجبات لانه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي لانه قرن بما يجرى مجرى الوعيد *والغد يوم القيامة سماه باليوم الذي يلي يومك تقريبا له وعن الحسن لم يزل يقربه حتى جعله كالغد ونحوه قوله تعالى كأن لم تغن بالامس يريد تقريب الزمان الماضي وقيل عبر عن الآخرة بالغد كأن الدنيا والآخرة نهاران يوم وغد (فان قلت) ما معنى تنكير النفس والغد (قلت) أما تنكير النفس فاستقلال للانفس النواظر فيما قدمن للآخرة كأنه قال فلتنظر نفس واحدة في ذلك وأما تنكير الغد فلتعظيمه وابهام أمره كأنه قيل لغد لا يعرف كنهه لعظمه وعن مالك بن دينار مكتوب على باب الجنة وجدنا ما عملنا ربحنا ما قدمنا خسرنا ما خلفنا (نسوا الله) نسوا حقه فجعلهم ناسين حق أنفسهم بالخذلان حتى لم يسعوا لها بما ينفعهم عنده أو فأراهم يوم القيامة من الاهوال ما نسوا فيه أنفسهم كقوله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم

النفوس الناظرة في أمر المعاد فنزله على معنى يطابق الواقع ويمكن أن يلاحظ الامر فيسوغ حمله على التكثير هذا للنفوس المأمورات بالنظر في المعاد وانه ما من نفس الا ومن حقها أن تمتثل هذا الامر وهو نظر حسن فان الفعل المسند الى النفس ههنا ليس وقوع النظر حتى يستقل وانما هو طلب النظر وهو عام التعلق بكل نفس والانصاف أن ما ذكره الزمخشري أمكن وأحسن والله الموفق *قوله تعالى نسوا الله فأنساهم أنفسهم (قال فيه جعلهم ناسين بالخذلان) قال أحمد بل خلق فيهم النسيان

*هذا تنبيه للناس وايذان لهم بأنهم لفرط غفلتهم وقلة فكرهم في العاقبة وتهالكهم على ايثار العاجلة واتباع الشهوات كأنهم لا يعرفون الفرق بين الجنة والنار والبون العظيم بين أصحابهما وأن الفوز مع أصحاب الجنة فمن حقهم أن يعلموا ذلك وينبهوا عليه كما تقول لمن يعق أباه هو أبوك تجعله بمنزلة من لا يعرفه فتنبهه بذلك على حق الابوة الذي يقتضي البر والتعطف وقد استدل أصحاب الشافعي رضي الله عنه بهذه الآية على أن المسلم لا يقتل بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر *هذا تمثيل وتخييل كما مر في قوله تعالى انا عرضنا الامانة وقد دل عليه قوله وتلك الامثال نضربها للناس والغرض توبيخ الانسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن وتدبر قوارعه وزواجره *وقرئ مصدعا على الادغام (وتلك الامثال) اشارة الى هذا المثل والى أمثاله في مواضع من التنزيل (الغيب) المعدوم (والشهادة) الموجود المدرك كأنه يشاهده وقيل ما غاب عن العباد وما شاهدوه وقيل السر والعلانية وقيل الدنيا والآخرة (القدوس) بالضم والفتح وقد قرئ بهما البليغ في النزاهة عما يستقبح ونظيره السبوح وفي تسبيح الملائكة سبوح قدوس رب الملائكة والروح و(السلام) بمعنى السلامة ومنه دار السلام وسلام عليكم وصف به مبالغة في وصف كونه سليما من النقائص أو في اعطائه السلامة و(المؤمن) واهب الأمن وقرئ بفتح الميم بمعنى المؤمن به على حذف الجار كما تقول في قوم موسى من قوله تعالى واختار موسى قومه المختارون بلفظ صفة السبعين و(المهيمن) الرقيب على كل شيء الحافظ له مفيعل من الامن الا أن همزته قلبت هاء و(الجبار) القاهر الذي جبر خلقه على ما أراد أي أجبره و(المتكبر) البليغ الكبرياء والعظمة وقيل المتكبر عن ظلم عباده و(الخالق) المقدر لما يوجده و(البارئ) المميز بعضه من بعض بالاشكال المختلفة و(المصور) الممثل وعن حاطب بن أبي بلتعة أنه قرأ البارئ المصور بفتح الواو ونصب الراء أي الذي يبرأ المصور أي يميز ما يصوره بتفاوت الهيآت *وقرأ ابن مسعود وما في الارض عن أبي هريرة رضي الله عنه سألت حبيبي صلى الله عليه وسلم عن اسم الله الاعظم فقال عليك بآخر الحشر فأكثر قراءته فأعدت عليه فأعاد على فأعدت عليه فأعاد على عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

(سورة الممتحنة وهي ثلاث عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

*روى أن مولاة لابي عمرو بن صيفي بن هاشم يقال لها سارة أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو يتجهز للفتح فقال لها أمسلمة جئت قالت لا قال أفمهاجرة جئت قالت لا قال فما جاء بك قالت كنتم الاهل والموالي والعشيرة وقد ذهبت الموالي تعني قتلوا يوم بدر فاحتجت حاجة شديدة فحث عليها بني عبد المطلب فكسوها وحملوها وزودوها فأتاها حاطب بن أبي بلتعة وأعطاها عشرة دنانير وكساها بردا واستحملها كتابا الى أهل مكة نسخته من حاطب بن أبي بلتعة الى أهل مكة اعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم فخرجت سارة ونزل جبريل بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا وعمارا وعمر وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وكانوا فرسانا وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب من حاطب الى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فان أبت فاضربوا عنقها فأدركوها فجحدت وحلفت فهموا بالرجوع فقال على رضي الله عنه والله ما كذبنا ولا كذب رسول الله وسل سيفه وقال أخرجي الكتاب أو تضعي رأسك فأخرجته من عقاص شعرها وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمن جميع الناس يوم الفتح الا أربعة هي أحدهم فاستحضر رسول الله حاطبا وقال ما حملك عليه فقال يا رسول الله ما كفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولا أحببتهم منذ فارقتهم ولكني كنت امرأ ملصقا في قريش وروى عزيزا فيهم أي غريبا ولم أكن من أنفسها وكل من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون أهاليهم وأموالهم غيرى فخشيت على أهلي فأردت أن أتخذ عندهم يدا وقد علمت أن الله تعالى ينزل عليهم بأسه وأن كتابي لا يغني عنهم شيأ فصدقه

وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الاسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والارض وهو العزيز الحكيم

(سورة الممتحنة وهي ثلاث عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء

*عاد كلامه (قال وقوله لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة تنبيه للناس وايذان بأنهم لفرط غفلتهم وتهالكهم على الشهوات الخ) *قوله تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله (قال فيه هذا تخييل وتمثيل كما تقدم الخ) قال أحمد وهذا مما تقدم انكاري عليه فيه أفلا كان يتأدب بأدب الآية حيث سمى الله هذا مثلا ولم يقل وتلك الخيالات نضربها للناس ألهمنا الله حسن الادب معه والله الموفق

وقبل عذره فقال عمر دعني يارسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال ومايدريك ياعمر لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال لهم اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم ففاضت عينا عمر وقال الله ورسوله أعلم فنزلت * عدى اتخذ الى مفعوليه وهما عدوى وأولياء والعدو فعول من عدا كعفو من عفا ولكونه على زنة المصدر أوقع على الجمع ايقاعه على الواحد (فان قلت) (تلقون) بم يتعلق (قلت) يجوز أن يتعلق بلا تتخذوا حالا من ضميره و بأولياء صفة له ويجوز أن يكون استئنافا (فان قلت) اذا جعلته صفة لأولياء وقد جرى على غير من هو له فأين الضمير البارز وهو قولك تلقون اليهم أنتم بالمودة (قلت) ذاك انما اشترطوه فى الاسماء دون الافعال لو قيل أولياء ملقين اليهم بالمودة على الوصف لما كان بد من الضمير البارز والالقاء عبارة عن ايصال المودة والافضاء بها اليهم يقال ألقى اليه خراشى صدره وأفضى اليه بقشوره * والباء فى (بالمودة) اما زائدة مؤكدة للتعدى مثلها فى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة واما ثابتة على أن مفعول تلقون محذوف معناه تلقون اليهم أخبار رسول الله بسبب المودة التى بينكم وبينهم * وكذلك قوله تسرون اليهم بالمودة أى تفضون اليهم بمودتكم سرا أو تسرون اليهم أسرار رسول الله بسبب المودة (فان قلت) (وقد كفروا) حال مماذا (قلت) اما من لا تتخذوا واما من تلقون أى لا تتولوهم أو تودونهم وهذه حالهم و (يخرجون) استئناف كالتفسير لكفرهم وعتوهم أو حال من كفروا و (أن تؤمنوا) تعليل ليخرجون أى يخرجونكم لايمانكم و (ان كنتم خرجتم) متعلق بلا تتخذوا يعنى لا تتولوا أعدائى ان كنتم أوليائى وقول النحويين فى مثله هو شرط جوابه محذوف لدلالة ماقبله عليه و (تسرون) استئناف ومعناه أى طائل لكم فى اسراركم وقد علمتم أن الاخفاء والاعلان سيان فى علمى لا تفاوت بينهما * وأنا مطلع رسولى على ماتسرون (ومن يفعله) ومن يفعل هذا الاسرار فقد أخطأ طريق الحق والصواب وقرأ الجحدرى لما جاءكم أى كفروا لأجل ماجاءكم بمعنى أن ما كان يجب أن يكون سبب ايمانهم جعلوه سببا لكفرهم (ان يثقفوكم) ان يظفروا بكم و يتمكنوا منكم (يكونوا لكم أعداء) خالصى العداوة ولا يكونوا لكم أولياء كما أنتم (ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بالقتال والشتم * وتمنوا لو ترتدون عن دينكم فاذن موادة أمثالهم ومناصحتهم خطأ عظيم منكم ومغالطة لانفسكم ونحوه قوله تعالى لا يألونكم خبالا (فان قلت) كيف أورد جواب الشرط مضارعا مثله ثم قال (وودوا) بلفظ الماضى (قلت) الماضى وان كان يجرى فى باب الشرط مجرى المضارع فى علم الاعراب فان فيه نكتة كأنه قيل وودوا قبل كل شئ كفركم وارتدادكم يعنى أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعا من قتل الانفس وتمزيق الاعراض وردكم كفارا أسبق المضار عندهم وأولها لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم لانكم بذالون لها دونه والعدو أهم شئ عنده أن يقصد أعز شئ عند صاحبه (لن تنفعكم أرحامكم) أى قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون الكفار من أجلهم وتتقربون اليهم محاماة عليهم * ثم قال (يوم القيامة يفصل بينكم) وبين أقاربكم وأولادكم يوم يفر المرء من أخيه الآية فمالكم ترفضون حق الله مراعاة لحق من يفر منكم غدا خطأ رأيكم فى موالاة الكفار بما يرجع الى حال من والوه أولا ثم بما يرجع الى حال من اقتضى تلك الموالاة ثانيا ليريهم أن ما أقدموا عليه من أى جهة نظرت فيه وجدته باطلا قرئ يفصل ويفصل على البناء للمفعول ويفصل ويفصل على البناء للفاعل وهو الله عز وجل ونفصل ونفصل بالنون قرئ أسوة وإسوة وهو اسم المؤتسى به أى كان فيهم مذهب حسن مرضى بأن يؤتسى به ويتبع أثره وهو قولهم لكفار قومهم ما قالوا حيث كاشفوهم بالعداوة وقشروا لهم العصا وأظهروا البغضاء والمقت وصرحوا بأن سبب عداوتهم وبغضائهم ليس الا كفرهم بالله ومادام هذا السبب قائما كانت العداوة قائمة حتى ان أزالوه وآمنوا بالله وحده انقلبت العداوة موالاة والبغضاء محبة والمقت مقة فأفصحوا عن محض الاخلاص ومعنى (كفرنا بكم) وبما تعبدون من دون الله أنا لا نعتد بشأنكم ولا بشأن آلهتكم وما أنتم عندنا على شئ (فان قلت) مم استثنى قوله (الا قول ابراهيم) (قلت) من قوله أسوة حسنة لانه أراد بالاسوة الحسنة قولهم الذى حق عليهم أن يأتسوا به ويتخذوه سنة يستنون بها (فان قلت) فان كان قوله (لأستغفرن لك) مستثنى من القول الذى هو أسوة

تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لأبيه لأستغفرن لك

القول فى سورة الممتحنة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون (قال) فيه ان قلت كيف أورد جواب الشرط مستقبلا مثله ثم قال وودوا بلفظ الماضى الخ

حسنة

حسنة فما بال قوله (وما أملك لك من الله من شئ) وهو غير حقيق بالاستثناء ألا ترى الى قوله قل فمن يملك من الله شيأ (قلت) أراد استثناء جملة قوله لأبيه والقصد الى موعد الاستغفار له ومابعده مبنى عليه وتابع له كأنه قال أنا أستغفر لك وما فى طاقتى الا الاستغفار (فان قلت) بم اتصل قوله (ربنا عليك توكلنا) (قلت) بما قبل الاستثناء وهو من جملة الاسوة الحسنة ويجوز أن يكون المعنى قولوا ربنا أمرا من الله تعالى للمؤمنين بأن يقولوه وتعليما منه لهم تتميما لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفار والائتساء بابراهيم وقومه فى البراءة منهم وتنبيها على الانابة الى الله والاستعاذة به من فتنة أهل الكفر والاستغفار مما فرط منهم * وقرئ برآء كشركاء وبراء كظراف وبراء على ابدال الضم من الكسر كرخال ورباب وبراء على الوصف بالمصدر والبراء والبراءة كالظماء والظماءة * ثم كرر الحث على الائتساء بابراهيم وقومه تقريرا وتأكيدا عليهم ولذلك جاء به مصدرا بالقسم لانه الغاية فى التأكيد وأبدل عن قوله (لكم) قوله (لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) وعقبه بقوله (ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد) فلم يترك نوعا من التوكيد الا جاء به * ولما نزلت هذه الآيات تشدد المؤمنون فى عداوة آبائهم وأبنائهم وجميع أقربائهم من المشركين ومقاطعتهم فلما رأى الله عز وجل منهم الجد والصبر على الوجد الشديد وطول التمنى للسبب الذى يبيح لهم الموالاة والمواصلة رحمهم فوعدهم تيسير ماتمنوه فلما يسر فتح مكة أظفرهم الله بأمنيتهم فأسلم قومهم وتم بينهم من التحاب والتصافى ماتم وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة فلانت عند ذلك عريكة أبى سفيان واسترخت شكيمته فى العداوة وكانت أم حبيبة قد أسلمت وهاجرت مع زوجها عبدالله بن أبى جحش الى الحبشة فتنصر وأرادها على النصرانية فأبت وصبرت على دينها ومات زوجها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى فخطبها عليه وساق عنه اليها مهرها أربعمائة دينار وبلغ ذلك أباها فقال ذلك الفحل لا يقدع أنفه و (عسى) وعد من الله على عادات الملوك حيث يقولون فى بعض الحوائج عسى أو لعل فلا تبقى شبهة للمحتاج فى تمام ذلك أو قصد به اطماع المؤمنين والله قدير على تقليب القلوب وتغيير الاحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) لمن أسلم من المشركين (أن تبروهم) بدل من الذين لم يقاتلوكم * وكذلك أن تولوهم من الذين قاتلوكم والمعنى لاينهاكم عن مبرة هؤلاء وانما ينهاكم عن تولى هؤلاء وهذا أيضا رحمة لهم لتشددهم وجدهم فى العداوة متقدمة لرحمته بتيسير اسلام قومهم حيث رخص لهم فى صلة من لم يجاهر منهم بقتال المؤمنين واخراجهم من ديارهم وقيل أراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لايقاتلوه ولا يعينوا عليه وعن مجاهد هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا وقيل هم النساء والصبيان وقيل قدمت على أسماء بنت أبى بكر أمها قتيلة بنت عبد العزى وهى مشركة بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها فى الدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن اليها وعن قتادة نسختها آية القتال (وتقسطوا اليهم) وتقضوا اليهم بالقسط ولا تظلموهم وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم أخيه المسلم (اذا جاءكم المؤمنات) سماهن مؤمنات لتصديقهن بألسنتهن ونطقهن بكلمة الشهادة ولم يظهر منهن ماينافى ذلك أو لأنهن مشارفات لثبات ايمانهن بالامتحان (فامتحنوهن) فابتلوهن بالحلف والنظر فى الامارات ليغلب على ظنونكم صدق ايمانهن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للممتحنة بالله الذى لا اله الا هو ماخرجت من بغض زوج بالله ماخرجت رغبة عن أرض الى أرض بالله ماخرجت التماس دنيا بالله ماخرجت الا حبا لله ولرسوله (الله أعلم بايمانهن) منكم لانكم لا تكسبون فيه علما تطمئن معه نفوسكم وان استحلفتموهن ورزتم أحوالهن وعند الله حقيقة العلم به (فان علمتموهن مؤمنات) العلم الذى تبلغه طاقتكم وهو الظن الغالب بالحلف وظهور الامارات (فلا ترجعوهن الى الكفار) فلا تردوهن الى أزواجهن المشركين لانه لا حل بين المؤمنة والمشرك (وآتوهم ما أنفقوا) وأعطوا أزواجهن مثل مادفعوا اليهن من المهور وذلك أن صلح الحديبية كان على أن

وما أملك لك من الله من شئ ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا انك أنت العزيز الحكيم لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر ومن يتول فان الله هو الغنى الحميد عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم بايمانهن فان علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن الى الكفار لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح

أجد هذه الآية مما استدل بها على خطاب الكفار بالفروع لانه تعالى قال لاهن حل لهم والضمير الاول للمؤمنات والثانى للكفار والمراد به يحرمن على الكفار لان قسيمه متفق على أن المراد به تحريم الكفار على المؤمنات فيكون كل من القبيلين المؤمنات والكفار مخاطبا

بالحرمة ولما كان المذهب المعزى الى أصحاب أبى حنيفة ان الكفار غير مخاطبين سلك الزمخشرى بتفسير الآية ما وافق ذلك فحملها على أن المراد نفى الحل بين المؤمنة والكافر على الاجمال حتى لا يتمحض نسبة الحرمة الى الكافر وهذا لا متخلص فيه فان الحل المنفى بين المؤمنة والكافر الى الحرمة لابد وأن يتعلق بفعل أحدهما وكلاهما ذو حكم فان تعلق بفعل كل واحد منهما أعنى التمكين من المرأة والفعل من الرجل تحقق خطاب الكافر بالحرمة وتعليقه بفعل المرأة دون فعل الرجل يأباه نظم الآية فانه نفى الحل من الجهتين جمعا ولو كان كذلك لكفى قوله ولا هم يحلون لهن والتحقيق الممتحن على قواعد الاصول هو ما نذكره ان شاء الله تعالى فنقول كل من

عليكم أن تنكحوهن اذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله يحكم بينكم والله عليم حكيم وان فاتكم شئ من أزواجكم الى الكفار فعاقبتم فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيأ ولا يسرقن ولا يزنين

من آتاكم من أهل مكة ردا اليهم ومن أتى منهم مكة لم يرد اليهم وكتبوا بذلك كتابا وختموه فجاءت سبيعة بنت الحرث الاسلمية مسلمة والنبى صلى الله عليه وسلم بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومى وقيل صيفى بن الراهب فقال يا محمد اردد على امرأتى فانك قد شرطت لنا أن ترد علينا من أتاك منا وهذه طينة الكتاب لم تجف فنزلت بيانا لان الشرط انما كان فى الرجال دون النساء وعن الضحاك كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين عهد أن لا تأتيك منا امرأة ليست على دينك الا رددتها الينا وان دخلت فى دينك ولها زوج أن ترد على زوجها الذى أنفق عليها وللنبى صلى الله عليه وسلم من الشرط مثل ذلك وعن قتادة ثم نسخ هذا الحكم وهذا العهد براءة فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ما أنفق وتزوجها عمر (فان قلت) كيف سمى الظن علما فى قوله فان علمتموهن (قلت) ايذانا بأن الظن الغالب وما يفضى اليه الاجتهاد والقياس جار مجرى العلم وأن صاحبه غير داخل فى قوله ولا تقف ما ليس لك به علم (فان قلت) فما فائدة قوله الله أعلم بايمانهن وذلك معلوم لا شبهة فيه (قلت) فائدته بيان أن لا سبيل لكم الى ما تطمئن به النفس ويثلج به الصدر من الاحاطة بحقيقة ايمانهن فان ذلك مما استأثر به علام الغيوب وأن ما يؤدى اليه الامتحان من العلم كاف فى ذلك وأن تكليفكم لا يعدوه ثم نفى عنهم الجناح فى تزوج هؤلاء المهاجرات اذا آتوهن أجورهن أى مهورهن لان المهر أجر البضع ولا يخلو اما أن يراد بها ما كان يدفع اليهن ليدفعنه الى أزواجهن فيشترط فى اباحة تزوجهن تقديم أدائه واما أن يراد بذلك اذا دفع اليهن على سبيل القرض ثم تزوجن على ذلك لم يكن به بأس واما أن يبين لهم أن ما أعطى أزواجهن لا يقوم مقام المهر وأنه لابد من اصداق وبه احتج أبو حنيفة على أن أحد الزوجين اذا خرج من دار الحرب مسلما أو بذمة وبقى الآخر حربيا وقعت الفرقة ولا يرى العدة على المهاجرة ويبيح نكاحها الا أن تكون حاملا (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) والعصمة ما يعتصم به من عقد وسبب يعنى اياكم واياهن ولا تكن بينكم وبينهن عصمة ولا علقة زوجية قال ابن عباس من كانت له امرأة كافرة بمكة فلا يعتدن بها من نسائه لان اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعى هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن (واسألوا ما أنفقتم) من مهور أزواجكم اللاحقات بالكفار (وليسألوا ما أنفقوا) من مهور نسائهم المهاجرات * وقرئ ولا تمسكوا بالتخفيف ولا تمسكوا بالتثقيل ولا تمسكوا أى ولا تتمسكوا (ذلكم حكم الله) يعنى جميع ما ذكر فى هذه الآية (يحكم بينكم) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أى يحكمه الله أو جعل الحكم حاكما على المبالغة وروى أنها لما نزلت هذه الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من أداء مهور المهاجرات الى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيأ من مهور الكوافر الى أزواجهن المسلمين فنزل قوله (وان فاتكم) وان سبقكم وانفلت منكم (شئ) من أزواجكم أحد منهن الى الكفار وهو فى قراءة ابن مسعود أحد (فان قلت) هل لايقاع شئ فى هذا الموقع فائدة (قلت) نعم الفائدة فيه أن لا يغادر شئ من هذا الجنس وان قل وحقر غير معوض منه تغليظا فى هذا الحكم وتشديدا فيه (فعاقبتم) من العقبة وهى النوبة شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء

فعلى المؤمنة والكافر ينفى عنه الحل بالتفسير اللائق فأما فعل المؤمنة وهو التمكين فلا شك فى تعلق الحرمة للشرع باعتبار أنها مخاطبة بأن لا يحصل فى الوجود على وجه لو حصل لكانت متوعدة على حصوله وأما فعل الكافر وهو الوطء مثلا فنفى حله باعتبار أن الشرع قصد الى أن لا يحصل الوطء لما يشتمل عليه من المفسدة والشرع قصد فى أن لا تقع المفاسد وليس الكافر مورد الخطاب ولكن الائمة مثلا أو من يقوم مقامهم مخاطبون بأن يمنعوا الكافر كى لا يقع هذا الفعل المنطوى على المفسدة فى نظر الشرع فكلا الفعلين اذا من جانب المرأة والرجل غرض فى أن لا يقع لكن مورد الخطاب المنطوى على السلامة من المفسدة فى حق المرأة هى وفى حق الكافر الائمة مثلا ويتفق المختلفون فيه فى خطاب الكفار على أن للشرع غرضا فى أن لا تحصل المفاسد فى الوجود ألا ترى أن الكافر اذا جهر بالفساد بين المسلمين

مهور

ردع الكافر كى لا يجهر بالفساد بين الائمة والله الموفق * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور (قال فيه كان طائفة من ضعفاء المسلمين قد والوا اليهود ليصيبوا من ثمارهم فنزلت هذه الآية

ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور

مهور نساء أولئك تارة وأولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره ومعناه فجاءت عقبتكم من أداء المهر فآتوا من فاتته امرأته الى الكفار مثل مهرها من مهر المهاجرة ولا تؤتوه زوجها الكافر وهكذا عن الزهرى يعطى من صداق من لحق بهم وقرئ فأعقبتم فعقبتم بالتشديد فعقبتم بالتخفيف بفتح القاف وكسرها فمعنى أعقبتم دخلتم فى العقبة وعقبتم من عقبه اذا قفاه لان كل واحد من المتعاقبين يقفى صاحبه وكذلك عقبتم بالتخفيف يقال عقبه يعقبه وعقبتم نحو تبعتم وقال الزجاج فعاقبتم فأصبتموهم فى القتال بعقوبة حتى غنمتم والذى ذهبت زوجته كان يعطى من الغنيمة المهر وفسر غيرها من القراآت فكانت العقبى لكم أى فكانت الغلبة لكم حتى غنمتم وقيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين راجعة عن الاسلام ست نسوة أم الحكم بنت أبى سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهرى وفاطمة بنت أبى أمية كانت تحت عمر بن الخطاب وهى أخت أم سلمة وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان وعبدة بنت عبد العزى بن نضلة وزوجها عمرو بن عبدود وهند بنت أبى جهل كانت تحت هشام بن العاص وكلثوم بنت جرول كانت تحت عمر فأعطاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مهور نسائهم من الغنيمة (ولا يقتلن أولادهن) وقرئ يقتلن بالتشديد يريد وأد البنات (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها عن الولد الذى تلصقه بزوجها كذبا لان بطنها الذى تحمله فيه بين اليدين وفرجها الذى تلده به بين الرجلين (ولا يعصينك فى معروف) فيما تأمرهن به من المحسنات وتنهاهن عنه من المقبحات وقيل كل ما وافق طاعة الله فهو معروف (فان قلت) لو اقتصر على قوله ولا يعصينك فقد علم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بمعروف (قلت) نبه بذلك على أن طاعة المخلوق فى معصية الخالق جديرة بغاية التوقى والاجتناب وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فرغ يوم فتح مكة من بيعة الرجال أخذ فى بيعة النساء وهو على الصفا وعمر ابن الخطاب رضى الله عنه أسفل منه يبايعهن بأمره ويبلغهن عنه وهند بنت عتبة امرأة أبى سفيان متقنعة متنكرة خوفا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعرفها فقال عليه الصلاة والسلام أبايعكن على أن لا تشركن بالله شيأ فرفعت هند رأسها وقالت والله لقد عبدنا الاصنام وانك لتأخذ علينا أمرا ما رأيناك أخذته على الرجال تبايع الرجال على الاسلام والجهاد فقال عليه الصلاة والسلام ولا يسرقن فقالت ان أبا سفيان رجل شحيح وانى أصبت من ماله هنات فما أدرى أتحل لى أم لا فقال أبو سفيان ما أصبت من شئ فيما مضى وفيما غبر فهو لك حلال فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفها فقال لها وانك لهند بنت عتبة قالت نعم فاعف عما سلف يا نبى الله عفا الله عنك فقال ولا يزنين فقالت أو تزنى الحرة وفى رواية ما زنت منهن امرأة قط فقال عليه الصلاة والسلام ولا يقتلن أولادهن فقالت ربيناهم صغارا وقتلتهم كبارا فأنتم وهم أعلم وكان ابنها حنظلة بن أبى سفيان قد قتل يوم بدر فضحك عمر حتى استلقى وتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولا يأتين ببهتان فقالت والله ان البهتان لأمر قبيح وما تأمرنا الا بالرشد ومكارم الاخلاق فقال ولا يعصينك فى معروف فقالت والله ما جلسنا مجلسنا هذا وفى أنفسنا أن نعصيك فى شئ وقيل فى كيفية المبايعة دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن وقيل صافحهن وكان على يده ثوب قطرى وقيل كان عمر يصافحهن عنه * روى أن بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم فقيل لهم (لا تتولوا قوما) مغضوبا عليهم (قد يئسوا) من أن يكون لهم حظ فى الآخرة لعنادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يعلمون أنه الرسول المنعوت فى التوراة (كما يئس الكفار) من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا أحياء وقيل (من أصحاب القبور) بيان للكفار أى كما يئس الكفار الذين قبروا من خير الآخرة لانهم تبينوا قبح حالهم وسوء منقلبهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة

والمراد بالكفار المشركون الخ) قال أحمد قد كان الزمخشرى ذكر فى قوله وما يستوى البحران الى قوله ومن كل تأكلون لحما طريا ان آخر الآية استطراد وهو فن من فنون البيان مبوب عليه عند أهله وآية الممتحنة هذه ممكنة أن تكون من هذا الفن جدا فانه ذم اليهود واستطرد ذمهم بذم المشركين على نوع حسن من النسبة وهذا لا يمكن أن يوجد للفصحاء فى الاستطراد أحسن ولا أمكن منه ومما صدروا هذا الفن به قوله

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه * فليس به بأس وان كان من جرم وقوله ان كنت كاذبة التى حدثتنى * فنجوت منجى الحرث بن هشام

وقوله ترك الأحبة أن يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام ﴿القول في سورة الصف﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (قال فيه هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه قصد الى التعجب بغير صيغة التعجب لتعظيم الأمر الخ) قال أحمد وزائد على هذه الوجوه الاربعة وجه خامس وهو تكراره لقوله ما لا تفعلون وهو لفظ واحد في كلام واحد ومن فوائد التكرار التهويل والاعظام والا فقد كان الكلام مستقلا لو قيل كبر مقتا عند الله ذلك فما اعادته الا لمكان (١٨٢) هذه الفائدة الثانية والله أعلم * قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص (قال فيه ذكره لهذا عقيب ذكر مقت المخلف دليل الخ) قال أحمد صدق والاول كالبسطة العامة لهذه القصة الخاصة كقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله ان الله سميع عليم يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي فالنهي العام ورد أولا والمقصود اندراج هذا الخاص فيه كما تقول للمقترف جرما معينا لا تفعل ما يلصق العار بك ولا تشاتم زيدا وفائدة مثل هذا النظم النهي عن الشيء الواحد مرتين مندرجا في العموم ومفردا بالخصوص وهو أولى من النهي عنه على الخصوص مرتين فان ذلك معدود في حيز التكرار وهذا لا يتكرر مع ما في التعميم من التعظيم والتهويل والله أعلم * عاد كلامه (قال في قوله تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص حالان متداخلتان) قال أحمد يريد أن معنى الاولى مشتمل على معنى الثانية لان التراص هيئة للاصطفاف والله أعلم

﴿سورة الصف مكية وهي أربع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص وإذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني

﴿سورة الصف مكية وهي اربع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(لم) هي لام الاضافة داخلة على ما الاستفهامية كما دخل عليها غيرها من حروف الجر في قولك بم وفيم ومم وعم والام وعلام وانما حذفت الالف لان ما والحرف كشيء واحد ووقع استعمالهما كثيرا في كلام المستفهم وقد جاء استعمال الاصل قليلا والوقف على زيادة هاء السكت أو الاسكان ومن أسكن في الوصل فلاجرائه مجرى الوقف كما سمع ثلاثه أربعه بالهاء والقاء حركة الهمزة عليها محذوفة وهذا الكلام يتناول الكذب واخلاف الموعد وروى أن المؤمنين قالوا قبل أن يؤمروا بالقتال لو نعلم أحب الاعمال الى الله تعالى لعملناه ولبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فدلهم الله تعالى على الجهاد في سبيله فولوا يوم أحد فعيرهم وقيل لما أخبر الله بثواب شهداء بدر قالوا لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد ولم يفوا وقيل كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل وطعنت ولم يطعن وضربت ولم يضرب وصبرت ولم يصبر وقيل كان قد آذى المسلمين رجل ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فقال عمر لصهيب أخبر النبي عليه السلام أنك قتلته فقال انما قتلته لله ولرسوله فقال عمر يا رسول الله قتله صهيب قال كذلك يا أبا يحيى قال نعم فنزلت في المنتحل وعن الحسن نزلت في المنافقين * ونداؤهم بالايمان تهكم بهم وباعمانهم هذا من أفصح كلام وأبلغه في معناه * قصد في (كبر) التعجب من غير لفظه كقوله غلت ناب كليب بواؤها ومعنى التعجب تعظيم الامر في قلوب السامعين لان التعجب لا يكون الا من شيء خارج عن نظائره وأشكاله وأسند الى أن تقولوا ونصب (مقتا) على تفسيره دلالة على أن قولهم ما لا يفعلون مقت خالص لا شوب فيه لفرط تمكن المقت منه واختير لفظ المقت لانه أشد البغض وأبلغه ومنه قيل نكاح المقت للعقد على الرابة ولم يقتصر على أن جعل البغض كبيرا حتى جعل أشده وأفحشه و(عند الله) أبلغ من ذلك لانه اذا ثبت كبر مقته عند الله فقد تم كبره وشدته وانزاحت عنه الشكوك وعن بعض السلف أنه قيل له حدثنا فسكت ثم قيل له حدثنا فقال تأمرونني أن أقول ما لا أفعل فأستعجل مقت الله * في قوله (ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله) عقيب ذكر مقت المخلف دليل على أن المقت قد تعلق بقول الذين وعدوا الثبات في قتال الكفار فلم يفوا وقرأ زيد بن علي يقاتلون بفتح التاء وقرئ يقتلون (صفا) صافين أنفسهم أو مصفوفين (كأنهم) في تراصهم من غير فرجة ولا خلل (بنيان) رص بعضه الى بعض ورصف وقيل يجوز أن يريد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص وعن بعضهم فيه دليل على فضل القتال راجلا لان الفرسان لا يصطفون على هذه الصفة وقوله صفا كأنهم بنيان حالان متداخلتان (واذ) منصوب باضمار اذكر أو وحين قال لهم ما قال كان كذا وكذا (تؤذونني) كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود اليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه

قوله تعالى واذ قال موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون الآية (قال فيه بين أنهم على عكس الصواب حيث قال تؤذونني عالمين الخ) قال أحمد أهل العربية تقول ان قد تصحب الماضي لتقريبه من الحال ومنه قول المؤذن قد قامت الصلاة وتشتمل المصاحبة للماضي أيضا على معنى التوقع فلذلك قال سيبويه قد فعل جواب لما يفعل وقال الخليل هذا الخبر لقوم ينتظرونه وأما مع المضارع فانها تفيد التقليل مثل ربما كقولهم ان الكذوب قد يصدق فاذا كان معناها مع المضارع التقليل وقد دخلت في الآية على مضارع فالوجه والله أعلم أن يكون هذا من الكلام الذي يقصدون به الافراط فيما ينعكس عنه وتكون قد في هذا المعنى نظيرة ربما في قوله ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين فانها في هذا الموضع أبلغ من كم في التكثير فلما أوردت ربما في التكثير على عكس معناها الاصلي في التقليل فكذلك ايراد قد ههنا التكثير عليهم أي تحقيق تأكيده على عكس معناها الاصلي في تقليل الاصل وعليه (١٨٣) * قد أترك القرن مصفرا أنامله * وانما مدح نفسه بكثرة هذا الفعل منه عكس ديدنه الاصلي ولا يقال ان حملها في الآية على التكثير متعذر لان العلم معلوم التعلق لا يتكثر ولا يتقلل لانا نقول يعبر عن تمكن الفعل وتحققه وتأكده وبلوغه الغاية في نوعه بما يعبر به عن التكثير وهو تعبير صحيح ألا ترى أن قوله ربما يود الذين كفروا هو من هذا القبيل فان المراد شدة ودهم لذلك وبلوغه أقصى منتهاه لا غير والله الموفق (قال الزمخشري وانما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم لانه لم يكن له صلوات الله على نبينا وعليه نسب فيهم) قال أحمد وهذا نظير قوله تعالى اذ قال لهم شعيب لان شعيبا لم يكن من قوم من أرسل اليهم * عاد كلامه قوله تعالى يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم (قال فيه) مثلت حالهم بحالة من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه * قوله تعالى هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله الى قوله يغفر لكم (قال فيه قوله تؤمنون استئناف كلام كأنه لما قال الكلام الاول قيل كيف نفعل فقيل تؤمنون الخ) قال أحمد انما وجه اعراب الفراء بما ذكر لانه لو جعله جوابا لقوله

وقد تعلمون أني رسول الله اليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين واذ قال عيسى بن مريم يا بني اسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم

(وقد تعلمون) في موضع الحال أي تؤذونني عالمين علما يقينا (أني رسول الله اليكم) وقضية علمكم بذلك وموجبه تعظيمي وتوقيري لا أن تؤذوني وتستهينوا بي لان من عرف الله وعظمته عظم رسوله علما بأن تعظيمه في تعظيم رسوله ولان من آذاه كان وعيد الله لاحقا به (فلما زاغوا) عن الحق (أزاغ الله قلوبهم) بأن منع ألطافه عنهم (والله لا يهدي القوم الفاسقين) لا يلطف بهم لانهم ليسوا من أهل اللطف (فان قلت) ما معنى قد في قوله وقد تعلمون (قلت) معناه التوكيد كأنه قال وتعلمون علما يقينا لا شبهة لكم فيه * قيل انما قال يا بني اسرائيل ولم يقل يا قوم كما قال موسى لانه لا نسب له فيهم فيكونوا قومه والمعنى أرسلت اليكم في حال تصديقي ما تقدمني (من التوراة) وفي حال تبشيري (برسول يأتي من بعدي) يعني أن ديني التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعا ممن تقدم وتأخر وقرئ من بعدي بسكون الياء وفتحها والخليل وسيبويه يختاران الفتح وعن كعب أن الحواريين قالوا لعيسى يا روح الله هل بعدنا من أمة قال نعم أمة أحمد حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء يرضون من الله باليسير من الرزق ويرضى الله منهم باليسير من العمل (فان قلت) بم انتصب مصدقا ومبشرا أبما في الرسول من معنى الارسال أم باليكم (قلت) بل بمعنى الارسال لان اليكم صلة للرسول فلا يجوز أن تعمل شيأ لان حروف الجر لا تعمل بأنفسها ولكن بما فيها من معنى الفعل فاذا وقعت صلات لم تتضمن معنى فعل فمن أين تعمل * وقرئ هذا ساحر مبين * وأي الناس أشد ظلما ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الى الاسلام الذي له فيه سعادة الدارين فيجعل مكان اجابته اليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده الى الحق هذا سحر لأن السحر كذب وتمويه * وقرأ طلحة بن مصرف وهو يدعى بمعنى يدعى دعاه وادعاه نحو لمسه والتمسه وعنه يدعي بمعنى يدعو وهو الله عز وجل * أصله يريدون أن يطفؤا كما جاء في سورة براءة وكأن هذه اللام زيدت مع فعل الارادة تأكيدا له لما فيها من معنى الارادة في قولك جئتك لاكرامك كما زيدت اللام في لا أبا لك تأكيدا لمعنى الاضافة في لا أباك واطفاء نور الله بأفواههم تهكم بهم في ارادتهم ابطال الاسلام بقولهم في القرآن هذا سحر مثلت حالهم بحال من ينفخ في نور الشمس بفيه ليطفئه (والله متم نوره) أي متم الحق ومبلغه غايته وقرئ بالاضافة (ودين الحق) الملة الحنيفية (ليظهره) ليعليه (على الدين كله) على جميع الاديان المخالفة له ولعمري لقد فعل فما بقي دين من الاديان الا وهو مغلوب مقهور بدين الاسلام وعن مجاهد اذا نزل عيسى لم يكن في الارض الا دين الاسلام * وقرئ أرسل نبيه (تنجيكم) قرئ مخففا ومثقلا و(تؤمنون) استئناف كأنهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون وهو خبر في معنى

هل أدلكم فانكم ان أدلكم على كذا أو كذا أغفر لكم فتكون المغفرة حينئذ مترتبة على مجرد دلالته اياهم على الخير وليس كذلك انما تترتب المغفرة على فعلهم لما دلهم عليه لا على نفس الدلالة فلذلك أول هل أدلكم على تجارة بتأويل هل تتجرون بالايمان والجهاد حتى تكون المغفرة مترتبة على فعل الايمان والجهاد لا على الدلالة وهذا التأويل غير محتاج اليه فان حاصل الكلام اذا صار الى هل أدلكم أغفر لكم التحق ذلك بأمثال قوله تعالى قل لعبادي الذين آمنوا يقيموا الصلاة فانه رتب فعل الصلاة على الامر بها حتى كأنه قال فانك ان تقل لهم أقيموا يقيموها * ولقائل أن يقول فقد قيل لبعضهم أقم الصلاة فتركها فالجواب عنه ان الامر الموجه على المؤمن الراسخ في الايمان لما كان مظنة

لحصول الامتثال جعل كالمحقق وقوعه مرتبا عليه وكذلك ههنا لما كانت دلالة الذين آمنوا على فعل الخير مظنة لامتثالهم وامتثالهم سببا في المغفرة محققا عومل معاملة تحقق الامتثال والمغفرة مرتبين على الدلالة

ان كنتم تعلمون يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله

الامر ولهذا أجيب بقوله (يغفر لكم) وتدل عليه قراءة ابن مسعود آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا (فان قلت) لم جيء به على لفظ الخبر (قلت) للايذان بوجوب الامتثال وكأنه امتثل فهو يخبر عن ايمان وجهاد موجودين ونظيره قول الداعي غفر الله لك ويغفر الله لك جعلت المغفرة لقوة الرجاء كأنها كانت ووجدت (فان قلت) هل لقول الفراء انه جواب هل أدلكم وجه (قلت) وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة والتجارة مفسرة بالايمان والجهاد فكأنه قيل هل تتجرون بالايمان والجهاد يغفر لكم (فان قلت) فما وجه قراءة زيد بن علي رضي الله عنه تؤمنوا وتجاهدوا (قلت) وجهها أن تكون على اضمار لام الامر كقوله

محمد تفد نفسك كل نفس * اذا ما خفت من أمر تبالا

وعن ابن عباس أنهم قالوا لو نعلم أحب الاعمال الى الله لعملناه فنزلت هذه الآية فمكثوا ما شاء الله يقولون ليتنا نعلم ماهي فدلهم الله عليها بقوله تؤمنون وهذا دليل على أن تؤمنون كلام مستأنف وعلى أن الامر الوارد على النفوس بعد تشوف وتطلع منها اليه أوقع فيها وأقرب من قبولها له مما فوجئت به (ذلكم) يعني ما ذكر من الايمان والجهاد (خير لكم) من أموالكم وأنفسكم (فان قلت) ما معنى قوله (ان كنتم تعلمون) (قلت) معناه ان كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرا لكم حينئذ لانكم اذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم الايمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون (وأخرى تحبونها) ولكم الى هذه النعمة المذكورة من المغفرة والثواب في الآجلة نعمة أخرى عاجلة محبوبة اليكم ثم فسرها بقوله (نصر من الله وفتح قريب) أي عاجل وهو فتح مكة وقال الحسن فتح فارس والروم وفي تحبونها شيء من التوبيخ على محبة العاجل (فان قلت) علام عطف قوله (وبشر المؤمنين) (قلت) على تؤمنون لانه في معنى الامر كأنه قيل آمنوا وجاهدوا يثبكم الله وينصركم وبشر يا رسول الله المؤمنين بذلك (فان قلت) لم نصب من قرأ نصرا من الله وفتحا قريبا (قلت) يجوز أن ينصب على الاختصاص أو على تنصرون نصرا ويفتح لكم فتحا أو على يغفر لكم ويدخلكم جنات ويؤتكم أخرى نصرا من الله وفتحا وقرئ كونوا أنصار الله وأنصارا لله وقرأ ابن مسعود كونوا أنتم أنصار الله وفيه زيادة حث للنصرة عليهم (فان قلت) ما وجه صحة التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارا بقول عيسى صلوات الله عليه (من أنصاري الى الله) (قلت) التشبيه محمول على المعنى وعليه يصح والمراد كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصار عيسى حين قال لهم من أنصاري الى الله (فان قلت) ما معنى قوله من أنصاري الى الله (قلت) يجب أن يكون معناه مطابقا لجواب الحواريين (نحن أنصار الله) والذي يطابقه أن يكون المعنى من جندي متوجها الى نصرة الله واضافة أنصاري خلاف اضافة أنصار الله فان معنى نحن أنصار الله نحن الذين ينصرون الله ومعنى من أنصاري من الانصار الذين يختصون بي ويكونون معي في نصرة الله ولا يصح أن يكون معناه من ينصرني مع الله لانه لا يطابق الجواب والدليل عليه قراءة من

والله أعلم * قوله تعالى ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (قال فيه معناه ان كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيرا لكم الخ) قال أحمد كأنه يجري الشرط على حقيقته وليس بالظاهر لان علمهم لذلك محقق اذ الخطاب مع المؤمنين والظاهر أنه من وادي قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين والمقصود بهذا الشرط التنبيه على المعنى الذي يقتضي الامتثال والهاب الحمية للطاعة كما تقول لمن تأمره بالانتصاف من عدوه ان كنت حرا فانتصر تريد أن تثير منه حمية الانتصار لا غير والله أعلم * قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين (قال ان قلت ما وجه التشبيه وظاهره تشبيه كونهم أنصارا الخ) قال أحمد كلام حسن وتمام على الذي أحسن أن يميز بين الاضافتين المذكورتين بأن الاولى محضة والثانية غير محضة فتنبه لها والله الموفق

قرأ

قرأ من أنصار الله والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا اثني عشر رجلا وحواري الرجل صفيه وخلصانه من الحور وهو البياض الخالص والحواري الدرمك ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الزبير ابن عمتي وحواري من أمتي وقيل كانوا قصارين يحورون الثياب يبيضونها ونظير الحواري في زنته الحوالي الكثير الحيل (فآمنت طائفة) منهم بعيسى (وكفرت) به (طائفة فأيدنا) مؤمنيهم على كفارهم فظهروا عليهم وعن زيد بن علي كان ظهورهم بالحجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصليا عليه مستغفرا له ما دام في الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه

فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين

(سورة الجمعة مدنية وهي احدى عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

يسبح لله ما في السموات وما في الارض الملك القدوس العزيز الحكيم هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين قل يا أيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولا يتمنونه أبدا

* قرئت صفات الله عز وعلا بالرفع على المدح كأنه قيل هو الملك القدوس ولو قرئت منصوبة لكان وجها كقول العرب الحمد لله أهل الحمد * الامي منسوب الى أمة العرب لانهم كانوا لا يكتبون ولا يقرؤن من بين الامم وقيل بدأت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة وأهل الحيرة من أهل الانبار ومعنى (بعث في الأميين رسولا منهم) بعث رجلا أميا في قوم أميين كما جاء في حديث شعياء اني أبعث أعمى في عميان وأميا في أميين وقيل منهم كقوله تعالى من أنفسكم يعلمون نسبه وأحواله وقرئ في الامين بحذف ياء النسب (يتلوا عليهم آياته) يقرؤها عليهم مع كونه أميا مثلهم لم تعهد منه قراءة ولم يعرف بتعلم وقراءة أمي بغير تعلم آية بينة (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وخبائث الجاهلية (ويعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة * وان في (وان كانوا) هي المخففة من الثقيلة واللام دليل عليها أي كانوا في ضلال لا ترى ضلالا أعظم منه (وآخرين) مجرور عطف على الأميين يعني أنه بعثه في الاميين الذين على عهده وفي آخرين من الاميين لم يلحقوا بهم بعد وسيلحقون بهم وهم الذين بعد الصحابة رضي الله عنهم وقيل لما نزلت قيل من هم يا رسول الله فوضع يده على سلمان ثم قال لو كان الايمان عند الثريا لتناوله رجال من هؤلاء وقيل هم الذين يأتون من بعدهم الى يوم القيامة ويجوز أن ينتصب عطفا على المنصوب في ويعلمهم أي يعلمهم ويعلم آخرين لان التعليم اذا تناسق الى آخر الزمان كان كله مستندا الى أوله فكأنه هو الذي تولى كل ما وجد منه (وهو العزيز الحكيم) في تمكينه رجلا أميا من ذلك الامر العظيم وتأييده عليه واختياره اياه من بين كافة البشر (ذلك) الفضل الذي أعطاه محمدا وهو أن يكون نبي أبناء عصره ونبي أبناء العصور الغوابر هو (فضل الله يؤتيه من يشاء) اعطاءه وتقتضيه حكمته * شبه اليهود في أنهم حملة التوراة وقراؤها وحفاظ ما فيها ثم انهم غير عاملين بها ولا منتفعين بآياتها وذلك أن فيها نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم والبشارة به ولم يؤمنوا به بالحمار حمل أسفارا أي كتبا كبارا من كتب العلم فهو يمشي بها ولا يدري منها الا ما يمر بجنبيه وظهره من الكد والتعب وكل من علم ولم يعمل بعلمه فهذا مثله وبئس المثل (بئس) مثلا (مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله) وهم اليهود الذين كذبوا بآيات الله الدالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * ومعنى حملوا التوراة كلفوا علمها والعمل بها * ثم لم يحملوها ثم لم يعملوا بها فكأنهم لم يحملوها وقرئ حملوا التوراة أي حملوها ثم لم يحملوها في الحقيقة لفقد العمل * وقرئ يحمل الاسفار (فان قلت) يحمل ما محله (قلت) النصب على الحال أو الجر على الوصف لان الحمار كاللئيم في قوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني * هاد يهود اذا تهود (أولياء لله) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه أي ان كان قولكم حقا وكنتم على ثقة (فتمنوا) على الله أن يميتكم وينقلكم سريعا الى دار كرامته التي أعدها لاوليائه ثم قال (ولا يتمنونه أبدا) بسبب ما قدموا من الكفر وقد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها أحد منكم الا غص بريقه فلولا أنهم كانوا موقنين بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم لتمنوا ولكنهم علموا انهم لو تمنوا لماتوا من ساعتهم ولحقهم الوعيد فما تمالك أحد منهم أن يتمنى وهي احدى المعجزات وقرئ فتمنوا الموت بكسر الواو تشبيها بلو استطعنا * ولا فرق بين لا ولن في أن كل واحد منهما

(القول في سورة الجمعة)
(بسم الله الرحمن الرحيم)
* قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا (قال فيه اما أن يكون قوله يحمل حالا كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبني) * قلت يريد أن المراد فيهما الجنس فتعريفه وتنكيره سواء

نفى للمستقبل الأن فى لن تأكيدا وتشديدا ليس فى لا فأتى مرة بلفظ التأكيد ولن يتمنوه ومرة بغير لفظه ولا يتمنونه ثم قيل لهم (ان الموت الذى تفرون منه) ولا تجسرون أن تتمنوه خيفة أن تؤخذوا بوبال كفركم لا تفوتونه وهو ملاقيكم لا محالة (ثم تردون) الى الله فيجازيكم بما أنتم أهله من العقاب وقرأ زيد بن على رضى الله عنه انه ملاقيكم وفى قراءة ابن مسعود تفرون منه ملاقيكم وهى ظاهرة وأما التى بالفاء فلتضمن الذى معنى الشرط وقد جعل ان الموت الذى تفرون منه كلاما برأسه فى قراءة زيد أى ان الموت هو الشئ الذى تفرون منه ثم استؤنف انه ملاقيكم * يوم الجمعة يوم الفوج المجموع كقولهم ضحكة للمضحوك منه ويوم الجمعة بفتح الميم يوم الوقت الجامع كقولهم ضحكة ولعنة ولعبة ويوم الجمعة تثقيل للجمعة كما قيل عسرة فى عسرة وقرئ بهن جميعا (فان قلت) من فى قوله (من يوم الجمعة) ما هى (قلت) هى بيان لاذا وتفسير له * والنداء الاذان وقالوا المراد به الاذان عند قعود الامام على المنبر وقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذن واحد فكان اذا جلس على المنبر أذن على باب المسجد فاذا نزل أقام للصلاة ثم كان أبو بكر وعمر رضى الله عنهما على ذلك حتى اذا كان عثمان وكثر الناس وتباعدت المنازل زاد مؤذنا آخر فأمر بالتأذين الاول على داره التى تسمى زوراء فاذا جلس على المنبر أذن المؤذن الثانى فاذا نزل أقام للصلاة فلم يعب ذلك عليه وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤى وكان يقال لها العروبة وقيل ان الانصار قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوما نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا الى سعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الاسلام وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى أنه لما قدم المدينة مهاجرا نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامدا المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم ابن عوف فى بطن واد لهم فخطب وصلى الجمعة وعن بعضهم قد أبطل الله قول اليهود فى ثلاث افتخروا بأنهم أولياء الله وأحباؤه فكذبهم فى قوله فتمنوا الموت ان كنتم صادقين وبأنهم أهل الكتاب والعرب لا كتاب لهم فشبههم بالحمار يحمل أسفارا وبالسبت وأنه ليس للمسلمين مثله فشرع الله لهم الجمعة وعن النبى صلى الله عليه وسلم خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط الى الارض وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد وعنه عليه السلام أتانى جبريل وفى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك وهو سيد الايام عندنا ونحن ندعوه الى الآخرة يوم المزيد وعنه صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وعن كعب ان الله فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الايام الجمعة وقال عليه السلام من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر وفى الحديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وكانت الطرقات فى أيام السلف وقت السحر وبعد الفجر مغتصة بالمبكرين الى الجمعة يمشون بالسرج وقيل أول بدعة أحدثت فى الاسلام ترك البكور الى الجمعة وعن ابن مسعود أنه بكر فرأى ثلاثة نفر سبقوه فاغتم وأخذ يعاتب نفسه يقول أراك رابع أربعة وما رابع أربعة ببعيد ولا تقام الجمعة عند أبى حنيفة رضى الله عنه الا فى مصر جامع لقوله عليه السلام لا جمعة ولا تشريق ولا فطر ولا أضحى الا فى مصر جامع والمصر الجامع ما أقيمت فيه الحدود ونفذت فيه الاحكام ومن شروطها الامام أو من يقوم مقامه لقوله عليه السلام فمن تركها وله امام عادل أو جائر الحديث وقوله صلى الله عليه وسلم أربع الى الولاة الفئ والصدقات والحدود والجمعات فان أم رجل بغير اذن الامام أو من ولاه من قاض أو صاحب شرطة لم يجز فان لم يمكن الاستئذان فاجتمعوا على واحد فصلى بهم جاز وهى تنعقد بثلاثة سوى الامام وعند الشافعى بأربعين ولا جمعة على المسافرين والعبيد والنساء والمرضى والزمنى ولا على الاعمى عند أبى حنيفة ولا على الشيخ الذى لا يمشى الا بقائد وقرأ عمر وابن عباس وابن مسعود وغيرهم فامضوا وعن عمر

رضى

بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة

---

* قوله تعالى فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع (قال استدل بذلك على مذهب أبى حنيفة رحمه الله الخ) قال أحمد ولا دليل فيه فان العرب تسمى الشئ باسم بعض ما يشتمل عليه كما سميت الصلاة مرة قرآنا ومرة سجودا ومرة ركوعا لانها مشتملة على ذلك فكذلك الخطبة لما كانت مشتملة على ذكر الله سميت به ولا يلزم أن يكون كذلك كل ما اشتملت عليه لاسيما والمسمى خطبة عند العرب لابد وأن يزيد على القدر الذى اكتفى به أبو حنيفة قال بعض أصحاب مالك رحمه الله أقلها حمد الله والصلاة على نبيه

وتحذير وتبشير وقرآن (ثم أتبع الزمخشرى) الاستدلال على مذهب أبى حنيفة بالآية بأثر عن عثمان وهو أنه صعد المنبر فقال ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى أمام فعال أحوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة فلم ينكر عليه أحد انتهى كلامه (قال أحمد ساه بلا

فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون فاذا قضيت الصلوة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واذا رأوا تجارة أو لهوا

اشتباه فان عثمان لم يصدر ذلك منه فى خطبة الجمعة وانما كان ذلك فى ابتداء خلافته وصعوده المنبر للبيعة وكانت عادة العرب الخطب فى المهمات ألا ترى الى قوله وستأتيكم بعد ذلك الخطب فان ذلك يحقق أن مقالته هذه ليست بخطبة ولو كان فى الجمعة لكان تاركا للخطبة بالكلية وهى منقولة فى التاريخ انه أرتج عليه فقال سيجعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى بيانا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب * عاد كلامه (قال ان قلت كيف فسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله وأجاب بأن ذكر رسول الله والصحابة والخلفاء الراشدين الخ) قال أحمد الدعاء للسلطان الواجب الطاعة مشروع بكل حال وقد نقل عن بعض السلف أنه دعا لسلطان ظالم فقيل له أتدعو له وهو ظالم فقال اى والله أدعو له إن ما يدفع الله ببقائه أعظم مما يندفع بزواله لاسيما اذا ضمن ذلك الدعاء بصلاحه وسداده وتوفيقه والله الموفق

رضى الله عنه أنه سمع رجلا يقرأ فاسعوا فقال من أقرأك هذا قال أبى بن كعب فقال لا يزال يقرأ بالمنسوخ لو كانت فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائى وقيل المراد بالسعى القصد دون العدو والسعى التصرف فى كل عمل ومنه قوله تعالى فلما بلغ معه السعى وأن ليس للانسان الا ما سعى وعن الحسن ليس السعى على الاقدام ولكنه على النيات والقلوب وذكر محمد بن الحسن رحمه الله فى موطئه أن ابن عمر سمع الاقامة وهو بالبقيع فأسرع المشى قال محمد وهذا لا بأس به ما لم يجهد نفسه (الى ذكر الله) الى الخطبة والصلاة ولتسمية الله الخطبة ذكر الله قال أبو حنيفة رحمه الله ان اقتصر الخطيب على مقدار يسمى ذكر الله كقوله الحمد لله سبحان الله جاز وعن عثمان أنه صعد المنبر فقال الحمد لله وأرتج عليه فقال ان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وانكم الى امام فعال أحوج منكم الى امام قوال وستأتيكم الخطب ثم نزل وكان ذلك بحضرة الصحابة ولم ينكر عليه أحد وعند صاحبيه والشافعى لابد من كلام يسمى خطبة (فان قلت) كيف يفسر ذكر الله بالخطبة وفيها ذكر غير الله (قلت) ما كان من ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو فى حكم ذكر الله فأما ما عدا ذلك من ذكر الظلمة وألقابهم والثناء عليهم والدعاء لهم وهم أحقاء بعكس ذلك فمن ذكر الشيطان وهو من ذكر الله على مراحل واذا قال المنصت للخطبة لصاحبه صه فقد لغا أفلا يكون الخطيب الغالى فى ذلك لاغيا نعوذ بالله من غربة الاسلام ونكد الايام * أراد الامر بترك ما يذهل عن ذكر الله من شواغل الدنيا وانما خص البيع من بينها لان يوم الجمعة يوم يهبط الناس فيه من قراهم وبواديهم وينصبون الى المصر من كل أوب ووقت هبوطهم واجتماعهم واغتصاص الاسواق بهم اذا انتفخ النهار وتعالى الضحى ودنا وقت الظهيرة وحينئذ تحر التجارة ويتكاثر البيع والشراء فلما كان ذلك الوقت مظنة الذهول بالبيع عن ذكر الله والمضى الى المسجد قيل لهم بادروا تجارة الآخرة واتركوا تجارة الدنيا واسعوا الى ذكر الله الذى لا شئ أنفع منه وأربح (وذروا البيع) الذى نفعه يسير وربحه مقارب (فان قلت) فاذا كان البيع فى هذا الوقت مأمورا بتركه محرما فهل هو فاسد (قلت) عامة العلماء على أن ذلك لا يوجب فساد البيع قالوا لأن البيع لم يحرم لعينه ولكن لما فيه من الذهول عن الواجب فهو كالصلاة فى الارض المغصوبة والثوب المغصوب والوضوء بماء مغصوب وعن بعض الناس أنه فاسد * ثم أطلق لهم ما حظر عليهم بعد قضاء الصلاة من الانتشار وابتغاء الربح مع التوصية باكثار الذكر وأن لا يلهيهم شئ من تجارة ولا غيرها عنه وأن تكون هممهم فى جميع أحوالهم وأوقاتهم موكلة به لا ينفصلون عنه لان فلاحهم فيه وفوزهم منوط به وعن ابن عباس لم يؤمروا بطلب شئ من الدنيا انما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع وعن بعض السلف أنه كان يشغل نفسه بعد الجمعة بشئ من أمور الدنيا نظرا فى هذه الآية * روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشأم والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة فقاموا اليه خشوا أن يسبقوا اليه فما بقى معه الا يسير قيل ثمانية وأحد عشر واثنا عشر وأربعون فقال عليه السلام والذى نفس محمد بيده لو خرجوا جميعا لأضرم الله عليهم الوادى نارا وكانوا اذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل

﴿القول فى سورة المنافقين﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون (قال انما كذبهم لانهم ادعوا أن شهادتهم بألسنتهم تواطئ لقلوبهم الخ) قال أحمد ومثل هذا من نمطه المليح قوله قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا وقد كان المطابق لقوله ولكن قولوا أسلمنا أن يقال لهم لا تقولوا آمنا ولكنه لما كان موهما للنهى عن قول الايمان عدل عنه على ما فيه من الطباق الى ما سلم الكلام فيه من الوهم وذلك أجل وأعظم من فائدة المطابقة لاسيما فى مخاطبة هؤلاء الذين كانوا يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ألا تراهم كيف غالطوا أنفسهم متغابين وليسوا على ضعفهم متجاهلين (١٨٨) عندما أنزل قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم * عاد كلامه (قال استدل

لابى حنيفة على أن قول القائل أشهد يمين

انفضوا اليها وتركوك قائما قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين

﴿سورة المنافقين مدنية وهى احدى عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله إنهم ساء ما كانوا يعملون ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون واذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وان يقولوا تسمع لقولهم

والتصفيق فهو المراد باللهو وعن قتادة فعلوا ذلك ثلاث مرات فى كل مقدم عير (فان قلت) فان اتفق تفرق الناس عن الامام فى صلاة الجمعة كيف يصنع (قلت) ان بقى وحده أو مع أقل من ثلاثة فعند أبى حنيفة يستأنف الظهر اذا نفروا عنه قبل الركوع وعند صاحبيه اذا كبروهم معه مضى فيها وعند زفر اذا نفروا قبل التشهد بطلت (فان قلت) كيف قال (اليها) وقد ذكر شيئين (قلت) تقديره اذا رأوا تجارة انفضوا اليها أو لهوا انفضوا اليه فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه وكذلك قراءة من قرأ انفضوا اليه وقراءة من قرأ لهوا أو تجارة انفضوا اليها وقرئ اليهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة وبعدد من لم يأتها فى أمصار المسلمين

﴿سورة المنافقين مدنية وهى احدى عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أرادوا بقولهم (نشهد إنك لرسول الله) شهادة واطأت فيها قلوبهم ألسنتهم فقال الله عز وجل قالوا ذلك (والله يعلم) أن الامر كما يدل عليه قولهم إنك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون فى قولهم نشهد وادعائهم فيه المواطأة أو انهم لكاذبون فيه لانه اذا خلا عن المواطأة لم يكن شهادة فى الحقيقة فهم كاذبون فى تسميته شهادة أو أراد والله يشهد انهم لكاذبون عند أنفسهم لانهم كانوا يعتقدون أن قولهم انك لرسول الله كذب وخبر على خلاف ما عليه حال المخبر عنه (فان قلت) أى فائدة فى قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله (قلت) لو قال قالوا نشهد انك لرسول الله والله يشهد انهم لكاذبون لكان يوهم أن قولهم هذا كذب فوسط بينهما قوله والله يعلم انك لرسوله ليميط هذا الايهام (اتخذوا أيمانهم جنة) يجوز أن يراد أن قولهم نشهد انك لرسول الله يمين من أيمانهم الكاذبة لان الشهادة تجرى مجرى الحلف فيما يراد به من التوكيد يقول الرجل أشهد وأشهد بالله وأعزم وأعزم بالله فى موضع أقسم وأولى وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن أشهد يمين ويجوز أن يكون وصفا للمنافقين فى استجنانهم بالايمان وقرأ الحسن البصرى ايمانهم أى ما أظهروه من الايمان بألسنتهم ويعضده قوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا (ساء ما كانوا يعملون) من نفاقهم وصدهم الناس عن سبيل الله وفى ساء معنى التعجب الذى هو تعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) اشارة الى قوله ساء ما كانوا يعملون أى ذلك القول الشاهد عليهم بأنهم أسوأ الناس أعمالا (ب) سبب (أنهم آمنوا ثم كفروا) أو الى ما وصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستجنان بالايمان أى ذلك كله بسبب أنهم آمنوا ثم كفروا (فطبع على قلوبهم) فجسروا على كل عظيمة (فان قلت) المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم فما معنى قوله آمنوا ثم كفروا

بقوله اتخذوا أيمانهم جنة ولم يصدر منهم الا قولهم نشهد انك لرسول الله فجعله يمينا) قال أحمد أحد القولين عند مالك رحمه الله اذا قال أشهد وأحلف وأقسم (قلت) ولم ينو بالله ولا بغيره كما نقل عن أبى حنيفة أنه يمين وليس بالمشهور أما لو نوى بالله وان لم يتلفظ فيمين بلا اشكال وليس فيما ذكره دليل على ما ذكره فان قوله اتخذوا أيمانهم جنة غايته ان ما ذكروه يسمى يمينا وليس الخلاف فى تسميته يمينا وانما الخلاف هل يكون يمينا منعقدة يلزم بالحنث فيها كفارة أم لا وليس كل ما يسمى حلفا أو قسما يوجب حكما ألا ترى انه لو قال أحلف ولم يقل بالله ولا بغيره فهو من محال الخلاف فى وجوب الكفارة به وان كان حلفا لغة باتفاق لانه فعل مشتق منه * عاد كلامه قوله تعالى ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا (قال فيه المنافقون لم يكونوا الا على الكفر الثابت الدائم الخ) قال أحمد ويحتمل وجها رابعا وهو أنهم آمنوا به قبل مبعثه على الصفة المذكورة فى التوراة لانهم كانوا يسمعونها من جيرانهم اليهود ثم كفروا به بعد مبعثه وموافقة الصفة ولعل فى المنافقين يهودا وان لم يكن فقد كان الايمان قبل مبعثه من الفريقين اليهود وعبدة الاوثان من العرب الى نزول قوله لم يكن الذين

كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة كيف حكى الله (١٨٩) تعالى عن الفريقين ما كانوا يقولونه

والبينة النبى صلى الله عليه وسلم * قوله تعالى كأنهم خشب مسندة (قال فيه كانوا يجالسون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويستندون فى المجلس ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن الخ) قال أحمد وفيما قال الزبيدى نظر من حيث مقتضى العربية والا فهو متمكن المعنى وذلك

كأنهم خشب مسندة يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون

انها قرئت بضم الشين وسكونها قراءتين مستفيضتين ففيه دليل ان أصلها الضم والسكون انما هو طارئ عليه تخفيفا وهذا يبعد كونها جمع خشباء على وزن فعلاء لان قياس جمعه فعل بسكون العين كحمراء وحمر ولا يطرأ الضم فلو كان كما قال لم تضم شينها والله تعالى أعلم * قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو

(قلت) فيه ثلاثة أوجه أحدها آمنوا أى نطقوا بكلمة الشهادة وفعلوا كما يفعل من يدخل فى الاسلام ثم كفروا ثم ظهر كفرهم بعد ذلك وتبين بما أطلع عليه من قولهم ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن حمير وقولهم فى غزوة تبوك أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى وقيصر هيهات ونحوه قوله تعالى يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم أى وظهر كفرهم بعد أن أسلموا ونحوه قوله تعالى لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم والثانى آمنوا أى نطقوا بالايمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم استهزاء بالاسلام كقوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا الى قوله تعالى انما نحن مستهزؤن والثالث أن يراد أهل الردة منهم * وقرئ فطبع على قلوبهم وقرأ زيد بن على فطبع الله * كان عبد الله بن أبى رجلا جسيما صبيحا فصيحا ذلق اللسان وقوم من المنافقين فى مثل صفته وهم رؤساء المدينة وكانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيستندون فيه ولهم جهارة المناظر وفصاحة الالسن فكان النبى صلى الله عليه وسلم ومن حضر يعجبون بهياكلهم ويسمعون الى كلامهم (فان قلت) ما معنى قوله (كأنهم خشب مسندة) (قلت) شبهوا فى استنادهم وما هم الا أجرام خالية عن الايمان والخير بالخشب المسندة الى الحائط ولان الخشب اذا انتفع به كان فى سقف أو جدار أو غيرهما من مظان الانتفاع وما دام متروكا فارغا غير منتفع به أسند الى الحائط فشبهوا به فى عدم الانتفاع ويجوز أن يراد بالخشب المسندة الاصنام المنحوتة من الخشب المسندة الى الحيطان شبهوا بها فى حسن صورهم وقلة جدواهم * والخطاب فى رأيتهم تعجبك لرسول الله أو لكل من يخاطب * وقرئ يسمع على البناء للمفعول وموضع كأنهم خشب رفع على هم كأنهم خشب أو هو كلام مستأنف لا محل له * وقرئ خشب جمع خشبة كبدنة وبدن وخشب كثمرة وثمر وخشب كمدرة ومدر وهى فى قراءة ابن عباس وعن اليزيدى أنه قال فى خشب جمع خشباء والخشباء الخشبة التى دعر جوفها شبهوا بها فى نفاقهم وفساد بواطنهم (عليهم) ثانى مفعولى يحسبون أى يحسبون كل صيحة واقعة عليهم وضارة لهم لجبنهم وهلعهم وما فى قلوبهم من الرعب اذا نادى مناد فى العسكر أو انفلتت دابة أو أنشدت ضالة ظنوه ايقاعا بهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم ما يهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم ومنه أخذ الاخطل

مازلت تحسب كل شئ بعدهم * خيلا تكر عليهم ورجالا

يوقف على عليهم ويبتدأ (هم العدو) أى الكاملون فى العداوة لان أعدى الاعداء العدو المداجى الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى (فاحذرهم) ولا تغترر بظاهرهم ويجوز أن يكون هم العدو المفعول الثانى كما لو طرحت الضمير (فان قلت) فحقه أن يقال هى العدو (قلت) منظور فيه الى الخبر كما ذكر فى هذا ربى وأن يقدر مضاف محذوف على يحسبون كل أهل صيحة (قاتلهم الله) دعاء عليهم وطلب من ذاته أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك (أنى يؤفكون) كيف يعدلون عن الحق تعجبا من جهلهم وضلالتهم (لووا رؤسهم) عطفوها وأمالوها اعراضا عن ذلك واستكبارا قرئ بالتخفيف والتشديد للتكثير * روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين لقى بنى المصطلق على المريسيع وهو ماء لهم وهزمهم وقتل منهم ازدحم على الماء جهجاه بن سعيد أجير لعمر يقود فرسه وسنان الجهنى حليف لعبد الله بن أبى واقتتلا فصرخ جهجاه بالمهاجرين وسنان بالانصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سنانا فقال عبد الله لجعال وأنت هناك وقال ما صحبنا محمدا الا لنلطم والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قال سمن كلبك يأكلك أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل عنى بالاعز نفسه وبالاذل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال لقومه ماذا فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم أما والله لو أمسكتم عن جعال وذويه فضل الطعام لم يركبوا رقابكم ولأوشكوا أن يتحولوا عنكم فلا تنفقوا عليهم حتى ينفضوا من حول محمد فسمع بذلك زيد بن أرقم وهو حدث فقال أنت والله الذليل القليل المبغض فى قومك ومحمد فى عز من الرحمن وقوة من

(قال المفعول الثانى عليهم تقديره واقعة عليهم الخ) قال أحمد وغلا المتنبى فى المعنى فقال

وضاقت الارض حتى صار هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

عاد كلامه (قال) ويوقف على قوله عليهم ويبتدأ هم العدو أى الاعداء الكاملون الخ

المسلمين فقال عبد الله اسكت فانما كنت ألعب فأخبر زيد رسول الله فقال عمر دعني أضرب عنق هذا المنافق يارسول الله فقال اذن ترعد أنف كثيرة بيثرب قال فان كرهت أن يقتله مهاجري فأمر به أنصاريا فقال فكيف اذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه وقال عليه الصلاة والسلام لعبد الله أنت صاحب الكلام الذي بلغني قال والله الذي أنزل عليك الكتاب ماقلت شيأ من ذلك وان زيدا لكاذب فهو قوله تعالى اتخذوا أيمانهم جنة فقال الحاضرون يارسول الله شيخنا وكبيرنا لاتصدق عليه كلام غلام عسى أن يكون قد وهم وروى أن رسول الله قال له لعلك غضبت عليه قال لا قال فلعله أخطأ سمعك قال لا قال فلعله شبه عليك قال لا فلما نزلت لحق رسول الله زيدا من خلفه فعرك أذنه وقال وفت أذنك ياغلام ان الله قد صدقك وكذب المنافقين ولما أراد عبد الله أن يدخل المدينة اعترضه ابنه حباب وهو عبد الله بن عبد الله غير رسول الله اسمه وقال ان حبابا اسم شيطان وكان مخلصا وقال وراءك والله لاتدخلها حتى تقول رسول الله الاعز وأنا الاذل فلم يزل حبيسا في يده حتى أمره رسول الله بتخليته وروى أنه قال له لئن لم تقر لله ورسوله بالعز لأضربن عنقك فقال ويحك أفاعل أنت قال نعم فلما رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال رسول الله لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيرا فلما بان كذب عبد الله قيل له قد نزلت فيك آي شداد فاذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغفر لك فلوى رأسه ثم قال أمرتموني أن أومن فآمنت وأمرتموني أن أزكي مالي فزكيت فما بقي الا أن أسجد لمحمد فنزلت واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله ولم يلبث الا أياما قلائل حتى اشتكى ومات (سواء عليهم) الاستغفار وعدمه لانهم لايلتفتون اليه ولا يعتدون به لكفرهم أو لان الله لايغفر لهم * وقرئ استغفرت على حذف حرف الاستفهام لان أم المعادلة تدل عليه وقرأ أبو جعفر آستغفرت اشباعا لهمزة الاستفهام للاظهار والبيان لاقلبا لهمزة الوصل ألفا كما في آلسحر وآلله (ينفضوا) يتفرقوا وقرئ ينفضوا من أنفض القوم اذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم (ولله خزائن السموات والارض) وبيده الارزاق والقسم فهو رازقهم منها وان أبى أهل المدينة أن ينفقوا عليهم ولكن عبد الله وأضرابه جاهلون (لايفقهون) ذلك فيهذون بما يزين لهم الشيطان * وقرئ ليخرجن الاعز منها الاذل بفتح الياء وليخرجن على البناء للمفعول وقرأ الحسن وابن أبي عبلة لنخرجن بالنون ونصب الاعز والاذل ومعناه خروج الاذل او اخراج الاذل أو مثل الاذل (ولله العزة) الغلبة والقوة ولمن أعزه الله وأيده من رسوله ومن المؤمنين وهم الاخصاء بذلك كما أن المذلة والهوان للشيطان وذويه من الكافرين والمنافقين وعن بعض الصالحات وكانت في هيئة رثة ألست على الاسلام وهو العز الذي لاذل معه والغنى الذي لافقر معه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رجلا قال له ان الناس يزعمون أن فيك تيها قال ليس بتيه ولكنه عزة وتلا هذه الآية (لاتلهكم) لاتشغلكم (أموالكم) والتصرف فيها والسعي في تدبير أمرها والتهالك على طلب النماء فيها بالتجارة والاغتلال وابتغاء النتاج والتلذذ بها والاستمتاع بمنافعها (ولا أولادكم) وسروركم بهم وشفقتكم عليهم والقيام بمؤنهم وتسوية مايصلحهم من معايشهم في حياتكم وبعد مماتكم وقد عرفتم قدر منفعة الاموال والاولاد وأنه أهون شئ وأدونه في جنب ماعند الله (عن ذكر الله) وايثاره عليها (ومن يفعل ذلك) يريد الشغل بالدنيا عن الدين (فأولئك هم الخاسرون) في تجارتهم حيث باعوا العظيم الباقي بالحقير الفاني وقيل ذكر الله الصلوات الخمس وعن الحسن جميع الفرائض كأنه قال عن طاعة الله وقيل القرآن وعن الكلبي الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم * من في (مما رزقناكم) للتبعيض والمراد الانفاق الواجب (من قبل أن يأتي أحدكم الموت) من قبل أن يرى دلائل الموت ويعاين مايأس معه من الامهال ويضيق به الخناق ويتعذر عليه الانفاق ويفوت وقت القبول فيتحسر على المنع ويعض أنامله على فقد ما كان متمكنا منه وعن ابن عباس رضي الله عنه تصدقوا قبل أن ينزل عليكم سلطان الموت فلا تقبل توبة ولا ينفع عمل وعنه مايمنع أحدكم اذا كان له مال أن يزكي واذا أطاق الحج أن يحج من قبل أن يأتيه الموت فيسأل ربه الكرة فلا يعطاها وعنه أنها نزلت في مانعي الزكاة ووالله لو رأى خيرا لما سأل الرجعة فقيل له أما تتقي الله يسأل

سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ان الله لايهدي القوم الفاسقين هم الذين يقولون لاتنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لايفقهون يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب

المؤمنون الكرة قال نعم أنا أقرأ عليكم به قرآنا يعني أنها نزلت في المؤمنين وهم المخاطبون بها وكذا عن الحسن مامن أحد لم يزك ولم يصم ولم يحج الا سأل الرجعة وعن عكرمة أنها نزلت في أهل القبلة (لولا أخرتني) وقرئ أخرتني يريد هلا أخرت موتي (الى أجل قريب) الى زمان قليل (فأصدق) وقرأ أبي فأتصدق على الاصل وقرئ وأكن عطفا على محل فأصدق كأنه قيل ان أخرتني أصدق وأكن ومن قرأ وأكون على النصب فعلى اللفظ وقرأ عبيد بن عمير وأكون على وأنا أكون عدة منه بالصلاح (ولن يؤخر الله) نفي للتأخير على وجه التأكيد الذي معناه منافاة المنفي الحكمة والمعنى أنكم اذا علمتم أن تأخير الموت عن وقته مما لاسبيل اليه وأنه هاجم لامحالة وأن الله عليم بأعمالكم فمجاز عليها من منع واجب وغيره لم يبق الا المسارعة الى الخروج عن عهدة الواجبات والاستعداد للقاء الله * وقرئ تعملون بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برئ من النفاق

سورة التغابن مختلف فيها وهي ثماني عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

* قدم الظرفان ليدل بتقديمهما على معنى اختصاص الملك والحمد بالله عز وجل وذلك لان الملك على الحقيقة له لانه مبدئ كل شئ ومبدعه والقائم به والمهيمن عليه وكذلك الحمد لان أصول النعم وفروعها منه وأما ملك غيره فتسليط منه واسترعاء وحمده اعتداد بان نعمة الله جرت على يده (هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن) يعني فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان وفاعل له كقوله تعالى وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون والدليل عليه قوله تعالى (والله بما تعملون بصير) أي عالم بكفركم وايمانكم اللذين هما من عملكم والمعنى هو الذي تفضل عليكم باصل النعم الذي هو الخلق والايجاد عن العدم فكان يجب أن تنظروا النظر الصحيح وتكونوا باجمعكم عبادا شاكرين فما فعلتم مع تمكنكم بل تشعبتم شعبا وتفرقتم أمما فمنكم كافر ومنكم مؤمن وقدم الكفر لانه الاغلب عليهم والاكثر فيهم وقيل هو الذي خلقكم فمنكم كافر بالخلق وهم الدهرية ومنكم مؤمن به (فان قلت) نعم ان العباد هم الفاعلون للكفر ولكن قد سبق في علم الحكيم أنه اذا خلقهم لم يفعلوا الا الكفر ولم يختاروا غيره فما دعاه الى خلقهم مع علمه بما يكون منهم وهل خلق القبيح وخلق فاعل القبيح الا واحد وهل مثله الا مثل من وهب سيفا باترا لمن شهر بقطع السبيل وقتل النفس المحرمة فقتل به مؤمنا أما يطبق العقلاء على ذم الواهب وتعنيفه والدق في فروته كما يذمون القاتل بل انحاؤهم باللوائم على الواهب أشد (قلت) قد علمنا أن الله حكيم عالم بقبح القبيح عالم بغناه عنه فقد علمنا أن أفعاله كلها حسنة وخلق فاعل القبيح فعله فوجب أن يكون حسنا وأن يكون له وجه حسن وخفاء وجه الحسن علينا لايقدح في حسنه كما لايقدح في حسن أكثر مخلوقاته جهلنا بداعي الحكمة الى خلقها (بالحق) بالغرض الصحيح والحكمة البالغة وهو أن جعلها مقار المكلفين ليعملوا فيجازيهم (وصوركم فأحسن صوركم) وقرئ صوركم بالكسر لتشكروا * واليه مصيركم فجزاؤكم على الشكر والتفريط فيه (فان قلت) كيف أحسن صورهم (قلت) جعلهم أحسن الحيوان كله وأبهاه بدليل أن الانسان لايتمنى أن تكون صورته على خلاف مايرى من سائر الصور ومن حسن صورته أنه خلق منتصبا غير منكب كما قال عز وجل في أحسن تقويم (فان قلت) فكم من دميم مشوه الصورة سمج الخلقة تقتحمه العيون (قلت) لاسماجة ثم ولكن

لولا أخرتني الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون

سورة التغابن وهي ثماني عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم) يسبح لله مافي السموات ومافي الارض له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير خلق السموات والارض بالحق وصوركم فأحسن صوركم واليه المصير يعلم مافي السموات والارض ويعلم ماتسرون وماتعلنون والله عليم

القول في سورة التغابن (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن (قال فيه معناه فمنكم آت بالكفر وفاعل له ومنكم آت بالايمان الخ) قال أحمد لقد ركب عمياء وخبط خبط عشواء واقتحم وعرا السالك فيه هالك والعاثر فيه عاثر وانما ينصب الى مهاوي الاراك ويحوم حول مراتع الاشراك ويبحث ولكن على حتفه بظلفه ويتحذق وماهو الا يتندق ويتحقق وماهو الا يتعسق وهب أنه أعرض عن الادلة العقلية والنصوص النقلية المتظافرة على ان الله تعالى خالق كل شئ واطرد له في الشاهد مادعاه ومن مذهبه قياس الغائب على الشاهد قد التجأ الى الاعتراف بأن الله خالق العبد الفاعل للقبيح وان خلق العبد الفاعل للقبيح بمثابة اعطاء السيف الباتر للرجل الفاجر وان هذا قبيح شاهدا ولا يلزم أن يكون مثله قبيحا في خلق الله تعالى أفلا يجوز أن يكون منطويا على حكمة استأثر الله تعالى بعلمها فما يؤمنه من دعوى أن أفعال العبد وان استقبحها العقلاء مخلوقة لله تعالى وفي خلقها حكمة استأثر الله بعلمها وهل الفرق اذا الا عين التحكم ونفس اتباع الهوى هذا ودون تمكنه من اتباع

هذه القواعد ان يمكن من القتاد اختراط (١٩٢) ومن الجمل ان يلج فى سم الخياط * قوله تعالى واستغنى الله (قال فيه أطلقه ليتناول كل شىء ثم قال فان قلت كان التولى فيهم الخ) قال أحمد انما الحق انه لم يخلق لهم ايمانا ولا قدرة عليه فكان قادرا ان يخلق لهم الايمان والقدرة عليه وانما حرفها الزمخشرى الى قاعدته

بذات الصدور ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم ذلك بأنهم كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا أبشر يهدوننا فكفروا وتولوا واستغنى الله والله غنى حميد زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا والله بما تعملون خبير يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيآته ويدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير ما أصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شىء عليم وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل المؤمنون

يعادون

الحسن كغيره من المعانى على طبقات ومراتب فلانحطاط بعض الصور عن مراتب ما فوقها انحطاطا بينا واضافتها الى الموفى عليها لا تستملح والا فهى داخلة فى حيز الحسن غير خارجة عن حده ألا ترى أنك قد تعجب بصورة وتستملحها ولا ترى الدنيا بها ثم ترى أملح وأعلى فى مراتب الحسن منها فينبو عن الاولى طرفك وتستثقل النظر اليها بعد افتتانك بها وتهالكك عليها وقالت الحكماء شيآن لا غاية لهما الجمال والبيان * نبه بعلمه ما فى السموات والارض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصدور أن شيأ من الكليات والجزئيات غير خاف عليه ولا عازب عنه فحقه أن يتقى ويحذر ولا يجترأ على شىء مما يخالف رضاه وتكرير العلم فى معنى تكرير الوعيد وكل ما ذكره بعد قوله تعالى فمنكم كافر ومنكم مؤمن كما ترى فى معنى الوعيد على الكفر وانكار أن يعصى الخالق ولا تشكر نعمته فما أجهل من يمزج الكفر بالخلق ويجعله من جملته والخلق أعظم نعمة من الله على عباده والكفر أعظم كفران من العباد لربهم (ألم يأتكم) الخطاب لكفار مكة و (ذلك) اشارة الى ما ذكر من الوبال الذى ذاقوه فى الدنيا وما أعدلهم من العذاب فى الآخرة (بانه) بان الشأن والحديث (كانت تأتيهم رسلهم * أبشر يهدوننا) أنكروا أن تكون الرسل بشرا ولم ينكروا أن يكون الله حجرا (واستغنى الله) أطلق ليتناول كل شىء ومن جملته ايمانهم وطاعتهم (فان قلت) قوله وتولوا واستغنى الله يوهم وجود التولى والاستغناء معا والله تعالى لم يزل غنيا (قلت) معناه وظهر استغناء الله حيث لم يلجئهم الى الايمان ولم يضطرهم اليه مع قدرته على ذلك * الزعم ادعاء العلم ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب وعن شريح لكل شىء كنية وكنية الكذب زعموا وتعدى الى المفعولين تعدى العلم قال ولم أزعمك عن ذلك معزلا * وأن مع ما فى حيزه قائم مقامهما * والذين كفروا أهل مكة و (بلى) اثبات لما بعد لن وهو البعث (وذلك على الله يسير) أى لا يصرفه عنه صارف * وعنى برسوله والنور محمدا صلى الله عليه وسلم والقرآن * وقرئ نجمعكم ونكفر وندخله بالياء والنون (فان قلت) بم انتصب الظرف (قلت) بقوله لتنبؤن أو بخبير لما فيه من معنى الوعيد كانه قيل والله معاقبكم يوم يجمعكم أو باضمار اذكر (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الاولون والآخرون * التغابن مستعار من تغابن القوم فى التجارة وهو أن يغبن بعضهم بعضا لنزول السعداء منازل الاشقياء التى كانوا ينزلونها لو كانوا سعداء ونزول الاشقياء منازل السعداء التى كانوا ينزلونها لو كانوا أشقياء وفيه تهكم بالاشقياء لان نزولهم ليس بغبن وفى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد يدخل الجنة الا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا وما من عبد يدخل النار الا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة ومعنى (ذلك يوم التغابن) وقد يتغابن الناس فى غير ذلك اليوم استعظام له وأن تغابنه هو التغابن فى الحقيقة لا التغابن فى أمور الدنيا وان جلت وعظمت (صالحا) صفة للمصدر أى عملا صالحا (الا باذن الله) الا بتقديره ومشيئته كانه أذن للمصيبة أن تصيبه (يهد قلبه) يلطف به ويشرحه للازدياد من الطاعة والخير وقيل هو الاسترجاع عند المصيبة وعن الضحاك يهد قلبه حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وعن مجاهد ان ابتلى صبر وان أعطى شكر وان ظلم غفر * وقرئ يهد قلبه على البناء للمفعول والقلب مرفوع أو منصوب ووجه النصب أن يكون مثل سفه نفسه أى يهد فى قلبه ويجوز أن يكون المعنى أن الكافر ضال عن قلبه بعيد منه والمؤمن واجد له مهتد اليه كقوله تعالى لمن كان له قلب وقرئ نهد قلبه بالنون ويهدأ قلبه بمعنى يهتد ويهدأ قلبه يطمئن ويهدو ويهدا على التخفيف (والله بكل شىء عليم) يعلم ما يؤثر فيه اللطف من القلوب مما لا يؤثر فيه فيمنحه ويمنعه (فان توليتم) فلا عليه اذا توليتم لانه لم يكتب عليه طاعتكم انما كتب عليه أن يبلغ ويبين فحسب (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) بعث لرسول الله صلى الله عليه وسلم على التوكل عليه والتقوى به فى أمره حتى ينصره على من كذبه وتولى عنه * ان من الازواج أزواجا يعادين بعولتهن ويخاصمنهم ويجلبن عليهم ومن الاولاد أولادا

﴿القول فى سورة الطلاق﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قوله تعالى يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن (قال فيه خص النبى صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب الخ) قال أحمد وعلى هذا الفرق جرى قوله تعالى حكاية عن فرعون قال فمن ربكما يا موسى فافرد موسى عليه السلام بالنداء لانه كان أجل الاثنين عليهما السلام وعمهما بالخطاب وقد تقدم فيه وجه آخر * عاد كلامه (قال ومعنى فطلقوهن مستقبلات لعدتهن الخ) قال أحمد حمل القراءتين المستفيضة والشاذة على (١٩٣) ان وقت الطلاق هو الوقت الذى تكون العدة مستقبلة بالنسبة اليه وادعى أن ذلك معنى المستقبل فيها ونظر اللام فيها باللام فى قولك مؤرخا الليلة لليلة بقيت من المحرم وانما يعنى ان العدة بالحيض كل ذلك تحامل لمذهب أبى حنيفة فى ان الاقراء الحيض ولا يتم له ذلك فقد استدل أصحابنا بالقراءة المستفيضة وأكدوا الدلالة بالشاذة على أن الاقراء الاطهار ووجه الاستدلال بها على ذلك أن الله تعالى جعل العدة وان كانت فى الاصل مصدرا ظرفا للطلاق المأمور به وكثيرا ما تستعمل العرب المصادر ظرفا مثل خفوق النجم ومقدم الحاج واذا كانت العدة ظرفا للطلاق المأمور به وزمانه هو الطهر وفاقا فالطهر عدة اذا ونظير اللام هنا على التحقيق اللام فى قوله يا ليتنى قدمت

يا أيها الذين آمنوا ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم انما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لانفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم

(سورة الطلاق مدنية وهى احدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن

يعادون آباءهم ويعقونهم ويجرعونهم الغصص والاذى (فاحذروهم) الضمير للعدو أو للازواج والاولاد جميعا أى لما علمتم أن هؤلاء لا يخلون من عدو فكونوا منهم على حذر ولا تأمنوا غوائلهم وشرهم (وان تعفوا) عنهم اذا اطلعتم منهم على عداوة ولم تقابلوهم بمثلها فان الله يغفر لكم ذنوبكم ويكفر عنكم وقيل ان ناسا أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقون وتضيعوننا فرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا الذين سبقوهم قد فقهوا فى الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا أن يعفوا عنهم ويردوا اليهم البر والصلة وقيل كان عوف بن مالك الاشجعى ذا أهل وولد فاذا أراد أن يغزو تعلقوا به وبكوا اليه ورققوه فكأنه هم بأذاهم فنزلت (فتنة) بلاء ومحنة لانهم يوقعون فى الاثم والعقوبة ولا بلاء أعظم منهما ألا ترى الى قوله (والله عنده أجر عظيم) وفى الحديث يؤتى برجل يوم القيامة فيقال أكل عياله حسناته وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يخطب فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان فنزل اليهما فأخذهما ووضعهما فى حجره على المنبر فقال صدق الله انما أموالكم وأولادكم فتنة رأيت هذين الصبيين فلم أصبر عنهما ثم أخذ فى خطبته وقيل اذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل الى الاموال والاولاد عنهما (ما استطعتم) جهدكم ووسعكم أى ابذلوا فيها استطاعتكم (واسمعوا) ما توعظون به (وأطيعوا) فيما تؤمرون به وتنهون عنه (وأنفقوا) فى الوجوه التى وجبت عليكم النفقة فيها (خيرا لانفسكم) نصب بمحذوف تقديره ائتوا خيرا لانفسكم وافعلوا ما هو خير لها وأنفع وهذا تأكيد للحث على امتثال هذه الاوامر وبيان لان هذه الامور خير لانفسكم من الاموال والاولاد وما أنتم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا * وذكر القرض تلطف فى الاستدعاء (يضاعفه لكم) يكتب لكم بالواحدة عشرا وسبعمائة الى ما شاء من الزيادة وقرئ يضعفه (شكور) مجاز أى يفعل بكم ما يفعل المبالغ فى الشكر من عظيم الثواب وكذلك (حليم) يفعل بكم ما يفعل من يحلم عن المسىء فلا يعاجلكم بالعقاب مع كثرة ذنوبكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة

﴿سورة الطلاق مدنية وهى احدى عشرة أو اثنتا عشرة أو ثلاث عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* خص النبى صلى الله عليه وسلم بالنداء وعم بالخطاب لان النبى امام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت اظهارا لتقدمه واعتبارا لترؤسه وأنه مدره قومه ولسانهم والذى يصدرون عن رأيه ولا يستبدون بأمر دونه فكان هو وحده فى حكم كلهم وسادا مسد جميعهم ومعنى (اذا طلقتم النساء) اذا أردتم تطليقهن وهممتم به على تنزيل المقبل على الامر المشارف له منزلة الشارع فيه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه ومنه كان الماشى الى الصلاة والمنتظر لها فى حكم المصلى (فطلقوهن لعدتهن) فطلقوهن مستقبلات لعدتهن كقولك أتيته لليلة بقيت من المحرم أى مستقبلا لها وفى قراءة رسول الله

بلساني وانما تمنى أن لو عمل عملا في حياته وقراءته عليه السلام في قبل عدتهن تحقق ذلك * فان قبل الشيء جزء منه وداخل فيه وفي صفة مسح الرأس فأقبل بهما وأدبر أي مسح قبل الرأس وهو مقدمها فحينئذ قبل العدة جزء منها وهو الطهر * عاد كلامه (قال والمراد أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه الى آخره) قال أحمد الامر كما نقله وضابط السنة عند مالك أن يطلقها في طهر لم يجامعها فيه واحدة وهي غير معتدة والآية تدل لمذهبه على تأويل المتقدمين جميعا أما على تأويل الزمخشري وتفسيره المقيد بالاستقبال فلأن الطلاق المأمور به أي المأذون فيه في الآية مقيد بوقت تكون العدة مستقبلة بالنسبة اليه وهذا يأبى وقوع

وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا

الطلاق في أثناء العدة الماضي بعضها وأما على تأويلنا فلأنه مقيد بزمان يكون أولا للعدة وقبلا لها وهذا يأبى من وقوعه مرادفا في الطهر الثاني والثالث غير أن البدعة عند مالك تتفاوت فلا جرم قال ان طلقها في الحيض أجبر على الرجعة فان أبى ارتجع عليه الحاكم وان طلقها في طهر مسها فيه أو أردف الطلاق لم يجبره * قوله تعالى وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينة (قال فيه معناه أكملوا العدة أقراء ثلاثة مستوفاة) قال أحمد وقوله واتقوا الله ربكم توطئة لقوله لا تخرجوهن من بيوتهن حتى كأنه نهى عن الاخراج مرتين مندرجا في العموم ومفردا بالخصوص وقد تقدمت أمثاله

صلى الله عليه وسلم في قبل عدتهن واذا طلقت المرأة في الطهر المتقدم للقرء الاول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن في طهر لم يجامعن فيه ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة وأبعده من الندم ويدل عليه ما روي عن ابراهيم النخعي أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يستحبون أن لا يطلقوا أزواجهم للسنة الا واحدة ثم لا يطلقوا غير ذلك حتى تنقضي العدة وكان أحسن عندهم من أن يطلق الرجل ثلاثا في ثلاثة أطهار وقال مالك بن أنس رضي الله عنه لا أعرف طلاق السنة الا واحدة وكان يكره الثلاث مجموعة كانت أو متفرقة وأما أبو حنيفة وأصحابه فانما كرهوا ما زاد على الواحدة في طهر واحد فأما مفرقا في الاطهار فلا لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لابن عمر حين طلق امرأته وهي حائض ما هكذا أمرك الله انما السنة أن تستقبل الطهر استقبالا وتطلقها لكل قرء تطليقة وروي أنه قال لعمر مر ابنك فليراجعها ثم ليدعها حتى تحيض ثم تطهر ثم ليطلقها ان شاء فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء وعند الشافعي رضي الله عنه لا بأس بارسال الثلاث وقال لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح فمالك يراعي في طلاق السنة الواحدة والوقت وأبو حنيفة يراعي التفريق والوقت والشافعي يراعي الوقت وحده (فان قلت) هل يقع الطلاق المخالف للسنة (قلت) نعم وهو آثم لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا طلق امرأته ثلاثا بين يديه فقال أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم وفي حديث ابن عمر أنه قال يا رسول الله أرأيت لو طلقتها ثلاثا فقال له اذن عصيت وبانت منك امرأتك وعن عمر رضي الله عنه أنه كان لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثا الا أوجعه ضربا وأجاز ذلك عليه وعن سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين أن من خالف السنة في الطلاق فأوقعه في حيض أو ثلاث لم يقع وشبهوه بمن وكل غيره بطلاق السنة فخالف (فان قلت) كيف تطلق للسنة التي لا تحيض لصغر أو كبر أو حمل وغير المدخول بها (قلت) الصغيرة والآيسة والحامل كلهن عند أبي حنيفة وأبي يوسف يفرق عليهن الثلاث في الأشهر وخالفهما محمد وزفر في الحامل فقالا لا تطلق للسنة الا واحدة وأما غير المدخول بها فلا تطلق للسنة الا واحدة ولا يراعي الوقت (فان قلت) هل يكره أن تطلق المدخول بها واحدة بائنة (قلت) اختلفت الرواية فيه عن أصحابنا والظاهر الكراهة (فان قلت) قوله اذا طلقتم النساء عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الأقراء والآيسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الاقراء المدخول بهن (قلت) لا عموم ثم ولا خصوص ولكن النساء اسم جنس للاناث من الانس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز أن يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل فطلقوهن لعدتهن علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض (وأحصوا العدة) واضبطوها بالحفظ وأكملوها ثلاثة أقراء مستقبلات كوامل لا نقصان فيهن (ولا تخرجوهن) حتى تنقضي عدتهن (من بيوتهن) من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة وهي بيوت الازواج وأضيفت اليهن لاختصاصها بهن من حيث السكنى (فان قلت) ما معنى الجمع بين اخراجهم وخروجهن (قلت) معنى الاخراج أن لا يخرجهن البعولة غضبا عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم الى المساكن وأن لا يأذنوا لهن في الخروج اذا طلبن ذلك ايذانا بأن اذنهم لا أثر له في رفع الحظر ولا يخرجن بأنفسهن ان أردن ذلك (الا أن يأتين بفاحشة مبينة) قرئ بفتح الياء وكسرها قيل هي الزنا يعني الا أن يزنين فيخرجن لاقامة الحد عليهن وقيل الا أن يطلقن على النشوز والنشوز يسقط حقها في

السكنى

* قوله تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره (قال فيه قوله بالغ أمره بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه الخ) قال أحمد ليس بعشك فادرجي أي القدري التسليم للقدر وليس هذا دينه ولا معتقده من تقسيم الحوادث ثلاثة أقسام فمنها ما يريد الله تعالى وجوده وهو المأمورات ولا يقع أكثر مراده منها ومنها ما يريد عدمه وهو المنهيات فيوجد أكثرها على خلاف مراده ومنها ما لا يريد عدمه ولا وجوده فان وجد فبغير ارادته عز وجل وان عدم فكذلك فيتحصل من هذا الهذيان الذي لا يتصور أن الكائنات انما تتبع ارادة الخلق لانها لا تقع

فاذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شئ قدرا واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن

الا بها فان وافقت ارادة الله تعالى فليس وقوعها تابعا لها لانها وقعت بدونها وان خالفت ارادة الله تعالى لم يكن لمخالفتها للارادة الربانية تأثير في منع وقوعها فمن يتوغل في أدغال هذا الضلال كيف له بالتوكل الذي يتوقف على اعتقاد أن الكائنات جميعها انما تتوقف على ارادة الله عز وجل فمهما أراده وقع ومهما لم يرده لم يقع شاء العبد أو أبى فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن والعبد مجرى لحدوث الكائنات الواقعة بقدرة الله تعالى وارادته لا غير لا راد لامره ولا معقب لحكمه فما للقدري من هذا المقام الشريف الا على مراحل لا يقربه اليها الا راحلة

السكنى وقيل الا أن يبذون فيحل اخراجهن لبذائهن وتؤكده قراءة أبي الا أن يفحشن عليكم وقيل خروجها قبل انقضاء العدة فاحشة في نفسه * الامر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه من بغضها الى محبتها ومن الرغبة عنها الى الرغبة فيها ومن عزيمة الطلاق الى الندم عليه فيراجعها والمعنى فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة لعلكم ترغبون وتندمون فتراجعون (فاذا بلغن أجلهن) وهو آخر العدة وشارفنه فأنتم بالخيار ان شئتم فالرجعة والامساك بالمعروف والاحسان وان شئتم فترك الرجعة والمفارقة واتقاء الضرار وهو أن يراجعها في آخر عدتها ثم يطلقها تطويلا للعدة عليها وتعذيبا لها (وأشهدوا) يعني عند الرجعة والفرقة جميعا وهذا الاشهاد مندوب اليه عند أبي حنيفة كقوله وأشهدوا اذا تبايعتم وعند الشافعي هو واجب في الرجعة مندوب اليه في الفرقة وقيل فائدة الاشهاد أن لا يقع بينهما التجاحد وأن لا يتهم في امساكها ولئلا يموت أحدهما فيدعي الباقي ثبوت الزوجية ليرث (منكم) قال الحسن من المسلمين وعن قتادة من أحراركم (لله) لوجهه خالصا وذلك أن تقيموها لا للمشهود له ولا للمشهود عليه ولا لغرض من الاغراض سوى اقامة الحق ودفع الظلم كقوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم * أي (ذلكم) الحث على اقامة الشهادة لوجه الله ولاجل القيام بالقسط (يوعظ به * ومن يتق الله) يجوز أن تكون جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق من اجراء أمر الطلاق على السنة وطريقه الاحسن والابعد من الندم ويكون المعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فأشهد (يجعل) الله (له مخرجا) مما في شأن الازواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه وينفس ويعطه الخلاص (ويرزقه) من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه ان أوفى المهر وأدى الحقوق والنفقات وقل ماله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عمن طلق ثلاثا أو ألفا هل له من مخرج فتلاها وعن ابن عباس أنه سئل عن ذلك فقال لم تتق الله فلم يجعل لك مخرجا بانت منك بثلاث والزيادة اثم في عنقك ويجوز أن يجاء بها على سبيل الاستطراد عند ذكر قوله ذلكم يوعظ به يعني ومن يتق الله يجعل له مخرجا ومخلصا من غموم الدنيا والآخرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة وقال عليه السلام اني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها وروي أن عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله فقال أسر ابني وشكا اليه الفاقة فقال ما أمسى عند آل محمد الا مد فاتق الله واصبر وأكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله ففعل فبينما هو في بيته اذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الابل تغفل عنها العدو فاستاقها فنزلت هذه الآية (بالغ أمره) أي يبلغ ما يريد لا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرئ بالغ أمره بالاضافة وبالغ أمره بالرفع أي نافذ أمره وقرأ المفضل بالغا أمره على أن قوله (قد جعل الله) خبر ان وبالغا حال (قدرا) تقديرا وتوقيتا وهذا بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الامر اليه لانه اذا علم أن كل شئ من الرزق ونحوه لا يكون الا بتقديره وتوقيته لم يبق الا التسليم للقدر والتوكل * روي أن ناسا قالوا قد عرفنا عدة ذوات الاقراء فما عدة اللائي لا يحضن فنزلت فمعنى (ان ارتبتم) ان أشكل عليكم حكمهن وجهلتم كيف يعتددن فهذا حكمهن وقيل ان ارتبتم في دم البالغات مبلغ اليأس وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين أهو دم حيض أو استحاضة (فعدتهن ثلاثة أشهر) واذا كانت هذه عدة المرتاب بها فغير المرتاب بها أولى بذلك (واللائي لم يحضن) هن الصغائر والمعنى فعدتهن ثلاثة أشهر فحذف لدلالة المذكور عليه * اللفظ مطلق في أولات الاحمال فاشتمل على المطلقات والمتوفى عنهن

الانصاف وزاد التقوى ودليل التوفيق والله حسبنا ونعم الوكيل * قوله تعالى أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم الى قوله وان كن أولات حمل الآية (قال أحمد) لا يخفى على المتأمل لهذه الآى ان المبتوتة غير الحامل لا نفقة لها لان الآى سيقت لبيان الواجب فاوجب السكنى لكل معتدة تقدم ذكرها ولم يوجب سواها ثم استثنى الحوامل فخصهن بايجاب النفقة لهن حتى يضعن حملهن وليس بعد هذا البيان بيان والقول
(١٩٦)
بعد ذلك بوجوب النفقة لكل معتدة مبتوتة حاملا أو غير حامل لا يخفى منافرته لنظم الآية والزمخشرى نصر مذهب أبى حنيفة فقال فائدة تخصيص الحوامل بالذكر أن الحمل ربما طال أمده فيتوهم متوهم أن النفقة لا تجب بطوله فخصت بالذكر تنبيها على قطع هذا الوهم وغرض الزمخشرى بذلك أن يحمل التخصيص على هذه الفائدة كيلا يكون له مفهوم فى

وكان ابن مسعود وأبى وأبو هريرة وغيرهم لا يفرقون وعن على وابن عباس عدة الحامل المتوفى عنها أبعد الاجلين وعن عبد الله من شاء لاعنته ان سورة النساء القصرى نزلت بعد التى فى البقرة يعنى أن هذا اللفظ مطلق فى الحوامل وروت أم سلمة أن سبيعة الاسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فانكحى (يجعل له من أمره يسرا) ييسر له من أمره ويحلل له من عقده بسبب التقوى (ذلك أمر الله) يريد ما علم من حكم هؤلاء المعتدات والمعنى ومن يتق الله فى العمل بما أنزل الله من هذه الاحكام وحافظ على الحقوق الواجبة عليه مما ذكر من الاسكان وترك الضرار والنفقة على الحوامل وايتاء أجر المرضعات وغير ذلك استوجب تكفير السيئات والاجر العظيم (أسكنوهن) وما بعده بيان لما شرط من التقوى فى قوله ومن يتق الله كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل أسكنوهن (فان قلت) من فى (من حيث سكنتم) ما هى (قلت) هى من التبعيضية مبعضها محذوف معناه أسكنوهن مكانا من حيث سكنتم أى بعض مكان سكناكم كقوله تعالى يغضوا من أبصارهم أى بعض أبصارهم قال قتادة ان لم يكن الا بيت واحد فأسكنها فى بعض جوانبه (فان قلت) فقوله (من وجدكم) (قلت) هو عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له كأنه قيل أسكنوهن مكانا من مسكنكم مما تطيقونه والوجد الوسع والطاقة وقرئ بالحركات الثلاث والسكنى والنفقة واجبتان لكل مطلقة وعند مالك والشافعى ليس للمبتوتة الا السكنى ولا نفقة لها وعن الحسن وحماد لا نفقة لها ولا سكنى لحديث فاطمة بنت قيس أن زوجها أبت طلاقها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم لا سكنى لك ولا نفقة وعن عمر رضى الله عنه لا ندع كتاب ربنا وسنة نبينا لقول امرأة لعلها نسيت أو شبه لها سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لها السكنى والنفقة (ولا تضاروهن) ولا تستعملوا معهن الضرار (لتضيقوا عليهن) فى المسكن ببعض الاسباب من انزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك حتى تضطروهن الى الخروج وقيل هو أن يراجعها اذا بقى من عدتها يومان ليضيق عليها أمرها وقيل هو أن يلجئها الى أن تفتدى منه (فان قلت) فاذا كانت كل مطلقة عندكم تجب لها النفقة فما فائدة الشرط فى قوله (وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن) (قلت) فائدته أن مدة الحمل ربما طالت فظن ظان أن النفقة تسقط اذا مضى مقدار عدة الحائل فنفى ذلك الوهم (فان قلت) فما تقول فى الحامل المتوفى عنها (قلت) مختلف فيها فأكثرهم على أنه لا نفقة لها لوقوع الاجماع على أن من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته فكذلك الحامل وعن على وعبد الله وجماعة أنهم أوجبوا نفقتها (فان أرضعن لكم) يعنى هؤلاء المطلقات ان أرضعن لكم ولدا من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية (فآتوهن أجورهن) حكمهن فى ذلك حكم الأظآر ولا يجوز عند أبى حنيفة وأصحابه رضى الله عنهم الاستئجار اذا كان الولد منهن ما لم يبن ويجوز عند الشافعى * الائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا اذا أمر بعضهم بعضا والمعنى وليأمر بعضكم بعضا والخطاب للآباء والامهات (بمعروف) بجميل وهو المسامحة وأن لا يماكس الاب ولا تعاسر الام لانه ولدهما معا وهما شريكان فيه وفى وجوب الاشفاق عليه (وان تعاسرتم فسترضع له أخرى) فستوجد ولا تعوز مرضعة غير الام ترضعه وفيه طرف من معاتبة الام على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها

وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتق الله يكفر عنه سيآته ويعظم له أجرا أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وان كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وان تعاسرتم فسترضع له أخرى

غيرك

اسقاط النفقة لغير الحوامل لان أبا حنيفة يسوى بين الجميع فى وجوب النفقة * عاد كلامه (قال وفى قوله وان تعاسرتم فسترضع له أخرى معاتبة للام على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة الخ) قال أحمد وخص الام بالمعاتبة لان المبذول من جهتها هو لبنها لولدها وهو غير متمول ولا مضنون به فى العرف وخصوصا فى الام على الولد ولا كذلك المبذول من جهة الاب فانه المال المضنون به عادة فالام اذا أجدى باللوم وأحق بالعتب والله أعلم

* قوله تعالى قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا (ذكر فيه ستة أوجه ابدال الرسول من الذكر لان انزاله فى معنى انزال الذكر الخ) قال أحمد وعلى هذين الوجهين الاخيرين يكون مفعولا اما بالفعل المحذوف أو بالمصدر وعلى الاربعة المتقدمة بدلا والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿القول فى سورة التحريم﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى يا أيها النبى لم تحرم
(١٩٧)
ما أحل الله لك تبتغى مرضات

غيرك تريدان تبقى غير مقضية وأنت ملوم وقوله له أى للاب أى سيجد الاب غير معاسرة ترضع له ولده ان عاسرته أمه (لينفق) كل واحد من الموسر والمعسر ما بلغه وسعه يريد ما أمر به من الانفاق على المطلقات والمرضعات كما قال ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره وقرئ لينفق بالنصب أى شرعنا ذلك لينفق وقرأ ابن أبى عبلة قدر (سيجعل الله) موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الازواج ان أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا (عتت عن أمر ربها) أعرضت عنه على وجه العتو والعناد (حسابا شديدا) بالاستقصاء والمناقشة (عذابا نكرا) وقرئ نكرا منكرا عظيما والمراد حساب الآخرة وعذابها وما يذوقون فيها من الوبال ويلقون من الخسر وجىء به على لفظ الماضى كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار ونحو ذلك لان المنتظر من وعد الله ووعيده ملقى فى الحقيقة وما هو كائن فكأن قد وقوله (أعد الله لهم عذابا شديدا) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقبا كأنه قال أعد الله لهم هذا العذاب فليكن لكم ذلك (يا أولى الالباب) من المؤمنين لطفا فى تقوى الله وحذر عقابه ويجوز أن يراد احصاء السيئات واستقصاؤها عليهم فى الدنيا واثباتها فى صحائف الحفظة وما أصيبوا به من العذاب فى العاجل وأن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جوابا لكأين (رسولا) هو جبريل صلوات الله عليه أبدل من ذكرا لانه وصف بتلاوة آيات الله فكان انزاله فى معنى انزال الذكر فصح ابداله منه أو أريد بالذكر الشرف من قوله وانه لذكر لك ولقومك فأبدل منه كأنه فى نفسه شرف اما لانه شرف للمنزل عليه واما لانه ذو مجد وشرف عند الله كقوله تعالى عند ذى العرش مكين أو جعل لكثرة ذكره لله وعبادته كأنه ذكر أو أريد ذا ذكر أى ملكا مذكورا فى السموات وفى الامم كلها أو دل قوله أنزل الله اليكم ذكرا على أرسل فكأنه قيل أرسل رسولا أو أعمل ذكرا فى رسولا اعمال المصدر فى المفاعيل أى أنزل الله أن ذكر رسولا أو ذكره رسولا وقرئ رسول على هو رسول * أنزله (ليخرج الذين آمنوا) بعد انزاله أى ليحصل لهم ما هم عليه الساعة من الايمان والعمل الصالح لانهم كانوا وقت انزاله غير مؤمنين وانما آمنوا بعد الانزال والتبليغ أو ليخرج الذين عرف منهم أنهم يؤمنون قرئ يدخله بالياء والنون (قد أحسن الله له رزقا) فيه معنى التعجب والتعظيم لما رزق المؤمن من الثواب (الله الذى خلق) مبتدأ وخبر * وقرئ مثلهن بالنصب عطفا على سبع سموات وبالرفع على الابتداء وخبره من الارض قيل ما فى القرآن آية تدل على أن الارضين سبع الا هذه وقيل بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وغلظ كل سماء كذلك والارضون مثل السموات (يتنزل الامر بينهن) أى يجرى أمر الله وحكمه بينهن وملكه ينفذ فيهن وعن قتادة فى كل سماء وفى كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرئ ينزل الامر وعن ابن عباس أن نافع بن الازرق سأله هل تحت الارضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال اما ملائكة أو جن (لتعلموا) قرئ بالتاء والياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿سورة التحريم مدنية وتسمى سورة النبى عليه السلام وهى ثنتا عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى فأخبرت به عائشة وكانتا

لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا وكأين من قرية عتت عن أمر ربها ورسله فحاسبناها حسابا شديدا وعذبناها عذابا نكرا فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولى الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا قد أحسن الله له رزقا الله الذى خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شئ قدير وأن الله قد أحاط بكل شئ علما

﴿سورة التحريم مدنية وهى ثنتا عشرة آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أزواجك (نقل فى سبب نزولها أنه عليه السلام خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على وقد حرمت مارية على نفسى الخ) قال أحمد ما أطلقه الزمخشرى فى حق النبى صلى الله عليه وسلم تقول وافتراء والنبى صلى الله عليه وسلم منه براء وذلك أن تحريم ما أحل الله على وجهين اعتقاد ثبوت حكم التحريم فيه فهذا بمثابة اعتقاد حكم التحليل فيما حرمه الله عز وجل وكلاهما محظور

لا يصدر من المتسمين بسمة الايمان وان صدر سلب المؤمن حكم الايمان واسمه الثاني الامتناع مما أحله عز وجل وحمل التحريم بمجرده صحيح لقوله وحرمنا عليه المراضع من قبل أي منعنا لا غير وقد يكون مؤكدا باليمين مع اعتقاد حله وهذا مباح صرف وحلال محض ولو كان على المنع ترك المباح والامتناع منه غير مباح استحالت حقيقة الحلال بلا اشكال فاذا علمت بون ما بين القسمين فعلى القسم الثاني تحمل الآية والتفسير الصحيح (١٩٨) يعضده فان النبي صلى الله عليه وسلم حلف بالله لا أقرب مارية ولما نزلت الآية كفر عن يمينه ويدل عليه قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم وقال مالك في المدونة عن زيد بن أسلم انما كفر النبي صلى الله عليه وسلم في تحريمه أم ولده لانه حلف أن لا يقربها ومثله عن الشعبي وهذا المقدار مباح ليس في ارتكابه جناح وانما قيل له لم تحرم ما أحل الله لك رفقا به وشفقة عليه وتنويها لقدره ولمنصبه صلى الله عليه وسلم أن يراعي مرضات أزواجه بما يشق عليه جريا على ما ألف من لطف الله تعالى بنبيه ورفعه عن أن يحرج بسبب أحد من البشر الذين هم أتباعه ومن أجله خلقوا ليظهر الله كمال نبوته بظهور نقصانهم عنه والزمخشري قطعا لم يحمل التحريم على هذا الوجه لانه جعله زلة فيلزمه أن يحمله على المحمل الاول ومعاذ الله وحاش لله وان آحاد المؤمنين يحاشى عن أن يعتقد تحريم ما أحل الله له فكيف لا يربأ بمنصب النبي عليه السلام عما يرتفع عنه منصب عامة الامة وما هذه من الزمخشري الا جراءة على الله ورسوله واطلاق القول من غير تحرير وابراز الرأي الفاسد بلا تخمير نعوذ بالله من ذلك وهو المسؤول أن يجعل وسيلتنا اليه تعظيم نبينا صلوات الله عليه وأن يجنبنا خطوات الشيطان ويقيلنا من عثرات اللسان آمين

يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ أسر النبي الى بعض أزواجه حديثا

متصادقتين وقيل خلا بها في يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه ومكث تسعا وعشرين ليلة في بيت مارية وروى أن عمر قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك فنزل جبريل عليه السلام وقال راجعها فانها صوامة قوامة وانها لمن نسائك في الجنة وروى أنه شرب عسلا في بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا له انا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره التفل فحرم العسل فمعناه (لم تحرم ما أحل الله لك) من ملك اليمين أو العسل و (تبتغي) اما تفسير لتحرم أو حال أو استئناف وكان هذا زلة منه لانه ليس لاحد أن يحرم ما أحل الله لان الله عز وجل انما أحل ما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في احلاله فاذا حرم كان ذلك قلب المصلحة مفسدة (والله غفور) قد غفر لك ما زللت فيه (رحيم) قد رحمك فلم يؤاخذك به (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) فيه معنيان أحدهما قد شرع الله لكم الاستثناء في أيمانكم من قولك حلل فلان في يمينه اذا استثنى فيها ومنه حلا أبيت اللعن بمعنى استثن في يمينك اذا أطلقها وذلك أن يقول ان شاء الله عقيبها حتى لا يحنث والثاني قد شرع الله لكم تحلتها بالكفارة ومنه قوله عليه السلام لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار الا تحلة القسم وقول ذي الرمة قليلا كتحليل الألى (فان قلت) ما حكم تحريم الحلال (قلت) قد اختلف فيه فأبو حنيفة يراه يمينا في كل شئ ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فاذا حرم طعاما فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها أو زوجة فعلى الايلاء منها اذا لم يكن له نية وان نوى الظهار فظهار وان نوى الطلاق فطلاق بائن وكذلك ان نوى ثنتين وان نوى ثلاثا فكما نوى وان قال نويت الكذب دين فيما بينه وبين الله تعالى ولا يدين في القضاء بابطال الايلاء وان قال كل حلال علي حرام فعلى الطعام والشراب اذا لم ينو والا فعلى ما نوى ولا يراه الشافعي يمينا ولكن سببا في الكفارة في النساء وحدهن وان نوى الطلاق فهو رجعي عنده وعن أبي بكر وعمر وابن عباس وابن مسعود وزيد رضي الله عنهم أن الحرام يمين وعن عمر اذا نوى الطلاق فرجعي وعن علي رضي الله عنه ثلاث وعن زيد واحدة بائنة وعن عثمان ظهار وكان مسروق لا يراه شيئا ويقول ما أبالي أحرمتها أم قصعة من ثريد وكذلك عن الشعبي قال ليس بشئ محتجا بقوله تعالى ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام وقوله تعالى لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم وما لم يحرمه الله تعالى فليس لاحد أن يحرمه ولا أن يصير بتحريمه حراما ولم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لما أحله الله هو حرام علي وانما امتنع من مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله عليه السلام والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له لم تحرم ما أحل الله لك أي لم تمتنع منه بسبب اليمين يعني أقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك ونحوه قوله تعالى وحرمنا عليه المراضع أي منعناه منها وظاهر قوله تعالى قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم أنه كانت منه يمين (فان قلت) هل كفر رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك (قلت) عن الحسن أنه لم يكفر لانه كان مغفورا له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وانما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعتق رقبة في تحريم مارية (والله مولاكم) سيدكم ومتولي أموركم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) فلا يأمركم ولا ينهاكم الا بما توجبه الحكمة وقيل مولاكم أولى بكم من أنفسكم فكانت نصيحته أنفع لكم من نصائحكم لانفسكم (بعض أزواجه) حفصة والحديث الذي أسر اليها حديث

مارية

قوله تعالى فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض (قال فيه ان قلت هلا (١٩٩) قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه وأجاب بأنه ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف الخ * قوله تعالى ان تتوبا الى الله الى قوله والملائكة بعد ذلك ظهير (قال فيه جاء على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما الخ * قوله تعالى عسى ربه ان طلقكن الآية (قال فيه ان قلت لم أخليت هذه الصفات من العاطف الخ) قال أحمد وقد ذكر لي الشيخ أبو عمرو بن الحاجب رحمه الله ان القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني الكاتب رحمه الله كان يعتقد أن الواو في الآية هي الواو التي سماها بعض ضعفة النحاة واو الثمانية لانها ذكرت مع الصفة الثامنة فكان الفاضل يتبجح باستخراجها زائدة على المواضع الثلاثة المشهورة أحدها التي في الصفة الثامنة من قوله التائبون

فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا يا أيها الذين آمنوا

مارية وامامة الشيخين (نبأت به) أفشته الى عائشة وقرئ أنبأت به (وأظهره) وأطلع النبي عليه السلام (عليه) على الحديث أي على افشائه على لسان جبريل وقيل أظهر الله الحديث على النبي صلى الله عليه وسلم من الظهور (عرف بعضه) أعلم ببعض الحديث تكرما قال سفيان ما زال التغافل من فعل الكرام وقرئ عرف بعضه أي جازى عليه من قولك للمسيء لأعرفن لك ذلك وقد عرفت ما صنعت ومنه أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم وهو كثير في القرآن وكان جزاؤه تطليقه اياها وقيل المعرف حديث الامامة والمعرض عنه حديث مارية وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لها ألم أقل لك اكتمي علي قالت والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله بها أباها (فان قلت) هلا قيل فلما نبأت به بعضهن وعرفها بعضه (قلت) ليس الغرض بيان من المذاع اليه ومن المعرف وانما هو ذكر جناية حفصة في وجود الانباء به وافشائه من قبلها وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرمه وحلمه لم يوجد منه الا الاعلام ببعضه وهو حديث الامامة ألا ترى أنه لما كان المقصود في قوله (فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا) ذكر المنبأ كيف أتى بضميره (ان تتوبا) خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ليكون أبلغ في معاتبتهما وعن ابن عباس لم أزل حريصا على أن أسأل عمر عنهما حتى حج وحججت معه فلما كان ببعض الطريق عدل وعدلت معه بالاداوة فسكبت الماء على يده فتوضأ فقلت من هما فقال عجبا يا ابن عباس كأنه كره ما سألته عنه ثم قال هما حفصة وعائشة (فقد صغت قلوبكما) فقد وجد منكما ما يوجب التوبة وهو ميل قلوبكما عن الواجب في مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه وقرأ ابن مسعود فقد زاغت (وان تظاهرا) وان تعاونا (عليه) بما يسوءه من الافراط في الغيرة وافشاء سره فلن يعدم هو من يظاهره وكيف يعدم المظاهر من الله مولاه أي وليه وناصره وزيادة هو ايذان بأن نصرته عزيمة من عزائمه وأنه يتولى ذلك بذاته (وجبريل) رأس الكروبيين وقرن ذكره بذكره مفردا له من بين الملائكة تعظيما له واظهارا لمكانته عنده (وصالح المؤمنين) ومن صلح من المؤمنين يعني كل من آمن وعمل صالحا وعن سعيد بن جبير من برئ منهم من النفاق وقيل الانبياء وقيل الصحابة وقيل الخلفاء منهم (فان قلت) صالح المؤمنين واحد أم جمع (قلت) هو واحد أريد به الجمع كقولك لا يفعل هذا الصالح من الناس تريد الجنس كقولك لا يفعله من صلح منهم ومثله قولك كنت في السامر والحاضر ويجوز أن يكون أصله صالحو المؤمنين بالواو فكتب بغير واو على اللفظ لان لفظ الواحد والجمع واحد فيه كما جاءت أشياء في المصحف متبوع فيها حكم اللفظ دون وضع الخط (والملائكة) على تكاثر عددهم وامتلاء السموات من جموعهم (بعد ذلك) بعد نصرة الله وناموسه وصالحي المؤمنين (ظهير) فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه (فان قلت) قوله بعد ذلك تعظيم للملائكة ومظاهرتهم وقد تقدمت نصرة الله وجبريل وصالح المؤمنين ونصرة الله تعالى أعظم وأعظم (قلت) مظاهرة الملائكة من جملة نصرة الله فكأنه فضل نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم على غيرها من وجوه نصرته تعالى لفضلهم على جميع خلقه وقرئ تظاهرا وتتظاهرا وتظهرا * قرئ يبدله بالتخفيف والتشديد للكثرة (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات (سائحات) صائمات وقرئ سيحات وهي أبلغ وقيل للصائم سائح لان السائح لا زاد معه فلا يزال ممسكا الى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في امساكه الى أن يجيء وقت افطاره وقيل سائحات مهاجرات وعن زيد بن أسلم لم تكن في هذه الأمة سائحة الا الهجرة (فان قلت) كيف تكون المبدلات خيرا منهن ولم تكن على وجه الارض نساء خير من أمهات المؤمنين (قلت) اذا طلقهن رسول الله لعصيانهن له وايذائهن اياه لم يبقين على تلك الصفة وكان غيرهن من الموصوفات بهذه الاوصاف مع الطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم والنزول على هواه ورضاه خيرا منهن وقد عرض بذلك في قوله قانتات لان القنوت هو القيام بطاعة الله وطاعة الله في طاعة رسوله (فان قلت) لم أخليت الصفات كلها عن العاطف ووسط بين الثيبات والابكار (قلت) لانهما صفتان متنافيتان لا يجتمعن فيهما اجتماعهن

العادون عند قوله والناهون عن المنكر والثانية فى قوله وثامنهم كلبهم والثالثة فى قوله وفتحت أبوابها قال الشيخ أبو عمرو بن الحاجب ولم يزل الفاضل يستحسن ذلك من نفسه الى أن ذكره يوما بحضرة أبى الجود النحوى المقرى فبين له أنه واهم فى عدها من ذلك القبيل وأحال البيان على المعنى الذى ذكره (٢٠٠) الزمخشرى من دعاء الضرورة الى الاتيان بها ههنا لامتناع اجتماع الصفتين فى موصوف

فى سائر الصفات فلم يكن بد من الواو (قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وفى الحديث رحم الله رجلا قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعهم معه فى الجنة وقيل ان أشد الناس عذابا يوم القيامة من جهل أهله وقرئ وأهلوكم عطفا على واو قوا وحسن العطف للفاصل (فان قلت) أليس التقدير قوا أنفسكم وليق أهلوكم أنفسهم (قلت) لا ولكن المعطوف مقارن فى التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده فكأنه قيل قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم لما جمعت مع المخاطب الغائب غلبته عليه فجعلت ضميرهما معا على لفظ المخاطب (نارا وقودها الناس والحجارة) نوعا من النار لا يتقد الا بالناس والحجارة كما يتقد غيرها من النيران بالحطب وعن ابن عباس رضى الله عنهما هى حجارة الكبريت وهى أشد الاشياء حرا اذا أوقد عليها وقرئ وقودها بالضم أى ذوو قودها (عليها) يلى أمرها وتعذيب أهلها (ملائكة) يعنى الزبانية التسعة عشر وأعوانهم (غلاظ شداد) فى أجرامهم غلظة وشدة أى جفاء وقوة أو فى أفعالهم جفاء وخشونة لا تأخذهم رأفة فى تنفيذ أوامر الله والغضب له والانتقام من أعدائه (ما أمرهم) فى محل النصب على البدل أى لا يعصون ما أمر الله أى أمره كقوله تعالى أفعصيت أمرى أو لا يعصونه فيما أمرهم (فان قلت) أليست الجملتان فى معنى واحد (قلت) لا فان معنى الاولى أنهم يتقبلون أوامره ويلتزمونها ولا يأبونها ولا ينكرونها ومعنى الثانية أنهم يؤدون ما يؤمرون به لا يتثاقلون عنه ولا يتوانون فيه (فان قلت) قد خاطب الله المشركين المكذبين بالوحى بهذا بعينه فى قوله تعالى فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة وقال أعدت للكافرين فجعلها معدة للكافرين فما معنى مخاطبته به المؤمنين (قلت) الفساق وان كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فانهم مساكنون الكفار فى دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مساكنة الكفار الذين أعدت لهم هذه النار الموصوفة ويجوز أن يأمرهم بالتوقى من الارتداد والندم على الدخول فى الاسلام وأن يكون خطابا للذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون ويعضد ذلك قوله تعالى على أثره (يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك عند دخولهم النار لا تعتذروا لانه لا عذر لكم أو لانه لا ينفعكم الاعتذار (توبة نصوحا) وصفت التوبة بالنصح على الاسناد المجازى والنصح صفة التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقها متداركة للفرطات ماحية للسيآت وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون فى قبيح من القبائح الى أن يعود اللبن فى الضرع موطنين أنفسهم على ذلك وعن على رضى الله تعالى عنه أنه سمع أعرابيا يقول اللهم انى أستغفرك وأتوب اليك فقال يا هذا ان سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال وما التوبة قال يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الاعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك فى طاعة الله كما ربيتها فى المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصى وعن حذيفة بحسب الرجل من الشر أن يتوب عن الذنب ثم يعود فيه وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وعن ابن السماك أن تنصب الذنب الذى أقللت فيه الحياء من الله أمام عينك وتستعد لمنتظرك وقيل توبة لا يتاب منها وعن السدى لا تصح التوبة الا بنصيحة النفس والمؤمنين لان من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله وقيل نصوحا من نصاحة الثوب

واحد وواو الثمانية ان ثبتت فانما ترد بحيث لا حاجة اليها الا للاشعار بتمام نهاية العدد الذى هو السبعة فانصفه الفاضل رحمه الله واستحسن ذلك منه وقال أرشدتنا يا أبا الجود * عاد كلامه (قال فى قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا قرئ وأهلوكم) قال أحمد

قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم انما تجزون ما كنتم تعملون يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا

ولكن المعطوف مقارن فى التقدير للواو وأنفسكم واقع بعده كأنه قال قوا أنتم وأهلوكم أنفسكم ولكن لما اجتمع ضمير المخاطب والغائبين غلب ضمير الخطاب على ضمير الغيبة ثم قال (فان قلت قوله لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون أليس الجملتان فى معنى واحد وأجاب بأن معنى الاولى انهم يلتزمون الاوامر ولا يأبونها الخ) قال أحمد جوابه الاول مفرع على قاعدته الفاسدة فى اعتقاد خلود الفساق فى جهنم ولعله انما أورد السؤال ليتكلف عنه بجواب ينفس عما فى نفسه مما لا يطيق كتمانه من هذا الباطل نعوذ بالله منه والا فالسؤال غير وارد فانه لا يمتنع أن المؤمن يحذر من عذاب الكافر أن يناله على الايمان كقوله فى آل عمران خطابا للمؤمنين واتقوا النار التى أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون أى

أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خلك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح اذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم الى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل على مقتضياتها وقرأ زيد بن على توبا نصوحا وقرئ نصوحا بالضم وهو مصدر نصح والنصح والنصوح كالشكر والشكور والكفر والكفور أى ذات نصوح أو تنصح نصوحا أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له (عسى ربكم) اطماع من الله لعباده وفيه وجهان أحدهما أن يكون على ما جرت به عادة الجبابرة من الاجابة بعسى ولعل ووقوع ذلك منهم موقع القطع والبت والثانى أن يجىء به تعليما للعباد وجوب الترجح بين الخوف والرجاء والذى يدل على المعنى الاول وأنه فى معنى البت قراءة ابن أبى عبلة ويدخلكم بالجزم عطفا على محل عسى أن يكفر كأنه قيل توبوا يوجب لكم تكفير سيآتكم ويدخلكم (يوم لا يخزى الله) نصب بيدخلكم ولا يخزى تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق واستحماد الى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم (يسعى نورهم) على الصراط (أتمم لنا نورنا) قال ابن عباس يقولون ذلك اذا طفئ نور المنافقين اشفاقا وعن الحسن الله متممه لهم ولكنهم يدعون تقربا الى الله كقوله تعالى واستغفر لذنبك وهو مغفور له وقيل يقوله أدناهم منزلة لانهم يعطون من النور قدر ما يبصرون به مواطئ أقدامهم لان النور على قدر الاعمال فيسألون اتمامه تفضلا وقيل السابقون الى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا فأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا (فان قلت) كيف يشفقون والمؤمنون آمنون أم من يأتى آمنا يوم القيامة لا خوف عليهم لا يحزنهم الفزع الاكبر أو كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب (قلت) أما الاشفاق فيجوز أن يكون على عادة البشرية وان كانوا معتقدين الامن وأما التقرب فلما كانت حالهم كحال المتقربين حيث يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقربا (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالاحتجاج * واستعمل الغلظة والخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وعن قتادة مجاهدة المنافقين لاقامة الحدود عليهم وعن مجاهد بالوعيد وقيل بافشاء أسرارهم * مثل الله عز وجل حال الكفار فى أنهم يعاقبون على كفرهم وعداوتهم للمؤمنين معاقبة مثلهم من غير ابقاء ولا محاباة ولا ينفعهم مع عداوتهم لهم ما كان بينهم وبينهم من لحمة نسب أو وصلة صهر لان عداوتهم لهم وكفرهم بالله ورسوله قطع العلائق وبت الوصل وجعلهم أبعد من الاجانب وأبعد وان كان المؤمن الذى يتصل به الكافر نبيا من أنبياء الله بحال امرأة نوح وامرأة لوط لما نافقتا وخانتا الرسولين لم يغن الرسولان عنهما بحق ما بينهما وبينهما من وصلة الزواج اغناء ما من عذاب الله (وقيل) لهما عند موتهما أو يوم القيامة (ادخلا النار مع سائر (الداخلين) الذين لا وصلة بينهم وبين الانبياء أو مع داخليها من اخوانكما من قوم نوح وقوم لوط * ومثل حال المؤمنين فى أن وصلة الكافرين لا تضرهم ولا تنقص شيأ من ثوابهم وزلفاهم عند الله بحال امرأة فرعون ومنزلتها عند الله تعالى مع كونها زوجة أعدى أعداء الله الناطق بالكلمة العظمى ومريم ابنة عمران وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع أن قومها كانوا كفارا وفى طى هذين التمثيلين تعريض بأمى المؤمنين المذكورتين فى أول السورة وما فرط منهما من التظاهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كرهه وتحذير لهما على أغلظ وجه وأشده لما فى التمثيل من ذكر الكفر ونحوه فى التغليظ قوله تعالى ومن كفر فان الله غنى عن العالمين واشارة الى أن من حقهما أن تكونا فى الاخلاص والكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين وأن لا تتكلا على أنهما زوجا رسول الله فان ذلك الفضل لا ينفعهما الا مع كونهما مخلصتين والتعريض بحفصة أرجح لان امرأة لوط أفشت عليه كما أفشت حفصة على رسول الله وأسرار التنزيل ورموزه فى كل باب بالغة من اللطف والخفاء حدا يدق عن تفطن العالم ويزل عن تبصره (فان قلت) ما فائدة قوله من عبادنا (قلت) لما كان مبنى التمثيل على وجود الصلاح فى الانسان كائنا من كان وأنه وحده هو الذى يبلغ به الفوز وينال ما عند الله قال عبدين من عبدنا صالحين فذكر النبيين المشهورين العلمين بأنهما عبدان لم يكونا الا كسائر عبادنا من غير تفاوت بينهما وبينهم الا بالصلاح وحده اظهارا وابانة لان

عسى ربكم أن يكفر عنكم سيآتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شئ قدير يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأت نوح وامرأت لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيأ وقيل ادخلا النار مع الداخلين وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأت فرعون اذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى

* عاد كلامه فى قوله ضرب الله مثلا للذين كفروا الآية (قال فيه) مثل الله حال الكفار فى انهم يعاقبون على كفرهم أغلظ عقاب وأشده من غير ابقاء الخ

* قوله تعالى وصدقت بكلمات ربها وكتبه (قال فيه يجوز أن يراد بالكلمات الصحف التى أنزلها الله تعالى على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها الخ) قال أحمد هو يعتقد حدوث كلام الله ويجحد الكلام القديم فلاجرم ان كلامه

عبدا من العباد لا يرجح عنده الا بالصلاح لا غير وأن ما سواه مما يرجح به الناس عند الناس ليس بسبب للرجحان عنده (فان قلت) ما كانت خيانتهما (قلت) نفاقهما وابطانهما الكفر وتظاهرهما على الرسولين فامرأة نوح قالت لقومه انه مجنون وامرأة لوط دلت على ضيفانه ولا يجوز أن يراد بالخيانة الفجور لانه سمج فى الطباع نقيصة عند كل أحد بخلاف الكفر فان الكفار لا يستسمجونه بل يستحسنونه ويسمونه حقا وعن ابن عباس رضى الله عنهما ما بغت امرأة نبى قط وامرأة فرعون آسية بنت مزاحم وقيل هى عمة موسى عليه السلام آمنت حين سمعت بتلقف عصا موسى الافك فعذبها فرعون عن أبى هريرة أن فرعون وتد امرأته باربعة أوتاد واستقبل بها الشمس وأضجعها على ظهرها ووضع رحى على صدرها وقيل أمر بان تلقى عليها صخرة عظيمة فدعت الله فرقى بروحها فالقيت الصخرة على جسد لا روح فيه وعن الحسن فنجاها الله أكرم نجاة فرفعها الى الجنة فهى تأكل وتشرب وتتنعم فيها وقيل لما قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة أريت بيتها فى الجنة يبنى وقيل انه من درة وقيل كانت تعذب فى الشمس فتظلها الملائكة (فان قلت) ما معنى الجمع بين عندك وفى الجنة (قلت) طلبت القرب من رحمة الله والبعد من عذاب أعدائه ثم بينت مكان القرب بقولها فى الجنة أو أرادت ارتفاع الدرجة فى الجنة وأن تكون جنتها من الجنان التى هى أقرب الى العرش وهى جنات المأوى فعبرت عن القرب الى العرش بقولها عندك (من فرعون وعمله) من عمل فرعون أو من نفس فرعون الخبيثة وسلطانه الغشوم وخصوصا من عمله وهو الكفر وعبادة الاصنام والظلم والتعذيب بغير جرم (ونجنى من القوم الظالمين) من القبط كلهم وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء اليه ومسئلة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الانبياء والمرسلين فافتح بينى وبينهم فتحا ونجنى ومن معى من المؤمنين ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين (فيه) فى الفرج وقرأ ابن مسعود فيها كما قرئ فى سورة الانبياء والضمير للجملة وقد مر لى فى هذا الظرف كلام ومن بدع التفاسير أن الفرج هو جيب الدرع ومعنى أحصنته منعته جبريل وانه جمع فى التمثيل بين التى لها زوج والتى لا زوج لها تسلية للارامل وتطييبا لانفسهن (وصدقت) قرئ بالتشديد والتخفيف على أنها جعلت الكلمات والكتب صادقة يعنى وصفتها بالصدق وهو معنى التصديق بعينه (فان قلت) فما كلمات الله وكتبه (قلت) يجوز أن يراد بكلماته صحفه التى أنزلها على ادريس وغيره سماها كلمات لقصرها وبكتبه الكتب الاربعة وأن يراد جميع ما كلم الله به ملائكته وغيرهم وجميع ما كتبه فى اللوح وغيره وقرئ بكلمة الله وكتابه أى بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الانجيل (فان قلت) لم قيل (من القانتين) على التذكير (قلت) لان القنوت صفة تشمل من قنت من القبيلين فغلب ذكوره على اناثه ومن للتبعيض ويجوز أن يكون لابتداء الغاية على أنها ولدت من القانتين لانها من أعقاب هرون أخى موسى صلوات الله عليهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا أربع آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وأما ما روى أن عائشة سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف سمى الله المسلمة تعنى مريم ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها قالت وما اسمها قال اسم امرأة نوح واعلة واسم امرأة لوط واهلة فحديث أثر الصنعة عليه ظاهر بين ولقد سمى الله تعالى جماعة من الكفار باسمائهم وكناهم ولو كانت التسمية للحب وتركها للبغض لسمى آسية وقد قرن بينها وبين مريم فى التمثيل للمؤمنين وأبى الله الا أن يجعل للمصنوع أمارة تنم عليه وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أحكم وأسلم من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا

لا يعدو الاشعار بان كلمات الله متناهية لانه فى الوجه الاول جعلها مجموعة جمع قلة لقصرها وفى الثانى حصرها بقوله جميع وأين وصفه لها بالقصر والحصر من الآيتين التوأمتين اللتين احداهما قوله قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى والاخرى قوله ولو أن ما فى الارض من شجرة أقلام الآية

من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين ومريم ابنت عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين

وما هو فى الحقيقة الا غير مؤمن بكلمات الله تعالى فالحق أن كلام الله تعالى صفة من صفات كماله أزلية أبدية غير متناهية فهكذا آمنت امرأة فرعون المتلو ثناؤها فى كتاب الله العزيز ثبتنا الله على الايمان ووقانا الخذلان والله المستعان * عاد كلامه

(قال) وامرأة فرعون اسمها آسية بنت مزاحم وما نقل فى الحديث أن عائشة قالت يا رسول الله لم سمى الله المؤمنة ولم يسم الكافرة فقال بغضا لها الخ) (سورة

《القول فى سورة الملك》 《بسم الله الرحمن الرحيم》 قوله تعالى الذى خلق الموت والحياة (قال أى ما يوجب كون الشئ حيا أو ما يصح بوجوده الاحساس والموت عدم ذلك الخ) قال أحمد أخطأ فى تفسير الموت دينه المعروف

ان يفسر ويتبع التفسير آراء

《سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية وتسمى الواقية والمنجية لانها تقى وتنجى قارئها من عذاب القبر》

《بسم الله الرحمن الرحيم》

(تبارك) تعالى وتعاظم عن صفات المخلوقين (الذى بيده الملك) على كل موجود (وهو على كل) ما لم يوجد مما يدخل تحت القدرة (قدير) وذكر اليد مجاز عن الاحاطة بالملك والاستيلاء عليه * والحياة ما يصح بوجوده الاحساس وقيل ما يوجب كون الشئ حيا وهو الذى يصح منه أن يعلم ويقدر * والموت عدم ذلك فيه ومعنى خلق الموت والحياة ايجاد ذلك المصحح واعدامه والمعنى خلق موتكم وحياتكم أيها المكلفون (ليبلوكم) وسمى علم الواقع منهم باختيارهم بلوى وهى الخبرة استعارة من فعل المختبر ونحوه قوله تعالى ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم (فان قلت) من أين تعلق قوله (أيكم أحسن عملا) بفعل البلوى (قلت) من حيث انه تضمن معنى العلم فكأنه قيل ليعلمكم أيكم أحسن عملا واذا قلت علمته أزيد أحسن عملا أم هو كانت هذه الجملة واقعة موقع الثانى من مفعوليه كما تقول علمته هو أحسن عملا (فان قلت) أتسمى هذا تعليقا (قلت) لا انما التعليق أن يوقع بعده ما يسد مسد المفعولين جميعا كقولك علمت أيهما عمرو وعلمت أزيد منطلق ألا ترى أنه لا فصل بعد سبق أحد المفعولين بين أن يقع ما بعده مصدرا بحرف الاستفهام وغير مصدر به ولو كان تعليقا لافترقت الحالتان كما افترقتا فى قولك علمت أزيد منطلق وعلمت زيدا منطلقا أحسن عملا قيل أخلصه وأصوبه لانه اذا كان خالصا غير صواب لم يقبل وكذلك اذا كان صوابا غير خالص فالخالص أن يكون لوجه الله تعالى والصواب أن يكون على السنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه تلاها فلما بلغ قوله أيكم أحسن عملا قال أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرع فى طاعة الله يعنى أيكم أتم عقلا عن الله وفهما لاغراضه والمراد أنه أعطاكم الحياة التى تقدرون بها على العمل وتستمكنون منه وسلط عليكم الموت الذى هو داعيكم الى اختيار العمل الحسن على القبيح لان وراءه البعث والجزاء الذى لا بد منه وقدم الموت على الحياة لان أقوى الناس داعيا الى العمل من نصب موته بين عينيه فقدم لانه فيما يرجع الى الغرض المسوق له الآية أهم (وهو العزيز) الغالب الذى لا يعجزه من أساء العمل (الغفور) لمن تاب من أهل الاساءة (طباقا) مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر أو على ذات طباق أو على طوبقت طباقا (من تفاوت) وقرئ من تفوت ومعنى البناءين واحد كقولهم تظاهروا من نسائهم وتظهروا وتعاهدته وتعهدته أى من اختلاف واضطراب فى الخلقة ولا تناقض انما هى مستوية مستقيمة وحقيقة التفاوت عدم التناسب كأن بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه ومنه قولهم خلق متفاوت وفى نقيضه متناصف (فان قلت) كيف موقع هذه الجملة مما قبلها (قلت) هى صفة مشايعة لقوله طباقا وأصلها ما ترى فيهن من تفاوت فوضع مكان الضمير قوله خلق الرحمن تعظيما لخلقهن وتنبيها على سبب سلامتهن من التفاوت وهو أنه خلق الرحمن وأنه بباهر قدرته هو الذى يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب والخطاب فى ما ترى للرسول أو لكل مخاطب وقوله تعالى (فارجع البصر) متعلق به على معنى التسبيب أخبره بأنه لا تفاوت فى خلقهن ثم قال فارجع البصر حتى يصح عندك ما أخبرت به بالمعاينة ولا تبقى معك شبهة فيه (هل ترى من فطور) من صدوع وشقوق جمع فطر وهو الشق يقال فطره فانفطر ومنه فطر ناب البعير كما يقال شق وبزل ومعناه شق اللحم فطلع * وأمره بتكرير البصر فيهن متصفحا ومتتبعا يلتمس عيبا وخللا (ينقلب اليك) أى ان رجعت البصر وكررت النظر لم يرجع اليك بصرك بما التمسته من رؤية الخلل وادراك العيب بل يرجع اليك بالخسوء والحسور أى بالبعد عن اصابة الملتمس كأنه يطرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة وبالاعياء والكلال لطول الاجالة والترديد (فان قلت) كيف ينقلب البصر خاسئا حسيرا

القدرية ومنها قطع الله ذكرها أن الموت عدم وهو خطأ صراح ومعتقد أهل السنة انه أمر وجودى يضاد الحياة وكيف يكون العدم بهذه المثابة ولو كان العدم مخلوقا حادثا وعدم الحوادث مقررا أزلا للزم قطع الحوادث

(سورة الملك مكية وهى ثلاثون آية) بسم الله الرحمن الرحيم

تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شئ قدير الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور الذى خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير ولقد زينا السماء

أزلا وذلك ايشم من القول بقدم العالم فانظر الى هذا الهوى أين مؤداه وكيف أهوى بصاحبه فأرداه نعوذ بالله من الزلل والخطل * عاد كلامه قوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا (قال فيه أين تعلق

قوله أيكم أحسن عملا بفعل البلوى وأجاب بأن معناه ليعلمكم أيكم أحسن عملا لان البلوى تتضمن العلم الخ) قال أحمد التعليق عن أحد المفعولين مختلف فيه بين النحاة والاصح ما أجازه وهو فى هذا الفن عشى وفيه يدرج ويدرى كيف يدخل فيه ويخرج

* قوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير (قال فيه لم خص الكرتين فاجاب بان معنى التثنية ههنا التكثير الخ) قال أحمد وفى قوله ينقلب اليك البصر وضع للظاهر موضع المضمر وفيه من الفائدة التنبيه على أن الذى يرجع خاسئا حسيرا غير مدرك الفطور هو الآلة التى يلتمس بها ادراك ما هو كائن فاذا لم يدرك شيء دل على أنه لا شيء ومن هذا القبيل قوله خلق سبع سموات طباقا ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت وأصله ما ترى فى خلقهن من تفاوت ولكنه ذكرهن منسوبات لخلق الرحمن تنبيها على السبب الذى ربأ بهن على الفطور والتفاوت * قوله تعالى وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير (حمل الشياطين على ظاهره ونقل عن بعضهم ان معناها وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب الخ) قال أحمد وهذا من الاستطراد لما ذكر وعيد الشياطين استطرد ذلك وعيد الكافرين عموما والله أعلم * قوله تعالى لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير (قال فيه معناه لو كنا نسمع الانذار سماع طالبين للحق الخ) قال أحمد ان عنى أن الاحكام الشرعية تستفاد من العقل كما تستفاد من السمع بناء على قاعدة التحسين والتقبيح فهو غير بعيد من أصحاب السعير وان عنى أن العقل يرشد الى العقائد الصحيحة والسمع يختص بالاحكام الشرعية فهو مع أهل السنة

الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وأعتدنا لهم عذاب السعير وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير اذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقا وهى تفور تكاد تميز من الغيظ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء ان أنتم الا فى ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا

يرجعه كرتين اثنتين (قلت) معنى التثنية التكرير بكثرة كقولك لبيك وسعديك تريد اجابات كثيرة بعضها فى أثر بعض وقولهم فى المثل دهدرين سعد القين من ذلك أى بعد باطل (فان قلت) فما معنى ثم ارجع (قلت) أمره برجع البصر ثم أمره بأن لا يقتنع بالرجعة الاولى وبالنظرة الحمقاء وأن يتوقف بعدها ويجم بصره ثم يعاود ويعاود الى أن يحسر بصره من طول المعاودة فانه لا يعثر على شيء من فطور (الدنيا) القربى لانها أقرب السموات الى الناس ومعناه السماء الدنيا منكم * والمصابيح السرج سميت بها الكواكب والناس يزينون مساجدهم ودورهم بانقاب المصابيح فقيل ولقد زينا سقف الدار التى اجتمعتم فيها (بمصابيح) أى بأى مصابيح لا توازيها مصابيحكم اضاءة وضممنا الى ذلك منافع أخر أنا (جعلناها رجوما) لأعدائكم (الشياطين) الذين يخرجونكم من النور الى الظلمات وتهتدون بها فى ظلمات البر والبحر قال قتادة خلق الله النجوم لثلاث زينة للسماء ورجوما للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك فقد تكلف ما لا علم له به وعن محمد بن كعب والله ما لأحد من أهل الارض فى السماء نجم ولكنهم يتخذون الكهانة ويتخذون النجوم علة والرجوم جمع رجم وهو مصدر سمى به ما يرجم به ومعنى كونها مراجم للشياطين أن الشهب التى تنقض لرمى المسترقة منهم منفصلة من نار الكواكب لا أنهم يرجمون بالكواكب أنفسها لانها قارة فى الفلك على حالها وما ذاك الا كقبس يؤخذ من نار والنار ثابتة كاملة لا تنقص وقيل من الشياطين المرجومة من يقتله الشهاب ومنهم من يخبله وقيل معناه وجعلناها ظنونا ورجوما بالغيب لشياطين الانس وهم النجامون (وأعتدنا لهم عذاب السعير) فى الآخرة بعد عذاب الاحراق بالشهب فى الدنيا (وللذين كفروا بربهم) أى ولكل من كفر بالله من الشياطين وغيرهم (عذاب جهنم) ليس الشياطين المرجومون مخصوصين بذلك وقرئ عذاب جهنم بالنصب عطفا على عذاب السعير (اذا ألقوا فيها) أى طرحوا كما يطرح الحطب فى النار العظيمة ويرمى به ومثله قوله تعالى حصب جهنم (سمعوا لها شهيقا) اما لاهلها ممن تقدم طرحهم فيها أو من أنفسهم كقوله لهم فيها زفير وشهيق واما للنار تشبيها لحسيسها المنكر الفظيع بالشهيق (وهى تفور) تغلى بهم غليان المرجل بما فيه * وجعلت كالمغتاظة عليهم لشدة غليانها بهم ويقولون فلان يتميز غيظا ويتقصف غضبا وغضب فطارت منه شقة فى الارض وشقة فى السماء اذا وصفوه بالافراط فيه ويجوز أن يراد غيظ الزبانية (ألم يأتكم نذير) توبيخ يزدادون به عذابا الى عذابهم وحسرة الى حسرتهم * وخزنتها مالك وأعوانه من الزبانية (قالوا بلى) اعتراف منهم بعدل الله واقرار بأن الله عز وعلا أزاح عللهم ببعثة الرسل وانذارهم ما وقعوا فيه وأنهم لم يؤتوا من قدره كما تزعم المجبرة وانما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله وأمر به وأوعد على ضده (فان قلت) (ان أنتم الا فى ضلال كبير) من المخاطبون به (قلت) هو من جملة قول الكفار وخطابهم للمنذرين على أن النذير بمعنى الانذار والمعنى ألم يأتكم أهل نذير أو وصف منذروهم لغلوهم فى الانذار كأنهم ليسوا الا انذارا وكذلك قد جاءنا نذير ونظيره قوله تعالى انا رسول رب العالمين أى حاملا رسالته ويجوز أن يكون من كلام الخزنة للكفار على ارادة القول أرادوا حكاية ما كانوا عليه من ضلالهم فى الدنيا أو أرادوا بالضلال الهلاك أو سموا عقاب الضلال باسمه أو من كلام الرسل لهم حكوه للخزنة أى قالوا لنا هذا فلم نقبله (لو كنا نسمع) الانذار سماع طالبين للحق * أو نعقله عقل متأملين وقيل انما جمع بين السمع والعقل لان مدار التكليف على أدلة السمع والعقل

* عاد كلامه (قال ومن بدع التفاسير أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأى الخ) قال أحمد ولو تفطن نبيه لهذه الآية لعدها دليلا على تفضيل السمع على البصر فانه قد استدل على ذلك بأخفى منها * قوله تعالى ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير (قال فيه أنكر أن لا يحيط علما بالسر والجهر من خلق ذلك الخ) قال أحمد هذه الآية رد على المعتزلة وتصحيح للطريق التى يسلكها أهل السنة فى الرد عليهم فان أهل السنة يستدلون على أن العبد لا يخلق أفعاله بانه لا يعلمها وهو استدلال بنفى اللازم الذى هو العلم على نفى الملزوم الذى هو الخلق وبهذه الملازمة دلت الآية فان الله تعالى أرشد الى الاستدلال على ثبوت العلم له عز وجل بثبوت الخلق وهو استدلال بوجود الملزوم على وجود اللازم فهو نور واحد يقتبس منه ثبوت العلم للبارى عز وجل وابطال خلق العبد لافعاله واعراب الآية ينزل على هذا المعنى فان الوجه فيها أن يكون من فاعلا مرادا به الخالق ومفعول العلم محذوف تقديره ذلك اشارة الى السر والجهر ومفعول خلق محذوف ضميره عائد الى ذلك والتقدير فى الجميع ألا يعلم السر والجهر من خلقهما ومتى حذونا غير هذا الوجه من الاعراب ألقانا الى مضايق التكلف والتعسف فمن المحتمل أن يكون من مفعولة واقعة على فاعل السر والجهر والتقدير ألا يعلم الله المسرين والجاهرين وليس مطابقا للمفصل فانه لم يقع على ذوات الفاعلين وانما وقع على أفعالهم من السر والجهر وعليه وقع الاستدلال ويحتمل غير ذلك أبعد منه والاول هو الاولى لفظا ومعنى والله الموفق * قوله تعالى أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن (قال فيه معناه باسطات أجنحتها لانها اذا بسطتها صفت قوادمها الخ) قال أحمد ويلاحظ هذا المعنى فى قوله والطير محشورة بعد قوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن ولم يقل مسبحات مثل محشورة لقربه من هذا التفسير ولقد أحسن فيه كل الاحسان

بذنبهم فسحقا لاصحاب السعير ان الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير وأسروا قولكم أو اجهروا به انه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هى تمور أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير ولقد كذب الذين من قبلهم فكيف كان نكير أولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن

والعقل ومن بدع التفاسير أن المراد لو كنا على مذهب أصحاب الحديث أو على مذهب أصحاب الرأى كأن هذه الآية نزلت بعد ظهور هذين المذهبين وكأن سائر أصحاب المذاهب والمجتهدين قد أنزل الله وعيدهم وكأن من كان من هؤلاء فهو من الناجين لا محالة وعدة المبشرين من الصحابة عشرة لم يضم اليهم حادى عشر وكأن من يجوز على الصراط أكثرهم لم يسمعوا باسم هذين الفريقين (بذنبهم) بكفرهم فى تكذيبهم الرسل (فسحقا) قرئ بالتخفيف والتثقيل أى فبعدا لهم اعترفوا أو جحدوا فان ذلك لا ينفعهم * ظاهره الامر بأحد الامرين الاسرار والاجهار ومعناه ليستو عندكم اسراركم واجهاركم فى علم الله بهما * ثم انه علله بـ (أنه عليم بذات الصدور) أى بضمائرها قبل أن تترجم الالسنة عنها فكيف لا يعلم ما تكلم به * ثم أنكر أن لا يحيط علما بالمضمر والمسر والمجهر (من خلق) الاشياء وحاله انه اللطيف الخبير المتوصل علمه الى ما ظهر من خلقه وما بطن ويجوز أن يكون من خلق منصوبا بمعنى ألا يعلم مخلوقه وهذه حاله وروى أن المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء فيظهر الله رسوله عليها فيقولون أسروا قولكم لئلا يسمعه اله محمد فنبه الله على جهلهم (فان قلت) قدرت فى ألا يعلم مفعولا على معنى ألا يعلم ذلك المذكور مما أضمر فى القلب وأظهر باللسان من خلق فهلا جعلته مثل قولهم هو يعطى ويمنع وهلا كان المعنى ألا يكون عالما من هو خالق لان الخلق لا يصح الا مع العلم (قلت) أبت ذلك الحال التى هى قوله وهو اللطيف الخبير لانك لو قلت ألا يكون عالما من هو خالق وهو اللطيف الخبير لم يكن معنى صحيحا لان ألا يعلم معتمد على الحال والشيء لا يوقت بنفسه فلا يقال ألا يعلم وهو عالم ولكن ألا يعلم كذا وهو عالم بكل شيء * المشى فى مناكبها مثل لفرط التذليل ومجاوزته الغاية لان المنكبين وملتقاهما من الغارب أرق شيء من البعير وأنبأه عن أن يطأه الراكب بقدمه ويعتمد عليه فاذا جعلها فى الذل بحيث يمشى فى مناكبها لم يترك (٢) وقيل مناكبها جبالها قال الزجاج معناه سهل لكم السلوك فى جبالها فاذا أمكنكم السلوك فى جبالها فهو أبلغ التذليل وقيل جوانبها * والمعنى واليه نشوركم فهو مسائلكم عن شكر ما أنعم به عليكم (من فى السماء) فيه وجهان أحدهما من ملكوته فى السماء لانها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه والثانى أنهم كانوا يعتقدون التشبيه وأنه فى السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل اذا رأيته يركب بعض المعاصى (فستعلمون) قرئ بالتاء والياء (كيف نذير) أى اذا رأيتم المنذر به علمتم كيف انذارى حين لا ينفعكم العلم (صافات) باسطات أجنحتهن فى الجو عند طيرانها لانهن اذا بسطنها صففن قوادمها صفا (ويقبضن)

(٢) يفتعل أى لم يترك بقية من التذليل كذا بهامش اه

ويضممنها اذا ضربن بها جنوبهن (فان قلت) لم قيل ويقبضن ولم يقل وقابضات (قلت) لان الاصل فى الطيران هو صف الأجنحة لان الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها وأما القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طار غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافات ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح (ما يمسكهن الا الرحمن) بقدرته وبما دبر لهن من القوادم والخوافى وبنى الاجسام على شكل وخصائص قد تأتى منها الجرى فى الجو (انه بكل شئ بصير) يعلم كيف يخلق وكيف يدبر العجائب (أمن) يشار اليه من الجموع ويقال (هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون) الله ان أرسل عليكم عذابه (أمن) يشار اليه ويقال (هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه) وهذا على التقدير ويجوز أن يكون اشارة الى جميع الاوثان لاعتقادهم أنهم يحفظون من النوائب ويرزقون ببركة آلهتهم فكأنهم الجند الناصر والرازق ونحوه قوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا (بل لجوا فى عتو ونفور) بل تمادوا فى عناد وشراد عن الحق لثقله عليهم فلم يتبعوه ❊ يجعل أكب مطاوع كبه يقال كببته فأكب من الغرائب والشواذ ونحوه قشعت الريح السحاب فأقشع وما هو كذلك ولا شئ من بناء أفعل مطاوعا ولا يتقن نحو هذا الاجلة كتاب سيبويه وانما أكب من باب أنفض وألام ومعناه دخل فى الكب وصار ذا كب وكذلك أقشع السحاب دخل فى القشع ومطاوع كب وقشع انكب وانقشع (فان قلت) ما معنى (يمشى مكبا على وجهه) وكيف قابل يمشى سويا على صراط مستقيم (قلت) معناه يمشى معتسفا فى مكان معتاد غير مستو فيه انخفاض وارتفاع فيعثر كل ساعة فيخر على وجهه منكبا فحاله نقيض حال من يمشى سويا أى قائما سالما من العثور والخرور أو مستوى الجهة قليل الانحراف خلاف المعتسف الذى ينحرف هكذا وهكذا على طريق مستو ويجوز أن يراد الاعمى الذى لا يهتدى الى الطريق فيعتسف فلا يزال ينكب على وجهه وأنه ليس كالرجل السوى الصحيح البصر الماشى فى الطريق المهتدى له وهو مثل للمؤمن والكافر وعن قتادة الكافر أكب على معاصى الله تعالى فحشره الله يوم القيامة على وجهه وعن الكلبى عنى به أبو جهل بن هشام وبالسوى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل حمزة بن عبد المطلب (فلما رأوه) الضمير للوعد والزلفة القرب وانتصابها على الحال أو الظرف أى رأوه ذا زلفة أو مكانا ذا زلفة (سيئت وجوه الذين كفروا) أى ساءت رؤية الوعد وجوههم بأن علتها الكآبة وغشيها الكسوف والقترة وكلحوا وكما يكون وجه من يقاد الى القتل أو يعرض على بعض العذاب (وقيل) القائلون الزبانية (تدعون) تفتعلون من الدعاء أى تطلبون وتستعجلون به وقيل هو من الدعوى أى كنتم بسببه تدعون أنكم لا تبعثون وقرئ تدعون وعن بعض الزهاد أنه تلاها فى أول الليل فى صلاته فبقى يكررها وهو يبكى الى أن نودى لصلاة الفجر ولعمرى انها لوقاذة لمن تصور تلك الحالة وتأملها كان كفار مكة يدعون على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المؤمنين بالهلاك فأمر بأن يقول لهم نحن مؤمنون متربصون لاحدى الحسنيين اما أن نهلك كما تتمنون فننقلب الى الجنة أو نرحم بالنصرة والادالة للاسلام كما نرجو فأنتم ما تصنعون من يجيركم وأنتم كافرون من عذاب النار لا بد لكم منه يعنى أنكم تطلبون لنا الهلاك الذى هو استعجال للفوز والسعادة وأنتم فى أمر هو الهلاك الذى لا هلاك بعده وأنتم غافلون لا تطلبون الخلاص منه أو ان أهلكنا الله بالموت فمن يجيركم بعد موت هداتكم والآخذين بحجزكم من النار وان رحمنا بالامهال والغلبة عليكم وقتلكم فمن يجيركم فان المقتول على أيدينا هالك أو ان أهلكنا الله فى الآخرة بذنوبنا ونحن مسلمون فمن يجير الكافرين وهم أولى بالهلاك لكفرهم وان رحمنا بالايمان فمن يجير من لا ايمان له (فان قلت) لم أخر مفعول آمنا وقدم مفعول توكلنا (قلت) لوقوع آمنا تعريضا بالكافرين حين ورد عقيب ذكرهم كأنه قيل آمنا ولم نكفر كما كفرتم ثم قال وعليه توكلنا خصوصا لم نتكل على ما أنتم متكلون عليه من رجالكم وأموالكم (غورا) غائرا ذاهبا فى الارض وعن الكلبى لا تناله الدلاء وهو وصف بالمصدر كعدل ورضا وعن بعض الشطار أنها تليت عنده فقال تجئ به الفؤس والمعاول فذهب ماء عينيه نعوذ بالله من الجراءة على الله وعلى

ما يمسكهن الا الرحمن انه بكل شئ بصير أمن هذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن ان الكافرون الا فى غرور أمن هذا الذى يرزقكم ان أمسك رزقه بل لجوا فى عتو ونفور أفمن يمشى مكبا على وجهه أهدى أمن يمشى سويا على صراط مستقيم قل هو الذى أنشأكم وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا ما تشكرون قل هو الذى ذرأكم فى الارض واليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل انما العلم عند الله وانما أنا نذير مبين فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا وقيل هذا الذى كنتم به تدعون قل أرأيتم ان أهلكنى الله ومن معى أو رحمنا فمن يجير الكافرين من عذاب أليم قل هو الرحمن آمنا به وعليه توكلنا فستعلمون من هو فى ضلال مبين قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين

آياته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الملك فكأنما أحيا ليلة القدر

(سورة ن مكية وهى ثنتان وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

❊ قرئ ن والقلم بالبيان والادغام وبسكون النون وفتحها وكسرها كما فى ص والمراد هذا الحرف من حروف المعجم وأما قولهم هو الدواة فما أدرى أهو وضع لغوى أم شرعى ولا يخلو اذا كان اسما للدواة من أن يكون جنسا أو علما فان كان جنسا فأين الاعراب والتنوين وان كان علما فأين الاعراب وأيهما كان فلا بد له من موقع فى تأليف الكلام فان قلت هو مقسم به وجب ان كان جنسا أن تجره وتنونه ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة كأنه قيل ودواة والقلم وان كان علما أن تصرفه وتجره أو لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث وكذلك التفسير بالحوت اما أن يراد نون من النينان أو يجعل علما للبهموت الذى يزعمون والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر فى الجنة نحو ذلك وأقسم بالقلم تعظيما له لما فى خلقه وتسويته من الدلالة على الحكمة العظيمة ولما فيه من المنافع والفوائد التى لا يحيط بها الوصف (وما يسطرون) وما يكتب من كتب وقيل ما يسطره الحفظة وما موصولة أو مصدرية ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير فى يسطرون لهم كأنه قيل وأصحاب القلم ومسطوراتهم أو وسطرهم ويراد بهم كل من يسطر أو الحفظة ❊ (فان قلت) بم يتعلق الباء فى (بنعمة ربك) وما محله (قلت) يتعلق بمجنون منفيا كما يتعلق بعاقل مثبتا فى قولك أنت بنعمة الله عاقل مستويا فى ذلك الاثبات والنفى استواءهما فى قولك ضرب زيد عمرا وما ضرب زيد عمرا تعمل الفعل مثبتا ومنفيا اعمالا واحدا ومحله النصب على الحال كأنه قال ما أنت مجنونا منعما عليك بذلك ولم تمنع الباء أن يعمل مجنون فيما قبله لانها زائدة لتأكيد النفى والمعنى استبعاد ما كان ينسبه اليه كفار مكة عداوة وحسدا وأنه من انعام الله عليه بحصافة العقل والشهامة التى يقتضيها التأهيل للنبوة بمنزلة (وان لك) على احتمال ذلك واساغة الغصة فيه والصبر عليه (لاجرا) لثوابا (غير ممنون) غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ أو غير ممنون عليك به لانه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وانما تمن الفواضل لا الاجور على الاعمال ❊ استعظم خلقه لفرط احتماله الممضات من قومه وحسن مخالقته ومداراته لهم وقيل هو الخلق الذى أمره الله تعالى به فى قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وعن عائشة رضى الله عنها أن سعد بن هشام سألها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن قد أفلح المؤمنون (المفتون) المجنون لانه فتن أى محن بالجنون أو لان العرب يزعمون أنه من تخييل الجن وهم الفتان للفتاك منهم ❊ والباء مزيدة أو المفتون مصدر كالمعقول والمجلود أى بأيكم الجنون أو بأى الفريقين منكم الجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أى فى أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم وهو تعريض بأبى جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما وهذا كقوله تعالى سيعلمون غدا من الكذاب الاشر (ان ربك هو أعلم) بالمجانين على الحقيقة وهم الذين ضلوا عن سبيله (وهو أعلم) بالعقلاء وهم المهتدون أو يكون وعيدا ووعدا وأنه أعلم بجزاء الفريقين (فلا تطع المكذبين) تهييج والهاب للتصميم على معاصاتهم وكانوا قد أرادوه على أن يعبد الله مدة وآلهتهم مدة ويكفوا عنه غوائلهم (لو تدهن) لو تلين وتصانع (فيدهنون) (فان قلت) لم رفع فيدهنون ولم ينصب باضمار أن وهو جواب التمنى (قلت) قد عدل به الى طريق آخر وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف أى فهم يدهنون كقوله تعالى فمن يؤمن بربه فلا يخاف على معنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم فى ادهانك قال سيبويه وزعم هرون أنها فى بعض المصاحف ودوا لو تدهن فيدهنوا (حلاف) كثير الحلف فى الحق والباطل وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم (مهين) من المهانة وهى القلة والحقارة يريد القلة فى الرأى والتمييز أو أراد الكذاب لانه حقير عند الناس (هماز) عياب طعان وعن الحسن يلوى شدقيه فى أقفية الناس (مشاء بنميم) مضرب نقال للحديث من قوم الى قوم على وجه السعاية والافساد بينهم والنميم والنميمة السعاية وأنشدنى بعض العرب

﴿سورة ن مكية وهى ثنتان وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون وانك لعلى خلق عظيم فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فلا تطع المكذبين ودوا لو تدهن فيدهنون ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم

﴿القول فى سورة ن والقلم﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى وان لك لاجرا غير ممنون (قال معناه غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ الخ) قال أحمد ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يرضى من الزمخشرى بتفسير الآية هكذا وهو صلى الله عليه وسلم يقول لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا الا أن يتغمدنى الله بفضل منه ورحمة ولقد بلغ بالزمخشرى سوء الادب الى حد يوجب الحد وحاصل قوله أن الله لا منة له على أحد ولا فضل فى دخول الجنة لانه قام بواجب عليه نعوذ بالله من الجراءة عليه

* قوله تعالى عتل بعد ذلك زنيم (قال العتل الجافى والزنيم الدعى وكذلك كان الوليد بن المغيرة المخزومى استلحقه المغيرة بعد ثمان عشرة من مولده الخ) قال أحمد وانما أخذ كون هذين أشد معايبه من قوله بعد ذلك فانه يعطى تراخى المرتبة فيما بين المذكور أولا والمذكور بعده فى الشر والخير ونظيره فى الخير قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير ومن ثم استعملت ثم لتراخى المراتب وان أعطت عكس الترتيب الوجودى * قوله تعالى انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة الى آخر الآيات (قال فيه أصحاب الجنة قوم من أهل الصلات كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين الخ) قال أحمد وفائدة التنكير الابهام تعظيما لما أصابها ومعنى كالصريم أى لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل لانها احترقت واسودت وقيل النهار أى خالية

تشبى تشب النميمه * تمشى بها زهرا الى تميمه

(مناع للخير) بخيل والخير المال أو مناع أهله الخير وهو الاسلام فذكر الممنوع منه دون الممنوع كأنه قال مناع من الخير قيل هو الوليد بن المغيرة المخزومى كان موسرا وكان له عشرة من البنين فكان يقول لهم وللحمته من أسلم منكم منعته رفدى عن ابن عباس وعنه أنه أبو جهل وعن مجاهد الاسود بن عبد يغوث وعن السدى الأخنس بن شريق أصله فى ثقيف وعداده فى زهرة ولذلك قيل زنيم (معتد) مجاوز فى الظلم حده (أثيم) كثير الآثام (عتل) غليظ جاف من عتله اذا قاده بعنف وغلظة (بعد ذلك) بعد ما عدله من المثالب والنقائص (زنيم) دعى قال حسان

وأنت زنيم نيط فى آل هاشم * كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

وكان الوليد دعيا فى قريش ليس من سنخهم ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة من مولده وقيل بغت أمه ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية جعل جفاءه ودعوته أشد معايبه لانه اذا جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ولأن الغالب أن النطفة اذا خبثت خبث الناشئ منها ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا ولده ولا ولد ولده وبعد ذلك نظير ثم فى قوله ثم كان من الذين آمنوا وقرأ الحسن عتل رفعا على الذم وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد ذلك والزنيم من الزنمة وهى الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة فى حلقها لانه زيادة معلقة بغير أهله (أن كان ذا مال) متعلق بقوله ولا تطع يعنى ولا تطعه مع هذه المثالب لان كان ذا مال أى ليساره وحظه من الدنيا ويجوز أن يتعلق بما بعده على معنى لكونه متمولا مستظهرا بالبنين كذب آياتنا ولا يعمل فيه قال الذى هو جواب اذا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله ولكن مادلت عليه الجملة من معنى التكذيب وقرئ أأن كان على الاستفهام على ألأن كان ذا مال وبنين كذب أو أتطيعه لان كان ذا مال وروى الزبيرى عن نافع ان كان بالكسر والشرط للمخاطب أى لا تطع كل حلاف شارطا يساره لانه اذا أطاع الكافر لغناه فكأنه اشترط فى الطاعة الغنى ونحو صرف الشرط الى المخاطب صرف الترجى اليه فى قوله تعالى لعله يتذكر * الوجه أكرم موضع فى الجسد والانف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الانفة وقالوا الانف فى الانف وحمى أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا فى الذليل جدع أنفه ورغم أنفه فعبر بالوسم على الخرطوم عن غاية الاذلال والاهانة لان السمة على الوجه شين واذالة فكيف بها على أكرم موضع منه ولقد وسم العباس أباعرة فى وجوهها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الوجوه فوسمها فى جواعرها وفى لفظ الخرطوم استخفاف به واستهانة وقيل معناه سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يبين بها عن سائر الكفرة كما عادى رسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة بان بها عنهم وقيل خطم يوم بدر بالسيف فبقيت سمة على خرطومه وقيل سنشهره بهذه الشتيمة فى الدارين جميعا فلا تخفى كما لا تخفى السمة على الخرطوم وعن النضر بن شميل ان الخرطوم الخمر وأن معناه سنحده على شربها وهو تعسف وقيل للخمر الخرطوم كما قيل لها السلافة وهى ما سلف من عصير العنب أو لانها تطير فى الخياشيم * انا بلونا أهل مكة بالقحط والجوع بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم (كما بلونا أصحاب الجنة) وهم قوم من أهل الصلاة كانت لابيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين فكان يأخذ منها قوت سنته ويتصدق بالباقى وكان يترك

مناع للخير معتد أثيم عتل بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين سنسمه على الخرطوم انا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة اذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصبحت كالصريم فتنادوا

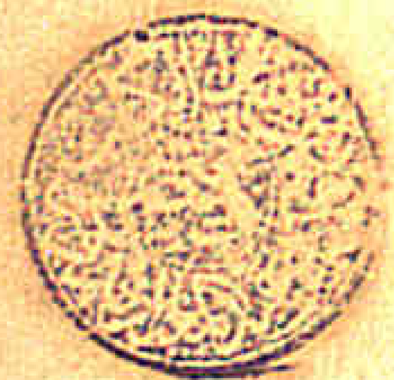
فارغة من قولهم بيض الاناء اذا فرغه (قلت) ومنه البياض من الارض أى الخالية من الشجر وورد فى الحديث ويستعمله الفقهاء فى المساقاة ومعنى صارمين حاصدين (قال) وانما عدل عن الى فى قوله على حرثكم لان غدوهم كان ليصرموه فهو غدو عليه ومعنى يتخافتون لمساكين يسرون حديثهم خيفة من ظهور المساكين عليهم وقوله ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين مثل لا أرينك ههنا والحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها والمعنى وغدوا على نكد ومنع غير عاجزين عن النفع وقيل الحرد السرعة أى غدوا مسارعين نشطين لما عزموا عليه من الحرمان ومعنى قادرين على هذا التأويل عند أنفسهم وقيل حرد اسم الجنة المذكورة وقولهم انا الضالون قالوه فى بديهة أمرهم دهشا لما رأوا مالم يعهدوه فاعتقدوا أنهم ضلوا عنها وانها ليست هى ثم لما تبينوا وأيقنوا أنها هى أضربوا عن الاول الى قولهم بل نحن محرومون

للمساكين ما أخطأه المنجل وما فى أسفل الاكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقى على البساط الذى يبسط تحت النخلة اذا صرمت فكان يجتمع لهم شئ كثير فلما مات قال بنوه ان فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الامر ونحن أولو عيال فحلفوا ليصرمنها مصبحين فى السدف خفية عن المساكين ولم يستثنوا فى يمينهم فأحرق الله جنتهم وقيل كانوا من بنى اسرائيل (مصبحين) داخلين فى الصبح مبكرين (ولا يستثنون) ولا يقولون ان شاء الله (فان قلت) لم سمى استثناء وانما هو شرط (قلت) لانه يؤدى مؤدى الاستثناء من حيث ان معنى قولك لاخرجن ان شاء الله ولا أخرج الا أن يشاء الله واحد (فطاف عليها) بلاء أو هلاك (طائف) كقوله تعالى وأحيط بثمره وقرئ طيف (فأصبحت كالصريم) كالمصرومة لهلاك ثمرها وقيل الصريم الليل أى احترقت فاسودت وقيل النهار أى يبست وذهبت خضرتها أو لم يبق شئ فيها من قولهم بيض الاناء اذا فرغه وقيل الصريم الرمال (صارمين) حاصدين (فان قلت) هلا قيل اغدوا الى حرثكم وما معنى على (قلت) لما كان الغدو اليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو ويجوز أن يضمن الغدو معنى الاقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح أى فأقبلوا على حرثكم باكرين (يتخافتون) يتسارون فيما بينهم وخفى وخفت وخفد ثلاثتها فى معنى الكتم ومنه الخفدود للخفاش (أن لا يدخلنها) أن مفسرة وقرأ ابن مسعود بطرحها باضمار القول أى يتخافتون يقولون لا يدخلنها والنهى عن الدخول للمسكين نهى لهم عن تمكينه منه أى لا تمكنوه من الدخول حتى يدخل كقولك لا أرينك ههنا الحرد من حاردت السنة اذا منعت خيرها وحاردت الابل اذا منعت درها والمعنى وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعنى أنهم عزموا أن يتنكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها الا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة أو وغدوا على محاردة جنتهم وذهاب خيرها قادرين بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها ومنافعها أى غدوا حاصلين على الحرمان مكان الانتفاع أو لما قالوا اغدوا على حرثكم وقد خبثت نيتهم عاقبهم الله بأن حاردت جنتهم وحرموا خيرها فلم يغدوا على حرث وانما غدوا على حرد و (قادرين) من عكس الكلام للتهكم أى قادرين على ما عزموا عليه من الصرام وحرمان المساكين وعلى حرد ليس بصلة قادرين وقيل الحرد بمعنى الحرد وقرئ على حرد أى لم يقدروا الا على حنق وغضب بعضهم على بعض كقوله تعالى يتلاومون وقيل الحرد القصد والسرعة يقال حردت حردك وقال

أقبل سيل جاء من أمر الله * يحرد حرد الجنة المغله

وقطا حراد سراع يعنى وغدوا قاصدين الى جنتهم بسرعة ونشاط قادرين عند أنفسهم يقولون نحن نقدر على صرامها وزى منفعتها عن المساكين وقيل حرد علم للجنة أى غدوا على تلك الجنة قادرين على صرامها عند أنفسهم أو مقدرين أن يتم لهم مرادهم من الصرام والحرمان (قالوا) فى بديهة وصولهم (انا لضالون) أى ضللنا جنتنا وما هى بها لما رأوا من هلاكها فلما تأملوا وعرفوا أنها هى قالوا (بل نحن محرومون) حرمنا خيرها لجنايتنا على أنفسنا (أوسطهم) أعدلهم وخيرهم من قولهم هو من سطة قومه وأعطنى من سطات مالك ومنه قوله تعالى أمة وسطا (لولا تسبحون) لولا تذكرون الله وتتوبون اليه من خبث نيتكم كان أوسطهم قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا عن هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا الى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم والدليل عليه قولهم سبحان ربنا انا كنا ظالمين فتكلموا بما كان يدعوهم الى التكلم به على اثر مقارفة الخطيئة ولكن بعد خراب البصرة وقيل المراد بالتسبيح الاستثناء لالتقائهما فى معنى التعظيم لله لان الاستثناء تفويض اليه والتسبيح تنزيه له وكل واحد من التفويض والتنزيه تعظيم وعن الحسن هو الصلاة كأنهم كانوا يتوانون فى الصلاة والا لنهتهم عن الفحشاء والمنكر ولكانت لهم لطفا فى أن يستثنوا ولا يحرموا (سبحان ربنا) سبحوا الله ونزهوه عن الظلم وعن كل قبيح ثم اعترفوا بظلمهم فى منع المعروف وترك الاستثناء (يتلاومون) يلوم بعضهم بعضا لان منهم

مصبحين أن اغدوا على حرثكم ان كنتم صارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وغدوا على حرد قادرين فلما رأوها قالوا انا لضالون بل نحن محرومون قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا ياويلنا انا كنا طاغين



*قوله تعالى مالكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون (قال هذا خطاب على وجه الالتفات لاهل مكة اذا اعتقدوا انهم فى الآخرة أكثر نعيما من المؤمنين الخ)

عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ان للمتقين عند ربهم جنات النعيم أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون أم لكم كتاب فيه تدرسون ان لكم فيه لما تخيرون أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة ان لكم لما تحكمون سلهم أيهم بذلك زعيم أم لهم شركاء فليأتوا بشركائهم ان كانوا صادقين يوم يكشف عن ساق ويدعون الى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم

من زين ومنهم من قبل ومنهم من أمر بالكف وعزر ومنهم من عصى الآمر ومنهم من سكت وهو راض (أن يبدلنا) قرئ بالتشديد والتخفيف (انا الى ربنا راغبون) طالبون منه الخير راجون لعفوه (كذلك العذاب) مثل ذلك العذاب الذى بلوناهم به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا (ولعذاب الآخرة) أشد وأعظم منه وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتنى تعبا وعن مجاهد تابوا فأبدلوا خيرا منها وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه بلغنى أنهم أخلصوا وعرف الله منهم الصدق فأبدلهم بها جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقودا (عند ربهم) أى فى الآخرة (جنات النعيم) ليس فيها الا التنعم الخالص لا يشوبه ما ينغصه كما يشوب جنان الدنيا كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فاذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا ان صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالهم وحالنا الا مثل ما هى فى الدنيا والا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم ان يساوونا فقيل أنحيف فى الحكم فنجعل المسلمين كالكافرين * ثم قيل لهم على طريقة الالتفات (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم الاعوج كأن أمر الجزاء مفوض اليكم حتى تحكموا فيه بما شئتم (أم لكم كتاب) من السماء (تدرسون) فى ذلك الكتاب أن ما تختارونه وتشتهونه لكم كقوله تعالى أم لكم سلطان مبين فأتوا بكتابكم والاصل تدرسون أن لكم ما تخيرون بفتح أن لانه مدروس فلما جاءت اللام كسرت ويجوز أن تكون حكاية للمدروس كما هو كقوله وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين * وتخير الشئ واختاره أخذ خيره ونحوه تنخله وانتخله اذا أخذ منخوله * لفلان على يمين بكذا اذا ضمنته منه وحلفت له على الوفاء به يعنى أم ضمنا منكم وأقسمنا لكم بأيمان مغلظة متناهية فى التوكيد (فان قلت) بم يتعلق (الى يوم القيامة) (قلت) بالمقدر فى الظرف أى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا حكمناكم وأعطيناكم ما تحكمون ويجوز أن يتعلق ببالغة على أنها تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم تبطل منها يمين الى أن يحصل المقسم عليه من التحكيم وقرأ الحسن بالغة بالنصب على الحال من الضمير فى الظرف (ان لكم لما تحكمون) جواب القسم لان معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم (أيهم بذلك) الحكم (زعيم) أى قائم به وبالاحتجاج لصحته كما يقوم الزعيم المتكلم عن القوم المتكفل بامورهم (أم لهم شركاء) أى ناس يشاركونهم فى هذا القول ويوافقونهم عليه ويذهبون مذهبهم فيه (فليأتوا) بهم (ان كانوا صادقين) فى دعواهم يعنى أن أحدا لا يسلم لهم هذا ولا يساعدهم عليه كما أنه لا كتاب لهم ينطق به ولا عهد لهم به عند الله ولا زعيم لهم يقوم به * الكشف عن الساق والابداء عن الخدام مثل فى شدة الامر وصعوبة الخطب وأصله فى الروع والهزيمة وتشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب وابداء خدامهن عند ذلك قال حاتم

أخو الحرب ان عضت به الحرب عضها * وان شمرت عن ساقها الحرب شمرا

وقال ابن الرقيات

تذهل الشيخ عن بنيه وتبدى * عن خدام العقيلة العذراء

فمعنى (يوم يكشف عن ساق) فى معنى يوم يشتد الامر ويتفاقم ولا كشف ثم ولا ساق كما تقول للاقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثم ولا غل وانما هو مثل فى البخل وأما من شبه فلضيق عطنه وقلة نظره فى علم البيان والذى غره منه حديث ابن مسعود رضى الله عنه يكشف الرحمن عن ساقه فاما المؤمنون فيخرون سجدا وأما المنافقون فتكون ظهورهم طبقا طبقا كأن فيها السفافيد ومعناه يشتد أمر الرحمن ويتفاقم هوله وهو الفزع الاكبر يوم القيامة ثم كان من حق الساق أن تعرف على ما ذهب اليه المشبه لانها ساق مخصوصة معهودة عنده وهى ساق الرحمن (فان قلت) فلم جاءت منكرة فى التمثيل (قلت) للدلالة على انه امر مبهم فى الشدة منكر خارج عن المألوف كقوله يوم يدع الداع الى شئ نكر كأنه قيل يوم يقع امر فظيع هائل ويحكى هذا التشبيه عن مقاتل وعن أبى عبيدة خرج من خراسان رجلان أحدهما شبه حتى مثل وهو مقاتل بن سليمان

قال أحمد ولما كان الدرس قولا كسرها *قوله أم لكم أيمان علينا بالغة الى يوم القيامة (قال) فيه تعلق الى يوم القيامة بالمقدر فى الظرف أى هى ثابتة لكم علينا الى يوم القيامة لا نخرج عن عهدتها الا يومئذ اذا أعطيناكم ما تحكمون به قال أو يتعلق ببالغة أى تبلغ ذلك اليوم وتنتهى اليه وافرة لم يبطل منها يمين الى أن يحصل المقسم عليه

والآخر

والآخر نفى حتى عطل وهو جهم بن صفوان ومن أحس بعظم مضار فقد هذا العلم علم مقدار عظم منافعه وقرئ يوم نكشف بالنون وتكشف بالتاء على البناء للفاعل والمفعول جميعا والفعل للساعة أو للحال أى يوم تشتد الحال أو الساعة كما تقول كشفت الحرب عن ساقها على المجاز وقرئ تكشف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف اذا دخل فى الكشف ومنه أكشف الرجل فهو مكشف اذا انقلبت شفته العليا وناصب الظرف فليأتوا أو اضمار اذكر أو يوم يكشف عن ساق كان كيت وكيت فحذف للتهويل البليغ وان ثم من الكوائن ما لا يوصف لعظمه * عن ابن مسعود رضى الله عنه تعقم أصلابهم أى ترد عظاما بلا مفاصل لا تنثنى عند الرفع والخفض وفى الحديث وتبقى أصلابهم طبقا واحدا أى فقارة واحدة (فان قلت) لم يدعون الى السجود ولا تكليف (قلت) لا يدعون اليه تعبدا وتكليفا ولكن توبيخا وتعنيفا على تركهم السجود فى الدنيا مع اعقام أصلابهم والحيلولة بينهم وبين الاستطاعة تحسيرا لهم وتندما على ما فرطوا فيه حين دعوا الى السجود وهم سالمون الاصلاب والمفاصل ممكنون مزاحو العلل فيما تعبدوا به * يقال ذرنى واياه يريدون كله الى فانى أكفيكه كأنه يقول حسبك ايقاعا به أن تكل أمره الى وتخلى بينى وبينه فانى عالم بما يجب أن يفعل به مطيق له والمراد حسبى مجازيا لمن يكذب بالقرآن فلا تشغل قلبك بشأنه وتوكل على فى الانتقام منه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين * استدرجه الى كذا اذا استنزله اليه درجة فدرجة حتى يورطه فيه واستدراج الله العصاة أن يرزقهم الصحة والنعمة فيجعلوا رزق الله ذريعة ومتسلقا الى ازدياد الكفر والمعاصى (من حيث لا يعلمون) أى من الجهة التى لا يشعرون أنه استدراج وهو الانعام عليهم لانهم يحسبونه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين وهو سبب لهلاكهم (وأملى لهم) وأمهلهم كقوله تعالى انما نملى لهم ليزدادوا اثما والصحة والرزق والمد فى العمر احسان من الله وافضال يوجب عليهم الشكر والطاعة ولكنهم يجعلونه سببا فى الكفر باختيارهم فلما تدرجوا به الى الهلاك وصف المنعم بالاستدراج وقيل كم من مستدرج بالاحسان اليه وكم من مفتون بالثناء عليه وكم من مغرور بالستر عليه * وسمى احسانه وتمكينه كيدا كما سماه استدراجا لكونه فى صورة الكيد حيث كان سببا للتورط فى الهلكة * ووصفه بالمتانة لقوة أثر احسانه فى التسبب للهلاك * المغرم الغرامة أى لم تطلب منهم على الهداية والتعليم أجرا فيثقل عليهم حمل الغرامات فى أموالهم فيثبطهم ذلك عن الايمان (أم عندهم الغيب) أى اللوح (فهم يكتبون) منه ما يحكمون به (لحكم ربك) وهو امهالهم وتأخير نصرتك عليهم (ولا تكن كصاحب الحوت) يعنى يونس عليه السلام (اذ نادى) فى بطن الحوت (وهو مكظوم) مملوء غيظا من كظم السقاء اذا ملأه والمعنى لا يوجد منك ما وجد منه من الضجر والمغاضبة فتبتلى ببلائه * حسن تذكير الفعل لفصل الضمير فى تداركه وقرأ ابن عباس وابن مسعود تداركته وقرأ الحسن تداركه أى تتداركه على حكاية الحال الماضية بمعنى لولا أن كان يقال فيه تتداركه كما يقال كان زيد سيقوم فمنعه فلان أى كان يقال فيه سيقوم والمعنى كان متوقعا منه القيام * ونعمة ربه أن أنعم عليه بالتوفيق للتوبة وتاب عليه وقد اعتمد فى جواب لولا على الحال أعنى قوله (وهو مذموم) يعنى أن حاله كانت على خلاف الذم حين نبذ بالعراء ولولا توبته لكانت حاله على الذم روى أنها نزلت بأحد حين حل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما حل به فأراد أن يدعو على الذين انهزموا وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف وقرئ رحمة من ربه (فاجتباه ربه) فجمعه اليه وقربه بالتوبة عليه كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى (فجعله من الصالحين) أى من الانبياء وعن ابن عباس رد الله اليه الوحى وشفعه فى نفسه وقومه * أن مخففة من الثقيلة واللام علمها وقرئ ليزلقونك بضم الياء وفتحها وزلقه وأزلقه بمعنى ويقال زلق الرأس وأزلقه حلقه وقرئ ليزهقونك من زهقت نفسه وأزهقها يعنى أنهم من شدة تحديقهم ونظرهم اليك شزرا بعيون العداوة والبغضاء يكادون يزلون قدمك أو يهلكونك من قولهم نظر الى نظرا يكاد يصرعنى ويكاد يأكلنى أى لو أمكنه بنظره الصرع أو الاكل لفعله قال

يتقارضون اذا التقوا فى موطن * نظرا يزل مواطئ الاقدام

من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون أم عندهم الغيب فهم يكتبون فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو مكظوم لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم فاجتباه ربه فجعله من الصالحين وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم

وقيل كانت العين فى بنى أسد فكان الرجل منهم يتجوع ثلاثة أيام فلا يمر به شئ فيقول فيه لم أر كاليوم مثله الا عانه فأريد بعض العيانين على أن يقول فى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فقال لم ار كاليوم رجلا فعصمه الله وعن الحسن دواء الاصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية (لما سمعوا الذكر) أى القرآن لم يملكوا أنفسهم حسدا على ما أوتيت من النبوة (ويقولون انه لمجنون) حيرة فى أمره وتنفيرا عنه والا فقد علموا أنه أعقلهم والمعنى أنهم جننوه لاجل القرآن (وما هو الا ذكر) وموعظة (للعالمين) فكيف يجنن من جاء بمثله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القلم أعطاه الله ثواب الذين حسن الله أخلاقهم

(سورة الحاقة احدى وخمسون آية وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحاقة) الساعة الواجبة الوقوع الثابتة المجئ التى هى آتية لا ريب فيها أو التى فيها حواق الامور من الحساب والثواب والعقاب أو التى تحق فيها الامور أى تعرف على الحقيقة من قولك لا أحق هذا أى لا أعرف حقيقته جعل الفعل لها وهو لاهلها وارتفاعها على الابتداء وخبرها (ما الحاقة) والاصل الحاقة ما هى أى أى شئ هى تفخيما لشأنها وتعظيما لهولها فوضع الظاهر موضع المضمر لانه أهول لها (وما أدراك) وأى شئ أعلمك ما الحاقة يعنى أنك لا علم لك بكنهها ومدى عظمها على أنه من العظم والشدة بحيث لا يبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهى أعظم من ذلك وما فى موضع الرفع على الابتداء وأدراك معلق عنه لتضمنه معنى الاستفهام * القارعة التى تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار والارض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع فى الحاقة زيادة فى وصف شدتها ولما ذكرها وفخمها أتبع ذكر ذلك ذكر من كذب بها وما حل بهم بسبب التكذيب تذكيرا لاهل مكة وتخويفا لهم من عاقبة تكذيبهم (بالطاغية) بالواقعة المجاوزة للحد فى الشدة واختلف فيها فقيل الرجفة وعن ابن عباس الصاعقة وعن قتادة بعث الله عليهم صيحة فأهمدتهم وقيل الطاغية مصدر كالعافية أى بطغيانهم وليس بذاك لعدم الطباق بينها وبين قوله (بريح صرصر) والصرصر الشديدة الصوت لها صرصرة وقيل الباردة من الصر كأنها التى كرر فيها البرد وكثر فهى تحرق لشدة بردها (عاتية) شديدة العصف والعتو استعارة أو عتت على عاد فما قدروا على ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء فى حفرة فانها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم وقيل عتت على خزانها فخرجت بلا كيل ولا وزن وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسل الله سفينة من ريح الا بمكيال ولا قطرة من مطر الا بمكيال الا يوم عاد ويوم نوح فان الماء يوم نوح طغى على الخزان فلم يكن لهم عليه سبيل ثم قرأ انا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية وان الريح يوم عاد عتت على الخزان فلم يكن لهم عليها سبيل ثم قرأ بريح صرصر عاتية ولعلها عبارة عن الشدة والافراط فيها * الحسوم لا يخلو من أن يكون جمع حاسم كشهود وقعود أو مصدرا كالشكور والكفور فان كان جمعا فمعنى قوله حسوما نحسات حسمت كل خير واستأصلت كل بركة أو متتابعة هبوب الرياح ما خفتت ساعة حتى أتت عليهم تمثيلا لتتابعها بتتابع فعل الحاسم فى اعادة الكى على الداء كرة بعد أخرى حتى ينحسم وان كان مصدرا فاما أن ينتصب بفعله مضمرا أى تحسم حسوما بمعنى تستأصل استئصالا أو يكون صفة كقولك ذات حسوم أو يكون مفعولا له أى سخرها عليهم للاستئصال وقال عبد العزيز بن زرارة الكلابى

ففرق بين بينهم زمان * تتابع فيه أعوام حسوم

وقرأ السدى حسوما بالفتح حالا من الريح أى سخرها عليهم مستأصلة وقيل هى أيام العجوز وذلك ان عجوزا من عاد توارت فى سرب فانتزعتها الريح فى اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هى أيام العجز وهى آخر الشتاء وأسماؤها الصن والصنبر والوبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر (٢) وقيل مكفئ الظعن ومعنى (سخرها عليهم) سلطها عليهم كما شاء (فيها) فى مهابها أو فى الليالى والايام * وقرئ أعجاز نخيل (من باقية) من بقية أو من

لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين

﴿سورة الحاقة مكية وهى احدى وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة كذبت ثمود وعاد بالقارعة فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية وجاء فرعون

(القول فى سورة الحاقة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة (قال) معناه الحاقة ما أدراك ما هى تعظيما لها وتفخيما الخ

(٢) الذى فى أبى السعود وقيل ومكفئ بزيادة واو

نفس باقية أو من بقاء كالطاغية بمعنى الطغيان (ومن قبله) يريد ومن عنده من تباعه وقرئ ومن قبله أى ومن تقدمه وتعضد الاولى قراءة عبد الله وأبى ومن معه وقراءة أبى موسى ومن تلقاءه (والمؤتفكات) قرى قوم لوط (بالخاطئة) بالخطأ أو بالفعلة أو الافعال ذات الخطأ العظيم (رابية) شديدة زائدة فى الشدة كما زادت قبائحهم فى القبح يقال ربا الشئ يربو اذا زاد اربوا فى أموال الناس (حملناكم) حملنا آباءكم (فى الجارية) فى سفينة لانهم اذا كانوا من نسل المحمولين الناجين كان حمل آبائهم منة عليهم وكأنهم هم المحمولون لان نجاتهم سبب ولادتهم (لنجعلها) الضمير للفعلة وهى نجاة المؤمنين واغراق الكفرة (تذكرة) عظة وعبرة (أذن واعية) من شأنها أن تعى وتحفظ ما سمعت به ولا تضيعه بترك العمل وكل ما حفظته فى نفسك فقد وعيته وما حفظته فى غير نفسك فقد أوعيته كقولك أوعيت الشئ فى الظرف وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلى رضى الله عنه عند نزول هذه الآية سألت الله أن يجعلها أذنك يا على قال على رضى الله عنه فما نسيت شيأ بعد وما كان لى أن أنسى (فان قلت) لم قيل أذن واعية على التوحيد والتنكير (قلت) للايذان بأن الوعاة فيهم قلة ولتوبيخ الناس بقلة من يعى منهم وللدلالة على أن الاذن الواحدة اذا وعت وعقلت عن الله فهى السواد الاعظم عند الله وأن ما سواها لا يبالى بهم بالة وان ملؤا ما بين الخافقين وقرئ وتعيها بسكون العين للتخفيف شبه تعى بكبد * أسند الفعل الى المصدر وحسن تذكيره للفصل * وقرأ أبو السمال نفخة واحدة بالنصب مسندا للفعل الى الجار والمجرور (فان قلت) هما نفختان فلم قيل واحدة (قلت) معناه أنها لا تثنى فى وقتها (فان قلت) فأى النفختين هى (قلت) الاولى لان عندها فساد العالم وهكذا الرواية عن ابن عباس وقد روى عنه أنها الثانية (فان قلت) أما قال بعد يومئذ تعرضون والعرض انما هو عند النفخة الثانية (قلت) جعل اليوم اسما للحين الواسع الذى تقع فيه النفختان والصعقة والنشور والوقوف والحساب فلذلك قيل يومئذ تعرضون كما تقول جئته عام كذا وانما كان مجيئك فى وقت واحد من أوقاته (وحملت) ورفعت من جهاتها بريح بلغت من قوة عصفها أنها تحمل الارض والجبال أو بخلق من الملائكة أو بقدرة الله من غير سبب * وقرئ وحملت بحذف المحمل وهو أحد الثلاثة (فدكتا) فدكت الجملتان جملة الارضين وجملة الجبال فضرب بعضها ببعض حتى تندق وترجع كثيبا مهيلا وهباء منبثا والدك أبلغ من الدق وقيل فبسطتا بسطة واحدة فصارتا أرضا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا من قولك اندك السنام اذا انفرش وبعير أدك وناقة دكاء ومنه الدكان (فيومئذ وقعت الواقعة) فحينئذ نزلت النازلة وهى القيامة (واهية) مسترخية ساقطة القوة جدا بعدما كانت محكمة مستمسكة * يريد والخلق الذى يقال له الملك ورد اليه الضمير مجموعا فى قوله فوقهم على المعنى (فان قلت) ما الفرق بين قوله والملك وبين أن يقال والملائكة (قلت) الملك أعم من الملائكة ألا ترى أن قولك ما من ملك الا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة (على أرجائها) على جوانبها الواحد رجا مقصور يعنى أنها تنشق وهى مسكن الملائكة فينضوون الى أطرافها وما حولها من حافاتها (ثمانية) أى ثمانية منهم وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم هم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة آخرين فيكونون ثمانية وروى ثمانية أملاك أرجلهم فى تخوم الارض السابعة والعرش فوق رؤسهم وهم مطرقون مسبحون وقيل بعضهم على صورة الانسان وبعضهم على صورة الاسد وبعضهم على صورة الثور وبعضهم على صورة النسر وروى ثمانية أملاك فى خلق الاوعال ما بين أظلافها الى ركبها مسيرة سبعين عاما وعن شهر بن حوشب أربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وأربعة يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وعن الحسن الله أعلم كم هم أثمانية أم ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله ويجوز أن تكون الثمانية من الروح أو من خلق آخر فهو القادر على كل خلق سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون * العرض عبارة عن المحاسبة والمساءلة شبه ذلك بعرض السلطان العسكر لتعرف أحواله وروى أن فى يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله (خافية) سريرة وحال كانت تخفى فى الدنيا بستر الله

ومن قبله والمؤتفكات بالخاطئة فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية إنا لما طغى الماء حملناكم فى الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهى يومئذ واهية والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية

* قوله تعالى وتعيها أذن واعية (قال فيه يقال وعيته اذا حفظته فى نفسك الخ) قال أحمد هو مثل قوله ولتنظر نفس ما قدمت لغد وقد ذكر أن فائدة التنكير والتوحيد فيه الاشعار بقلة الناظرين * قوله تعالى فاذا نفخ فى الصور نفخة واحدة (قال فيه ان قلت لم قال واحدة وهما نفختان الخ) قال أحمد وأما فائدة الاشعار بعظم هذه النفخة ان المؤثر لدك الارض والجبال وخراب العالم هى وحدها غير محتاجة الى أخرى * قوله تعالى والملك على أرجائها (قال) أى على حافاتها الانها تنشق فتنضوى الملائكة الذين هم سكانها الى أذيالها الخ قال

أحد كلاهما معرف تعريف الجنس فالواحد والجمع سواء فى العموم * عاد كلامه (قال وحق هذه الهاآت يعنى فى كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه الخ) قال أحمد تعليل القراءة باتباع المصحف عجيب مع أن المعتقد الحق ان القراآت السبع بتفاصيلها منقولة تواترا عن النبى صلى الله عليه وسلم فالذى أثبت الهاء فى الوصل انما أثبتها من التواتر عن قراءة النبى صلى الله عليه وسلم آيها كذلك قبل أن

عليكم (فأما) تفصيل للعرض * ها صوت يصوت به فيفهم منه معنى خذ كاف وحس وما أشبه ذلك و (كتابيه) منصوب بهاؤم عند الكوفيين وعند البصريين باقرؤا لانه أقرب العاملين وأصله هاؤم كتابى اقرؤا كتابى فحذف الاول لدلالة الثانى عليه ونظيره آتونى أفرغ عليه قطرا قالوا ولو كان العامل الاول لقيل اقرؤه وأفرغه والهاء للسكت فى كتابيه وكذلك فى حسابيه وماليه وسلطانيه وحق هذه الهاآت أن تثبت فى الوقف وتسقط فى الوصل وقد استحب ايثار الوقف ايثارا لثباتها لثباتها فى المصحف وقيل لا بأس بالوصل والاسقاط وقرأ ابن محيصن باسكان الياء بغير هاء وقرأ جماعة باثبات الهاء فى الوصل والوقف جميعا لاتباع المصحف (ظننت) علمت وانما أجرى الظن مجرى العلم لان الظن الغالب يقام مقام العلم فى العادات والاحكام ويقال أظن ظنا كاليقين أن الامر كيت وكيت (راضية) منسوبة الى الرضا كالدارع والنابل والنسبة نسبتان نسبة بالحرف ونسبة بالصيغة أو جعل الفعل لها مجازا وهو لصاحبها (عالية) مرتفعة المكان فى السماء أو رفيعة الدرجات أو رفيعة المبانى والقصور والاشجار (دانية) ينالها القاعد والنائم يقال لهم (كلوا واشربوا هنيأ) أكلا وشربا هنيأ أو هنيتم هنيأ على المصدر (بما أسلفتم) بما قدمتم من الاعمال الصالحة (فى الايام الخالية) الماضية من أيام الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام أى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الاكل والشرب لوجه الله وروى يقول الله عز وجل يا أوليائى طالما نظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم فى نعيمكم وكلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية * الضمير فى (ياليتها) للموتة يقول ياليت الموتة التى متها (كانت القاضية) أى القاطعة لأمرى فلم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى أو للحالة أى ليت هذه الحالة كانت الموتة التى قضت على لانه رأى تلك الحالة أبشع وأمر مما ذاقه من مرارة الموت وشدته فتمناه عندها (ما أغنى) نفى أو استفهام على وجه الانكار أى أى شئ أغنى عنى ما كان لى من اليسار (هلك عنى سلطانيه) ملكى وتسلطى على الناس وبقيت فقيرا ذليلا وعن ابن عباس أنها نزلت فى الاسود بن عبد الاشد وعن فناخسرو الملقب بالعضد أنه لما قال

عضد الدولة وابن ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

لم يفلح بعده وجن فكان لا ينطلق لسانه الا بهذه الآية وقال ابن عباس ضلت عنى حجتى ومعناه بطلت حجتى التى كنت أحتج بها فى الدنيا (ثم الجحيم صلوه) ثم لا تصلوه الا الجحيم وهى النار العظمى لانه كان سلطانا يتعظم على الناس يقال صلى النار وصلاه النار * سلكه فى السلسلة أن تلوى على جسده حتى تلتف عليه أثناؤها وهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يقدر على حركة * وجعلها سبعين ذراعا ارادة الوصف بالطول كما قال ان تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لانها اذا طالت كان الارهاق أشد والمعنى فى تقديم السلسلة على السلك مثله فى تقديم الجحيم على التصلية أى لا تسلكوه الا فى هذه السلسلة كأنها أفظع من سائر مواضع الارهاق فى الجحيم ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين الغل والتصلية بالجحيم وما بينها وبين السلك فى السلسلة لا على تراخى المدة (انه) تعليل على طريق الاستئناف وهو أبلغ كأنه قيل ماله يعذب هذا العذاب الشديد فأجيب بذلك وفى قوله (ولا يحض على طعام المسكين) دليلان قويان على عظم الجرم فى حرمان المسكين أحدهما عطفه على الكفر وجعله قرينة له والثانى ذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فكيف بتارك الفعل وما أحسن قول القائل

اذا نزل الاضياف كان عذورا * على الحى حتى تستقل مراجله

يريد حضهم على القرى واستعجلهم وتشاكس عليهم وعن أبى الدرداء أنه كان يحض امرأته على تكثير

تكتب فى المصحف وما نفس هؤلاء الادخال الاجتهاد فى القراآت المستفيضة واعتقاد أن فيها ما أخذ بالاختيار النظرى وهذا خطأ

فأما من أوتى كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه انى ظننت أنى ملاق حسابيه فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية كلوا واشربوا هنيأ بما أسلفتم فى الايام الخالية وأما من أوتى كتابه بشماله فيقول ياليتنى لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم

لا ينبغى فتح بابه فانه ذريعة الى ما هو أكبر منه ولقد جرت بينى وبين الشيخ أبى عمرو رحمه الله مفاوضة فى قوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه على

قراءة حفص انتهت الى ان ألزم الرد على من أثبت الهاء فى الوصل فى كلمات سورة الحاقة لانى حجته باثبات القراء المشاهير لها كذلك ففهمت من رده لذلك ما فهمه من كلام الزمخشرى ههنا ولم أقبله منه رحمه الله فتراجع عنه وكانت هذه المفاوضة بمكاتبة بينى وبينه وهى آخر ما كتب من العلوم على ما أخبرنى به خاصته وذلك صحيح لانها كانت فى أوائل مرضه رحمه الله والله أعلم

ههنا حميم ولا طعام الا من غسلين لا يأكله الا الخاطئون فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم

المرق لاجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالايمان أفلا نخلع نصفها الآخر وقيل هو منع الكفار وقولهم أنطعم من لو يشاء الله أطعمه والمعنى على بذل طعام المسكين (حميم) قريب يدفع عنه ويحزن عليه لانهم يتحامونه ويفرون منه كقوله ولا يسأل حميم حميما * والغسلين غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم فعلين من الغسل (الخاطئون) الآثمون أصحاب الخطايا وخطئ الرجل اذا تعمد الذنب وهم المشركون عن ابن عباس وقرئ الخاطيون بابدال الهمزة ياء والخاطون بطرحها وعن ابن عباس ما الخاطون كلنا نخطو وروى عنه أبو الاسود الدؤلى ما الخاطون انما هو الخاطئون ما الصابون انما هو الصابئون ويجوز أن يراد الذين يتخطون الحق الى الباطل ويتعدون حدود الله * هو اقسام بالاشياء كلها على الشمول والاحاطة لانها لا تخرج من قسمين مبصر وغير مبصر وقيل الدنيا والآخرة والاجسام والارواح والانس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة ان هذا القرآن (لقول رسول كريم) أى يقوله ويتكلم به على وجه الرسالة من عند الله (وما هو بقول شاعر) ولا كاهن كما تدعون والقلة فى معنى العدم أى لا تؤمنون ولا تذكرون البتة والمعنى ما أكفركم وما أغفلكم (تنزيل) هو تنزيل بيانا لانه قول رسول نزل عليه (من رب العالمين) وقرأ أبو السمال تنزيلا أى نزل تنزيلا وقيل الرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله وما هو بقول شاعر دليل على أنه محمد صلى الله عليه وسلم لان المعنى على اثبات أنه رسول لا شاعر ولا كاهن * التقول افتعال القول لان فيه تكلفا من المفتعل * وسمى الاقوال المتقولة أقاويل تصغيرا بها وتحقيرا كقولك الاعاجيب والاضاحيك كأنها جمع أفعولة من القول والمعنى ولو ادعى علينا شيأ لم نقله لقتلناه صبرا كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام فصور قتل الصبر بصورته ليكون أهول وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته * وخص اليمين عن اليسار لان القتال اذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ بيساره واذا أراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف وهو أشد على المصبور لنظره الى السيف أخذ بيمينه ومعنى (لاخذنا منه باليمين) لاخذنا بيمينه كما أن قوله (لقطعنا منه الوتين) لقطعنا وتينه وهذا بين والوتين نياط القلب وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه * وقرئ ولو تقول على البناء للمفعول قيل (حاجزين) فى وصف أحد لانه فى معنى الجماعة وهو اسم يقع فى النفى العام مستويا فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ومنه قوله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله لستن كأحد من النساء والضمير فى عنه للقتل أى لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه أو لرسول الله أى لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل وتحولوا بينه وبينه والخطاب للناس وكذلك فى قوله تعالى (وانا لنعلم أن منكم مكذبين) وهو ايعاد على التكذيب وقيل الخطاب للمسلمين والمعنى أن منهم ناسا سيكفرون بالقرآن (وانه) الضمير للقرآن (لحسرة على الكافرين) به المكذبين له اذا رأوا ثواب المصدقين به أو للتكذيب * وان القرآن لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم والمعنى لعين اليقين ومحض اليقين (فسبح) الله بذكر اسمه العظيم وهو قوله سبحان الله واعبده شكرا على ما أهلك له من ايحائه اليك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحاقة حاسبه الله حسابا يسيرا

(سورة المعارج مكية وهى أربع وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* ضمن سأل معنى دعا فعدى تعديته كأنه قيل دعا داع (بعذاب واقع) من قولك دعا بكذا اذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى يدعون فيها بكل فاكهة وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر بن الحرث قال ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم وقيل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم استعجل بعذاب للكافرين وقرئ سال سائل وهو على وجهين اما أن يكون من السؤال وهى لغة قريش يقولون سلت تسال وهما يتسايلان وأن يكون من السيلان ويؤيده قراءة ابن عباس سال سيل والسيل مصدر فى معنى السائل كالغور بمعنى الغائر والمعنى اندفع عليهم وادى عذاب فذهب بهم وأهلكهم وعن قتادة

وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين وانه لتذكرة للمتقين وانا لنعلم أن منكم مكذبين وانه لحسرة على الكافرين وانه لحق اليقين فسبح باسم ربك العظيم

(سورة المعارج مكية وهى أربع وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سأل سائل بعذاب واقع

* قوله تعالى ولو تقول علينا بعض الاقاويل (قال فيه التقول افتعال القول لان فيه تكلفا الخ) قال أحمد وبناء افعولة من القول وهو معتل كاتوى غريب عن القياس التصريفى ويحتمل أن تكون الاقاويل جمع الجمع كالاناعيم جمع أقوال وأنعام وهو الظاهر والله أعلم

(القول فى سورة المعارج)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع (قال) فيه سأل بمعنى دعا لقوله يدعون فيها بكل فاكهة آمنين الخ

للكافرين ليس له دافع من الله ذى المعارج تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ولا يسئل حميم حميما يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا

سأل سائل عن عذاب الله على من ينزل و بمن يقع فنزلت وسأل على هذا الوجه مضمن معنى عنى واهتم (فان قلت) بم يتصل قوله (الكافرين) (قلت) هو على القول الاول متصل بعذاب صفة له أى بعذاب واقع كائن للكافرين أو بالفعل أى دعا للكافرين بعذاب واقع أو بواقع أى بعذاب نازل لأجلهم وعلى الثانى هو كلام مبتدأ جواب للسائل أى هو للكافرين (فان قلت) فقوله (من الله) بم يتصل (قلت) يتصل بواقع أى واقع من عنده أو بدافع بمعنى ليس له دافع من جهته اذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه (ذى المعارج) ذى المصاعد جمع معرج ثم وصف المصاعد و بعد مداها فى العلو والارتفاع فقال (تعرج الملائكة والروح اليه) الى عرشه وحيث تهبط منه أوامره (فى يوم كان مقداره) كمقدار مدة (خمسين ألف سنة) مما يعد الناس والروح جبريل عليه السلام أفرده لتميزه بفضله وقيل الروح خلق هم حفظة على الملائكة كما أن الملائكة حفظة على الناس (فان قلت) بم يتعلق قوله (فاصبر) (قلت) بسأل سائل لان استعجال النضر بالعذاب انما كان على وجه الاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم والتكذيب بالوحى وكان ذلك مما يضجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بالصبر عليه وكذلك من سأل عن العذاب لمن هو فانما سأل على طريق التعنت وكان من كفار مكة ومن قرأ سال سائل أو سيل فمعناه جاء العذاب لقرب وقوعه فاصبر فقد شارفت الانتقام وقد جعل فى يوم من صلة واقع أى يقع فى يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سنيكم وهو يوم القيامة اما أن يكون استطالة له لشدته على الكفار واما لانه على الحقيقة كذلك قيل فيه خمسون موطنا كل موطن ألف سنة وما قدر ذلك على المؤمن الا كما بين الظهر والعصر الضمير فى (يرونه) للعذاب الواقع أو ليوم القيامة فيمن علق فى يوم بواقع أى يستبعدونه على جهة الاحالة (و) نحن (نراه قريبا) هينا فى قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعيد البعيد من الامكان وبالقريب القريب منه نصب (يوم تكون) بقريبا أى يمكن ولا يتعذر فى ذلك اليوم أو باضمار يقع لدلالة واقع عليه أو يوم تكون السماء كالمهل كان كيت وكيت أو هو بدل عن فى يوم فيمن علقه بواقع (كالمهل) كدردى الزيت وعن ابن مسعود كالفضة المذابة فى تلونها (كالعهن) كالصوف المصبوغ ألوانا لأن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود فاذا بست وطيرت فى الجو أشبهت العهن المنفوش اذا طيرته الريح (ولا يسئل حميم حميما) أى لا يسأله بكيف حالك ولا يكلمه لأن بكل أحد ما يشغله عن المساءلة (يبصرونهم) أى يبصر الاحماء الاحماء فلا يخفون عليهم فما يمنعهم من المساءلة أن بعضهم لا يبصر بعضا وانما يمنعهم التشاغل وقرئ يبصرونهم وقرئ ولا يسئل على البناء للمفعول أى لا يقال لحميم أين حميمك ولا يطلب منه لانهم يبصرونهم فلا يحتاجون الى السؤال والطلب (فان قلت) ما موقع يبصرونهم (قلت) هو كلام مستأنف كأنه لما قال ولا يسأل حميم حميما قيل لعله لا يبصره فقيل يبصرونهم ولكنهم لتشاغلهم لم يتمكنوا من تساؤلهم (فان قلت) لم جمع الضميران فى يبصرونهم وهما للحميمين (قلت) المعنى على العموم لكل حميمين لا لحميمين اثنين ويجوز أن يكون يبصرونهم صفة أى حميما مبصرين معرفين اياهم وقرئ يومئذ بالجر والفتح على البناء للاضافة الى غير متمكن ومن عذاب يومئذ بتنوين عذاب ونصب يومئذ وانتصابه بعذاب لانه فى معنى تعذيب (وفصيلته) عشيرته الأدنون الذين فصل عنهم (تؤويه) تضمه انتماء اليها أو لياذا بها فى النوائب (ينجيه) عطف على يفتدى أى يود لو يفتدى ثم لو ينجيه الافتداء أو من فى الارض وثم لاستبعاد الانجاء يعنى تمنى لو كان هؤلاء جميعا تحت يده وبذلهم فى فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه (كلا) ردع للمجرم عن الودادة وتنبيه على انه لا ينفعه الافتداء ولا ينجيه من العذاب ثم قال (انها) والضمير للنار ولم يجر لها ذكر لأن ذكر العذاب دل عليها و يجوز أن يكون ضميرا مبهما ترجم عنه الخبر أو ضمير القصة و (لظى) علم للنار منقول من اللظى بمعنى اللهب و يجوز أن يراد اللهب و (نزاعة) خبر بعد خبر لان أو خبر للظى ان كانت الهاء ضمير القصة أو صفة له ان أردت اللهب والتأنيث لانه فى معنى النار أو رفع على التهويل أى هى نزاعة وقرئ نزاعة بالنصب على الحال المؤكدة أو على انها متلظية نزاعة أو على الاختصاص للتهويل * والشوى الاطراف أو جمع شواة وهى جلدة الرأس تنزعها نزعا فتبتكها ثم تعاد (تدعو) مجاز عن احضارهم كأنها

تدعوهم

قوله تعالى ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم الآية (قال فيه معناه يبصر الاصدقاء أصدقاءهم فيعرفونهم الخ) قال أحمد وفيه دليل على ان الفاعل والمفعول الواقعين فى سياق النفى يعم كما التزم فى والله لا أشرب ماء من إداوة أنه عام فى المياه والاداوات خلافا لبعضهم فى الاداوات

* قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا الآية (قال فيه المعنى أن الانسان لايثاره الجزع والمنع ورسوخهما فيه كأنه الخ) قال أحمد هو يشرك باطنا وينزه ظاهرا فينفى كون الهلع الذى هو موجود للآدمى مخلوقا لله تعالى تنزيها له عن ذلك ويثبت خالقا مع الله ويتغافل عن اقتضاء نظم الآية لذلك فانك اذا قلت بريت القلم رقيقا فقد نسبت اليك الحال وهو ترقيقه كما نسب اليك البرى وكذلك الآية وأما قوله والله لا يذم

تدعوهم فتحضرهم ونحوه قول ذى الرمة تدعو أنفه الريب وقوله * ليالى اللهو يطبينى فأتبعه * وقول أبى النجم تقول للرائد أعشبت انزل وقيل تقول لهم الى الى يا كافر يا منافق وقيل تدعو المنافقين والكافرين بلسان فصيح ثم تلتقطهم التقاط الحب فيجوز أن يخلق الله فيها كلاما كما يخلقه فى جلودهم وأيديهم وأرجلهم وكما خلقه فى الشجرة ويجوز أن يكون دعاء الزبانية وقيل تدعو تهلك من قول العرب دعاك الله أى أهلكك قال * دعاك الله من رجل بأفعى * (من أدبر) عن الحق (وتولى) عنه (وجمع) المال فجعله فى وعاء وكنزه ولم يؤد الزكاة والحقوق الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وزهى باقتنائه وتكبرا ريد بالانسان الناس فلذلك استثنى منه الا المصلين * والهلع سرعة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير من قولهم ناقة هلواع سريعة السير وعن أحمد بن يحيى قال لى محمد بن عبد الله بن طاهر ما الهلع فقلت قد فسره الله ولا يكون تفسيرا أبين من تفسيره وهو الذى اذا ناله شر أظهر شدة الجزع واذا ناله خير بخل به ومنعه الناس * والخير المال والغنى والشر الفقر أو الصحة والمرض اذا صح الغنى منع المعروف وشح بماله واذا مرض جزع وأخذ يوصى والمعنى ان الانسان لايثاره الجزع والمنع وتمكنهما منه ورسوخهما فيه كأنه مجبول عليهما مطبوع وكأنه أمر خلقى وضرورى غير اختيارى كقوله تعالى خلق الانسان من عجل والدليل عليه أنه حين كان فى البطن والمهد لم يكن به هلع ولانه ذم والله لا يذم فعله والدليل عليه استثناء المؤمنين الذين جاهدوا أنفسهم وحملوها على المكاره وظلفوها عن الشهوات حتى لم يكونوا جازعين ولا مانعين وعن النبى صلى الله عليه وسلم شر ما أعطى ابن آدم شح هالع وجبن خالع (فان قلت) كيف قال (على صلوتهم) دائمون ثم على صلاتهم يحافظون (قلت) معنى دوامهم عليها أن يواظبوا على أدائها لا يخلون بها ولا يشتغلون عنها بشئ من الشواغل كما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أفضل العمل أدومه وان قل وقول عائشة كان عمله ديمة ومحافظتهم عليها أن يراعوا اسباغ الوضوء لها ومواقيتها و يقيموا أركانها ويكملوها بسننها وآدابها ويحفظوها من الاحباط باقتراف المآثم فالدوام يرجع الى أنفس الصلوات والمحافظة الى أحوالها (حق معلوم) هو الزكاة لانها مقدرة معلومة أو صدقة يوظفها الرجل على نفسه يؤديها فى أوقات معلومة * السائل الذى يسأل (والمحروم) الذى يتعفف عن السؤال فيحسب غنيا فيحرم (يصدقون بيوم الدين) تصديقا بأعمالهم واستعدادهم له ويشفقون من عذاب ربهم واعترض بقوله (ان عذاب ربهم غير مأمون) أى لا ينبغى لأحد وان بالغ فى الطاعة والاجتهاد أن يأمنه وينبغى أن يكون مترجحا بين الخوف والرجاء * قرئ بشهادتهم وبشهاداتهم والشهادة من جملة الامانات وخصها من بينها ابانة لفضلها لان فى اقامتها احياء الحقوق وتصحيحها وفى زيها تضييعها وابطالها * كان المشركون يحتفون حول النبى صلى الله عليه وسلم حلقا حلقا وفرقا فرقا يستمعون ويستهزئون بكلامه ويقولون ان دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت (مهطعين) مسرعين نحوك مادى أعناقهم اليك مقبلين بأبصارهم عليك (عزين) فرقا شتى جمع عزة وأصلها عزوة كان كل فرقة تعتزى الى غير من تعتزى اليه الاخرى فهم مفترقون قال الكميت

ونحن وجندل باغ تركنا * كتائب جندل شتى عزينا

وقيل كان المستهزئون خمسة أرهط (كلا) ردع لهم عن طمعهم فى دخول الجنة ثم علل ذلك بقوله (انا خلقناهم مما يعلمون) الى آخر السورة وهو كلام دال على انكارهم البعث فكأنه قال كلا انهم منكرون للبعث والجزاء

من أدبر وتولى وجمع فأوعى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا الا المصلين الذين هم على صلوتهم دائمون والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم والذين يصدقون بيوم الدين والذين هم من عذاب ربهم مشفقون ان عذاب ربهم غير مأمون والذين هم لفروجهم حافظون الا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم قائمون والذين هم على صلوتهم يحافظون أولئك فى جنات مكرمون فمال الذين كفروا قبلك مهطعين عن اليمين وعن الشمال عزين أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم كلا انا خلقناهم مما يعلمون فلا أقسم برب المشارق والمغارب انا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فذرهم يخوضوا ويلعبوا

خلقه فالله تعالى له الحمد على كل حال وانما المذموم العبد بجهة انه جعل فيه اختيارا يفرق به بالضرورة بين الاختياريات والقسريات الا لله الحجة البالغة والله أعلم * قوله تعالى الذين هم على صلوتهم دائمون (قال أى لا يتركونها فى وقت ولا يحبطونها الخ) قال أحمد حفظها من الاحباط نص عند أهل السنة على حفظها من الكفر خاصة فلا يحبط ما سواه خلافا للقدرية وقد تقدمت أمثاله والله أعلم

حتى يلاقوا يومهم الذى
يوعدون يوم يخرجون
من الاجداث سراعا
كأنهم الى نصب
يوفضون خاشعة
أبصارهم ترهقهم ذلة
ذلك اليوم الذى كانوا
يوعدون

﴿سورة نوح مكية وهى
تسع وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

انا أرسلنا نوحا الى قومه
أن أنذر قومك من
قبل أن يأتيهم عذاب
أليم قال ياقوم انى لكم
نذير مبين أن اعبدوا
الله واتقوه وأطيعون
يغفر لكم من ذنوبكم
ويؤخركم الى أجل
مسمى ان أجل الله اذا
جاء لا يؤخر لو كنتم
تعلمون قال رب انى
دعوت قومى ليلا ونهارا
فلم يزدهم دعائى الا
فرارا وانى كلما دعوتهم
لتغفر لهم جعلوا
أصابعهم فى آذانهم
واستغشوا ثيابهم
وأصروا واستكبروا
استكبارا ثم انى دعوتهم
جهارا ثم انى أعلنت
لهم وأسررت لهم
اسرارا فقلت استغفروا
ربكم انه كان غفارا
يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم

فمن أين يطمعون فى دخول الجنة (فان قلت) من أى وجه دل هذا الكلام على انكار البعث (قلت) من
حيث انه احتجاج عليهم بالنشأة الاولى كالاحتجاج بها عليهم فى مواضع من التنزيل وذلك قوله خلقناهم
مما يعلمون أى من النطف وبالقدرة على أن يهلكهم ويبدل ناسا خيرا منهم وأنه ليس بمسبوق على ما يريد
تكوينه لا يعجزه شئ والغرض أن من قدر على ذلك لم تعجزه الاعادة ويجوز أن يراد انا خلقناهم مما يعلمون
أى من النطفة المذرة وهى منصبهم الذى لا منصب أوضع منه ولذلك أبهم وأخفى اشعارا بانه منصب يستحيا
من ذكره فمن أين يتشرفون ويدعون التقدم ويقولون لندخلن الجنة قبلهم وقيل معناه انا خلقناهم من
نطفة كما خلقنا بنى آدم كلهم ومن حكمنا أن لا يدخل أحد منهم الجنة الا بالايمان والعمل الصالح فلم يطمع أن
يدخلها من ليس له ايمان وعمل وقرئ برب المشرق والمغرب ويخرجون ويخرجون ومن الاجداث سراعا
بالاظهار والادغام ونصب ونصب وهو كل ما نصب فعبد من دون الله (يوفضون) يسرعون الى الداعى
مستبقين كما كانوا يستبقون الى أنصابهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة سأل سائل أعطاه
الله ثواب الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون

﴿سورة نوح مكية وهى تسع أو ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(أن أنذر) أصله بأن أنذر فحذف الجار وأوصل الفعل وهى أن الناصبة للفعل والمعنى أرسلناه بان قلنا له
أنذر أى أرسلناه بالامر بالانذار ويجوز أن تكون مفسرة لان الارسال فيه معنى القول وقرأ ابن مسعود
أنذر بغير أن على ارادة القول و (أن اعبدوا) نحو أن أنذر فى الوجهين (فان قلت) كيف قال (ويؤخركم) مع
اخباره بامتناع تأخير الاجل وهل هذا الا تناقض (قلت) قضى الله مثلا أن قوم نوح ان آمنوا عمرهم ألف
سنة وان بقوا على كفرهم أهلكهم على رأس تسعمائة فقيل لهم آمنوا يؤخركم الى أجل مسمى أى الى وقت
سماه الله وضربه أمدا تنتهون اليه لا تتجاوزونه وهو الوقت الاطول تمام الالف * ثم أخبر أنه اذا جاء ذلك
الاجل الامد لا يؤخر كما يؤخر هذا الوقت ولم تكن لكم حيلة فبادروا فى أوقات الاهمال والتأخير (ليلا ونهارا)
دائبا من غير فتور مستغرقا به الاوقات كلها (فلم يزدهم دعائى) جعل الدعاء فاعل زيادة الفرار والمعنى على أنهم
ازدادوا عنده فرارا لانه سبب الزيادة ونحوه فزادتهم رجسا الى رجسهم فزادتهم ايمانا (لتغفر لهم) ليتوبوا عن
كفرهم فتغفر لهم فذكر المسبب الذى هو حظهم خالصا ليكون أقبح لاعراضهم عنه * سدوا مسامعهم عن
استماع الدعوة (واستغشوا ثيابهم) وتغطوا بها كأنهم طلبوا أن تغشاهم ثيابهم أو تغشيهم لئلا يبصروه
كراهة النظر الى وجه من ينصحهم فى دين الله وقيل لئلا يعرفهم ويعضده قوله تعالى ألا انهم يثنون صدورهم
ليستخفوا منه ألا حين يستغشون ثيابهم * الاصرار من أصر الحمار على العانة اذا صر أذنيه وأقبل عليها
يكدمها ويطردها استعير للاقبال على المعاصى والاكباب عليها (واستكبروا) وأخذتهم العزة من اتباع نوح
وطاعته * وذكر المصدر تأكيد ودلالة على فرط استكبارهم وعتوهم (فان قلت) ذكر أنه دعاهم ليلا ونهارا ثم
دعاهم جهارا ثم دعاهم فى السر والعلن فيجب أن تكون ثلاث دعوات مختلفات حتى يصح العطف (قلت) قد
فعل عليه الصلاة والسلام كما يفعل الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فى الابتداء بالاهون والترقى فى الاشد
فالاشد فافتتح بالمناصحة فى السر فلما لم يقبلوا ثنى بالمجاهرة فلما لم تؤثر ثلث بالجمع بين الاسرار والاعلان ومعنى
ثم الدلالة على تباعد الاحوال لان الجهار أغلظ من الاسرار والجمع بين الامرين أغلظ من افراد أحدهما
و (جهارا) منصوب بدعوتهم نصب المصدر لان الدعاء أحد نوعيه الجهار فنصب به نصب القرفصاء بقعد لكونها
أحد أنواع القعود أو لانه أراد بدعوتهم جاهرتهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر دعا بمعنى دعاء جهارا أى مجاهرا

به

أنا جاء لا يؤخر (قال فيه) ان قلت كيف قال ويؤخركم مع اخباره بامتناع التأخر الخ)

جنات ويجعل لكم أنهارا
مالكم لا ترجون لله وقارا
وقد خلقكم أطوارا
ألم تروا كيف خلق الله
سبع سموات طباقا وجعل
القمر فيهن نورا وجعل
الشمس سراجا والله
أنبتكم من الارض نباتا
ثم يعيدكم فيها ويخرجكم
اخراجا والله جعل لكم
الارض بساطا لتسلكوا
منها سبلا فجاجا قال نوح
رب انهم عصونى واتبعوا
من لم يزده ماله وولده
الا خسارا ومكروا مكرا
كبارا وقالوا لا تذرن
آلهتكم

* قوله تعالى مالكم
لا ترجون لله وقارا (قال
فيه مالكم لا تكونون
على حال يكون فيها
تعظيم الله تعالى الخ) قال
أحمد وهذا التفسير يبقى
الرجاء على بابه ونقل قولا
آخر لحمله على الخوف
أى لا تخافون لله عظمة
وعن ابن عباس أن
الوقار العاقبة لاستقرار
الثواب وثبات العقاب
من وقر اذا ثبت * قوله
تعالى وجعل القمر فيهن
نورا (قال فيه وانما هو فى
السماء الدنيا لان بين
السموات وبين السماء
الدنيا مناسبة) قال أحمد
ويلاحظ يخرج منهما
اللؤلؤ والمرجان

به أو مصدرا فى موضع الحال أى مجاهرا * أمرهم بالاستغفار الذى هو التوبة عن الكفر والمعاصى وقدم
اليهم الموعد بما هو أوقع فى نفوسهم وأحب اليهم من المنافع الحاضرة والفوائد العاجلة ترغيبا فى الايمان
وبركاته والطاعة ونتائجها من خير الدارين كما قال وأخرى تحبونها نصر من الله ولو أن أهل القرى آمنوا
واتقوا لفتحنا عليهم بركات ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم وأن
لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم وقيل لما كذبوه بعد طول تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر
وأعقم أرحام نسائهم أربعين سنة وروى سبعين فوعدهم أنهم ان آمنوا رزقهم الله تعالى الخصب ودفع عنهم
ما كانوا فيه وعن عمر رضى الله عنه أنه خرج يستسقى فما زاد على الاستغفار فقيل له ما رأيناك استسقيت فقال
لقد استسقيت بمجاديح السماء التى يستنزل بها القطر شبه الاستغفار بالانواء الصادقة التى لا تخطئ وعن
الحسن أن رجلا شكا اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع
أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح أتاك رجال يشكون أبوابا ويسألون أنواعا فأمرتهم
كلهم بالاستغفار فتلا له هذه الآية * والسماء المظلة لان المطر منها ينزل الى السحاب ويجوز أن يراد السحاب
أو المطر من قوله * اذا نزل السماء بأرض قوم * والمدرار الكثير الدرور ومفعال مما يستوى فيه المذكر
والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار ومتفال (جنات) بساتين (لا ترجون لله وقارا) لا تأملون له توقيرا أى
تعظيما والمعنى مالكم لا تكونون على حال تأملون فيها تعظيم الله اياكم فى دار الثواب ولله بيان للموقر ولو تأخر
لكان صلة للوقار وقوله (وقد خلقكم أطوارا) فى موضع الحال كأنه قال مالكم لا تؤمنون بالله والحال هذه
وهى حال موجبة للايمان به لانه خلقكم أطوارا أى تارات خلقكم أولا ترابا ثم خلقكم نطفا ثم خلقكم علقا
ثم خلقكم مضغا ثم خلقكم عظاما ولحما ثم أنشأكم خلقا آخر أو لا تخافون لله حلما وترك معاجلة العقاب
فتؤمنوا وقيل مالكم لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس لا تخافون لله عاقبة لان العاقبة حال استقرار
الامور وثبات الثواب والعقاب من وقر اذا ثبت واستقر * نبههم على النظر فى أنفسهم أولا لانها أقرب
منظور فيه منهم ثم على النظر فى العالم وما سوى فيه من العجائب الشاهدة على الصانع الباهر قدرته وعلمه
من السموات والارض والشمس والقمر (فيهن) فى السموات وهو فى السماء الدنيا لان بين السموات ملابسة
من حيث انها طباق فجاز أن يقال فيهن كذا وان لم يكن فى جميعهن كما يقال فى المدينة كذا وهو فى بعض
نواحيها وعن ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهما أن الشمس والقمر وجوههما مما يلى السماء وظهورهما مما يلى
الارض (وجعل الشمس سراجا) يبصر أهل الدنيا فى ضوئها كما يبصر أهل البيت فى ضوء السراج
ما يحتاجون الى ابصاره والقمر ليس كذلك انما هو نور لم يبلغ قوة ضياء الشمس ومثله قوله تعالى هو الذى
جعل الشمس ضياء والقمر نورا والضياء أقوى من النور * استعير الانبات للانشاء كما يقال زرعك الله للخير
وكانت هذه الاستعارة أدل على الحدوث لانهم اذا كانوا نباتا كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ومنه قيل
للحشوية النابتة والنوابت لحدوث مذهبهم فى الاسلام من غير أولية لهم فيه ومنه قولهم نجم فلان لبعض
المارقة والمعنى أنبتكم فنبتم نباتا أو نصب بأنبتكم لتضمنه معنى نبتم (ثم يعيدكم فيها) مقبورين ثم (يخرجكم)
يوم القيامة * وأكده بالمصدر كأنه قال يخرجكم حقا ولا محالة * جعلها بساطا مبسوطة تتقلبون عليها
كما يتقلب الرجل على بساطه (فجاجا) واسعة منفجة (واتبعوا) رؤساءهم المقدمين أصحاب الاموال والاولاد
وارتسموا ما رسموا لهم من التمسك بعبادة الاصنام * وجعل أموالهم وأولادهم التى لم تزدهم الا وجاهة
ومنفعة فى الدنيا زائدة (خسارا) فى الآخرة وأجرى ذلك مجرى صفة لازمة لهم وسمة يعرفون بها تحقيقا له
وتثبيتا وابطالا لما سواه * وقرئ وولده بضم الواو وكسرها (ومكروا) معطوف على لم يزده وجمع الضمير
وهو راجع الى من لانه فى معنى الجمع والماكرون هم الرؤساء ومكرهم احتيالهم فى الدين وكيدهم لنوح
وتحريش الناس على أذاه وصدهم عن الميل اليه والاستماع منه وقولهم لهم لا تذرن آلهتكم الى عبادة
رب نوح (مكرا كبارا) قرئ بالتخفيف والتثقيل والكبار أكبر من الكبير والكبار أكبر من الكبار ونحوه

* عادكلامه قوله تعالى ولاتزد الظالمين الاضلالا (قال فيه كيف جاز أن يريد الضلال وأجاب بان المراد به منع الالطاف) قلت هذا على قاعدته * قوله تعالى مما خطيئاتهم (٢٢٠) أغرقوا فأدخلوا نارا (قال فيه ماموجب اغراقهم حين أغرقوا وأجاب بانهم ماأغرقوا الاعلى وجه العقاب الخ) قال أحمد هذا السؤال مفصح عما فى باطنه من وجوب تعليل أفعال الله تعالى وعليه يبنى أنه لايجوز الالم من الله تعالى الا باستحقاق سابق أولاعواض مترقبة أو لغير ذلك من المصالح بناء على القاعدة لهم فى الصلاح والاصلح والصبيان لا جناية سبقت منهم ولاعوض يترقب فيهم فيرد السؤال على ذلك وأما أهل السنة فالله تعالى قد تكفل الجواب عنهم بقوله لايسئل عما يفعل وهذا الكلام بالنظر الى خصوص واقعة قوم نوح و يجر الكلام منها الى حكم الله علينا فى العدو اذا خيف من مقاتلتهم بالا كلات على ذراريهم ان ذلك لايوجب الا كفاف عن مقاتلتهم بالا كلات المهلكة لهم والمذرية ويستدل برمى النبى صلى الله عليه وسلم على أهل الطائف بالمجانيق وقيل له فيهم الذرية فقال هم من آبائهم وأمار ميهم بالنار وفيهم الذرية فمنعه مالك رحمه الله الا أن يخاف غائلتهم فيرمون بها ان لم يندفعوا بغيرها والله أعلم

طوال وطوال (ولاتذرن ودا) كان هذه المسميات كانت أكبر أصنامهم وأعظمها عندهم فخصوها بعد قولهم لاتذرن آلهتكم وقد انتقلت هذه الاصنام عن قوم نوح الى العرب فكان ود لكلب وسواع لهمدان ويغوث لمذحج و يعوق لمراد ونسر لحمير ولذلك سمت العرب بعبد ود وعبد يغوث وقيل هى أسماء رجال صالحين وقيل من أولاد آدم ماتوا فقال ابليس لمن بعدهم لو صورتم صورهم فكنتم تنظرون اليهم ففعلوا فلما مات أولئك قال لمن بعدهم انهم كانوا يعبدونهم فعبدوهم وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر * وقرئ ودا بضم الواو وقرأ الاعمش ولايغوثا ويعوقا بالصرف وهذه قراءة مشكلة لانهما ان كانا عربيين أو عجميين ففيهما سببا منع الصرف اما التعريف ووزن الفعل واما التعريف والعجمة ولعله قصد الازدواج فصرفهما لمصادفته أخواتهما منصرفات ودا وسواعا ونسرا كما قرئ وضحاها بالامالة لوقوعه مع الممالات للازدواج (وقد أضلوا) الضمير للرؤساء ومعناه وقد أضلوا (كثيرا) قبل هؤلاء الموصين بأن يتمسكوا بعبادة الاصنام ليسوا بأول من أضلوهم أو وقد أضلوا باضلالهم كثيرا يعنى أن هؤلاء المضلين فيهم كثرة و يجوز أن يكون للاصنام كقوله تعالى انهن أضللن كثيرا من الناس (فان قلت) علام عطف قوله (ولاتزد الظالمين) (قلت) على قوله رب انهم عصونى على حكاية كلام نوح عليه السلام بعد قال وبعد الواو النائبة عنه ومعناه قال رب انهم عصونى و قال لاتزد الظالمين الاضلالا أى قال هذين القولين وهما فى محل النصب لانهما مفعولا قال كقولك قال زيد نودى للصلاة وصل فى المسجد تحكى قوليه معطوفا أحدهما على صاحبه (فان قلت) كيف جاز أن يريد لهم الضلال ويدعو الله بزيادته (قلت) المراد بالضلال أن يخذلوا و يمنعوا الالطاف لتصميمهم على الكفر ووقوع اليأس من ايمانهم وذلك حسن جميل يجوز الدعاء به بل لايحسن الدعاء بخلافه ويجوز أن يريد بالضلال الضياع والهلاك لقوله تعالى ولاتزد الظالمين الا تبارا * تقديم (مما خطيئاتهم) لبيان أن لم يكن اغراقهم بالطوفان فادخالهم النار الا من أجل خطيئاتهم وأكد هذا المعنى بزيادة ما وفى قراءة ابن مسعود من خطيئاتهم ما أغرقوا بتأخير الصلة وكفى بها مزجرة لمرتكب الخطايا فان كفر قوم نوح كان واحدة من خطيئاتهم وان كانت كبراهن وقد نعيت عليهم سائر خطيئاتهم كما نعى عليهم كفرهم ولم يفرق بينه وبينهن فى استيجاب العذاب لئلا يتكل المسلم الخاطئ على اسلامه و يعلم أن معه ما يستوجب به العذاب وان خلا من الخطيئة الكبرى وقرئ خطيئاتهم بالهمزة وخطياتهم بقلبها ياء وادغامها وخطاياهم وخطيئتهم بالتوحيد على ارادة الجنس ويجوز أن يراد الكفر (فأدخلوا نارا) جعل دخولهم النار فى الآخرة كأنه متعقب لاغراقهم لاقترابه ولانه كائن لامحالة فكأنه قد كان أو أريد عذاب القبر ومن مات فى ماء أو فى نار أو أكلته السباع والطير أصابه ما يصيب المقبور من العذاب وعن الضحاك كانوا يغرقون من جانب و يحرقون من جانب وتنكير النار اما لتعظيمها أو لان الله أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعا من النار (فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا) تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم كأنه قال فلم يجدوا لهم من دون الله آلهة ينصرونهم و يمنعونهم من عذاب الله كقوله تعالى أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا (ديارا) من الاسماء المستعملة فى النفى العام يقال مابالدار ديار وديور كقيام وقيوم وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار ففعل به مافعل باصل سيد وميت ولو كان فعالا لكان دوارا (فان قلت) بم علم أن أولادهم يكفرون وكيف وصفهم بالكفر عند الولادة (قلت) لبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فذاقهم وأكلهم وعرف طباعهم وأحوالهم وكان الرجل منهم ينطلق بابنه اليه ويقول احذر هذا فانه كذاب وان أبى حذرنيه فيموت

ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين الاضلالا مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا نارا فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا وقال نوح رب لاتذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك

الكبير و ينشأ الصغير على ذلك وقد أخبره الله عز و جل أنه لن يؤمن من قومك الامن قد آمن ومعنى (لايلدوا الافاجرا كفارا) لايلدوا الامن سيفجر و يكفر فوصفهم بما يصيرون اليه كقوله عليه السلام من قتل قتيلا فله سلبه (ولوالدى) أبوه لمك بن متوشلخ وأمه شمخا بنت أنوش كانا مؤمنين وقيل هما آدم وحواء وقرأ الحسين بن على ولولدى يريد ساما وحاما (بيتى) منزلى وقيل مسجدى وقيل سفينتى خص أولا من يتصل به لانهم أولى وأحق بدعائه * ثم عم المؤمنين والمؤمنات (تبارا) هلاكا (فان قلت) مافعل صبيانهم حين أغرقوا (قلت) غرقوا معهم لاعلى وجه العقاب ولكن كما يموتون بالانواع من أسباب الموت وكم منهم من يموت بالغرق والحرق وكان ذلك زيادة فى عذاب الآباء والامهات اذا أبصروا أطفالهم يغرقون ومنه قوله عليه السلام يهلكون مهلكا واحدا و يصدرون مصادر شتى وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وقيل أعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة فلم يكن معهم صبى حين أغرقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح عليه السلام

ولا يلدوا الافاجرا كفارا رب اغفرلى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولاتزد الظالمين الاتبارا

﴿سورة الجن مكية وهى ثمان وعشرون آية﴾

﴿سورة الجن مكية وهى ثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) قل أوحى الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وانه تعالى جد ربنا مااتخذ صاحبة ولا ولدا وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا وأنا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا

* قرئ أحى وأصله وحى يقال أوحى اليه ووحى اليه فقلبت الواو همزة كما يقال أعد وأزن واذا الرسل أقتت وهو من القلب المطلق جوازه فى كل واو مضمومة وقد أطلقه المازنى فى المكسورة أيضا كاشاح واسادة واعاء أخيه وقرأ ابن أبى عبلة وحى على الاصل (أنه استمع) بالفتح لانه فاعل أوحى وانا سمعنا بالكسر لانه مبتدأ محكى بعد القول ثم تحمل عليهما البواقى فما كان من الوحى فتح وما كان من قول الجن كسر وكلهن من قولهم الا الثنتين الاخريين وأن المساجد وأنه لما قام ومن فتح كلهن فعطفا على محل الجار والمجرور فى آمنا به كأنه قيل صدقناه وصدقنا أنه تعالى جد ربنا وأنه كان يقول سفيهنا وكذلك البواقى (نفر من الجن) جماعة منهم مابين الثلاثة الى العشرة وقيل كانوا من الشيصبان وهم أكثر الجن عددا وعامة جنود ابليس منهم (فقالوا انا سمعنا) أى قالوا لقومهم حين رجعوا اليهم كقوله فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا (عجبا) بديعا مباينا لسائر الكتب فى حسن نظمه وصحة معانيه قائمة فيه دلائل الاعجاز وعجب مصدر يوضع موضع العجيب وفيه مبالغة وهو ماخرج عن حد أشكاله ونظائره (يهدى الى الرشد) يدعو الى الصواب وقيل الى التوحيد والايمان * الضمير فى (به) للقرآن * ولما كان الايمان به ايمانا بالله و بوحدانيته و براءة من الشرك قالوا (ولن نشرك بربنا أحدا) أى ولن نعود الى ما كنا عليه من الاشراك به فى طاعة الشيطان ويجوز أن يكون الضمير لله عز وجل لان قوله بربنا يفسره (جد ربنا) عظمته من قولك جد فلان فى عينى أى عظم وفى حديث عمر رضى الله عنه كان الرجل منا اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا وروى فى أعيننا أو ملكه وسلطانه أو غناه استعارة من الجد الذى هو الدولة والبخت لان الملوك والاغنياء هم المجدودون والمعنى وصفه بالتعالى عن الصاحبة والولد لعظمته أو لسلطانه وملكوته أو لغناه وقوله (مااتخذ صاحبة ولا ولدا) بيان لذلك * وقرئ جدا ربنا على التمييز وجد ربنا بالكسر أى صدق ربوبيته وحق الهيته عن اتخاذ الصاحبة والولد وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والايمان تنبهوا على الخطا فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه واتخاذه صاحبة وولدا فاستعظموه ونزهوه عنه * سفيههم ابليس لعنه الله أو غيره من مردة الجن * والشطط مجاوزة الحد فى الظلم وغيره ومنه أشط فى السوم اذا أبعد فيه أى يقول قولا هو فى نفسه شطط لفرط ما أشط فيه وهو نسبة الصاحبة والولد الى الله * وكان فى ظننا أن أحدا من الثقلين لن يكذب على الله ولن يفترى عليه ماليس بحق فكنا نصدقهم فيما أضافوا اليه من ذلك حتى تبين لنا بالقرآن كذبهم وافتراؤهم (كذبا) قولا كذبا أى مكذوبا فيه أو نصب نصب المصدر لان الكذب نوع من القول * ومن قرأ أن لن تقول

وانهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحدا وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وأنا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا وانا منا الصالحون ومنا دون ذلك كنا طرائق قددا وانا ظننا أن لن نعجز الله فى الارض ولن نعجزه هربا

(القول فى سورة الجن)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا (قال فيه ان قلت كأن الرجم لم يكن فى الجاهلية وقد قال تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتى الزينة والرجم الخ) قال أحمد ومن عقائدهم أن الرشد والضلال جميعا مراد لله تعالى بقولهم وانا لاندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا ولقد أحسنوا الادب فى ذكر ارادة الشر محذوفة الفاعل والمراد بالمريد هو الله عزوجل وابرازهم لاسمه عند ارادة الخير والرشد فجمعوا بين العقيدة الصحيحة والآداب المليحة

وضع كذبا موضع تقولا ولم يجعله صفة لان التقول لا يكون الا كذبا * الرهق غشيان المحارم والمعنى أن الانس باستعاذتهم بهم زادوهم كبرا وكفرا وذلك أن الرجل من العرب كان اذا أمسى فى واد قفر فى بعض مسايره وخاف على نفسه قال أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فاذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الجن والانس فذلك رهقهم أو فزاد الجن الانس رهقا باغوائهم واضلالهم لاستعاذتهم بهم (وانهم) وأن الانس (ظنوا كما ظننتم) وهو من كلام الجن يقوله بعضهم لبعض وقيل الآيتان من جملة الوحى والضمير فى وانهم ظنوا للجن والخطاب فى ظننتم لكفار قريش * اللمس المس فاستعير للطلب لان الماس طالب متعرف قال

مسسنا من الآباء شيأ وكلنا * الى نسب فى قومه غير واضع

يقال لمسه والتمسه وتلمسه كطلبه واطلبه وتطلبه ونحوه الجس وقولهم جسوه باعينهم وتجسسوه والمعنى طلبنا بلوغ السماء واستماع كلام أهلها * والحرس اسم مفرد فى معنى الحراس كالخدم فى معنى الخدام ولذلك وصف بشديد ولو ذهب الى معناه لقيل شدادا ونحوه * أخشى رجيلا أو ركيبا غاديا * لان الرجل والركب مفردان فى معنى الرجال والركاب * والرصد مثل الحرس اسم جمع للراصد على معنى ذوى شهاب راصدين بالرجم وهم الملائكة الذين يرجمونهم بالشهب ويمنعونهم من الاستماع ويجوز أن يكون صفة للشهاب بمعنى الراصد أو كقوله ومعى جياعا يعنى يجد شهابا راصدا له ولأجله (فان قلت) كأن الرجم لم يكن فى الجاهلية وقد قال الله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين فذكر فائدتين فى خلق الكواكب التزيين ورجم الشياطين (قلت) قال بعضهم حدث بعد مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو احدى آياته والصحيح أنه كان قبل المبعث وقد جاء ذكره فى شعر أهل الجاهلية قال بشر بن أبى خازم

والعير يرهقها الخبار وجحشها * ينقض خلفهما انقضاض الكوكب

وقال أوس بن حجر

وانقض كالدرى يتبعه * نقع يثور تخاله طنبا

وقال عوف بن الخرع

يرد علينا العير من دون إلفه * أو الثور كالدرى يتبعه الدم

ولكن الشياطين كانت تسترق فى بعض الاحوال فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر الرجم وزاد زيادة ظاهرة حتى تنبه لها الانس والجن ومنع الاستراق أصلا وعن معمر قلت للزهرى أكان يرمى بالنجوم فى الجاهلية قال نعم قلت أرأيت قوله تعالى وانا كنا نقعد فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم وروى الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى نفر من الانصار اذ رمى بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون فى مثل هذا فى الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم أو يولد عظيم وفى قوله ملئت دليل على أن الحادث هو الملء والكثرة وكذلك قوله نقعد منها مقاعد أى كنا نجد فيها بعض المقاعد خالية من الحرث والشهب والآن ملئت المقاعد كلها وهذا ذكر ما حملهم على الضرب فى البلاد حتى عثروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمعوا قراءته يقولون لما حدث هذا الحادث من كثرة الرجم ومنع الاستراق قلنا ما هذا الا لامر أراده الله بأهل الارض ولا يخلو من أن يكون شرا أو رشدا أى خيرا من عذاب أو رحمة أو من خذلان أو توفيق (منا الصالحون) منا الابرار المتقون (ومنا دون ذلك) ومنا قوم دون ذلك فحذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم وهم المقتصدون فى الصلاح غير الكاملين فيه أو أرادوا الطالحين (كنا طرائق قددا) بيان للقسمة المذكورة أى كنا ذوى مذاهب مفترقة مختلفة أو كنا فى اختلاف أحوالنا مثل الطرائق المختلفة أو كنا فى طرائق مختلفة كقوله

* كما عسل الطريق الثعلب * أو كانت طرائقنا طرائق قددا على حذف المضاف الذى هو الطرائق واقامة الضمير المضاف اليه مقامه والقدة من قد كالقطعة من قطع ووصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق (فى الارض) و(هربا) حالان أى لن نعجزه كائنين فى الارض أينما كنا فيها ولن نعجزه هاربين منها الى السماء وقيل لن نعجزه فى الارض ان أراد بنا أمرا ولن نعجزه هربا ان طلبنا * والظن بمعنى اليقين وهذه صفة أحوال الجن وما هم عليه من أحوالهم وعقائدهم منهم أخيار وأشرار ومقتصدون وأنهم

يعتقدون أن الله عزوجل عزيز غالب لا يفوته مطلب ولا ينجى عنه مهرب (لما سمعنا الهدى) هو سماعهم القرآن * وايمانهم به (فلا يخاف) فهو لا يخاف أى فهو غير خائف ولان الكلام فى تقدير مبتدإ وخبر دخلت الفاء ولولا ذلك لقيل لا يخف (فان قلت) أى فائدة فى رفع الفعل وتقدير مبتدإ قبله حتى يقع خبرا له ووجوب ادخال الفاء وكان ذلك كله مستغنى عنه بان يقال لا يخف (قلت) الفائدة فيه أنه اذا فعل ذلك فكأنه قيل فهو لا يخاف فكان دالا على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه هو المختص بذلك دون غيره وقرأ الاعمش فلا يخف على النهى (بخسا ولا رهقا) أى جزاء بخس ولا رهق لانه لم يبخس أحدا حقا ولا رهق ظلم أحد فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم ومنه قوله عليه الصلاة والسلام المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم ويجوز أن يراد فلا يخاف أن يبخس بل يجزى الجزاء الاوفى ولا أن ترهقه ذلة من قوله عزوجل وترهقهم ذلة (القاسطون) الكافرون الجائرون عن طريق الحق وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه أن الحجاج قال له حين أراد قتله ما تقول فىّ قال قاسط عادل فقال القوم ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة انه سمانى ظالما مشركا وتلا لهم قوله تعالى وأما القاسطون وقوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد زعم من لا يرى للجن ثوابا أن الله تعالى أوعد قاسطيهم وما وعد مسلميهم وكفى به وعدا أن قال فأولئك تحروا رشدا فذكر سبب الثواب وموجبه والله أعدل من أن يعاقب القاسط ولا يثيب الراشد (وأن لو استقاموا) أن مخففة من الثقيلة وهو من جملة الموحى والمعنى وأوحى الىّ أن الشأن والحديث لو استقام الجن على الطريقة المثلى أى لو ثبت أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة الله والطاعة ولم يستكبر عن السجود لآدم ولم يكفر وتبعه ولده على الاسلام لانعمنا عليهم ولوسعنا رزقهم * وذكر الماء الغدق وهو الكثير بفتح الدال وكسرها وقرئ بهما لانه أصل المعاش وسعة الرزق (لنفتنهم فيه) لنختبرهم فيه كيف يشكرون ما خولوا منه ويجوز أن يكون معناه وأن لو استقام الجن الذين استمعوا على طريقتهم التى كانوا عليها قبل الاستماع ولم ينتقلوا عنها الى الاسلام لوسعنا عليهم الرزق مستدرجين لهم لنفتنهم فيه لتكون النعمة سببا لاتباعهم شهواتهم ووقوعهم فى الفتنة وازديادهم اثما أو لنعذبهم فى كفران النعمة (عن ذكر ربه) عن عبادته أو عن موعظته أو عن وحيه (يسلكه) وقرئ بالنون مضمومة ومفتوحة أى ندخله (عذابا) والاصل نسلكه فى عذاب كقوله ما سلككم فى سقر فعدى الى مفعولين اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما بتضمينه معنى ندخله يقال سلكه وأسلكه قال * حتى اذا أسلكوهم فى قتائدة * والصعد مصدر صعد يقال صعد صعدا وصعودا فوصف به العذاب لانه يتصعد المعذب أى يعلوه ويغلبه فلا يطيقه ومنه قول عمر رضى الله عنه ما تصعدنى شىء ما تصعدتنى خطبة النكاح يريد ما شق علىّ ولا غلبنى (وأن المساجد) من جملة الموحى وقيل معناه ولان المساجد (لله فلا تدعوا) على أن اللام متعلقة بلا تدعوا أى فلا تدعوا (مع الله أحدا) فى المساجد لانها لله خاصة ولعبادته وعن الحسن يعنى الارض كلها لانها جعلت للنبى صلى الله عليه وسلم مسجدا وقيل المراد بها المسجد الحرام لانه قبلة المساجد ومنه قوله تعالى ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وعن قتادة كان اليهود والنصارى اذا دخلوا بيعهم وكنائسهم أشركوا بالله فأمرنا أن نخلص لله الدعوة اذا دخلنا المساجد وقيل المساجد أعضاء السجود السبعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أسجد على سبعة آراب وهى الجبهة والانف واليدان والركبتان والقدمان وقيل هى جمع مسجد وهو السجود (عبد الله) النبى صلى الله عليه وسلم (فان قلت) هلا قيل رسول الله أو النبى (قلت) لان تقديره وأوحى الىّ أنه لما قام عبد الله فلما كان واقعا فى كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نفسه جىء به على ما يقتضيه التواضع والتذلل أو لان المعنى أن عبادة عبد الله ليست بأمر مستبعد عن العقل ولا مستنكر حتى يكونوا عليه لبدا * ومعنى قام يدعوه قام يعبده يريد قيامه لصلاة الفجر بنخلة حين أتاه الجن فاستمعوا لقراءته صلى الله عليه وسلم (كادوا يكونون عليه لبدا) أى يزدحمون عليه متراكمين تعجبا مما رأوا من عبادته واقتداء أصحابه به قائما وراكعا

وانا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا وانا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذابا صعدا وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا

(قوله تعالى قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا (قال فيه معناه أى لا أستطيع ان أنفعكم أو أضركم انما النافع والضار الله عز وجل الخ) قال أحمد فى الآية دليل بين على أن الله تعالى هو الذى يملك لعباده الرشد والغى أى يخلقهما لا غير فان النبى صلى الله عليه وسلم انما سلب ذلك عن قدرته ليمحض اضافته الى قدرة الله وحده وفطن الزمخشرى لذلك فاخذ يعمل الحيل فتارة يحمل الرشد على مطلق النفع فيضيف ذلك الى الله تعالى وتارة يكنع عنه لان فيه ابطالا لخصوصية الرشد المنصوص عليه فى الآية فينوره من تقليده الرأى الفاسد نوائر تصرفه عن الحق وعن اعتقاد أن الله تعالى (٣٢٤) هو الذى يخلق الرشد لعبيده مقارنا لاختيارهم فيدخل زيادة القسر لان معنى ماورد من اضافة

وساجدا واعجابا بما تلا من القرآن لانهم رأوا مالم يروا مثله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره وقيل معناه لما قام رسولا يعبد الله وحده مخالفا للمشركين فى عبادتهم الآلهة من دونه كاد المشركون لتظاهرهم عليه وتعاونهم على عداوته يزدحمون عليه متراكبين لبدا جمع لبدة وهو ما تلبد بعضه على بعض ومنها لبدة الاسد وقرئ لبدا واللبدة فى معنى اللبدة ولبدا جمع لابد كساجد وسجد ولبدا بضمتين جمع لبود كصبور وصبر وعن قتادة تلبدت الانس والجن على هذا الامر ليطفؤه فأبى الله الا أن ينصره ويظهره على من ناواه ومن قرأ وانه بالكسر جعله من كلام الجن قالوه لقومهم حين رجعوا اليهم حاكين ما رأوا من صلاته وازدحام أصحابه عليه فى ائتمامهم به (قال) للمتظاهرين عليه (انما أدعو ربى) يريد ما أتيتكم بأمر منكر انما أعبد ربى وحده (ولا أشرك به أحدا) وليس ذلك مما يوجب اطباقكم على مقتى وعداوتى أو قال للجن عند ازدحامهم متعجبين ليس ماترون من عبادتى الله ورفضى الاشراك به بأمر يتعجب منه انما يتعجب ممن يدعو غير الله ويجعل له شريكا أو قال الجن لقومهم ذلك حكاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا رشدا) ولا نفعا أو أراد بالضر الغى ويدل عليه قراءة أبى غيا ولا رشدا والمعنى لا أستطيع أن أضركم وأن أنفعكم انما الضار والنافع الله أو لا أستطيع أن أقسركم على الغى والرشد انما القادر على ذلك الله عز وجل و (الا بلاغا) استثناء منه أى لا أملك الا بلاغا من الله وقل انى لن يجيرنى جملة معترضة اعترض بها لتأكيد نفى الاستطاعة عن نفسه وبيان عجزه على معنى أن الله ان أراد به سوأ من مرض أو موت أو غيرهما لم يصح أن يجيره منه أحد أو يجد من دونه ملاذا يأوى اليه والملتحد الملتجأ وأصله المدخل من اللحد وقيل محيصا ومعدلا ۞ وقرئ قال لا أملك أى قال عبد الله للمشركين أو للجن ويجوز أن يكون من حكاية الجن لقومهم وقيل بلاغا بدل من ملتحدا أى لن أجد من دونه منجى الا أن أبلغ عنه ما أرسلنى به وقيل الا هى ان لا ومعناه ان لا أبلغ بلاغا كقولك ان لا قياما فقعودا (ورسالاته) عطف على بلاغا كأنه قيل لا أملك لكم الا التبليغ والرسالات والمعنى الا أن أبلغ عن الله فأقول قال الله كذا ناسبا لقوله اليه وأن أبلغ رسالاته التى أرسلنى بها من غير زيادة ولا نقصان (فان قلت) ألا يقال بلغ عنه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام بلغوا عنى بلغوا عنى (قلت) من ليست بصلة للتبليغ انما هى بمنزلة من فى قوله براءة من الله بمعنى بلاغا كائنا من الله ۞ وقرئ فان له نار جهنم على فجزاؤه أن له نار جهنم كقوله فان لله خمسه أى فحكمه أن لله خمسه وقال (خالدين) حملا على معنى الجمع فى من (فان قلت) بم تعلق حتى وجعل ما بعده غاية له (قلت) بقوله يكونون عليه لبدا على أنهم يتظاهرون عليه بالعداوة ويستضعفون أنصاره ويستقلون عددهم (حتى اذا رأوا ما يوعدون) من يوم بدر واظهار الله له عليهم أو من يوم القيامة (فسيعلمون) حينئذ أنهم (أضعف ناصرا وأقل عددا) ويجوز أن يتعلق بمحذوف دلت عليه الحال من استضعاف الكفار له واستقلالهم لعدده كأنه قال لا يزالون على ما هم عليه حتى اذا رأوا ما يوعدون ۞ قال المشركون متى يكون هذا الموعود انكارا له فقيل (قل) انه كائن لا ريب فيه فلا تنكروه فان الله قد وعد ذلك وهو لا يخلف الميعاد وأما وقته فما أدرى متى يكون لان الله لم يبينه لما رأى فى اخفاء وقته من المصلحة (فان قلت) ما معنى قوله (أم يجعل له ربى أمدا) والامد يكون قريبا وبعيدا ألا ترى الى قوله تود لو أن بينها

الرشد الى قدرة الله تعالى عندهم انه يخلق ان تخضع لها الرقاب فيخلق العبد لنفسه عند ظهورها رشدا فيضاف الى قدرة الله تعالى لانه

قال انما أدعو ربى ولا أشرك به أحدا قل انى لا أملك لكم ضرا ولا رشدا قل انى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا الا بلاغا من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا حتى اذا رأوا ما يوعدون فسيعلمون من أضعف ناصرا وأقل عددا قل ان أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا

خالق السبب وهو فى الحقيقة مخلوق بقدرة العبد هذه قاعدة القدرية وعقيدتهم وما الجن بعد هذا الا أوفر منهم عقلا وأسد منهم نظرا لانهم قالوا وانا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا فاضافوا الرشد نفسه الى ارادة الله عز وجل وقدرته ۞ عاد كلامه قوله تعالى قل انى لن يجيرنى من الله أحد الآية (قال فيه هو اعتراض وقوله الا بلاغا استثناء من قوله لا أملك أى لا أملك لكم الا بلاغا وقيل بلاغا بدل من ملتحدا الخ) قال أحمد فيكون تقدير الكلام بلاغا من الله مستفادا ۞ قوله قل ان أدرى أقريب ما توعدون أم يجعل له ربى أمدا (قال) ان قلت ما معنى التقسيم والامد يكون قريبا وبعيدا القوله تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا وأجاب بانه كان صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد وكأنه قال ما أدرى هل هو حال متوقع فى كل ساعة أم له غاية مضروبة

۞ قوله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول (قال فيه ابطال الكرامات لانه حصر ذلك فى المرتضى من الرسل والولى وان كان من المرتضين الخ) قال أحمد ادعى عاما واستدل خاصا فان دعواه ابطال الكرامات بجميع أنواعها والمدلول عليه بالآية ابطال اطلاع الولى على الغيب خاصة ولا يكون كرامة وخارق العادة الا الاطلاع على الغيب لا غير وما القدرية الا لهم شبهة فى ابطالها وذلك ان الله عز وجل لا يتخذ منهم وليا أبدا وهم لم يحدثوا بذلك عن أشياعهم قط فلا جرم انهم يستمرون على الانكار ولا يعلمون أن شرط الكرامة الولاية وهى مسلوبة عنهم اتفاقا وأما سلب الايمان فمسئلة خلاف فما أطمع من يكون ايمانه مسئلة خلاف وهو يريد الكرامة لانه لم يؤتها والله الموفق ۞ القول فى سورة المزمل ۞ (بسم الله الرحمن الرحيم) (٣٢٥) ۞ قوله تعالى يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا (قال فيه هو المتلفف فى ثيابه كالمدثر ونودى بما يهجن اليه الخ) قال أحمد أما قوله الاول ان نداءه بذلك تهجين للحالة التى ذكر أنه كان عليها واستشهاده بالابيات المذكورة

وبينه أمدا بعيدا (قلت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستقرب الموعد فكأنه قال ما أدرى أهو حال متوقع فى كل ساعة أم مؤجل ضربت له غاية ۞ أى هو (عالم الغيب فلا يظهر) فلا يطلع و (من رسول) تبيين لمن ارتضى يعنى أنه لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذى هو مصطفى للنبوة خاصة لا كل مرتضى وفى هذا ابطال للكرامات لان الذين تضاف اليهم وان كانوا أولياء مرتضين فليسوا برسل وقد خص الله الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب وابطال الكهانة والتنجيم لان أصحابهما أبعد شئ من الارتضاء وأدخله فى السخط (فانه يسلك من بين يديه) يدى من ارتضى للرسالة (ومن خلفه رصدا) حفظة من الملائكة يحفظونه من الشياطين يطردونهم عنه ويعصمونه من وساوسهم وتخاليطهم حتى يبلغ ما أوحى به اليه وعن الضحاك ما بعث نبى الا ومعه ملائكة يحرسونه من الشياطين أن يتشبهوا بصورة الملك (ليعلم) الله (أن قد أبلغوا رسالات ربهم) يعنى الانبياء وحد أولا على اللفظ فى قوله من بين يديه ومن خلفه ثم جمع على المعنى كقوله فان له نار جهنم خالدين والمعنى ليبلغوا رسالات ربهم كما هى محروسة من الزيادة والنقصان وذكر العلم كذكره فى قوله تعالى حتى نعلم المجاهدين وقرئ ليعلم على البناء للمفعول (وأحاط بما لديهم) بما عند الرسل من الحكم والشرائع لا يفوته منها شئ ولا ينسى منها حرفا فهو مهيمن عليها حافظ لها (وأحصى كل شئ عددا) من القطر والرمل وورق الاشجار وزبد البحار فكيف لا يحيط بما عند الرسل من وحيه وكلامه وعددا حال أى وضبط كل شئ معدودا محصورا أو مصدر فى معنى احصاء ۞ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجن كان له بعدد كل جنى صدق محمدا صلى الله عليه وسلم وكذب به عتق رقبة

﴿سورة المزمل مكية وهى تسع عشرة أو عشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(المزمل) المتزمل وهو الذى تزمل فى ثيابه أى تلفف بها بادغام التاء فى الزاى ونحوه المدثر فى المتدثر وقرئ المتزمل على الاصل والمزمل بتخفيف الزاى وفتح الميم وكسرها على أنه اسم فاعل أو مفعول من زمله وهو الذى زمله غيره أو زمل نفسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم نائما بالليل متزملا فى قطيفة فنبه ونودى بما يهجن اليه الحالة التى كان عليها من التزمل فى قطيفته واستعداده للاستثقال فى النوم كما يفعل من لا يهمه أمر ولا يعنيه شأن ألا ترى الى قول ذى الرمة

وكائن تخطت ناقتى من مفازة ۞ ومن نائم عن ليلها متزمل

يريد الكسلان المتقاعس الذى لا ينهض فى معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه المشاق والمتاعب ونحوه

فأتت به حوش الفؤاد مبطنا ۞ سهدا اذا ما نام ليل الهوجل

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شئ عددا

۞ سورة المزمل مكية وهى تسع عشرة آية ۞

(بسم الله الرحمن الرحيم) يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا

خطأ وسوء أدب ومن اعتبر عادة خطاب الله تعالى له فى الاكرام والاحترام علم بطلان ما تخيله الزمخشرى

فقد قال العلماء انه لم يخاطب باسمه نداء وان ذلك من خصائصه دون سائر الرسل اكراما له وتشريفا فأين نداؤه بصيغة مهجنة من ندائه باسمه واستشهاده على ذلك بابيات قيلت ذما فى جفاة حفاة من الرعاء فأنا أبرأ الى الله من ذلك وارأبه صلى الله عليه وسلم ولقد ذكرت بقوله أوردها سعد وسعد مشتمل ۞ ما وقفت عليه من كلام ابن خروف النحوى يرد على الزمخشرى ويخطئ رأيه فى تصنيفه المفصل واجحافه فى الاختصار بمعانى كلام سيبويه حتى سماه ابن خروف البرنامج وأنشد عليه

أوردها سعد وسعد مشتمل ۞ ما هكذا تورد يا سعد الابل

وأما ما نقله أن ذلك كان فى مرط عائشة رضى الله عنها فبعيد فان السورة مكية وبنى النبى صلى الله عليه وسلم على عائشة رضى الله عنها بالمدينة والصحيح فى الآية ما ذكره آخرا لان ذلك كان فى بيت خديجة عندما لقيه جبريل أول مرة فبذلك وردت الاحاديث الصحيحة والله أعلم

وفى أمثالهم أوردها سعد وسعد مشتمل * ماهكذا تورد ياسعد الابل
فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل ذلك خلاف الجلد والكيس وأمر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر والتخفف للعبادة والمجاهدة فى الله لاجرم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تشمر لذلك مع أصحابه حق التشمر وأقبلوا على احياء لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا فيه حتى انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم وظهرت السيمى فى وجوههم وترامى أمرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا فى مرط لعائشة يصلى فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التى كان عليها وأمر بأن يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت ما كان تزميله قالت كان مرطا طوله أربع عشرة ذراعا نصفه على وأنا نائمة ونصفه عليه وهو يصلى فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقا أول ما أتاه جبريل وبوادره ترعد فقال زملونى زملونى وحسب أنه عرض له فبيناهو على ذلك اذ ناداه جبريل ياأيها المزمل وعن عكرمة أن المعنى ياأيها الذى زمل أمرا عظيما أى حمله والزمل الحمل وازدمله احتمله * وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جنى الغرض بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فبأى الحركات تحرك فقد وقع الغرض (نصفه) بدل من الليل والاقليلا استثناء من النصف كأنه قال قم أقل من نصف الليل * والضمير فى منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين أمرين بين أن يقوم أقل من نصف الليل على البت وبين أن يختار أحد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الاقليلا نصفه اذا أبدلت النصف من الليل قم أقل من نصف الليل رجع الضمير فى منه وعليه الى الاقل من النصف فكأنه قيل قم أقل من نصف الليل أوقم أنقص من ذلك الاقل أو أزيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا أبدلت نصفه من قليلا وفسرته به أن تجعل قليلا الثانى بمعنى نصف النصف وهو الربع كأنه قيل أو انقص منه قليلا نصفه وتجعل المزيد على هذا القليل أعنى الربع نصف الربع كأنه قيل أوزد عليه قليلا نصفه ويجوز أن تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع (فان قلت) أكان القيام فرضا أم نفلا (قلت) عن عائشة رضى الله عنها أن الله جعله تطوعا بعد أن كان فريضة وقيل كان فرضا قبل أن تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وانما وقع التخيير فى المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبى كان يقوم الرجل حتى يصبح مخافة أن لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير فى المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك * ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وأن لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضى الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو فى تتابعه الثغر الالص وسئلت عائشة رضى الله عنها عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كسردكم هذا لو أراد السامع أن يعد حروفه لعدها و (ترتيلا) تأكيد فى ايجاب الامر به وأنه مالابد منه للقارئ * هذه الآية اعتراض ويعنى بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهى التى هى تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين وخاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه متحملها بنفسه ومحملها أمته فهى أثقل عليه وأبهظ له وأراد بهذا الاعتراض أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التى ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدوّ فلابد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضى الله عنه كان اذا نزل عليه الوحى ثقل عليه وتربد له جلده وعن عائشة رضى الله عنها رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وان جبينه ليرفض عرقا

وعن

نصفه أوانقص منه قليلا أوزد عليه ورتل القرآن ترتيلا انا سنلقى عليك قولا ثقيلا

(قوله الحقحقة الخ) كتب عليه بالحاءين المهملتين شدة السير والهذرمة بمعنى الهذ والالص متقارب الاسنان وقوله بعد وتربد معناه وتعبس اه مصححه

وعن الحسن ثقيل فى الميزان وقيل ثقيل على المنافقين وقيل كلام له وزن ورجحان ليس بالسفساف (ناشئة الليل) النفس الناشئة بالليل التى تنشأ من مضجعها الى العبادة أى تنهض وترتفع من نشأت السحابة اذا ارتفعت ونشأ من مكانه ونشز اذا نهض قال

نشأنا الى خوص برى نيها السرى * وألصق منها مشرفات القماحد

وقيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ اذا قام ونهض على فاعلة كالعافية ويدل عليه ماروى عن عبيد بن عمير قلت لعائشة رجل قام من أول الليل أتقولين له قام ناشئة قالت لا انما الناشئة القيام بعد النوم ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التى تنشأ بالليل أى تحدث وترتفع وقيل هى ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد أخرى وقيل الساعات الاول منه وعن على بن الحسين رضى الله عنهما أنه كان يصلى بين المغرب والعشاء ويقول أما سمعتم قول الله تعالى ان ناشئة الليل هذه ناشئة الليل (هى أشد وطاء) هى خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة يواطئ قلبها لسانها ان أردت النفس أو يواطئ فيها قلب القائم لسانه ان أردت القيام أو العبادة أو الساعات أو أشد موافقة لما يراد من الخشوع والاخلاص وعن الحسن أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق وقرئ أشد وطأ بالفتح والكسر والمعنى أشد ثبات قدم وأبعد من الزلل أو أثقل وأغلظ على المصلى من صلاة النهار من قوله عليه السلام اللهم اشدد وطأتك على مضر (وأقوم قيلا) وأسد مقالا وأثبت قراءة لهدو الاصوات وعن أنس رضى الله عنه أنه قرأ وأصوب قيلا فقيل له يا أبا حمزة انما هى وأقوم فقال ان أقوم وأصوب وأهيأ واحد وروى أبو زيد الانصارى عن أبى سرار الغنوى أنه كان يقرأ فحاسوا بالحاء غير معجمة فقيل له انما هو جاسوا بالجيم فقال جاسوا وحاسوا واحد (سبحا) تصرفا وتقلبا فى مهماتك وشواغلك ولا تفرغ الا بالليل فعليك بمناجاة الله التى تقتضى فراغ البال وانتفاء الشواغل وأما القراءة بالخاء فاستعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه لانتشار الهم وتفرق القلب بالشواغل كلفه قيام الليل ثم ذكر الحكمة فيما كلفه منه وهو أن الليل أعون على المواطأة وأسد للقراءة لهدو الرجل وخفوت الصوت وأنه أجمع للقلب وأضم لنشر الهم من النهار لانه وقت تفرق الهموم وتوزع الخواطر والتقلب فى حوائج المعاش والمعاد وقيل فراغا وسعة لنومك وتصرفك فى حوائجك وقيل ان فاتك من الليل شئ فلك فى النهار فراغ تقدر على تداركه فيه (واذكر اسم ربك) ودم على ذكره فى ليلك ونهارك واحرص عليه وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب تسبيح وتهليل وتكبير وتمجيد وتوحيد وصلاة وتلاوة قرآن ودراسة علم وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعات ليله ونهاره (وتبتل اليه) وانقطع اليه (فان قلت) كيف قيل (تبتيلا) مكان تبتلا (قلت) لان معنى تبتل بتل نفسك فجئ به على معناه مراعاة لحق الفواصل (رب المشرق والمغرب) قرئ مرفوعا على المدح ومجرورا على البدل من ربك وعن ابن عباس على القسم باضمار حرف القسم كقولك الله لافعلن وجوابه (لا اله الا هو) كما تقول والله لا أحد فى الدار الا زيد وقرأ ابن عباس رب المشارق والمغارب (فاتخذه وكيلا) مسبب على التهليلة لانه هو وحده الذى يجب لتوحده بالربوبية أن توكل اليه الامور وقيل وكيلا كفيلا بما وعدك من النصر والاظهار * الهجر الجميل أن يجانبهم بقلبه وهواه ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والاغضاء وترك المكافأة وعن أبى الدرداء رضى الله عنه انا لنكشر فى وجوه قوم ونضحك اليهم وان قلوبنا لتقليهم وقيل هو منسوخ بآية السيف * اذا عرف الرجل من صاحبه أنه مستهم بخطب يريد أن يكفاه أو بعدو يشتهى أن ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال ذرنى واياه أى لا تحتاج الى الظفر بمرادك ومشتهاك الا أن تخلى بينى وبينه بأن تكل أمره الى وتستكفينيه فان فى ما يفرغ بالك ويجلى همك وليس ثم مانع حتى يطلب اليه أن يذره واياه الا ترك الاستكفاء والتفويض كأنه اذا لم يكل أمره اليه فكأنه منعه منه فاذا وكله اليه فقد أزال المنع وتركه واياه وفيه دليل على الوثوق بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ما تدور حوله أمنية المخاطب وبما يزيد عليه * النعمة بالفتح التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يقال نعم ونعمة عين وهم صناديد قريش وكانوا أهل تنعم وترفه (ان لدينا)

ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا ان لك فى النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وذرنى والمكذبين أولى النعمة ومهلهم قليلا ان لدينا

* وقوله تعالى ان ناشئة الليل هى أشد وطأ (قال فيه قيل الناشئة النفس القائمة بالليل التى تنشأ عن مضجعها الخ) قال أحمد فان حملت الناشئة على النفس فاضافة المواطأة اليها حقيقة وان حملتها على الساعات أو المصدر فهو من الاتساع المجازى

أنكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا أليما يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا السماء منفطر به كان وعده مفعولا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه

ما يضاد تنعمهم من أنكال وهى القيود الثقال عن الشعبى اذا ارتفعوا استفلت بهم الواحد نكل ونكل ومن جحيم وهى النار الشديدة الحر والاتقاد ومن طعام ذى غصة وهو الذى ينشب فى الحلوق فلا يساغ يعنى الضريع وشجر الزقوم ومن عذاب أليم من سائر العذاب فلا ترى موكولا اليه أمرهم موذورا بينه وبينهم ينتقم منهم عثل ذلك الانتقام وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فصعق وعن الحسن أنه أمسى صائما فأتى بطعام فعرضت له هذه الآية فقال ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الليلة الثالثة فأخبر ثابت البنانى ويزيد الضبى ويحيى البكاء فجاؤا فلم يزالوا به حتى شرب شربة من سويق (يوم ترجف) منصوب بما فى لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة * والكثيب الرمل المجتمع من كثب الشئ اذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول فى أصله ومنه الكثبة من اللبن قالت الضائنة أجز جفالا وأحلب كثبا عجالا أى كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أى نثر وأسيل * الخطاب لاهل مكة (شاهدا عليكم) يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم (فان قلت) لم نكر الرسول ثم عرف (قلت) لانه أراد أرسلنا الى فرعون بعض الرسل فلما أعاده وهو معهود بالذكر أدخل لام التعريف اشارة الى المذكور بعينه (وبيلا) ثقيلا غليظا من قولهم كلأ وبيل وخم لا يستمرأ لثقله والوبيل العصا الضخمة ومنه الوابل للمطر العظيم (يوما) مفعول به أى فكيف تقون أنفسكم يوم القيامة وهوله ان بقيتم على الكفر ولم تؤمنوا وتعملوا صالحا ويجوز أن يكون ظرفا أى فكيف لكم بالتقوى فى يوم القيامة ان كفرتم فى الدنيا ويجوز أن ينتصب بكفرتم على تأويل جحدتم أى فكيف تتقون الله وتخشونه ان جحدتم يوم القيامة والجزاء لان تقوى الله خوف عقابه و (يجعل الولدان شيبا) مثل فى الشدة يقال فى اليوم الشديد يوم يشيب نواصى الاطفال والاصل فيه أن الهموم والاحزان اذا تفاقمت على الانسان أسرع فيه الشيب قال أبو الطيب

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبى ويهرم

وقد مر بى فى بعض الكتب أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة فقال أريت القيامة والجنة والنار فى المنام ورأيت الناس يقادون فى السلاسل الى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون ويجوز أن يوصف اليوم بالطول وأن الاطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب (السماء منفطر به) وصف لليوم بالشدة أيضا وأن السماء على عظمها واحكامها تنفطر فيه فما ظنك بغيرها من الخلائق وقرئ منفطر ومنفطر والمعنى ذات انفطار أو على تأويل السماء بالسقف أو على السماء شئ منفطر والباء فى به مثلها فى قولك فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعنى أنها تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشئ بما يفطر به ويجوز أن يراد السماء مثقلة به اثقالا يؤدى الى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله ثقلت فى السموات والارض (وعده) من اضافة المصدر الى المفعول والضمير لليوم ويجوز أن يكون مضافا الى الفاعل وهو الله عز وعلا ولم يجر له ذكر لكونه معلوما (ان هذه) الآيات الناطقة بالوعيد الشديد (تذكرة) موعظة (فمن شاء) اتعظ بها واتخذ سبيلا الى الله بالتقوى والخشية ومعنى اتخاذ السبيل اليه التقرب والتوسل بالطاعة (أدنى من ثلثى الليل) أقل منهما وانما استعير الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا دنت قل ما بينهما من الاحياز واذا بعدت كثر ذلك * وقرئ ونصفه وثلثه بالنصب على أنك تقوم أقل من الثلثين وتقوم النصف والثلث وهو مطابق لما مر فى أول السورة من التخيير بين قيام النصف بتمامه وبين قيام الناقص منه وهو الثلث وبين قيام الزائد عليه وهو الادنى من الثلثين وقرئ ونصفه وثلثه بالجر أى تقوم أقل من الثلثين وأقل من النصف والثلث وهو مطابق للتخيير بين النصف وهو أدنى من الثلثين والثلث وهو أدنى من النصف والربع وهو أدنى من الثلث وهو الوجه الاخير (وطائفة من الذين معك) ويقوم ذلك جماعة من أصحابك (والله يقدر الليل والنهار) ولا يقدر على تقدير الليل والنهار ومعرفة مقادير ساعاتهما الا الله وحده وتقديم اسمه عز وجل مبتدأ مبنيا عليه يقدر هو الدال على معنى الاختصاص بالتقدير والمعنى أنكم لا تقدرون عليه * والضمير فى (لن تحصوه) لمصدر يقدر أى علم أنه لا يصح

منكم

فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون فى سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضا حسنا وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم

﴿سورة المدثر مكية وهى ست وخمسون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا أيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر وثيابك فطهر

منكم ضبط الاوقات ولا يتأتى حسابها بالتعديل والتسوية الا أن تأخذوا بالأوسع للاحتياط وذلك شاق عليكم بالغ منكم (فتاب عليكم) عبارة عن الترخيص فى ترك القيام المقدر كقوله فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن والمعنى أنه رفع التبعة فى تركه عنكم كما يرفع التبعة عن التائب * وعبر عن الصلاة بالقراءة لانها بعض أركانها كما عبر عنها بالقيام والركوع والسجود يريد فصلوا ما تيسر عليكم ولم يتعذر من صلاة الليل وهذا ناسخ للاول ثم نسخا جميعا بالصلوات الخمس وقيل هى قراءة القرآن بعينها قيل يقرأ مائة آية ومن قرأ مائة آية فى ليلة لم يحاجه القرآن وقيل من قرأ مائة آية كتب من القانتين وقيل خمسين آية * وقد بين الحكمة فى النسخ وهى تعذر القيام على المرضى والضاربين فى الارض للتجارة والمجاهدين فى سبيل الله وقيل سوى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أيما رجل جلب شيأ الى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء وعن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل فى سبيل الله أحب الى من أن أموت بين شعبتى رحل أضرب فى الارض أبتغى من فضل الله و (علم) استئناف على تقدير السؤال عن وجه النسخ (وأقيموا الصلاة) يعنى المفروضة * والزكاة الواجبة وقيل زكاة الفطر لانه لم يكن بمكة زكاة وانما وجبت بعد ذلك ومن فسرها بالزكاة الواجبة جعل آخر السورة مدنيا (وأقرضوا الله قرضا حسنا) يجوز أن يريد سائر الصدقات وأن يريد أداء الزكاة على أحسن وجه من اخراج أطيب المال وأعوده على الفقراء ومراعاة النية وابتغاء وجه الله والصرف الى المستحق وأن يريد كل شئ يفعل من الخير مما يتعلق بالنفس والمال (خيرا) ثانى مفعولى وجد وهو فصل وجاز وان لم يقع بين معرفتين لان أفعل من أشبه فى امتناعه من حرف التعريف المعرفة وقرأ أبو السمال هو خير وأعظم أجرا بالرفع على الابتداء والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المزمل دفع الله عنه العسر فى الدنيا والآخرة

(سورة المدثر مكية وهى ست وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المدثر) لابس الدثار وهو ما فوق الشعار وهو الثوب الذى يلى الجسد ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار وقيل هى أول سورة نزلت وروى جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد انك رسول الله فنظرت عن يمينى ويسارى فلم أر شيأ فنظرت فوقى فرأيت شيأ وفى رواية عائشة فنظرت فوقى فاذا به قاعد على عرش بين السماء والارض يعنى الملك الذى ناداه فرعبت ورجعت الى خديجة فقلت دثرونى دثرونى فنزل جبريل وقال يا أيها المدثر وعن الزهرى أول ما نزل سورة اقرأ باسم ربك الى قوله ما لم يعلم فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يعلو شواهق الجبال فأتاه جبريل فقال انك نبى الله فرجع الى خديجة وقال دثرونى وصبوا على ماء باردا فنزل يا أيها المدثر وقيل سمع من قريش ما كرهه فاغتم فتغطى بثوبه مفكرا كما يفعل المغموم فأمر أن لا يدع انذارهم وان أسمعوه وآذوه وعن عكرمة أنه قرأ على لفظ اسم المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك كما قال فى المزمل قم من مضجعك أو قم قيام عزم وتصميم (فأنذر) فحذر قومك من عذاب الله ان لم يؤمنوا والصحيح أن المعنى فافعل الانذار من غير تخصيص له بأحد (وربك فكبر) واختص ربك بالتكبير وهو الوصف بالكبرياء وأن يقال الله أكبر ويروى أنه لما نزل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحى وقد يحمل على تكبير الصلاة ودخلت الفاء لمعنى الشرط كأنه قيل وما كان فلا تدع تكبيره (وثيابك فطهر) أمر بأن تكون ثيابه طاهرة من النجاسات لان طهارة الثياب شرط فى الصلاة لا تصح الا بها وهى الاولى والاحب فى غير الصلاة وقبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبثا وقيل هو أمر بتقصيرها ومخالفة العرب فى تطويلهم الثياب وجرهم الذيول وذلك مما لا يؤمن معه اصابة النجاسة وقيل هو أمر بتطهير النفس عما يستقذر من الافعال ويستهجن من العادات يقال فلان طاهر الثياب وطاهر الجيب والذيل والاردان اذا

وصفه بالنقاء من المعايب ومدانس الاخلاق وفلان دنس الثياب للغادر وذلك لان الثوب يلابس الانسان و يشتمل عليه فكنى به عنه ألا ترى الى قولهم أعجبنى زيد ثوبه كما يقولون أعجبنى زيد عقله وخلقه ويقولون المجد فى ثوبه والكرم تحت حلته ولان الغالب أن من طهر باطنه ونقاه عنى بتطهير الظاهر وتنقيته وأبى الا اجتناب الخبث وايثار الطهر فى كل شئ (والرجز) قرئ بالكسر والضم وهو العذاب ومعناه اهجر ما يؤدى اليه من عبادة الاوثان وغيرها من المآثم والمعنى الثبات على هجره لانه كان برياً منه * قرأ الحسن ولا تمن تستكثر مرفوع منصوب المحل على الحال أى ولا تعط مستكثرا رائيا لما تعطيه كثيرا أو طالبا للكثير نهى عن الاستغزار وهو أن يهب شيأ وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته وفيه وجهان أحدهما أن يكون نهيا خاصا برسول الله صلى الله عليه وسلم لان الله تعالى اختار له أشرف الآداب وأحسن الاخلاق والثانى أن يكون نهى تنزيه لا تحريم له ولامته وقرأ الحسن تستكثر بالسكون وفيه ثلاثة أوجه الابدال من تمنن كأنه قيل ولا تمنن لا تستكثر على أنه من المن فى قوله عز وجل ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لان من شأن المنان بما يعطى أن يستكثره أى يراه كثيرا و يعتد به وأن يشبه ثرو بعضد فيسكن تخفيفا وأن يعتبر حال الوقف وقرأ الاعمش بالنصب باضمار أن كقوله * ألا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى * وتؤيده قراءة ابن مسعود ولا تمنن أن تستكثر ويجوز فى الرفع أن تحذف أن و يبطل عملها كما روى أحضر الوغى بالرفع (ولربك فاصبر) ولوجه الله فاستعمل الصبر وقيل على أذى المشركين وقيل على أداء الفرائض وعن النخعى على عطيتك كأنه وصله بما قبله وجعله صبرا على العطاء من غير استكثار والوجه أن يكون أمرا بنفس الفعل وأن يتناول على العموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على أذى الكفار لانه أحد ما يتناوله العام * والفاء فى قوله (فاذا نقر) للتسبيب كأنه قال اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم عسير يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى فيه عاقبة صبرك عليه * والفاء فى (فذلك) للجزاء (فان قلت) بم انتصب اذا وكيف صح أن يقع (يومئذ) ظرفا ليوم عسير (قلت) انتصب اذا بما دل عليه الجزاء لان المعنى فاذا نقر فى الناقور عسر الامر على الكافرين والذى أجاز وقوع يومئذ ظرفا ليوم عسير أن المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيامة يأتى و يقع حين ينقر فى الناقور واختلف فى أنها النفخة الاولى أم الثانية ويجوز أن يكون يومئذ مبنيا مرفوع المحل بدلا من ذلك و يوم عسير خبر كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير (فان قلت) فما فائدة قوله (غير يسير) وعسير مغن عنه (قلت) لما قال على الكافرين فقصر العسر عليهم قال غير يسير ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم و بشارة المؤمنين وتسليتهم و يجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا كما يرجى تيسر العسير من أمور الدنيا (وحيدا) حال من الله عز وجل على معنيين أحدهما ذرنى وحدى معه فأنا أجزيك فى الانتقام منه عن كل منتقم والثانى خلقته وحدى لم يشركنى فى خلقه أحد أو حال من المخلوق على معنى خلقته وهو وحيد فريد لا مال له ولا ولد كقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة المخزومى وكان يلقب فى قومه بالوحيد ولعله لقب بذلك بعد نزول الآية فان كان ملقبا به قبل فهو تهكم به و بلقبه وتغيير له عن الغرض الذى كانوا يؤمونه من مدحه والثناء عليه بأنه وحيد قومه لرياسته و يساره وتقدمه فى الدنيا الى وجه الذم والعيب وهو أنه خلق وحيدا لا مال له ولا ولد فآتاه الله ذلك فكفر بنعمة الله وأشرك به واستهزأ بدينه (ممدودا) مبسوطا كثيرا أو ممدا بالنماء من مد النهر ومده نهر آخر قيل كان له الزرع والضرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الاموال وقيل كان له بستان بالطائف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وقيل كان له ألف مثقال وقيل أربعة آلاف وقيل تسعة آلاف وقيل ألف ألف وعن ابن جريج غلة شهر بشهر (وبنين شهودا) حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف فى عمل أو تجارة لانهم مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق اليهم

والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ذرنى ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا

ويجوز أن يكون معناه أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل أو تسمع شهاداتهم فيما يتحاكم فيه وعن مجاهد كان له عشرة بنين وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وعمارة وهشام والعاص وقيس وعبد شمس أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة (ومهدت له تمهيدا) وبسطت له الجاه العريض والرياسة فى قومه فأتممت عليه نعمتى المال والجاه واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا ومنه قول الناس أدام الله تأييدك وتمهيدك يريدون زيادة الجاه والحشمة وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش (ثم يطمع) استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه يعنى أنه لا مزيد على ما أوتى سعة وكثرة وقيل انه كان يقول ان كان محمد صادقا فما خلقت الجنة الا لى (كلا) ردع له وقطع لرجائه وطمعه (انه كان لآياتنا عنيدا) تعليل للردع على وجه الاستئناف كأن قائلا قال لم لا يزاد فقيل انه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته والكافر لا يستحق المزيد ويروى أنه ما زال بعد نزول هذه الآية فى نقصان من ماله حتى هلك (سأرهقه صعودا) سأغشيه عقبة شاقة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذى لا يطاق وعن النبى صلى الله عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة فى النار كلما وضع عليها يده ذابت فاذا رفعها عادت واذا وضع رجله ذابت فاذا رفعها عادت وعنه عليه السلام الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا (انه فكر) تعليل للوعيد كأن الله تعالى عاجله بالفقر بعد الغنى والذل بعد العز فى الدنيا لعناده و يعاقبه فى الآخرة بأشد العذاب وأفظعه لبلوغه بالعناد غايته وأقصاه فى تفكيره وتسميته القرآن سحرا ويجوز أن تكون كلمة الردع متبوعة بقوله سأرهقه صعودا ردا لزعمه أن الجنة لم تخلق الا له واخبارا بأنه من أشد أهل النار عذابا و يعلل ذلك بعناده و يكون قوله انه فكر بدلا من قوله انه كان لآياتنا عنيدا بيانا لكنه عناده ومعناه فكر ماذا يقول فى القرآن (وقدر) فى نفسه ما يقوله وهيأه (فقتل كيف قدر) تعجيب من تقديره واصابته فيه المحز ورميه الغرض الذى كان تنتحيه قريش أو ثناء عليه على طريقة الاستهزاء به أو هى حكاية لما كرروه من قولهم قتل كيف قدر تهكما بهم وباعجابهم بتقديره واستعظامهم لقوله ومعنى قول القائل قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره الاشعار بأنه قد بلغ المبلغ الذى هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك روى أن الوليد قال لبنى مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعلو وما يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد والله لتصبأن قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فأتاهم فقال تزعمون أن محمدا مجنون فهل رأيتموه يخنق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيأ من الكذب فقالوا فى كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يأثره عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج النادى فرحا وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه (ثم نظر) فى وجوه الناس ثم قطب وجهه ثم زحف مدبرا وتشاوس مستكبرا لما خطرت بباله الكلمة الشنعاء وهم بأن يرمى بها * وصف أشكاله التى تشكل بها حتى استنبط ما استنبط استهزاء به وقيل قدر ما يقوله ثم نظر فيه ثم عبس لما ضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول وقيل قطب فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثم أدبر) عن الحق (واستكبر) عنه فقال ما قال وثم نظر عطف على فكر وقدر والدعاء اعتراض بينهما (فان قلت) ما معنى ثم الداخلة فى تكرير الدعاء (قلت) الدلالة على أن الكرة الثانية أبلغ من الاولى ونحوه قوله ألا يا اسلمى ثم اسلمى ثمت اسلمى (فان قلت) ما معنى المتوسطة بين الافعال التى بعدها (قلت) الدلالة على أنه قد تأنى فى التأمل وتمهل وكان بين الافعال المتناسقة تراخ وتباعد (فان قلت) فلم قيل (فقال ان هذا) بالفاء بعد عطف ما قبله بثم (قلت) لان الكلمة لما خطرت بباله بعد التطلب لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث (فان قلت) فلم لم يوسط حرف العطف بين الجملتين (قلت) لان الاخرى جرت من الاولى مجرى التوكيد من المؤكد (سأصليه سقر) بدل من سأرهقه صعودا (لا تبقى) شيأ يلقى فيها الا أهلكته واذا هلك لم تذره هالكا

ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا سأرهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر وما أدراك ما سقر لا تبقى ولا تذر

﴿ القول فى سورة المدثر ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ثم يطمع أن أزيد (قال دخلت ثم استبعادا لطمعه وحرصه على الزيادة واستنكارا لذلك فرد الله طمعه خائبا الخ) قال أحمد لان الكلمة الشنعاء لما خطرت بباله بعد امعانه النظر لم يتمالك أن نطق بها من غير تلبث (قال) فان قلت لم لم يوسط بين الجملتين عاطفا وأجاب بأن الثانية أخرجها مخرج التوكيد للاولى

* قوله تعالى وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الآية (قال فيه ان قلت قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا الخ) قال أحمد ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هى التى جعلت سببا لان المراد وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع ذلك لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ولا يذعن وان خفى عليه وجه الحكمة كأنه قيل لقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب

حتى يعاد أولا تبقى على شئ ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة (لواحة) من لوح الهجير قال

تقول ما لاحك يا مسافر * يا ابنة عمى لاحنى الهواجر

قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل * والبشر أعالى الجلود وعن الحسن تلوح للناس كقوله ثم لترونها عين اليقين * وقرئ لواحة نصبا على الاختصاص للتهويل (عليها تسعة عشر) أى يلى أمرها ويتسلط على أهلها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا من الملائكة وقيل صفا وقيل نقيبا وقرئ تسعة عشر بسكون العين لتوالى الحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وقرئ تسعة أعشر جمع عشير مثل يمين وأيمن جعلهم ملائكة لانهم خلاف جنس المعذبين من الجن والانس فلا يأخذهم ما يأخذ المجانس من الرأفة والرقة ولا يستروحون اليهم ولانهم أقوم خلق الله بحق الله وبالغضب له فتؤمن هوادتهم ولانهم أشد الخلق بأسا وأقواهم بطشا عن عمرو بن دينار واحد منهم يدفع بالدفعة الواحدة فى جهنم أكثر من ربيعة ومضر وعن النبى صلى الله عليه وسلم كأن أعينهم البرق وكأن أفواههم الصياصى يجرون أشعارهم لاحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الامة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم فى النار ويرمى بالجبل عليهم وروى أنه لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش ثكلتكم أمهاتكم أسمع ابن أبى كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الاشد بن أسيد بن كلدة الجمحى وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفونى أنتم اثنين فأنزل الله (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة) أى ما جعلناهم رجالا من جنسكم يطاقون (فان قلت) قد جعل افتتان الكافرين بعدة الزبانية سببا لاستيقان أهل الكتاب وزيادة ايمان المؤمنين واستهزاء الكافرين والمنافقين فما وجه صحة ذلك (قلت) ما جعل افتتانهم بالعدة سببا لذلك وانما العدة نفسها هى التى جعلت سببا وذلك أن المراد بقوله (وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا) وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فوضع فتنة للذين كفروا موضع تسعة عشر لان حال هذه العدة الناقصة واحدا من عقد العشرين أن يفتتن بها من لا يؤمن بالله وبحكمته ويعترض ويستهزئ ولا يذعن اذعان المؤمن وان خفى عليه وجه الحكمة كأنه قيل ولقد جعلنا عدتهم عدة من شأنها أن يفتتن بها لاجل استيقان المؤمنين وحيرة الكافرين واستيقان أهل الكتاب لان عدتهم تسعة عشر فى الكتابين فاذا سمعوا بمثلها فى القرآن أيقنوا أنه منزل من الله وازداد المؤمنون ايمانا لتصديقهم بذلك كما صدقوا سائر ما أنزل ولما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك (فان قلت) لم قال (ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون) والاستيقان وازدياد الايمان دالا على انتفاء الارتياب (قلت) لانه اذا جمع لهم اثبات اليقين ونفى الشك كان آكد وأبلغ لوصفهم بسكون النفس وثلج الصدر ولان فيه تعريضا بحال من عداهم كأنه قال ولتخالف حالهم حال الشاكين المرتابين من أهل النفاق والكفر (فان قلت) كيف ذكر الذين فى قلوبهم مرض وهم المنافقون والسورة مكية ولم يكن بمكة نفاق وانما نجم بالمدينة (قلت) معناه وليقول المنافقون الذين يحدثون فى مستقبل الزمان بالمدينة بعد الهجرة (والكافرون) بمكة (ماذا أراد الله بهذا مثلا) وليس فى ذلك الا اخبار بما سيكون كسائر الاخبارات بالغيوب وذلك لا يخالف كون السورة مكية ويجوز أن يراد بالمرض الشك والارتياب لان أهل مكة كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب (فان قلت) قد علل جعلهم تسعة عشر بالاستيقان وانتفاء

لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا

* قال أحمد السائل جعل الفتنة التى هى فى تقدير الصفة للعدة اذ معنى الكلام ذات فتنة سببا فيما بعدها والمجيب جعل العدة التى عرضت لها هذه الصفة سببا لا باعتبار عروض الصفة لها ويجوز أن يكون ليستيقن راجعا الى ما قبل الاستثناء كأنه قيل جعلنا عدتهم سببا لفتنة الكافرين وسببا ليقين المؤمنين وهذا الوجه أقرب مما ذكره الزمخشرى وانما ألجأه اليه اعتقاد أن الله تعالى ما فتنهم ولكنهم فتنوا أنفسهم بناء على قاعدة التبعيض فى المشيئة وبئست القاعدة فاحذرها * عاد كلامه (قال وقوله تعالى ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب بعد قوله ليستيقن ليحصل لهم فائدة الجمع بين اثبات اليقين الخ) قال أحمد أطلق الغرض على الله عز وجل مع أنه موهم ولم يرد فيه سماع وأورد السؤال على قاعدته بعد ذلك كله فى أن الله لم يرد من المنافقين والكافرين أقوالهم وانما قالوا على خلاف ما أراد وقد عرفت فساد القاعدة فأرح فكرك من هذا السؤال فالكل مراد وحسبك تتمة الآية كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء

الارتياب

الارتياب وقول المنافقين والكافرين ما قالوا فهب أن الاستيقان وانتفاء الارتياب يصح أن يكونا غرضين فكيف صح أن يكون قول المنافقين والكافرين غرضا (قلت) أفادت اللام معنى العلة والسبب ولا يجب فى العلة أن تكون غرضا ألا ترى الى قولك خرجت من البلد لمخافة الشر فقد جعلت المخافة علة لخروجك وما هى بغرضك مثلا تمييز لهذا أو حال منه كقوله هذه ناقة الله لكم آية (فان قلت) لم سموه مثلا (قلت) هو استعارة من المثل المضروب لانه مما غرب من الكلام وبدع استغرابا منهم لهذا العدد واستبداعا له والمعنى أى شئ أراد الله بهذا العدد العجيب وأى غرض قصد فى أن جعل الملائكة تسعة عشر لا عشرين سواء ومرادهم انكاره من أصله وأنه ليس من عند الله وأنه لو كان من عند الله لما جاء بهذا العدد الناقص * الكاف فى (كذلك) نصب وذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهدى أى مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى يضل الكافرين ويهدى المؤمنين يعنى يفعل فعلا حسنا مبنيا على الحكمة والصواب فيراه المؤمنون حكمة ويذعنون له لاعتقادهم أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة فيزيدهم ايمانا وينكره الكافرون ويشكون فيه فيزيدهم كفرا وضلالا (وما يعلم جنود ربك) وما عليه كل جند من العدد الخاص من كون بعضها على عقد كامل وبعضها على عدد ناقص وما فى اختصاص كل جند بعدده من الحكمة (الا هو) ولا سبيل لاحد الى معرفة ذلك كما لا يعرف الحكمة فى أعداد السموات والارضين وأيام السنة والشهور والبروج والكواكب وأعداد النصب والحدود والكفارات والصلوات فى الشريعة أو وما يعلم جنود ربك لفرط كثرتها الا هو فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين ولكن له فى هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها وقيل هو جواب لقول أبى جهل أما لرب محمد أعوان الا تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار الى قوله الا هو اعتراض وقوله (وما هى الا ذكرى) متصل بوصف سقر وهى ضميرها أى وما سقر وصفتها الا تذكرة (للبشر) أو ضمير الآيات التى ذكرت فيها (كلا) انكار بعد أن جعلها ذكرى أن تكون لهم ذكرى لانهم لا يتذكرون أو ردع لمن ينكر أن تكون احدى الكبر نذيرا و (دبر) بمعنى أدبر كقبل بمعنى أقبل ومنه صاروا كأمس الدابر وقيل هو من دبر الليل النهار اذا خلفه وقرئ اذ أدبر (انها لاحدى الكبر) جواب القسم أو تعليل لكلا والقسم معترض للتوكيد والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التأنيث كتائها فلما جمعت فعلة على فعل جمعت فعلى عليها ونظير ذلك السوافى فى جمع السافياء والقواصع فى جمع القاصعاء كأنها جمع فاعلة أى لاحدى البلايا أو الدواهى الكبر ومعنى كونها احداهن أنها من بينهن واحدة فى العظم لا نظيرة لها كما تقول هو أحد الرجال وهى احدى النساء و (نذيرا) تمييز من احدى على معنى انها لاحدى الدواهى انذارا كما تقول هى احدى النساء عفافا وقيل هى حال وقيل هو متصل بأول السورة يعنى قم نذيرا وهو من بدع التفاسير وفى قراءة أبى نذير بالرفع خبر بعد خبر لان أو بحذف المبتدا (أن يتقدم) فى موضع الرفع بالابتداء ولمن شاء خبر مقدم عليه كقولك لمن توضأ أن يصلى ومعناه مطلق لمن شاء التقدم أو التأخر أن يتقدم أو يتأخر والمراد بالتقدم والتأخر السبق الى الخير والتخلف عنه وهو كقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ويجوز أن يكون لمن شاء بدلا من للبشر على أنها منذرة للمكلفين الممكنين الذين ان شاؤا تقدموا ففازوا وان شاؤا تأخروا فهلكوا (رهينة) ليست بتأنيث رهين فى قوله كل امرئ بما كسب رهين لتأنيث النفس لانه لو قصدت الصفة لقيل رهين لان فعيلا بمعنى مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم كأنه قيل كل نفس بما كسبت رهن ومنه بيت الحماسة

أبعد الذى بالنعف نعف كويكب * رهينة رمس ذى تراب وجندل

كأنه قال رهن رمس والمعنى كل نفس رهن بكسبها عند الله غير مفكوك (الا أصحاب اليمين) فانهم فكوا عنه رقابهم بما أطابوه من كسبهم كما يخلص الراهن رهنه بأداء الحق وعن على رضى الله عنه أنه فسر أصحاب اليمين بالاطفال لانهم لا أعمال لهم يرتهنون بها وعن ابن عباس رضى الله عنه هم الملائكة (فى جنات) أى

كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو وما هى الا ذكرى للبشر كلا والقمر والليل اذ أدبر والصبح اذا أسفر انها لاحدى الكبرى نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر كل نفس بما كسبت رهينة الا أصحاب اليمين فى جنات

* قوله تعالى كل نفس بما كسبت رهينة (قال وليست بتأنيث رهين الخ) قال أحمد لانه فعيل بمعنى مفعول يستوى مذكره ومؤنثه كقتيل وجديد * عاد كلامه قال وانما هى اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم الخ

* قوله تعالى فى جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم فى سقر الآية (قال فيه يتساءلون يعنى يسأل بعضهم بعضا عنهم الخ) قال أحمد
انما أورد السؤال ذريعة وحيلة لتحميل الآية الدالة على ان فساق المسلمين تاركى الصلاة مثلا يسلكون فى النار

هم فى جنات لا يكتنه وصفها (يتساءلون عن المجرمين) يسأل بعضهم بعضا عنهم أو يتساءلون غيرهم عنهم كقولك دعوته وتداعيناه (فان قلت) كيف طابق قوله (ماسلككم) وهو سؤال للمجرمين قوله يتساءلون عن المجرمين وهو سؤال عنهم وانما كان يتطابق ذلك لو قيل يتساءلون المجرمين ماسلككم (قلت) ماسلككم ليس ببيان للتساؤل عنهم وانما هو حكاية قول المسؤلين عنهم لان المسؤلين يلقون الى السائلين ماجرى بينهم و بين المجرمين فيقولون قلنا لهم ماسلككم (فى سقر قالوا لم نك من المصلين) الا أن الكلام جىء به على الحذف والاختصار كما هو نهج التنزيل فى غرابة نظمه * الخوض الشروع فى الباطل ومالا ينبغى (فان قلت) لم يسألونهم وهم عالمون بذلك (قلت) توبيخا لهم وتحسيرا وليكون حكاية الله ذلك فى كتابه تذكرة للسامعين وقد عضد بعضهم تفسير أصحاب اليمين بالاطفال أنهم انما سألوهم لانهم ولدان لا يعرفون موجب دخول النار (فان قلت) أيريدون أن كل واحد منهم بمجموع هذه الاربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه و بعضهم بهذه (قلت) يحتمل الامرين جميعا (فان قلت) لم أخر التكذيب وهو أعظمها (قلت) أرادوا أنهم بعد ذلك كله كانوا مكذبين بيوم الدين تعظيما للتكذيب كقوله ثم كان من الذين آمنوا (اليقين) الموت ومقدماته * أى لو شفع لهم الشافعون جميعا من الملائكة والنبيين وغيرهم لم تنفعهم شفاعتهم لان الشفاعة لمن ارتضاه الله وهم مسخوط عليهم وفيه دليل على أن الشفاعة تنفع يومئذ لانها تزيد فى درجات المرتضين (عن التذكرة) عن التذكير وهو العظة يريد القرآن أو غيره من المواعظ و (معرضين) نصب على الحال كقولك مالك قائما * والمستنفرة الشديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها فى جمعها له وحملها عليه وقرئ بالفتح وهى المنفرة المحمولة على النفار * والقسورة جماعة الرماة الذين يتصيدونها وقيل الاسد يقال ليوث قساور وهى فعولة من القسر وهو القهر والغلبة وفى وزنه الحيدرة من أسماء الاسد وعن ابن عباس ركز الناس وأصواتهم وعن عكرمة ظلمة الليل شبههم فى اعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه بحمر جدت فى نفارها مما أفزعها وفى تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين كما فى قوله كمثل الحمار يحمل أسفارا وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها فى العدو اذا رابها رائب ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب فى وصف الابل وشدة سيرها بالحمر وعدوها اذا وردت ماء فأحست عليه بقانص (صحفا منشرة) قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التى يتكاتب بها أو كتبا كتبت فى السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها غضة رطبة لم تطو بعد وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك ونحوه قوله ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم الآية وقيل قالوا ان كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار وقيل كانوا يقولون بلغنا أن الرجل من بنى اسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمثل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمعزل الا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة وقرأ سعيد بن جبير صحفا منشرة بتخفيفهما على أن أنشر الصحف ونشرها واحد كأنزله ونزله * ردعهم بقوله (كلا) عن تلك الارادة وزجرهم عن اقتراح الآيات ثم قال (بل لا يخافون الآخرة) فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع ايتاء الصحف ثم ردعهم عن اعراضهم عن التذكرة وقال (انه تذكرة) يعنى تذكرة بليغة كافية مبهم أمرها فى الكفاية (فمن شاء) أن يذكره ولا ينساه و يجعله نصب عينه فعل فان نفع ذلك راجع اليه والضمير فى انه و (ذكره) للتذكرة فى قوله فما لهم عن التذكرة معرضين وانما ذكر لانها فى معنى الذكر أو القرآن (وما يذكرون الا أن يشاء الله) يعنى الا أن يقسرهم على الذكر و يلجئهم اليه لانهم مطبوع على قلوبهم معلوم أنهم

مخلدين مع الكفار فجعل كل واحدة من الخلال الاربع توجب ماتوجب الاخرى من الخلود والصحيح فى معنى الآية أنها خاصة بالكفار ومعنى قولهم لم نك من المصلين لم نك من أهل الصلاة وكذلك

يتساءلون عن المجرمين ماسلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين فما لهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة بل يريد كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة كلا بل لا يخافون الآخرة كلا انه تذكرة فمن شاء ذكره وما يذكرون الا أن يشاء الله

الى آخرها لانهم يكذبون بيوم الدين والمكذب لا يصح منه طاعة من هذه الطاعات ولو فعلها لم تنفعه وقدرت كالعدم وانما يتأسفون على ترك فعل هو نافع لهم * قال وفى تشبيههم بالحمر تهجين لهم وشهادة عليهم بالبلادة وأيضا المقصود تشبيه ادبارهم عن الحق ونسارعهم الى الاعراض لا عنه بنفار حمر الوحش وعادة العرب أنها تشبه فى السرعة بعدو الحمر وخصوصا اذا أحست بقانص تجرى على ما عهدوه والله أعلم

لا يؤمنون اختيارا (هو أهل التقوى وأهل المغفرة) هو حقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه فيؤمنوا ويطيعوا وحقيق بأن يغفر لهم اذا آمنوا وأطاعوا وروى أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أهل أن يتقى وأهل أن يغفر لمن اتقاه * وقرئ يذكرون بالياء والتاء مخففا ومشددا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المدثر أعطاه الله عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وكذب به بمكة

﴿سورة القيامة مكية وهى تسع وثلاثون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض فى كلامهم وأشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامرى   لا يدعى القوم أنى أفر

وقال غوية بن سلمى

ألا نادت أمامة باحتمال   *   لتحزننى فلا بك ما أبالى

وفائدتها توكيد القسم وقالوا انها صلة مثلها فى لئلا يعلم أهل الكتاب وفى قوله * فى بئر لاحور سرى وما شعر * واعترضوا عليه بأنها انما تزاد فى وسط الكلام لا فى أوله وأجابوا بأن القرآن فى حكم سورة واحدة متصل بعضه ببعض والاعتراض صحيح لانها لم تقع مزيدة الا فى وسط الكلام ولكن الجواب غير سديد ألا ترى الى امرئ القيس كيف زادها فى مستهل قصيدته والوجه أن يقال هى للنفى والمعنى فى ذلك أنه لا يقسم بالشئ الا اعظاما له يدلك عليه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم فكأنه بادخال حرف النفى يقول ان اعظامى له باقسامى به كلا اعظام يعنى أنه يستأهل فوق ذلك وقيل ان لا نفى لكلام ورد له قبل القسم كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أى ليس الامر على ما ذكرتم ثم قيل أقسم بيوم القيامة (فان قلت) قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون والابيات التى أنشدتها المقسم عليه فيها منفى فهلا زعمت أن لا التى قبل القسم زيدت موطئة للنفى بعده ومؤكدة له وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا كقولك لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى (قلت) لو قصر الامر على النفى دون الاثبات لكان لهذا القول مساغ ولكنه لم يقصر ألا ترى كيف لقى لا أقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان وكذلك فلا أقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم وقرئ لاقسم على أن اللام للابتداء وأقسم خبر مبتدا محذوف معناه لانا أقسم قالوا ويعضده أنه فى الامام بغير ألف (بالنفس اللوامة) بالنفس المتقية التى تلوم النفوس فيه أى فى يوم القيامة على تقصيرهن فى التقوى أو بالتى لا تزال تلوم نفسها وان اجتهدت فى الاحسان وعن الحسن أن المؤمن لا تراه الا لائما نفسه وأن الكافر يمضى قدما لا يعاتب نفسه وقيل هى التى تتلوم يومئذ على ترك الازدياد ان كانت محسنة وعلى التفريط ان كانت مسيئة وقيل هى نفس آدم لم تزل تتلوم على فعلها الذى خرجت به من الجنة وجواب القسم مادل عليه قوله (أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه) وهو لتبعثن وقرأ قتادة أن لن يجمع عظامه على البناء للمفعول والمعنى نجمعها بعد تفرقها ورجوعها رميما ورفاتا مختلطا بالتراب و بعد ماسفتها الرياح وطيرتها فى أباعد الارض وقيل ان عدى بن أبى ربيعة ختن الاخنس بن شريق وهما اللذان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهما اللهم اكفنى جارى السوء قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا محمد حدثنى عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم أومن بك أو يجمع الله العظام فنزلت (بلى) أوجبت ما بعد النفى وهو الجمع فكأنه قيل بلى نجمعها و (قادرين) حال من الضمير فى نجمع أى نجمع العظام قادرين على تأليف جميعها واعادتها الى التركيب الاول الى أن نسوى بنانه أى أصابعه التى هى أطرافه وآخر ما يتم به خلقه أو على أن نسوى بنانه ونضم سلامياته على صغرها ولطافتها بعضها الى بعض كما كانت أولا من غير نقصان ولا تفاوت فكيف بكبار العظام وقيل معناه بلى نجمعها ونحن قادرون على أن نسوى أصابع يديه ورجليه أى نجعلها مستوية شيأ واحدا كخف البعير وحافر الحمار لا نفرق بينها فلا يمكنه أن يعمل بها شيأ مما يعمل بأصابعه

هو أهل التقوى وأهل المغفرة

﴿سورة القيامة مكية وهى تسع وثلاثون آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على أن نسوى بنانه

(القول فى سورة القيامة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى لا أقسم (قال ادخال لا النافية على فعل القسم مستفيض الخ) قال أحمد ان لا التى قبل أقسم زيدت توطئة للنفى بعده وقدرت المقسم عليه المحذوف ههنا منفيا تقديره لا أقسم بيوم القيامة لا تتركون سدى وأجاب بانه لو قصر الامر على النفى دون الاثبات لكان له مساغ ولكنه ليس بقاصر عليه ألا ترى كيف لقى لا أقسم بهذا البلد بقوله لقد خلقنا الانسان فى كبد وقوله فلا أقسم بمواقع النجوم بقوله انه لقرآن كريم

المفرقة ذات المفاصل والانامل من فنون الاعمال والبسط والقبض والتأتى لما يريد من الحوائج وقرئ قادرون أى نحن قادرون (بل يريد) عطف على أيحسب فيجوز أن يكون مثله استفهاما وأن يكون ايجابا على أن يضرب عن مستفهم عنه الى آخر أو يضرب عن مستفهم عنه الى موجب (ليفجر أمامه) ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه وعن سعيد بن جبير رضى الله عنه يقدم الذنب ويؤخر التوبة يقول سوف أتوب سوف أتوب حتى يأتيه الموت على شر أحواله وأسوأ أعماله (يسأل) سؤال متعنت مستبعد لقيام الساعة فى قوله (أيان يوم القيامة) ونحوه ويقولون متى هذا الوعد (برق البصر) تحير فزعا وأصله من برق الرجل اذا نظر الى البرق فدهش بصره وقرئ برق من البريق أى لمع من شدة شخوصه وقرأ أبو السمال بلق اذا انفتح وانفرج يقال بلق الباب وأبلقته وبلقته فتحته (وخسف القمر) وذهب ضوءه أو ذهب بنفسه وقرئ وخسف على البناء للمفعول (وجمع الشمس والقمر) حيث يطلعهما الله من المغرب وقيل وجمعا فى ذهاب الضوء وقيل يجمعان أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران فى النار وقيل يجمعان ثم يقذفان فى البحر فيكون نار الله الكبرى (المفر) بالفتح المصدر وبالكسر المكان ويجوز أن يكون مصدرا كالمرجع وقرئ بهما (كلا) ردع عن طلب المفر (لا وزر) لا ملجأ وكل ما التجأت اليه من جبل أو غيره وتخلصت به فهو وزرك (الى ربك) خاصة (يومئذ) مستقر العباد أى استقرارهم يعنى أنهم لا يقدرون أن يستقروا الى غيره وينصبوا اليه أو الى حكمه ترجع أمور العباد لا يحكم فيها غيره كقوله لمن الملك اليوم أو الى ربك مستقرهم أى موضع قرارهم من جنة أو نار أى مفوض ذلك الى مشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار (بما قدم) من عمل عمله (و) بما (أخر) منه لم يعمله أو بما قدم من ماله فتصدق به وبما أخره فخلفه أو بما قدم من عمل الخير والشر وبما أخر من سنة حسنة أو سيئة فعمل بها بعده وعن مجاهد بأول عمله وآخره ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه (بصيرة) حجة بينة وصفت بالبصارة على المجاز كما وصفت الآيات بالابصار فى قوله فلما جاءتهم آياتنا مبصرة أو عين بصيرة والمعنى أنه ينبأ بأعماله وان لم ينبأ ففيه ما يجزئ عن الانباء لانه شاهد عليها بما عملت لان جوارحه تنطق بذلك يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (ولو ألقى معاذيره) ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها وعن الضحاك ولو أرخى ستوره وقال المعاذير الستور واحدها معذار فان صح فلانه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب (فان قلت) أليس قياس المعذرة أن تجمع معاذر لا معاذير (قلت) المعاذير ليس بجمع معذرة انما هو اسم جمع لها ونحوه المناكير فى المنكر الضمير فى (به) للقرآن وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لقن الوحى نازع جبريل القراءة ولم يصبر الى أن يتمها مسارعة الى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه فأمر بأن يستنصت له ملقيا اليه بقلبه وسمعه حتى يقضى اليه وحيه ثم يقفيه بالدراسة الى أن يرسخ فيه والمعنى لا تحرك لسانك بقراءة الوحى ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ (لتعجل به) لتأخذه على عجلة ولئلا يتفلت منك ثم علل النهى عن العجلة بقوله (ان علينا جمعه) فى صدرك واثبات قراءته فى لسانك (فاذا قرأناه) جعل قراءة جبريل قراءته * والقرآن القراءة (فاتبع قرآنه) فكن مقفيا له فيه ولا تراسله وطامن نفسك أنه لا يبقى غير محفوظ فنحن فى ضمان تحفيظه (ثم ان علينا بيانه) اذا أشكل عليك شئ من معانيه كأنه كان يعجل فى الحفظ والسؤال عن المعنى جميعا كما ترى بعض الحراص على العلم ونحوه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه (كلا) ردع لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن عادة العجلة وانكار لها عليه وحث على الاناة والتؤدة وقد بالغ فى ذلك باتباعه قوله (بل تحبون العاجلة) كأنه قال بل أنتم يا بنى آدم لانكم خلقتم من عجل وطبعتم عليه تعجلون فى كل شئ ومن ثم تحبون العاجلة (وتذرون الآخرة) وقرئ بالياء وهو أبلغ (فان قلت) كيف اتصل قوله لا تحرك به لسانك الى آخره بذكر القيامة (قلت) اتصاله به من جهة هذا التخلص منه الى التوبيخ بحب العاجلة وترك الاهتمام بالآخرة

بل يريد الانسان ليفجر أمامه يسأل أيان يوم القيامة فاذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الانسان يومئذ أين المفر كلا لا وزر الى ربك يومئذ المستقر ينبأ الانسان يومئذ بما قدم وأخر بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره لا تحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة

* قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة (قال الوجوه كناية عن الجملة وقدم الى ربها ليفيد الحصر الخ) قال أحمد ما أقصر لسانه عند هذه الآية فكم له يدندن ويطيل فى جحد الرؤية ويشقق القباء ويكثر ويتعمق فلما فغرت هذه الآية فاه صنع فى مصادمتها بالاستدلال على أنه لو كان المراد الرؤية لما انحصرت بتقديم المفعول لانها حينئذ غير منحصرة على تقدير رؤية الله تعالى وما يعلم أن المتمتع برؤية جمال وجه الله تعالى لا يصرف عنه طرفه ولا يؤثر عليه غيره ولا يعدل به عز وعلا منظورا سواه وحقيق له أن يحصر رؤيته الى من ليس كمثله شئ ونحن نشاهد العاشق فى الدنيا اذا أظفرته برؤية محبوبه لم يصرف عنه لحظه ولم يؤثر عليه فكيف بالمحب لله عز وجل اذا أحظاه النظر الى وجهه الكريم نسأل الله العظيم أن لا يصرف عنا وجهه وأن يعيذنا من مزالق البدعة ومزلات الشبهة وهو حسبنا ونعم الوكيل

الوجه عبارة عن الجملة * والناضرة من نضرة النعيم (الى ربها ناظرة) تنظر الى ربها خاصة لا تنظر الى غيره وهذا معنى تقديم المفعول ألا ترى الى قوله الى ربك يومئذ المستقر الى ربك يومئذ المساق الى الله تصير الامور والى الله المصير واليه ترجعون عليه توكلت واليه أنيب كيف دل فيها التقديم على معنى الاختصاص ومعلوم أنهم ينظرون الى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد فى محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم فان المؤمنين نظارة ذلك اليوم لانهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون فاختصاصه بنظرهم اليه لو كان منظورا اليه محال فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص والذى يصح معه أن يكون من قول الناس أنا الى فلان ناظر ما يصنع بى تريد معنى التوقع والرجاء ومنه قول القائل

واذا نظرت اليك من ملك * والبحر دونك زدتنى نعما

وسمعت سروية مستجدية بمكة وقت الظهر حين يغلق الناس أبوابهم ويأوون الى مقايلهم تقول عيينتى نويظرة الى الله واليكم والمعنى انهم لا يتوقعون النعمة والكرامة الا من ربهم كما كانوا فى الدنيا لا يخشون ولا يرجون الا اياه * والباسر الشديد العبوس والباسل أشد منه ولكنه غلب فى الشجاع اذا اشتد كلوحه (تظن) تتوقع (أن يفعل بها) فعل هو فى شدته وفظاعته (فاقرة) داهية تقصم فقار الظهر كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير (كلا) ردع عن ايثار الدنيا على الآخرة كأنه قيل ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذى عنده تنقطع العاجلة عنكم وتنتقلون الى الآجلة التى تبقون فيها مخلدين * والضمير فى (بلغت) للنفس وان لم يجر لها ذكر لان الكلام الذى وقعت فيه يدل عليها كما قال حاتم

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى * اذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء (التراقى) العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال ذكرهم صعوبة الموت الذى هو أول مراحل الآخرة حين تبلغ الروح التراقى ودنا زهوقها وقال حاضر وصاحبها وهو المحتضر بعضهم لبعض (من راق) أيكم يرقيه مما به وقيل هو من كلام ملائكة الموت أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب (وظن) المحتضر (أنه الفراق) أن هذا الذى نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة (والتفت) ساقه بساقه والتوت عليها عند علز الموت وعن قتادة ماتت رجلاه فلا تحملانه وقد كان عليهما جوالا وقيل شدة فراق الدنيا بشدة اقبال الآخرة على أن الساق مثل فى الشدة وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان فى أكفانه (المساق) أى يساق الى الله والى حكمه (فلا صدق ولا صلى) يعنى الانسان فى قوله أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه ألا ترى الى قوله أيحسب الانسان أن يترك سدى وهو معطوف على يسأل أيان يوم القيامة أى لا يؤمن بالبعث فلا صدق بالرسول والقرآن ولا صلى ويجوز أن يراد فلا صدق ماله بمعنى فلا زكاه وقيل نزلت فى أبى جهل (يتمطى) يتبختر وأصله يتمطط أى يتمدد لان المتبختر يمد خطاه وقيل هو من المطا وهو الظهر لانه يلويه وفى الحديث اذا مشت أمتى المطيطاء وخدمتهم فارس والروم فقد جعل بأسهم بينهم يعنى كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى عنه وأعرض ثم ذهب الى قومه يتبختر افتخارا بذلك (أولى لك) بمعنى ويل لك وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره (فخلق) فقدر (فسوى) فعدل (منه) من الانسان (الزوجين) الصنفين (أليس ذلك) الذى أنشأ هذا الانشاء (بقادر) على الاعادة وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القيامة شهدت له أنا وجبريل يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة

﴿سورة الانسان مكية وهى احدى وثلاثون آية﴾

وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يفعل بها فاقرة كلا اذا بلغت التراقى وقيل من راق وظن أنه الفراق والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى ثم ذهب الى أهله يتمطى أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى

(سورة الانسان مكية وهى احدى وثلاثون آية)

﴿القول في سورة الانسان﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى هل أتى على الانسان (قال) هل بمعنى قد في الاستفهام والاصل أهل الخ * قوله تعالى انا هديناه السبيل اماشا كرا واما كفورا (قال فيه هما حالان من الهاء في هديناه الخ) قال أحمد هذا من تحريفه المنكر وهو عند أهل السنة على ظاهره * عاد كلامه (قال أو يكون معناه اناد عوناه الى الايمان كان معلوما منه الخ) قال أحمد واستحسانه لقراءة أبي السمال لتخيله ان في التقسيم اشعارا بغرضه الفاسد وليس كذلك فان التقسيم يحتمل الجزاء أماشا كرا فمثاب وأما كفورا فمعاقب ويرشد اليه ذكر جزاء الفريقين بعده * قوله تعالى سلاسل وأغلالا (قال فيه قرئ بتنوين سلاسل فوجهه أن تكون هذه النون بدلا من ألف الاطلاق الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الاول لان معتقده ان القراءة المستفيضة غير موقوفة على النقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم في تفاصيلها وانها موكولة الى اجتهاد القراء واختيارهم بمقتضى نظرهم كما مر له وطم على (٢٣٨) ذلك ههنا فجعل تنوين سلاسل من قبيل الغلط الذي يسبق اليه اللسان في غير موضعه لتمرنه عليه في موضعه والحق ان جميع الوجوه المستفيضة منقولة تواترا عنه صلى الله عليه وسلم وتنوين هذا على لغة من يصرف في نثر الكلام جميع مالا ينصرف الا أفعل والقرا آت مشتملة على اللغات المختلفة وأما قوارير قوارير منه فقرئ بترك تنوينهما وهو الاصل وتنوين الاول خاصة بدلا من ألف الاطلاق لانها فاصلة وتنوين الثانية كالاولى اتباعا لها ولم يقرأ أحد بتنوين الثانية وترك تنوين الاولى فانه عكس أن يترك تنوين الفاصلة مع الحاجة الى المجانسة وتنوين غيرها من غير حاجة * قوله تعالى ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله (قال فيه كافورا عين في الجنة اسمها كذلك في لون الكافور ورائحته وبرده الخ) قال أحمد هذا الجواب على القولين الاولين وأما على القولين الآخرين وهو أن العين بدل من الكأس ومعنى مزاجها بالكافور اما اشتمالها على أوصافه واما أن يكون الكافور المعهود كما تقدم فلا يتم الجواب المذكور فيجاب عن السؤال بأنه لما ذكر الشراب أولا باعتبار الوقوع في الوجود ذكره ثانيا مضمنا للالتذاذ به وكأنه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعا بصيرا انا هديناه السبيل اماشا كرا واما كفورا انا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيرا ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة والاصل أهل بدليل قوله * أهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم * فالمعنى أقد أتى على التقرير والتقريب جميعا أي أتى على الانسان قبل زمان قريب (حين من الدهر لم يكن) فيه (شيأ مذكورا) أي كان شيأ منسيا غير مذكور نطفة في الاصلاب والمراد بالانسان جنس بني آدم بدليل قوله انا خلقنا الانسان من نطفة * حين من الدهر طائفة من الزمن الطويل الممتد (فان قلت) ما محل لم يكن شيأ مذكورا (قلت) محله النصب على الحال من الانسان كأنه قيل هل أتى عليه حين من الدهر غير مذكور أو الرفع على الوصف لحين كقوله يوما لا يجزي والد عن ولده وعن بعضهم أنها تليت عنده فقال ليتها تمت أراد ليت تلك الحالة تمت وهي كونه شيأ غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف (نطفة أمشاج) كبرمة أعشار وبرد أكياش وهي ألفاظ مفردة غير جموع ولذلك وقعت صفات للافراد ويقال أيضا نطفة مشج قال الشماخ

طوت أحشاء مرتجة لوقت * على مشج سلالته مهين

ولا يصح أمشاج أن يكون تكسيرا له بل هما مثلان في الافراد لوصف المفرد بهما ومشجه ومزجه بمعنى والمعنى من نطفة قد امتزج فيها الماآن وعن ابن مسعود هي عروق النطفة وعن قتادة أمشاج ألوان وأطوار يريد أنها تكون نطفة ثم علقة ثم مضغة (نبتليه) في موضع الحال أي خلقناه مبتلين له بمعنى مريدين ابتلاءه كقولك مررت برجل معه صقر صائدا به غدا تريد قاصدا به الصيد غدا ويجوز أن يراد ناقلين له من حال الى حال فسمى ذلك ابتلاء على طريق الاستعارة وعن ابن عباس نصرفه في بطن أمه نطفة ثم علقة وقيل هو في تقدير التأخير يعني فجعلناه سميعا بصيرا لنبتليه وهو من التعسف * شاكرا وكفورا حالان من الهاء في هديناه أي مكناه وأقدرناه في حالتيه جميعا أو دعوناه الى الاسلام بأدلة العقل والسمع كان معلوما منه أنه يؤمن أو يكفر لالزام الحجة ويجوز أن يكونا حالين من السبيل أي عرفناه السبيل اما سبيلا شاكرا واما سبيلا كفورا كقوله وهديناه النجدين ووصف السبيل بالشكر والكفر مجاز وقرأ أبو السمال بفتح الهمزة في أما وهي قراءة حسنة والمعنى أما شاكرا فبتوفيقنا وأما كفورا فبسوء اختياره * ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد * وقرئ سلاسل غير منون وسلاسلا بالتنوين وفيه وجهان أحدهما أن تكون هذه النون بدلا من حرف الاطلاق ويجري الوصل مجرى الوقف والثاني أن يكون صاحب القراءة به ممن ضري برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف (الابرار) جمع برأو بار كرب وأرباب وشاهد وأشهاد وعن الحسن هم الذين لا يؤذون الذر * والكأس الزجاجة اذا كانت فيها خمر وتسمى الخمر نفسها كأسا (مزاجها) ما تمزج به (كافورا) ماء كافور وهو اسم عين في الجنة ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده و (عينا) بدل

يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا انا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا وجزاهم

منه وعن قتادة تمزج لهم بالكافور وتختم لهم بالمسك وقيل تخلق فيها رائحة الكافور وبياضه وبرده فكأنها مزجت بالكافور و (عينا) على هذين القولين بدل من محل من كأس على تقدير حذف مضاف كأنه قيل يشربون فيها خمرا خمر عين أو نصب على الاختصاص (فان قلت) لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولا وبحرف الالصاق آخرا (قلت) لان الكأس مبدأ شربهم وأول غايته وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكأن المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل (يفجرونها) يجرونها حيث شاؤا من منازلهم (تفجيرا) سهلا لا يمتنع عليهم (يوفون) جواب من عسى يقول مالهم يرزقون ذلك والوفاء بالنذر مبالغة وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات لان من وفى بما أوجبه هو على نفسه لوجه الله كان بما أوجبه الله عليه أوفى (مستطيرا) فاشيا منتشرا بالغا أقصى المبالغ من استطار الحريق واستطار الفجر وهو من طار بمنزلة استنفر من نفر (على حبه) الضمير للطعام أي مع اشتهائه والحاجة اليه ونحوه وآتى المال على حبه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وعن الفضيل بن عياض على حب الله (وأسيرا) عن الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالاسير فيدفعه الى بعض المسلمين فيقول أحسن اليه فيكون عنده اليومين والثلاثة فيؤثره على نفسه وعند عامة العلماء يجوز الاحسان الى الكفار في دار الاسلام ولا تصرف اليهم الواجبات وعن قتادة كان أسيرهم يومئذ المشرك وأخوك المسلم أحق أن تطعمه وعن سعيد بن جبير وعطاء هو الاسير من أهل القبلة وعن أبي سعيد الخدري هو المملوك والمسجون وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الغريم أسيرا فقال غريمك أسيرك فأحسن الى أسيرك (انما نطعمكم) على ارادة القول ويجوز أن يكون قولا باللسان منعا لهم عن المجازاة بمثله أو بالشكر لان احسانهم مفعول لوجه الله فلا معنى لمكافأة الخلق وأن يكون قولهم لهم لطفا وتفقيها وتنبيها على ما ينبغي أن يكون عليه من أخلص لله وعن عائشة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة الى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فاذا ذكر دعاء دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصا عند الله ويجوز أن يكون ذلك بيانا وكشفا عن اعتقادهم وصحة نيتهم وان لم يقولوا شيأ وعن مجاهد أما انهم ما تكلموا به ولكن علمه الله منهم فأثنى عليهم * والشكور والكفور مصدران كالشكر والكفر (انا نخاف) يحتمل ان احساننا اليكم للخوف من شدة ذلك اليوم لا لارادة مكافأتكم وانا لا نريد منكم المكافأة لخوف عقاب الله تعالى على طلب المكافأة بالصدقة * ووصف اليوم بالعبوس مجاز على طريقين أن يوصف بصفة أهله من الاشقياء كقولهم نهارك صائم روى أن الكافر يعبس يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وأن يشبه في شدته وضرره بالاسد العبوس أو بالشجاع الباسل * والقمطرير الشديد العبوس الذي يجمع ما بين عينيه قال الزجاج يقال اقمطرت الناقة اذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وزمت بأنفها فاشتقه من القطر وجعل الميم مزيدة قال أسد بن ناعصة

واصطليت الحروب في كل يوم * باسل الشر قمطرير الصباح

(ولقاهم نضرة وسرورا) أي أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه وسرورا في القلوب وهذا يدل على أن اليوم موصوف بعبوس أهله (بما صبروا) بصبرهم على الايثار وعن ابن عباس رضي الله عنه أن الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناس معه فقالوا يا أبا الحسن لو نذرت على ولدك فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما ان برآ مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا وما معهم شئ فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاث أصوع من شعير فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم فوضعوها بين أيديهم ليفطروا فوقف عليهم سائل فقال السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك فلما أصبحوا أخذ علي رضي الله عنه بيد الحسن والحسين وأقبلوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في

قال فيشربون منها فيلتذون بها وعليه حمله أبو عبيد * عاد كلامه (قال) قوله تعالى يفجرونها تفجيرا أي سهلا لا يمتنع عليهم الخ

عاصبروا جنة وحريرا متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرقوارير من فضة قدروها تقديرا ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا عينا فيها تسمى سلسبيلا

محرابه فقد التصق ظهرها ببطنها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل وقال خذها يا محمد هنأك الله فى أهل بيتك فأقرأه السورة (فان قلت) مامعنى ذكر الحرير مع الجنة (قلت) المعنى وجزاهم بصبرهم على الايثار وما يؤدى اليه من الجوع والعرى بستانا فيه مأكل هنى وحريرا فيه ملبس بهى * يعنى أن هواءها معتدل لاحر شمس يحمى ولا شدة برد تؤذى وفى الحديث هواء الجنة سجسج لاحر ولا قر وقيل الزمهرير القمر وعن ثعلب أنه فى لغة طئ وأنشد

وليلة ظلامها قد اعتكر * قطعتها والزمهرير مازهر

والمعنى أن الجنة ضياء فلا يحتاج فيها الى شمس وقمر فان قلت (ودانية عليهم ظلالها) علام عطفت (قلت) على الجملة التى قبلها لانها فى موضع الحال من المجزيين وهذه حال مثلها عنهم لرجوع الضمير منها اليهم فى عليهم الا أنها اسم مفرد وتلك جملة فى حكم مفرد تقديره غير رائين فيها شمسا ولا زمهريرا ودانية عليهم ظلالها ودخلت الواو للدلالة على أن الامرين مجتمعان لهم كانه قيل وجزاهم جنة جامعين فيها بين البعد عن الحر والقر ودنو الظلال عليهم وقرئ ودانية بالرفع على أن ظلالها مبتدأ ودانية خبر والجملة فى موضع الحال والمعنى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا والحال ان ظلالها دانية عليهم ويجوز أن تجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات لجنة ويجوز أن يكون ودانية معطوفة على جنة أى وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها على أنهم وعدوا جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان لانهم وصفوا بالخوف انا نخاف من ربنا (فان قلت) فعلام عطف (وذللت) قلت هى اذا رفعت ودانية جملة فعلية معطوفة على جملة ابتدائية واذا نصبتها على الحال فهى حال من دانية أى تدنو ظلالها عليهم فى حال تذليل قطوفها لهم أو معطوفة عليها على ودانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها واذا نصبت ودانية على الوصف فهى صفة مثلها الا ترى أنك لو قلت جنة ذللت قطوفها كان صحيحا وتذليل القطوف أن تجعل ذللا لا تمتنع على قطافها كيف شاؤا أو تجعل ذليلة لهم خاضعة متقاصرة من قولهم حائط ذليل اذا كان قصيرا (قوارير قوارير) قرئا غير منونين وبتنوين الاول وبتنوينهما وهذا التنوين بدل من ألف الاطلاق لانه فاصلة وفى الثانى لاتباعه الاول ومعنى قوارير من (فضة) أنها مخلوقة من فضة وهى مع بياض الفضة وحسنها فى صفاء القوارير وشفيفها (فان قلت) مامعنى كانت (قلت) هو من يكون فى قوله كن فيكون أى تكونت قوارير بتكوين الله تفخيما لتلك الخلقة العجيبة الشان الجامعة بين صفتى الجوهرين المتباينين ومنه كان فى قوله كان مزاجها كافورا وقرئ قوارير من فضة بالرفع على هى قوارير (قدروها) صفة لقوارير من فضة ومعنى تقديرهم لها أنهم قدروها فى أنفسهم أن تكون على مقادير وأشكال على حسب شهواتهم فجاءت كما قدروا وقيل الضمير للطائفين بها دل عليهم قوله ويطاف عليهم على أنهم قدروا شرابها على قدر الرى وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته لا يفضل عنها ولا يعجز وعن مجاهد لا تفيض ولا تغيض وقرئ قدروها على البناء للمفعول ووجهه أن يكون من قدر منقولا من قدر تقول قدرت الشئ وقدرنيه فلان اذا جعلك قادرا له ومعناه جعلوا قادرين لها كما شاؤا وأطلق لهم أن يقدروا على حسب ما اشتهوا * سميت العين زنجبيلا لطعم الزنجبيل فيها والعرب تستلذه وتستطيبه قال الاعشى

كأن القرنفل والزنجبيـ * ـل باتا بفيها وأريا مشورا

وقال المسيب بن علس

وكأن طعم الزنجبيل به * اذ ذقته وسلافة الخمر

و (سلسبيلا) لسلاسة انحدارها فى الحلق وسهولة مساغها يعنى أنها فى طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل وقد زيدت الباء فى التركيب حتى صارت الكلمة خماسية ودلت على غاية السلاسة قال الزجاج السلسبيل فى اللغة صفة لما كان فى غاية السلاسة وقرئ سلسبيل على منع الصرف لاجتماع العلمية والتأنيث وقد عزوا الى على بن أبى طالب رضى الله عنه أن معناه سل سبيلا اليها وهذا غير مستقيم على ظاهره الا أن يراد أن جملة قول القائل سل سبيلا جعلت علما للعين كما قيل تأبط شرا وذرى حبا وسميت بذلك لانه لا يشرب منها الا من سأل اليها سبيلا بالعمل الصالح وهو مع استقامته فى العربية تكلف وابتداع وعزوه الى مثل على رضى الله عنه أبدع وفى شعر بعض المحدثين

سل

ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا واذا رأيت ثم رأيت نعيما وملكا كبيرا عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شرابا طهورا ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا انا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا

* قوله تعالى عاليهم ثياب سندس خضر (قال فيه قرئ بالسكون على أنه مبتدأ خبره ثياب الخ) قال أحمد فى هذا الوجه الآخر نظر فانه يجعله داخلا فى مضمون الحسبان وكيف يكون ذلك وهم لابسون السندس حقيقة لا على وجه التشبيه باللؤلؤ بخلاف كونهم لؤلؤا فانه على طريق التشبيه المقتضى لفرط شبههم باللؤلؤ الى أن يحسبوا لؤلؤا ويحتمل أن يصحح هذا الوجه لكن بعد تكلف مستغنى عنه بالاول

سل سبيلا فيها الى راحة النفـ * ـس براح كأنها سلسبيل

و (عينا) بدل من زنجبيلا وقيل تمزج كأسهم بالزنجبيل بعينه أو يخلق الله طعمه فيها وعينا على هذا القول مبدلة من كأسا كأنه قيل ويسقون فيها كأسا كأس عين أو منصوبة على الاختصاص * شبهوا فى حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم فى مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور وعن المأمون أنه ليلة زفت اليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر اليه منثورا على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در أبى نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لانه أحسن وأكثر ماء (رأيت) ليس له مفعول ظاهر ولا مقدر ليشيع ويعم كأنه قيل واذا أوجدت الرؤية ثم ومعناه أن بصر الرائى أينما وقع لم يتعلق ادراكه الا بنعيم كثير وملك كبير و (ثم) فى موضع النصب على الظرف يعنى فى الجنة ومن قال معناه ما ثم فقد أخطأ لان ثم صلة لما ولا يجوز اسقاط الموصول وترك الصلة (كبيرا) واسعا وهنيا يروى أن أدنى أهل الجنة منزلة ينظر فى ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه وقيل لا زوال له وقيل اذا أرادوا شيأ كان وقيل يسلم عليهم الملائكة ويستأذنون عليهم * قرئ عاليهم بالسكون على أنه مبتدأ خبره (ثياب سندس) أى ما يعلوهم من لباسهم ثياب سندس وعاليهم بالنصب على أنه حال من الضمير فى يطوف عليهم أو فى حسبتهم أى يطوف عليهم ولدان عاليا للمطوف عليهم ثياب أو حسبتهم لؤلؤا عاليا لهم ثياب ويجوز أن يراد رأيت أهل نعيم وملك عاليهم ثياب وعاليتهم بالرفع والنصب على ذلك وعليهم وخضر واستبرق بالرفع حملا على الثياب وبالجر على السندس وقرئ واستبرق نصبا فى موضع الجر على منع الصرف لانه أعجمى وهو غلط لانه نكرة يدخله حرف التعريف تقول الاستبرق الا أن يزعم ابن محيصن أنه قد يجعل علما لهذا الضرب من الثياب وقرئ واستبرق بوصل الهمزة والفتح على أنه مسمى باستفعل من البريق وليس بصحيح أيضا لانه معرب مشهور تعريبه وأن أصله استبره (وحلوا) عطف على ويطوف عليهم (فان قلت) ذكر ههنا أن أساورهم من فضة وفى موضع آخر أنها من ذهب (قلت) هب أنه قيل وحلوا أساور من ذهب ومن فضة وهذا صحيح لا اشكال فيه على أنهم يسورون بالجنسين اما على المعاقبة واما على الجمع كما تزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحلى وتجمع بينها وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران سوار من ذهب وسوار من فضة (شرابا طهورا) ليس برجس كخمر الدنيا لان كونها رجسا بالشرع لا بالعقل وليست الدار دار تكليف أو لانه لم يعصر فتمسه الايدى الوضرة وتدوسه الاقدام الدنسة ولم يجعل فى الدنان والاباريق التى لم يعن بتنظيفها أو لانه لا يؤل الى النجاسة لانه يرشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك * أى يقال لاهل الجنة (ان هذا) وهذا اشارة الى ما تقدم من عطاء الله لهم ما جوزيتم به على أعمالكم وشكر به سعيكم والشكر مجاز * تكرير الضمير بعد ايقاعه اسما لان تأكيد على تأكيد لمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليتقرر فى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه اذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله على أى وجه نزل الا حكمة وصوابا كأنه قيل ما نزل عليك القرآن تنزيلا مفرقا منجما الا أنا لا غيرى وقد عرفتنى حكيما فاعلا لكل ما أفعله بدواعى الحكمة ولقد دعتنى حكمة بالغة الى أن أنزل عليك الامر بالمكافة والمصابرة وسأنزل عليك الامر بالقتال والانتقام بعد حين (فاصبر لحكم ربك) الصادر عن الحكمة وتعليقه الامور بالمصالح وتأخيره نصرتك على أعدائك من أهل مكة ولا تطع منهم أحدا قلة صبر منك على أذاهم وضجرا من تأخر الظفر * وكانوا مع افراطهم فى العداوة والايذاء له ولمن معه يدعونه الى أن يرجع عن أمره ويبذلون له أموالهم وتزويج أكرم بناتهم ان أجابهم (فان قلت) كانوا كلهم كفرة فما معنى القسمة فى قوله (آثما أو كفورا) قلت معناه ولا تطع منهم راكبا لما هو اثم داعيا لك اليه أو فاعلا لما هو كفر داعيا لك اليه لانهم اما أن يدعوه الى مساعدتهم على فعل هو اثم أو كفر أو غير اثم ولا كفر فنهى أن يساعدهم على الاثنين دون الثالث وقيل الآثم عتبة والكفور الوليد لان عتبة كان ركابا للمآثم متعاطيا لانواع

* قوله تعالى وماتشاؤن الاأن يشاء الله (قال فيه معناه وماتشاؤن الطاعة الاأن يشاء الله الخ) قال أحمد وهذا من تحريفاته للنصوص وتسوره على خزائن الكتاب العزيز كدأب الشطار واللصوص فلنقطع يد حجته التى أعدها وذلك حكم هذه السرقة وحدها فنقول الله تعالى نفى وأثبت على سبيل الحصر الذى لاحصر ولانصر أوضح منه ألا ترى أن كلمة التوحيد اقتصر بها على النفى والاثبات لان هذا النظم أعلق شئ بالحصر وأدله عليه فنفى الله تعالى أن يفعل العبد شيأله فيه اختيار ومشيئة الاأن يكون الله تعالى قدشاء ذلك الفعل بمقتضاه مالم يشأالله

واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجدله وسبحه ليلا طويلا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوما ثقيلا نحن خلقناهم وشددنا أسرهم واذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا وماتشاؤن الاأن يشاء الله ان الله كان عليما حكيما يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعدلهم عذابا أليما

الفسوق وكان الوليد غاليا فى الكفر شديد الشكيمة فى العتو (فان قلت) معنى أو ولا تطع أحدهما فهلا جىء بالواو ليكون نهيا عن طاعتهما جميعا (قلت) لوقيل ولا تطعهما جاز أن يطيع أحدهما واذا قيل لا تطع أحدهما علم أن الناهى عن طاعة أحدهما عن طاعتهما جميعا أنهى كما اذا نهى أن يقول لابويه أف علم أنه منهى عن ضربهما على طريق الاولى (واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا) ودم على صلاة الفجر والعصر (ومن الليل فاسجدله) وبعض الليل فصل له أو يعنى صلاة المغرب والعشاء وأدخل من على الظرف للتبعيض كما دخل على المفعول فى قوله يغفر لكم من ذنوبكم (وسبحه ليلا طويلا) وتهجدله هزيعا طويلا من الليل ثلثيه أو نصفه أو ثلثه (ان هؤلاء) الكفرة (يحبون العاجلة) يؤثرونها على الآخرة كقوله بل تؤثرون الحياة الدنيا (وراءهم) قدامهم أو خلف ظهورهم لا يعبؤن به (يوما ثقيلا) استعير الثقل لشدته وهوله من الشئ الثقيل الباهظ لحامله ونحوه ثقلت فى السموات والارض * الاسر الربط والتوثيق ومنه أسر الرجل اذا أوثق بالقد وهو الاسار وفرس مأسور الخلق وترس مأسور بالعقب * والمعنى شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب ومثله قولهم جارية معصوبة الخلق ومجدولته (واذا شئنا) أهلكناهم و(بدلنا أمثالهم) فى شدة الاسر يعنى النشأة الاخرى وقيل معناه بدلنا غيرهم ممن يطيع ٣ وحقه أن يجىء بان لا باذا كقوله وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ان يشأ يذهبكم (هذه) اشارة الى السورة أو الى الآيات القريبة (فمن شاء) فمن اختار الخير لنفسه وحسن العاقبة * واتخاذ السبيل الى الله عبارة عن التقرب اليه والتوسل بالطاعة (ومايشاؤن) الطاعة (الاأن يشاء الله) بقسرهم عليها (ان الله كان عليما) بأحوالهم ومايكون منهم (حكيما) حيث خلقهم مع علمه بهم * وقرئ تشاؤن بالتاء (فان قلت) مامحل أن يشاء الله (قلت) النصب على الظرف وأصله الاوقت مشيئة الله وكذلك قراءة ابن مسعود الامايشاء الله لان مامع الفعل كأن معه (يدخل من يشاء) هم المؤمنون * ونصب (الظالمين) بفعل يفسره أعدلهم نحو أوعد وكافأ وماأشبه ذلك وقرأ ابن مسعود وللظالمين على وأعد للظالمين وقرأ ابن الزبير والظالمون على الابتداء وغيرها أولى لذهاب الطباق بين الجملة المعطوفة والمعطوف عليها فيها مع مخالفتها للمصحف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جنة وحريرا

﴿سورة والمرسلات مكية وهى خمسون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

سورة والمرسلات مكية وهى خمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

والمرسلات عرفا فالعاصفات عصفا والناشرات نشرا فالفارقات فرقا فالملقيات ذكرا عذرا أو نذرا

* أقسم سبحانه بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره فعصفن فى مضيهن كما تعصف الرياح تخففا فى امتثال أمره وبطوائف منهم نشرن أجنحتهن فى الجو عند انحطاطهن بالوحى أو نشرن الشرائع فى الارض أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكرا الى الانبياء (عذرا) للمحقين (أو نذرا) للمبطلين أو أقسم برياح عذاب أرسلهن فعصفن وبرياح رحمة نشرن السحاب فى الجو ففرقن بينه كقوله ويجعله كسفا أو بسحائب نشرن الموات ففرقن بين من يشكر الله تعالى وبين من يكفر كقوله لاسقيناهم ماء غدقا لنفتنهم فيه فألقين ذكرا اما عذرا للذين يعتذرون الى الله بتوبتهم واستغفارهم اذا رأوا نعمة

وقوعه من العبد لا يقع من العبد وماشاء منه وقوعه وقع وهو رديف ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن وانظر ادخاله القسر فى تعطيل الآية لاتأويلها كيف ناقض به فان معنى الآية عنده ان مشيئة العبد الفعل لاتكون الا اذا قسره الله عليها والقسر مناف للمشيئة فصار الحاصل ان مشيئة العبد لاتوجد الا اذا انتفت فاذا لامشيئة للعبد البتة ولا اختيار وماهو الافر من اثبات قدرة للعبد غير مؤثرة ومشيئة غير خالقة لئلا يلزم له اثبات قدرة ومشيئة مؤثرين فوقع فى سلب القدرة والمشيئة أصلا ورأسا وحيث لزم الحيد عن الاعتزال انحرف بالكلية الى الطرف الاقصى متحيزا الى الجبر فيا بعد ماتوجه به ونظره والله الموفق

الله فى الغيث ويشكرونها واما انذارا للذين يغفلون الشكر لله وينسبون ذلك الى الانواء وجعلن ملقيات للذكر لكونهن سببا فى حصوله اذا شكرت النعمة فيهن أو كفرت (فان قلت) مامعنى عرفا (قلت) متتابعة كشعر العرف يقال جاؤا عرفا واحدا وهم عليه كعرف الضبع اذا تألبوا عليه ويكون بمعنى العرف الذى هو نقيض النكر وانتصابه على أنه مفعول له أى أرسلن للاحسان والمعروف والاول على الحال وقرئ عرفا على التثقيل نحو نكر فى نكر (فان قلت) قد فسرت المرسلات بملائكة العذاب فكيف يكون ارسالهم معروفا (قلت) ان لم يكن معروفا للكفار فانه معروف للانبياء والمؤمنين الذين انتقم الله لهم منهم (فان قلت) ما العذر والنذر وبم انتصبا (قلت) هما مصدران من عذر اذا محا الاساءة ومن أنذر اذا خوف على فعل كالكفر والشكر ويجوز أن يكون جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير بمعنى الانذار أو بمعنى العاذر والمنذر وأما انتصابهما فعلى البدل من ذكرا على الوجهين الاولين أو على المفعول له وأما على الوجه الثالث فعلى الحال بمعنى عاذرين أو منذرين وقرئا مخففين ومثقلين * ان الذى توعدونه من مجىء يوم القيامة لكائن نازل لاريب فيه وهو جواب القسم وعن بعضهم ان المعنى ورب المرسلات (طمست) محيت ومحقت وقيل ذهب بنورها ومحق ذواتها موافق لقوله انتثرت وانكدرت ويجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور (فرجت) فتحت فكانت أبوابا قال * الفارجى باب الامير المبهم * (نسفت) كالحب اذا نسف بالمنسف ونحوه وبست الجبال بسا وكانت الجبال كثيبا مهيلا وقيل أخذت بسرعة من أماكنها من انتسفت الشئ اذا اختطفته * وقرئت طمست وفرجت ونسفت مشددة * قرئ أقتت ووقتت بالتشديد والتخفيف فيهما والاصل الواو ومعنى توقيت الرسل تبيين وقتها الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم * والتأجيل من الاجل كالتوقيت من الوقت (لأى يوم أجلت) تعظيم لليوم وتعجيب من هوله (ليوم الفصل) بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذى يفصل فيه بين الخلائق والوجه أن يكون معنى وقتت بلغت ميقاتها الذى كانت تنتظره وهو يوم القيامة وأجلت أخرت (فان قلت) كيف وقع النكرة مبتدأ فى قوله (ويل يومئذ للمكذبين) قلت هو فى أصله مصدر منصوب ساد مسد فعله ولكنه عدل به الى الرفع للدلالة على معنى ثبات الهلاك ودوامه للمدعو عليه ونحوه سلام عليكم ويجوز ويلا بالنصب ولكنه لم يقرأ به يقال ويلاله وويلا كيلا * قرأ قتادة نهلك بفتح النون من هلكه بمعنى أهلكه قال العجاج * ومهمه هالك من تعرجا * (ثم نتبعهم) بالرفع على الاستئناف وهو وعيد لاهل مكة يريد ثم نفعل بأمثالهم من الآخرين مثل مافعلنا بالاولين ونسلك بهم سبيلهم لانهم كذبوا مثل تكذيبهم ويقويها قراءة ابن مسعود ثم سنتبعهم وقرئ بالجزم للعطف على نهلك ومعناه أنه أهلك الاولين من قوم نوح وعاد وثمود ثم أتبعهم الآخرين من قوم شعيب ولوط وموسى (كذلك) مثل ذلك الفعل الشنيع (نفعل) بكل من أجرم انذارا وتحذيرا من عاقبة الجرم وسوء أثره (الى قدر معلوم) الى مقدار من الوقت معلوم قد علمه الله وحكم به وهو تسعة الاشهر أو مادونها أو مافوقها (فقدرنا) فقدرنا ذلك تقديرا (فنعم القادرون) فنعم المقدرون له نحن أو فقدرنا على ذلك فنعم القادرون عليه نحن والاول أولى لقراءة من قرأ فقدرنا بالتشديد ولقوله من نطفة خلقه فقدره * الكفات من كفت الشئ اذا ضمه وجمعه وهو اسم مايكفت كقولهم الضمام والجماع لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كأنه قيل كافتة أحياء وأمواتا أو بفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت والمعنى تكفت أحياء على ظهرها وأمواتا فى بطنها وقد استدل بعض أصحاب الشافعى رحمه الله على قطع النباش بأن الله تعالى جعل الارض كفاتا للاموات فكان بطنها حرزا لهم فالنباش سارق من الحرز (فان قلت) لم قيل أحياء وأمواتا على التنكير وهى كفات الاحياء والاموات جميعا (قلت) هو من تنكير التفخيم كأنه قيل تكفت أحياء لايعدون وأمواتا لايحصرون على أن أحياء الانس وأمواتهم ليسوا بجميع الاحياء والاموات ويجوز أن يكون المعنى تكفتكم أحياء وأمواتا فينتصبا على الحال من الضمير لانه قد علم أنها كفات الانس (فان قلت) فالتنكير فى (رواسى شامخات) و(ماء فراتا) قلت يحتمل افادة التبعيض لان فى السماء جبالا قال الله تعالى وننزل

انما توعدون لواقع فاذا النجوم طمست واذا السماء فرجت واذا الجبال نسفت واذا الرسل أقتت لأى يوم أجلت ليوم الفصل وماأدراك مايوم الفصل ويل يومئذ للمكذبين ألم نهلك الاولين ثم نتبعهم الآخرين كذلك نفعل بالمجرمين ويل يومئذ للمكذبين ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه فى قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون ويل يومئذ للمكذبين ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا وجعلنا فيها رواسى شامخات وأسقيناكم ماء فراتا ويل يومئذ للمكذبين

﴿القول فى سورة المرسلات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ألم نجعل الارض كفاتا أحياء وأمواتا (قال) وهى كفات الاحياء والاموات الخ

من السماء من جبال فيها من برد وفيها ماء فرات أى ضايل هى معدنه ومصبه وأن يكون للتفخيم * أى يقال لهم انطلقوا الى ما كذبتم به من العذاب وانطلقوا الثانى تكرير وقرئ انطلقوا على لفظ الماضى اخبارا بعد الامر عن عملهم بموجبه لانهم مضطرون اليه لايستطيعون امتناعا منه (الى ظل) يعنى دخان جهنم كقوله وظل من يحموم (ذى ثلاث شعب) يتشعب لعظمه ثلاث شعب وهكذا الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كالسرادق ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون فى ظل العرش (لا ظليل) تهكم بهم وتعريض بأن ظلهم غير ظل المؤمنين (ولا يغنى) فى محل الجر أى وغير مغن عنهم من حر اللهب شيأ (بشرر) وقرئ بشرار (كالقصر) أى كل شررة كالقصر من القصور فى عظمها وقيل هو الغليظ من الشجر الواحدة قصرة نحو جمرة وجمر وقرئ كالقصر بفتحتين وهى أعناق الابل أو أعناق النخل نحو شجرة وشجر وقرأ ابن مسعود كالقصر بمعنى القصور كرهن ورهن وقرأ سعيد بن جبير كالقصر فى جمع قصرة كحاجة وحوج (جمالات) جمع جمال أو جمالة جمع جمل شبهت بالقصور ثم بالجمال لبيان التشبيه ألا تراهم يشبهون الابل بالافدان والمجادل وقرئ جمالات بالضم وهى قلوس الجسور وقيل قلوس سفن البحر الواحدة جمالة وقرئ جمالة بالكسر بمعنى جمال وجمالة بالضم وهى القلس وقيل (صفر) لارادة الجنس وقيل صفر سود تضرب الى الصفرة وفى شعر عمران بن حطان الخارجى

دعتهم بأعلى صوتها ورمتهم * بمثل الجمال الصفر نزاعة الشوى

وقال أبو العلاء

حمراء ساطعة الذوائب فى الدجى * ترمى بكل شرارة كطراف

فشبهها بالطراف وهو بيت الادم فى العظم والحمرة وكأنه قصد بخبثه أن يزيد على تشبيه القرآن ولتبجحه بما سول له من توهم الزيادة جاء فى صدر بيته بقوله حمراء توطئة لها ومناداة عليها وتنبيها للسامعين على مكانها ولقد عمى جمع الله له عمى الدارين عن قوله عز وعلا كأنه جمالات صفر فانه بمنزلة قوله كبيت أحمر وعلى أن فى التشبيه بالقصر وهو الحصن تشبيها من جهتين من جهة العظم ومن جهة الطول فى الهواء وفى التشبيه بالجمالات وهى القلوس تشبيه من ثلاث جهات من جهة العظم والطول والصفرة فأبعد الله إغرابه فى طرافه وما نفخ شدقيه من استطرافه * قرئ بنصب اليوم ونصبه الاعمش أى هذا الذى قص عليكم واقع يومئذ ويوم القيامة طويل ذو مواطن ومواقيت ينطقون فى وقت ولا ينطقون فى وقت ولذلك ورد الامران فى القرآن أو جعل نطقهم كلا نطق لانه لا ينفع ولا يسمع (فيعتذرون) عطف على يؤذن منخرط فى سلك النفى والمعنى ولا يكون لهم اذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسببا عن الاذن ولو نصب لكان مسببا عنه لا محالة (جمعناكم والاولين) كلام موضح لقوله هذا يوم الفصل لانه اذا كان يوم الفصل بين السعداء والاشقياء وبين الانبياء وأممهم فلا بد من جمع الاولين والآخرين حتى يقع ذلك الفصل بينهم (فان كان لكم كيد فكيدون) تقريع لهم على كيدهم لدين الله وذويه وتسجيل عليهم بالعجز والاستكانة (كلوا واشربوا) فى موضع الحال من ضمير المتقين فى الظرف الذى هو فى ظلال أى هم مستقرون فى ظلال مقولا لهم ذلك و (كلوا وتمتعوا) حال من المكذبين أى الويل ثابت لهم فى حال ما يقال لهم كلوا وتمتعوا (فان قلت) كيف يصح أن يقال لهم ذلك فى الآخرة (قلت) يقال لهم ذلك فى الآخرة ايذانا بأنهم كانوا فى الدنيا أحقاء بأن يقال لهم وكانوا من أهله تذكيرا بحالهم السمجة وبما جنوا على أنفسهم من ايثار المتاع القليل على النعيم والملك الخالد وفى طريقته قوله

اخوتى لا تبعدوا أبدا * وبلى والله قد بعدوا

يريد كنتم أحقاء فى حياتكم بأن يدعى لكم بذلك * وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ماله الا الاكل والتمتع أياما قلائل ثم البقاء فى الهلاك أبدا ويجوز أن يكون كلوا وتمتعوا كلاما مستأنفا خطابا للمكذبين فى الدنيا (اركعوا) اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على استكبارهم وقيل ما كان على العرب أشد من الركوع والسجود وقيل نزلت فى ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نجبى فانها مسبة

انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذى ثلاث شعب لا ظليل ولا يغنى من اللهب انها ترمى بشرر كالقصر كأنه جمالات صفر ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين فان كان لكم كيد فكيدون ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين فى ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيأ بما كنتم تعملون انا كذلك نجزى المحسنين ويل يومئذ للمكذبين كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين فبأى حديث

علينا

علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا خير فى دين ليس فيه ركوع ولا سجود (بعده) بعد القرآن يعنى أن القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة فحين لم يؤمنوا به فبأى كتاب بعده (يؤمنون) وقرئ تؤمنون بالتاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والمرسلات كتب له أنه ليس من المشركين

﴿سورة عم يتساءلون مكية وتسمى سورة النبا وهى أربعون أو احدى وأربعون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(عم) أصله عما على أنه حرف جر دخل على ما الاستفهامية وهو فى قراءة عكرمة وعيسى بن عمر قال حسان رضى الله عنه

على ما قام يشتمنى لئيم * كخنزير تمرغ فى رماد

والاستعمال الكثير على الحذف والاصل قليل ومعنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قال عن أى شأن يتساءلون ونحوه ما فى قولك زيد ما زيد جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شئ خفى عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره كما تقول ما الغول وما العنقاء تريد أى شئ هو من الاشياء هذا أصله ثم جرد للعبارة عن التفخيم حتى وقع فى كلام من لا تخفى عليه خافية (يتساءلون) يسأل بعضهم بعضا أو يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين نحو يتداعونهم ويتراءونهم والضمير لاهل مكة كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء (عن النبا العظيم) بيان للشأن المفخم وعن ابن كثير أنه قرأ عمه بهاء السكت ولا يخلو اما أن يجرى الوصل مجرى الوقف واما أن يقف ويبتدئ يتساءلون عن النبا العظيم على أن يضمر يتساءلون لان ما بعده يفسره كشئ يبهم ثم يفسر (فان قلت) قد زعمت أن الضمير فى يتساءلون للكفار فما تصنع بقوله (هم فيه مختلفون) قلت كان فيهم من يقطع القول بانكار البعث ومنهم من يشك وقيل الضمير للمسلمين والكافرين جميعا وكانوا جميعا يسألون عنه أما المسلم فليزداد خشية واستعدادا وأما الكافر فليزداد استهزاء وقيل المتساءل عنه القرآن وقيل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم * وقرئ يساءلون بالادغام وستعلمون بالتاء (كلا) ردع للمتسائلين هزؤا و (سيعلمون) وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أن ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق لانه واقع لا ريب فيه وتكرير الردع مع الوعيد تشديد فى ذلك ومعنى (ثم) الاشعار بأن الوعيد الثانى أبلغ من الاول وأشد (فان قلت) كيف اتصل به قوله (ألم نجعل الارض مهادا) قلت لما أنكروا البعث قيل لهم ألم يخلق من يضاف اليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة فما وجه انكار قدرته على البعث وما هو الا اختراع كهذه الاختراعات أو قيل لهم ألم يفعل هذه الافعال المتكاثرة والحكيم لا يفعل فعلا عبثا وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤد الى أنه عابث فى كل ما فعل * مهادا فراشا وقرئ مهدا ومعناه أنها لهم كالمهد للصبى وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للممهود بالمصدر كضرب الامير أو وصفت بالمصدر أو بمعنى ذات مهد * أى أرسيناها بالجبال كما يرسى البيت بالاوتاد (سباتا) موتا والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لانه مقطوع عن الحركة والنوم أحد التوفيين وهو على بناء الادواء * ولما جعل النوم موتا جعل اليقظة معاشا أى حياة فى قوله وجعلنا النهار معاشا أى وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون فى حوائجكم ومكاسبكم وقيل السبات الراحة (لباسا) يستركم عن العيون اذا أردتم هربا من عدو أو بياتا له أو اخفاء ما لا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الامور

وكم لظلام الليل عندك من يد * تخبر أن المانوية تكذب

(سبعا) سبع سموات (شدادا) جمع شديدة يعنى محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها ممر الازمان (وهاجا) متلألئا وقادا يعنى الشمس وتوهجت النار اذا تلمظت فتوهجت بضوئها وحرها * المعصرات السحائب اذا أعصرت أى شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر كقولك أجز الزرع اذا حان له أن يجز ومنه أعصرت الجارية

(بسم الله الرحمن الرحيم) عم يتساءلون (قال فيه معنى هذا الاستفهام تفخيم الشأن كأنه قيل عن أى شئ يتساءلون ونحوه ما فى قولك الخ) قال أحمد وقد أكثرت أم زرع من هذا التفخيم فى قولها وأبو زرع ما أبو زرع الى آخر حديثها * عاد كلامه (قال هذا أصله ثم جرد للدلالة على التفخيم الخ) قال أحمد لان بعضهم يشك فى البعث وبعضهم يبت النفى ومن ثم قيل الضمير للمسلمين والكافرين فسؤال المسلمين ليزدادوا خشية وانما سؤال الكفار لزيادة الاستهزاء والكفر (ثم قال فان قلت كيف اتصال قوله ألم نجعل الارض مهادا بما قبله الخ) قال أحمد جوابه الاول سديد وأما الثانى فغير مستقيم فانه مفرع على المذهب الاعوج فى وجوب مراعاة الصلاح والاصلح واعتقاد أن الجزاء واجب على الله تعالى عقلا ثوابا وعقابا بمقتضى ايجاب الحكمة وقد فرغ من ابطال هذه القاعدة

بعده يؤمنون

﴿سورة النبا مكية وهى أربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عم يتساءلون عن النبا العظيم الذى هم فيه مختلفون كلا سيعلمون ثم كلا سيعلمون ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء

اذا دنت أن تحيض وقرأ عكرمة بالمعصرات وفيه وجهان أن تراد الرياح التى حان لها أن تعصر السحاب وأن تراد السحائب لانه اذا كان الانزال منها فهو بها كما تقول أعطى من يده درهما وأعطى بيده وعن مجاهد المعصرات الرياح ذوات الاعاصير وعن الحسن وقتادة هى السموات وتأويله أن الماء ينزل من السماء الى السحاب فكأن السموات يعصرن أى يحملن على العصر ويمكنّ منه (فان قلت) فما وجه من قرأ من المعصرات وفسرها بالرياح ذوات الاعاصير والمطر لا ينزل من الرياح (قلت) الرياح هى التى تنشئ السحاب وتدر أخلافه فصح أن تجعل مبدأ للانزال وقد جاء أن الله تعالى يبعث الرياح فتحمل الماء من السماء الى السحاب فان صح ذلك فالانزال منها ظاهر (فان قلت) ذكر ابن كيسان أنه جعل المعصرات بمعنى المغيثات والعاصر هو المغيث لا المعصر يقال عصره فاعتصر (قلت) وجهه أن يريد اللاتى أعصرن أى حان لها أن تعصر أى تغيث (ثجاجا) منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفى الحديث أفضل الحج العج والثج أى رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدى وكان ابن عباس مثجا يسيل غربا يعنى يثج الكلام ثجا فى خطبته وقرأ الاعرج ثجاحا ومثاجح الماء مصابه والماء ينثجح فى الوادى (حبا ونباتا) يريد ما يتقوت من نحو الحنطة والشعير وما يعتلف من التبن والحشيش كما قال كلوا وارعوا أنعامكم والحب ذو العصف والريحان (ألفافا) ملتفة ولا واحد له كالاوزاع والاخياف وقيل الواحد لف وقال صاحب الاقليد أنشدنى الحسن بن على الطوسى

جنة لف وعيش مغدق * وندامى كلهم بيض زهر

وزعم ابن قتيبة أنه لفاء ولف ثم ألفاف وما أظنه واجدا له نظيرا من نحو خضر وأخضار وحمر وأحمار ولو قيل هو جمع ملتفة بتقدير حذف الزوائد لكان قولا وجيها (كان ميقاتا) كان فى تقدير الله وحكمه حدا توقت به الدنيا وتنتهى عنده أو حدا للخلائق ينتهون اليه (يوم ينفخ) بدل من يوم الفصل أو عطف بيان (فتأتون أفواجا) من القبور الى الموقف أمما كل أمة مع امامهم وقيل جماعات مختلفة وعن معاذ رضى الله عنه أنه سأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الامور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتى بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها وبعضهم عميا وبعضهم صما بكما وبعضهم يمضغون ألسنتهم فهى مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون على جذوع من نار وبعضهم أشد نتنا من الجيف وبعضهم ملبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا وأما العمى فالذين يجورون فى الحكم وأما الصم البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون الجيران وأما المصلبون على جذوع من نار فالسعاة بالناس الى السلطان وأما الذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتبعون الشهوات واللذات ومنعوا حق الله فى أموالهم وأما الذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء * وقرئ وفتحت بالتشديد والتخفيف والمعنى كثرت أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنها ليست الا أبوابا مفتحة كقوله وفجرنا الارض عيونا كأن كلها عيون تتفجر وقيل الابواب الطرق والمسالك أى تكشط فينفتح مكانها وتصير طرقا لا يسدها شئ (فكانت سرابا) كقوله فكانت هباء منبثا يعنى أنها تصير شيأ كلا شئ لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها * المرصاد الحد الذى يكون فيه الرصد والمعنى ان جهنم هى حد الطاغين الذى يرصدون فيه للعذاب وهى مآبهم أوهى مرصاد لاهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها لان مجازهم عليها وهى مآب للطاغين وعن الحسن وقتادة نحوه قالا طريقا وممرا لاهل الجنة وقرأ ابن يعمر أن جهنم بفتح الهمزة على تعليل قيام الساعة بأن جهنم كانت مرصادا للطاغين كأنه قيل كان ذلك لاقامة الجزاء * قرئ لابثين ولبثين واللبث أقوى لان اللابث من وجد منه اللبث ولا يقال لبث الالمن شأنه اللبث كالذى يجثم بالمكان لا يكاد ينفك منه (أحقابا) حقبا بعد حقب كلما

ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا ان يوم الفصل كان ميقاتا يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا وفتحت السماء فكانت أبوابا وسيرت الجبال فكانت سرابا ان جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا لابثين فيها أحقابا

مضى حقب تبعه آخر الى غير نهاية ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة الا حيث يراد تتابع الازمنة وتواليها والاشتقاق يشهد لذلك ألا ترى الى حقيبة الراكب والحقب الذى وراء التصدير وقيل الحقب ثمانون سنة ويجوز أن يراد لابثين فيها أحقابا غير ذائقين فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا ثم يبدلون بعد الاحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب وفيه وجه آخر وهو أن يكون من حقب عامنا اذا قل مطره وخيره وحقب فلان اذا أخطأه الرزق فهو حقب وجمعه أحقاب فينتصب حالا عنهم يعنى لابثين فيها حقبين جحدين وقوله (لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا) تفسير له * والاستثناء منقطع يعنى لا يذوقون فيها بردا وروحا ينفس عنهم حر النار ولا شرابا يسكن من عطشهم ولكن يذوقون فيها حميما وغساقا وقيل البرد النوم وأنشد

فلو شئت حرمت النساء سواكم * وان شئت لم أطعم نقاخا ولا بردا

وعن بعض العرب منع البرد البرد * وقرئ غساقا بالتخفيف والتشديد وهو ما يغسق أى يسيل من صديدهم (وفاقا) وصف بالمصدر أو ذا وفاق وقرأ أبو حيوة وفاقا فعال من وفقه كذا (كذابا) تكذيبا وفعال فى باب فعل كله فاش فى كلام فصحاء من العرب لا يقولون غيره وسمعنى بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فسارا ما سمع مثله وقرئ بالتخفيف وهو مصدر كذب بدليل قوله

فصدقتها وكذبتها * والمرء ينفعه كذابه

وهو مثل قوله أنبتكم من الارض نباتا يعنى وكذبوا بآياتنا فكذبوا كذابا أو تنصبه بكذبوا لانه يتضمن معنى كذبوا لان كل مكذب بالحق كاذب وان جعلته بمعنى المكاذبة فمعناه وكذبوا بآياتنا فكاذبوا مكاذبة أو كذبوا بها مكاذبين لانهم اذا كانوا عند المسلمين كاذبين وكان المسلمون عندهم كاذبين فبينهم مكاذبة أو لانهم يتكلمون بما هو افراط فى الكذب فعل من يغالب فى أمر فيبلغ فيه أقصى جهده وقرئ كذابا وهو جمع كاذب أى كذبوا بآياتنا كاذبين وقد يكون الكذاب بمعنى الواحد البليغ فى الكذب يقال رجل كذاب كقولك حسان وبخال فيجعل صفة لمصدر كذبوا أى تكذيبا كذابا مفرطا كذبه وقرأ أبو السمال وكل شئ أحصيناه بالرفع على الابتداء (كتابا) مصدر فى موضع احصاء أو أحصينا فى معنى كتبنا لالتقاء الاحصاء والكتبة فى معنى الضبط والتحصيل أو يكون حالا فى معنى مكتوبا فى اللوح وفى صحف الحفظة والمعنى احصاء معاصيهم كقوله أحصاه الله ونسوه وهو اعتراض وقوله (فذوقوا) مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات وهى آية فى غاية الشدة وناهيك بلن نزيدكم وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال الذى لا يدخل تحت الصحة وبمجيئها على طريقة الالتفات شاهدا على أن الغضب قد تبالغ وعن النبى صلى الله عليه وسلم هذه الآية أشد ما فى القرآن على أهل النار (مفازا) فوزا وظفرا بالبغية أو موضع فوز وقيل نجاة مما فيه أولئك أو موضع نجاة وفسر المفاز بما بعده * والحدائق البساتين فيها أنواع الشجر المثمر * والاعناب الكروم * والكواعب التى فلكت ثديهن وهن النواهد * والاتراب اللدات * والدهاق المترعة وأدهق الحوض ملأه حتى قال قطنى * وقرئ ولا كذابا بالتشديد والتخفيف أى لا يكذب بعضهم بعضا ولا يكاذبه أو لا يكاذبه وعن على رضى الله عنه أنه قرأ بتخفيف الاثنين (جزاء) مصدر مؤكد منصوب بمعنى قوله ان للمتقين مفازا كأنه قال جازى المتقين بمفاز و (عطاء) نصب بجزاء نصب المفعول به أى جزاهم عطاء و (حسابا) صفة بمعنى كافيا من أحسبه الشئ اذا كفاه حتى قال حسبى وقيل على حسب أعمالهم وقرأ ابن قطيب حسابا بالتشديد على ان الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك * قرئ رب السموات والرحمن بالرفع على هو رب السموات الرحمن أو رب السموات مبتدأ والرحمن صفة ولا يملكون خبر أو هما خبران وبالجر على البدل من ربك وبجر الاول ورفع الثانى على أنه مبتدأ خبره لا يملكون أو هو الرحمن لا يملكون * والضمير فى (لا يملكون) لاهل السموات والارض أى ليس فى أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به فى أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف الملاك فيزيدون فيه أو ينقصون منه أو لا يملكون أن يخاطبوه بشئ من نقص فى العذاب أو زيادة فى الثواب الا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه و (يوم يقوم) متعلق بلا يملكون أو بلا يتكلمون والمعنى ان الذين هم

لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا جزاء وفاقا انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شئ أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا ان للمتقين مفازا حدائق وأعنابا وكواعب أترابا وكأسا دهاقا لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا جزاء من ربك عطاء حسابا رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم

* قوله تعالى الا من أذن له الرحمن وقال (٣٤٨) صوابا (قال فيه وقف الشفاعة على شرطين الخ) قال أحمد يعرض بأن الشفاعة لا تحل
على مرتكبي الكبائر
من الموحدين وقد صرح
بذلك في مواضع تقدمت
له و يتلق ذلك من أنها
مخصوصة بالمرتضين
وذووا الكبائر ليسوا
مرتضين ومن ثم أخطأ
فان الله عز وجل

أفضل الخلائق وأشرفهم وأكثرهم طاعة وأقربهم منه وهم الروح والملائكة لا يملكون التكلم بين يديه فما ظنك بمن عداهم من أهل السموات والارض * والروح أعظم خلقا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين وقيل هو ملك عظيم ما خلق الله بعد العرش خلقا أعظم منه وقيل ليسوا بالملائكة وهم يأكلون وقيل جبريل * هما شريطتان أن يكون المتكلم منهم مأذونا له في الكلام وأن يتكلم بالصواب فلا يشفع لغير مرتضى لقوله تعالى ولا يشفعون الا لمن ارتضى (المرء) هو الكافر لقوله تعالى انا أنذرناكم عذابا قريبا والكافر ظاهر وضع موضع الضمير لزيادة الذم و يعني (ما قدمت يداه) من الشرك كقوله وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين وما يجوز أن تكون استفهامية منصوبة بقدمت أي ينظر أي شئ قدمت يداه وموصولة منصوبة بينظر يقال نظرته بمعنى نظرت اليه والراجع من الصلة محذوف وقيل المرء عام وخصص منه الكافر وعن قتادة هو المؤمن (ياليتني كنت ترابا) في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف أوليتني كنت ترابا في هذا اليوم فلم أبعث وقيل يحشر الله الحيوان غير المكلف حتى يقتص للجماء من القرناء ثم يرده ترابا فيود الكافر حاله وقيل الكافر ابليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشئ الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة

(سورة والنازعات مكية وهي خمس أوست وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أقسم سبحانه بطوائف الملائكة التي تنزع الارواح من الاجساد وبالطوائف التي تنشطها أي تخرجها من نشط الدلو من البئر اذا أخرجها وبالطوائف التي تسبح في مضيها أي تسرع فتسبق الى ما أمروا به فتدبر أمرا من أمور العباد مما يصلحهم في دينهم أو دنياهم كما رسم لهم (غرقا) اغراقا في النزع أي تنزعها من أقاصي الاجساد من أناملها وأظفارها أو أقسم بخيل الغزاة التي تنزع في أعنتها نزعا تغرق فيه الاعنة لطول أعناقها لانها عراب والتي تخرج من دار الاسلام الى دار الحرب من قولك ثور ناشط اذا خرج من بلد الى بلد والتي تسبح في جريها فتسبق الى الغاية فتدبر أمر الغلبة والظفر واسناد التدبير اليها لانها من أسبابه أو أقسم بالنجوم التي تنزع من المشرق الى المغرب واغراقها في النزع أن تقطع الفلك كله حتى تنحط في أقصى الغرب والتي تخرج من برج الى برج والتي تسبح في الفلك من السيارة فتسبق فتدبر أمرا من علم الحساب وقيل النازعات أيدي الغزاة أو أنفسهم تنزع القسي باغراق السهام والتي تنشط الاوهاق والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة و (يوم ترجف) منصوب بهذا المضمر و (الراجفة) الواقعة التي ترجف عندها الارض والجبال وهي النفخة الاولى وصفت بما يحدث بحدوثها (تتبعها الرادفة) أي الواقعة التي تردف الاولى وهي النفخة الثانية ويجوز أن تكون الرادفة من قوله تعالى قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون أي القيامة التي يستعجلها الكفرة استبعادا لها وهي رادفة لهم لاقترابها وقيل الراجفة الارض والجبال من قوله يوم ترجف الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب لانها تنشق وتنتثر كواكبها على اثر ذلك (فان قلت) ما محل تتبعها (قلت) الحال أي ترجف تابعتها الرادفة (فان قلت) كيف جعلت يوم ترجف ظرفا للمضمر الذي هو لتبعثن ولا يبعثون عند النفخة الاولى (قلت) المعنى لتبعثن في الوقت الواسع الذي يقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الاخرى ودل على ذلك ان قوله تتبعها الرادفة جعل حالا عن الراجفة و يجوز أن ينتصب يوم ترجف بما دل عليه (قلوب يومئذ واجفة)

الروح والملائكة صفا
لا يتكلمون الا من أذن
له الرحمن وقال صوابا
ذلك اليوم الحق فمن
شاء اتخذ الى ربه مآبا
انا أنذرناكم عذابا قريبا
يوم ينظر المرء ما قدمت
يداه و يقول الكافر
ياليتني كنت ترابا

﴿سورة والنازعات
مكية وهي خمس
وأربعون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والنازعات غرقا
والناشطات نشطا
والسابحات سبحا
فالسابقات سبقا فالمدبرات
أمرا يوم ترجف الراجفة
تتبعها الرادفة قلوب
يومئذ واجفة

ماخصهم بالايمان
والتوحيد وتوفاهم
عليه الا وقدار تضاهم
لذلك بدليل قوله تعالى
ولا يرضى لعباده الكفر
وان تشكروا يرضه لكم
فجعل الشكر بمعنى
الايمان المقابل للكفر مرضيا لله تعالى وصاحبه مرتضى ﴿القول في سورة والنازعات﴾ ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ أي
قوله تعالى والنازعات غرقا الآيات (قال فيه) إما أن يكون المراد الملائكة فالنازعات بمعنى للارواح ومعنى غرقا اغراقا في النزع الخ

أبصارها خاشعة يقولون أئنا لمردودون في الحافرة أئذا كنا عظاما نخرة (٣٤٩) قالوا تلك اذا كرة خاسرة فانما
هي زجرة واحدة
فاذاهم بالساهرة هل
أتاك حديث موسى
اذ ناداه ربه بالواد
المقدس طوى اذهب
الى فرعون انه طغى
فقل هل لك الى أن تزكى
وأهديك الى ربك
فتخشى فأراه الآية
الكبرى فكذب
وعصى ثم أدبر يسعى
فحشر فنادى فقال أنا
ربكم الاعلى فأخذه الله

أي يوم ترجف وجفت القلوب واجفة شديدة الاضطراب والوجيب والوجيف أخوان (خاشعة) ذليلة (فان قلت) كيف جاز الابتداء بالنكرة (قلت) قلوب مرفوعة بالابتداء وواجفة صفتها وأبصارها خاشعة خبرها فهو كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك (فان قلت) كيف صح اضافة الابصار الى القلوب (قلت) معناه أبصار أصحابها بدليل قوله يقولون (في الحافرة) في الحالة الاولى يعنون الحياة بعد الموت (فان قلت) ما حقيقة هذه الكلمة (قلت) يقال رجع فلان في حافرته أي في طريقه التي جاء فيها فحفرها أي أثر فيها بمشيه فيها جعل أثر قدميه حفرا كما قيل حفرت أسنانه حفرا اذا أثر الاكال في أسناخها والخط المحفور في الصخر وقيل حافرة كما قيل عيشة راضية أي منسوبة الى الحفر والرضا أو كقولهم نهارك صائم ثم قيل لمن كان في أمر فخرج منه ثم عاد اليه رجع الى حافرته أي الى طريقته وحالته الاولى قال

أحافرة على صلع وشيب * معاذ الله من سفه وعار

يريد أرجوعا الى حافرة وقيل النقد عند الحافرة يريدون عند الحالة الاولى وهي الصفقة وقرأ أبو حيوة في الحفرة والحفرة بمعنى المحفورة يقال حفرت أسنانه فحفرت حفرا وهي حفرة وهذه القراءة دليل على أن الحافرة في أصل الكلمة بمعنى المحفورة * يقال نخر العظم فهو نخر وناخر كقولك طمع فهو طمع وطامع وفعل أبلغ من فاعل وقد قرئ بهما وهو البالي الاجوف الذي تمر فيه الريح فيسمع له نخير و (اذا) منصوب بمحذوف تقديره أئذا كنا عظاما نرد ونبعث (كرة خاسرة) منسوبة الى الخسران أو خاسر أصحابها والمعنى أنها ان صحت فنحن اذا خاسرون لتكذيبنا بها وهذا استهزاء منهم (فان قلت) بم تعلق قوله (فانما هي زجرة واحدة) قلت بمحذوف معناه لا تستصعبوها فانما هي زجرة واحدة يعني لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله عز وجل فانها سهلة هينة في قدرته ما هي الا صيحة واحدة يريد النفخة الثانية (فاذاهم) أحياء على وجه الارض بعد ما كانوا أمواتا في جوفها من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه * والساهرة الارض البيضاء المستوية سميت بذلك لان السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة قال الاشعث بن قيس

وساهرة يضحى السراب مجللا * لاقطارها قد جبتها متلثما

أو لان سالكها لا ينام خوف الهلكة وعن قتادة فاذاهم في جهنم (اذهب) على ارادة القول وفي قراءة عبد الله أن اذهب لان في النداء معنى القول * هل لك في كذا وهل لك الى كذا كما تقول هل ترغب فيه وهل ترغب اليه (الى أن تزكى) الى أن تتطهر من الشرك وقرأ أهل المدينة تزكى بالادغام (وأهديك الى ربك) وأرشدك الى معرفة الله وأنبهك عليه فتعرفه (فتخشى) لان الخشية لا تكون الا بالمعرفة قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء أي العلماء به وذكر الخشية لانها ملاك الامر من خشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر ومنه قوله عليه السلام من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل بدأ مخاطبته بالاستفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضيفه هل لك أن تنزل بنا وأردفه الكلام الرفيق ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه كما أمر بذلك في قوله فقولا له قولا لينا (الآية الكبرى) قلب العصا حية لانها كانت المقدمة والاصل والاخرى كالتبع لها لانه كان يتقيها بيده فقيل له أدخل يدك في جيبك أو أرادهما جميعا الا أنه جعلهما واحدة لان الثانية كأنها من جملة الاولى لكونها تابعة لها (فكذب) بموسى والآية الكبرى وسماهما ساحرا وسحرا (وعصى) الله تعالى بعد ما علم صحة الامر وأن الطاعة قد وجبت عليه (ثم أدبر يسعى) أي لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا يسعى يسرع في مشيته قال الحسن كان رجلا طياشا خفيفا أو تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته أو أريد ثم أقبل يسعى كما تقول أقبل فلان يفعل كذا بمعنى أنشأ يفعل فوضع أدبر موضع أقبل لئلا يوصف بالاقبال (فحشر) فجمع السحرة كقوله فأرسل فرعون في المدائن حاشرين (فنادى) في المقام الذي اجتمعوا فيه معه أو أمر مناديا فنادى في الناس بذلك وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة * وعن ابن عباس كلمته الاولى ما علمت لكم من اله غيري والآخرة أنا ربكم الاعلى

* قوله تعالى فانما
هي زجرة واحدة
فاذاهم بالساهرة (قال
فيه ان قلت كيف
اتصل بما قبله وأجاب
انهم أنكروا الاعادة
الخ) قال أحمد وما
أحسن تسهيل أمر
الاعادة بقوله زجرة
عوضا من صيحة لان
الزجرة أخف من الصيحة
وبقوله واحدة أي غير
محتاجة الى مثنوية
وهو يحقق لك ما أجبت
به من السؤال الوارد
عند قوله تعالى فاذا نفخ
في الصور نفخة واحدة
حيث قيل كيف
وحدها وهما نفختان
فهدد به عهدا * قوله
تعالى ثم أدبر يسعى
(قال فيه أي لما رأى
الثعبان ولى هاربا
مذعورا الخ) قال أحمد
وهذا الوجه الاخير حسن لطيف جدا وهو على هذا من أفعال المقاربة

(قال وقوله نكال الآخرة والاولى يعنى الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة الخ) قال أحمد فعلى الاول يكون قريبا من اضافة الموصوف الى الصفة لان الآخرة والاولى صفتان للكلمتين وعلى الثانى لا يكون كذلك * قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها أخرج (قال فان قلت هلا أدخل العاطف على أخرج الخ) قال أحمد والاول أحسن وهو مناسب لقوله السماء بناها لانه لما قال أأنتم أشد

(نكال) هو مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كانه قيل نكل الله به نكال الآخرة والاولى والنكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم يعنى الاغراق فى الدنيا والاحراق فى الآخرة وعن ابن عباس نكال كلمتيه الآخرة وهى قوله أنا ربكم الاعلى والاولى وهى قوله ما علمت لكم من اله غيرى وقيل كان بين الكلمتين أربعون سنة وقيل عشرون * الخطاب لمنكرى البعث يعنى (أأنتم) أصعب (خلقا) وانشاء (أم السماء) ثم بين كيف خلقها فقال (بناها) ثم بين البناء فقال (رفع سمكها) أى جعل مقدار ذهابها فى سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام (فسوّاها) فعدلها مستوية ملساء ليس فيها تفاوت ولا فطور أو فتممها بما علم أنها تتم به وأصلحها من قولك سوّى فلان أمر فلان * غطش الليل وأغطشه الله كقولك ظلم وأظلمه ويقال أيضا أغطش الليل كما يقال أظلم (وأخرج ضحاها) وأبرز ضوء شمسها يدل عليه قوله تعالى والشمس وضحاها يريد وضوءها وقولهم وقت الضحى للوقت الذى تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها وأضيف الليل والشمس الى السماء لان الليل ظلها والشمس هى السراج المثقب فى جوها (ماءها) عيونها المتفجرة بالماء (ومرعاها) ورعيها وهو فى الاصل موضع الرعى ونصب الارض والجبال باضمار دحا وأرسى وهو الاضمار على شريطة التفسير وقرأهما الحسن مرفوعين على الابتداء (فان قلت) هلا أدخل حرف العطف على أخرج (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يكون معنى دحاها بسطها ومهدها للسكنى ثم فسر التمهيد بما لا بد منه فى تأتى سكناها من تسوية أمر المأكل والمشرب وامكان القرار عليها والسكون باخراج الماء والمرعى وارساء الجبال واثباتها أوتادا لها حتى تستقر ويستقر عليها والثانى أن يكون أخرج حالا باضمار قد كقوله أو جاؤكم حصرت صدورهم وأراد بمرعاها ما يأكل الناس والانعام واستعير الرعى للانسان كما استعير الرتع فى قوله نرتع ونلعب وقرئ نرتع من الرعى ولهذا قيل دل الله سبحانه بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الارض حتى الملح لانه من الماء (متاعا لكم) فعل ذلك تمتيعا لكم (ولانعامكم) لان منفعة ذلك التمهيد واصلة اليهم والى أنعامهم (الطامة) الداهية التى تطم على الدواهى أى تعلو وتغلب وفى أمثالهم جرى الوادى فطم على القرى وهى القيامة لطمومها على كل هائلة وقيل هى النفخة الثانية وقيل الساعة التى تساق فيها أهل الجنة الى الجنة وأهل النار الى النار (يوم يتذكر) بدل من اذا جاءت يعنى اذا رأى أعماله مدونة فى كتابه تذكرها وكان قد نسيها كقوله أحصاه الله ونسوه * وما فى (ما سعى) موصولة أو مصدرية (وبرزت) أظهرت وقرأ أبو نهيك وبرزت (لمن يرى) للرائين جميعا أى لكل أحد يعنى أنها تظهر اظهارا بينا مكشوفا يراها أهل الساهرة كلهم كقوله قد بين الصبح لذى عينين يريد لكل من له بصر وهو مثل فى الامر المنكشف الذى لا يخفى على أحد وقرأ ابن مسعود لمن رأى وقرأ عكرمة لمن ترى والضمير للجحيم كقوله اذا رأتهم من مكان بعيد وقيل لمن ترى يا محمد (فأما) جواب فاذا أى فاذا جاءت الطامة فان الامر كذلك * والمعنى فان الجحيم مأواه كما تقول للرجل غض الطرف تريد طرفك وليس الالف واللام بدلا من الاضافة ولكن لما علم أن الطاغى هو صاحب المأوى وأنه لا يغض الرجل طرف غيره تركت الاضافة ودخول حرف التعريف فى المأوى والطرف للتعريف لانهما معروفان و(هى) فصل أو مبتدأ (ونهى النفس) الامارة بالسوء (عن الهوى) المردى وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على ايثار الخير وقيل الآيتان نزلتا فى أبى عزيز بن عمير ومصعب بن عمير وقد قتل مصعب أخاه أبا عزيز يوم أحد ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص فى جوفه (أيان مرساها) متى ارساؤها أى اقامتها أراد متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها وقيل أيان منتهاها ومستقرها كما أن مرسى السفينة مستقرها

خلقا أم السماء ثم الكلام لكن مجملا ثم بين التفاوت ففسر كيف خلقها فقال بناها بغير عاطف ثم فسر البناء فقال رفع سمكها بغير عاطف أيضا * قوله تعالى وبرزت الجحيم لمن يرى (قال فيه يعنى أظهرت اظهارا بينا مكشوفا الخ) قال أحمد وفائدة هذا النظم الاشعار بانه أمر ظاهر لا يتوقف ادراكه الا على البصر خاصة أى لا شئ يحجبه ولا بعد يمنع رؤيته ولا قرب مفرط الى غير ذلك من موانع الرؤية * قوله تعالى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها فيم أنت من ذكراها (قال فيه مرساها أى مستقرها الخ) قال أحمد وفيه اشعار بثقل اليوم كقوله ويذرون وراءهم يوما ثقيلا ألا تراهم لا يستعملون الارساء الا فيما له ثقل كمرسى حيث

نكال الآخرة والاولى ان فى ذلك لعبرة لمن يخشى أأنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسوّاها وأغطش ليلها وأخرج ضحاها والارض بعد ذلك دحاها أخرج منها ماءها ومرعاها والجبال أرساها متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت الطامة الكبرى يوم يتذكر الانسان ما سعى وبرزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هى المأوى يسئلونك عن الساعة أيان مرساها

السفينة وارساء الجبال * عاد كلامه (قال ومعنى فيم أنت أى فى أى شئ أنت من أن تذكر وقتها الخ) قال أحمد وفى هذا الوجه نظر فان الآية الاخرى ترده وهى قوله يسألونك كأنك حفى عنها أى انك لا تحتفى بالسؤال عنها ولا تهتم بذلك وهم يسألونك كما يسئل الحفى عن الشئ أى الكثير السؤال عنه فالوجه الاول أصوب * عاد كلامه (قال وقيل فيم انكار لسؤالهم أى فيم هذا السؤال الخ) قال

حيث تنتهى اليه (فيم أنت) فى أى شئ أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به يعنى ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها فى شئ وعن عائشة رضى الله عنها لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الساعة ويسأل عنها حتى نزلت فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها كانه قيل فى أى شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها والمعنى أنهم يسألونك عنها فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها ثم قال (الى ربك منتهاها) أى منتهى علمها لم يؤت علمها أحدا من خلقه وقيل فيم انكار لسؤالهم أى فيم هذا السؤال ثم قيل أنت من ذكراها أى ارسالك وأنت خاتم الانبياء وآخر الرسل المبعوث فى نسم الساعة ذكر من ذكرها وعلامة من علاماتها فكفاهم بذلك دليلا على دنوها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها ولا معنى لسؤالهم عنها (انما أنت منذر من يخشاها) أى لم تبعث لتعلمهم بوقت الساعة الذى لا فائدة لهم فى علمه وانما بعثت لتنذر من أهوالها من يكون انذارك لطفا له فى الخشية منها وقرئ منذر بالتنوين وهو الاصل والاضافة تخفيف وكلاهما يصلح للحال والاستقبال فاذا أريد الماضى فليس الا الاضافة كقولك هو منذر زيد أمس * أى كانهم لم يلبثوا فى الدنيا وقيل فى القبور (الا عشية أو ضحاها) فان قلت كيف صحت اضافة الضحى الى العشية (قلت) لما بينهما من الملابسة لاجتماعهما فى نهار واحد (فان قلت) فهلا قيل الا عشية أو ضحى وما فائدة الاضافة (قلت) الدلالة على أن مدة لبثهم كانها لم تبلغ يوما كاملا ولكن ساعة منه عشيته أو ضحاه فلما ترك اليوم أضافه الى عشيته فهو كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والنازعات كان ممن حبسه الله فى القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة المكتوبة

﴿ سورة عبس مكية وهى احدى وأربعون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن أم مكتوم وأم مكتوم أم أبيه واسمه عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهرى من بنى عامر بن لؤى وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم الى الاسلام رجاء أن يسلم باسلامهم غيرهم فقال يا رسول الله أقرئنى وعلمنى مما علمك الله وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله بالقوم فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم قطعه لكلامه وعبس وأعرض عنه فنزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرمه ويقول اذا رآه مرحبا بمن عاتبنى فيه ربى ويقول له هل لك من حاجة واستخلفه على المدينة مرتين وقال أنس رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء وقرئ عبس بالتشديد للمبالغة ونحوه كلح فى كلح (أن جاءه) منصوب بتولى أو بعبس على اختلاف المذهبين ومعناه عبس لان جاءه الاعمى أو أعرض لذلك وقرئ آن جاءه بهمزتين وبالف بينهما وقف على عبس وتولى ثم ابتدئ على معنى ألأن جاءه الاعمى فعل ذلك انكارا عليه وروى أنه ما عبس بعدها فى وجه فقير قط ولا تصدى لغنى وفى الاخبار عما فرط منه ثم الاقبال عليه بالخطاب دليل على زيادة الانكار كمن يشكو الى الناس جانيا جنى عليه ثم يقبل على الجانى اذا حمى فى الشكاية مواجها له بالتوبيخ والزام الحجة وفى ذكر الاعمى نحو من ذلك كانه يقول قد استحق عنده العبوس والاعراض لانه أعمى وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا ولقد تأدب الناس بأدب الله فى هذا تأدبا حسنا فقد روى عن سفيان الثورى رحمه الله أن الفقراء كانوا فى مجلسه أمراء (وما يدريك) وأى شئ يجعلك داريا بحال هذا الاعمى (لعله يزكى) أى يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوضار الاثم (أو يذكر) أو يتعظ (فتنفعه) ذكراك أى موعظتك وتكون له لطفا فى بعض الطاعات والمعنى أنك لا تدرى ما هو مترقب منه من تزك أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك وقيل الضمير فى لعله للكافر يعنى أنك طمعت

فيم أنت من ذكراها الى ربك منتهاها انما أنت منذر من يخشاها كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا الا عشية أو ضحاها

(سورة عبس مكية وهى احدى وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فانت له

أحمد فعلى هذا ينبغى أن يوقف على قوله فيم ليفصل بين الكلامين

(القول فى سورة عبس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الاعمى الى قوله فانت له تصدى (ذكر سبب الآية وهو أن ابن أم مكتوم الاعمى الخ) قال أحمد وانما أخذ الاختصاص من تصدير الجملة بضمير المخاطب وجعله مبتدأ مخبرا عنه وهو كثيرا ما يناق الاختصاص من ذلك ولقد غلط فى تفسير الآية وما كان له أن يبلغ ذلك

*عاد كلامه (قال) وفى قوله يسعى (٢٥٢) وهو يخشى تنبيه على وجوب حق ابن أم مكتوم الخ قوله تعالى قتل الانسان ماأكفره الى

فى أن يتزكى بالاسلام أو يذكر فتقرّبه الذكرى الى قبول الحق ومايدريك أن ماطمعت فيه كائن وقرئ فتنفعه بالرفع عطفا على يذكر وبالنصب جوابا للعل كقوله فأطلع الى اله موسى (تصدّى) تتعرض بالاقبال عليه والمصاداة المعارضة وقرئ تصدّى بالتشديد بادغام التاء فى الصاد وقرأ أبو جعفر تصدى بضم التاء أى تعرض ومعناه يدعوك داع الى التصدى له من الحرص والتهالك على اسلامه وليس عليك بأس فى أن لا يتزكى بالاسلام ان عليك الا البلاغ (يسعى) يسرع فى طلب الخير (وهو يخشى) الله أو يخشى الكفار وأذاهم فى اتيانك وقيل جاء وليس معه قائد فهو يخشى الكبوة (تلهى) تتشاغل من لهى عنه والتهى وتلهى وقرأ طلحة بن مصرف تتلهى وقرأ أبو جعفر تلهى أى يلهيك شأن الصناديد (فان قلت) قوله فأنت له تصدى فأنت عنه تلهى كأن فيه اختصاصا (قلت) نعم ومعناه انكار التصدى والتلهى عليه أى مثلك خصوصا لا ينبغى له أن يتصدى للغنى ويتلهى عن الفقير (كلا) ردع عن المعاتب عليه وعن معاودة مثله (انها تذكرة) أى موعظة يجب الاتعاظ بها والعمل بموجبها (فمن شاء ذكره) أى كان حافظا له غير ناس وذكر الضمير لان التذكرة فى معنى الذكر والوعظ (فى صحف) صفة لتذكرة يعنى أنها مثبتة فى صحف منتسخة من اللوح (مكرّمة) عند الله (مرفوعة) فى السماء أو مرفوعة المقدار (مطهرة) منزهة عن أيدى الشياطين لا يمسها الا أيدى ملائكة مطهرين (سفرة) كتبة ينتسخون الكتب من اللوح (بررة) أتقياء وقيل هى صحف الانبياء كقوله ان هذا لفى الصحف الاولى وقيل السفرة القراء وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قتل الانسان) دعاء عليه وهى من أشنع دعواتهم لان القتل قصارى شدائد الدنيا وفظائعها و (ما أكفره) تعجب من افراطه فى كفران نعمة الله ولا ترى اسلوبا أغلظ منه ولا أخشن مسا ولا أدل على سخط ولا أبعد شوطا فى المذمة مع تقارب طرفيه ولا أجمع للائمة على قصر متنه *ثم أخذ فى وصف حاله من ابتداء حدوثه الى أن انتهى وماهو مغمور فيه من أصول النعم وفروعها وماهو غارز فيه رأسه من الكفران والغمط وقلة الالتفات الى ما يتقلب فيه والى ما يجب عليه من القيام بالشكر (من أى شئ خلقه) من أى شئ حقير مهين خلقه ثم بين ذلك الشئ بقوله (من نطفة خلقه فقدّره) فهيأه لما يصلح له ويختص به ونحوه وخلق كل شئ فقدّره تقديرا *نصب السبيل باضمار يسر وفسره بيسر والمعنى ثم سهل سبيله وهو مخرجه من بطن أمه أو السبيل الذى يختار سلوكه من طريقى الخير والشر باقداره وتمكينه كقوله انا هديناه السبيل وعن ابن عباس رضى الله عنهما بين له سبيل الخير والشر (فأقبره) فجعله ذا قبر يوارى فيه تكرمة له ولم يجعله مطروحا على وجه الارض جزرا للسباع والطير كسائر الحيوان يقال قبر الميت اذا دفنه وأقبره الميت اذا أمره أن يقبره ومكنه منه ومنه قول من قال للحجاج أقبرنا صالحا (أنشره) أنشأه النشأة الاخرى وقرئ نشره (كلا) ردع للانسان عما هو عليه (لما يقض) لم يقض بعد مع تطاول الزمان وامتداده من لدن آدم الى هذه الغاية (ما أمره) الله حتى يخرج عن جميع أوامره يعنى أن انسانا لم يخل من تقصير قط *ولما عدد النعم فى نفسه أتبعه ذكر النعم فيما يحتاج اليه فقال (فلينظر الانسان الى طعامه) الى مطعمه الذى يعيش به كيف دبرنا أمره (انا صببنا الماء) يعنى الغيث قرئ بالكسر على الاستئناف وبالفتح على البدل من الطعام وقرأ الحسين بن على رضى الله عنهما أنى صببنا بالامالة على معنى فلينظر الانسان كيف صببنا الماء *وشققنا من شق الارض بالنبات ويجوز أن يكون من شقها بالكراب على البقر وأسند الشق الى نفسه اسناد الفعل الى السبب *والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما *والقضب الرطبة والمقضاب أرضه سمى بمصدر قضبه اذا قطعه لانه يقضب مرة بعد مرة (وحدائق غلبا) يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء فيريد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها كما تقول حديقة ضخمة وأن يجعل شجرها غلبا أى عظاما غلاظا والاصل فى الوصف بالغلب الرقاب فاستعير قال عمرو بن معديكرب

قوله ثم شققنا الارض شقا (دعاء عليه وهو من أشنع دعائهم الخ قال أحمد ما رأيت كاليوم قط عبدا ينازع ربه الله تعالى يقول ثم شققنا فيضيف فعله الى ذاته حقيقة كما أضاف بقية

تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا انها تذكرة فمن شاء ذكره فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدى سفرة كرام بررة قتل الانسان ما أكفره من أى شئ خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره ثم اذا شاء أنشره كلا لما يقض ما أمره فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم فاذا جاءت

أفعاله من عند قوله من نطفة خلقه وهلم جرا والزمخشرى يجعل الاضافة مجازية من باب اسناد الفعل الى سببه فيجعل اضافة الفعل الى الله تعالى من باب اضافة الشق الى الحراث لانه السبب قتل القدرى ما أكفره على قول وما أضله على آخر واذا جعل شق الارض مضافا الى الحراث حقيقة والى الله مجازا فغاية عنه أن يجعل الحراث هو الذى صبب الماء وأنبت الحب والعنب والقضب حقيقة وهل هما الا واحد

يمشى

يمشى بها غلب الرقاب كأنهم * بزل كسين من الكحيل جلالا

* والاب المرعى لانه يؤب أى يؤم وينتجع والاب والام أخوان قال

جذمنا قيس ونجد دارنا * ولنا الاب به والمكرع

وعن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه سئل عن الاب فقال أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى اذا قلت فى كتاب الله ما لا علم لى به وعن عمر رضى الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال كل هذا قد عرفنا فما الاب ثم رفض عصا كانت بيده وقال هذا لعمر الله التكلف وما عليك يا ابن أم عمر أن لا تدرى ما الاب ثم قال اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب وما لا فدعوه (فان قلت) فهذا يشبه النهى عن تتبع معانى القرآن والبحث عن مشكلاته (قلت) لم يذهب الى ذلك ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشئ من العلم لا يعمل به تكلفا عندهم فأراد أن الآية مسوقة فى الامتنان على الانسان بطعمه واستدعاء شكره وقد علم من فحوى الآية أن الاب بعض ما أنبته الله للانسان متاعا له أو لانعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك ولم يشكل مما عدد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الاب ومعرفة النبات الخاص الذى هو اسم له واكتف بالمعرفة الجلية الى أن يتبين لك فى غير هذا الوقت ثم وصى الناس بأن يجروا على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن *يقال صخ لحديثه مثل أصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازا لان الناس يصخون لها (يفر) منهم لاشتغاله بما هو مدفوع اليه ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيأ *وبدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما أقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم أقرب وأحب كأنه قال يفر من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه وقيل يفر منهم حذرا من مطالبتهم بالتبعات يقول الاخ لم تواسنى بمالك والابوان قصرت فى برنا والصاحبة أطعمتنى الحرام وفعلت وصنعت والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا وقيل أول من يفر من أخيه هابيل ومن أبويه ابراهيم ومن صاحبته نوح ولوط ومن ابنه نوح (يغنيه) يكفيه فى الاهتمام به وقرئ يعنيه أى يهمه (مسفرة) مضيئة متهللة من أسفر الصبح اذا أضاء وعن ابن عباس رضى الله عنهما من قيام الليل لما روى فى الحديث من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت فى سبيل الله (غبرة) غبار يعلوها (قترة) سواد كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد فى الوجه كما ترى من وجوه الزنوج اذا اغبرت وكأن الله عز وجل يجمع الى سواد وجوههم الغبرة كما جمعوا الفجور الى الكفر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر

(سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*فى التكوير وجهان أن يكون من كورت العمامة اذا لففتها أى يلف ضوءها لفا فيذهب انبساطه وانتشاره فى الآفاق وهو عبارة عن ازالتها والذهاب بها لانها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطا غير ملفوف أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لان الثوب اذا أريد رفعه لف وطوى ونحوه قوله يوم نطوى السماء وأن يكون من طعنه فجوره وكوره اذا ألقاه أى تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار (فان قلت) ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية (قلت) بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كورت لان اذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط (انكدرت) انقضت قال *أبصر خربان فضاء فانكدر *ويروى فى الشمس والنجوم أنها تطرح فى جهنم ليراها من عبدها كما قال انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم (سيرت) أى عن وجه الارض وأبعدت أو سيرت فى الجو تسيير السحاب كقوله وهى تمر مر السحاب *والعشار فى جمع عشراء كالنفاس فى جمع نفساء وهى التى أتى على حملها عشرة أشهر ثم هو اسمها الى أن تضع لتمام السنة وهى أنفس ما تكون عند أهلها وأعزها عليهم (عطلت) تركت مسيبة مهملة وقيل عطلها

الصاخة يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة

(سورة التكوير مكية وهى تسع وعشرون آية)*

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت واذا الجبال سيرت واذا العشار عطلت واذا الوحوش

* عاد كلامه فى قوله يوم يفر المرء من أخيه الآية (نقل) فى التفسير ان أول من يفر من أخيه هابيل وأول من يفر من أبويه ابراهيم وأول من يفر من صاحبته نوح ولوط وأول من يفر من ابنه نوح

أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم وقرئ عطلت بالتخفيف (حشرت) جمعت من كل ناحية قال قتادة يحشر كل شئ حتى الذباب للقصاص وقيل اذا قضى بينها ردت ترابا فلا يبقى منها الا ما فيه سرور لبنى آدم وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه وعن ابن عباس رضى الله عنهما حشرها موتها يقال اذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم حشرتهم السنة وقرئ حشرت بالتشديد (سجرت) قرئ بالتخفيف والتشديد من سجر التنور اذا ملأه بالحطب أى ملئت وفجر بعضها الى بعض حتى تعود بحرا واحدا وقيل ملئت نيرانا تضطرم لتعذيب أهل النار وعن الحسن يذهب ماؤها فلا تبقى فيها قطرة (زوجت) قرنت كل نفس بشكلها وقيل قرنت الارواح بالاجساد وقيل بكتبها وأعمالها وعن الحسن هو كقوله وكنتم أزواجا ثلاثة وقيل نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكافرين بالشياطين * وأد يئد مقلوب من آد يؤد اذا أثقل قال الله تعالى ولا يؤده حفظهما لانه إثقال بالتراب كان الرجل اذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الابل والغنم فى البادية وان أراد قتلها تركها حتى اذا كانت سداسية فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها الى أحمائها وقد حفر لها بئرا فى الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظرى فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوى البئر بالارض وقيل كانت الحامل اذا أقربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فاذا ولدت بنتا رمت بها فى الحفرة وان ولدت ابنا حبسته (فان قلت) ما حملهم على وأد البنات (قلت) الخوف من لحوق العار بهم من أجلهن أو الخوف من الاملاق كما قال الله تعالى ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق وكانوا يقولون ان الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن وصعصعة بن ناجية ممن منع الوأد فبه افتخر الفرزدق فى قوله

ومنا الذى منع الوائدات * فأحيا الوئيد فلم توأد

(فان قلت) فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذى قتلت به وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها (قلت) سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت فى قوله تعالى لعيسى أأنت قلت للناس الى قوله سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق وقرئ سألت أى خاصمت عن نفسها وسألت الله أو قاتلها وانما قيل قتلت بناء على أن الكلام اخبار عنها ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت لقيل قتلت أو كلامها حين سئلت لقيل قتلت وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما قتلت على الحكاية وقرئ قتلت بالتشديد وفيه دليل بين على ان أطفال المشركين لا يعذبون وعلى أن التعذيب لا يستحق الا بالذنب واذا بكت الله الكافر ببراءة الموؤدة من الذنب فما أقبح به وهو الذى لا يظلم مثقال ذرة أن يكر عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد السرمد وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه سئل عن ذلك فاحتج بهذه الآية (نشرت) قرئ بالتخفيف والتشديد يريد صحف الاعمال تطوى صحيفة الانسان عند موته ثم تنشر اذا حوسب عن قتادة صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة فلينظر رجل ما يملى فى صحيفته وعن عمر رضى الله عنه أنه كان اذا قرأها قال اليك يساق الامر يا ابن آدم وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال يحشر الناس عراة حفاة فقالت أم سلمة كيف بالنساء فقال شغل الناس يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال نشر الصحف فيها مثاقيل الذر ومثاقيل الخردل ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها أى فرقت بينهم وعن مرثد بن وداعة اذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن فى يده فى جنة عالية وتقع صحيفة الكافر فى يده فى سموم وحميم أى مكتوب فيها ذلك وهى صحف غير صحف الاعمال (كشطت) كشفت وأزيلت كما يكشط الاهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشئ وقرأ ابن مسعود قشطت واعتقاب الكاف والقاف كثير يقال لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور (سعرت) أوقدت ايقادا شديدا وقرئ سعرت بالتشديد للمبالغة قيل سعرها غضب الله تعالى وخطايا بنى آدم (أزلفت) أدنيت من المتقين كقوله تعالى وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد قيل هذه اثنتا عشرة خصلة ست منها فى الدنيا وست فى الآخرة وعلمت هو عامل النصب فى اذا الشمس كورت وفيما عطف عليه (فان قلت) كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله يوم تجد كل نفس ما عملت من خير

حشرت واذا البحار سجرت واذا النفوس زوجت واذا الموؤدة سئلت بأى ذنب قتلت واذا الصحف نشرت واذا السماء كشطت واذا الجحيم سعرت واذا الجنة أزلفت

﴿القول فى سورة التكوير﴾ (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس ثم تعرض فى تفسيره للعامل الخ (قال أحمد) هذا الجواب لا يستمر لاجل ظهور الفعل الثانى فى قوله فلا أقسم بالخنس ولما أعضل الجواب عن هذا السؤال فى سورة التكوير التزم الشيخ أبو عمرو بن الحاجب اجازة العطف على عاملين واتخذ هذه الآية وزره ومعتضده فى مخالفة سيبويه ورد على الزمخشرى جوابه فى سورة والشمس وضحاها لانه لم يطرد له ههنا وكان على رده يستحسن تيقظ فطنته فى استنباطه ونحن والله الموفق نلتزم مذهب سيبويه فى امتناع العطف على عاملين فى جعل الواو الثانية عاطفة ويجرى جواب الزمخشرى ههنا وينفصل عن هذه الآية فنقول قوله والليل اذا عسعس هذه الواو الاولى ابتداء قسم والواو فى قوله والصبح اذا تنفس عاطفة فيطرد ما قال الزمخشرى * فان قيل فقد خالفتم سيبويه فانه لا يرى الواو المتعقبة للقسم ابتداء قسم بل عاطفة وقد جعلتم الواو الاولى وهى متعقبة للقسم ابتداء قسم * قلنا انما تكلم سيبويه فى الواو المتعقبة للقسم بالواو وأما الآية فالقسم الاول فيها بالباء والفعل فجعلنا الواو بعد ذلك قسما وتبعا وهو أبلغ كأنه أقسم قسمين بشيئين مختلفين * فان قيل أجل انما تكلم سيبويه على الواو المتعقبة للقسم بالواو فما الفرق بين المتعقبة للقسم بالواو والمتعقبة للقسم بالباء وما هما الا سواء فان كل واحد منهما آلة له والتاء تدل على الباء فحكمهما واحد * قلنا ليسا سواء فان القسم متى صدر بالواو ولم يله واو أخرى فجعلها قسما آخر فيه تكرار (٢٥٥) مستكره اذ الآلة واحدة ولا كذلك اذا اختلفت الآلة فان عاملة التكرار مأمونة اذا ألا ترى أنه لو صدر القسم بالواو ثم تلاه قسم بالباء لصح جعلهما قسمين مستقلين فكذلك لو خولف هذا الترتيب وأيضا فانه ان كان المانع لسيبويه من جعل الواو الثانية قسما مستقلا مجىء الجواب واحدا واحتياج الواو الاولى الى محذوف فالعطف يغنى عن تقدير محذوف فيتعين فلا يلزم اطراد الباء لانها أصل القسم لاستماع التصريح بفعل القسم ثم تأكيده بزيادة لا فان فى مجموع ذلك ما يغنى عن افراده بجواب مذكور ولا كذلك الواو فانها ضعيفة المكنة فى باب القسم بالنسبة الى الباء فلا يلزم من حذف جواب تمكنت الدلالة عليه حذف جواب دونه فى الوضوح * وأختم الكلام على هذا السؤال بنكتة بديعة فأقول انما خصصت ايراد السؤال بالواو الثانية فى قوله والليل اذا عسعس دون الثالثة لانه غير متوجه عليها ألا ترى لو جعلتها عاطفة لم يلزمك العطف على عاملين لانك تجعلها نائبة عن الباء وتجعل اذا فيها منصوبة بالفعل مباشرة اذ لم يتقدم فى جملة الفعل ظرف تعطف عليه اذا فتصير بمثابة قولك مررت بزيد وعمرو اليوم فاليوم منصوب بالفعل مباشرة وفهم من المثال أن مرورك بزيد مطلق غير مقيد بظرف وانما المقيد باليوم مرورك بعمرو خاصة لكن يطابق الآية فان الظرف فيها وان عمل فيه الفعل مباشرة فهو مقيد للقسم بالليل لا للقسم بالخنس * قوله تعالى انه لقول رسول كريم الآية (قال فيه المراد بالرسول الكريم جبريل عليه السلام وقوله عند ذى العرش ليدل على عظم منزلته ومكانته وثم اشارة الى الظرف المذكور يعنى عند ذى العرش الخ) قال أحمد ما كان جبريل صلوات الله عليه يرضى منه هذا التفسير المنطوى على التقصير فى حق البشير النذير عليه أفضل الصلاة والسلام ولقد اتبع الزمخشرى هواه فى تمهيد أصول مذهبه الفاسد فأخطأ على الاصل والفرع

محضرا الا نفس واحدة فما معنى قوله (علمت نفس) قلت هو من عكس كلامهم الذى يقصدون به الافراط فيما يعكس عنه ومنه قوله عز وجل ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ومعناه معنى كم وأبلغ منه وقول القائل * قد أترك القرن مصفرا أنامله * وتقول لبعض قواد العساكر كم عندك من الفرسان فيقول رب فارس عندى أو لا تعدم عندى فارسا وعنده المقانب وقصده بذلك التمادى فى تكثير فرسانه ولكنه أراد اظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلا أن يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين وعن ابن مسعود رضى الله عنه ان قارئا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال وانقطاع ظهرياه (الخنس) الرواجع بينا ترى النجم فى آخر البرج اذ كر راجعا الى أوله و (الجوارى) السيارة و (الكنس) الغيب من كنس الوحشى اذا دخل كناسه قيل هى الدرارى الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشترى تجرى مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس وقيل هى جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أى تطلع فى أماكنها كالوحش فى كنسها * عسعس الليل وسعسع اذا أدبر قال العجاج

حتى اذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل عسعس اذا أقبل ظلامه (فان قلت) ما معنى تنفس الصبح (قلت) اذا أقبل الصبح أقبل باقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسا له على المجاز وقيل تنفس الصبح (انه) الضمير للقرآن (لقول رسول كريم) هو جبريل صلوات الله عليه (ذى قوة) كقوله تعالى شديد القوى ذو مرة لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن قال (عند ذى العرش) ليدل على عظم منزلته ومكانته (ثم) اشارة الى الظرف المذكور أعنى عند ذى العرش

علمت نفس ما أحضرت فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين مطاع ثم أمين

جميعا ونحن نبين ذلك بحول الله وقوته فنقول أولا اختلف أهل التفسير فذهب منهم الجم الغفير الى أن المراد بالرسول الكريم ههنا الى آخر النعوت محمد صلى الله عليه وسلم فان يكن كذلك والله أعلم فذلك فضل الله المعتاد على نبيه وان كان المراد جبريل عليه السلام فقد اختلف الناس في المفاضلة بين الملائكة والرسل والمشهور عن أبي الحسن تفضيل الرسل ومذهب المعتزلة تفضيل الملائكة الا أن المختلفين أجمعوا على أنه لا يسوغ تفضيل أحد القبيلين الجليلين بما يتضمن تنقيص معين من الملائكة ومعين من الرسل لان التفضيل وان كان ثابتا الا أن في التعيين ايذاء للمفضول وعليه حمل الحذاق قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى أي لا تعينوا مفضولا على التخصيص لان التفضيل على التعميم ثابت باجماع المسلمين أي تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم على النبيين أجمعين وكان جدي رحمه الله يوضح ذلك بمثال فيقول لو قلت بحضرة جماعة من الفقهاء فلان أفضل أهل عصره لكان في الجماعة احتمال لهذا التفضيل وان لزم اندراجهم في المفضولين ولو عينت واحدا منهم وقلت فلان أفضل منك وأتقى لله لأسرع به الاذى الى بغضك واذا تقرر لك أنه لا يلزم من اعتقاد التفضيل على التعميم جواز اطلاق التفضيل على التخصيص علمت أن الزمخشري أخطأ على أصله لانه بتقدير أن تكون الملائكة أفضل كما يعتقد لا يجوز أن يقال عن أحد من الملائكة على التخصيص انه أفضل من أحد الانبياء على التخصيص لاسيما في

على أنه عند الله مطاع في ملائكته المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون الى رأيه وقرئ ثم تعظيما للامانة وبيانا لانها أفضل صفاته المعدودة (وما صاحبكم) يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (بمجنون) كما تبهته الكفرة وناهيك بهذا دليلا على جلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة ومباينة منزلته لمنزلة أفضل الانس محمد صلى الله عليه وسلم اذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين وبين قوله وما صاحبكم بمجنون (ولقد رآه) ولقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل (بالافق المبين) بمطلع الشمس الاعلى (وما هو) وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحي اليه وغير ذلك (بظنين) بمتهم من الظنة وهي التهمة وقرئ بضنين من الضن وهو البخل أي لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه أو يسأل تعليمه فلا يعلمه وهو في مصحف عبد الله بالظاء وفي مصحف أبي بالضاد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بهما واتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لابد منه للقارئ فان أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وان فرقوا ففرقا غير صواب وبينهما بون بعيد فان مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الاضراس من يمين اللسان أو يساره وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي أحد الاحرف الشجرية أخت الجيم والشين وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهي أحد الاحرف الذولقية أخت الذال والثاء ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الكلمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب (فان قلت) فان وضع المصلي أحد الحرفين مكان صاحبه (قلت) هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لان التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتهما (وما هو) وما القرآن (بقول شيطان رجيم) أي بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم الى أوليائهم من الكهنة (فأين تذهبون) استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافا أو ذهابا

سيد ولد آدم عليه أفضل الصلاة والسلام ثم يعود الكلام على الآية بعد تسليم ان المراد جبريل وبعد أن نكله في تعيينه النبي صلى الله عليه وسلم وعده

وما صاحبكم بمجنون ولقد رآه بالافق المبين وما هو على الغيب بظنين وما هو بقول شيطان رجيم فأين تذهبون ان هو الا ذكر للعالمين

مفضولا الى الله فنقول لم يذكر فيها نعت الا والنبي صلى الله عليه وسلم مثله أولها رسول كريم فقد قال في حقه صلى الله عليه وسلم في آخر سورة الحاقة انه لقول رسول كريم وقد قيل أيضا ان المراد جبريل الا أنه يأباه قوله وما هو بقول شاعر وقد وافق الزمخشري في ذلك فيما تقدم فهذا أول النعوت وأعظمها وأما قوله ذي قوة فليس محل الخلاف اذ لا نزاع في ان لجبريل عليه السلام فضل القوة الجسمية ومن يقتلع المدائن بريشة من جناحه لا مراء في فضل قوته على قوة البشر وقد قيل هذا في تفسير قوله ذو مرة فاستوى وقوله عند ذي العرش مكين مطاع ثم فقد ثبت طاعة الملائكة أيضا لنبينا صلى الله عليه وسلم وورد أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان الله يقرئك السلام وقد أمر ملك الجبال أن يطيعك عندما آذته قريش فسلم عليه الملك وقال ان أمرتني أن أطبق عليهم الاخشبين فعلت فصبر النبي صلى الله عليه وسلم واحتسب وأعظم من ذلك وأشرف مقامه المحمود في الشفاعة الكبرى يوم لا يتقدمه أحد اذ يقول الله تعالى له ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع وأما أمين فقد قال وهو الصادق المصدوق والله اني لامين في الارض أمين في السماء وحسبك قوله وما هو على الغيب بظنين ان قرأته بالظاء فمعناه أنه صلى الله عليه وسلم أمين على الغيب غير متهم وان قرأته بالضاد رجع الى الكرم فكيف يذهب الى التفضيل بالنعوت المشتركة بين الفاضل والمفضول سواء وما لي مباحثة في أصل المسئلة ولكن الرد عليه في خطئه على كل قول يتعين والا فالمسئلة في غير هذا الكتاب فنسأل الله أن يثبتنا على الايمان به وملائكته وكتبه ورسله وعلى القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وأن يعرفنا بركاتهم وأن يجعل توسلنا اليه بهم وهو حسبنا ونعم الوكيل

في بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه الى الباطل (لمن شاء منكم) بدل من للعالمين وانما أبدلوا منهم لان الذين شاؤا الاستقامة بالدخول في الاسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وان كانوا موعوظين جميعا (وما تشاؤن) الاستقامة يامن يشاؤها الا بتوفيق الله ولطفه أو وما تشاؤنها أنتم يامن لا يشاؤها الا بقسر الله والجائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا الشمس كورت أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته

﴿سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(انفطرت) انشقت (فجرت) فتح بعضها الى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحرا واحدا وروى أن الارض تنشف الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن وقرئ فجرت بالتخفيف وقرأ مجاهد فجرت على البناء للفاعل والتخفيف بمعنى بغت لزوال البرزخ نظرا الى قوله تعالى لا يبغيان لان البغي والفجور أخوان ﴿بعثر وبحثر بمعنى وهما مركبان من البعث والبحث مع راء مضمومة اليهما والمعنى بحثت وأخرج موتاها وقيل لبراءة المبعثرة لانها بعثرت أسرار المنافقين (فان قلت) ما معنى قوله (ماغرك بربك الكريم) وكيف طابق الوصف بالكرم انكار الاغترار به وانما يغتر بالكريم كما يروى عن علي رضي الله عنه أنه صاح بغلام له كرات فلم يلبه فنظر فاذا هو بالباب فقال له مالك لم تجبني قال لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك فاستحسن جوابه وأعتقه وقالوا من كرم الرجل سوء أدب غلمانه (قلت) معناه أن حق الانسان أن لا يغتر بتكرم الله عليه حيث خلقه حيا لينفعه وبتفضله عليه بذلك حتى يطمع بعد ما مكنه وكلفه فعصى وكفر النعمة المتفضل بها أن يتفضل عليه بالثواب وطرح العقاب اغترارا بالتفضل الاول فانه منكر خارج من حد الحكمة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها غره جهله وقال عمر رضي الله عنه غره حمقه وجهله وقال الحسن غره والله شيطانه الخبيث أي زين له المعاصي وقال له افعل ما شئت فربك الكريم الذي تفضل عليك بما تفضل به أولا وهو متفضل عليك آخرا حتى ورطه وقيل للفضيل بن عياض ان أقامك الله يوم القيامة وقال لك ماغرك بربك الكريم ماذا تقول قال أقول غرتني ستورك المرخاة وهذا على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويروون عن أئمتهم انما قال بربك الكريم دون سائر صفاته ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم وقرأ سعيد بن جبير ما أغرك اما على التعجب واما على الاستفهام من قولك غر الرجل فهو غار اذا غفل من قولك بيتهم العدو وهم غارون وأغره غيره جعله غارا (فسواك) فجعلك سويا سالم الاعضاء (فعدلك) فصيرك معتدلا متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فلم يجعل احدى اليدين أطول ولا احدى العينين أوسع ولا بعض الاعضاء أبيض وبعضها أسود ولا بعض الشعر فاحما وبعضه أشقر أو جعلك معتدل الخلق تمشي قائما لا كالبهائم وقرئ فعدلك بالتخفيف وفيه وجهان أحدهما أن يكون بمعنى المشدد أي عدل بعض أعضائك ببعض حتى اعتدلت والثاني فعدلك فصرفك يقال عدله عن الطريق يعني فعدلك عن خلقة غيرك وخلقك خلقة حسنة مفارقة لسائر الخلق أو فعدلك الى بعض الاشكال والهيآت ﴿ما في (ما شاء) مزيدة أي ركبك في أي صورة اقتضتها مشيئته وحكمته من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والانوثة والشبه ببعض الاقارب وخلاف الشبه (فان قلت) هلا عطفت هذه الجملة كما عطف ما قبلها (قلت) لانها بيان لعدلك (فان قلت) بم يتعلق الجار (قلت) يجوز أن يتعلق بركبك على معنى وضعك في بعض الصور ومكنك فيه وبمحذوف أي ركبك حاصلا في بعض الصور ومحله النصب على الحال ان علق بمحذوف ويجوز أن يتعلق بعدلك ويكون في أي معنى التعجب أي فعدلك في صورة عجيبة ثم قال ما شاء ركبك أي ركبك ما شاء من التراكيب يعني تركيبا حسنا (كلا) ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله

(قال فيه ان قلت قوله ماغرك بربك الكريم ما معناه وكيف يطابق الوصف بالكرم الخ) قال أحمد حجة الزمخشري ههنا فارغة فان الآية انما وردت في الكفار بدليل قوله كلا بل تكذبون بالدين ونحن نوافقه على خلودهم وانقطاع

لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاؤن الا أن يشاء الله رب العالمين

﴿سورة الانفطار مكية وهي تسع عشرة آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت واذا البحار فجرت واذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدمت وأخرت يا أيها الانسان ماغرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك كلا

معاذيرهم لا على ان تخليدهم واجب على الله تعالى بمقتضى الحكمة فان الله لا يجب عليه شئ ويجوز عقلا أن يثيب الكافر ويخلده في الجنة وبالعكس في المؤمن ولولا ورود السمع باثابة المؤمنين وعذاب الكافرين فيتعين المصير اليه لكان ما ذكرناه في الجواز والاحتمال فان الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد

(بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون (قال فيه

والتسلق به وهو موجب الشكر والطاعة الى عكسهما الذى هو الكفر والمعصية ثم قال (بل تكذبون بالدين)
أصلا وهو الجزاء أو دين الاسلام فلا تصدقون ثوابا ولا عقابا وهو شر من الطمع المنكر (وان عليكم لحافظين)
تحقيق لما يكذبون به من الجزاء يعنى أنكم تكذبون بالجزاء والكاتبون يكتبون عليكم أعمالكم لتجازوا بها
* وفى تعظيم الكتبة بالثناء عليهم تعظيم لامر الجزاء وأنه عند الله من جلائل الامور ولولا ذلك لما وكل بضبط
ما يحاسب عليه ويجازى به الملائكة الكرام الحفظة الكتبة وفيه انذار وتهويل وتشوير للعصاة ولطف
للمؤمنين وعن الفضيل أنه كان اذا قرأها قال ما أشدها من آية على الغافلين (وما هم عنها بغائبين) كقوله
وما هم بخارجين منها ويجوز أن يراد يصلون النار يوم الدين وما يغيبون عنها قبل ذلك يعنى فى قبورهم وقيل
أخبر الله فى هذه السورة أن لابن آدم ثلاث حالات حال الحياة التى يحفظ فيها عمله وحال الآخرة التى يجازى
فيها وحال البرزخ وهو قوله وما هم عنها بغائبين * يعنى أن أمر يوم الدين بحيث لا تدرك دراية دار كنهه فى
الهول والشدة وكيفما تصورته فهو فوق ذلك وعلى أضعافه والتكرير لزيادة التهويل ثم أجمل القول فى
وصفه فقال (يوم لا تملك نفس لنفس شيأ) أى لا تستطيع دفعا عنها ولا نفعا لها بوجه ولا أمر الا لله وحده
من رفع فعلى البدل من يوم الدين أو على هو يوم لا تملك ومن نصب فباضمار يدانون لان الدين يدل عليه
أو باضمار اذكر ويجوز أن يفتح لاضافته الى غير متمكن وهو فى محل الرفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ اذا السماء انفطرت كتب الله له بعدد كل قطرة من السماء حسنة وبعدد كل قبر حسنة

(سورة المطففين مختلف فيها وهى ست وثلاثون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* التطفيف البخس فى الكيل والوزن لان ما يبخس شئ طفيف حقير وروى أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قدم المدينة وكانوا من أخبث الناس كيلا فنزلت فأحسنوا الكيل وقيل قدمها وبها رجل يعرف بأبى
جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر وقيل كان أهل المدينة تجارا يطففون وكانت
بياعاتهم المنابذة والملامسة والمخاطرة فنزلت فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأها عليهم وقال خمس
بخمس قيل يا رسول الله وما خمس بخمس قال ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير
ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل الا منعوا النبات
وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر وعن على رضى الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران
وقد أرجح فقال له أقم الوزن بالقسط ثم أرجح بعد ذلك ما شئت كأنه أمره بالتسوية أولا ليعتادها ويفصل
الواجب من النفل وعن ابن عباس انكم معشر الاعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان
وخص الاعاجم لانهم يجمعون الكيل والوزن جميعا وكانا مفرقين فى الحرمين كان أهل مكة يزنون وأهل
المدينة يكيلون وعن ابن عمر أنه كان يمر بالبائع فيقول له اتق الله وأوف الكيل فان المطففين يوقفون يوم
القيامة لعظمة الرحمن حتى ان العرق ليلجمهم وعن عكرمة أشهد أن كل كيال ووزان فى النار فقيل له ان
ابنك كيال أو وزان فقال أشهد أنه فى النار وعن أبى رضى الله عنه لا تلتمس الحوائج ممن رزقه فى رؤس
المكاييل وألسن الموازين * لما كان اكتيالهم من الناس اكتيالا يضرهم ويتحامل فيه عليهم أبدل على
مكان من للدلالة على ذلك ويجوز أن يتعلق على بيستوفون ويقدم المفعول على الفعل لافادة الخصوصية
أى يستوفون على الناس خاصة فأما أنفسهم فيستوفون لها وقال الفراء من وعلى يعتقبان فى هذا الموضع
لانه حق عليه فاذا قال اكتلت عليك فكأنه قال أخذت ما عليك واذا قال اكتلت منك فكقوله استوفيت
منك * والضمير فى (كالوهم أو وزنوهم) ضمير منصوب راجع الى الناس وفيه وجهان أن يراد كالوا لهم

لما كان اكتيالهم على الناس اكتيالا يضرهم الخ) قال أحمد لا منافرة فيه ولا يجعل هذا القائل الضمير دالا على مباشرة ولا اشعارا أيضا فيه بذلك وانما يكون نظم الكلام على هذا

بل تكذبون بالدين وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغائبين وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيأ والامر يومئذ لله

﴿سورة المطففين وهى ست وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ويل للمطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم

الوجه اذا كان الكيل من جهة غيرهم استوفوه واذا كان الكيل من جهتهم خاصة أخسروه سواء باشروه أولا وهذا أنظم كلام وأحسنه والله أعلم والذى يدلك على ان الضمير لا يعطى مباشرة الفعل أنك أن تقول الامراء هم الذين يقيمون الحدود لا السوقة ولست تعنى أنهم يباشرون ذلك بأنفسهم وانما معناه ان فعل ذلك من جهتهم خاصة

أو

أو وزنوا لهم فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال

ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر

والحريص يصيدك لا الجواد بمعنى جنيت لك ويصيد لك وأن يكون على حذف المضاف واقامة المضاف اليه
مقامه والمضاف هو المكيل أو الموزون ولا يصح أن يكون ضميرا مرفوعا للمطففين لان الكلام يخرج به الى
نظم فاسد وذلك أن المعنى اذا أخذوا من الناس استوفوا واذا أعطوهم أخسروا وان جعلت الضمير للمطففين
انقلب الى قولك اذا أخذوا من الناس استوفوا واذا تولوا الكيل أو الوزن هم على الخصوص أخسروا وهو
كلام متنافر لان الحديث واقع فى الفعل لا فى المباشر والتعلق فى ابطاله بخط المصحف وان الالف التى تكتب
بعد واو الجمع غير ثابتة فيه ركيك لان خط المصحف لم يراع فى كثير منه حد المصطلح عليه فى علم الخط على أنى
رأيت فى الكتب المخطوطة بأيدى الائمة المتقنين هذه الالف مرفوضة لكونها غير ثابتة فى اللفظ والمعنى
جميعا لان الواو وحدها معطية معنى الجمع وانما كتبت هذه الالف تفرقة بين واو الجمع وغيرها فى نحو قولك
هم لم يدعوا وهو يدعو فمن لم يثبتها قال المعنى كاف فى التفرقة بينهما وعن عيسى بن عمر وحمزة أنهما كانا
يرتكبان ذلك أى يجعلان الضميرين للمطففين ويقفان عند الواوين وقيفة يبينان بها ما أرادا (فان قلت)
هلا قيل أو اتزنوا كما قيل أو وزنوهم (قلت) كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن الا بالمكاييل دون
الموازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لانهم يدعدعون ويحتالون فى الملء واذا أعطوا كالوا
أو وزنوا لتمكنهم من البخس فى النوعين جميعا (يخسرون) ينقصون يقال خسر الميزان وأخسره (ألا يظن)
انكار وتعجيب عظيم من حالهم فى الاجتراء على التطفيف كأنهم لا يخطرون ببالهم ولا يخمنون تخمينا (أنهم
مبعوثون) ومحاسبون على مقدار الذرة والخردلة وعن قتادة أوف يا ابن آدم كما تحب أن يوفى لك واعدل كما
تحب أن يعدل لك وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة وعن عبد الملك بن مروان أن أعرابيا
قال له قد سمعت ما قال الله فى المطففين أراد بذلك أن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم الذى سمعت به
فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ولا وزن وفى هذا الانكار والتعجيب وكلمة الظن
ووصف اليوم بالعظم وقيام الناس فيه لله خاضعين ووصفه ذاته برب العالمين بيان بليغ لعظم الذنب وتفاقم
الاثم فى التطفيف وفيما كان فى مثل حاله من الحيف وترك القيام بالقسط والعمل على السوية والعدل فى كل
أخذ واعطاء بل فى كل قول وعمل وقيل الظن بمعنى اليقين والوجه ما ذكر * ونصب (يوم يقوم) بمبعوثون
وقرئ بالجر بدلا من يوم عظيم وعن ابن عمر أنه قرأ هذه السورة فلما بلغ قوله يوم يقوم الناس لرب العالمين
بكى نحيبا وامتنع من قراءة ما بعده (كلا) ردعهم عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن ذكر البعث
والحساب ونبههم على أنه مما يجب أن يتاب عنه ويندم عليه ثم أتبعه وعيد الفجار على العموم * وكتاب الفجار
ما يكتب من أعمالهم (فان قلت) قد أخبر الله عن كتاب الفجار بأنه فى سجين وفسر سجينا بكتاب مرقوم
فكأنه قيل ان كتابهم فى كتاب مرقوم فما معناه (قلت) سجين كتاب جامع هو ديوان الشر دون الله فيه أعمال
الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الجن والانس وهو كتاب مرقوم مسطور بين الكتابة أو معلم يعلم
من رآه أنه لا خير فيه فالمعنى أن ما كتب من أعمال الفجار مثبت فى ذلك الديوان وسمى سجينا فعيلا من
السجن وهو الحبس والتضييق لانه سبب الحبس والتضييق فى جهنم أو لانه مطروح كما روى تحت الارض
السابعة فى مكان وحش مظلم وهو مسكن ابليس وذريته استهانة به واذالة وليشهده الشياطين المدحورون
كما يشهد ديوان الخير الملائكة المقربون (فان قلت) فما سجين أصفة هو أم اسم (قلت) بل هو اسم علم منقول
من وصف كحاتم وهو منصرف لانه ليس فيه الا سبب واحد وهو التعريف (الذين يكذبون) مما وصف به
للذم لا للبيان كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث (كلا) ردع للمعتدى الاثيم عن قوله (ران على قلوبهم)
ركبها كما يركب الصدأ وغلب عليها وهو أن يصر على الكبائر ويسوف التوبة حتى يطبع على قلبه فلا يقبل
الخير ولا يميل اليه وعن الحسن الذنب بعد الذنب حتى يسود القلب يقال ران عليه الذنب وغان عليه رينا

يخسرون ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين كلا ان كتاب الفجار لفى سجين وما أدراك ما سجين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وما يكذب به إلا كل معتد أثيم اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون

* عاد كلامه (قال) والتعلق فى ابطال هذا بخط المصحف لعدم الالف بعد الواو ركيك الخ

كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وما أدراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون

وغينا والغين الغيم ويقال ران فيه النوم رسخ فيه ورانت به الخمر ذهبت به وقرئ بادغام اللام فى الراء وبالاظهار والادغام أجود وأميلت الالف وفخمت (كلا) ردع عن الكسب الرائن على قلوبهم * وكونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم واهانتهم لانه لا يؤذن على الملوك الا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم الا الادنياء المهانون عندهم قال

اذا اعتروا باب ذى عبية رجبوا * والناس من بين مرجوب ومحجوب

وعن ابن عباس وقتادة وابن أبى مليكة محجوبين عن رحمته وعن ابن كيسان عن كرامته (كلا) ردع عن التكذيب * وكتاب الابرار ما كتب من أعمالهم * وعليون علم لديوان الخير الذى دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو كسجين من السجن سمى بذلك إما لانه سبب الارتفاع الى أعالى الدرجات فى الجنة وإما لانه مرفوع فى السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريما له وتعظيما وروى ان الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله من سلطانه أوحى اليهم أنتم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على ما فى قلبه وانه أخلص عمله فاجعلوه فى عليين فقد غفرت له وانها لتصعد بعمل العبد فيزكونه فاذا انتهوا به الى ما شاء الله أوحى اليهم أنتم الحفظة على عبدى وأنا الرقيب على ما فى قلبه وانه لم يخلص لى عمله فاجعلوه فى سجين (الارائك) الاسرة فى الحجال (ينظرون) الى ما شاؤا مد أعينهم اليه من مناظر الجنة والى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة والى أعدائهم يعذبون فى النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الادراك (نضرة النعيم) بهجة التنعم وماءه ورونقه كما ترى فى وجوه الاغنياء وأهل الترفه وقرئ تعرف على البناء للمفعول ونضرة النعيم بالرفع * الرحيق الشراب الخالص الذى لا غش فيه (مختوم) تختم أوانيه من الاكواب والاباريق بمسك مكان الطينة وقيل (ختامه مسك) مقطعه رائحة مسك اذا شرب وقيل يمزج بالكافور ويختم مزاجه بالمسك وقرئ خاتمه بفتح التاء وكسرها أى ما يختم به ويقطع (فليتنافس المتنافسون) فليرتغب المرتغبون (تسنيم) علم لعين بعينها سميت بالتسنيم الذى هو مصدر سنمه اذا رفعه إما لانها أرفع شراب فى الجنة وإما لانها تأتيهم من فوق على ما روى أنها تجرى فى الهواء متسنمة فتنصب فى أوانيهم * و (عينا) نصب على المدح وقال الزجاج نصب على الحال وقيل هى للمقربين يشربونها صرفا وتمزج لسائر أهل الجنة * هم مشركو مكة أبو جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأشياعهم كانوا يضحكون من عمار وصهيب وخباب وبلال وغيرهم من فقراء المؤمنين ويستهزؤن بهم وقيل جاء على بن أبى طالب رضى الله عنه فى نفر من المسلمين فسخر منهم المنافقون وضحكوا وتغامزوا ثم رجعوا الى أصحابهم فقالوا رأينا اليوم الاصلع فضحكوا منه فنزلت قبل أن يصل على الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (يتغامزون) يغمز بعضهم بعضا ويشيرون بأعينهم (فكهين) ملتذين بذكرهم والسخرية منهم أى ينسبون المسلمين الى الضلال (وما أرسلوا) على المسلمين (حافظين) موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وهذا تهكم بهم أو هو من جملة قول الكفار وأنهم اذا رأوا المسلمين قالوا ان هؤلاء لضالون وانهم لم يرسلوا عليهم حافظين انكارا لصدهم اياهم عن الشرك ودعائهم الى الاسلام وجدهم فى ذلك (على الارائك ينظرون) حال من يضحكون أى يضحكون منهم ناظرين اليهم والى ما هم فيه من الهوان والصغار بعد العزة والكبر ومن ألوان العذاب بعد النعيم والترفه وهم على الارائك آمنون وقيل يفتح للكفار باب الى الجنة فيقال لهم اخرجوا اليها فاذا وصلوا اليها أغلق دونهم يفعل ذلك بهم مرارا فيضحك المؤمنون منهم * ثوبه وأثابه بمعنى اذا جازاه قال أوس

سأجزيك أو يجزيك عنى مثوب * وحسبك أن يثنى عليك وتحمدى

وقرئ بادغام اللام فى الثاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المطففين سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة

* قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون (قال فيه كونهم محجوبين عنه تمثيل الخ) قال أحمد هذا عند أهل السنة على ظاهره من أدلة الرؤية فان الله تعالى لما خص الفجار بالحجاب دل على أن المؤمنين الابرار مرفوع عنهم الحجاب ولا معنى لرفع الحجاب الا الادراك بالعين والا فالحجاب على الله تعالى بغير هذا التفسير محال هذا هو الحق وما بعد الحق الا الضلال وما أرى من جحد الرؤية المدلول عليها بقواطع الكتاب والسنة يحظى بها والله المسؤول فى العصمة

(سورة

﴿ سورة الانشقاق مكية وهى خمس وعشرون آية ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت وأذنت لربها وحقت يا أيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب الى أهله مسرورا وأما من أوتى كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا انه كان فى أهله مسرورا انه ظن أن لن يحور بلى ان ربه كان به بصيرا فلا أقسم بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق

﴿ القول فى سورة الانشقاق ﴾

(سورة انشقت مكية وهى خمس وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* حذف جواب اذا ليذهب المقدر كل مذهب أو اكتفاء بما علم فى مثلها من سورتى التكوير والانفطار وقيل جوابها ما دل عليه فملاقيه أى اذا السماء انشقت لاقى الانسان كدحه ومعناه اذا انشقت بالغمام كقوله تعالى ويوم تشقق السماء بالغمام وعن على رضى الله عنه تنشق من المجرة * أذن له استمع له ومنه قوله عليه السلام ما أذن الله لشئ كأذنه لنبى يتغنى بالقرآن وقول جحاف بن حكيم * أذنت لكم لما سمعت هريركم * والمعنى أنها فعلت فى انقيادها لله حين أراد انشقاقها فعل المطواع الذى اذا ورد عليه الامر من جهة المطاع أنصت له وأذعن ولم يأب ولم يمتنع كقوله أتينا طائعين (وحقت) من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعنى وهى حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع ومعناه الايذان بأن القادر بالذات يجب أن يتأتى له كل مقدور ويحق ذلك (مدت) من مد الشئ فامتد وهو أن تزال جبالها وآكامها وكل أمت فيها حتى تمتد وتنبسط ويستوى ظهرها كما قال تعالى قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وعن ابن عباس رضى الله عنهما مدت مد الاديم العكاظى لان الاديم اذا مد زال كل انثناء فيه وأمت واستوى أو من مده بمعنى أمده أى زيدت سعة وبسطة (وألقت ما فيها) ورمت بما فى جوفها مما دفن فيها من الموتى والكنوز (وتخلت) وخلت غاية الخلو حتى لم يبق شئ فى باطنها كأنها تكلفت أقصى جهدها فى الخلو كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم اذا بلغا جهدهما فى الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما فى طبعهما (وأذنت لربها) فى القاء ما فى بطنها وتخليها * الكدح جهد النفس فى العمل والكد فيه حتى يؤثر فيها من كدح جلده اذا خدشه ومعنى (كادح الى ربك) جاهد الى لقاء ربك وهو الموت وما بعده من الحال الممثلة باللقاء (فملاقيه) فملاق له لا محالة لا مفر لك منه وقيل الضمير فى ملاقيه للكدح (يسيرا) سهلا هينا لا يناقش فيه ولا يعترض بما يسوءه ويشق عليه كما يناقش أصحاب الشمال وعن عائشة رضى الله عنها هو أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من يحاسب يعذب فقيل يا رسول الله فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلكم العرض من نوقش فى الحساب عذب (الى أهله) الى عشيرته ان كانوا مؤمنين أو الى فريق المؤمنين أو الى أهله فى الجنة من الحور العين (وراء ظهره) قيل تغل يمناه الى عنقه وتجعل شماله وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره وقيل تخلع يده اليسرى من وراء ظهره (يدعو ثبورا) يقول يا ثبوراه والثبور الهلاك * وقرئ ويصلى سعيرا كقوله وتصلية جحيم ويصلى بضم الياء والتخفيف كقوله ونصله جهنم (فى أهله) فيما بين ظهرانيهم أو معهم على أنهم كانوا جميعا مسرورين يعنى أنه كان فى الدنيا مترفا بطرا مستبشرا كعادة الفجار الذين لا يهمهم أمر الآخرة ولا يفكرون فى العواقب ولم يكن كئيبا حزينا متفكرا كعادة الصلحاء والمتقين وحكاية الله عنهم انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين (ظن أن لن يحور) لن يرجع الى الله تعالى تكذيبا بالمعاد يقال لا يحور ولا يحول أى لا يرجع ولا يتغير قال لبيد * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع * وعن ابن عباس ما كنت أدرى ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنية لها حورى أى ارجعى (بلى) ايجاب لما بعد النفى فى لن يحور أى بلى ليحورن (ان ربه كان به بصيرا) وبأعماله لا ينساها ولا تخفى عليه فلا بد أن يرجعه ويجازيه عليها وقيل نزلت الآيتان فى أبى سلمة بن عبد الاشد وأخيه الاسود بن عبد الاشد * الشفق الحمرة التى ترى فى المغرب بعد سقوط الشمس وبسقوطه يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العتمة عند عامة العلماء الا ما روى عن أبى حنيفة رضى الله عنه فى احدى الروايتين أنه البياض وروى أسد بن عمرو أنه رجع عنه سمى لرقته ومنه الشفقة على الانسان رقة القلب عليه (وما وسق) وما جمع وضم يقال وسقه فاتسق واستوسق قال * مستوسقات لو يجدن سائقا * ونظيره فى وقوع افتعل واستفعل مطاوعين اتسع واستوسع ومعناه وما جمعه وستره وآوى اليه من الدواب وغيرها (اذا اتسق) اذا اجتمع واستوى ليلة أربع عشرة * قرئ لتركبن على خطاب الانسان فى يا أيها الانسان ولتركبن بالضم على خطاب الجنس لان النداء للجنس ولتركبن بالكسر على خطاب النفس وليركبن بالياء على

* قوله تعالى وأذنت لربها وحقت (قال فيه معنى أذنت استمعت الخ) قال أحمد نغص تفسير الآية بقوله القادر بالذات وما باله لا يقول القادر الذى عمت قدرته الكائنات حتى لا كون الا بقدرته حقيق ان يسمع له ويطاع فيثبت

لتركبن طبقا عن طبق فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون بل الذين كفروا يكذبون والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون

﴿سورة البروج مكية وهي ثنتان وعشرون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والسماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود قتل أصحاب الأخدود

لتركبن الانسان * والطبق ما طابق غيره يقال ما هذا بطبق لذا أى لا يطابقه ومنه قيل للغطاء الطبق وأطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحال المطابقة لغيرها طبق ومنه قوله عز وعلا (طبقا عن طبق) أى حالا بعد حال كل واحدة مطابقة لأختها فى الشدة والهول ويجوز أن يكون جمع طبقة وهى المرتبة من قولهم هو على طبقات ومنه طبق الظهر لفقاره الواحدة طبقة على معنى لتركبن أحوالا بعد أحوال هى طبقات فى الشدة بعضها أرفع من بعض وهى الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها (فان قلت) ما محل عن طبق (قلت) النصب على أنه صفة لطبقا أى طبقا مجاوزا الطبق أو حال من الضمير فى لتركبن أى لتركبن طبقا مجاوزين لطبق أو مجاوزا أو مجاوزة على حسب القراءة وعن مكحول كل عشرين عاما تجدون أمرا لم تكونوا عليه (لا يسجدون) لا يستكينون ولا يخضعون وقيل قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه من المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤسهم وتصفر فنزلت وبه احتج أبو حنيفة رضى الله عنه على وجوب السجدة وعن ابن عباس ليس فى المفصل سجدة وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سجد فيها وقال والله ما سجدت فيها الا بعد أن رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها وعن أنس صليت خلف أبى بكر وعمر وعثمان فسجدوا وعن الحسن هى غير واجبة (الذين كفروا) اشارة الى المذكورين (بما يوعون) بما يجمعون فى صدورهم ويضمرون من الكفر والحسد والبغى والبغضاء أو بما يجمعون فى صحفهم من أعمال السوء ويدخرون لانفسهم من أنواع العذاب (الا الذين آمنوا) استثناء منقطع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة انشقت أعاذه الله أن يعطيه كتابه وراء ظهره

﴿سورة البروج مكية وهى ثنتان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

هى البروج الاثنا عشر وهى قصور السماء على التشبيه وقيل البروج النجوم التى هى منازل القمر وقيل عظام الكواكب سميت بروجا لظهورها وقيل أبواب السماء (واليوم الموعود) يوم القيامة (وشاهد ومشهود) يعنى وشاهد فى ذلك اليوم ومشهود فيه والمراد بالشاهد من يشهد فيه من الخلائق كلهم وبالمشهود ما فى ذلك اليوم من عجائبه وطريق تنكيرهما اما ماذكرته فى قوله علمت نفس ما أحضرت كأنه قيل وما أفرطت كثرته من شاهد ومشهود واما الابهام فى الوصف كأنه قيل وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما وقد اضطربت أقاويل المفسرين فيهما فقيل الشاهد والمشهود محمد صلى الله عليه وسلم ويوم القيامة وقيل عيسى وأمته لقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل أمة محمد وسائر الامم وقيل يوم التروية ويوم عرفة وقيل يوم عرفة ويوم الجمعة وقيل الحجر الاسود والحجيج وقيل الايام والليالى وبنو آدم وعن الحسن ما من يوم الا وينادى انى يوم جديد وانى على ما يعمل فى شهيد فاغتنمنى فلو غابت شمسى لم تدركنى الى يوم القيامة وقيل الحفظة وبنو آدم وقيل الانبياء ومحمد عليهم السلام (فان قلت) أين جواب القسم (قلت) محذوف يدل عليه قوله (قتل أصحاب الاخدود) كأنه قيل أقسم بهذه الاشياء انهم ملعونون يعنى كفار قريش كما لعن أصحاب الاخدود وذلك أن السورة وردت فى تثبيت المؤمنين وتصبيرهم على أذى أهل مكة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الايمان والحاق أنواع الاذى وصبرهم وثباتهم حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن كفارهم عند الله بمنزلة أولئك المعذبين المحرقين بالنار ملعونون أحقاء بأن يقال فيهم قتلت قريش كما قيل قتل أصحاب الاخدود وقتل دعاء عليهم كقوله قتل الانسان ما أكفره وقرئ قتل بالتشديد والاخدود الخد فى الارض وهو الشق ونحوهما بناء ومعنى الخق والاخقوق ومنه فساخت قوائمه فى أخاقيق جرذان روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كان لبعض الملوك ساحر فلما كبر ضم اليه غلاما ليعلمه السحر وكان فى طريق الغلام راهب فسمع منه فرأى فى طريقه ذات يوم دابة قد حبست الناس فأخذ حجرا فقال اللهم ان كان الراهب أحب اليك من الساحر فاقتلها فقتلها فكان الغلام بعد ذلك يبرئ الاكمه والابرص

النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذى له ملك السموات والارض والله على كل شئ شهيد ان الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ذلك الفوز الكبير ان بطش ربك لشديد انه هو يبدئ ويعيد وهو الغفور

ويشفى من الادواء وعمى جليس للملك فأبراه فأبصره الملك فسأله فقال من رد عليك بصرك فقال ربى فغضب فعذبه فدل على الغلام فعذبه فدل على الراهب فلم يرجع الراهب عن دينه فقد بالمنشار وأبى الغلام فذهب به الى جبل ليطرح من ذروته فدعا فرجف بالقوم فطاحوا ونجا فذهب به الى قرقور فلججوا به ليغرقوه فدعا فانكفأت بهم السفينة فغرقوا ونجا فقال للملك لست بقاتلى حتى تجمع الناس فى صعيد وتصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى وتقول باسم الله رب الغلام ثم ترمينى به فرماه فوقع فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس آمنا برب الغلام فقيل للملك نزل بك ما كنت تحذر فأمر باخاديد فى أفواه السكك وأوقدت فيها النيران فمن لم يرجع منهم طرحه فيها حتى جاءت امرأة معها صبى فتقاعست أن تقع فيها فقال الصبى يا أماه اصبرى فانك على الحق فاقتحمت وقيل قال لها قعى ولا تنافقى وقيل قال لها ما هى الا غميضة فصبرت وعن على رضى الله عنه أنهم حين اختلفوا فى أحكام المجوس قال هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمر قد أحلت لهم فتناولها بعض ملوكهم فسكر فوقع على أخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت له المخرج أن تخطب الناس فتقول يا أيها الناس ان الله أحل نكاح الاخوات ثم تخطبهم بعد ذلك فتقول ان الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له ابسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت له ابسط فيهم السيف فلم يقبلوا فأمرته بالاخاديد وايقاد النيران وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم الله بقوله قتل أصحاب الاخدود وقيل وقع الى نجران رجل ممن كان على دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسار اليهم ذو نواس اليهودى بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فأحرق منهم اثنى عشر ألفا فى الاخاديد وقيل سبعين ألفا وذكر أن طول الاخدود أربعون ذراعا وعرضه اثنا عشر ذراعا وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا ذكر أصحاب الاخدود تعوذ من جهد البلاء (النار) بدل اشتمال من الاخدود (ذات الوقود) وصف لها بأنها نار عظيمة لها ما يرتفع به لهبها من الحطب الكثير وأبدان الناس وقرئ الوقود بالضم (اذ) ظرف لقتل أى لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين حولها ومعنى (عليها) على ما يدنو منها من حافات الاخدود كقوله

* وبات على النار الندى والمحلق * وكما تقول مررت عليه تريد مستعليا لمكان يدنو منه * ومعنى شهادتهم على احراق المؤمنين أنهم وكلوا بذلك وجعلوا شهودا يشهد بعضهم لبعض عند الملك أن أحدا منهم لم يفرط فيما أمر به وفوض اليه من التعذيب ويجوز أن يراد أنهم شهود على ما يفعلون بالمؤمنين يؤدون شهادتهم يوم القيامة يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون (وما نقموا منهم) وما عابوا منهم وما أنكروا الا الايمان كقوله * ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * قال ابن الرقيات

ما نقموا من بنى أمية الا أنهم يحلمون ان غضبوا

وقرأ أبو حيوة نقموا بالكسر والفصيح هو الفتح * وذكر الاوصاف التى يستحق بها أن يؤمن به ويعبد وهو كونه عزيزا غالبا قادرا يخشى عقابه حميدا منعما يجب له الحمد على نعمته ويرجى ثوابه له ملك السموات والارض فكل من فيهما تحق عليه عبادته والخشوع له تقريرا لان ما نقموا منهم هو الحق الذى لا ينقمه الا مبطل منهمك فى الغى وان الناقمين أهل لانتقام الله منهم بعذاب لا يعدله عذاب (والله على كل شئ شهيد) وعيد لهم يعنى أنه علم ما فعلوا وهو مجازيهم عليه * يجوز أن يريد بالذين فتنوا أصحاب الاخدود خاصة وبالذين آمنوا المطروحين فى الاخدود ومعنى فتنوهم عذبوهم بالنار وأحرقوهم (فلهم) فى الآخرة (عذاب جهنم) بكفرهم (ولهم عذاب الحريق) وهى نار أخرى عظيمة تتسع كما يتسع الحريق باحراقهم المؤمنين أو لهم عذاب جهنم فى الآخرة ولهم عذاب الحريق فى الدنيا لما روى أن النار انقلبت عليهم فأحرقتهم ويجوز أن يريد الذين فتنوا المؤمنين أى بلوهم بالأذى على العموم والمؤمنين المفتونين وان للفاتنين عذابين فى الآخرة لكفرهم ولفتنتهم * البطش الاخذ بالعنف فاذا وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذهم بالعذاب والانتقام (انه هو يبدئ ويعيد) أى يبدئ البطش ويعيده يعنى يبطش بهم فى الدنيا وفى الآخرة أو دل باقتداره على الابداء والاعادة على شدة بطشه أو أوعد الكفرة بأنه يعيدهم كما أبدأهم

ليبطش بهم اذلم يشكروا نعمة الابداء وكذبوا بالاعادة وقرئ يبدأ (الودود) الفاعل بأهل طاعته ما يفعله الودود من اعطائهم ما أرادوا * وقرئ ذى العرش صفة لربك * وقرئ المجيد بالجر صفة للعرش ومجد الله عظمته ومجد العرش علوه وعظمته (فعال) خبر مبتدا محذوف وانما قيل فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة (فرعون وثمود) بدل من الجنود وأراد بفرعون اياه وآله كما في قوله من فرعون وملئهم والمعنى قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل وما نزل بهم لتكذيبهم (بل الذين كفروا) من قومك (في تكذيب) أى تكذيب واستيجاب للعذاب والله عالم بأحوالهم وقادر عليهم وهم لا يعجزونه * والاحاطة بهم من ورائهم مثل لانهم لا يفوتونه كما لا يفوت فائت الشئ المحيط به * ومعنى الاضراب ان أمرهم أعجب من أمر أولئك لانهم سمعوا بقصصهم وبما جرى عليهم ورأوا آثار هلاكهم ولم يعتبروا وكذبوا أشد من تكذيبهم (بل هو) أى بل هذا الذى كذبوا به (قرآن مجيد) شريف عالى الطبقة في الكتب وفي نظمه واعجازه وقرئ قرآن مجيد بالاضافة أى قرآن رب مجيد * وقرأ يحيى بن يعمر في لوح واللوح الهواء يعنى اللوح فوق السماء السابعة الذى فيه اللوح (محفوظ) من وصول الشياطين اليه * وقرئ محفوظ بالرفع صفة للقرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة البروج أعطاه الله بعدد كل يوم جمعة وكل يوم عرفة يكون في الدنيا عشر حسنات

(سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(النجم الثاقب) المضىء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه كما قيل درىء لانه يدرؤه أى يدفعه ووصف بالطارق لانه يبدو بالليل كما يقال للآتى ليلا طارق أو لانه يطرق الجنى أى يصكه والمراد جنس النجوم أو جنس الشهب التى يرجم بها (فان قلت) ما يشبه قوله وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب الا ترجمة كلمة بأخرى فبين لى أى فائدة تحته (قلت) أراد الله عز من قائل أن يقسم بالنجم الثاقب تعظيما له لما عرف فيه من عجيب القدرة ولطيف الحكمة وأن ينبه على ذلك فجاء بما هو صفة مشتركة بينه وبين غيره وهو الطارق ثم قال وما أدراك ما الطارق ثم فسره بقوله النجم الثاقب كل هذا اظهار لفخامة شأنه كما قال فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم روى أن أبا طالب كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فانحط نجم فامتلأ ما ثم نورا ففزع أبو طالب وقال أى شئ هذا فقال عليه السلام هذا نجم رمى به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فنزلت (فان قلت) ما جواب القسم (قلت) (ان كل نفس لما عليها حافظ) لان إن لا تخلو فيمن قرأ لما مشددة بمعنى الا أن تكون نافية وفيمن قرأها مخففة على أن ما صلة أن تكون مخففة من الثقيلة وأيتهما كانت فهى مما يتلقى به القسم حافظ مهيمن عليها رقيب وهو الله عز وجل وكان الله على كل شئ رقيبا وكان الله على كل شئ مقيتا وقيل ملك يحفظ عملها ويحصى عليها ما تكسب من خير وشر وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم وكل بالمؤمن مائة وستون ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين (فان قلت) ما وجه اتصال قوله (فلينظر) بما قبله (قلت) وجه اتصاله به أنه لما ذكر أن على كل نفس حافظا أتبعه توصية الانسان بالنظر في أول أمره ونشأته الاولى حتى يعلم أن من أنشأه قادر على اعادته وجزائه فيعمل ليوم الاعادة والجزاء ولا يملى على حافظه الا ما يسره في عاقبته و(مم خلق) استفهام جوابه (خلق من ماء دافق) والدفق صب فيه دفع ومعنى دافق النسبة الى الدفق الذى هو مصدر دفق كاللابن والتامر أو الاسناد المجازى والدفق في الحقيقة لصاحبه ولم يقل ماءين لامتزاجهما في الرحم

القول في سورة البروج (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى فعال لما يريد (قال فيه انما يقال فعال لان ما يريد ويفعل في غاية الكثرة) قال أحمد ما قدر الله حق قدره هلا قال لانه لا فاعل الا هو وهل المخالف الا ذلك الا مشرك وكم أراد الله تعالى على معتقد القدرية من فعل فلم يفعله وهب أنا اطرحنا النظر في مقتضى مبالغة الصيغة أليس قد دل بقوله لما يريد على عموم فعله في جميع مراده فما رده الى الخصوص الا نكوص عن النصوص * عاد كلامه (قال) في قوله الودود ذو العرش المجيد فعال لما يريد هل أتاك حديث الجنود فرعون وثمود بل الذين كفروا في تكذيب والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ

(سورة الطارق مكية وهى سبع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج

تعالى هل أتاك حديث الجنود الخ معناه قد عرفت تكذيب تلك الجنود للرسل الخ

(القول في سورة الطارق)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب (قال) الثاقب المضىء كأنه يثقب الظلام بضوئه فينفذ فيه الخ

واتحادهما حين ابتدئ في خلقه (من بين الصلب والترائب) من بين صلب الرجل وترائب المرأة وهى عظام الصدر حيث تكون القلادة وقرئ الصلب بفتحتين والصلب بضمتين وفيه أربع لغات صلب وصلب وصلب وصالب قال العجاج * في صلب مثل العنان المؤدم * وقيل العظم والعصب من الرجل واللحم والدم من المرأة (انه) الضمير للخالق لدلالة خلق عليه ومعناه أن ذلك الذى خلق الانسان ابتداء من نطفة (على رجعه) على اعادته خصوصا (لقادر) لبين القدرة لا يلتاث عليه ولا يعجز عنه كقوله اننى لفقير (يوم تبلى) منصوب برجعه ومن جعل الضمير في رجعه للماء وفسره برجعه الى مخرجه من الصلب والترائب أو الاحليل أو الى الحالة الاولى نصب الظرف بمضمر (السرائر) ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الاعمال وبلاؤها تعرفها وتصفحها والتمييز بين ما طاب منها وما خبث وعن الحسن أنه سمع رجلا ينشد

سيبقى لها في مضمر القلب والحشا * سريرة ود يوم تبلى السرائر

فقال ما أغفله عما في والسماء والطارق (فما له) فما للانسان (من قوة) من منعة في نفسه يمتنع بها (ولا ناصر) ولا مانع يمنعه * سمى المطر رجعا كما سمى أوبا قال

رباء شماء لا يأوى لقلتها * الا السحاب والا الأوب والسبل

تسمية بمصدرى رجع وآب وذلك أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه الى الارض أو أرادوا التفاؤل فسموه رجعا وأوبا ليرجع ويؤب وقيل لان الله يرجعه وقتا فوقتا قالت الخنساء * كالرجع في المدجنة السارية * والصدع ما يتصدع عنه الارض من النبات (انه) الضمير للقرآن (فصل) فاصل بين الحق والباطل كما قيل له فرقان (وما هو بالهزل) يعنى أنه جد كله لا هوادة فيه ومن حقه وقد وصفه الله بذلك أن يكون مهيبا في الصدور معظما في القلوب يترفع به قارئه وسامعه أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح وأن يلقى ذهنه الى أن جبار السموات يخاطبه فيأمره وينهاه ويعده ويوعده حتى ان لم يستفزه الخوف ولم تتبالغ فيه الخشية فأدنى أمره أن يكون جادا غير هازل فقد نعى الله ذلك على المشركين في قوله وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامدون والغوا فيه (انهم) يعنى أهل مكة يعملون المكايد في ابطال أمر الله واطفاء نور الحق وأنا أقابلهم بكيدى من استدراجى لهم وانتظارى بهم الميقات الذى وقته للانتصار منهم (فمهل الكافرين) يعنى لا تدع بهلاكهم ولا تستعجل به (أمهلهم رويدا) أى امهالا يسيرا وكرر وخالف بين اللفظين لزيادة التسكين منه والتصبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطارق أعطاه الله عدد كل نجم في السماء عشر حسنات

سورة سبح اسم ربك الاعلى مكية وهى تسع عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعانى التى هى الحاد في أسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل أن يفسر الاعلى بمعنى العلو الذى هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة وأن يصان عن الابتذال والذكر لا على وجه الخشوع والتعظيم * ويجوز أن يكون الأعلى صفة للرب والاسم وقرأ على رضى الله عنه سبحان ربى الاعلى وفي الحديث لما نزلت فسبح باسم ربك العظيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوها في ركوعكم فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوها في سجودكم وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت (خلق فسوى) أى خلق كل شئ فسوى خلقه تسوية ولم يأت به متفاوتا غير ملتئم ولكن على احكام واتساق ودلالة على أنه صادر عن عالم وأنه صنعة حكيم (قدر فهدى) قدر لكل حيوان ما يصلحه فهداه اليه وعرفه وجه الانتفاع به يحكى أن الافعى اذا أتت عليها ألف سنة عميت وقد ألهمها الله أن مسح العين بورق الرازيانج الغض يرد اليها بصرها فربما كانت في برية بينها وبين الريف مسيرة أيام فتطوى تلك المسافة على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على

من بين الصلب والترائب انه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر فما له من قوة ولا ناصر والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع إنه لقول فصل وما هو بالهزل إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا

(سورة سبح مكية وهى تسع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى

شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك بها عينيها وترجع باصرة باذن الله وهدايات الله للانسان الى ما لا يحد من مصالحه وما لا يحصر من حوائجه فى أغذيته وأدويته وفى أبواب دنياه ودينه والهامات البهائم والطيور وهوام الارض باب واسع وشوط بطين لا يحيط به وصف واصف فسبحان ربى الاعلى *وقرئ قدر بالتخفيف *أحوى صفة لغثاء أى (أخرج المرعى) أنبته (فجعله) بعد خضرته ورفيفه (غثاء أحوى) دريناً أسود ويجوز أن يكون أحوى حالا من المرعى أى أخرجه أحوى أسود من شدة الخضرة والرى فجعله غثاء بعد حوته *بشره الله باعطاء آية بينة وهى أن يقرأ عليه جبريل ما يقرأ عليه من الوحى وهو أمى لا يكتب ولا يقرأ فيحفظه ولا ينساه (الا ما شاء الله) فذهب به عن حفظه برفع حكمه وتلاوته كقوله أو ننسها وقيل كان يعجل بالقراءة اذا لقنه جبريل فقيل لا تعجل فان جبريل مأمور بأن يقرأه عليك قراءة مكررة الى أن تحفظه ثم لا تنساه الا ما شاء الله ثم تذكره بعد النسيان أو قال الا ما شاء الله يعنى القلة والندرة كما روى أنه أسقط آية فى قراءته فى الصلاة فحسب أبى أنها نسخت فسأله فقال نسيتها أو قال الا ما شاء الله والغرض نفى النسيان رأسا كما يقول الرجل لصاحبه أنت سهيمى فيما أملك الا فيما شاء الله ولا يقصد استثناء شئ وهو من استعمال القلة فى معنى النفى وقيل قوله فلا تنسى على النهى والالف مزيدة للفاصلة كقوله السبيلا يعنى فلا تغفل قراءته وتكريره فتنساه الا ما شاء الله أن ينسيكه برفع تلاوته للمصلحة (انه يعلم الجهر) يعنى أنك تجهر بالقراءة مع قراءة جبريل عليه السلام مخافة التفلت والله يعلم جهرك معه وما فى نفسك مما يدعوك الى الجهر فلا تفعل فأنا أكفيك ما تخافه أو يعلم ما أسررتم وما أعلنتم من أقوالكم وأفعالكم وما ظهر وبطن من أحوالكم وما هو مصلحة لكم فى دينكم ومفسدة فيه فينسى من الوحى ما يشاء ويترك محفوظا ما يشاء (ونيسرك لليسرى) معطوف على سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض ومعناه ونوفقك للطريقة التى هى أيسر وأسهل يعنى حفظ الوحى وقيل للشريعة السمحة التى هى أيسر الشرائع وأسهلها مأخذا وقيل نوفقك لعمل الجنة *(فان قلت) كان الرسول صلى الله عليه وسلم مأمورا بالذكرى نفعت أو لم تنفع فما معنى اشتراط النفع (قلت) هو على وجهين أحدهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استفرغ مجهوده فى تذكيرهم وما كانوا يزيدون على زيادة الذكرى الا عتوا وطغيانا وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتلظى حسرة وتلهفا ويزداد جدا فى تذكيرهم وحرصا عليه فقيل له وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من يخاف وعيد وأعرض عنهم وقل سلام وذكر ان نفعت الذكرى وذلك بعد الزام الحجة بتكرير التذكير والثانى أن يكون ظاهره شرطا ومعناه ذما للمذكرين واخبارا عن حالهم واستبعادا لتأثير الذكرى فيهم وتسجيلا عليهم بالطبع على قلوبهم كما تقول للواعظ عظ المكاسين ان سمعوا منك قاصدا بهذا الشرط استبعاد ذلك وأنه لن يكون (سيذكر) فيقبل التذكرة وينتفع بها (من يخشى) الله وسوء العاقبة فينظر ويفكر حتى يقوده النظر الى اتباع الحق فأما هؤلاء فغير خاشين ولا ناظرين فلا تأمل أن يقبلوا منك (ويتجنبها) ويتجنب الذكرى ويتحاماها (الاشقى) الكافر لانه أشقى من الفاسق أو الذى هو أشقى الكفرة لتوغله فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى الوليد بن المغيرة وعتبة بن ربيعة (النار الكبرى) السفلى من أطباق النار وقيل الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا *وقيل (ثم) لان الترجح بين الحياة والموت أقطع من الصلى فهو متراخ عنه فى مراتب الشدة والمعنى لا يموت فيستريح ولا يحيى حياة تنفعه (تزكى) تطهر من الشرك والمعاصى أو تطهر للصلاة أو تكثر من التقوى من الزكاء وهو النماء أو تفعل من الزكاة كتصدق من الصدقة (فصلى) أى الصلوات الخمس نحو قوله وأقام الصلاة وآتى الزكاة وعن ابن مسعود رحم الله امرأ تصدق وصلى وعن على رضى الله عنه

(القول فى سورة الاعلى) (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى (قال فيه وجهان أحدهما أن أحوى صفة لغثاء أى جعله بعد خضرته ورفيفه غثاء أحوى الخ) *قوله تعالى ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى (قال الاشقى الكافر لانه أشقى من الفاسق والنار الكبرى السفلى من أطباق النار) قال أحمد يشير الى خلود الفاسق مع الكافر فى أسافل النار والفاسق أعلى منه كما تقدم له التصريح بذلك كثيرا *عاد كلامه قال (وقوله ثم لايموت فيها ولايحيى لان الترجح بين الحياة والموت أقطع من الصلى الخ *قوله تعالى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى (نقل عن على أنه قال هو التصدق بصدقة الفطر وقال لاأبالى أن لاأجد فى كتابى غيرها الخ) قال أحمد فى تلقى هذين الحكمين الأخيرين من الآية تكلف أما الأول فلأن العطف وان اقتضى المغايرة فيقال بموجبها فنحن ان قلنا ان تكبيرة الاحرام جزء من الصلاة فالجزء مغاير للكل فلاغرو أن يعطف عليه والمغايرة مع الجزئية ثابتة والحالة هذه وأما الثانى فلأن الاسم معرف بالاضافة وتعريف الاضافة عهدى عند محققى الفن حتى ان القائل اذا قال جاءنى غلام زيد ولزيد غلامان فانما تفهم من قوله معينا منهم بسابق

والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى سنقرئك فلا تنسى الا ماشاء الله انه يعلم الجهر وما يخفى ونيسرك لليسرى فذكر ان نفعت الذكرى سيذكر من يخشى ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لايموت فيها ولايحيى قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى

أنه التصدق بصدقة الفطر وقال لا أبالى أن لا أجد فى كتابى غيرها لقوله قد أفلح من تزكى أى أعطى زكاة الفطر فتوجه الى المصلى فصلى صلاة العيد وذكر اسم ربه فكبر تكبيرة الافتتاح وبه يحتج على وجوب تكبيرة الافتتاح وعلى أنها ليست من الصلاة لان الصلاة معطوفة عليها وعلى أن الافتتاح جائز بكل اسم من أسمائه عز وجل وعن ابن عباس رضى الله عنه ذكر معاده وموقفه بين يدى ربه فصلى له وعن الضحاك وذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى صلاة العيد (بل تؤثرون الحياة الدنيا) فلا تفعلون ما تفلحون به وقرئ يؤثرون على الغيبة ويعضد الاولى قراءة ابن مسعود بل أنتم تؤثرون (خير وأبقى) أفضل فى نفسها وأنعم وأدوم وعن عمر رضى الله عنه ما الدنيا فى الآخرة الا كنفجة أرنب (هذا) اشارة الى قوله قد أفلح الى أبقى يعنى أن معنى هذا الكلام وارد فى تلك الصحف وقيل الى ما فى السورة كلها وروى عن أبى ذر رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم أنزل الله من كتاب فقال مائة وأربعة كتب منها على آدم عشر صحف وعلى شيث خمسون صحيفة وعلى أخنوخ وهو ادريس ثلاثون صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف والتوراة والانجيل والزبور والفرقان وقيل ان فى صحف ابراهيم ينبغى للعاقل أن يكون حافظا للسانه عارفا بزمانه مقبلا على شأنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعلى أعطاه الله عشر حسنات بعدد كل حرف أنزله الله تعالى على ابراهيم وموسى ومحمد وكان اذا قرأها قال سبحان ربى الاعلى وكان على وابن عباس يقولان ذلك وكان يحبها وقال أول من قال سبحان ربى الاعلى ميكائيل

سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*الغاشية الداهية التى تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها يعنى القيامة من قوله يوم يغشاهم العذاب وقيل النار من قوله وتغشى وجوههم النار ومن فوقهم غواش (يومئذ) يوم اذ غشيت (خاشعة) ذليلة (عاملة ناصبة) تعمل فى النار عملا تتعب فيه وهو جرها السلاسل والاغلال وخوضها فى النار كما تخوض الابل فى الوحل وارتقاؤها دائبة فى صعود من نار وهبوطها فى حدور منها وقيل عملت فى الدنيا أعمال السوء والتذت بها وتنعمت فهى فى نصب منها فى الآخرة وقيل عملت ونصبت فى أعمال لا تجدى عليها فى الآخرة من قوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا أولئك الذين حبطت أعمالهم وقيل هم أصحاب الصوامع ومعناه أنها خشعت لله وعملت ونصبت فى أعمالها من الصوم الدائب والتهجد الواصب وقرئ عاملة ناصبة على الشتم *وقرئ تصلى بفتح التاء وتصلى بضمها وتصلى بالتشديد وقيل المصلى عند العرب أن يحفروا حفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه فأما ما يشوى فوق الجمر أو على المقلى أو فى التنور فلا يسمى مصليا (آنية) متناهية فى الحر كقوله وبين حميم آن *الضريع يبيس الشبرق وهو جنس من الشوك ترعاه الابل ما دام رطبا فاذا يبس تحامته الابل وهو سم قاتل قال أبو ذؤيب

رعى الشبرق الريان حتى اذا ذوى * وعاد ضريعا بان عنه النحائص

وقال

وحبسن فى هزم الضريع فكلها * حدباء دامية اليدين حرود

(فان قلت) كيف قيل (ليس لهم طعام الا من ضريع) وفى الحاقة ولا طعام الا من غسلين (قلت) العذاب ألوان والمعذبون طبقات فمنهم أكلة الزقوم ومنهم أكلة الغسلين ومنهم أكلة الضريع لكل باب منهم جزء مقسوم (لايسمن) مرفوع المحل أو مجروره على وصف طعام أو ضريع يعنى أن طعامهم من شئ ليس من مطاعم الانس وانما هو شوك والشوك مما ترعاه الابل وتتولع به وهذا نوع منه تنفر عنه ولا تقربه ومنفعتا

عهد بينك وبينه هذا مهيع تعريف الاضافة والمعهود فى افتتاح الصلاة مما استمر النبى صلى الله عليه وسلم على العمل به قولا وفعلا وهو التكبير المعروف ولو تنزلنا على أنه فى الآية مطلق فالحصر فى قوله تحريمها التكبير قيد اطلاقه *عاد كلامه (ونقل عن الضحاك أن المراد ذكر الله بالتكبير فى طريق المصلى فصلى صلاة العيد

القول فى سورة الغاشية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*قوله تعالى هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة (قال فيه معناه

بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى

سورة الغاشية مكية وهى ست وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

هل أتاك حديث الغاشية وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضريع لايسمن ولايغنى من جوع وجوه يومئذ

ذليلة تعمل فى النار عملا تنصب منه وهو جرها السلاسل الخ) قال أحمد الوجه الاول متعين لان الظرف المذكور وهو قوله يومئذ مقطوع عن الجملة المضاف اليها تقديرها يوم اذ غشيت وذلك فى الآخرة بلا اشكال وهو ظرف لجميع الصفات المخبر بها أعنى خاشعة عاملة ناصبة فكيف يتناول أعمال الدنيا *عاد كلامه قوله تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لايسمن ولايغنى من جوع (قال فيه الضريع يبيس الشبرق وهو جنس

الغذاء منتفيتان عنه وهما اماطة الجوع وافادة القوة والسمن فى البدن أو أريد أن لا طعام لهم أصلا لان الضريع ليس بطعام للبهائم فضلا عن الانس لان الطعام ما أشبع أو أسمن وهو منهما بمعزل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس تريد نفى الظل على التوكيد وقيل قالت كفار قريش إن الضريع لتسمن عليه ابلنا فنزلت لا يسمن فلا يخلوا اما أن يتكذبوا ويتعنتوا بذلك وهو الظاهر فيرد قولهم بنفى السمن والشبع واما أن يصدقوا فيكون المعنى أن طعامهم من ضريع ليس من جنس ضريعكم انما هو من ضريع غير مسمن ولا مغن من جوع (ناعمة) ذات بهجة وحسن كقوله تعرف فى وجوههم نضرة النعيم أو متنعمة (لسعيها راضية) رضيت بعملها لما رأت ما أداهم اليه من الكرامة والثواب (عالية) من علو المكان أو المقدار (لا تسمع) يا مخاطب أو الوجوه (لاغية) أى لغوا أو كلمة ذات لغو أو نفسا تلغو لا يتكلم أهل الجنة الا بالحكمة وحمد الله على مارزقهم من النعيم الدائم * وقرئ لا تسمع على البناء للمفعول بالتاء والياء (فيها عين جارية) يريد عيونا فى غاية الكثرة كقوله علمت نفس (مرفوعة) من رفعة المقدار أو السمك ليرى المؤمن بجلوسه عليه جميع ما خوله ربه من الملك والنعيم وقيل مخبوءة لهم من رفع الشئ اذا خبأه (موضوعة) كلما أرادوها وجدوها موضوعة بين أيديهم عتيدة حاضرة لا يحتاجون الى أن يدعوا بها أو موضوعة على حافات العيون معدة للشرب ويجوز أن يراد موضوعة عن حد الكبار أوساط بين الصغر والكبر كقوله قدروها تقديرا (مصفوفة) بعضها الى جنب بعض مساند ومطارح أينما أراد أن يجلس جلس على مسورة واستند الى أخرى (وزرابى) وبسط عراض فاخرة وقيل هى الطنافس التى لها خمل رقيق جمع زربية (مبثوثة) مبسوطة أو مفرقة فى المجالس (أفلا ينظرون الى الابل) نظر اعتبار (كيف خلقت) خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حيث خلقها للنهوض بالانقال وجرها الى البلاد الشاحطة فجعلها تبرك حتى تحمل عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من اقتادها بأزمتها لا تعاز ضعيفا ولا تمانع صغيرا وبرأها طوال الاعناق لتنوء بالاوقار وعن بعض الحكماء أنه حدث عن البعير وبديع خلقه وقد نشأ فى بلاد لا ابل بها ففكر ثم قال يوشك أن تكون طوال الاعناق وحين أرادها أن تكون سفائن البر صبرها على احتمال العطش حتى ان أظماءها لترتفع الى العشر فصاعدا وجعلها ترعى كل شئ نابت فى البرارى والمفاوز مما لا يرعاه سائر البهائم وعن سعيد بن جبير قال لقيت شريحا القاضى فقلت أين تريد قال أريد الكناسة قلت وما تصنع بها قال أنظر الى الابل كيف خلقت (فان قلت) كيف حسن ذكر الابل مع السماء والجبال والارض ولا مناسبة (قلت) قد انتظم هذه الاشياء نظر العرب فى أوديتهم وبواديهم فانتظمها الذكر على حسب ما انتظمها نظرهم ولم يدع من زعم أن الابل السحاب الى قوله الا طلب المناسبة ولعله لم يرد أن الابل من أسماء السحاب كالغمام والمزن والرباب والغيم والغين وغير ذلك وانما رأى السحاب مشبها بالابل كثيرا فى أشعارهم فجوز أن يراد بها السحاب على طريق التشبيه والمجاز (كيف رفعت) رفعا بعيد المدى بلا امساك وبغير عمد و(كيف نصبت) نصبا ثابتا فهى راسخة لا تميل ولا تزول و(كيف سطحت) سطحا بتمهيد وتوطئة فهى مهاد للمتقلب عليها * وقرأ على بن أبى طالب رضى الله عنه خلقت ورفعت ونصبت وسطحت على البناء للفاعل وتاء الضمير والتقدير فعلتها فحذف المفعول وعن هرون الرشيد أنه قرأ سطحت بالتشديد والمعنى أفلا ينظرون الى هذه المخلوقات الشاهدة على قدرة الخالق حتى لا ينكروا اقتداره على البعث فيسمعوا انذار الرسول صلى الله عليه وسلم ويؤمنوا به ويستعدوا للقائه * أى لا ينظرون فذكرهم ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يذكرون (انما أنت مذكر) كقوله ان عليك الا البلاغ (لست عليهم بمسيطر) بمتسلط كقوله وما أنت عليهم بجبار وقيل هو فى لغة تميم مفتوح الطاء على أن سيطر متعد عندهم وقولهم تسيطر يدل عليه (الا من تولى) استثناء منقطع أى لست بمستول عليهم ولكن من تولى (وكفر) منهم فان لله الولاية والقهر فهو يعذبه (العذاب الاكبر) الذى هو عذاب جهنم وقيل هو استثناء من قوله فذكر أى فذكر الا من انقطع طمعك من ايمانه وتولى فاستحق العذاب الاكبر وما بينهما اعتراض وقرئ ألا من تولى على التنبيه وفى قراءة ابن مسعود فانه يعذبه

ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت والى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الارض كيف سطحت فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر فيعذبه الله العذاب الاكبر

من الشوك ترعاه الابل مادام رطبا الخ) قال أحمد فعلى الوجه الاول يكون صفة مخصصة لازمة ذكرت شارحة لحقيقة الضريع وعلى الثانى يكون صفة مخصصة

* وقرأ أبو جعفر المدنى ايابهم بالتشديد ووجهه أن يكون فيعالا مصدر أيب فيعل من الاياب أو أن يكون أصله أوابا فعالا من أوب ثم قيل ايوابا كديوان فى دوان ثم فعل به ما فعل بأصل سيد وميت (فان قلت) ما معنى تقديم الظرف (قلت) معناه التشديد فى الوعيد وأن ايابهم ليس الا الى الجبار المقتدر على الانتقام وأن حسابهم ليس بواجب الا عليه وهو الذى يحاسب على النقير والقطمير ومعنى الوجوب الوجوب فى الحكمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الغاشية حاسبه الله حسابا يسيرا

سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أقسم بالفجر كما أقسم بالصبح فى قوله والصبح اذا أسفر والصبح اذا تنفس وقيل بصلاة الفجر * وأراد بالليالى العشر عشر ذى الحجة (فان قلت) فما بالها منكرة من بين ما أقسم به (قلت) لانها ليال مخصوصة من بين جنس الليالى العشر بعض منها أو مخصوصة بفضيلة ليست لغيرها (فان قلت) فهلا عرفت بلام العهد لانها ليال معلومة معهودة (قلت) لو فعل ذلك لم تستقل بمعنى الفضيلة الذى فى التنكير ولان الاحسن أن تكون اللامات متجانسة ليكون الكلام أبعد من الالغاز والتعمية * وبالشفع والوتر اما الاشياء كلها شفعها ووترها واما شفع هذه الليالى ووترها ويجوز أن يكون شفعها يوم النحر ووترها يوم عرفة لانه تاسع أيامها وذلك عاشرها وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه فسرهما بذلك وقد أكثروا فى الشفع والوتر حتى كادوا يستوعبون أجناس ما يقعان فيه وذلك قليل الطائل جدير بالتلهى عنه وبعد ما أقسم بالليالى المخصوصة أقسم بالليل على العموم (اذا يسر) اذا يمضى كقوله والليل اذ أدبر والليل اذا عسعس * وقرئ والوتر بفتح الواو وهما لغتان كالحبر والحبر فى العدد وفى الترة الكسر وحده وقرئ الوتر بفتح الواو وكسر التاء رواهما يونس عن أبى عمرو * وقرئ والفجر والوتر ويسر بالتنوين وهو التنوين الذى يقع بدلا من حرف الاطلاق وعن ابن عباس وليال عشر بالاضافة يريد وليال أيام عشر وياء يسر تحذف فى الدرج اكتفاء عنها بالكسرة وأما فى الوقف فتحذف مع الكسرة وقيل معنى يسرى يسرى فيه (هل فى ذلك) أى فيما أقسمت به من هذه الاشياء (قسم) أى مقسم به (لذى حجر) يريد هل يحق عنده أن تعظم بالاقسام بها أو هل فى اقسامى بها اقسام لذى حجر أى هل هو قسم عظيم يؤكد بمثله المقسم عليه والحجر العقل لانه يحجر عن التهافت فيما لا ينبغى كما سمى عقلا ونهية لانه يعقل وينهى وحصاة من الاحصاء وهو الضبط وقال الفراء يقال انه لذو حجر اذا كان قاهرا لنفسه ضابطا لها والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن يدل عليه قوله ألم تر الى قوله فصب عليهم ربك سوط عذاب * قيل لعقب عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عاد كما يقال لبنى هاشم هاشم ثم قيل للاولين منهم عاد الاولى وارم تسمية لهم باسم جدهم ولمن بعدهم عاد الاخيرة قال ابن الرقيات

مجدا تليدا بناه أوله * أدرك عادا وقبلها ارما

فارم فى قوله (بعاد ارم) عطف بيان لعاد وايذان بأنهم عاد الاولى القديمة وقيل ارم بلدتهم وأرضهم التى كانوا فيها ويدل عليه قراءة ابن الزبير بعاد ارم على الاضافة وتقديره بعاد أهل ارم كقوله واسأل القرية ولم تنصرف قبيلة كانت أو أرضا للتعريف والتأنيث وقرأ الحسن بعاد ارم مفتوحتين وقرئ بعاد ارم بسكون الراء على التخفيف كما قرئ بورقكم وقرئ بعاد ارم ذات العماد باضافة ارم الى ذات العماد والارم العلم يعنى بعاد أهل أعلام ذات العماد و(ذات العماد) اسم المدينة وقرئ بعاد أرم ذات العماد أى جعل الله ذات العماد رميما بدلا من فعل ربك وذات العماد اذا كانت صفة للقبيلة فالمعنى أنهم كانوا بدويين أهل عمد أو طوال الاجسام على تشبيه قدودهم بالاعمدة ومنه قولهم رجل معمد وعمدان اذا كان طويلا وقيل ذات البناء الرفيع وان كانت صفة للبلدة فالمعنى أنها ذات أساطين وروى أنه كان لعاد ابنان شداد وشديد فملكا وقهرا ثم مات شديد وخلص الامر لشداد فملك الدنيا ودانت له ملوكها فسمع بذكر الجنة فقال أبنى مثلها فبنى ارم فى بعض صحارى عدن فى ثلثمائة سنة وكان عمره تسعمائة سنة وهى مدينة عظيمة قصورها من الذهب والفضة

إن الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم

* سورة الفجر مكية وهى تسع وعشرون آية *

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر هل فى ذلك قسم لذى حجر ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التى

* قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم (قال فيه ان قلت ما معنى تقديم الظرف وأجاب بأن معناه التشديد فى الوعيد الخ) قال أحمد ومعنى ثم الدلالة على أن الحساب أشد من الاياب لانه موجب العذاب وبادرته عاد كلامه (قال ومعنى الوجوب وجوب الحكمة) قال أحمد أخطأ على عادته ليس على الله واجب وقد تقدم معنى على فى غير هذا والله أعلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى فصب عليهم ربك سوط عذاب (قال) انما خص السوط تقليلا لعذاب الدنيا بالنسبة الى ما أعد لهم الخ * قوله تعالى ان ربك لبالمرصاد فأما الانسان الآية (قال فيه ان قلت كيف اتصل قوله فأما الانسان بما قبله الخ) قال أحمد

قوله لا يريد من الانسان الا الطاعة ولا يأمره الا بها فاسد الصدر مبنى على أصله الفاسد سليم العجز * عاد كلامه (قال فان قلت كيف توازن قوله فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه وقوله وأما اذا ما ابتلاه) قال أحمد يريد أنه صدر ما بعد أما الاولى بالاسم

وأساطينها من الزبرجد والياقوت وفيها أصناف الاشجار والانهار المطردة ولما تم بناؤها سار اليها باهل مملكته فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة بعث الله عليهم صيحة من السماء فهلكوا وعن عبد الله بن قلابة أنه خرج فى طلب ابل له فوقع عليها فحمل ما قدر عليه مما ثم وبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه فبعث الى كعب فسأله فقال هى ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عقبه خال يخرج فى طلب ابل له ثم التفت فأبصر ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل (لم يخلق مثلها) مثل عاد (فى البلاد) عظم أجرام وقوة كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتى الصخرة العظيمة فيحملها فيلقيها على الحى فيهلكهم أولم يخلق مثل مدينة شداد فى جميع بلاد الدنيا وقرأ ابن الزبير لم يخلق مثلها أى لم يخلق الله مثلها (جابوا الصخر) قطعوا صخر الجبال واتخذوا فيها بيوتا كقوله وتنحتون من الجبال بيوتا قيل أول من نحت الجبال والصخور والرخام ثمود وبنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة * قيل له ذو الأوتاد لكثرة جنوده ومضاربهم التى كانوا يضربونها اذا نزلوا أولتعذيبه بالاوتاد كما فعل بماشطة بنته وبآسية (الذين طغوا) أحسن الوجوه فيه أن يكون فى محل النصب على الذم ويجوز أن يكون مرفوعا على هم الذين طغوا أو مجرورا على وصف المذكورين عاد وثمود وفرعون * يقال صب عليه السوط وغشاه وقنعه وذكر السوط اشارة الى أن ما أحله بهم فى الدنيا من العذاب العظيم بالقياس الى ما أعد لهم فى الآخرة كالسوط اذا قيس الى سائر ما يعذب به وعن عمرو بن عبيد كان الحسن اذا أتى على هذه الآية قال ان عند الله أسواطا كثيرة فأخذهم بسوط منها * المرصاد المكان الذى يترتب فيه الرصد مفعال من رصده كالميقات من وقته وهذا مثل لارصاده العصاة بالعقاب وأنهم لا يفوتونه وعن بعض العرب أنه قيل له أين ربك فقال بالمرصاد وعن عمرو بن عبيد رحمه الله أنه قرأ هذه السورة عند بعض الظلمة حتى بلغ هذه الآية فقال ان ربك لبالمرصاد يا فلان عرض له فى هذا النداء بأنه بعض من توعده بذلك من الجبابرة فلله دره أى أسد فراس كان بين ثوبيه يدق الظلمة بانكاره ويقصع أهل الاهواء والبدع باحتجاجه (فان قلت) بم اتصل قوله (فأما الانسان) (قلت) بقوله ان ربك لبالمرصاد كأنه قيل ان الله لا يريد من الانسان الا الطاعة والسعى للعاقبة وهو مرصد بالعقوبة للعاصى فأما الانسان فلا يريد ذلك ولا يهمه الا العاجلة وما يلذه وينعمه فيها (فان قلت) فكيف توازن قوله فأما الانسان (اذا ما ابتلاه ربه) وقوله وأما اذا ما ابتلاه وحق التوازن أن يتقابل الواقعان بعد أما وأما تقول أما الانسان فكفور وأما الملك فشكور أما اذا أحسنت الى زيد فهو محسن اليك وأما اذا أسأت اليه فهو مسىء اليك (قلت) هما متوازنان من حيث ان التقدير وأما هو اذا ما ابتلاه ربه وذلك أن قوله (فيقول ربى أكرمن) خبر المبتدا الذى هو الانسان ودخول الفاء لما فى أما من معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدا والخبر فى تقدير التأخير كأنه قيل فأما الانسان فقائل ربى أكرمن وقت الابتلاء فوجب أن يكون فيقول الثانى خبر المبتدا واجب تقديره (فان قلت) كيف سمى كلا الامرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء (قلت) لان كل واحد منهما اختبار للعبد فاذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر واذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع فالحكمة فيهما واحدة ونحوه قوله تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة (فان قلت) هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه (قلت) لان البسط اكرام من الله لعبده بانعامه عليه متفضلا من غير سابقة وأما التقدير فليس باهانة له لان الاخلال بالتفضل لا يكون اهانة ولكن تركا للكرامة وقد يكون المولى مكرما لعبده ومهينا له وغير مكرم ولا مهين واذا أهدى لك زيد هدية قلت أكرمنى بالهدية ولا تقول أهاننى

لم يخلق مثلها فى البلاد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذى الاوتاد الذين طغوا فى البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب ان ربك لبالمرصاد فأما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ربى أكرمن وأما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربى أهانن

وما بعد أما الثانية بالفعل ومقصود السائل أن يكونا مصدرين إما باسمين أو بفعلين * عاد كلامه أجاب عن السؤال بأن التقدير بعد الثانية اسم واقع مبتدأ مخبرا عنه بقوله فيقول ربى أهانن حتى يوازن الاول فانه كذلك (قال فان قلت هلا قال فأهانه وقدر عليه رزقه كما قال فأكرمه ونعمه وأجاب بأن البسط اكرام من الله تعالى للعبد من غير سابقة) ولا قيد زائد تفريعا على أصله الفاسد والحق ان كل نعمة من الله كذلك * عاد كلامه (قال) وأما التقدير فليس باهانة فان ترك التفضل لا يعد اهانة الا ترى أنك تقول أكرمنى زيد بالهدية ولا تقول أهاننى ولا أكرمنى اذا لم يهد اليك شيأ

(قال فان قلت فقد قال فأكرمه فصحح اكرامه وأثبته ثم أنكر قوله ربى أكرمن وذمه عليه كما أنكر قوله ربى أهانن وذمه عليه وأجاب بأمرين أحدهما ان المنكر عليه اعتقاده ان اكرام الله تعالى له عن استحقاق لمكان نسبه وحسبه وجلالة قدره كما كانوا يعتقدون الاستحقاق بذلك على الله كما قال انما أوتيته على علم) قال أحمد والقدرى لا يبعد عن ذلك لانه يرى أن النعيم الاعظم فى الآخرة حق للعبد على الله واجب له عليه ليس بتفضيل ولا ممنون * عاد كلامه (قال الثانى ان سياق

الانكار والذم الى قوله ربى أهانن يعنى أنه اذا تفضل عليه بالخير اعترف بتفضل الله تعالى واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام فى قوله فأكرمه) قال أحمد

ولا أكرمنى اذا لم يهد لك (فان قلت) فقد قال فأكرمه فصحح اكرامه وأثبته ثم أنكر قوله ربى أكرمن وذمه عليه كما أنكر قوله أهانن وذمه عليه (قلت) فيه جوابان أحدهما أنه انما أنكر قوله ربى أكرمن وذمه عليه لانه قاله على قصد خلاف ما صححه الله عليه وأثبته وهو قصده الى أن الله أعطاه ما أعطاه اكراما له مستحقا مستوجبا على عادة افتخارهم وجلالة أقدارهم عندهم كقوله انما أوتيته على علم عندى وانما أعطاه الله على وجه التفضل من غير استيجاب منه له ولا سابقة مما لا يعتد الله الا به وهو التقوى دون الانساب والاحساب التى كانوا يفتخرون بها ويرون استحقاق الكرامة من أجلها والثانى أن ينساق الانكار والذم الى قوله ربى أهانن يعنى انه اذا تفضل عليه بالخير وأكرم به اعترف بتفضل الله واكرامه واذا لم يتفضل عليه سمى ترك التفضل هوانا وليس بهوان ويعضد هذا الوجه ذكر الاكرام فى قوله فأكرمه * وقرئ فقدر بالتخفيف والتشديد وأكرمن وأهانن بسكون النون فى الوقف فيمن ترك الياء فى الدرج مكتفيا منها بالكسرة (كلا) ردع للانسان عن قوله * ثم قال بل هناك شر من هذا القول وهو أن الله يكرمهم بكثرة المال فلا يؤدون ما يلزمهم فيه من اكرام اليتيم بالتفقد والمبرة وحض أهله على طعام المسكين ويأكلونه أكل الانعام ويحبونه فيشحون به * وقرئ يكرمون وما بعده بالياء والتاء * وقرئ تحاضون أى يحض بعضكم بعضا وفى قراءة ابن مسعود ولا تحاضون بضم التاء من المحاضة (أكلا لما) ذا لم وهو الجمع بين الحلال والحرام قال الحطيئة

اذا كان لما يتبع الذم ربه * فلا قدس الرحمن تلك الطواحنا

يعنى أنهم يجمعون فى أكلهم بين نصيبهم من الميراث ونصيب غيرهم وقيل كانوا لا يورثون النساء ولا الصبيان ويأكلون تراثهم مع تراثهم وقيل يأكلون ما جمعه الميت من الظلمة وهو عالم بذلك فيلم فى الاكل بين حلاله وحرامه ويجوز أن يذم الوارث الذى ظفر بالمال سهلا مهلا من غير أن يعرق فيه جبينه فيسرف فى انفاقه ويأكله أكلا واسعا جامعا بين ألوان المشتهيات من الاطعمة والاشربة والفواكه كما يفعل الوراث البطالون (حبا جما) كثيرا شديدا مع الحرص والشره ومنع الحقوق (كلا) ردع لهم عن ذلك وانكار لفعلهم * ثم أتى بالوعيد وذكر تحسرهم على ما فرطوا فيه حين لا تنفع الحسرة * ويومئذ بدل من (اذا دكت الارض) وعامل النصب فيهما يتذكر (دكا دكا) دكا بعد دك كقوله حسبته بابا بابا أى كرر عليها الدك حتى عادت هباء منبثا * (فان قلت) ما معنى اسناد المجىء الى الله والحركة والانتقال انما يجوزان على من كان فى جهة (قلت) هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه مثلت حاله فى ذلك بحال الملك اذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم (صفا صفا) ينزل ملائكة كل سماء فيصطفون صفا بعد صف محدقين بالجن والانس (وجىء يومئذ بجهنم) كقوله وبرزت الجحيم وروى أنها لما نزلت تغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف فى وجهه حتى اشتد على أصحابه فأخبروا عليا رضى الله عنه فجاء فاحتضنه من خلفه وقبله بين عاتقيه ثم قال يا نبى الله بأبى أنت وأمى ما الذى حدث اليوم وما الذى غيرك فتلا عليه الآية فقال على له كيف يجاء بها قال يجىء بها سبعون ألف ملك يقودونها بسبعين ألف زمام فتشرد شردة لو تركت لاحرقت أهل الجمع * أى يتذكر ما فرط فيه أو يتعظ (وأنى له الذكرى) ومن أين له منفعة الذكرى لا بد من تقدير حذف المضاف والا فبين

كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين وتأكلون التراث أكلا لما وتحبون المال حبا جما كلا اذا دكت الارض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجىء يومئذ بجهنم يومئذ يتذكر الانسان وأنى له الذكرى يقول

كأنه يجعل قوله فأكرمه توطئة لذمه على قوله أهانن لانه مذموم معه * عاد كلامه قوله تعالى كلا بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين الآية (قال فيه انما أضرب عن الاول للاشعار بأن هنا ما هو أشر من القول الاول الخ) قال أحمد وفى هذه الآية اشعار بابطال الجواب الثانى من جوابى الزمخشرى فانه جعل قوله أكرمن غير مذموم ودلت هذه الآية على أن المعنى ان المكرم بالبسط بالرزق حالتين احداهما اعتقاده أن اكرام الله له عن استحقاق الثانية أشد من الاولى وهى أن لا يعترف بالاكرام أصلا لانه يفعل أفعال جاحدى النعمة فلا يؤدى حق الله الواجب عليه فى المال من اطعام اليتيم والمسكين * عاد كلامه (قال) وقوله وتأكلون التراث أكلا لما يجوز فيه وجوه منها انهم يجمعون الى نصيبهم من الميراث نصيب غيرهم الخ

يوم يتذكرو بين وأنى له الذكرى تناف وتناقض (قدمت لحياتى) هذه وهى حياة الآخرة أووقت حياتى فى الدنيا كقولك جئته لعشر ليال خلون من رجب وهذا أبين دليل على أن الاختيار كان فى أيديهم ومعلقا بقصدهم وارادتهم وانهم لم يكونوا محجوبين عن الطاعات مجبرين على المعاصى كمذهب أهل الاهواء والبدع والا فما معنى التحسر * قرئ بالفتح يعذب ويوثق وهى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أبى عمرو أنه رجع اليها فى آخر عمره * والضمير للانسان الموصوف وقيل هو أبى بن خلف أى لا يعذب أحد مثل عذابه ولا يوثق بالسلاسل والاغلال مثل وثاقه لتناهيه فى كفره وعناده أو لا يحمل عذاب الانسان أحد كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى وقرئ بالكسر والضمير لله تعالى أى لا يتولى عذاب الله أحد لان الامر لله وحده فى ذلك اليوم أو للانسان أى لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه (ياأيتها النفس) على ارادة القول أى يقول الله للمؤمن ياأيتها النفس اما أن يكلمه اكراما له كما كلم موسى صلوات الله عليه أو على لسان ملك و (المطمئنة) الآمنة التى لا يستفزها خوف ولا حزن وهى النفس المؤمنة أو المطمئنة الى الحق التى سكنها ثلج اليقين فلا يخالجها شك ويشهد للتفسير الاول قراءة أبى بن كعب ياأيتها النفس الآمنة المطمئنة (فان قلت) متى يقال لها ذلك (قلت) إما عند الموت واما عند البعث واما عند دخول الجنة على معنى ارجعى الى موعد ربك (راضية) بما أوتيت (مرضية) عند الله (فادخلى فى عبادى) فى جملة عبادى الصالحين وانتظمى فى سلكهم (وادخلى جنتى) معهم وقيل النفس الروح ومعناه فادخلى فى أجساد عبادى وقرأ ابن عباد فادخلى فى عبدى وقرأ ابن مسعود فى جسد عبدى وقرأ أبى ائتى ربك راضية مرضية ادخلى فى عبدى وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وقيل فى خبيب بن عدى الذى صلبه أهل مكة وجعلوا وجهه الى المدينة فقال اللهم ان كان لى عندك خير فحول وجهى نحو قبلتك فحول الله وجهه نحوها فلم يستطع أحد أن يحوله والظاهر العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفجر فى الليالى العشر غفر له ومن قرأها فى سائر الايام كانت له نورا يوم القيامة

سورة البلد مكية وهى عشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

* اقسم سبحانه بالبلد الحرام وبما بعده على أن الانسان خلق مغمورا فى مكابدة المشاق والشدائد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله (وأنت حل بهذا البلد) يعنى ومن المكابدة أن مثلك على عظم حرمتك يستحل بهذا البلد الحرام كما يستحل الصيد فى غير الحرم عن شرحبيل يحرمون أن يقتلوا بها صيدا ويعضدوا بها شجرة ويستحلون اخراجك وقتلك وفيه تثبيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم فى عداوته أو سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسم ببلده على أن الانسان لا يخلو من مقاساة الشدائد واعترض بأن وعده فتح مكة تتميما للتسلية والتنفيس عنه فقال وأنت حل بهذا البلد يعنى وأنت حل به فى المستقبل تصنع فيه ما تريد من القتل والاسر وذلك أن الله فتح عليه مكة وأحلها له وما فتحت على أحد قبله ولا أحلت له فأحل ما شاء وحرم ما شاء قتل ابن خطل وهو متعلق باستار الكعبة ومقيس بن صبابة وغيرهما وحرم دار أبى سفيان ثم قال ان الله حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى أن تقوم الساعة لم تحل لاحد قبلى ولن تحل لاحد بعدى ولم تحل لى الا ساعة من نهار فلا يعضد شجرها ولا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا تحل لقطتها الا لمنشد فقال العباس يارسول الله الا الاذخر فانه لقيوننا وقبورنا وبيوتنا فقال صلى الله عليه وسلم الا الاذخر (فان قلت) أين نظير قوله وأنت حل فى معنى الاستقبال (قلت) قوله عز وجل انك ميت وانهم ميتون ومثله واسع فى كلام العباد تقول لمن تعده الاكرام والحباء أنت مكرم محبو وهو فى كلام الله أوسع لان الاحوال المستقبلة عنده كالحاضرة المشاهدة وكفاك دليلا قاطعا على أنه للاستقبال وأن تفسيره بالحال محال أن السورة بالاتفاق مكية وأين الهجرة عن وقت

ياليتنى قدمت لحياتى فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى

* (سورة البلد مكية وهى عشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم

لا اقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد ووالد وما ولد لقد خلقنا الانسان فى كبد أيحسب

(القول فى سورة البلد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد (قال) أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أن الانسان خلق مغمورا الخ

نزولها فما بال الفتح (فان قلت) ما المراد بوالد وما ولد (قلت) رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن ولده أقسم ببلده الذى هو مسقط رأسه وحرم أبيه ابراهيم ومنشأ أبيه اسمعيل وبمن ولده وبه (فان قلت) لم نكر (قلت) للابهام المستقل بالمدح والتعجب (فان قلت) هلا قيل ومن ولد (قلت) فيه ما فى قوله والله أعلم بما وضعت أى بأى شئ وضعت يعنى موضوعا عجيب الشأن وقيل هما آدم وولده وقيل كل والد وولد * والكبد أصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو أكبد اذا وجعت كبده وانتفخت فاتسع فيه حتى استعمل فى كل تعب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة كما قيل كبته بمعنى أهلكه وأصله كبده اذا أصاب كبده قال لبيد

ياعين هلا بكيت أربد اذ * قمنا وقام الخصوم فى كبد

أى فى شدة الامر وصعوبة الخطب والضمير فى (أيحسب) لبعض صناديد قريش الذين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكابد منهم ما يكابد والمعنى أيظن هذا الصنديد القوى فى قومه المتضعف للمؤمنين أن لن تقوم قيامة ولن يقدر على الانتقام منه وعلى مكافأته بما هو عليه ثم ذكر ما يقوله فى ذلك اليوم وانه يقول (أهلكت مالا لبدا) يريد كثرة ما أنفقه فيما كان أهل الجاهلية يسمونها مكارم ويدعونها معالى ومفاخر (أيحسب أن لم يره أحد) حين كان ينفق ما ينفق رئاء الناس وافتخارا بينهم يعنى أن الله كان يراه وكان عليه رقيبا ويجوز أن يكون الضمير للانسان على أن يكون المعنى أقسم بهذا البلد الشريف ومن شرفه أنك حل به مما يقترفه أهله من المآثم متحرج برئ فهو حقيق بأن أعظمه بقسمى به لقد خلقنا الانسان فى كبد أى فى مرض وهو مرض القلب وفساد الباطن يريد الذين علم الله منهم حين خلقهم أنهم لا يؤمنون ولا يعملون الصالحات وقيل الذى يحسب أن لن يقدر عليه أحد هو أبو الاشد وكان قويا يبسط له الاديم العكاظى فيقوم عليه ويقول من أزالنى عنه فله كذا فلا ينزع الا قطعا ويبقى موضع قدميه وقيل الوليد بن المغيرة * لبدا قرئ بالضم والكسر جمع لبدة ولبدة وهو ما تلبد يريد الكثرة وقرئ لبدا بضمتين جمع لبود ولبدا بالتشديد جمع لابد (ألم نجعل له عينين) يبصر بهما المرئيات (ولسانا) يترجم به عن ضمائره (وشفتين) يطبقهما على فيه ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب والنفخ وغير ذلك (وهديناه النجدين) أى طريقى الخير والشر وقيل الثديين (فلا اقتحم العقبة) يعنى فلم يشكر تلك الايادى والنعم بالاعمال الصالحة من فك الرقاب واطعام اليتامى والمساكين ثم بالايمان الذى هو أصل كل طاعة وأساس كل خير بل غمط النعم وكفر بالمنعم والمعنى ان الانفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضى النافع عند الله لا أن يهلك مالا لبدا فى الرياء والفخار فيكون مثله كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم الآية (فان قلت) قلما تقع لا الداخلة على الماضى الا مكررة ونحو قوله فأى أمر سيئ لا فعله لا يكاد يقع فالها لم تكرر فى الكلام الافصح (قلت) هى متكررة فى المعنى لان معنى فلا اقتحم العقبة فلا فك رقبة ولا أطعم مسكينا ألا ترى أنه فسر اقتحام العقبة بذلك وقال الزجاج قوله ثم كان من الذين آمنوا يدل على معنى فلا اقتحم العقبة ولا آمن * والاقتحام الدخول والمجاوزة بشدة ومشقة والقحمة الشدة وجعل الصالحة عقبة وعملها اقتحاما لها لما فى ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس وعن الحسن عقبة والله شديدة مجاهدة الانسان نفسه وهواه وعدوه الشيطان وفك الرقبة تخليصها من رق أو غيره وفى الحديث ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم دلنى على عمل يدخلنى الجنة فقال تعتق النسمة وتفك الرقبة قال أوليسا سواء قال لا اعتاقها أن تنفرد بعتقها وفكها أن تعين فى تخليصها من قود أو غرم والعتق والصدقة من أفاضل الاعمال وعن أبى حنيفة رضى الله عنه ان العتق أفضل من الصدقة وعند صاحبيه الصدقة أفضل والآية أدل على قول أبى حنيفة لتقديم العتق على الصدقة وعن الشعبى فى رجل عنده فضل نفقة أيضعه فى ذى قرابة أو يعتق رقبة قال الرقبة أفضل لان النبى صلى الله عليه وسلم قال من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضوا منه من النار * قرئ فك رقبة أو اطعام على هى فك رقبة أو اطعام وقرئ فك رقبة أو أطعم على الابدال من اقتحم العقبة وقوله (وما أدراك ما العقبة) اعتراض ومعناه أنك لم تدر كنه صعوبتها على النفس وكنه ثوابها عند الله * والمسغبة والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب

أن لن يقدر عليه أحد يقول أهلكت مالا لبدا أيحسب أن لم يره أحد ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو اطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة

(القول فى سورة الشمس) (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سوّاها (قال) فيه جعلها بعضهم مصدرية فى الثلاث وليس بالوجه الخ * قوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها (قال فيه معنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه الخ) قال أحمد بين فى هذا الكلام نوعين من الباطل أحدهما

فى النسب يقال فلان ذو قرابتى وذو مقربتى وترب اذا افتقر ومعناه التصق بالتراب وأما أترب فاستغنى أى صار ذا مال كالتراب فى الكثرة كما قيل أثرى وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله ذا متربة الذى مأواه المزابل ووصف اليوم بذى مسغبة نحو ما يقول النحويون فى قولهم هم ناصب ذو نصب وقرأ الحسن ذا مسغبة نصبه باطعام ومعناه أو اطعام فى يوم من الايام ذا مسغبة (ثم كان من الذين آمنوا) جاء بثم لتراخى الايمان وتباعده فى الرتبة والفضيلة عن العتق والصدقة لا فى الوقت لان الايمان هو السابق المقدم على غيره ولا يثبت عمل صالح الابه * والمرحمة الرحمة أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على الايمان والثبات عليه أو بالصبر عن المعاصى وعلى الطاعات والمحن التى يبتلى بها المؤمن وبأن يكونوا متراحمين متعاطفين أو بما يؤدى الى رحمة الله الميمنة والمشأمة اليمين والشمال أو اليمن والشؤم أى الميامين على أنفسهم والمشائيم عليهن * قرئ موصدة بالواو والهمزة من أوصدت الباب وآصدته اذا أطبقته وأغلقته وعن أبى بكر بن عياش لنا امام يهمز مؤصدة فأشتهى أن أسد أذنى اذا سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لا أقسم بهذا البلد أعطاه الله الأمان من غضبه يوم القيامة

(سورة الشمس مكية وهى خمس عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ضحاها ضوؤها اذا أشرقت وقام سلطانها ولذلك قيل وقت الضحى وكأن وجهه شمس الضحى وقيل الضحوة ارتفاع النهار والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد اذا امتد النهار وكرب أن ينتصف (اذا تلاها) طالعا عند غروبها آخذا من نورها وذلك فى النصف الاول من الشهر وقيل اذا استدار فتلاها فى الضياء والنور (اذا جلاها) عند انتفاخ النهار وانبساطه لان الشمس تنجلى فى ذلك الوقت تمام الانجلاء وقيل الضمير للظلمة أو للدنيا أو للارض وان لم يجر لها ذكر كقولهم أصبحت باردة يريدون الغداة وأرسلت يريدون السماء اذا يغشاها فتغيب وتظلم الآفاق (فان قلت) الامر فى نصب اذا معضل لانك لا تخلو اما أن تجعل الواوات عاطفة فتنصب بها وتجر فتقع فى العطف على عاملين فى نحو قولك مررت أمس بزيد واليوم عمرو واما أن تجعلهن للقسم فتقع فيما اتفق الخليل وسيبويه على استكراهه (قلت) الجواب فيه أن واو القسم مطرح معها ابراز الفعل اطراحا كليا فكان لها شأن خلاف شأن الباء حيث أبرز معها الفعل وأضمر فكانت الواو قائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معا والواوات العواطف نوائب عن هذه الواو فحققن أن يكن عوامل على الفعل والجار جميعا كما تقول ضرب زيد عمرا وبكر خالدا فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذى هو عاملهما * جعلت ما مصدرية فى قوله وما بناها وما طحاها وما سوّاها وليس بالوجه لقوله فألهمها وما يؤدى اليه من فساد النظم والوجه أن تكون موصولة وانما أوثرت على من لارادة معنى الوصفية كأنه قيل والسماء والقادر العظيم الذى بناها ونفس والحكيم الباهر الحكمة الذى سوّاها وفى كلامهم سبحان ما سخركن لنا (فان قلت) لم نكرت النفس (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يريد نفسا خاصة من بين النفوس وهى نفس آدم كأنه قال وواحدة من النفوس والثانى أن يريد كل نفس وينكر للتكثير على الطريقة المذكورة فى قوله علمت نفس * ومعنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وأن أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من

فى قوله معنى الهام الفجور والتقوى افهامهما واعقالهما وان أحدهما حسن والآخر قبيح والذى يكنه فى هذه الكلمات اعتقاد أن الحسن

ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نار مؤصدة

(سورة الشمس مكية وهى خمس عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والشمس وضحاها والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها والليل اذا يغشاها والسماء وما بناها والارض وما طحاها ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها

والقبح مدركان بالعقل ألا ترى الى قوله اعقالهما أى خلق العقل الموصل الى معرفة حسن الحسن وقبح القبيح وانما اغتنم فى هذا فرصة اشعار الالهام بذلك فانه ربما

يظن أن اطلاقه على العلم المستفاد من السمع بعيد والذى يقطع دابر هذه النزغة أنا وان قلنا ان الحسن والقبح لا يدركان اختيار الا بالسمع لانهما راجعان الى الاحكام الشرعية التى ليست عندنا بصفات الافعال فانا لا نلغى حظ العقل من ادراك الاحكام الشرعية بل لا بد فى علم كل حكم شرعى من المقدمتين عقلية وهى الموصلة الى العقيدة وسمعية مفرعة عليها وهى الدالة على خصوص الحكم على أن تعلقه بظاهر لو سلم ظهوره فى قاعدة قطعية بمعزل عن الصواب * النزغة الثانية وهى التى كشف القناع فى ابرازها أن التزكية

وقسيمها التدسية مخلوقين لله تعالى بل الشركاء المعتزلة وانما نعارضه فى الظاهر من فحوى الآية على أنه لم يذكر وجها فى الرد على من قال ان الضمير لله تعالى وانما اقتصر على الدعوى مقرونة بسفاهته على أهل السنة فنقول لا مراء فى احتمال عود الضمير الى الله تعالى والى ذى النفس لكن عوده الى الله تعالى أولى لوجهين أحدهما ان الجمل سيقت سياقة واحدة من قوله والسماء وما بناها وهلم جرا والضمائر فيما تقدم هذين الفعلين عائدة الى الله تعالى بالاتفاق ولم يجر لغير الله تعالى ذكر وان قيل بعود الضمير الى غيره فانما

اختيار ما شاء منهما بدليل قوله (قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها) فجعله فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما والتزكية الانماء والاعلاء بالتقوى والتدسية النقص والاخفاء بالفجور وأصل دسى دسس كما قيل فى تقضض تقضى وسئل ابن عباس عنه فقال أتقرأ قد أفلح من تزكى وقد خاب من حمل ظلما وأما قول من زعم أن الضمير فى زكى ودسى لله تعالى وأن تأنيث الراجع الى من لانه فى معنى النفس فمن تعكيس القدرية الذين يوركون على الله قدرا هو برىء منه ومتعال عنه ويحيون لياليهم فى تمحل فاحشة ينسبونها اليه (فان قلت) فأين جواب القسم (قلت) هو محذوف تقديره ليدمدمن الله عليهم أى على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما دمدم على ثمود لانهم كذبوا صالحا وأما قد أفلح من زكاها فكلام تابع لقوله فألهمها فجورها وتقواها على سبيل الاستطراد وليس من جواب القسم فى شئ * الباء فى (بطغواها) مثلها فى كتبت بالقلم والطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة فى فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واوا فى الاسم وتركوا القلب فى الصفة فقالوا امرأة خزيا وصديا يعنى فعلت التكذيب بطغيانها كما تقول ظلمنى بجرأته على الله وقيل كذبت بما أوعدت به من عذابها ذى الطغوى كقوله فأهلكوا بالطاغية وقرأ الحسن بطغواها بضم الطاء كالحسنى والرجعى فى المصادر (اذ انبعث) منصوب بكذبت أو بالطغوى و(أشقاها) قدار بن سالف ويجوز أن يكونوا جماعة والتوحيد لتسويتك فى أفعل التفضيل اذا أضفته بين الواحد والجمع والمذكر والمؤنث وكان يجوز أن يقال أشقوها كما تقول أفاضلهم والضمير فى (لهم) يجوز أن يكون للاشقين والتفضيل فى الشقاوة لان من تولى العقر وباشره كانت شقاوته أظهر وأبلغ و(ناقة الله) نصب على التحذير كقولك الاسد الاسد والصبى الصبى باضمار ذروا أو احذروا عقرها (وسقياها) فلا تزووها عنها ولا تستأثروا بها عليها (فكذبوه) فيما حذرهم منه من نزول العذاب ان فعلوا (فدمدم عليهم) فأطبق عليهم العذاب وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة اذا ألبسها الشحم (بذنبهم) بسبب ذنبهم وفيه انذار عظيم بعاقبة الذنب فعلى كل مذنب أن يعتبر ويحذر (فسوّاها) الضمير للدمدمة أى فسوّاها بينهم لم يفلت منها صغيرهم ولا كبيرهم (ولا يخاف عقباها) أى عاقبتها وتبعتها كما يخاف كل معاقب من الملوك فيبقى بعض الابقاء ويجوز أن يكون الضمير لثمود على معنى فسوّاها بالارض أو فى الهلاك ولا يخاف عقبى هلاكها وفى مصاحف أهل المدينة والشام فلا يخاف وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يخف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الشمس فكأنما تصدق بكل شئ طلعت عليه الشمس والقمر

(سورة والليل مكية وهى احدى وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* المغشى إما الشمس من قوله والليل اذا يغشاها وإما النهار من قوله يغشى الليل النهار وإما كل شئ يواريه بظلامه من قوله اذا وقب (تجلى) ظهر بزوال ظلمة الليل أو تبين وتكشف بطلوع الشمس (وما خلق) والقادر العظيم القدرة الذى قدر على خلق الذكر والانثى من ماء واحد وقيل هما آدم وحواء * وفى قراءة النبى صلى

يتمحل لجوازه بدلالة الكلام ضمنا واستلزاما لا ذكرا ونطقا وما جرى ذكره أولى ان يعود الضمير عليه الثانى ان الفعل المستعمل فى الآية التى استدل بها

قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها كذبت ثمود بطغواها اذ انبعث أشقاها فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسوّاها ولا يخاف عقباها

(سورة والليل مكية وهى احدى وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى ان سعيكم

فى قوله قد أفلح من تزكى تفعل ولا شك أن تفعل مطاوع فعل فهذا بأن يدل لنا أولى من أن يدل له لان الكلام عندنا نحن

قد أفلح من زكاه الله فتزكى وعنده الفاعل فى الاثنين واحد أضاف اليه الفعلين المختلفين ويحتاج فى تصحيح الكلام الى تعديد اعتبار وجهه ونحن عنه فى غنية على أنا لا نأبى ان تضاف التزكية والتدسية الى العبد على طريقة انه الفاعل كما يضاف اليه الصلاة والصيام وغير ذلك من أفعال الطاعات لان له عندنا اختيارا وقدرة مقارنة وان منعنا البرهان العقلى الدال على وحدانية الله تعالى ونفى الشريك أن نجعل قدرة العبد مؤثرة خالقة فهذا جوابنا على الآية تنزلا والا فلم يذكر وجها من الرد فيلزمنا الجواب عنه وأما جوابنا عن سفاهته على أهل السنة فالسكوت والله الموفق * عاد كلامه (قال) وجواب القسم محذوف تقديره ليدمدمن عليهم أى على أهل مكة الخ

* (القول فى سورة الليل) * (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى وما خلق الذكر والانثى (قال فيه) يدل على أن الخنثى المشكل عندنا لابد أن يكون عند الله من أحد القبيلين ولا يكون عنده نوعا ثالثا الخ * قوله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى (قال فيه التيسير لليسرى خلق الالطاف الخ) قال أحمد لا يطيل لسانه ههنا على أهل السنة ولكن قصره الحق فتراه يؤول الكلام بل يعطله لانه يحمله مالا يحتمله وعلى كلامه فى أمثالها روعة السارق الخائف * قوله تعالى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الأشقى الذى كذب وتولى وسيجنبها الاتقى الذى الخ (قال فان قلت كيف قال لا يصلاها الا الاشقى وسيجنبها الأتقى وقد علم أن كل شقى يصلاها الخ) قال أحمد لاشك أن السائل بنى سؤاله على التمسك بمفهوم الآية لورودها بصيغة التخصيص فحاصل جواب الزمخشرى ان التخصيص ههنا لفائدة أخرى غير النفى عما عدا المخصص وتلك الفائدة المقابلة وحيث تمحض لك السؤال والجواب فهو يلاحظ نظر الشافعى رحمه الله فى قوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى الى محرما على طاعم يطعمه فانه لم يقل بمفهوم حصرها وحملها على ان الحصر لفائدة المقابلة بالرد لاحكام الجاهلية لالنفى ماعدا المحصور على ان الزمخشرى انما ضيق عليه الخناق فى هذه الآية حتى التزم ورود السؤال المذكور التفاته الى قاعدته الفاسدة وحذره أن تنقض ويأبى الله الا نقضها ورفضها واذا نزلت الآية على قواعد السنة وضح لك ما قلته فنقول المصلى فى اللغة أن يحفر واحفيرا فيجمعوا فيه جمرا كثيرا ثم يعمدوا الى شاة فيدسوها وسطه بين أطباقه فأما مايشوى فوق الجمر أو على المقلى أو على التنور فليس بمصلى وهذا التفسير بعينه نص عليه الزمخشرى ونقله عن أهل اللغة فى سورة الغاشية أيضا وأنا وقفت عليه فى كتبهم فاذا عرفت معنى التصلية لغة وانها أشد أنواع الاحراق بالنار وفى علمك أن الناس عند أهل السنة ثلاثة أصناف مؤمن صالح فائز ومؤمن عاص وكافر وان المؤمن الفائز يمر على النار فيطفئ نوره لهبها ولا يؤلم بمسها البتة وانما يردها تحلة القسم والعاصى ان شاء الله تعذيبه ومجازاته فانما يعذب على وجه النار فى الطبقة الاولى باتفاق حتى ان منهم من تبلغ النار الى كعبه وأشدهم من تبلغ النار الى موضع سجوده فيحسه ولا يعذب أحد من المؤمنين بين أطباقها البتة بوعد الله تعالى والكافر هو المعذب بين أطباقها تبين لك أن النار لا يصلاها أى يعذب بين أطباقها كما علمت تفسيره فى اللغة الا الكافر وهو الاشقى لان المؤمن العاصى لا يبلغ مبلغه فى الشقاء وان المؤمن الفائز وهو الاتقى بالنسبة الى المؤمن العاصى يجنب النار بالكلية لان وروده تحلة القسم لا يصل اليه مسها ولا ألمها وان المؤمن العاصى الذى ليس بالاتقى ولا بالاشقى لا يصلاها ولا يجنبها بالكلية لان وروده تحلة القسم بل يعذب فيها لا بالصلى فهذا أحسن ما حملت الآية عليه لكن انما ينزل على جادة السنة وأما الزمخشرى فينحرف عنها فلا جرم انه فى عهدة الجواب يفكر ويقدر والله أعلم

فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى وما يغنى عنه ماله اذا تردى ان علينا للهدى وان لنا للآخرة والاولى فأنذرتكم نارا تلظى لا يصلاها الا الأشقى الذى كذب وتولى

الله عليه وسلم والذكر والانثى وقرأ ابن مسعود والذى خلق الذكر والانثى وعن الكسائى وما خلق الذكر والانثى بالجر على أنه بدل من محل ما خلق بمعنى وما خلقه الله أى ومخلوق الله الذكر والانثى وجاز اضمار اسم الله لانه معلوم لانفراده بالخلق اذ لا خالق سواه وقيل ان الله لم يخلق خلقا من ذوى الارواح ليس بذكر ولا أنثى والخنثى وان أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الانوثة فلو حلف بالطلاق انه لم يلق يومه ذكرا ولا أنثى وقد لقى خنثى مشكلا كان حانثا لانه فى الحقيقة اما ذكر أو أنثى وان كان مشكلا عندنا شتى جمع شتيت أى ان مساعيكم أشتات مختلفة وبيان اختلافها فيما فصل على أثره (أعطى) يعنى حقوق ماله (واتقى) الله فلم يعصه (وصدق بالحسنى) بالخصلة الحسنى وهى الايمان أو بالملة الحسنى وهى ملة الاسلام أو بالمثوبة الحسنى وهى الجنة (فسنيسره لليسرى) فسنهيؤه لها من يسر الفرس للركوب اذا أسرجها وألجمها ومنه قوله عليه السلام كل ميسر لما خلق له والمعنى فسنلطف به ونوفقه حتى تكون الطاعة أيسر الامور عليه وأهونها من قوله فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام (واستغنى) وزهد فيما عند الله كأنه مستغن عنه فلم يتقه أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الجنة لانه فى مقابلة واتقى (فسنيسره للعسرى) فسنخذله ونمنعه الالطاف حتى تكون الطاعة أعسر شئ عليه وأشد من قوله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء أو سمى طريقة الخير باليسرى لان عاقبتها اليسر وطريقة الشر العسرى لان عاقبتها العسر أو أراد بهما طريقى الجنة والنار أى فسنهديهما فى الآخرة للطريقين وقيل نزلتا فى أبى بكر رضى الله عنه وفى أبى سفيان بن حرب (وما يغنى عنه) استفهام فى معنى الانكار أو نفى (تردى) تفعل من الردى وهو الهلاك يريد الموت أو تردى فى الحفرة اذا قبر أو تردى فى قعر جهنم (ان علينا للهدى) ان الارشاد الى الحق واجب علينا بنصب الدلائل وبيان الشرائع (وان لنا للآخرة والاولى) أى ثواب الدارين للمهتدى كقوله وآتيناه أجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين * وقرأ أبو الزبير تتلظى (فان قلت) كيف قال (لا يصلاها الا الاشقى * وسيجنبها الاتقى) وقد علم أن كل شقى يصلاها وكل تقى يجنبها لا يختص بالصلى أشقى الاشقياء ولا بالنجاة أتقى الاتقياء وان زعمت أنه نكر النار فأراد نارا بعينها مخصوصة بالاشقى فما تصنع

تصنع بقوله وسيجنبها الاتقى فقد علم أن أفسق المسلمين يجنب تلك النار المخصوصة لا الاتقى منهم خاصة (قلت) الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين وعظيم من المؤمنين فأريد أن يبالغ فى صفتيهما المتناقضتين فقيل الاشقى وجعل مختصا بالصلى كأن النار لم تخلق الا له وقيل الاتقى وجعل مختصا بالنجاة كأن الجنة لم تخلق الا له وقيل هما أبو جهل أو أمية بن خلف وأبو بكر رضى الله عنه (يتزكى) من الزكاء أى يطلب أن يكون عند الله زاكيا لا يريد به رياء ولا سمعة أو يتفعل من الزكاة (فان قلت) ما محل يتزكى (قلت) هو على وجهين ان جعلته بدلا من يؤتى فلا محل له لانه داخل فى حكم الصلة والصلات لا محل لها وان جعلته حالا من الضمير فى يؤتى فمحله النصب (ابتغاء وجه ربه) مستثنى من غير جنسه وهو النعمة أى ما لأحد عنده نعمة الا ابتغاء وجه ربه كقولك ما فى الدار أحد الا حمارا وقرأ يحيى بن وثاب الا ابتغاء وجه ربه بالرفع على لغة من يقول ما فى الدار أحد الا حمار وأنشد فى اللغتين قول بشر بن أبى حازم

أضحت خلاء قفار الأنيس بها * الا الجآذر والظلمان تختلف

وقول القائل

وبلدة ليس بها أنيس * الا اليعافير والا العيس

ويجوز أن يكون ابتغاء وجه ربه مفعولا له على المعنى لان معنى الكلام لا يؤتى ماله الا ابتغاء وجه ربه لا لمكافأة نعمة (ولسوف يرضى) موعد بالثواب الذى يرضيه ويقر عينه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والليل أعطاه الله حتى يرضى وعافاه من العسر ويسر له اليسر

(سورة والضحى مكية وهى احدى وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المراد بالضحى وقت الضحى وهو صدر النهار حتى ترتفع الشمس وتلقى شعاعها وقيل انما خص وقت الضحى بالقسم لانها الساعة التى كلم فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجدا لقوله وأن يحشر الناس ضحى وقيل أريد بالضحى النهار بيانه قوله أن يأتيهم بأسنا ضحى فى مقابلة بياتا (سجى) سكن وركد ظلامه وقيل ليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه سكون الناس والاصوات فيه وسجا البحر سكنت أمواجه وطرف ساج ساكن فاتر (ما ودعك) جواب القسم ومعناه ما قطعك قطع المودع وقرئ بالتخفيف يعنى ما تركك قال

وثم ودعنا آل عمرو وعامر * فرائس أطراف المثقفة السمر

والتوديع مبالغة فى الودع لان من ودعك مفارقا فقد بالغ فى تركك روى أن الوحى قد تأخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما فقال المشركون ان محمدا ودعه ربه وقلاه وقيل ان أم جميل امرأة أبى لهب قالت له يا محمد ما أرى شيطانك الا قد تركك فنزلت * حذف الضمير من قلى كحذفه من الذاكرات فى قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات يريد والذاكراته ونحوه فآوى فهدى فأغنى وهو اختصار لفظى لظهور المحذوف (فان قلت) كيف اتصل قوله (وللآخرة خير لك من الاولى) بما قبله (قلت) لما كان فى ضمن نفى التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحى اليك وانك حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ولا نعمة أجل منه أخبره أن حاله فى الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبق والتقدم على جميع أنبياء الله ورسله وشهادة أمته على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته وغير ذلك من الكرامات السنية (ولسوف يعطيك ربك فترضى) موعد شامل لما أعطاه فى الدنيا من الفلج والظفر باعدائه يوم بدر ويوم فتح مكة ودخول الناس فى الدين أفواجا والغلبة على قريظة والنضير واجلائهم وبث عساكره وسراياه فى بلاد العرب وما فتح على خلفائه الراشدين فى أقطار الارض من المدائن وهدم بأيديهم من ممالك الجبابرة وأنهبهم من كنوز الاكاسرة وما قذف فى قلوب أهل الشرق والغرب من الرعب وتهيب الاسلام وفشو الدعوة واستيلاء المسلمين ولما ادخره من الثواب الذى لا يعلم كنهه الا الله قال ابن عباس رضى الله عنهما له فى الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابه المسك (فان قلت) ما هذه اللام الداخلة على سوف (قلت) هى لام الابتداء المؤكدة لمضمون

وسيجنبها الاتقى الذى يؤتى ماله يتزكى وما لأحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى

(سورة والضحى مكية وهى احدى وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى

(القول فى سورة الضحى)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

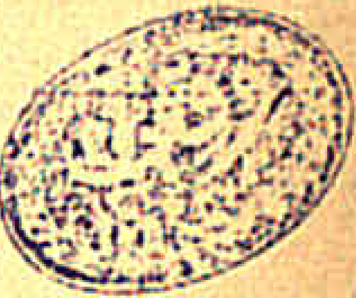
* قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى (قال ان قلت كيف اتصل بما قبله وأجاب بأنه لما كان فى ضمن التوديع والقلى أن الله مواصلك بالوحى اليك الخ) قال أحمد واخراج أهل الكبائر من النار بشفاعته مضاف الى ذلك * عاد كلامه (قال) ثم وعده بقوله ولسوف يعطيك ربك فترضى وعدا شاملا لجميع ما أعطاه فى الدنيا من الفتوحات والنصر وغير ذلك

الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك كما ذكرنا في لأقسم أن المعنى لأنا أقسم وذلك أنها لا تخلو من أن تكون لام قسم أو ابتداء فلام القسم لا تدخل على المضارع الا مع نون التأكيد فبقي أن تكون لام ابتداء ولام الابتداء لا تدخل الا على الجملة من المبتدا والخبر فلا بد من تقدير مبتدا وخبر وأن يكون أصله ولأنت سوف يعطيك (فان قلت) مامعنى الجمع بين حرفي التوكيد والتاخير (قلت) معناه أن العطاء كائن لا محالة وان تأخر لما في التأخير من المصلحة * عدد عليه نعمه وأياديه وأنه لم يخله منها من أول تربيته وابتداء نشئه ترشيحا لما أراد به ليقيس المترقب من فضل الله على ما سلف منه لئلا يتوقع الا الحسنى وزيادة الخير والكرامة ولا يضيق صدره ولا يقل صبره و (ألم يجدك) من الوجود الذي بمعنى العلم والمنصوبان مفعولا وجد والمعنى ألم تكن يتيما وذلك أن أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته ومن بدع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وأن المعنى ألم يجدك واحدا في قريش عديم النظير فآواك * وقرئ فأوى وهو على معنيين اما من أواه بمعنى آواه سمع بعض الرعاة يقول أين آوى هذه الموقسة واما من أوى له اذا رحمه (ضالا) معناه الضلال عن علم الشرائع وما طريقه السمع كقوله ما كنت تدري ما الكتاب وقيل ضل في صباه في بعض شعاب مكة فرده أبو جهل الى عبد المطلب وقيل أضلته حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبد المطلب وقيل ضل في طريق الشأم حين خرج به أبو طالب * فهداك فعرفك القرآن والشرائع أو فأزال ضلالك عن جدك وعمك ومن قال كان على أمر قومه أربعين سنة فان أراد أنه كان على خلوهم عن العلوم السمعية فنعم وأن أراد أنه كان على دينهم وكفرهم فمعاذ الله والانبياء يجب أن يكونوا معصومين قبل النبوة وبعدها من الكبائر والصغائر الشائنة فما بال الكفر والجهل بالصانع ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء وكفى بالنبي نقيصة عند الكفار أن يسبق له كفر (عائلا) فقيرا وقرئ عيلا كما قرئ سيحات وعديما (فأغنى) فأغناك بمال خديجة أو بما أفاء عليك من الغنائم قال عليه السلام جعل رزقي تحت ظل رمحي وقيل قنعك وأغنى قلبك (فلا تقهر) فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه وفي قراءة ابن مسعود فلا تكهر وهو أن يعبس في وجهه وفلان ذو كهرور وهو عابس الوجه ومنه الحديث فبأبي وأمي هو ما كهرني * النهر والنهم الزجر وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا رددت السائل ثلاثا فلم يرجع فلا عليك أن تزبره وقيل أما انه ليس بالسائل المستجدي ولكن طالب العلم اذا جاءك فلا تنهره * التحديث بنعمة الله شكرها واشاعتها يريد ما ذكره من نعمة الايواء والهداية والاغناء وما عدا ذلك وعن مجاهد بالقرآن فحدث أقرئه وبلغ ما أرسلت به وعن عبد الله بن غالب أنه كان اذا أصبح يقول رزقني الله البارحة خيرا قرأت كذا وصليت كذا فاذا قيل له يا أبا فراس مثلك يقول مثل هذا قال يقول الله تعالى وأما بنعمة ربك فحدث وأنتم تقولون لا تحدث بنعمة الله وانما يجوز مثل هذا اذا قصد به اللطف وأن يقتدى به غيره وأمن على نفسه الفتنة والستر أفضل ولو لم يكن فيه الا التشبه بأهل الرياء والسمعة لكفى به وفي قراءة علي رضي الله عنه فخبر والمعنى أنك كنت يتيما وضالا وعائلا فآواك الله وهداك وأغناك فمهما يكن من شيء وعلى ما خيلت فلا تنس نعمة الله عليك في هذه الثلاث واقتد بالله فتعطف على اليتيم وآوه فقد ذقت اليتم وهوانه ورأيت كيف فعل الله بك وترحم على السائل وتفقده بمعروفك ولا تزجره عن بابك كما رحمك ربك فأغناك بعد الفقر وحدث بنعمة الله كلها ويدخل تحته هدايته الضلال وتعليمه الشرائع والقرآن مقتديا بالله في أن هداه من الضلال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والضحى جعله الله فيمن يرضى لمحمد أن يشفع له وعشر حسنات يكتبها الله له بعدد كل يتيم وسائل

سورة ألم نشرح مكية وهي ثماني آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* استفهم عن انتفاء الشرح على وجه الانكار فأفاد اثبات الشرح وايجابه فكأنه قيل شرحنا لك صدرك



ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث

﴿سورة ألم نشرح مكية وهي ثماني آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ألم نشرح لك صدرك

ولذلك عطف عليه وضعنا اعتبارا للمعنى ومعنى شرحنا صدرك فسحناه حتى وسع هموم النبوة ودعوة الثقلين جميعا أو حتى احتمل المكاره التي يتعرض لك بها كفار قومك وغيرهم أو فسحناه بما أودعناه من العلوم والحكم وأزلنا عنه الضيق والحرج الذي يكون مع العمى والجهل وعن الحسن ملئ حكمة وعلما وعن أبي جعفر المنصور أنه قرأ ألم نشرح لك بفتح الحاء وقالوا لعله بين الحاء وأشبعها في مخرجها فظن السامع أنه فتحها * والوزر الذي أنقض ظهره أي حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك لثقله مثل لما كان يثقل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من جهله بالاحكام والشرائع أو من تهالكه على اسلام أولي العناد من قومه وتلهفه ووضعه عنه أن غفر له أو علم الشرائع أو مهد عذره بعد ما بلغ وبالغ وقرأ أنس وحللنا وحططنا وقرأ ابن مسعود وحللنا عنك وقرك * ورفع ذكره أن قرن بذكر الله في كلمة الشهادة والاذان والاقامة والتشهد والخطب وفي غير موضع من القرآن والله ورسوله أحق أن يرضوه ومن يطع الله ورسوله وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وفي تسميته رسول الله ونبي الله ومنه ذكره في كتب الاولين والاخذ على الانبياء وأممهم أن يؤمنوا به (فان قلت) أي فائدة في زيادة لك والمعنى مستقل بدونه (قلت) في زيادة لك ما في طريقة الابهام والايضاح كأنه قيل ألم نشرح لك ففهم أن ثم مشروحا ثم قيل صدرك فأوضح ما علم مبهما وكذلك لك ذكرك وعنك وزرك (فان قلت) كيف تعلق قوله (فان مع العسر يسرا) بما قبله (قلت) كان المشركون يعيرون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق الى وهمه أنهم رغبوا عن الاسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكره ما أنعم به عليه من جلائل النعم ثم قال فان مع العسر يسرا كأنه قال خولناك ما خولناك فلا تيأس من فضل الله فان مع العسر الذي أنتم فيه يسرا (فان قلت) ان مع للصحبة فما معنى اصطحاب اليسر والعسر (قلت) أراد أن الله يصيبهم بيسر بعد العسر الذي كانوا فيه بزمان قريب فقرب اليسر المترقب حتى جعله كالمقارن للعسر زيادة في التسلية وتقوية القلوب (فان قلت) ما معنى قول ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين وقد روي مرفوعا أنه خرج صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو يضحك ويقول لن يغلب عسر يسرين (قلت) هذا عمل على الظاهر وبناء على قوة الرجاء وأن موعد الله لا يحمل الا على أوفى ما يحتمله اللفظ وأبلغه والقول فيه أنه يحتمل أن تكون الجملة الثانية تكريرا للاولى كما كرر قوله ويل يومئذ للمكذبين لتقرير معناها في النفوس وتمكينها في القلوب وكما يكرر المفرد في قولك جاءني زيد زيد وأن تكون الاولى عدة بأن العسر مردوف بيسر لا محالة والثانية عدة مستأنفة بأن العسر متبوع بيسر فهما يسران على تقدير الاستئناف وانما كان العسر واحدا لأنه لا يخلو اما أن يكون تعريفه للعهد وهو العسر الذي كانوا فيه فهو هو لأن حكمه حكم زيد في قولك ان مع زيد مالا ان مع زيد مالا واما أن يكون للجنس الذي يعلمه كل أحد فهو هو أيضا وأما اليسر فمنكر متناول لبعض الجنس فاذا كان الكلام الثاني مستأنفا غير مكرر فقد تناول بعضا غير البعض الاول بغير اشكال (فان قلت) فما المراد باليسرين (قلت) يجوز أن يراد بهما ما تيسر لهم من الفتوح في أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تيسر لهم في أيام الخلفاء وأن يراد يسر الدنيا ويسر الآخرة كقوله تعالى قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين وهما حسنى الظفر وحسنى الثواب (فان قلت) فما معنى هذا التنكير (قلت) التفخيم كأنه قيل ان مع العسر يسرا عظيما وأي يسر وهو في مصحف ابن مسعود مرة واحدة (فان قلت) فاذا ثبت في قراءته غير مكرر فلم قال والذي نفسي بيده لو كان العسر في جحر لطلبه اليسر حتى يدخل عليه انه لن يغلب عسر يسرين (قلت) كأنه قصد باليسرين ما في قوله يسرا من معنى التفخيم فتأوله بيسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة (فان قلت) فكيف تعلق قوله (فاذا فرغت فانصب) بما قبله (قلت) لما عدد عليه نعمه السالفة ووعده الآنفة بعثه على الشكر والاجتهاد في العبادة والنصب فيها وأن يواصل بين بعضها وبعض ويتابع ويحرص على أن لا يخلي وقتا من أوقاته منها فاذا فرغ من عبادة ذنبها بأخرى وعن ابن عباس فاذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء وعن الحسن فاذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وعن مجاهد فاذا فرغت من دنياك فانصب في صلاتك

ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب

﴿القول في سورة ألم نشرح﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي أنقض ظهرك (قال فيه ان قلت ما فائدة لك مع أن الاضافة تغني عنها الخ) قال أحمد وقد تقدم عند الكلام على نظيرها في قوله قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري قريب من هذا المعنى والله أعلم

وعن الشعبي أنه رأى رجلا يشيل حجرا فقال ليس بهذا أمر الفارغ وقعود الرجل فارغا من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي وسخافة العقل واستيلاء الغفلة ولقد قال عمر رضي الله عنه اني لأكره أن أرى أحدكم فارغا سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة وقرأ أبو السمال فرغت بكسر الراء وليست بفصيحة ومن البدع ماروى عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أى فانصب عليا للامامة ولو صح هذا للرافضي لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمرا بالنصب الذى هو بغض علي وعداوته (والى ربك فارغب) واجعل رغبتك اليه خصوصا ولا تسأل الا فضله متوكلا عليه وقرئ فرغب أى رغب الناس الى طلب ماعنده عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني

﴿سورة والتين مكية وهي ثمان آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

* أقسم بهما لأنهما عجيبان من بين أصناف الاشجار المثمرة روى أنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم طبق من تين فأكل منه وقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه لان فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فانها تقطع البواسير وتنفع من النقرس ومر معاذ بن جبل بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيبا واستاك به وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول نعم السواك الزيتون من الشجرة المباركة يطيب الفم ويذهب بالحفرة وسمعته يقول هي سواكي وسواك الانبياء قبلي وعن ابن عباس رضي الله عنه هو تينكم هذا وزيتونكم وقيل جبلان من الارض المقدسة يقال لهما بالسريانية طور تينا وطور زيتا لانهما منبتا التين والزيتون وقيل التين جبال مابين حلوان وهمذان والزيتون جبال الشام لانهما منابتهما كأنه قيل ومنابت التين والزيتون * وأضيف الطور وهو الجبل الى سينين وهي البقعة ونحو سينون يبرون في جواز الاعراب بالواو والياء والاقرار على الياء وتحريك النون بحركات الاعراب * والبلد مكة حماها الله * والامين من أمن الرجل أمانة فهو أمين وقيل أمان كما قيل كرام في كريم وأمانته أنه يحفظ من دخله كما يحفظ الامين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه لانه مأمون الغوائل كما وصف بالامن في قوله تعالى حرما آمنا بمعنى ذى أمن ومعنى القسم بهذه الاشياء الابانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الانبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر ابراهيم ومولد عيسى ومنشؤه والطور المكان الذى نودى منه موسى ومكة مكان البيت الذى هو هدى للعالمين ومولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه (في أحسن تقويم) في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية لاعضائه * ثم كان عاقبة أمره حين لم يشكر نعمة تلك الخلقة الحسنة القويمة السوية أن رددناه أسفل من سفل خلقا وتركيبا يعنى أقبح من قبح صورة وأشوهه خلقة وهم أصحاب النار أو أسفل من سفل من أهل الدركات أو ثم رددناه بعد ذلك التقويم والتحسين أسفل من سفل في حسن الصورة والشكل حيث نكسناه في خلقه فقوس ظهره بعد اعتداله وابيض شعره بعد سواده وتشنن جلده وكان بضا وكل سمعه وبصره وكانا حديدين وتغير كل شئ منه فمشيه دليف وصوته خفات وقوته ضعف وشهامته خرف وقرأ عبد الله أسفل السافلين (فان قلت) فكيف الاستثناء على المذهبين (قلت) هو على الاول متصل ظاهر الاتصال وعلى الثاني منقطع يعنى ولكن الذين كانوا صالحين من الهرمى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على ابتلاء الله بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على تخاذل نهوضهم (فان قلت) (فما يكذبك) من المخاطب به (قلت) هو خطاب للانسان على طريقة الالتفات أى فما يجعلك كاذبا بسبب الدين وانكاره بعد هذا الدليل يعنى أنك تكذب اذا كذبت بالجزاء لان كل مكذب بالحق فهو كاذب فأى شئ يضطرك الى أن تكون كاذبا بسبب تكذيب الجزاء * والباء مثلها في قوله تعالى الذين يتولونه والذين هم به مشركون والمعنى أن خلق الانسان من نطفة وتقويمه بشرا سويا وتدريجه في مراتب الزيادة الى أن يكمل ويستوى ثم تنكيسه الى أن يبلغ أرذل العمر

والى ربك فارغب

﴿سورة والتين مكية وهي ثمان آيات﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون فما يكذبك بعد بالدين

(القول في سورة والتين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين (قال فيه) خلقناه في أحسن تعديل لشكله وصورته وتسوية أعضائه الخ

لاترى

لاترى دليلا أوضح منه على قدرة الخالق وأن من قدر من الانسان على هذا كله لم يعجز عن اعادته فما سبب تكذيبك أيها الانسان بالجزاء بعد هذا الدليل القاطع وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم (أليس الله بأحكم الحاكمين) وعيد للكفار وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قرأها قال بلى وأنا على ذلك من الشاهدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والتين أعطاه الله خصلتين العافية واليقين مادام في دار الدنيا واذا مات أعطاه الله من الأجر بعدد من قرأ هذه السورة

﴿سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

عن ابن عباس ومجاهد هي أول سورة نزلت وأكثر المفسرين على أن الفاتحة أول مانزل ثم سورة القلم * محل (باسم ربك) النصب على الحال أى اقرأ مفتتحا باسم ربك قل بسم الله ثم اقرأ (فان قلت) كيف قال (خلق) فلم يذكر له مفعولا ثم قال (خلق الانسان) (قلت) هو على وجهين اما أن لا يقدر له مفعول وأن يراد أنه الذى حصل منه الخلق واستأثر به لا خالق سواه واما أن يقدر ويراد خلق كل شئ فيتناول كل مخلوق لانه مطلق فليس بعض المخلوقات أولى بتقديره من بعض وقوله خلق الانسان تخصيص للانسان بالذكر من بين ما يتناوله الخلق لان التنزيل اليه وهو أشرف ما على الارض ويجوز أن يراد الذى خلق الانسان كما قال الرحمن علم القرآن خلق الانسان فقيل الذى خلق مبهما ثم فسره بقوله خلق الانسان تفخيما لخلق الانسان ودلالة على عجيب فطرته (فان قلت) لم قال (من علق) على الجمع وانما خلق من علقة كقوله من نطفة ثم من علقة (قلت) لان الانسان في معنى الجمع كقوله ان الانسان لفي خسر (الأكرم) الذى له الكمال في زيادة كرمه على كل كرم ينعم على عباده النعم التى لا تحصى ويحلم عنهم فلا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وجحودهم لنعمه وركوبهم المناهي واطراحهم الاوامر ويقبل توبتهم ويتجاوز عنهم بعد اقتراف العظائم فما لكرمه غاية ولا أمد وكأنه ليس وراء التكرم بافادة الفوائد العلمية تكرم حيث قال الأكرم (الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم) فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده مالم يعلموا ونقلهم من ظلمة الجهل الى نور العلم ونبه على فضل علم الكتابة لما فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها الا هو وما دونت العلوم ولا قيدت الحكم ولا ضبطت أخبار الاولين ومقالاتهم ولا كتب الله المنزلة الا بالكتابة ولولا هي لما استقامت أمور الدين والدنيا ولو لم يكن على دقيق حكمة الله ولطيف تدبيره دليل الا أمر القلم والخط لكفى به ولبعضهم في صفة القلم

وروا قم رقش كمثل أراقم * قطف الخطا نيالة أقصى المدى

سود القوائم ما يجد مسيرها * الا اذا لعبت بها بيض المدى

وقرأ ابن الزبير علم الخط بالقلم (كلا) ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وان لم يذكر لدلالة الكلام عليه (أن رآه) أن رأى نفسه يقال في أفعال القلوب رأيتني وعلمتني وذلك بعض خصائصها ومعنى الرؤية العلم ولو كانت بمعنى الابصار لامتنع في فعلها الجمع بين الضميرين و (استغنى) هو المفعول الثاني (ان الى ربك الرجعى) واقع على طريقة الالتفات الى الانسان تهديدا له وتحذيرا من عاقبة الطغيان والرجعى مصدر كالبشرى بمعنى الرجوع وقيل نزلت في أبي جهل وكذلك (أرأيت الذى ينهى) وروى أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال ان شئت فعلنا ذلك ثم ان لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء ابقاء عليهم وروى عنه لعنه الله أنه قال هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم قالوا نعم قال فوالذى يحلف به لئن رأيته توطأت عنقه فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا له مالك يا أبا الحكم فقال ان بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة فنزلت أرأيت الذى ينهى ومعناه أخبرني عمن ينهى بعض عباد الله عن صلاته ان كان ذلك الناهي على طريقة سديدة فيما ينهى عنه من عبادة الله أو كان آمرا بالمعروف والتقوى فيما

ليس الله بأحكم الحاكمين

(سورة العلق مكية وهي تسع عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان مالم يعلم كلا ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى ان الى ربك الرجعى أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى أرأيت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى أرأيت ان كذب وتولى

(القول في سورة اقرأ)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى (قال) الرؤية ههنا من رؤية القلب ودل على ذلك أنها لو كانت بمعنى الابصار لامتنع الخ

بأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقد وكذلك ان كان على التكذيب للحق والتولى عن الدين الصحيح كما تقول نحن (ألم يعلم بأن الله يرى) ويطلع على أحواله من هداه وضلاله فيجازيه على حسب ذلك وهذا وعيد (فان قلت) مامتعلق أرأيت (قلت) الذى ينهى مع الجملة الشرطية وهما فى موضع المفعولين (فان قلت) فأين جواب الشرط (قلت) هو محذوف تقديره ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى ألم يعلم بأن الله يرى وانما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى (فان قلت) فكيف صح أن يكون ألم يعلم جوابا للشرط (قلت) كما صح فى قولك ان أكرمتك أتكرمنى وان أحسن اليك زيد هل تحسن اليه (فان قلت) فما أرأيت الثانية وتوسطها بين مفعولى أرأيت (قلت) هى زائدة مكررة للتوكيد وعن الحسن أنه أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة (كلا) ردع لأبى جهل وخسوءله عن نهيه عن عبادة الله تعالى وأمره بعبادة اللات ثم قال (لئن لم ينته) عما هو فيه (لنسفعا بالناصية) لنأخذن بناصيته ولنسحبنه بها الى النار والسفع القبض على الشئ وجذبه بشدة قال عمرو بن معدى كرب

قوم اذا يقع الصريخ رأيتهم * من بين ملجم مهره أو سافع

وقرئ لنسفعن بالنون المشددة وقرأ ابن مسعود لأسفعا وكتبها فى المصحف بالالف على حكم الوقف ولما علم أنها ناصية المذكور اكتفى بلام العهد عن الاضافة (ناصية) بدل من الناصية وجاز بدلها عن المعرفة وهى نكرة لأنها وصفت فاستقلت بفائدة وقرئ ناصية على هى ناصية وناصية بالنصب وكلاهما على الشتم * ووصفها بالكذب والخطا على الاسناد المجازى وهما فى الحقيقة لصاحبها وفيه من الحسن والجزالة ماليس فى قولك ناصية كاذب خاطئ * والنادى المجلس الذى ينتدى فيه القوم أى يجتمعون والمراد أهل النادى كما قال جرير * لهم مجلس صهب السبال أذلة * وقال زهير * وفيهم مقامات حسان وجوههم * والمقامة المجلس روى أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فقال ألم أنهك فأغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أتهددنى وأنا أكثر أهل الوادى ناديا فنزلت * وقرأ ابن أبى عبلة سيدعى الزبانية على البناء للمفعول والزبانية فى كلام العرب الشرط الواحد زبنية كعفرية من الزبن وهو الدفع وقيل زبنى وكأنه نسب الى الزبن ثم غير للنسب كقولهم امسى وأصله زبانى فقيل زبانية على التعويض والمراد ملائكة العذاب وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عيانا (كلا) ردع لأبى جهل (لاتطعه) أى اثبت على ما أنت عليه من عصيانه كقوله فلا تطع المكذبين (واسجد) ودم على سجودك يريد الصلاة (واقترب) وتقرب الى ربك وفى الحديث أقرب ما يكون العبد الى ربه اذا سجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة العلق أعطى من الأجر كأنما قرأ المفصل كله

سورة القدر مختلف فيها وهى خمس آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* عظم القرآن من ثلاثة أوجه أحدها أن أسند انزاله اليه وجعله مختصا به دون غيره والثانى أنه جاء بضميره دون اسمه الظاهر شهادة له بالنباهة والاستغناء عن التنبيه عليه والثالث الرفع من مقدار الوقت الذى أنزل فيه روى انه أنزل جملة واحدة فى ليلة القدر من اللوح المحفوظ الى السماء الدنيا وأملاه جبريل على السفرة ثم كان ينزله على رسول الله صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة وعن الشعبى المعنى انا ابتدأنا انزاله فى ليلة القدر واختلفوا فى وقتها فأكثرهم على أنها فى شهر رمضان فى العشر الاواخر فى أوتارها وأكثر القول أنها السابعة منها ولعل الداعى الى اخفائها أن يحيى من يريدها الليالى الكثيرة طلبا لموافقتها فتكثر عبادته ويتضاعف ثوابه وأن لا يتكل الناس عند اظهارها على اصابة الفضل فيها فيفرطوا فى غيرها * ومعنى ليلة القدر ليلة تقدير الامور وقضائها من قوله تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم وقيل سميت بذلك لخطرها وشرفها على سائر الليالى (وما أدراك ما ليلة القدر) يعنى ولم تبلغ درايتك غاية فضلها ومنتهى علو قدرها * ثم بين له

ألم يعلم بأن الله يرى كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لاتطعه واسجد واقترب

(سورة القدر خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة

(القول فى سورة القدر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

انا أنزلناه فى ليلة القدر قال فيه عظم الله القرآن فيها من ثلاثة أوجه الاول انه أحال تنزيله اليه وجعله مختصا به الخ

ذلك بأنها خير من ألف شهر وسبب ارتقاء فضلها الى هذه الغاية ما يوجد فيها من المصالح الدينية التى ذكرها من تنزل الملائكة والروح وفصل كل أمر حكيم وذكر فى تخصيص هذه المدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فعجب المؤمنون من ذلك وتقاصرت اليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هى خير من مدة ذلك الغازى وقيل ان الرجل فيما مضى ما كان يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة ان أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد (تنزل) الى السماء الدنيا وقيل الى الارض (والروح) جبريل وقيل خلق من الملائكة لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة (من كل أمر) أى تتنزل من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة الى قابل وقرئ من كل امرئ أى من أجل كل انسان قيل لا يلقون مؤمنا ولا مؤمنة الا سلموا عليه فى تلك الليلة (سلام هى) ماهى الا سلامة أى لا يقدر الله فيها الا السلامة والخير ويقضى فى غيرها بلاء وسلامة أو ماهى الا سلام لكثرة ما يسلمون على المؤمنين * وقرئ مطلع بفتح اللام وكسرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القدر أعطى من الأجر كمن صام رمضان وأحيا ليلة القدر

سورة القيمة مكية وقيل مدنية وهى ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

* كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الاصنام يقولون قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبى الموعود الذى هو مكتوب فى التوراة والانجيل وهو محمد صلى الله عليه وسلم فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال وما تفرق الذين أوتوا الكتاب يعنى انهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر الا مجىء الرسول صلى الله عليه وسلم ونظيره فى الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقنى الله الغنى فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا فيقول واعظه لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر وما غمست رأسك فى الفسق الا بعد اليسار يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما * وانفكاك الشئ من الشئ أن يزايله بعد التحامه به كالعظم اذا انفك من مفصله والمعنى أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه الا عند مجىء البينة و(البينة) الحجة الواضحة و(رسول) بدل من البينة وفى قراءة عبد الله رسولا حالا من البينة (صحفا) قراطيس (مطهرة) من الباطل (فيها كتب) مكتوبات (قيمة) مستقيمة ناطقة بالحق والعدل * والمراد بتفرقهم تفرقهم عن الحق وانقشاعهم عنه أو تفرقهم فرقا فمنهم من آمن ومنهم من أنكر وقال ليس به ومنهم من عرف وعاند (فان قلت) لم جمع بين أهل الكتاب والمشركين أولا ثم أفرد أهل الكتاب فى قوله (وما تفرق الذين أوتوا الكتاب) (قلت) لأنهم كانوا على علم به لوجوده فى كتبهم فاذا وصفوا بالتفرق عنه كان من لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف (وما أمروا) يعنى فى التوراة والانجيل الا بالدين الحنيفى ولكنهم حرفوا وبدلوا (وذلك دين القيمة) أى دين الملة القيمة وقرئ وذلك الدين القيمة على تأويل الدين بالملة (فان قلت) ما وجه قوله وما أمروا الا ليعبدوا الله (قلت) معناه وما أمروا بما فى الكتابين الا لأجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة وقرأ ابن مسعود الا أن يعبدوا بمعنى بأن يعبدوا * قرأ نافع البريئة بالهمزة والقراء على التخفيف والنبى والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الاصل * وقرئ خيار البرية جمع خير كجياد وطياب فى جمع جيد وطيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساء ومقيلا

سورة الزلزلة مختلف فيها وهى تسع آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(زلزالها) قرئ بكسر الزاى وفتحها فالمكسور مصدر والمفتوح اسم وليس فى الابنية فعلال بالفتح الا فى المضاعف (فان قلت) ما معنى زلزالها بالاضافة (قلت) معناه زلزالها الذى تستوجبه فى الحكمة ومشيئة الله

والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر

(سورة القيمة مكية وهى ثمان آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه

(سورة الزلزلة تسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها

الآيات (قال فيه) كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأوثان يقولون قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم لا ننفك مما نحن عليه الخ

(القول فى سورة الزلزلة) (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (قال فيه ان قلت حسنات الكافر محبطة بالكفر الخ) قال أحمد السؤال مبنى على قاعدتين احداهما ان حسنات الكافر محبطة بالكفر وهذه فيها نظر فان حسنات الكافر محبطة أى لا يثاب عليها ولا ينعم واما تخفيف العذاب بسببها فغير منكر فقد وردت به الاحاديث الصحيحة وقد ورد ان حاتما يخفف الله عنه لكرمه ومعروفه وورد ذلك فى حق غيره كأبى طالب أيضا فحينئذ لحسنات الكافر

وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده ونحوه قولك أكرم التقى اكرامه وأهن الفاسق اهانته تريد ما يستوجبانه من الاكرام والاهانة أو زلزالها كله وجميع ما هو ممكن منه *الاثقال جمع ثقل وهو متاع البيت وتحمل أثقالكم جعل ما فى جوفها من الدفائن أثقالا لها (وقال الانسان مالها) زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما فى بطنها وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الامر الفظيع كما يقولون من بعثنا من مرقدنا وقيل هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث فأما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون (فان قلت) ما معنى تحديث الارض والايحاء لها (قلت) هو مجاز عن احداث الله تعالى فيها من الاحوال ما يقوم مقام التحديث باللسان حتى ينظر من يقول مالها الى تلك الاحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الاموات وأن هذا ما كانت الانبياء ينذرونه ويحذرون منه وقيل ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها (فان قلت) اذا ويومئذ ما ناصبهما (قلت) يومئذ بدل من اذا وناصبهما تحدث ويجوز أن ينتصب اذا بمضمر ويومئذ بتحدث (فان قلت) أين مفعولا تحدث (قلت) قد حذف أولهما والثانى أخبارها وأصله تحدث الخلق أخبارها الا أن المقصود ذكر تحديثها الاخبار لا ذكر الخلق تعظيما لليوم (فان قلت) بم تعلقت الباء فى قوله (بأن ربك) (قلت) بتحدث معناه تحدث أخبارها بسبب ايحاء ربك لها وأمره اياها بالتحديث ويجوز أن يكون المعنى يومئذ تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها كما تقول نصحتنى كل نصيحة بأن نصحتنى فى الدين ويجوز أن يكون بأن ربك بدلا من أخبارها كأنه قيل يومئذ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها لانك تقول حدثته كذا وحدثته بكذا وأوحى لها بمعنى أوحى اليها وهو مجاز كقوله أن نقول له كن فيكون قال

أوحى لها القرار فاستقرت وقرأ ابن مسعود تنبئ أخبارها وسعيد بن جبير تنبئ بالتخفيف *يصدرون عن مخارجهم من القبور الى الموقف (أشتاتا) بيض الوجوه آمنين وسود الوجوه فزعين أو يصدرون عن الموقف أشتاتا يتفرق بهم طريقا الجنة والنار *ليروا جزاء أعمالهم وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم ليروا بالفتح *وقرأ ابن عباس وزيد بن على يره بالضم ويحكى أن اعرابيا أخر خيرا يره فقيل له قدمت وأخرت فقال

خذا بطن هرشى أو قفاها فانه * كلا جانبى هرشى لهن طريق

*والذرة النملة الصغيرة وقيل الذر ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء (فان قلت) حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيآت المؤمن معفوة باجتناب الكبائر فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر (قلت) المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا من فريق السعداء ومن يعمل مثقال ذرة شرا من فريق الاشقياء لانه جاء بعد قوله يصدر الناس أشتاتا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله

سورة والعاديات مختلف فيها وهى احدى عشرة آية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح *والضبح صوت أنفاسها اذا عدون وعن ابن عباس انه حكاه فقال أح أح

أثر ما فى تخفيف العذاب فيمكن أن يكون المرئى هو ذلك الاثر والله أعلم وأما القاعدة الثانية وهى القول بأن اجتناب الكبائر يوجب تمحيص الصغائر وتكفيرها عن المؤمن فمردود عند أهل السنة فان الصغائر عندهم حكمها فى التكفير حكم الكبائر تكفر باحد أمرين اما بالتوبة النصوح المقبولة واما بالمشيئة لا غير ذلك واما اجتناب الكبيرة عندهم فلا يوجب التكفير للصغيرة فالسؤال المذكور اذا ساقط عن أهل السنة ولكن الزمخشرى التزم الجواب عنه للزومه على قاعدته الفاسدة والله الموفق

وقال الانسان مالها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره

(سورة والعاديات وهى احدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والعاديات ضبحا

(القول فى سورة والعاديات) (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله تعالى والعاديات ضبحا الآية (قال أقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح والضبح صوت أنفاسها الخ) قال أحمد ولم يذكر حكمة الاتيان بالفعل معطوفا على الاسم فنقول انما عطف أثرن على الاسم الذى هو العاديات وما بعده لانها أسماء فاعلين تعطى معنى الفعل وحكمة مجئ هذا المعطوف فعلا عن اسم فاعل تصوير هذه الافعال فى النفس فان التصوير

قال عنترة

والخيل تكدح حين تضـ * ـبح فى حياض الموت ضبحا

وانتصاب ضبحا على يضبحن ضبحا أو بالعاديات كأنه قيل والضابحات لان الضبح يكون مع العدو أو على الحال أى ضابحات (فالموريات) تورى نار الحباحب وهى ما ينقدح من حوافرها (قدحا) قادحات صاكات بحوافرها الحجارة والقدح الصك والايراء اخراج النار تقول قدح فأورى وقدح فأصلد وانتصب قدحا بما انتصب به ضبحا (فالمغيرات) تغير على العدو (صبحا) فى وقت الصبح (فأثرن به نقعا) فهيجن بذلك الوقت غبارا (فوسطن به) بذلك الوقت أو بالنقع اى وسطن النقع الجمع أو فوسطن ملتبسات به (جمعا) من جموع الاعداء ووسطه بمعنى توسطه وقيل الضمير لمكان الغارة وقيل للعدو الذى دل عليه والعاديات ويجوز أن يراد بالنقع الصياح من قوله عليه السلام ما لم يكن نقع ولا لقلقة وقول لبيد فتى ينقع صراخ صادق أى فهيجن فى المغار عليهم صياحا وجلبة وقرأ أبو حيوة فأثرن بالتشديد بمعنى فأظهرن به غبارا لان التأثير فيه معنى الاظهار أو قلب ثورن الى وثرن وقلب الواو همزة وقرئ فوسطن بالتشديد للتعدية والباء مزيدة للتوكيد كقوله وأتوا به وهى مبالغة فى وسطن وعن ابن عباس كنت جالسا فى الحجر فجاء رجل فسألنى عن العاديات ضبحا ففسرتها بالخيل فذهب الى على وهو تحت سقاية زمزم فسأله وذكر له ما قلت فقال ادعه لى فلما وقفت على رأسه قال تفتى الناس بما لا علم لك به والله ان كانت لأول غزوة فى الاسلام بدر وما كان معنا الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد العاديات ضبحا الابل من عرفة الى المزدلفة ومن المزدلفة الى منى فان صحت الرواية فقد استعير الضبح للابل كما استعير المشافر والحافر للانسان والشفتان للمهر والنفر للثورة وما أشبه ذلك وقيل الضبح لا يكون الا للفرس والكلب والثعلب وقيل الضبح بمعنى الضبع يقال ضبحت الابل وضبعت اذا مدت أضباعها فى السير وليس بثبت وجمع هو المزدلفة (فان قلت) علام عطف فأثرن (قلت) على الفعل الذى وضع اسم الفاعل موضعه لان المعنى واللاتى عدون فأورين فأغرن فأثرن *الكنود الكفور وكند النعمة كنودا ومنه سمى كندة لانه كند أباه ففارقه وعن الكلبى الكنود بلسان كندة العاصى وبلسان بنى مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور يعنى أنه لنعمة ربه خصوصا لشديد الكفران لان تفريطه فى شكر نعمة غير الله تفريط قريب لمقاربة النعمة لان أجل ما أنعم به على الانسان من مثله نعمة أبويه ثم ان عظماها فى جنب أدنى نعمة الله قليلة ضئيلة (وانه) وان الانسان (على ذلك) على كنوده (لشهيد) يشهد على نفسه ولا يقدر أن يجحده لظهور أمره وقيل وان الله على كنوده لشاهد على سبيل الوعيد (الخير) المال من قوله تعالى ان ترك خيرا والشديد البخيل الممسك يقال فلان شديد ومتشدد قال طرفة

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى * عقيلة مال الفاحش المتشدد

يعنى وانه لأجل حب المال وأن انفاقه يثقل عليه لبخيل ممسك أو أراد بالشديد القوى وانه لحب المال وايثار الدنيا وطلبها قوى مطيق وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس تقول هو شديد لهذا الامر وقوى له اذا كان مطيقا له ضابطا أو أراد انه لحب الخيرات غير هش منبسط ولكنه شديد منقبض (بعثر) بعث وقرئ بحثر وبحث وبعثر وحصل على بنائهما للفاعل وحصل بالتخفيف ومعنى حصل جمع فى الصحف أى أظهر محصلا مجموعا وقيل ميز بين خيره وشره ومنه قيل للمنخل المحصل ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير أعمالهم لان ذلك أثر خبره بهم وقرأ أبو السمال ان ربهم بهم يومئذ خبير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعاديات أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزدلفة وشهد جمعا

سورة القارعة مكية وهى عشر آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*الظرف نصب بمضمر دلت عليه القارعة أى تقرع (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث) شبههم بالفراش فى الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير الى الداعى من كل جانب كما يتطاير الفراش الى النار قال جرير

فالموريات قدحا فالمغيرات صبحا فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا ان الانسان لربه لكنود وانه على ذلك لشهيد وانه لحب الخير لشديد أفلا يعلم اذا بعثر ما فى القبور وحصل ما فى الصدور ان ربهم بهم يومئذ لخبير

(سورة القارعة مكية وهى عشر آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث

يحصل بايراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف وهو ابلغ من التصوير بالاسماء المتناسقة وكذلك التصوير بالمضارع بعد الماضى وقد تقدمت له شواهد أقربها قول ابن معديكرب

بأنى قد لقيت الغول تهوى * بسهب كالصحيفة صحصحان
فأضربها بلا دهش فخرت * صريعا لليدين وللجران

(القول فى سورة القارعة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث (قال فيه) شبههم حينئذ بالفراش لكثرتهم وانتشارهم الخ

ان الفرزدق ما علمت وقومه * مثل الفراش غشين نار المصطلى

رفى أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل وسمى فراشا لتفرشه وانتشاره وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ ألوانا لانها ألوان وبالمنفوش منه لتفرق أجزائها وقرأ ابن مسعود كالصوف * الموازين جمع موزون وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها ومنه حديث أبى بكر لعمر رضى الله عنهما فى وصيته له وانما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقلها فى الدنيا وحق لميزان لا توضع فيه الا الحسنات أن يثقل وانما خفت موازين من خفت موازينه لاتباعهم الباطل وخفتها فى الدنيا وحق لميزان لا توضع فيه الا السيآت أن يخف (فأمه هاوية) من قولهم اذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لانه اذا هوى أى سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلا وحزنا قال

هوت أمه ما يبعث الصبح غاديا * وماذا يرد الليل حين يؤوب

فكأنه قيل وأما من خفت موازينه فقد هلك وقيل هاوية من أسماء النار وكأنها النار العميقة لهوى أهل النار فيها مهوى بعيدا كما روى يهوى فيها سبعين خريفا أى فمأواه النار وقيل للمأوى أم على التشبيه لان الأم مأوى الولد ومفزعه وعن قتادة فأمه هاوية أى فأم رأسه هاوية فى قعر جهنم لانه يطرح فيها منكوسا (هيه) ضمير الداهية التى دل عليها قوله فأمه هاوية فى التفسير الاول أو ضميرها وية والهاء للسكت واذا وصل القارئ حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الادراج لانها ثابتة فى المصحف وقد أجيز اثباتها مع الوصل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة

سورة التكاثر مكية وهى ثمانى آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* ألهاه عن كذا وأقهاه اذا شغله و (التكاثر) التبارى فى الكثرة والتباهى بها وأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر روى أن بنى عبد مناف وبنى سهم تفاخروا أيهم أكثر عددا فكثرهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم ان البغى أهلكنا فى الجاهلية فعادونا بالاحياء والاموات فكثرتهم بنو سهم والمعنى أنكم تكاثرتم بالاحياء حتى اذا استوعبتم عددهم صرتم الى المقابر فتكاثرتم بالاموات * عبر عن بلوغهم ذكر الموتى بزيارة المقابر تهكما بهم وقيل كانوا يزورون المقابر فيقولون هذا قبر فلان وهذا قبر فلان عند تفاخرهم والمعنى ألهاكم ذلك وهو مما لا يعنيكم ولا يجدى عليكم فى دنياكم وآخرتكم عما يعنيكم من أمر الدين الذى هو أهم وأعنى من كل مهم أو أراد ألهاكم التكاثر بالاموال والاولاد الى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم فى طلب الدنيا والاستباق اليها والتهالك عليها الى أن أتاكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعى لعاقبتكم والعمل لآخرتكم وزيارة القبور عبارة عن الموت قال

لن يخلص العام خليل عشرا * ذاق الضماد أو يزور القبرا

وقال

زار القبور أبو مالك * فأصبح ألأم زوارها

وقرأ ابن عباس أألهاكم على الاستفهام الذى معناه التقرير (كلا) ردع وتنبيه على أنه لا ينبغى للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه (سوف تعلمون) انذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم * والتكرير تأكيد للردع والانذار عليهم و (ثم) دلالة على أن الانذار الثانى أبلغ من الاول وأشد كما تقول للمنصوح أقول لك ثم أقول لك لا تفعل والمعنى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه اذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وأن هذا التنبيه نصيحة لكم ورحمة عليكم * ثم كرر التنبيه أيضا وقال (لو تعلمون) محذوف الجواب يعنى لو تعلمون ما بين أيديكم علم الامر اليقين أى كعلمكم ما تستيقنونه من الامور التى وكلتم بعلمها هممكم لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة ثم قال (لترون الجحيم) فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به وقد مر ما فى ايضاح الشئ بعد ابهامه من تفخيمه وتعظيمه وهو جواب قسم محذوف والقسم لتوكيد الوعيد وأن ما أوعدوا

وتكون الجبال كالعهن المنفوش فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمه هاوية وما أدراك ماهيه نار حامية

(سورة التكاثر مكية وهى ثمانى آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون

قوله تعالى فأمه هاوية (قال فيه اذا دعوا على الرجل بالهلكة قالوا هوت امه الخ) قال احمد والاول أظهر لانه مثل معروف كقولهم لامه الهبل

(القول فى سورة التكاثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا لو تعلمون (ذكر) فيه مبالغة من وجوه يجمعها ستة أوجه الاول انه كرر الانذار الخ

به مما لا مدخل فيه للريب وكرره معطوفا بثم تغليظا فى التهديد وزيادة فى التهويل وقرئ لترؤن بالهمز وهى مستكرهة (فان قلت) لم استكرهت والواو المضمومة قلبها همزة قياس مطرد (قلت) ذاك فى الواو التى ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين * وقرئ لترون ولترونها على البناء للمفعول (عين اليقين) أى الرؤية التى هى نفس اليقين وخالصته ويجوز أن يراد بالرؤية العلم والابصار (عن النعيم) عن اللهو والتنعم الذى شغلكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه (فان قلت) ما النعيم الذى يسئل عنه الانسان ويعاتب عليه فما من أحد الا وله نعيم (قلت) هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش الا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرب لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما فأما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التى لم يخلقها الا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضا بالشكر فهو من ذلك بمعزل واليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى أنه أكل هو وأصحابه تمرا وشربوا عليه ماء فقال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ ألهاكم التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذى أنعم به عليه فى دار الدنيا وأعطى من الاجر كأنما قرأ ألف آية

سورة والعصر مكية وهى ثلاث آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* أقسم بصلاة العصر لفضلها بدليل قوله تعالى والصلاة الوسطى صلاة العصر فى مصحف حفصة وقوله عليه الصلاة والسلام من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله ولأن التكليف فى أدائها أشق لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم أو أقسم بالعشى كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعا من دلائل القدرة أو أقسم بالزمان لما فى مروره من أصناف العجائب * والانسان للجنس * والخسر الخسران كما قيل الكفر فى الكفران والمعنى أن الناس فى خسران من تجاراتهم الا الصالحين وحدهم لانهم اشتروا الآخرة بالدنيا فربحوا وسعدوا ومن عداهم تجروا خلاف تجارتهم فوقعوا فى الخسارة والشقاوة (وتواصوا بالحق) بالامر الثابت الذى لا يسوغ انكاره وهو الخير كله من توحيد الله وطاعته واتباع كتبه ورسله والزهد فى الدنيا والرغبة فى الآخرة (وتواصوا بالصبر) عن المعاصى وعلى الطاعات وعلى ما يبلو الله به عباده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة والعصر غفر الله له وكان ممن تواصى بالحق وتواصى بالصبر

سورة الهمزة مكية وهى تسع آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* الهمز الكسر كالهزم واللمز الطعن يقال لمزه ولهزه طعنه والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم وبناء فعلة يدل على أن ذلك عادة منه قد ضرى بها ونحوهما اللعنة والضحكة قال

وان أغيب فأنت الهامز اللمزه

* وقرئ ويل للهمزة اللمزة وقرئ ويل لكل همزة لمزة بسكون الميم وهو المسخرة الذى يأتى بالأوابد والاضاحيك فيضحك منه ويشتم وقيل نزلت فى الأخنس بن شريق وكانت عادته الغيبة والوقيعة وقيل فى أمية بن خلف وقيل فى الوليد بن المغيرة واغتيابه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وغضه منه ويجوز أن يكون السبب خاصا والوعيد عاما ليتناول كل من باشر ذلك القبيح وليكون جاريا مجرى التعريض بالوارد فيه فان ذلك أزجر له وأنكى فيه (الذى) بدل من كل أو نصب على الذم * وقرئ جمع بالتشديد وهو مطابق لعدده وقيل عدده جعله عدة لحوادث الدهر * وقرئ وعدده أى جمع المال وضبط عدده وأحصاه أو جمع ماله وقومه الذين ينصرونه من قولك فلان ذو عدد وعدد اذا كان له عدد وافر من الانصار وما يصلحهم وقيل وعدده معناه وعدده على فك الادغام نحو ضننوا (أخلده) وخلده بمعنى أى طول المال أمله ومناه الأمانى البعيدة حتى أصبح لفرط غفلته وطول أمله يحسب أن المال تركه خالدا فى الدنيا لا يموت أو يعمل من

علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم

(سورة والعصر مكية وهى ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والعصر إن الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر

(سورة الهمزة مكية وهى تسع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده يحسب أن ماله أخلده

(القول فى سورة الهمزة)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة (قال المراد بالهمزة المكثر من الطعن على الناس والقدح فيهم الخ) قال أحمد وما أحسن مقابلة الهمزة اللمزة بالحطمة فانه لما وسمه بهذه السمة بصيغة أرشدت الى أنها راسخة فيه ومتمكنة منه اتبع المبالغة بوعيده بالنار التى سماها بالحطمة لما يلقى فيها وسلك فى تعينها صيغة مبالغة على وزن الصيغة التى ضمنها الذنب حتى يحصل

تشييد البنيان الموثق بالصخر والآجر وغرس الاشجار وعمارة الارض عمل من يظن أن ماله أبقاه حيا أوهو تعريض بالعمل الصالح وأنه هو الذى أخلد صاحبه فى النعيم فأما المال فما أخلد أحدا فيه وروى أنه كان للاخنس أربعة آلاف دينار وقيل عشرة آلاف وعن الحسن انه عاد موسرا فقال ما تقول فى ألوف لم أفتد بها من لئيم ولا تفضلت على كريم قال ولكن لماذا قال لنبوة الزمان وجفوة السلطان ونوائب الدهر ومخافة الفقر قال اذن تدعه لمن لا يحمدك وترد على من لا يعذرك (كلا) ردع له عن حسبانه * وقرئ لينبذان أى هو وماله ولينبذن بضم الذال أى هو وأنصاره ولينبذنه (فى الحطمة) فى النار التى من شأنها أن تحطم كل ما يلقى فيها ويقال للرجل الأكول انه لحطمة وقرئ الحاطمة * يعنى أنها تدخل فى أجوافهم حتى تصل الى صدورهم وتطلع على أفئدتهم وهى أوساط القلوب ولا شئ فى بدن الانسان ألطف من الفؤاد ولا أشد تألما منه بأدنى أذى يمسه فكيف اذا اطلعت عليه نار جهنم واستولت عليه ويجوز أن يخص الافئدة لانها مواطن الكفر والعقائد الفاسدة والنيات الخبيثة ومعنى اطلاع النار عليها أنها تعلوها وتغلبها وتشتمل عليها أو تطالع على سبيل المجاز معادن موجبها (مؤصدة) مطبقة قال

تحن الى أجبال مكة ناقتى * ومن دونها أبواب صنعاء مؤصده

* وقرئ فى عمد بضمتين وعمد بسكون الميم وعمد بفتحتين والمعنى أنه يؤكد يأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد فتؤصد عليهم الابواب وتمدد على الابواب العمد استيثاقا فى استيثاق ويجوز أن يكون المعنى انها عليهم مؤصدة موثقين فى عمد ممددة مثل المقاطر التى تقطر فيها اللصوص اللهم أجرنا من النار ياخير مستجار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الهمزة أعطاه الله عشر حسنات بعدد من استهزأ بمحمد وأصحابه

سورة الفيل مكية وهى خمس آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

* روى أن أبرهة بن الصباح الاشرم ملك اليمن من قبل أصحمة النجاشى بنى كنيسة بصنعاء وسماها القليس وأراد أن يصرف اليها الحاج فخرج رجل من كنانة فقعد فيها ليلا فأغضبه ذلك وقيل أججت رفقة من العرب نارا فحملتها الريح فأحرقتها فحلف ليهدمن الكعبة فخرج بالحبشة ومعه فيل له اسمه محمود وكان قويا عظيما واثنا عشر فيلا غيره وقيل ثمانية وقيل كان معه ألف فيل وكان وحده فلما بلغ المغمس خرج اليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى وعبأ جيشه وقدم الفيل فكانوا كلما وجهوه الى الحرم برك ولم يبرح واذا وجهوه الى اليمن أو الى غيره من الجهات هرول فأرسل الله طيرا سودا وقيل خضرا وقيل بيضا مع كل طائر حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه رأى منها عند أم هانئ نحو قفيز مخططة بحمرة كالجزع الظفارى فكان الحجر يقع على رأس الرجل فيخرج من دبره وعلى كل حجر اسم من يقع عليه ففروا فهلكوا فى كل طريق ومنهل ودوى أبرهة فتساقطت أنامله وآرابه وما مات حتى انصدع صدره عن قلبه وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يحلق فوقه حتى بلغ النجاشى فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتا بين يديه وقيل كان أبرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) بأربعين سنة وقيل بثلاث وعشرين سنة وعن عائشة رضى الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان وفيه أن أبرهة أخذ لعبد المطلب مائتى بعير فخرج اليه فيها فجهره وكان رجلا جسيما وسيما وقيل هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فلما ذكر حاجته قال سقطت من عينى جئت لأهدم البيت الذى هو دينك ودين آبائك وعصمتكم وشرفكم فى قديم الدهر فألهاك عنه ذود أخذ لك فقال أنا رب الابل وللبيت رب سيمنعه ثم رجع وأتى باب البيت فأخذ بحلقته وهو يقول

لاهم ان المرء يمنع أهله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك

كلا لينبذن فى الحطمة وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة فى عمد ممددة

(سورة الفيل مكية وهى خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

التعادل بين الذنب والجزاء فهذا الذى ضرى بالذنب جزاؤه هذه الحطمة التى هى ضارية بحطم كل ما يلقى اليها * عاد كلامه (قال) وخص الافئدة لانها ألطف ما فى الانسان والالم عليها أشد منه الخ

(١) قوله بأربعين سنة هكذا وجد ولعله متعلق بمحذوف يعلم من المقام فتأمل كتبه مصححه

ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك * يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا فالتفت وهو يدعو فاذا هو بطير من نحو اليمن فقال والله انها لطير غريبة ما هى بنجدية ولا تهامية وفيه أن أهل مكة قد احتووا على أموالهم وجمع عبد المطلب من جواهرهم وذهبهم الجور وكان سبب يساره وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أنه سئل عن الطير فقال حمام مكة منها وقيل جاءت عشية ثم صبحتهم وعن عكرمة من أصابته جدرته وهو أول جدرى ظهر * قرئ ألم تر بسكون الراء للجد فى اظهار أثر الجازم والمعنى انك رأيت آثار فعل الله بالحبشة وسمعت الأخبار به متواترة فقامت لك مقام المشاهدة و(كيف) فى موضع نصب بفعل ربك لا بألم تر لما فى كيف من معنى الاستفهام (فى تضليل) فى تضييع وابطال يقال ضلل كيده اذا جعله ضالا ضائعا ومنه قوله تعالى وما كيد الكافرين الا فى ضلال وقيل لامرئ القيس الملك الضليل لانه ضلل ملك أبيه أى ضيعه يعنى أنهم كادوا البيت أولا ببناء القليس وأرادوا أن ينسخوا أمره بصرف وجوه الحاج اليه فضلل كيدهم بايقاع الحريق فيه وكادوه ثانيا بارادة هدمه فضلل بارسال الطير عليهم (أبابيل) حزائق الواحدة ابالة وفى أمثالهم ضغث على ابالة وهى الحزمة الكبيرة شبهت الحزقة من الطير فى تضامها بالابالة وقيل أبابيل مثل عبابيد وشماطيط لا واحد لها وقرأ أبو حنيفة رحمه الله يرميهم أى الله تعالى أو الطير لانه اسم جمع مذكر وانما يؤنث على المعنى * وسجيل كأنه علم للديوان الذى كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم لديوان أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الاسجال وهو الارسال لان العذاب موصوف بذلك وأرسل عليهم طيرا فأرسلنا عليهم الطوفان وعن ابن عباس رضى الله عنهما من طين مطبوخ كما يطبخ الآجر وقيل هو معرب من سنككل وقيل من شديد عذابه ورووا بيت ابن مقبل * ضربا تواصت به الابطال سجيلا * وانما هو سجينا والقصيدة نونية مشهورة فى ديوانه وشبهوا بورق الزرع اذا أكل أى وقع فيه الاكال وهو أن يأكله الدود أو بتبن أكلته الدواب وراثته ولكنه جاء على ما عليه آداب القرآن كقوله كانا يأكلان الطعام أو أريد أكل حبه فبقى صفرا منه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفيل أعفاه الله أيام حياته من الخسف والمسخ

سورة قريش مكية وهى أربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

(لايلاف قريش) متعلق بقوله (فليعبدوا) أمرهم أن يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين (فان قلت) فلم دخلت الفاء (قلت) لما فى الكلام من معنى الشرط لان المعنى اما لا فليعبدوه لايلافهم على معنى أن نعم الله عليهم لا تحصى فان لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه الواحدة التى هى نعمة ظاهرة وقيل المعنى عجبوا لايلاف قريش وقيل هو متعلق بما قبله أى فجعلهم كعصف مأكول لايلاف قريش وهذا بمنزلة التضمين فى الشعر وهو أن يتعلق معنى البيت بالذى قبله تعلقا لا يصح الا به وهما فى مصحف أبى سورة واحدة بلا فصل وعن عمر أنه قرأهما فى الثانية من صلاة المغرب وقرأ فى الاولى والتين والمعنى أنه أهلك الحبشة الذين قصدوهم ليتسامع الناس بذلك فيتهيبوهم زيادة تهيب ويحترموهم فضل احترام حتى ينتظم لهم الامن فى رحلتيهم فلا يجترئ أحد عليهم وكانت لقريش رحلتان يرحلون فى الشتاء الى اليمن وفى الصيف الى الشأم فيمتارون ويتجرون وكانوا فى رحلتيهم آمنين لانهم أهل حرم الله وولاة بيته فلا يتعرض لهم والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم والايلاف من قولك آلفت المكان أولفه ايلافا اذا ألفته فأنا مؤلف قال

من المؤلفات الزهو غير الاوارك وقرئ لئلاف قريش أى لمؤالفة قريش وقيل يقال ألفته إلفا وإلافا وقرأ أبو جعفر لالف قريش وقد جمعهما من قال

زعمتم أن اخوتكم قريش * لهم إلف وليس لكم إلاف

وقرأ عكرمة ليألف قريش الفهم رحلة الشتاء والصيف وقريش ولد النضر بن كنانة سموا بتصغير القرش

قوله بحرية فى أبى السعود بنجدية وهو الموافق كتبه مصححه

ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول

(سورة قريش مكية وهى أربع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

لايلاف قريش

(القول فى سورة الفيل)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل (قال معناه فى ضياع وسمى امرؤ القيس الملك الضليل الخ

القول فى سورة قريش)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى لايلاف قريش (قال) فيه اللام متعلقة بقوله فليعبدوا أمرهم أن يعبدوه لاجل ايلافهم الرحلتين فان قلت لم دخلت الفاء الخ

وهو دابة عظيمة فى البحر تعبث بالسفن ولا تطاق الا بالنار وعن معاوية أنه سأل ابن عباس رضى الله عنهما بم سميت قريش قال بدابة فى البحر تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى وأنشد

وقريش هى التى تسكن البحر * بها سميت قريش قريشا

والتصغير للتعظيم وقيل من القرش وهو الكسب لانهم كانوا كسابين بتجاراتهم وضربهم فى البلاد * أطلق الايلاف ثم أبدل عنه المقيد بالرحلتين تفخيما لامر الايلاف وتذكيرا بعظيم النعمة فيه ونصب الرحلة بايلافهم مفعولا به كما نصب يتيما باطعام * وأراد رحلتى الشتاء والصيف فأفرد لأمن الالباس كقوله كلوا فى بعض بطنكم وقرئ رحلة بالضم وهى الجهة التى يرحل اليها * والتنكير فى جوع وخوف لشدتهما يعنى أطعمهم بالرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما وآمنهم من خوف عظيم وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف فى بلدهم ومسايرهم وقيل كانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الجيف والعظام المحرقة وآمنهم من خوف الجذام فلا يصيبهم ببلدهم وقيل ذلك كله بدعاء ابراهيم صلوات الله عليه ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من أن تكون الخلافة فى غيرهم وقرئ من خوف باخفاء النون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة لايلاف قريش أعطاه الله عشر حسنات بعدد من طاف بالكعبة واعتكف بها

سورة أرأيت مكية وقيل مدنية وهى سبع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

* قرئ أريت بحذف الهمزة وليس بالاختيار لان حذفها مختص بالمضارع ولم يصح عن العرب ريت ولكن الذى سهل من أمرها وقوع حرف الاستفهام فى أول الكلام ونحوه

صاح هل ريت أو سمعت براع * رد فى الضرع ما قرى فى العلاب

وقرأ ابن مسعود أرأيتك بزيادة حرف الخطاب كقوله أرأيتك هذا الذى كرمت على والمعنى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء من هو ان لم تعرفه (فذلك الذى) يكذب بالجزاء هو الذى (يدع اليتيم) أى يدفعه دفعا عنيفا بجفوة وأذى ويرده ردا قبيحا بزجر وخشونة وقرئ يدع أى يتركه ويجفو (ولا يحض) ولا يبعث أهله على بذل طعام المسكين جعل علم التكذيب بالجزاء منع المعروف والاقدام على ايذاء الضعيف يعنى أنه لو آمن بالجزاء وأيقن بالوعيد لخشى الله تعالى وعقابه ولم يقدم على ذلك فحين أقدم عليه علم أنه مكذب فما أشده من كلام وما أخوفه من مقام وما أبلغه فى التحذير من المعصية وانها جديرة بأن يستدل بها على ضعف الايمان ورخاوة عقد اليقين ثم وصل به قوله (فويل للمصلين) كأنه قال فاذا كان الامر كذلك فويل للمصلين الذين يسهون عن الصلاة قلة مبالاة بها حتى تفوتهم أو يخرج وقتها أو لا يصلونها كما صلاها رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف ولكن ينقرونها نقرا من غير خشوع واخبات ولا اجتناب لما يكره فيها من العبث باللحية والثياب وكثرة التثاؤب والالتفات لا يدرى الواحد منهم عن كم انصرف ولا ما قرأ من السور وكما ترى صلاة أكثر من ترى الذين عادتهم الرياء بأعمالهم ومنع حقوق أموالهم والمعنى أن هؤلاء أحق بأن يكون سهوهم عن الصلاة التى هى عماد الدين والفارق بين الايمان والكفر والرياء الذى هو شعبة من الشرك ومنع الزكاة التى هى شقيقة الصلاة وقنطرة الاسلام علما على أنهم مكذبون بالدين وكم ترى من المتسمين بالاسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه وطريقة أخرى أن يكون فذلك عطفا على الذى يكذب اما عطف ذات على ذات أو صفة على صفة ويكون جواب أرأيت محذوفا لدلالة ما بعده عليه كأنه قيل أخبرنى وما تقول فيمن يكذب بالجزاء وفيمن يؤذى اليتيم ولا يطعم المسكين أنعم ما يصنع ثم قال فويل للمصلين أى اذا علم أنه مسىء فويل للمصلين على معنى فويل لهم الا أنه وضع صفتهم موضع ضميرهم لانهم كانوا مع التكذيب وما أضيف اليهم ساهين عن الصلاة مرائين غير مزكين أموالهم (فان قلت) كيف جعلت المصلين قائما مقام ضمير الذى يكذب وهو واحد (قلت) معناه الجمع لان المراد به الجنس (فان قلت) أى فرق بين قوله عن صلاتهم وبين قولك فى

ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف

(سورة أرأيت مكية وهى سبع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون

(القول فى سورة الماعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم (قال) فيه المعنى هل عرفت الذى يكذب بالجزاء الخ

صلاتهم (قلت) معنى عن أنهم ساهون عنها سهو ترك لها وقلة التفات اليها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة الشطار من المسلمين ومعنى فى أن السهو يعتريهم فيها بوسوسة شيطان أو حديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع له السهو فى صلاته فضلا عن غيره ومن ثم أثبت الفقهاء باب سجود السهو فى كتبهم وعن أنس رضى الله عنه الحمد لله على أن لم يقل فى صلاتهم وقرأ ابن مسعود لاهون (فان قلت) ما معنى المراآة (قلت) هى مفاعلة من الاراءة لان المرائى يرى الناس عمله وهم يرونه الثناء عليه والاعجاب به ولا يكون الرجل مرائيا باظهار العمل الصالح ان كان فريضة فمن حق الفرائض الاعلان بها وتشهيرها لقوله عليه الصلاة والسلام ولا غمة فى فرائض الله لانها أعلام الاسلام وشعائر الدين ولان تاركها يستحق الذم والمقت فوجب اماطة التهمة بالاظهار وان كان تطوعا فحقه أن يخفى لانه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه فان أظهره قاصدا للاقتداء به كان جميلا وانما الرياء أن يقصد بالاظهار أن تراه الاعين فيثنى عليه بالصلاح وعن بعضهم أنه رأى رجلا فى المسجد قد سجد سجدة الشكر وأطالها فقال ما أحسن هذا لو كان فى بيتك وانما قال هذا لانه توسم فيه الرياء والسمعة على أن اجتناب الرياء صعب الا على المرتاضين بالاخلاص ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرياء أخفى من دبيب النملة السوداء فى الليلة المظلمة على المسح الاسود (الماعون) الزكاة قال الراعى

قوم على الاسلام لما يمنعوا * ماعونهم ويضيعوا التهليلا

وعن ابن مسعود ما يتعاور فى العادة من الفأس والقدر والدلو والمقدحة ونحوها وعن عائشة الماء والنار والملح وقد يكون منع هذه الاشياء محظورا فى الشريعة اذا استعيرت عن اضطرار وقبيحا فى المروءة فى غير حال الضرورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة أرأيت غفر الله له ان كان للزكاة مؤديا

سورة الكوثر مكية وهى ثلاث آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

* فى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أنطيناك بالنون وفى حديثه صلى الله عليه وسلم وأنطوا الثبجة * والكوثر فوعل من الكثرة وهو المفرط الكثرة قيل لأعرابية رجع ابنها من السفر بم آب ابنك قالت آب بكوثر وقال

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وقيل الكوثر نهر فى الجنة وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قرأها حين أنزلت عليه فقال أتدرون ما الكوثر انه نهر فى الجنة وعدنيه ربى فيه خير كثير وروى فى صفته أحلى من العسل وأشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء وروى لا يظمأ من شرب منه أبدا أول وارديه فقراء المهاجرين الدنسو الثياب الشعث الرؤس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد يموت أحدهم وحاجته تتلجلج فى صدره لو أقسم على الله لأبره وعن ابن عباس أنه فسر الكوثر بالخير الكثير فقال له سعيد بن جبير ان ناسا يقولون هو نهر فى الجنة فقال هو من الخير الكثير * والنحر نحر البدن وعن عطية هى صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى وقيل صلاة العيد والتضحية وقيل هى جنس الصلاة والنحر وضع اليمين على الشمال والمعنى أعطيت ما لا غاية لكثرته من خير الدارين الذى لم يعطه أحد غيرك ومعطى ذلك كله أنا اله العالمين فاجتمعت لك الغبطتان السنيتان اصابة أشرف عطاء وأوفره من أكرم معط وأعظم منعم فاعبد ربك الذى أعزك باعطائه وشرفك وصانك من منن الخلق مراغما لقومك الذين يعبدون غير الله وانحر لوجهه وباسمه اذا نحرت مخالفا لهم فى النحر للاوثان (ان) من أبغضك من قومك لمخالفتك لهم (هو الأبتر) لا أنت لان كل من يولد الى يوم القيامة من المؤمنين فهم أولادك وأعقابك وذكرك مرفوع على المنابر والمنار وعلى لسان كل عالم وذاكر الى آخر الدهر يبدأ بذكر الله ويثنى بذكرك ولك فى الآخرة ما لا يدخل تحت الوصف فمثلك لا يقال له أبتر وانما الأبتر هو شانئك المنسى فى الدنيا والآخرة وان ذكر ذكر باللعن وكانوا يقولون ان محمدا صنبور اذا مات مات ذكره وقيل نزلت فى العاص بن وائل وقد سماه الابتر

الذين هم يراؤن ويمنعون الماعون

(سورة الكوثر مكية وهى ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الأبتر

(القول فى سورة الكوثر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى انا أعطيناك الكوثر (قال) أى جمعنا لك الغبطتين السنيتين أحدهما اصابة أشرف عطاء وهو الكوثر الخ) قال أحمد جعل الزمخشرى توسط الضمير بين الجزأين مفيدا للاختصاص لان افادته ههنا لذلك بينة مكشوفة * عاد كلامه (قال) لان النبى صلى الله عليه وسلم ذكره مرفوع على المنابر وعلى لسان عالمى أمته الذين هم فى الحقيقة أعقابه الخ)

(القول فى سورة الكافرين) *(بسم الله الرحمن الرحيم)* قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون (قال معناه فى المستقبل لان لا تنفى المستقبل ولا أنتم عابدون ما أعبد كذلك ولا أنا عابد ما عبدتم أى فيما سلف الخ) قال أحمد هذا الذى قاله خطأ على الاصل والفرع جميعا أما على أصله القدرى فانه وان كان مقتضاه ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن قبل البعث على دين نبى قبله لاعتقاد القدرية ان ذلك غميزة فى منصبه ومنفر من اتباعه فيستحيل وقوعه للمفسدة الآثمة يعتقدون ان الناس كلهم متعبدون بمقتضى العقل بوجوب النظر فى آيات الله تعالى وأدلة توحيده ومعرفته وان وجوب النظر بالعقل لا بالسمع فتلك عبادة قبل البعث يلزمهم ان لا يظنوا به صلى الله عليه وسلم الاخلال بها حينئذ يقتضى أصلهم انه كان قبل البعث يعبد الله تعالى فالزمخشرى حافظ على الوفاء بأصله فى عدم اتباعه لنبى سابق فأخل بالتفريع على أصله الآخر فى وجوب العبادة بالعقل والحق ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يعبد قبل الوحى ويتحنث فى غار حراء فان كان مجىء قوله أعبد لان الماضى لم يحصل فيه هذه العبادة المرادة فى الآية فيحمل الامر فيها والله أعلم على مجموع العبادات الخاصة التى لم تعلم الا بالوحى لا على مجرد توحيد الله تعالى ومعرفته فان ذلك لم يزل ثابتا له صلى الله عليه وسلم قبل البعث والله أعلم أو يكون مجيئه مضارعا لقصد تصوير عبادته فى نفس السامع وتمكينها من فهمه كقوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة والاصل فأصبحت وانما عدل عنه للمعنى المذكور وهو وجه حسن فتأمله والله أعلم

والابتر الذى لا عقب له ومنه الحمار الابتر الذى لا ذنب له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكوثر سقاه الله من كل نهر فى الجنة ويكتب له عشر حسنات بعدد كل قربان قربه العباد فى يوم النحر أو يقربونه

سورة الكافرين مكية وهى ست آيات ويقال لها ولسورة الاخلاص المقشقشتان أى المبرئتان من النفاق

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* المخاطبون كفرة مخصوصون قد علم الله منهم أنهم لا يؤمنون روى أن رهطا من قريش قالوا يا محمد هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد الهك سنة فقال معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا فاستلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد الهك فنزلت فغدا الى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤسهم فقرأها عليهم فأيسوا (لا أعبد) أريدت به العبادة فيما يستقبل لان لا لا تدخل الا على مضارع فى معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل الا على مضارع فى معنى الحال ألا ترى أن لن تأكيد فيما تنفيه لا وقال الخليل فى لن ان أصله لا أن والمعنى لا أفعل فى المستقبل ما تطلبونه منى من عبادة آلهتكم ولا أنتم فاعلون فيه ما أطلب منكم من عبادة الهى (ولا أنا عابد ما عبدتم) أى وما كنت قط عابدا فيما سلف ما عبدتم فيه يعنى لم تعهد منى عبادة صنم فى الجاهلية فكيف ترجى منى فى الاسلام (ولا أنتم عابدون ما أعبد) أى وما عبدتم فى وقت ما أنا على عبادته (فان قلت) فهلا قيل ما عبدت كما قيل ما عبدتم (قلت) لانهم كانوا يعبدون الاصنام قبل المبعث وهو لم يكن يعبد الله تعالى فى ذلك الوقت (فان قلت) فلم جاء على ما دون من (قلت) لان المراد الصفة كأنه قال لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق وقيل ان ما مصدرية أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى (لكم دينكم ولى دين) لكم شرككم ولى توحيدى والمعنى انى نبى مبعوث اليكم لأدعوكم الى الحق والنجاة فاذا لم تقبلوا منى ولم تتبعونى فدعونى كفافا ولا تدعونى الى الشرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت منه مردة الشياطين وبرئ من الشرك ويعافى من الفزع الاكبر

سورة النصر مدنية وهى ثلاث آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(اذا) منصوب بسبح وهو لما يستقبل والاعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة روى أنها نزلت فى أيام التشريق بمنى فى حجة الوداع (فان قلت) ما الفرق بين النصر والفتح حتى عطف عليه (قلت) النصر الاغاثة والاظهار على العدو ومنه نصر الله الارض غاثها والفتح فتح البلاد والمعنى نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم على العرب أو على قريش وفتح مكة وقيل جنس نصر الله للمؤمنين وفتح بلاد الشرك عليهم وكان فتح مكة لعشر مضين من شهر رمضان سنة ثمان ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف من المهاجرين والانصار وطوائف العرب وأقام بها خمس عشرة ليلة ثم خرج الى هوازن وحين دخلها وقف على باب الكعبة ثم قال لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال يا أهل مكة ما ترون أنى فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن أخ كريم قال اذهبوا فأنتم الطلقاء فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه

(سورة الكافرين مكية وهى ست آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد لكم دينكم ولى دين

(سورة النصر مدنية وهى ثلاث آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا

*(سورة تبت خمس آيات وهى مكية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تبت يدا أبى لهب وتب

وسلم وقد كان الله تعالى أمكنه من رقابهم عنوة وكانوا له فيأ فلذلك سمى أهل مكة الطلقاء ثم بايعوه على الاسلام (فى دين الله) فى ملة الاسلام التى لا دين له يضاف اليه غيرها ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (أفواجا) جماعات كثيفة كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحدا واحدا واثنين اثنين وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه بكى ذات يوم فقيل له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دخل الناس فى دين الله أفواجا وسيخرجون منه أفواجا وقيل أراد بالناس أهل اليمن قال أبو هريرة لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر جاء نصر الله والفتح وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم الايمان يمان والفقه يمان والحكمة يمانية وقال أجد نفس ربكم من قبل اليمن وعن الحسن لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا أما اذ ظفر بأهل الحرم فليس به يدان وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل وعن كل من أرادهم فكانوا يدخلون فى الاسلام أفواجا من غير قتال وقرأ ابن عباس فتح الله والنصر * وقرئ يدخلون على البناء للمفعول (فان قلت) ما محل يدخلون (قلت) النصب اما على الحال على أن رأيت بمعنى أبصرت أو عرفت أو هو مفعول ثان على أنه بمعنى علمت (فسبح بحمد ربك) فقل سبحان الله حامدا له أى فتعجب لتيسير الله مالم يخطر ببالك وبال أحد من أن يغلب أحد على أهل الحرم واحمده على صنعه أو فاذكره مسبحا حامدا زيادة فى عبادته والثناء عليه لزيادة انعامه عليك أو فصل له روت أم هانئ أنه لما فتح باب الكعبة صلى صلاة الضحى ثمانى ركعات وعن عائشة كان عليه الصلاة والسلام يكثر قبل موته أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك أستغفرك وأتوب اليك والامر بالاستغفار مع التسبيح تكميل للامر بما هو قوام أمر الدين من الجمع بين الطاعة والاحتراس من المعصية وليكون أمره بذلك مع عصمته لطفا لأمته ولأن الاستغفار من التواضع لله وهضم النفس فهو عبادة فى نفسه وعن النبى صلى الله عليه وسلم انى لأستغفر فى اليوم والليلة مائة مرة وروى أنه لما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عم قال نعيت اليك نفسك قال انها لكما تقول فعاش بعدها سنتين لم ير فيهما ضاحكا مستبشرا وقيل ان ابن عباس هو الذى قال ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أوتى هذا الغلام علما كثيرا وروى أنها لما نزلت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان عبدا خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله فعلم أبو بكر رضى الله عنه فقال فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا وعن ابن عباس أن عمر رضى الله عنهما كان يدنيه ويأذن له مع أهل بدر فقال عبد الرحمن أتأذن لهذا الفتى معنا وفى أبنائنا من هو مثله فقال انه ممن قد علمتم قال ابن عباس فأذن لهم ذات يوم وأذن لى معهم فسألهم عن قول الله تعالى اذا جاء نصر الله ولا أراه سألهم الا من أجلى فقال بعضهم أمر الله نبيه اذا فتح عليه أن يستغفره ويتوب اليه فقلت ليس كذلك ولكن نعيت اليه نفسه فقال عمر ما أعلم منها الا مثل ما تعلم ثم قال كيف تلومونى عليه بعد ما ترون وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه دعا فاطمة رضى الله عنها فقال يا بنتاه انه نعيت الى نفسى فبكت فقال لا تبكى فانك أول أهلى لحوقا بى وعن ابن مسعود أن هذه السورة تسمى سورة التوديع (كان توابا) أى كان فى الازمنة الماضية منذ خلق المكلفين توابا عليهم اذا استغفروا فعلى كل مستغفر أن يتوقع مثل ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة اذا جاء نصر الله أعطى من الاجر كمن شهد مع محمد يوم فتح مكة

سورة تبت خمس آيات وهى مكية

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أى هالكة من الهرم والتعجيز والمعنى هلكت يداه لانه فيما يروى أخذ حجرا ليرمى به رسول الله صلى الله عليه وسلم (وتب) وهلك كله أو جعلت يداه هالكتين والمراد هلاك جملته كقوله تعالى بما قدمت يداك ومعنى وتب وكان ذلك وحصل كقوله

(القول فى سورة النصر)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا (قال) معناه فتعجب من تيسير الله لك مالم يخطر ببالك الخ

(القول فى سورة تبت)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

تبت يدا أبى لهب وتب قال هذا دعاء عليه بالتباب وهو الخسران والهلاك

جزانى جزاه الله شر جزائه * جزاء الكلاب العاويات وقد فعل

ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقد تب وروى أنه لما نزل وأنذر عشيرتك الأقربين رقى الصفا وقال يا صباحاه فاستجمع اليه الناس من كل أوب فقال يا بنى عبد المطلب يا بنى فهر ان أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلا أكنتم مصدقى قالوا نعم قال فانى نذير لكم بين يدى الساعة فقال أبو لهب تبا لك ألهذا دعوتنا فنزلت (فان قلت) لم كناه والتكنية تكرمة (قلت) فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون مشتهرا بالكنية دون الاسم فقد يكون الرجل معروفا باحدهما ولذلك تجرى الكنية على الاسم أو الاسم على الكنية عطف بيان فلما أريد تشهيره بدعوة السوء وأن تبقى سمة له ذكر الأشهر من علميه ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب كما قيل على بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان لئلا يغير منه شئ فيشكل على السامع ولفليتة بن قاسم أمير مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالنصب وكان بمكة رجل يقال له عبد الله بجرة الدال لا يعرف الا هكذا والثانى أنه كان اسمه عبد العزى فعدل عنه الى كنيته والثالث أنه لما كان من أهل النار ومآله الى نار ذات لهب وافقت حاله كنيته فكان جديرا بأن يذكر بها ويقال أبو لهب كما يقال أبو الشر للشرير وأبو الخير للخير وكما كنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا المهلب أبا صفرة بصفرة فى وجهه وقيل كنى بذلك لتلهب وجنتيه واشراقهما فيجوز أن يذكر بذلك تهكما به وبافتخاره بذلك وقرئ أبى لهب بالسكون وهو من تغيير الاعلام كقولهم شمس بن مالك بالضم (ما أغنى) استفهام فى معنى الانكار ومحله النصب أو نفى (وما كسب) مرفوع وما موصولة أو مصدرية بمعنى ومكسوبه أو وكسبه والمعنى لم ينفعه ماله وما كسب بماله يعنى رأس المال والارباح أو ماشيته وما كسب من نسلها ومنافعها وكان ذا سابياء أو ماله الذى ورثه من أبيه والذى كسبه بنفسه أو ماله التالد والطارف وعن ابن عباس ما كسب ولده وحكى أن بنى أبى لهب احتكموا اليه فاقتتلوا فقام يحجز بينهم فدفعه بعضهم فوقع فغضب فقال أخرجوا عنى الكسب الخبيث ومنه قوله عليه السلام ان أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه وعن الضحاك ما ينفعه ماله وعمله الخبيث يعنى كيده فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن قتادة عمله الذى ظن أنه منه على شئ كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل وروى أنه كان يقول ان كان ما يقول ابن أخى حقا فأنا أفتدى منه نفسى بمالى وولدى (سيصلى) قرئ بفتح الياء وبضمها مخففا ومشددا والسين للوعيد أى هو كائن لا محالة وان تراخى وقته (وامرأته) هى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنثرها بالليل فى طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانت تمشى بالنميمة ويقال للمشاء بالنمائم المفسد بين الناس يحمل الحطب بينهم أى يوقد بينهم النائرة ويورث الشر قال

من البيض لم تصطد على ظهر لأمة * ولم تمش بين الحى بالحطب الرطب

جعله رطبا ليدل على التدخين الذى هو زيادة فى الشر ورفعت عطفا على الضمير فى سيصلى أى سيصلى هو وامرأته و(فى جيدها) فى موضع الحال أو على الابتداء وفى جيدها الخبر وقرئ حمالة الحطب بالنصب على الشتم وأنا أستحب هذه القراءة وقد توسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل من أحب شتم أم جميل وقرئ حمالة للحطب وحمالة للحطب بالتنوين والرفع والنصب وقرئ ومريئته بالتصغير * المسد الذى فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف كان أو جلد أو غيرهما قال * ومسد أمر من أيانق * ورجل ممسود الخلق مجدوله والمعنى فى جيدها حبل مما مسد من الحبال وأنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها فى جيدها كما يفعل الحطابون تخسيسا لحالها وتحقيرا لها وتصويرا لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتمتعض من ذلك ويمتعض بعلها وهما فى بيت العز والشرف وفى منصب الثروة والجدة ولقد عير بعض الناس الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب بحمالة الحطب فقال

ماذا أردت الى شتمى ومنقصتى * أم ما تعير من حمالة الحطب

غراء شادخة فى المجد غرتها * كانت سليلة شيخ ثاقب الحسب

ويحتمل أن يكون المعنى أن حالها تكون فى نار جهنم على الصورة التى كانت عليها حين كانت تحمل حزمة

ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد

(قال ويؤيد ذلك قراءة من قرأ يدا أبو لهب) قال أحمد وفى هذا دليل لان الرفع أسبق وجوه الاعراب وأولها ألا تراهم انما حافظوا على صيغته التى بها اشتهر الاسم وكانت أول أحواله * عاد كلامه (قال) ولأمير مكة ولدان أحدهما عبد الله بالنصب والآخر عبد الله بالجر فلا يعرف كل واحد منهما الا بذلك الخ

الشوك فلا تزال على ظهرها حزمة من حطب النار من شجرة الزقوم أو من الضريع وفى جيدها حبل مما مسد من سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يجانس حاله فى جرمه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة تبت رجوت أن لا يجمع الله بينه وبين أبى لهب فى دار واحدة

سورة الاخلاص مكية وقيل مدنية وهى أربع آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(هو) ضمير الشأن و(الله أحد) هو الشأن كقولك هو زيد منطلق كأنه قيل الشأن هذا وهو أن الله واحد لا ثانى له (فان قلت) ما محل هو (قلت) الرفع على الابتداء والخبر الجملة (فان قلت) فالجملة الواقعة خبرا لا بد فيها من راجع الى المبتدا فأين الراجع (قلت) حكم هذه الجملة حكم المفرد فى قولك زيد غلامك فى أنه هو المبتدأ فى المعنى وذلك أن قوله الله أحد هو الشأن الذى هو عبارة عنه وليس كذلك زيد أبوه منطلق فان زيدا والجملة يدلان على معنيين مختلفين فلا بد مما يصل بينهما وعن ابن عباس قالت قريش يا محمد صف لنا ربك الذى تدعونا اليه فنزلت يعنى الذى سألتمونى وصفه هو الله وأحد بدل من قوله الله أو على هو أحد وهو بمعنى واحد وأصله وحد وقرأ عبد الله وأبى هو الله أحد بغير قل وفى قراءة النبى صلى الله عليه وسلم الله أحد بغير قل هو وقال من قرأ الله أحد كان بعدل القرآن وقرأ الاعمش قل هو الله الواحد وقرئ أحد الله بغير تنوين أسقط لملاقاته لام التعريف ونحوه * ولا ذاكر الله الا قليلا * والجيد هو التنوين وكسره لالتقاء الساكنين و(الصمد) فعل بمعنى مفعول من صمد اليه اذا قصده وهو السيد المصمود اليه فى الحوائج والمعنى هو الله الذى تعرفونه وتقرون بأنه خالق السموات والارض وخالقكم وهو واحد متوحد بالالهية لا يشارك فيها وهو الذى يصمد اليه كل مخلوق لا يستغنون عنه وهو الغنى عنهم (لم يلد) لانه لا يجانس حتى تكون له من جنسه صاحبة فيتوالدا وقد دل على هذا المعنى بقوله أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة (ولم يولد) لان كل مولود محدث وجسم وهو قديم لا أول لوجوده وليس بجسم * ولم يكافئه أحد أى لم يماثله ولم يشاكله ويجوز أن يكون من الكفاءة فى النكاح نفيا للصاحبة سألوه أن يصفه لهم فأوحى اليه ما يحتوى على صفاته فقوله هو الله اشارة لهم الى من هو خالق الاشياء وفاطرها وفى طى ذلك وصفه بأنه قادر عالم لان الخلق يستدعى القدرة والعلم لكونه واقعا على غاية احكام واتساق وانتظام وفى ذلك وصفه بأنه حى سميع بصير وقوله أحد وصف بالوحدانية ونفى الشركاء وقوله الصمد وصف بأنه ليس الا محتاجا اليه واذا لم يكن الا محتاجا اليه فهو غنى وفى كونه غنيا مع كونه عالما أنه عدل غير فاعل للقبائح لعلمه بقبح القبيح وعلمه بغناه عنه وقوله لم يولد وصف بالقدم والاولية وقوله لم يلد نفى للشبه والمجانسة وقوله ولم يكن له كفوا أحد تقرير لذلك وبت للحكم به (فان قلت) الكلام العربى الفصيح أن يؤخر الظرف الذى هو لغو غير مستقر ولا يقدم وقد نص سيبويه على ذلك فى كتابه فما باله مقدما فى أفصح كلام وأعربه (قلت) هذا الكلام انما سيق لنفى المكافأة عن ذات البارى سبحانه وهذا المعنى مصبه ومركزه هو هذا الظرف فكان لذلك أهم شئ وأعناه وأحقه بالتقدم وأحراه وقرئ كفؤا بضم الكاف والفاء وبضم الكاف وكسرها مع سكون الفاء (فان قلت) لم كانت هذه السورة عدل القرآن كله على قصر متنها وتقارب طرفيها (قلت) لامر ما يسود من يسود وما ذاك الا لاحتوائها على صفات الله تعالى وعدله وتوحيده وكفى دليلا من اعترف بفضلها وصدق بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها أن علم التوحيد من الله تعالى بمكان وكيف لا يكون كذلك والعلم تابع للمعلوم يشرف بشرفه ويتضع بضعته ومعلوم هذا العلم هو الله تعالى وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز فما ظنك بشرف منزلته وجلالة محله وانافته على كل علم واستيلائه على قصب السبق دونه ومن ازدراه فلضعف علمه بمعلومه وقلة تعظيمه له وخلوه من خشيته وبعده من النظر لعاقبته اللهم احشرنا فى زمرة العالمين بك العاملين لك القائلين بعدلك وتوحيدك الخائفين من وعيدك وتسمى سورة الاساس لاشتمالها على أصول الدين وروى أبى وأنس عن النبى صلى الله عليه وسلم أسست السموات السبع والارضون السبع على قل هو الله أحد يعنى ما خلقت

(سورة الاخلاص مكية وهى أربع آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد

(القول فى سورة الاخلاص)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى ولم يكن له كفوا أحد (قال ان قلت الكلام العربى الفصيح أن يؤخر الظرف وقد نص سيبويه على ذلك) قال أحمد نقل سيبويه انه سمع بعض الجفاة من العرب يقرأ ولم يكن أحد كفوا له وجرى هذا الجلف على عادته جفا طبعه عن لطف المعنى الذى لاجله اقتضى تقديم الظرف مع الخبر على الاسم وذلك ان الغرض الذى سيقت له الآية نفى المكافأة والمساواة عن ذات الله تعالى فكان تقديم المكافأة المقصود بأن يسلب عنه أولى ثم لما قدمت لتسلب ذكر معها الظرف ليبين الذات المقدسة بسلب المكافأة والله أعلم

القول فى سورة الفلق (بسم الله الرحمن الرحيم) * قوله تعالى قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق (قال معناه من شر خلقه أى من شر ما يفعله المكلفون الخ) قال أحمد لا يسعه على قاعدته الفاسدة التى هى من جملة ما يدخل تحت هذه الاستعاذة الا صرف الشر الى ما يعتقده خالقا لافعاله أولا هو غير فاعل له البتة كالموات واما صرف الاستعاذة الى ما يفعله الله تعالى بعباده من أنواع المحن والبلايا وغير ذلك فلا لانه يعتقد ان الله لا يخلق أفعال الحيوانات وانما هم يخلقونها لانها شر والله تعالى لا يخلقه لقبحه كل ذلك تفريع على قاعدة الصلاح والاصلح التى وضح فسادها حتى حرف بعض القدرية الآية فقرأ من شر ما خلق بتنوين شر وجعل ما نافية * قوله تعالى ومن شر النفاثات فى العقد (قال هن السواحر اللاتى يعقدن الخيوط وينفثن عليها الخ) قال أحمد وقد تقدم ان قاعدة القدرية انكار حقيقة السحر على ان الكتاب والسنة قد وردا بوقوعه والامر بالتعوذ منه وقد سحر صلى الله عليه وسلم فى مشط ومشاطة فى جف طلعة ذكروا الحديث مشهور وانما الزمخشرى استفزه الهوى حتى أنكر ما عرف وما به الا أن يتبع اعتزاله ويغطى بكفه وجه الغزالة * عاد كلامه (قال فان قلت ما معنى الاستعاذة من شرهن وأجاب الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الاول فعد عنه جانبا ولو فسر غيره النفاثات فى العقد بالمخيلات من النساء ولسن ساحرات حتى يتم انكار وجود السحر لعد من بدع التفاسير

الا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التى نطقت بها هذه السورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلا يقرأ قل هو الله أحد فقال وجبت قيل يا رسول الله وما وجبت قال وجبت له الجنة

سورة الفلق مختلف فيها وهى خمس آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* الفلق والفرق الصبح لان الليل يفلق عنه ويفرق فعل بمعنى مفعول يقال فى المثل هو أبين من فلق الصبح ومن فرق الصبح ومنه قولهم سطع الفرقان اذا طلع الفجر وقيل هو كل ما يفلقه الله كالارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاولاد والحب والنوى وغير ذلك وقيل هو واد فى جهنم أو جب فيها من قولهم لما اطمأن من الارض الفلق والجمع فلقان وعن بعض الصحابة أنه قدم الشام فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم من دنياهم فقال لا أبالى أليس من ورائهم الفلق فقيل وما الفلق قال بيت فى جهنم اذا فتح صاح جميع أهل النار من شدة حره (من شر ما خلق) من شر خلقه وشرهم ما يفعله المكلفون من الحيوان من المعاصى والمآثم ومضارة بعضهم بعضا من ظلم وبغى وقتل وضرب وشتم وغير ذلك وما يفعله غير المكلفين منه من الاكل والنهس واللدغ والعض كالسباع والحشرات وما وضعه الله فى الموات من أنواع الضرر كالاحراق فى النار والقتل فى السم * والغاسق الليل اذا اعتكر ظلامه من قوله تعالى الى غسق الليل ومنه غسقت العين امتلأت دمعا وغسقت الجراحة امتلأت دما * ووقوبه دخول ظلامه فى كل شئ ويقال وقبت الشمس اذا غابت وفى الحديث لما رأى الشمس قد وقبت قال هذا حين حلها يعنى صلاة المغرب وقيل هو القمر اذا امتلأ وعن عائشة رضى الله عنها أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدى فأشار الى القمر فقال تعوذى بالله من شر هذا فانه الغاسق اذا وقب ووقوبه دخوله فى الكسوف واسوداده ويجوز أن يراد بالغاسق الاسود من الحيات ووقبه ضربه ونقبه والوقب النقب ومنه وقبة الثريد والتعوذ من شر الليل لان انبثاثه فيه أكثر والتحرز منه أصعب ومنه قولهم الليل أخفى للويل وقولهم أغدر الليل لانه اذا أظلم كثر فيه الغدر وأسند الشر اليه لملابسته له من حدوثه فيه (النفاثات) النساء أو النفوس أو الجماعات السواحر اللاتى يعقدن عقدا فى خيوط وينفثن عليها ويرقين والنفث النفخ مع ريق ولا تأثير لذلك اللهم الا اذا كان ثم اطعام شئ ضار أو سقيه أو اشمامه أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلا على سبيل الامتحان الذى يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع اليهن والى نفثهن والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون الى ذلك ولا يعبؤن به (فان قلت) فما معنى الاستعاذة من شرهن (قلت) فيها ثلاثة أوجه أحدها أن يستعاذ من عملهن الذى هو صنعة السحر ومن اثمهن فى ذلك والثانى أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن والثالث أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات من قوله ان كيدكن عظيم تشبيها لكيدهن بالسحر والنفث فى العقد أو اللاتى يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك (اذا حسد) اذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغى الغوائل للمحسود لانه اذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره وعن عمر بن عبد العزيز لم أر ظالما أشبه بالمظلوم من حاسد ويجوز أن يراد

(سورة الفلق وهى خمس آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات فى العقد ومن شر حاسد اذا حسد

براد

يراد بشر الحاسد اثمه وسماجة حاله فى وقت حسده واظهاره أثره (فان قلت) قوله من شر ما خلق تعميم فى كل ما يستعاذ منه فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد (قلت) قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره وأنه يلحق الانسان من حيث لا يعلم كأنما يغتال به وقالوا شر العداة المداجى الذى يكيدك من حيث لا تشعر (فان قلت) فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه (قلت) عرفت النفاثات لان كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لان كل غاسق لا يكون فيه الشر انما يكون فى بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد فى الخيرات ومنه قوله عليه الصلاة والسلام لا حسد الا فى اثنتين وقال أبو تمام * وما حاسد فى المكرمات بحاسد * وقال * ان العلا حسن فى مثلها الحسد * عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ المعوذتين فكأنما قرأ الكتب التى أنزلها الله تعالى كلها

سورة الناس مختلف فيها وهى ست آيات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قرئ قل أعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها الى اللام ونحوه فخذ اربعة (فان قلت) لم قيل (برب الناس) مضافا اليهم خاصة (قلت) لان الاستعاذة وقعت من شر الموسوس فى صدور الناس فكأنه قيل أعوذ من شر الموسوس الى الناس بربهم الذى يملك عليهم أمورهم وهو الههم ومعبودهم كما يستغيث بعض الموالى اذا اعتراهم خطب بسيدهم ومخدومهم ووالى أمرهم * (فان قلت) (ملك الناس اله الناس) ما هما من رب الناس (قلت) هما عطف بيان كقولك سيرة أبى حفص عمر الفاروق بين بملك الناس ثم زيد بيانا باله الناس لانه قد يقال لغيره رب الناس كقوله اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وقد يقال ملك الناس وأما اله الناس فخاص لا شركة فيه فجعل غاية للبيان (فان قلت) فهلا اكتفى باظهار المضاف اليه الذى هو الناس مرة واحدة (قلت) لان عطف البيان للبيان فكان مظنة للاظهار دون الاضمار (الوسواس) اسم بمعنى الوسوسة كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال والمراد به الشيطان سمى بالمصدر كأنه وسوسة فى نفسه لانها صنعته وشغله الذى هو عاكف عليه أو أريد ذو الوسواس والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى و(الخناس) الذى عادته أن يخنس منسوب الى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روى عن سعيد بن جبير اذا ذكر الانسان ربه خنس الشيطان وولى فاذا غفل وسوس اليه (الذى يوسوس) يجوز فى محله الحركات الثلاث فالجر على الصفة والرفع والنصب على الشتم ويحسن أن يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذى يوسوس على أحد هذين الوجهين (من الجنة والناس) بيان للذى يوسوس على أن الشيطان ضربان جنى وانسى كما قال شياطين الانس والجن وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال لرجل هل تعوذت بالله من شيطان الانس ويجوز أن يكون من متعلقا بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس وقيل من الجنة والناس بيان للناس وأن اسم الناس ينطلق على الجنة واستدلوا بنفر ورجال فى سورة الجن وما أحقه لان الجن سموا جنا لاجتنانهم والناس ناسا لظهورهم من الايناس وهو الابصار كما سموا بشرا ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح ذلك وثبت لم يكن مناسبا لفصاحة القرآن وبعده من التصنع وأجود منه أن يراد بالناس الناسى كقوله يوم يدع الداع وكما قرئ من حيث أفاض الناس ثم يبين بالجنة والناس لان الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أنزلت على سورتان ما أنزل مثلهما وانك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما يعنى المعوذتين ويقال للمعوذتين المقشقشتان * قال عبد الله الفقير اليه وأنا أعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة * وألوذ بكنف رحمته الشاملة العامة * من كل ما يكلم الدين * و يثلم اليقين * أو يعود فى العاقبة بالندم * أو يقدح فى الايمان المسوط باللحم والدم * وأسأله بخضوع العنق وخشوع البصر * ووضع الخد لجلاله الاعظم الاكبر * مستشفعا اليه بنوره الذى هو الشيبة فى

(سورة الناس وهى ست آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قل أعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس

(القول فى سورة الناس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى قل أعوذ برب الناس (قال ان قلت لم أضاف اسمه تعالى اليهم خاصة وهو رب كل شئ الخ) قال أحمد وفى التخصيص جرى على عادة الاستعطاف فانه معه أتم * عاد كلامه (قال) واله الناس عطف بيان لملك الناس أو كلاهما عطف بيان للاول والثانى أبين لان ملك الناس قد يطلق لغير الله تعالى واما اله الناس فلا يطلق الا لله عز وجل فجعل غاية للبيان وزيد البيان بتكرار ظاهر غير مضمر والله سبحانه وتعالى أعلم هذا ما يسر الله من القول وانى أبرأ الى الله تعالى من القوة والحول والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الاسلام * متوسلا بالتوبة الممحصة للآثام * وبما عنيت به من مهاجرتي اليه ومجاورتي * ومرابطتي بمكة ومصابرتي * على تواكل من القوى * وتخاذل من الخطا * ثم أسأله بحق صراطه المستقيم * وقرآنه المجيد الكريم * وبما لقيت من كدح اليمين * وعرق الجبين * في عمل الكشاف عن حقائقه * المخلص عن مضايقه * المطلع على غوامضه * المثبت في مداحضه * الملخص لنكته ولطائف نظمه * المنقر عن فقره وجواهر علمه * المكتنز بالفوائد المفتنة التي لا توجد إلا فيه * المحيط بما لا يكتنه من بدع ألفاظه ومعانيه * مع الايجاز الحاذف للفضول * وتجنب المستكره المملول * ولو لم يكن في مضمونه * إلا إيراد كل شئ على قانونه * لكفى به ضالة ينشدها محققة الاحبار * وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار * وبما شرفني به ومجدني * واختصني بكرامته وتوحدني * من ارتفاعه على يدي في مهبط إشاراته ونذره * ومتنزل آياته وسوره * من البلد الأمين بين ظهراني الحرم * وبين يدي البيت المحرم * حتى وقع التأويل * حيث وجد التنزيل * أن يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء * ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد * ولا يفضحني بها على رؤس الأشهاد * ويحلني دار المقامة من فضله * بواسع طوله وسابغ نوله * إنه الجواد الكريم * الرؤف الرحيم *

(في نسخة مانصه)

في أصل المصنف بخطه رحمه الله تعالى وهذه النسخة هي نسخة الاصل الاولى
التي نقلت من السواد وهي أم الكشاف الحرمية المباركة المتمسح بها المحقوقة أن
تستنزل بها بركات السماء ويستمطر بها في السنة الشهباء فرغت منها
يد المصنف تجاه الكعبة في جناح داره السليمانية التي على باب
أجياد الموسومة بمدرسة العلامة ضحوة يوم الاثنين الثالث
والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمانية وعشرين
وخمسمائة وهو حامد لله على باهر كرمه
ومصل على عبده ورسوله وعلى
آله وأصحابه أجمعين

*(نبذة

(نبذة من ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى)

قد ذكر الاستاذ الفاضل الشيخ ابراهيم الدسوقي مصحح دار الطباعة المصرية الميرية سابقا رحمه الله جملة من ترجمة مؤلف الكشاف ذيل بها النسخة التي جرى عليها الطبع فاستحسن نقلها بنصها لتكون مرآة للاطلاع على بعض ما للمؤلف من رفيع المزايا وحميد السجايا ولسان صدق في الآخرين وانموذجا لفضله المتين ونصها هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري من هو بأحاسن النعوت حرى صاحب التآليف الزاهرة والتصانيف الفائقة الباهرة فهو الامام الكبير في الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعاني والبيان وغيرها بلا معانى كان إمام عصره من غير مدافع تشد اليه الرحال من كل مكان شاسع أخذ الادب عن شيخه منصور أبي مضر وصنف التصانيف البديعة الغرر منها هذا الكتاب في تفسير القرآن ولم يدرك شأوه فيه انسان والمحاجاة بالمسائل النحوية والمفرد والمركب في العربية والفائق في تفسير الحديث ولم يرمثله في القديم ولا في الحديث وأساس البلاغة في اللغه ولم يبلغ كتاب قبله في التمييز مبلغه وربيع الابرار ونصوص الاخبار ومتشابه أسامي الرواة والنصائح الكبار والنصائح الصغار وضالة الناشد والرائض في علم الفرائض والمفصل في النحو وهو كتاب كبير وقد اعتنى بشرحه خلق كثير والانموذج في علم العربية والمفرد والمؤلف في المسائل النحوية ورؤس المسائل الفقهية والمستقصى في الامثال العربية والبدور السافرة في الامثال السائرة والكتاب الجليل المسمى بديوان التمثيل وشقائق النعمان في حقائق النعمان وشافي العي من كلام الشافعي والقسطاس في العروض ومعجم الحدود والمنهاج في الاصول ومقدمة الادب في اللغة وديوان الرسائل وديوان الشعر والرسائل الناصحة والأمالي الواضحة في كل فن وغير ذلك وكان شروعه في تأليف المفصل في غرة شهر رمضان سنة ٥١٣ ثلاث عشرة وخمسمائة وفرغ منه في غرة المحرم سنة ٥١٥ خمس عشرة وخمسمائة وكان قد سافر الى مكة حرسها الله تعالى وجاور بها زمانا فصار يقال له جار الله لذلك وكان هذا الاسم علما عليه وقد اشتهر أن احدى رجليه كانت ساقطة وأنه كان يمشي في جارن من خشب واختلف في سبب سقوطها فقيل إنه كان في بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير وبرد شديد في الطريق فسقطت منه رجله وأنه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفا من أن يظن من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة والثلج والبرد كثيرا ما يؤثر في الاطراف في تلك البلاد فتسقط بخصوصا خوارزم فانها في غاية البرودة ومنها خلق كثير سقطت أطرافهم بهذا السبب فلا يستبعده من لا يعرفه وقيل إن الزمخشري لما دخل بغداد واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغاني سأله عن سبب قطع رجله فقال دعاء الوالدة وذلك أني كنت في صباي امسكت عصفورا وربطته بخيط في رجله فأفلت من يدي فأدركته وقد دخل في خرق فجذبته فانقطعت رجله في الخيط فتألمت والدتي لذلك وقالت قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله فلما وصلت الى سن الطلب رحلت الى بخارى أطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي وعملت على عملا أوجب قطعها والله اعلم بالصحة وكان الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي قد كتب اليه من الاسكندرية وهو يومئذ مجاور بمكة حرسها الله يستجيزه في مسموعاته ومصنفاته فرد جوابه بما لا يشفي الغليل فلما كان في العام الثاني كتب اليه أيضا مع الحجاج استجازة أخرى اقترح فيها مقصوده ثم قال في آخرها ولا يحوج أدام الله توفيقه الى المراجعة فالمسافة بعيدة وقد كاتبته في السنة الماضية فلم يجب بما يشفي الغليل وله في ذلك الاجر الجزيل فكتب اليه الزمخشري ما لم يكن له في حساب ولولا خوف التطويل لذكرت الاستدعاء والجواب لكن لا بأس بذكر بعض الجواب وهو ما مثلي مع أعلام العلماء الا كمثل السهامع مصابيح السماء والجهام الصفر من الرهام مع الغوادي الغامرة للقيعان والآكام والسكيت المخلف مع خيل السباق والبغاث مع الطير العتاق وما التلقيب بالعلامة الا شبه الرقم بالعلامة والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثاني

الرواية وأنا في كلا البابين ذو بضاعة مزجاة ظلي فيه أقلص من ظل حصاة أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الاسناد لم تستند الى علماء نحارير ولا الى أعلام مشاهير وأما الدراية فثمد لا يبلغ أفواها وبرض ما يبل شفاها ولا يغرنكم قول فلان في وفلان وعدد جماعة من الشعراء والفضلاء مدحوه بمقاطيع من الشعر وأوردها كلها ولو سردناها لطال الحال ثم قال فان ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه وجهل بالباطن المشوه ولعل الذي غرهم مني ما رأوا من حسن النصح للمسلمين وايصال الشفقة الى المستفيدين وقطع المطامع عنهم واضافة المبار والصنائع عليهم وعزة النفس والربء بها عن السفاسف الدنيات والاقبال على خويصتي والاعراض عما لا يعنيني فجللت في عيونهم وغلطوا في ونسبوني الى ما لست منه في قبيل ولا دبير وما أنا فيما أقول بهاضم لنفسي كما قال الحسن البصري رحمه الله تعالى في قول أبي بكر الصديق رضوان الله عليه وليتكم ولست بخيركم ان المؤمن ليهضم نفسه وانما صدقت الفاحص عني وعن كنه روايتي ودرايتي ومن لقيت وأخذت عنه وما بلغ علمي وقصارى فضلي وأطلعته طلع أمري وأفضيت اليه بخبيئة سري وألقيت اليه عجري وبجري وأعلمته نجمي وشجري وأما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى زمخشر وسمعت أبي رحمه الله تعالى يقول اجتاز بها أعرابي فسأل عن اسمها واسم كبيرها فقيل له زمخشر فقال لا خير في شر ورد ولم يلمم بها وقت الميلاد شهر الله الاصم في عام سبع وستين وأربعمائة والله المحمود والمصلى على سيدنا محمد وآله وأصحابه هذا آخر الاجازة وقد أطال الكلام فيها ولم يصرح له بمقصوده فيها ولا يعلم هل أجازه بعد ذلك أولا ومن شعره السائر قوله وقد ذكره السمعاني في الذيل قال أنشدني أحمد بن محمود الخوارزمي املاء بسمرقند قال أنشدنا محمود بن عمر الزمخشري لنفسه بخوارزم

ألا قل لسعدى ما لنا فيك من وطر * وما تطلبن النجل من أعين البقر
فانا اقتصرنا بالذين تضايقت * عيونهم والله يجزي من اقتصر
مليح ولكن عنده كل جفوة * ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر
ولم أنس اذ غازلته قرب روضة * الى قرب حوض فيه للماء منحدر
فقلت له جئني بورد وانما * أردت به ورد الخدود وما شعر
فقال انتظرني رجع طرف أجيء به * فقلت له هيهات ما لي منتظر
فقال ولا ورد سوى الخد حاضر * فقلت له إني قنعت بما حضر

ومن شعره يرثي شيخه أبا مضر المذكور أولا

وقائلة ما هذه الدرر التي * تساقط من عينيك سمطين سمطين
فقلت هو الدر الذي كان قد حشا * أبو مضر أذني تساقط من عيني

(ومما أنشده لغيره) في كتابه الكشاف عند تفسير قوله تعالى في سورة البقرة ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها

يا من يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى عروق نياطها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب عن فرطاته * ما كان منه في الزمان الاول

وقيل ان الزمخشري أوصى أن تكتب على لوح قبره هذه الابيات

(ومن كلامه رضي الله عنه)

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لو يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

(ومن كلامه)

سهري لتنقيح العلوم ألذ لي * من وصل غانية وطيب عناق
وتمايلي طربا لحل عويصة * أشهى وأحلى من مدامة ساق
وصرير أقلامي على أوراقها * أحلى من الدوكاه والعشاق
وألذ من نقر الفتاة لدفها * نقري لألقي الرمل عن أوراقي
أأبيت سهران الدجى وتبيته * نوما وتبغي بعد ذاك لحاقي

(ومن كلامه)

اذا سألوا عن مذهبي لم أبح به * وأكتمه كتمانه لي أسلم
فان حنفيا قلت قالوا بأنني * أبيح الطلا وهو الشراب المحرم
وان مالكيا قلت قالوا بأنني * أبيح لهم أكل الكلاب وهم هم
وان شافعيا قلت قالوا بأنني * أبيح نكاح البنت والبنت تحرم
وان حنبليا قلت قالوا بأنني * ثقيل حلولي بغيض مجسم
وان قلت من أهل الحديث وحزبه * يقولون تيس ليس يدري ويفهم
تعجبت من هذا الزمان وأهله * فما أحد من ألسن الناس يسلم
وأخرني دهري وقدم معشرا * على أنهم لا يعلمون وأعلم
ومذ أفلح الجهال أيقنت أنني * أنا الميم والأيام أفلح أعلم

وكانت ولادة الزمخشري يوم الاربعاء السابع والعشرين من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشر وتوفي رحمه الله تعالى ليلة عرفة سنة ٥٣٨ ثمان وثلاثين وخمسمائة بجرجانيه خوارزم بعد رجوعه من مكة رحمه الله تعالى ورثاه بعضهم بأبيات ومن جملتها

فأرض مكة تذري الدمع مقلتها * حزنا لفرقة جار الله محمود

وزمخشر بفتح الزاي والميم وسكون الخاء وفتح الشين المعجمتين وبعدها راء قرية كبيرة من قرى خوارزم وجرجانيه بضم الجيم الاولى وفتح الثانية وسكون الراء بينهما وبعد الالف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة وهي قصبة خوارزم قال ياقوت الحموي في معجم البلدان يقال لها بلغتهم كركانج فعربت وقيل لها جرجانيه وهي على شاطئ جيحون انتهى ما ذكره الاستاذ الدسوقي رحمه الله تعالى

(يقول المتوسل بذى المقام المحمود الفقير الى ربه الغنى سبحانه طه بن محمود خادم التصحيح بالمطبعة الاميريه بلغه الله واخوانه الامنيه)

نحمدك اللهم على ما هديت ونشكرك على ما أسديت ونسألك من الطفك الخفى ما يكون كشافا للكرب ومن مزيد عنايتك ما نبلغ به الارب ومن التوفيق لفهم كتابك والهداية لما يقربنا من جنابك ما ينعم به بالنا ويحسن به حالنا وما لنا انك سميع الدعاء فعال لما يشاء سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك يا من جعل العلماء من العباد بمنزلة اللباب من القشور بل الارواح من الاجساد وكيف لا وان قلوبهم لاسرار كلامك آنيه وآذانهم لما يتلى عليهم من الذكر الحكيم واعيه وبصائرهم بأنوارها تتمزق جلابيب الظلمه وألسنتهم ببيانها تتفجر ينابيع الحكمة أولئك هم العلماء ورثة الانبياء أولئك هم الرجال رجالا كانوا أو ركبانا

لا يسألون أخاهم حين يندبهم * فى النائبات على ما قال برهانا

أولئك هم العلماء الذين ميزهم الله بخشيته وحلاهم بحليته وناط بوجودهم صلاح العالم وجعلهم الثمرة من شجرة آدم ثم نصلى ونسلم على سيدنا محمد خير نبى مرسل جاءنا بخير كتاب منزل فكنا به خير أمة أخرجت للناس وعلى آله الاطهار وأصحابه الاكياس (أما بعد) فان من حسنات الدهر ومحاسن هذا العصر تسهيل السبيل الى طبع هذا المطبوع الجليل المسمى الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التأويل تأليف الشيخ العلامه أبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى هذا الرجل الذى انعقدت الخناصر واتفقت كلمة الاوائل والاواخر على أنه امام محراب علوم البلاغه ورئيس الصناعة فى هذه الصياغه وأنه نسيج وحده وسابق من تقدمه ومعيى من رام لحاقه من بعده وأنه مالك زمام الأدب وأنه فى رجال العجم شيخ العرب وأنه فى العلوم البلاغيه بمنزلة سيبويه فى علوم العربيه ولعمرى لو لم يكن من العلماء فى العجم الا هذا المفرد العلم لكان فيه ما يكفيهم فخرا ويرفع لهم بين الامم ذكرا فكأنما عناه القائل

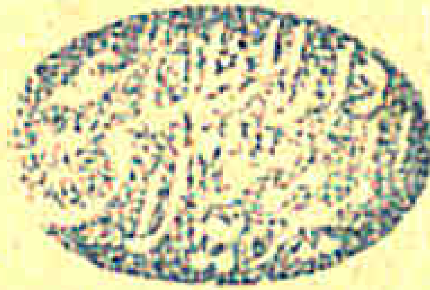
قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلا لعمرى ولكن منه شيبان

لله أبوه لقد جاءنا من آيات علمه وفضله وبينات كيسه ونبله بآية واحدة شهدت له بأنه الواحد وأذعن له معها كل مكابر وجاحد وهى كشافه هذا الذى أودعه من سحر البيان ما كاد به لولا وصمة الحدوث يتسلى مع القرآن على أنه أول تفسير لكلام اللطيف الخبير كشف عن لطائف الكلام البليغ التام وبين مقاصد البلغاء واعتباراتهم التى لها يتفننون فى أساليب الكلام الى غير ذلك مما لم يسبقه أحد اليه وكان به المفسرون والناس جميعا عيالا عليه فجزاه الله خيرا وأجرى له بهذا الصنيع الحسن أجرانه فلقد أعظم بتأليفه المعونه وكفى المفسرين المؤنه فلا عليهم أن لا يؤلفوا بعد إذ ألف وليعلموا أنه لا يستوى الكلف ومن يتكلف

الى الكشاف قد سهل السبيل * فهل لك فى تناول ما ينيل
ينيل من العطا ما ليس تندى * به كف وتبذله العقول
كتاب لو أتيح لسيبويه * لكان بحسبه منه خليل
به ما شئت من سحر حلال * وما يصبى القلوب ويستميل
عليه الناس كلهم عيال * وما الكشاف فى يد من يعول
فخصله ولا تطلب بديلا * فان حاولت أعوزك البديل
ولا تطمع له بأخ تراه * فان أخاه أمر مستحيل

ولاقبال

ولاقبال الناس عليه واشتداد حاجتهم اليه نهض بطبعه حضرات الاماجد السيد مصطفى البابى الحلبى وأخويه جعل الله مساعيهم ناجحه وتجارتهم رابحه بالمطبعة الاميريه ذات الفضائل الجلية فى ظل خديو مصر الاكرم ومليكها الافخم من لا يثنيه عن اصلاح الوطن ثانى «افندينا عباس حلمى باشا الثانى» أدام الله طالع سعده وأقر عينه ببقاء ولى عهده مشمولا هذا الطبع الجميل بنظر من هو نعم الوكيل من عليه جميل أخلاقه يثنى حضرة وكيل المطبعة محمد بك حسنى فى أوائل أول الربيعين من سنة ١٣١٩ من هجرة من هو للانبياء ختام عليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام





فهرست الجزء الثالث من الكشاف

تمت